تنبيه الغافلين

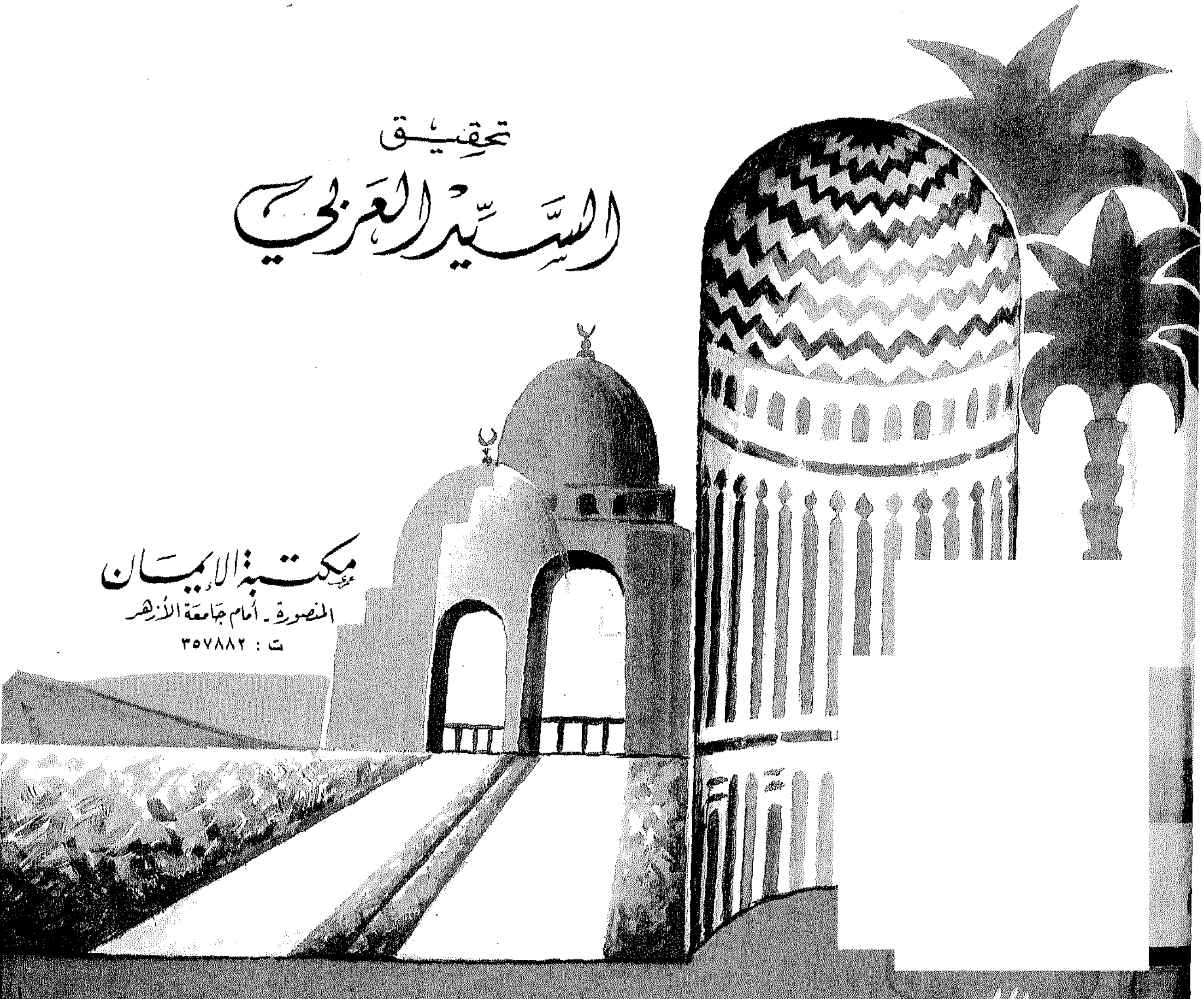
تأليف

الإمام الفقيه أبي اللَّيث نصر بن محمَّد الحنفيّ السَّمرقنديّ

(ت ٣٧٣ هـ)

تحقيق

السَّيِّد العربي



مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٣٥٧٨٨٢

اهداءات ١٩٩٨
مؤسسة الأهرام للنشر والتوزيع
القاهرة

تنبيه الغافلين

تأليف

الإمام الفقيه أبى الليث نصر بن محمد الحنفى السمرقندى

(ت ٣٧٣هـ)

تحقيق

السيد العربى

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

مكتبة الإيمان بالمنصورة

أمام جامعة الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدّمة المحقق]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد..

فهذا كتاب «**تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين**» للفقيه المحدث الزاهد، أبى الليث السمرقندى المعروف (**بإمام الهدى**)، ما أحوج الناس إليه ـ وأمثاله من كتب الترغيب والترهيب ـ فى تنبيه غفلتهم، وإيقاظ غفوتهم ورقدتهم، والنهوض من كبوتهم وزلتهم، وتطهير ذمتهم، والسموّ بعبادتهم، يعرف موضع التأثير فى قلوب العامة فيضرب على العرق الحساس من وجدانهم، ويقرع الوتر الهزاز من نفوسهم. لا يستغنى عنه خطيب على منبره، ولا واعظ فى مسجده، ولا داعية فى مجال دعوته فهو كتاب فى جملته نافع مفيد فى بابه: عضد للواعظ والخطيب، وتحفة للأريب، وسلوة للجازع الحائر، وترقيق لقلب القاسى الجائر، وتزهيد عن فضول حطام الدنيا، وزجر عن المعاصى والمهلكات القوافر.

ترجمة المصنف(*).

نسبه: هو نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، أبو الليث السمرقندى، علم من أئمة الحنفية، ومن الزهاد المتصوفين.

شيوخه: تفقه على الفقيه أبى جعفر الهندوانى البلخى(٣٦٢ هـ) المشهور بأبى حنيفة الصغير صاحب الأقوال المفيدة، والتصانيف المشهورة العديدة.

بلدته: سمرقند ويقال لها بالعربية سمران، تقع الآن فى جمهورية أوزبكستان فى الاتحاد السوفيتى، وهو بلد معروف ومشهور بما وراء النهر، وهى قصبة السند، وكانت عاصمة لتيمور لنك فى القرن الثامن الهجرى، ولا تزال مساجدها ومدارسها شاهدة على تاريخها الحضارى.

وفاته: اختلف فى تاريخ وفاته، ورجح الذهبى فى« سير أعلام النبلاء» أن وفاته عام ٣٧٥ هـ.

(*) راجع ترجمته فى. سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٦) الأعلام (٢٨/٨)، الفوائد البهية (٢٢٠)، مفتاح السعادة(١٣٩/٢)، معجم المؤلفين (٩١/١٣).

مؤلفاته: لإمام الهدى رحمه الله مؤلفات عديدة فى الفقه والتفسير والعقائد والمواعظ والأخلاق طبع بعضها والبعض الآخر لايزال مخطوطاً، نذكر منها: تنبيه الغافلين (وهو الذى بين أيدينا)، وبستان العارفين، والتفسير (السمرقندى)، وقرة العيون ومفرج القلب المحزون (يسر الله لى تحقيقه)، وفتاوى النوازل، وعقوبة أهل الكبائر. ومن المخطوط: خزانة الفقه، وشرح الجامع الصغير، وعمدة العقائد، وشرعة الإسلام. . وغيرها .

نسبة الكتاب: ذكره معظم من ترجموا له فى تصانيفه منهم : خير الدين الزركلى « الأعلام »(٨/ ٢٧) وحاجى خليفة فى « كشف الظنون» (١/ ٤٨٧) ويوسف سركيس فى « معجم المطبوعات العربية والمعربة» (١/ ١٠٤٥) وغيرهم.

منهجه فى الكتاب: يبدأ المصنف الحديث فى كل باب بسرد العديد من الآيات القرآنية وتفسير مبهمها، ثم يدعمها بالأحاديث النبوية والآثار عن السلف. ويعقب على ذلك كله بتعليقات مناسبة ومستوحاة من تلك النصوص. . بكلام فيه لهجة السلف الصالح فى الزهد والورع، واستنهاض الهمم فى الإقبال على الطاعات، والإقلاع عن المعاصى والمنكرات، وإرشاد العباد لطريق الرشاد، والاستعداد ليوم المعاد. ولعل هذا ماحمله على إعتماد بعض الأحاديث التى يغلب على سندها الضعف، وفى نسقها التهويل واستثارة العواطف أكثر من مخاطبتها العقول. لذلك كانت الحاجة ماسة إلى تحقيق نصوص هذا الكتاب ليميز الداعية الغث من الثمين.

منهجى فى تحقيق هذا الكتاب

١ـ قمت بمطابقة عدة نسخ مطبوعة من الكتاب لتصويب الأخطاء وترميم السقط، وقمت بترقيم الأحاديث وعند المثول للطبع وقفت على إحدى النسخ التى روجعت على المخطوطة فأدرجت السقط بين معقوفتين وطابقت ترقيمى بها.

٢ ـ قمت بتخريج الآيات القرآنية فى موضعها.

٣ ـ قمت بتخريج الأحاديث النبوية مبيناً درجتها، وكذا بعض الآثار.

٤ ـ التعليق على بعض المواضع والكلمات المبهمة فى الكتاب.

٥ ـ التنبيه على أهمية الكتاب وعمل ترجمة موجزة للمصنف رحمه الله.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب، والله من وراء القصد وهو يهوى السبيل.

وكتبه: **أبو أحمد السيد العربى بن أحمد بن حسين**

المنصورة فى: غرة رجب ١٤١٥ هـ

الموافق: ٣ ديسمبر ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

[مقدّمة المؤلّف]

الحمد لله الذى هدانا لكتابه، وفضلنا على سائر الأمم بأكرم أنبيائه، حمداً يستجلب المرغوب من رضائه، ويستعطف المخزون من عطائه، ويجعلنا من الشاكرين لنعمائه، والعارفين لآلائه، وصلى الله على محمد، رسوله المصطفى، ونبيه المجتبى، وعلى آله وعترته الطيبين وعلى أصحابه وأمته أجمعين.

قال الفقيه الزاهد، العالم العامل نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندى، رحمة الله عليه :

إنى لما رأيتُ الواجبُ على مَن رزقه الله تعالى المعرفة فى الأدب، والحظّ فى العلم، والنظر فى الحكم والمواعظ، والوقوف على سير الصالحين، واجتهاد المجتهدين، فى ذات الله سبحانه وتعالى، بما نطق به كتاب الله: ﴿ **ادْعُ إلى سَبِيلِ ربِّكَ بِالْحِكْمَةِ والَموعظة الحَسنَة**﴾ [النحل : ١٢٥] الآية، وبما وردت به السنة، وهو ماروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال:

١ ـ كان النبى ﷺ يتخوّلنا بالموعظة أحياناً مخافة السأمة علينا (١) ؛ جمعت فى كتابى هذا شيئاً من المواعظ والحكم شافياً للناظر فيه. ووصيتى له أن ينظر فيه بالتذكّر والتفكّر لنفسه أولاً، ثم بالاحتساب بالتذكير لغيره ثانياً. فإن الله تعالى أمرنا بذلك كله، والسنة قد وردت فيه، قال الله تعالى: ﴿ **كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون**﴾[آل عمران: ٧٩]. قال بعض المفسرين: معناه: كونوا عاملين بما كنتم تعلمون الناس من الكتاب.

وقال فى آية أخرى: ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء**﴾ [فاطر: ٢٨]. وقال تعالى لنبيه ـ ﷺ ـ: ﴿ **يا أيها المدثر قم فأنذر**﴾ [المدثر : ١ ـ ٢]. وقال [الله تعالى فى موضع آخر]: ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ [الذاريات: ٥٥].

---

(١) **متفق عليه*** البخارى (٦٨وأطرافه) ومسلم (٤/ ٢٨٢١)عن ابن مسعود

١/م - وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **تفكر ساعةٍ خير من عبادة سنة**»[١].

ومن أعرض عن النظر والحكم والمواعظ، وسير السلف لا يعدو عن إحدى خصلتين: إما أن يقتصر على قليل من العمل، يتوهم أنه من جملة السابقين إلى الخيرات، وإما أن يجتهد بعض الجهد، فيعظم ذلك فى عينه، ويفضل بذلك نفسه على غيره، فيبطل سعيه، ويحبط عمله.

فإذا نظر فيها، ازداد حرصاً على الطاعات، وعرف قصوره عن بلوغهم فى الدرجات.

فنسأل الله تعالى التوفيق لأزكى الأعمال، وأعظم البركات، إنه منان قدير.

***

(١) موضوع (مرفوع) *:أبو الشيخ فى « العظمة» (٤٤) وعند ابن الجوزى فى « الموصوعات» (٣/ ١٤٤) عن أبى هريرة وذكره أبو الشيخ (٤٩) بإسناد ضعيف عن عمر بن قيس الملائى قال: بلغنى أن تفكر ساعة . بنحوه انظر . الصعيفة (١٧٣).

باب الإخلاص

٢ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: حدثنا محمد بن الفضل بن أحنف، قال: حدثنا محمد بن جعفر الكرابيسى، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو مولى المطلب عن عاصم، عن محمود بن لبيد أن النبى ﷺ قال: « **أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر** » قالوا: يارسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: « **الرياء، يقول الله تعالى لهم يوم يجازى العباد بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون لهم فى الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم خيراً** »(١).

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: إنّما يُقال لهم ذلك لأنّ عَمَلَهم فى الدنيا كان على وجه الخداع، فيعاملون فى الآخرة على وجه الخداع، وهو كما قال الله تعالى: ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم** ﴾ [النساء. ١٤٢]، يعنى يجازيهم جزاء الخداع، فيبطل ثواب أعمالهم، ويقول لهم: اذهبوا إلى الذين كنتم عملتم لأجلهم، فإنه لا ثواب لأعمالكم عندى؛ لأنها لم تكن لوجه الله تعالى. وإنما يستوجب العبدُ الثواب إذا كان عملُه خالصاً لوجه الله تعالى، فإذا كان لغيره فيه شركة، فالله برىء منه.

٣ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل، عن عمرو، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى هريرة، عن النبى ـ ﷺ ـ: « **يقول الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيرى؛ فأنا منه برىء** »(٢). ومعنى قوله: « **أنا أغنى الشركاء عن الشرك** » معناه: أنا غنى عن العمل الذى فيه شركة لغيرى؛ ممن عمل عملاً لغير وجهى، « **فأنا منه برىء** » يعنى من العمل، ويقال: يعنى من العامل، ففى هذا الخبر دليلٌ على أن الله تعالى لا يقبل من العمل شيئاً إلا ماكان خالصاً لوجهه، فإذا لم يكن خالصاً فلا يقبل منه، ولا ثوابَ له فى الآخرة، ومصيره إلى جهنم، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ **من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها مانشاء** ﴾ يعنى من أراد بعمله الدنيا ولا يريد ثواب الآخرة أعطيناه فى الدنيا مقدار مانشاء من عرض الدنيا، ﴿ **لمن نريد** ﴾، يعنى لمن نريد أن نهلكه، ويقال: ﴿لِمَنْ نُرِيْدُ﴾ أن نعطيه بإرادتنا لا بإرادته، ﴿ثُمَّ

---

(١) **صحيح** آخرجه أحمد (٥/ ٤٢٨) والبيهقى فى « الشعب » (٦٨٣١) والبغوى فى « شرح السنة » (٧/ ٣٠ ٤). انظر: الصحيحة (٩٥١).

(٢) **صحيح** ابن ماجه (٤٢٠٢) وأصله فى صحيح مسلم بنحوه (٤/ ٢٩٨٥)

جعلنا لَهُ جَهَنَّم﴾ يعنى أوجبنا له فى الآخرة جهنم ﴿يصْلاَهَا﴾ يعنى يدخلها ﴿مَذْموما﴾ يستوجب المذمّة، يعنى يذمّ نفسه ويذمّه غيره، ﴿مدحوراً﴾ [الإسراء: ١٨] يعنى مطرودا مُبعدا من رحمة الله تعالى.

﴿ ومَنْ أرادَ الآخِرَةَ﴾ يعنى مَن أراد ثَوابَ الآخرة، ﴿ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا﴾ يعنى عمل للآخرة عملها من الأعمال الصالحة خالصة لوجهه، ﴿ وَهُوَ مُؤْمنٌ﴾ يعنى مع العمل يكون مؤمنا، لأنه لا يُقبل العمل بغير إيمان ﴿ فَأُولَئِكَ﴾ يعنى الذين يعملون ويطلبون ثواب الآخرة، ولا يعملون لرياء الدنيا. ﴿ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُوراً﴾ [الإسراء: ١٩] يعنى عملهم مقبولا ﴿ كُلا نُمدُّ هَؤُلاَء وَهَؤُلاَء منْ عَطَاء رَبِّكَ﴾ يعني يعطى كلاً من الفريقين من رزق ربك ﴿ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُوراً﴾ [الإسراء: ٢٠] يعنى ماكان رزق ربك فى الدنيا ممنوعاً من المؤمن والكافر، والبرّ والفاجر.

فقد بيّن الله تعالى فى هذه الآية أنّ مَن عمل لغير وجه الله فلا ثواب له فى الآخرة، ومأواه جهنم ومن عمل لوجه الله تعالى، فعمله مقبول. وإذا عمل لغير وجه الله تعالى فلا نصيب له من عمله إلا العناء والتعب، كما جاء فى الخبر.

٤ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا إسماعيل، عن عمرو، عن سعيد، عن أبى هريرة أن النبى ـ ﷺ قال: « **رُبَّ صائم ليس له حظّ من صومه إلا الجوع والعطش، ورُبَّ قائم ليس له حظّ من قيامه إلا السهر والنّصب**» (١) يعنى إذا لم يكن الصوم والصلاة لوجه الله تعالى، فلا ثواب له.

وهذا كما روى عن بعض الحكماء أنه قال: مثل من يعمل الطاعات للرياء والسمعة كمثل رجل خرج إلى السوق وملأ كيسه حصاة، فيقول الناس: ما أملأ كيس هذا الرجل! فلا منفعة له سوى مقالة الناس، ولو أراد أنيشترى به شيئاً لا يُعطى به شيئا، كذلك الذى عمل للرياء والسمعة لا منفعة له من عمله شيئاً سوى مقالة الناس، ولا ثواب له فى الآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَاعَمِلُوا منَ عَمَلٍ فَجعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُوراً﴾[الفرقان: ٢٣] يعنى الأعمال التى عَملوهَا لغير وَجه الله تعالىً أبطلنا ثوابها، وجعلناها كالهباء المنثور، وهو الغبارُ الذى يُرى فى شعاع الشمس.

---

(١) صحيح: أحمد (٢/ ٣٧٣) والحاكم (١/ ٤٣١) والبيهقى (٤/ ٢٧). انظر. صحيح الجامع (٣٤٩٠)

٥ ـ وروى وكيع، عن سفيان الثورى، عمّن سمع مجاهداً يقول: جاء رجل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ وقال: يارسول الله إنى أتصدق بالصدقة، فألتمسُ بها وجه الله تعالى، وأحبّ أن يقال لى خير، فنزلت هذه الآية: ﴿ **فَمَنْ كَانَ يَرجُو لقاءَ ربِّه**﴾(١) يعنى من خاف المقام بين يدى الله تعالى، ويقال: من كان يريد ثواب الله ﴿ **فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً**﴾ يعنى خالصاً ﴿ **وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [الكهف : ١١٠].

وقال حكيم من الحكماء: من عمل سبعة دون سبعة، لم ينتفع بما يعمل:

أولها: أن يعمل بالخوف، دون الحذر، يعنى يقول: إنى أخاف عذاب الله، ولا يحذر من الذنوب، فلا ينفعه ذلك القول شيئاً.

والثانى: أن يعمل بالرجاء، دون الطلب، يعنى يقول : إنى أرجو ثواب الله تعالى، ولا يطلبه بالأعمال الصالحة، فلم تنفعه مقالته شيئاً.

والثالث: أن يعمل بالنية، دون القصد، يعنى ينوى بقلبه أن يعمل الطاعات والخيرات، ولا يقصد بنفسه، لم تنفعه نيته شيئاً.

والرابع: أن يعمل بالدعاء، دون الجهد، يعنى يدعو الله تعالى أن يوفّقه للخير، ولا يجتهد، لم ينفعه دعاؤه شيئاً وينبغى له أن يجتهد ليوفّقه الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿ **والَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لنَهْدِيَنَّهُم سُبُلَنَا وإِنَّ الله لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [العنكبوت : ٦٩] يعنى الذين جاهدوا فى طاعتنا وفى ديننا لنوفّقنهم لذلك.

والخامس: أن يعمل بالاستغفار، دون الندم يعنى يقول: أستغفر الله، ولا يندم على ماكان منه من الذنوب، لم ينفعه الاستغفار، يعنى بغير الندامة.

والسادس: أن يعمل بالعلانية، دون السريرة، يعنى يصلح أموره فى العلانية، ولا يصلحها فى السرّ، لم تنفعه علانيته شيئاً.

والسابع: أن يعمل بالكد، دون الإخلاص، يعنى يجتهد فى الطاعات، ولا تكون أعمالهُ خالصةً لوجه الله تعالى، لم تنفعه أعماله بغير إخلاص، ويكون ذلك اغتراراً منه بنفسه .

٦ ـ روى أبو هريرة عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: « **يخرج فى آخر الزمان أقوام يَخْتِلُون الدُّنيا بالدِّين** يعنى يأخذونها **فيلبسون لباس جلود الضأن مِنَ اللين، ألسنتهم**

---

(١) إسناده ضعيف؛ لأنه معضل وجهالة من سمع مجاهد وذكره ابن جرير (١٦/ ٣٢) عنه معضلاً أيضاً.

أحلى من السُّكّر، وقلوبهم قلوبُ الذئاب، يقول الله: أبى تغترّون؟ أم على تجترؤون؟فَبى حلفت لأبعثن على أولئك فتنة تدع الحكيم العاقل فيها حيْران» (١).

٧ ـ وروى وكيع، عن سفيان، عن حبيب، عن أبى صالح، [عن أبى هريرة] قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ، فقال: يارسول الله إنى أعمل العمل فأسرّه، فَيطّلع عليه، فيعجبنى ذلك، ألِىَ فيه أجر؟ قال: «لك فيه أجران: أجر السر، وأجر العلانية»(٢).

٨ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: معناه أنَّه يطَّلع على عمله ويُقتدى به فله أجران: أجرِ لعمله، وأجرِ للاقتداء به، كما قال النبى ﷺ: «من سنَّ سُنَّةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ومن سَنّ سُنّةً سيئة فعليه وِزْرُها ووِزْر مَن عمل بها إلى يوم القيامة»(٣).

وأما إذا كان يعجبه لما يُطَّلع على عمله، لا لأجل الاقتداء به، فإنه يُخَافُ ذهابُ أجره.

٩ ـ وروى عبد الله بن المبارك عن أبى بكر بن أبى مريم، عن ضَمْرة بن حبيب قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إنَّ الملائكةَ يرفعون عملَ عبد من عباد الله، فيستكثرونه ويزكّونه؛ حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله تعالى من سلطانه، فيوحى الله إليهم: إنّكم حفظةٌ على عمل عبدى، وأنا رقيبٌ على مافى نفسه، إنَّ عبدى هذا لم يخلصْ لى عمله، فاكتبوه فى سجّين ويصعدون بعمل عبد فيستقلّونه ويحقرونه حتى ينتهوا به إلى حيث شاء الله من سلطانه، فيوحى الله إليهم: إنكم حفظةٌ على عمل عبدى، وأنا رقيبٌ على مافى نفسه، إنَّ عبدى هذا أخلصَ لى عمله، فاكتبوه فى علّيين» (٤).

ففى هذا الخبر دليلُ على أنَّ قليلَ العمل، إذا كان لوجه الله تعالى، خيرٌ من الكثير لغير وجه الله تعالى؛ لأنَّ القليل إذا كان لوجه الله تعالى؛ فإنَ الله يضاعفه بفضله، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً﴾[النساء: ٤٠]، وأما الكثير إذا لم يكن لوجه الله تعالى؛ فلا ثوَاب له، ومأواه جهنم.

(١) ضعيف؛ الترمذى (٢٤٠٤، ٢٤٠٥) عن ابن عمر. انظر: ضعيف الترمذى (٤٢١، ٤٢٢).

(٢) ضعيف؛ الطيالسى (٢٤٣٠) وعنه الترمذى (٢٣٨٤) وابن ماجه (٤٢٢٦) انظر: ضعيف ابن ماجه (٩٢٧).

(٣) صحيح؛ أصله عند مسلم (١٠٢٧/٢) عن جرير بنحوه

(٤) ضعيف؛ ابن المبارك فى «الزهد» (٤٥٢) فيه علتان: الإرسال وضعف ابن أبى مريم

١٠ ـ قال الفقيه رحمه الله: حدثني جماعة من الفقهاء بأسانيدهم عن عقبة بن مسلم عن شُفَيّ الأصبحي، حدثه أنه دخل المدينة، فإذا هو برجل قد اجتمع عليه الناس، فقلت: من هذا؟ فقالوا: أبو هريرة، فدنوت منه حتى تقدّمتُ بين يديه، وهو يحدّث الناس، فلما سكت وخلا، قلت له: أنشدك الله، حدّثني حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ وحفظته وعلمته وعملت به، فقال أبو هريرة: اقعد لأحدثنك بحديث حدثنيه رسول الله ﷺ، مامعنا آحد غيري وغيره، ثم نشغ نشغة، أي شهق شهقة، فخرّ مغشياً عليه، فمكث قليلاً ثم أفاق، ومسح وجهه، فقال: لأحدثنك بحديث حدثنيه رسول الله ﷺ، ثم نشغ نشغة أخرى فمكث طويلاً ثم أفاق، ومسح وجهه فقال: حدثني رسول الله ﷺ، فقال: «إنَ الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة، يقضى بين خلقه، فكل أمة جاثية، فأول من يُدعى به رجل قد جمع القرآن، ورجل قُتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله تعالى للقارئ: ألم أعلّمك ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يارب. قال: فماذا عملت فيما ؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل والنهار. فيقول الله تعالى له: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، بل أردتَ أن يُقالَ فلان قارئ، فقد قيل ذلك، فيؤمر به إلى النار .

ويقال لصاحب المال: ماذا عملت فيما آتيتك به؟قال: كنت أصلُ به الرَّحم، وأتصدّق به. فيقول الله تعالى: كذبتَ، وتقول الملائكة: كذبتَ، بل أردتَ أن يقال فلان جواد فقد قيل ذلك، فيؤمر به إلى النار .

ويؤتى بالذي قُتل في سبيل الله، فيقول له: لم قُتلت؟ قال: قاتلت في سبيلك حتى قتلت. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول الملائكة: كذبت، بل أردت أن يقال لك جريء، فقد قيل ذلك فيؤمر به إلى النار». ثم ضرب رسول الله ـ ﷺ ـ بيده على ركبتي، فقال: « يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خَلْقِ الله تعالى تُسْعَرُ بهم النّارُ يوم القيامة».

قال: فبلغ ذلك الخبر إلى معاوية فبكى بكاء شديداً، وقال: صدق الله ورسوله، ثم قرأ هذه الآية: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُم فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ. أُولَئكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَاكَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[هود : ١٥، ١٦](١).

(١) صحيح * الترمذي (٢٣٨٢) وابن حبان (٢٥٠٢) والحاكم (٤١٩/١) وابن خزيمة (٢٤٨٢) والبغوي (٤٠٣٨/٧) وأخرجه مسلم (١٩٠٥/٣) من طريق آخرى عن أبي هريرة بنحوه .

وقال عبد الله بن خُبَيْق الأنطاكي: يقول الله تعالى لعبده يوم القيامة ـ إذا التمس ثواب عمله ـ: ألم نعجل لك ثوابك؟ ألم نوسع لك فى المجالس؟ ألم تكن المرأس فى دنياك؟ ألم نرخّص بيعك وشراءك؟ ألم تكن مثل هذا وأشباهه؟

وقيل لبعض الحكماء: من المخلص؟ قال: المخلص الذى يكتم حسناته كما يكتم سيئاته.

وقيل لبعضهم: ماغاية الإخلاص ؟ قال: ألا تحب محمدة الناس.

وقيل لذى النون المصرى: متى يعلم الرجل أنه من صفوة الله تعالى؟ يعنى من خواصّه الذين اصطفاهم الله تعالى، قال: يعرف ذلك بأربعة أشياء: إذا خلع الراحة؛ يعنى ترك الراحة، وأعطى من الموجود؛ يعنى يعطى من القليل الذى عنده وأحبّ سقوط المنزلة، واستوت عنده المحمدة والمذمة.

١١ ـ وروى عن عدى بن حاتم الطائى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يؤمر بأناس من الناس يوم القيامة إلى الجنة، حتى إذا دنوا منها، واستنشقوا رائحتها، ونظروا إلى قصورها وإلى ما أُعدّ لأهلها، نودوا أن اصرفوهم عنها، لانصيب لهم فيها، فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها، فيقولون: ياربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما رأيتنا من ثواب ما أعددته لأوليائك؟ فيقول الله تعالى: أردتُ بكم ذلك، كنتم إذا خلوتم بارزتمونى بالعظائم، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين** » يعنى متواضعين «**تراؤون الناس بأعمالكم خلاف ما تنطوى عليه قلوبكم هبتم الناس ولم تهابونى، وأجلَلْتم الناس ولم تُجلُّونى، وتركتم للناس ولم تتركوا لى، فاليوم أذيقكم أليم عقابى، مع ما حرمتكم من جزيل ثوابى**» [١].

١٢ ـ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لما خلق الله جنة عدن، خلق فيها مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ثم قال لها: تكلمى، فقالت: قد أفلح المؤمنون، ثلاثاً، ثم قالت: إنى حرام على كل بخيل ومراء**»[٢].

(١) ضعيف* أبو نعيم فى « الحلية »(٤/ ١٢٥) والبيهقى فى « الشعب» (٥/ ٦٨٠٩). فيه علتان الأولى: ضعف أبو حنادة، والثانية : وتدليس الأعمش. وانظر : المجمع (١٠/ ٢٢٠).

(٢) ضعيف* أبو نعيم فى « صفة الجنة» (١٦) والطبرانى فى « الكبير»(١١/ ١١٤٣٩) وفى « الأوسط » (٤٧٦ مجمع) انظر . تفسير ابن كثير(٣/ ٢٣١) وضعيف الجامع (٤٧٧١).

وروى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال: للمرائى أربع علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان مع الناس، ويزيد فى العمل إذا أثنى عليه، وينقص إذا ذم به .

وروى عن شَقِيق بن إبراهيم الزاهد أنه قال: يخلص العمل ثلاثة أشياء:

أولها: أن يرى الإذن فى العمل من الله تعالى، ليكسر به العجب.

والثانى: أن يبتدئ برضا الله، ليكسر به الهوى.

والثالث: أن يبتغى ثواب العمل من الله تعالى، ليكسر الطمع والرياء، فهذه الأشياء تخلص الأعمال.

فأما قوله: يرى الإذن فى العمل من الله تعالى؛ يعنى: يعلم أن الله تعالى هو الذى وفقه لذلك العمل، فإنه إذا علم أنّ الله تعالى هو الذى وفقه فإنه يشتغل بالشكر، ولا يعجب بعمله.

فأما قوله: يبتدئ برضا الله تعالى؛ يعنى ينظر فى ذلك العمل فإن كان عملاً لله تعالى فيه رضا فإنه يعمله، وإن علم أنه ليس لله فيه رضا فلا يعمل بهوى نفسه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ **إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ**﴾ [يوسف : ٥٣].

يعنى تأمر بالسوء،

وأما قوله: يبتغى ثواب العمل من الله تعالى؛ يعنى يعمل خالصاً لوجه الله تعالى، ولا يبالى من مقالة الناس. كما روى عن بعض الحكماء أنه قال:

ينبغى للعامل أن يأخذ الأدبَ فى عمله من راعى الغنم، قيل : وكيف ذلك ؟ قال: لأنّ الراعى إذا صلى عند غنمه، فإنه لا يطلب بصلاته محمدة غنمه. كذلك العامل ينبغى ألا يبالى مِن نَظَر الناس إليه، فيعمل لله تعالى عند الناس، وعند الخلاء بمنزلة واحدة، ولا يطلب محمدة الناس.

وقال بعض الحكماء: يحتاج العمل أربعة أشياء حتى يسلم :

أولها: العلم قبل بدئه؛ لأن العمل لا يصلح إلا بالعلم، فإذا كان العمل بغير علم كان ما يفسده أكثر مما يصلحه.

والثانى: النية فى مبدئه؛ لأن العمل لا يصلح إلا بالنية،

١٣ـ كما قالﷺ: «**الأعمال بالنيات، ولكل امرئٍ مانوى**»(١) فالصوم، والصلاة، والحج، والزكاة، وسائر الطاعات لا تصلح إلا بالنية. فلا بُدَّ من النية فى مبدئه العمل.

والثالث: الصبر فى وسطه، يعنى يصبر فيه حتى يؤدّيه على السكون والطمأنينة.

والرابع: الإخلاص عند فراغه؛ لأن العمل لا يقبل بغير إخلاص، فإذا عملت بالإخلاص يتقبل الله تعالى منك، وتُقبل قلوبُ العباد إليك.

روى عن هرم بن حيان أنه قال: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله تعالى إلا أقبل الله تعالى بقلوب أهل الإيمان إليه؛ حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم.

١٤ ـ وروى عن سهيل بن صالح، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: « **إن الله تعالى إذا أحب عبداً قال لجبريل : إنى أحبّ فلاناً فأحبه، فيقول جبريل لأهل السماء: إن ربّكم يحب فلاناً فأحبوه، فيحبه أهل السماء، فيوضع له القبول فى الأرض، وإذا أبغض الله عبداً فمثل ذاك**»(٢).

وروى عن شقيق بن إبراهيم أن رجلاً سأله فقال: إن الناس يسموننى صالحاً فكيف أعلم أنى صالح أو غير صالح؟ فقال له شقيق رحمه الله: أظهر سرك عند الصالحين، فإن رضوا به فاعلم أنك صالح، وإلا فلا. والثانى: اعرض الدنيا على قلبك، فإن ردها فاعلم أنك صالح، وإلا فلا. ثالثاً: اعرض الموت على نفسك، فإن تمنته فاعلم أنك صالح، وإلا فلا . فإذا اجتمعت فيك هذه الثلاثة فتضرع إلى الله تعالى لكيلا يدخل الرياء فى عملك فيُفسد عليك أعمالك.

١٥ ـ وروى ثابت البُنانى عن أنس بن مالك، عن النبى ﷺ أنه قال: «**أتدرون من المؤمن؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « **الذى لايموت حتى يملأ الله مسامعه مايحب، ولو أن رجلاً عمل بطاعة الله تعالى فى جوف بيت إلى سبعين بيتاً، على كل بيت باب من حديد، لألبسه الله رداء عمله، حتى يتحدّث الناس بذلك، ويزيدوا قيل:يارسول الله، ،كيفيزيدون؟ قال:«إن المؤمن يحب مازاد فى عمله » « أتدرون من الفاجر؟ »** قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: «**الذى لا يموت حتى يملأ الله مسامعه مما يكره، ولو أن عبداً عمل بمعصية الله تعالى فى جوف بيت إلى سبعين بيتاً، على كل بيت باب من حديد؛ لألبسه الله تعالى رداء عمله؛ حتى يتحدث الناس بذلك ويزيدوا**»،قيل: وكيف

---

(١) متفق عليه * البخارى (الحديث الأول وأطرافه) ومسلم (٣/ ٣/ ١٩٠٧) عن عمر .

(٢) متفق عليه * البخارى (٦/ ٣٢٠٩ وأطرافه) ومسلم (٤/ ٢٦٣٧).

يزيدون يارسول الله؟ قال: «**إن الفاجر يحب مازاد فى فجوره**»[(١)].

وروى عن عوف بن عبد الله أنه قال: كان أهل الخير يكتب بعضهم إلى بعض بثلاث كلمات: من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله تعالى فيما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته .

وقال حامد اللفاف : إذا أراد الله هلاك امرىء عاقبه بثلاثة أشياء :

أولها: يرزقه العلم، ويمنعه عن عمل العلماء.

والثانى: يرزقه صحبة الصالحين، ويمنعه عن معرفة حقوقهم.

والثالث: يفتح عليه أبواب الطاعة، ويمنعه من إخلاص العمل.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ إنما يكون ذلك لخبث نيه، وسوء سريرته؛ لأن النية لو كانت صحيحة لزرقه الله تعالى منفعة العلم والإخلاص للعمل.

١٦ ـ قال الفقية ـ رحمه الله ـ: أخبرنى الثقة بإسناده عن جبلة اليحصبى قال: كنا فى غزوة مع عبد الملك بن مروان، فصحبنا رجل مسهار لا ينام من الليل إلا أقلّه. فمكثنا أياماً لا نعرفه، ثم عرفناه، فإذا هو رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، وكان فيما حدثنا أن قائلاً من المسلمين قال: يارسول الله فيم النجاة غداً؟ قال: « **ألا تخادعَ الله**» قال: وكيف نخادع الله؟ قال: « **أن تعمل بما أمرك الله، تريد به غير وجه الله واتقوا الرياء فإنه الشرك بالله، وإن المرائى يُنادى يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة أسماء: ياكافر، يافاجر، ياغادر، ياخاسر، ضلّ عملك وبطل أجرك، فلا خلاَقَ لك اليوم، فالتمس أجرك ممن كنت تعمل له يامخادع**» قال: قلت له: بالله الذى لا إله إلا هو؛ أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ فقال: والله الذى لا إله هو إنى سمعته من رسول الله ﷺ، إلا أن أكون قد أخطأتُ شيئاً لم أكن أتعمّده، ثم قرأ: ﴿**إنَّ المُنافقِينَ يُخَادعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ**﴾ [النساء: ١٤٢][(٢)].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: من أراد أن يجد ثواب عمله فى الآخرة ينبغى له أن يكون عمله خالصاً لله تعالى، بغير رياء، ثم ينسى ذلك العمل لكيلا يبطله العجب، لأنه يقال: حفظ الطاعة أشد من فعلها .

(١) **لم أقف على إسناده** * عزاه صاحب « كنز العمال » (٧٩٩) إلى الحاكم فى « تاريخه»

(٢) **ضعيف*** عزاه السيوطى فى « الدر المنثور » (١/ ٧٤) إلى أحمد بن مبع فى « مسنده».

وقال أبو بكر الواسطى: حفظ الطاعة أشد من فعلها؛ لأن مثلها كمثل الزجاج سريع الكسر، ولا يقبل الجبر، [كذلك العمل] إن مسه الرياء كسره، وإن مسه العجب كسره، وإذا أراد الرجل أن يعمل عملاً وخاف الرياء من نفسه، فإن أمكنه أن يخرج الرياء من قلبه، فينبغى له أن يجتهد فى ذلك وإن لم يمكنه فينبغى أن يعمل ولايترك العمل لأجل الرياء، ثم يستغفر الله تعالى مما فعل من الرياء، فلعل الله تعالى أن يوفقه للإخلاص فى عمل آخر.

ويقال فى المثل: إن الدنيا خرجت منذ مات المراؤون؛ لأنهم كانوا يعملون أعمال البر، مثل الرباطات والقناطر والمساجد فكان للناس فيها منفعة، وإن كانت للرياء، فربما ينفعه دعاء أحد من المسلمين. كما روى عن بعض المتقدمين أنه بنى رباطاً، وكان يقول فى نفسه: لاأدرى أكان عملى هذا لله تعالى أم لا؟ فأتاه آتٍ فى منامه، فقال له: إن لم يكن عملك لله تعالى، فدعاء المسلمين الذى يدعون لك هو لله، فسُرَّ بذلك.

وقال رجل عند حذيفة بن اليمان: اللهم أهلك المنافقين، فقال حذيفة: لو هلكوا ما انتصفتم من عدوكم. يعنى أنهم يخرجون إلى الغزو، ويقاتلون العدو.

وروى عن سلمان الفارسى - رضى الله عنه - قال: يؤيد الله المؤمنين بقوة المنافقين، وينصر المنافقين بدعوة المؤمنين.

قال الفقيه - رحمه الله - تكلّم الناس فى الفرائض، فقال بعضهم: لا يدخل الرياء فيها؛ لأنها فريضة على جميع الخلق، فإذا أدّى ما هو فرض عليه لا يدخل فيه الرياء.

وقال بعضهم: يدخل الرياء فى الفرائض وغيرها.

وقال الفقيه: هذا عندى على وجهين: إن كان يؤدى الفرائض رئاء الناس، ولو لم يكن رئاء الناس لكان لا يؤديها، فهذا منافق تام، وهو من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ إِنَّ المُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾[النساء: ١٤٥] يعنى فى الهاوية مع آل فرعون؛ لأنه لو كان توحيدُهُ صحيحاً خالصاً لكان لا يمنعه عن أداء الفرائض.

وإن كان يؤدّى الفرائض إلا أنه يؤدّيها عند الناس أحسن وأتمّ، وإن لم يره أحد يؤدّيها ناقصة، فله الثوابُ الناقص، ولا ثوابَ لتلك الزيادة، وهو مسؤول عنها محاسب عليها.

باب هول الموت وشدّته

١٧ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالي: حدثنا محمد بن فضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا الحسين المروزى، حدثنا محمد بن أبى عدى، عن حميد، عن أنس بن مالك رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه، ومَن كره لقاء الله كره الله لقاءه**»، قالوا: يارسول الله، كلنا يكره الموت، قال: «**ليس ذلك بكراهة الموت، ولكن المؤمن إذا احتضر جاءه البشير من الله تعالى بما يرجع إليه، فليس شىء أحب إليه من لقاء الله تعالى، فأحب الله لقاءه، وإن الفاجر ـ أو قال الكافر ـ إذا احتضر جاءه النذير بما هو صائر إليه من الشرّ، فكره لقاء الله، فكره الله لقاءه**»(١).

١٨ ـ قال: حدثنا محمد بن فضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا وكيع، عن الربيع بن سعد، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله، عن النبى ﷺ أنه قال: «**حدّثوا عن بنى إسرائيل ولا حرج، فإنه قد كان فيهم الأعاجيب**»، ثم أنشأ يحدّث فقال: «**خرجت طائفة من بنى إسرائيل حتى أتوا مقبرة، فقالوا: لو صلّينا، ثم دعونا ربنا حتى يخرج لنا بعض الموتى، فيخبرنا عن الموت، فصلوا، ثم دعوا ربهم، فبينما هم كذلك إذا رجل قد أطلع رأسه من قبر أسود خلاسياً، فقال: ياهؤلاء ما أردتم ؟ فوالله، لقدمت منذ تسعين سنة أو مئة سنة، فما ذهبت مرارة الموت منّى حتى كأنه الآن، فادعوا الله تعالى أن يعيدنى كما كنت، وكان بين عينيه أثر السجود**» (٢).

١٩ ـ قال: حدثنا محمد بن فضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا النضر بن الحرث، عن الحسن أنّ النبى ﷺ قال: «**قدرُ شدّة الموت وكربه على المؤمن كقدر ثلاثمائة ضربة بالسيف**» (٣).

---

(١) **صحيح*** أحمد (٣/ ١٠٧) والبزار (١/ ٢٧٥): واتفق الشيخان عليه. عن أنس عن عبادة، وعن أبى موسى، وعن عائشة. انظر. الداء والدواء (ص٢٣٥ـ ط الخلفاء بتحقيقى).

(٢) **إسناده ضعيف*** ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٩/ ٦٢) وأحمد فى «الزهد» (ص ٢٣) وعبد بن حميد (١١٥٦) وابن أبى الدنيا فى «من عاش بعد الموت» (٥٧) الربيع بن سعد: لا يكاد يعرف كما فى «الميزان». وفيه انقطاع بين عبد الرحمن بن سابط وجابر

(٣) **ضعيف*** علته الإرسال.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: من أيقن بالموت، وعلم أنه نازل به لا محالة، فلا بُدَّ له من الاستعداد له بالأعمال الصالحة، وبالاجتناب عن الأعمال الخبيثة، فإنه لا يدرى متى ينزل به.

وقد بيّن النبى ـ ﷺ ـ شدّة الموت ومرارته، نصيحةً منه لأمته، لكى يستعدّواْ له ويصبروا على شدائد الدنيا؛ لأنَّ الصبرَ على شدائد الدنيا أيسر من شدة الموت؛ لأنّ شدّة الموت من عذاب الآخرة، وعذاب الآخرة أشدّ من عذاب الدنيا.

٢٠ ـ وروى عن عبد الله بن مسور الهاشمى، قال: جاء رجل إلى النبى ـ ﷺ ـ وقال: جئتك لتعلّمنى من غرائب العلم قال: « **ماصنعت فى رأس العلم؟** » قال: وما رأس العلم قال: « **هل عرفت الرب عز وجل؟** » قال: نعم. قال: «**فماذا فعلت فى حقه؟** » قال: ماشاء الله، قال: «**وهل عرفت الموت؟** » قال: نعم. قال: «**فماذا أعْددت له؟** » قال: ماشاء الله قال: « **اذهب فاحكم بها هناك، ثم تعال حتى أعملك من غرائب العلم** » فلما جاءه بعد سنين قال النبى ـ ﷺ ـ: « **ضع يدك على قلبك، فما لاترضى لنفسك لا ترضاه لأخيك المسلم، وما رضيته لنفسك فارضه لأخيك المسلم، وهو من غرائب العلم** »(١).

فبيّن النبى ـ ﷺ ـ أن الاستعداد للموت من رأس العلم، فأولى أن يُشتغل به.

٢١ ـ وروى عن عبد الله بن بن مسور الهاشمى قال: قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ هذه الآية: ﴿ **فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً** ﴾ [الأنعام: ١٢٥] ثم قال: « **إذا دخل نورُ الإسلَام القلبَ انفسح وانشرح** » فقيل: هل لذلك من علامة؟ قال: « **نعم، التجافى فى عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله** »(٢).

٢٢ ـ وروى جعفر بن برقان، عن زياد بن الجراح، عن عمرو بن ميمون ابن مهران، أن النبى ـ ﷺ ـ قال لرجل وهو يعظه: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وغناك قبل فقرك، وحياتك قبل موتك**»(٣).

---

(١) **موضوع*** عبد الله بن المسور. كان يصنع الحديث كما فى « الميزان »(٢/ ٥٠٤).

(٢) **موضوع** * انظر الحديث السابق

(٣) **صحيح** * عن ابن عباس مرفوعاً، وعن ابن ميمون مرسلا، انظر صحيح الجامع (١٠١/٧)

فقد جمع النبى ﷺ فى هذه الخمس علماً كثيراً؛ لأنّ الرجل يقدر على الأعمال فى حال شبابه مالا يقدر عليه فى حال هرمه؛ لأنّ الشاب إذا تعود على المعصية لا يقدر على الامتناع عنها فى حال هرمه، فينبغى للشاب أن يتعوّد فى حال شبابه أعمال الخير لتسهل عليه فى حال هرمه .

وقوله ﷺ: « **صحتك قبل سقمك**» لأن الصحيح نافذ الأمر فى ماله ونفسه، فينبغى للصحيح أن يغتنم صحته، ويجتهد فى الأعمال الصالحة فى ماله وبدنه؛ لأنه إذا مرض ضعف بدنه عن الطاعة، وقصرت يده عن ماله إلا فى مقدار ثلثه.

قوله: «**فراغك قبل شغلك**» يعنى فى الليل يكون فارغاً،وبالنهار مشغولاً، فينبغى أن يصلّى بالليل فى حالة فراغه،ويصوم بالنهار فى وقت شغله،سيما فى أيام الشتاء.

٢٣ ـ كما روى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : « **الشتاء ربيع المؤمن، طال ليله فقامه، وقصر نهاره فصامه** »(١) .

وفى رواية أخرى: «**الليل طويل فلا تقصره بمنامك، والنهار مضىء فلا تكدّوه بآثامك**».

وقوله: « **وغناك قبل فقرك**» يعنى إذا كنت راضياً بما آتاك الله من القوت، فاغتنم ذلك، ولا تطمع فيما فى أيدى الناس.

وقوله: « **وحياتك قبل موتك**» لأنّ الرجل مادام حياً يقدر على العمل، فإذا مات انقطع عمله، فينبغى للمؤمن ألا يضيع أيامه الفانية، ويغتنم أيامه الباقية.

قال الحكيم بالفارسية: بكودكى بازى بجوانى متى بيبرى ستى خداراكى برستى. يعنى: إذا كنت صبياً تلعب مع الصبيان، وإذا كنت شاباً غفلت باللهو، وإذا كنت شيخاً صرت ضعيفاً، فمتى تعمل لله تعالى؟

يعنى: لا تقدر أن تعبد الله تعالى بعد موتك، وإنما تقدر على الاجتهاد فى حال حياتك، وتستعدّ لقدوم ملك الموت، وتذكره فى كلّ وقت، فإنه ليس بغافل عنك.

٢٥ ـ وروى عن على رضى الله عنه، أن النبى ـ ﷺ ـ رأى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال له النبى ـ ﷺ ـ : « **ارفق بصاحبى، فإنه مؤمن**» فقال: آشر

---

(١) **ضعيف** * أحمد (٣/ ٧٥) وأبو يعلى (١/ ٨٢) وأبو نعيم (٨/ ٣٢٥) والبيهقى فى «الشعب» (٣٩٤٠) والقضاعى فى « الشهاب » (١٤١). انظر . المتناهية (٥٠١) وضعيف الجامع (٣٤٢٩) .

يامحمد ، فإنى بكل مؤمن رفيق، والله يامحمد إنى لأقبض روحَ ابن آدم فإذا صرخ صارخٌ من أهله، قلت: ماهذا الصراخ؟ فو الله ماظلمناه، ولاسبقنا أجله، ولا استعجلنا قدره، فما لنا فى قبضه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع الله تؤجروا، وإن تسخطوا أو تجزعوا تأثموا وتؤزروا، ومالكم عندنا من عتبة، وإن لنا عليكم لبقية وهودة، فالحذر. وما من بيت أهل شعر ولامدر، فى بر ولا بحر إلا وأنا أتصفح وجوههم فى كل يوم وليلة خمس مرات، حتى إنى لأعرف صغيرهم وكبيرهم وأعرف منهم بأنفسهم، والله يامحمد لو أنّى أردتُ أن أقبض روحَ بعوضة ماقدرت على ذلك حتى يكون الله تعالى هو الآمر بقبضها .

٢٦ ـ وروى أبو سعيد الخدرى أن النبىﷺ رأى أناسًا يضحكون فقال: «**أما إنّكم لو أكثرتم من ذكر هادم اللذات لشغلكم عما رأى**»ثم قال: «**أكثروا ذكر هادم اللذات**» يعنى الموت، ثم قال: « **إنما القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار**»[١] .

وقال عمر رضى الله عنه لكعب: ياكعب حدّثنا عن الموت. قال: إن الموت كشجرة شوك أدخلت فى جوف ابن آدم، فأخذت كلُّ شوكة بعرق منه، ثم جذبها رجلٌ شديد القوى؛ فقطع منها ماقطع، وأبقى ما أبقى .

وذكر عن سفيان الثورى: أنه كان إذا ذكر عنده الموت، كان لا ينتفع به أيامًا فإذا سُئل عن شىء قال : لا أدرى .

وقال حكيم: ثلاثة ليس للعاقل أن ينساها: فناء الدنيا وتصرف أحوالها والموت، والأفات التى لا أمان له منها .

وقال حاتم الأصم ـ ر حمه الله ـ: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة: قدر الشباب إلا المرضى، وقدر الحياة لا يعرفه إلا الموتى.

قال الفقيه رحمه الله: هذا موافق للخبر الذى ذكرناه «**اغتنم خمسًا قبل خمس**»[٢].

وروى عن عبدالله بن عمر بن العاص أنه قال: كان أبى كثيرًا مايقول: إنى لأعجب من الرجل الذى ينزل به الموت، ومعه عقله ولسانه، فكيف لايصفه .

---

(١) ضعيف جدًا ٭ الترمذى (٤/ ٢٤٦٠) انظر: ضعيف الترمذى (٤٣٧) .

(٢) صحيح٭ سبق تخريجه برقم(٢٢) .

قال: ثم نزل به الموت ومعه عقله ولسانه، فقلت: ياأبتِ قد كنت تقول: إنى لأعجب من رجل ينزل به الموت، ومعه عقله ولسانه كيف لايصفه، فقال: يابنى، الموتُ أعظم من أن يُصف، ولكن سأصف لك منه شيئًا، والله لكأن على كتفى جبال رضوى وتهامة، ولكأن روحى تخرج من ثقب إبرة، ولكأن فى جوفى شوكة عَوسج ولكأن السماء أطبقت على الأرض، وأنا بينهما .

ثم قال: يابنى، إن حالى قد تحول إلى ثلاثة أنواع: فكنت فى أول الأمر أحرض الناس على قتل محمد ﷺ فيا ويلتاه لو مت فى ذلك الوقت ثم هدانى الله تعالى للإسلام فكان محمدﷺ أحبّ الناس إلىّ، ولانى على السرايا، فيا ليتنى متّ فى ذلك الوقت؛ لأنال دعاء رسول الله ﷺ، وصلاته على، ثم اشتغلنا بعد فى أمرالدنيا، فلا أدرى كيف يكون حالى عند الله تعالى. فلم أقمْ من عنده حتى مات ـ رحمه الله ـ.

قال شقيق بن إبراهيم: وافقنى الناس فى أربعة أشياء قولاً، وخالفونى فيها فعلاً:

الأول: أنهم قالوا: إنا عبيد الله تعالى، ويعملون عمل الأحرار .

الثانى: قالوا : إن الله كفيل لأرزاقنا، ولاتطمئن قلوبهم إلا مع شىء من الدنيا.

الثالث: قالوا: إنَّ الآخرة خيرٌ من الدنيا، وهم يجمعون المال للدنيا «ويعزون، ويجمعون الذنوب للآخرة ».

والرابع: قالوا: لابُدَّ لنا من الموت، ويعملون أعمال قومٍ لايموتون .

وروى عن أبى الدرداء، وفى بعض الأخبار عن أبى ذر، وفى بعض الأخبار عن سلمان الفارسى ـ والمعروف عن أبى ذر ـ أنه قال: ثلاث أعجبتنى حتى أضحكتنى، وثلاث أحزنتنى حتى أبكتنى.

فأما الثلاث التى أضحتنى:

فأولها: مؤمّل الدنيا والموت يطلبه، يعنى يطيل أمله، ولا يتفكر فى الموت .

والثانى: غافل، وليس بمغفول عنه، يعنى يغفلُ عن الموت، وبين يديه القيامة.

والثالث: ضَاحِك مِلء فيه، لا يدرى، الله ساخط عليه أم راض عنه؟

وأما التى أبكتنى:

فأولها: فراق الأحبة، يعنى موت محمد ﷺ، وأصحابه رضى الله عنهم.

والثاني: هول المطلع، يعنى نزول الموت.

والثالث: الوقوف بين يدى الله، لا أدرى إلى أين يأمر بى ربى، أإلى الجنة أم إلى النار؟

٢٧ ـ وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : « **لوتعلم الحيوانات ـ أى البهائم ـ ماتعلمون من الموت، ما أكلتم لحماً سميناً أبداً**» (١) .

وذكر عن حامد اللفاف أنه قال: مَن أكثر من ذكْر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القوت، ونشاط العبادة. ومَن نسى الموت عُوقِبَ بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضا بالكفاف، والتّكاسل فى العبادة.

وذُكِر أن عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى بإذن الله تعالى، فقال له بعض الكفرة: إنك قد أحييت من كان حديث العهد بالموت، ولعله لم يكن ميتاً، فأحى لنا من مات فى الزمن الأول. فقال لهم: اختاروا من شئتم . فقالوا: أحى لنا سام بن نوح، فجاء إلى قبره، وصلى ركعتين، ودعا الله تعالى، فأحيا الله سام بن نوح، فإذا رأسه ولحيته قد ابيضتا،فقيل: ماهذا؟ إنَّ الشيبَ لم يكن فى زمانك؟ قال: سمعت النداء، فظننت أنها القيامة، فشاب شعر رأسى ولحيتى من الهيبة فقيل: منذكم أنت ميت؟ قال: منذ أربعة آلاف سنة. وماذهبت عنى سكرات الموت.

ويقال: مامن مُؤمنٍ يموتُ إلا وقد عرضت عليه الحياة، والرجوع إلى الدنيا، فيكره الرجوع لما لقى من شدة الموت إلا الشهداء، فإنهم لم يجدوا شدّة الموت، فيتمنون الرجوع لكى يقاتلوا ثانياً فقتلوا ثانياً.

وروى عن إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قيل له : لو جلستَ حتى نسمع منك شيئاً. فقال: إنى مشغول بأربعة، فلو فرغتُ منها لجلستُ معكم قيل: وماهى؟ قال:

أولها: أنى تفكرت فى يوم الميثاق، حين أخذ الميثاق من بنى آدم، قال الله جل جلاله، وتقدست أسماؤه:

٢٨ ـ «**هؤلاء فى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء فى النار ولا أبالى**» فلم أدْرِ من أىّ الفريقين كنت أنا.

---

(١) ضعيف جدا ٭ زوائد زهد ابن المبارك (١٥٢) والقضاعى (١٤٣٤) وانظر ضعيف الجامع (٤٨١٣)

والثاني: تفكّرت بأن الولدَ إذا قضى الله تعالى بخلقه فى بطن أمه، ونفخ فيه الروح، فقال الملك الذى وكل به: «**يارب أشقى أم سعيد؟**» فلم أدرِ كيف خرج جوابى فى ذلك الوقت .

والثالث: حين ينزل ملكُ الموت، فإذا أرادَ أن يقبضَ روحى فيقول: يارب أمع المسلمين أم مع الكافرين؟ فلا أدرى كيف يخرج جوابى.

والرابع: تفكّرتُ فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وامْتَازُوا اليومَ أيُّهَا المُجْرِمُون**﴾ [يس: ٥٩] فلا أدرى من أىّ الفريقين أكون؟

قال الفقيه: طوبى لمن رزقه الله الفهم، وأيقظه من سنة الغفلة، ووفّقه للتفكّر فى أمر خاتمته. فتسأل الله تعالى أن يجعلَ خاتمتنا فى خير، ويجعل خاتمتنا مع البشارة، فإنّ المؤمنَ له بشارة من الله تعالى عند موته، وهو قوله تعالى: ﴿ **إنَّ الَّذينَ قَالُوا رَبُّنا الله ثم اسْتقامُوا تَتَنَزَّل عَلَيهمُ الملائكَةُ ألا تَخَافوا ولاَ تحزنوا وأَبْشروا بالجَنَّة الَّتى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**﴾ [فصلت: ٣٠] يعنىَ: الذين آمنوا بالله ورسوله، وثبتوا على الإيمان، ويقال: ﴿ **ثم استقاموا**﴾ يعنى أدّوا الفرائض، ونهوا عن المحارم. وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى: يعنى استقاموا أفعالاً كما استقاموا أقوالاً، وقال بعضهم: استقاموا على السنة والجماعة، ﴿ **تتنزل عليهم الملائكة** ﴾ يعنى على الذين آمنوا واستقاموا تتنزل عليهم ـ عند الموت ـ الملائكة بالبشارة ﴿ **ألا تخافوا ولا تحزنوا**﴾ يعنى يقولون لهم: لا تخافوا ما بين أيديكم من أمر الخيرة، ولا تحزنوا على ماخلفتم من أمر الدنيا، ﴿ **وأبشروا بالجنة**﴾ يعنى بالجنة التى وعدكم الله بها على لسان نبيكم ﷺ ويقال: البشارة عند الموت على خمسة أوجه.

أولها: لعامة المؤمنين يقال لهم: لا تخافوا تأبيد العذاب، يعنى لا تبقون فى العذاب أبداً، ويشفع لكم الأنبياء والصالحون، ولا تحزنوا على فوت الثواب، وأبشروا بالجنة، يعنى مرجعكم إلى الجنة.

والثاني: للمخلصين، يقال لهم: لا تخافوا ردّ أعمالكم، فإنّ أعمالكم مقبولة، ولا تحزنوا على فوت الثواب، فإن لكم الثواب مضاعفاً، ولا تحزنوا على مافعلتم بعد التوبة .

والثالث: للتائبين، يقال لهم: لا تخافوا من ذنوبكم، فإنها مغفورة لكم، ولا تحزنوا على فوت الثواب على مافعلتم بعد التوبة، وعلى مالم تفعلوا من العلم قبل

التوبة، فإنى أبدل سيئاتكم حسنات.

والرابع: للزهاد، يقال لهم: لا تخافوا الحشر والحساب، ولا تحزنوا من نقصان الإضعاف، وأبشروا بالجنة بلا حساب ولا عذاب .

والخامس: للعلماء الذين يعلمون الناس الخير، وعملوا بالعلم، يقال لهم : لا تخافوا من أهوال يوم القيامة، ولا تحزنوا، فإنه يجزيكم بما عملتم، وأبشروا بالجنة لكم ولمن اقتدى بكم.

وطوبى لمن كان آخر أمره البشارة، فإنما تكون البشارة لمن كان مؤمناً محسناً فى عمله، فتنزل عليه الملائكة، فيقولون للملائكة: من أنتم؟ فما رأينا أحسن وجوهاً، ولا أطيب ريحاً منكم، فيقولون: نحن أولياؤكم، يعنى حفظتكم، يعنى الذين كنا نكتب أعمالكم فى الحياة الدنيا، ونحن أولياؤكم فى الآخرة.

فينبغى للعاقل أن ينتبه من رقدة الغفلة، وعلامة من انتبه من رقدة الغفلة أربعة أشياء :

أولها: أن يدبّر أمرَ بالقناعة والتسويف.

والثانى: أن يدبّر أمرَ الآخرة بالحرص والتعجيل.

والثالث: أن يدبّر أمرَ الدين بالعلم والاجتهاد.

والرابع: أن يدبّر أمرَ الخلق بالنصيحة والمداراة.

ويقال: أفضلُ الناس من كان فيه خمس خصال:

أولاها: أن يكون على عبادة ربه مقبلاً.

والثانية: أن يكونَ نفعُه للخلق ظاهراً.

والثالثة: أن يكون الناسُ مِن شرّه آمنين.

والرابعة: أن يكونَ عمًّا فى أيدى الناس آيساً.

والخامسة: أن يكون للموت مستعداً.

واعلم يا أخى أنّا خُلقنا للموت، ولا مهرب منه، قال الله تعالى : ﴿ **إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُم الفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أو القَتْلِ﴾ [الأحزاب: ١٦].

فالواجب على كل مسلم الاستعداد للموت قبل نزوله. قال تعالى ﴿فَتَمَنَّوُا المَوْتَ إِنْ كُنْتُم صَادِقِين ولنْ يَتَمَنَّوهُ أبداً بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [البقرة: ٩٤ ـ ٩٥].

فبيّن الله تعالى أنّ الصّادقَ يتمنى الموت، وأن الكاذب يفرّ من الموت من سوء عمله؛ لأنَّ المؤمنَ قد استعدّ للموت، فهو يتمنّاه اشتياقاً إلى ربه، كما رُوى عن أبى الدرداء، أنه قال: أحبُّ الفقر تواضعاً لربى، وأحبّ المرض تكفيراً للخطايا، وأحبّ الموت اشتياقاً إلى ربى.

وروى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: مامن نفس بارّة أو فاجرة إلا والموتُ خيرٌ لها، فإن كانت بارّة، فقد قال الله تعالى: ﴿ ومَا عِنْدَ الله خَيْرٌ للأبْرَارِ﴾[آل عمران:١٩٨]، وإن كانت فاجرة، فقد قال الله تعالى:﴿ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُم لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

٢٩ ـ روى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال: «**الموت راحة المؤمن**»(١) .

٣٠ ـ وروى عن ابن مسعود، عن النبى ـ ﷺ ـ أنه سُئل: أى المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خلقاً**»؛ فقيل: وأى المؤمنين أكيس؟ قال: « **أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً**»(٢) .

٣١ ـ وقال النبى ـ ﷺ ـ :« **الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله تعالى الأمانى**»(٣) يعنى المغفرة.

***

(١) موضوع * أبو نعيم فى « الحلية» (٣/ ١٢١) والبيهقى فى « الشعب » (٩٨٨٥، ٩٨٨٦) والخطيب فى «تاريخه» (١/ ٣٤٧) وابن الجوزى فى « الموضوعات» (٣/ ١٢١) بلفظ « **الموت كفارة لكل مسلم ـ أو مؤمن**». انظر : «ضعيف الجامع »(٤٩٥٠) وتحقيق « الشهاب » (١٧١ ـ ١٧٣).

(٢) حسن* أبو نعيم فى « الحلية» (١/ ٣١٣) والحاكم (٤/ ٥٤٠) عن ابن عمر انظر . الصحيحة (١/ ١٦٨) وتكميل النفع (ص ٩٧)

(٣) ضعيف* أحمد (٤/ ١٢٤) والترمذى (٢٤٥٩) وابن ماجه (٤٢٦٠) انظر : ضعيف الجامع (٤٣٠٥).

باب عذاب القبر وشدّته

٣٢ ـ الخليل بن أحمد، حدثنا ابن معاذ، حدثنا حسين المروزى، حدثنا أبو معاوية الضرير، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن البراء بن عازب، قال: خرجنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ فى جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولم يلحد بعد، فجلس النبى ﷺ، وجلسنا حوله، فكأن على رؤوسنا الطير، وفى يده عود ينكت به الأرض يعنى يحفر به الأرض فرفع رأسه وقال: « **استعيذوا بالله من عذاب القبر** » مرتين أو ثلاثاً، ثم قال: « **إنّ العبدَ المؤمن إذا كان فى إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه ملائكة بيض الوجوه، كأن وجوههم الشّمس، ومعهم كفنٍ من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فيجلسون منه مدّ البصر، ثم يجيء ملكُ الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول : أيتها النفس المطمئنة، اخرجي إلي مغفرة من الله ورضوانه، قال: فتخرج ، وتسيل كما تسيل القطرة من السقاء، فيأخذونها، فلا يدعونها فى يده طرفة عين حتى يأخذونها فيجعلونها فى ذلك الكفن والحنوط، فيخرج منها كأطيب نفحة مسك وُجِدَتْ على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرّون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ماهذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه، ثم ينتهون بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون لها، فيفتح لهم، فيستقبلها، ويشيعها من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهوا بها السماء السابعة، فيقول الله تعالى: اكتبوا كتابه فى عليين، وأعيدوه إلى الأرض، منها خلقتهم وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. فتعاد الروح في جسده، ويأتيه ملكان، فيقولان له: من ربك؟ فيقول : ربى الله فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: دينى الإسلام . فيقولان له: ماتقولان له : ماتقول فى هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ . فيقولاون له: وماعلمك؟ فيقول قرأت كتاب الله تعالى، وآمنت به، وصدقته، فينادى مناد: صدق عبدى، فافرشوا له فراشاً من الجنة، وألبسوه لباساً من الجنة، وافتحوا له باباً إلي الجنة، فيأتيه من ريحها [وطيبها، ويُفسح له فى قبره مد بصره، ويأتيه رجل حسن الوجه طيب الريح]، فيقول له: أبشر بالذى يسرّك، هذا يومك الذى كنت توعد. فيقول له: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: رب أقِم الساعة حتى أعود إلى أهلى وخدمى .**

قال: وإن العبد الكافر إذا كان فى إقبال من الآخرة، وانقطاع من الدنيا، نزل إليه

ملائكة من السماء سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مدى البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول : أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضبه، فتفرق في أعضائه كلها، فينزعها كما ينزع السفود من الصوف المبلول، فتنقطع معها العروق والعصب، فيأخذها، وإذا أخذها، لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها رائحة كأنتن ريح جيفة، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ماهذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان؛ بأقبح أسمائه، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون، فلا يفتح لها، ثم قرأ رسول الله ـ ﷺ ـ :﴿ لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوابُ السَّمَاء ولاَ يَدْخُلونَ الجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمّ الخياط﴾ [الأعراف: ٤٠] ثم يقول الله تعالى: اكتبوا كتابه في سجين، ثم تطرح روحه طرحاً، ثم قرأ: ﴿ ومَنْ يُشرِكْ بالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ منَ السَّماء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أو تَهْوى به الرّيحُ في مَكان سَحيق﴾ [الحج : ٣١] يعني ترد فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه، لا أدرى. فيقولان له: وما دينك؟ فيقول: هاه، لا أدرى فيقولان له: ماتقول في هذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول : هاه، لا أدرى فينادي مناد من السماء: كذب عبدى، فافرشوا له من فرش النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بأباً إلى النار، فيدخل عليه من حرها وسمومها، ويضيق عليه في قبره، حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه، قبيح الثياب، منتن الريح، فيقول له: أبشر بالذى يسوءك، فهذا يومك الذى كنت توعد فيقول: من أنت ؟ فيقول : أنا عملك السيئ، فيقول : رب لا تقم الساعة، رب لا تقم الساعة[1] .

٣٣ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدثنا أبو القاسم أحمد بن حمزة، قال: حدثنا محمد بن سلمة، قال: حدثنا أبو أيوب، قال: حدثنا القاسم بن الفضل الحراني، عن قتادة، عن قسامة بن زهير، عن أبي هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن المؤمن إذا احتضر أتته الملائكة بحريرة فيها مسك، ومن ضبائر الريحان، وتُسلّ روحه كما تسل الشعرة من العجين، ويقال: أيتها النفس المطمئنة، ارجعي إلى ربك راضية مرضية، إلى رحمة الله تعالى ورضوانه، وإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك المسك والريحان، وطويت عليها الحريرة، وبعث بها إلى عليين.

---

(١) صحيح * (وإسناده حسن): أحمد (٤/ ٢٨٧ـ، ٢٨٨) وأبو داود (٤٧٥٣) وانظر «الداء والدواء» (ص٣٩ بتحقيقي) .

وإن الكافر إذا احتضر أتته الملائكة بمسح فيه جمرة، فتنزع روحه انتزاعاً شديداً، ويقال لها: أيتها النفس الخبيثة اخرجي ساخطة مسخوطاً عليك، إلى هوان الله وعذابه، فإذا أخرجت روحه، وضعت على تلك الجمرة،وإن لها نشيشاً كنشيش الغليان، ويطوى عليها المسح، فيهذب بها إلى سجين »(١) .

٣٤ـ وروى الفقيه أبو جعفر بإسناده عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما: إن المؤمن إذا وُضع فى القبر يوسع عليه قبره سبعين ذراعاً عرضه وسبعين ذراعاً طوله، وتنشر عليه الرياحين، ويستر بالحريرة، فإن كان معه شيء من القرآن، كفاه نوره، فإن لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره، ويكون مثله كمثل العروس تنام ولا يوقظها إلا أحب أهلها إليها، فتقوم من نومها كأنها لم تشبع منه .

وإن الكافر يضيق عليه قبره، حتى تدخل أضلاعه فى جوفه، ويرسل عليه حيّات كأمثال أعناق البخث، فتأكلن لحمه، حتى لا يذرن على عظمه لحماً، فترسل عليه شياطين صم بكم عمى، معهم فطاطيس من حديد، يضربونه بها، لا يسمعون صوته فيرحمونه، ولا يبصرونه فيرحمونه، فتعرض عليه النار بُكرة وعشياً (٢).

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: من أراد أن ينجو من عذاب القبر، فعليه أن يلازم أربعة أشياء، ويجتنب أربعة أشياء. أما الأربعة التى يلازمها: فمحافظة الصلوات، والصدقة، وقراءة القرآن، وكثرة التسبيح، فإن هذه الأشياء تضيء القبر، وتوسعه .

وأما الأربعة التى يجتنبها : فالكذب، والخيانة، والنميمة، والبول.

٣٥ـ فقد روى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **تنزّهوا عن البول، فإن عامة عذاب القبر منه** » .(٣)

٣٦ـ وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **إن الله كره لكم أربعاً: العبث فى الصلاة، واللغو عند القراءة، والرفث فى الصيام، والضحك عند المقابر** » (٤) .

وروى عن محمد بن السماك أنه نظر إلى مقبرة، فقال: لا يغرّنكم سكوتُ هذه القبور، فما أكثر المغمومين فيها، ولا يغرنكم استواء القبور، فما أشدّ تفاوتهم فيها.

---

(١) صحيح * أبو نعيم « الحلية» (٣/ ١٠٤) وانظر . شرح الصدور (ص ١٠٢).

(٢) صحيح * أنظر . «مجمع الزوائد » (٢/٣٢٨، ٥/٢٩٨) وشرح الصدور (ص١٠٢) .

(٣) صحيح* انظر : «صحيح الجامع » (٣٠٠٢) و«الإرواء » (٢٨٠).

(٤) ضعيف * ابن المبارك فى « الزهد » (١٥٥٧) والقضاعى (١٠٨٧) انظر : «ضعيف الجامع » (١٦٣١).

فينبغى للعاقل أن يكثر ذكر القبر قبل أن يدخله .

قال سفيان الثورى ـ رحمه الله ـ : من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عنه وجده حفرة من حفر النيران.

وروى عن على كرم الله وجهه أنه قال فى خطبته: ياعباد الله، الموت الموت، فليس منه فوت، إن أقمتم له أخذكم، وإن فررتم منه أدرككم، الموتُ معقودٌ بنواصيكم فالنجاة النجاة، الوحا الوحا، فإن وراءكم طالباً حثيثاً وهو القبر، ألا وإنّ القبرَ روضة من رياض الجنة، أو حفرٌ من حفر النيران، ألا وإنه يتكلّم فى كل يوم ثلاث مرات، فيقول: أنا بيت الظلمة، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الديدان. ألا وإنّ وراء ذلك اليوم يوماً أشدّ من ذلك اليوم، يوماً يشيب فيه الصغير، ويسكر فيه الكبير، وتذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت، وتضع كلّ ذات حمل حملها،وترى الناس سُكارى، وماهم بسكارى، ولكن عذاب الله شديد. ألا وإن وراء ذلك اليوم يوماً أشدّ من ذلك اليوم ناراً، حرها شديد، وقعرها بعيد، وحليها حديد، وماؤها صديد، ليس لله فيها رحمة، قال: فبكى المسلمون بكاءً شديداً. فقال: وإن وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والأرض، أعدّت للمتقين .

أجارنا الله من العذاب الأليم، وأحلّنا وإياكم دار النعيم.

وروى عن أسيد بن عبد الرحمن أنه قال: بلغنى أن المؤمن إذا مات فحمل، قال: أَسْرِعُوا بى، فإذا وضع فى لحده، كلّمته الأرض، وقالت: إنى كنت أحبك، وأنت على ظهرى، فأنت الآن أحب إلىّ فى بطنى .

وإذا مات الكافر فحمل، قال: ارجعُوا بى، فإذا وُضِع فى لحده، كلّمته الأرض، فقالت: كنت أبغضك، وأنت على ظهرى، فأنت الآن أبغض إلىّ.

٣٧ ـ وروى عن عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ أنه وقف على قبر فبكى، فقيل له: إنك تذكر الجنة والنار، ولا تبكى، وتبكى من هذا؟ فقال: إن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: « **القبرُ أوّلُ منزل من منازل الآخرة، فإن نجا العبد منه، فما بعده أيسر منه،، وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ منه** »(١) .

وروى عن عبد الحميد بن محمود المعولى، قال: كنت جالساً عند ابن عباس فأتاه قوم، فقالوا: خرجنا حجّاجاً، ومعنا صاحب لنا، حتى انتهينا إلى حى ذات

---

(١) حسن* الترمذى (٢٣٠٨) وابن ماجه (٤٢٦٧) انظر : صحيح الجامع (١٦٨٤).

الصفاح. فمات، فهيأنا له، ثم انطلقنا، فحفر له قبراً لحداً، فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد. يعنى بالأسود: الحية، فتركناه، فحفرنا له فى مكان آخر، فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد، فتركناه، فحفرنا له ثالثا، فإذا نحن بأسود قد ملأ اللحد، فتركناه وأتيناك.

قال ابن عباس رضى الله عنهما: ذلك الفعل الذى كان يفعله، انطلقوا فادفنوه فى بعضها، فوالله لو حفرتم الأرض كلها لوجدتموه فيها، فأخبروا قومه. قال: فانطلقنا فدفناه فى بعضها، فلما رجعنا، أتينا أهله بمتاع له كان معنا، فقلنا لامرأته: ماكان له من عمل؟ قالت: كان يبيع الطعام، يعنى الحنطة، وكان يأخذ كل يوم قدر قوته، ثم يقرض القصل مثله، ومن الكعبرة، يعنى عيدان الطعام، فيلقيه فيه(١).

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: فى هذا الخبر دليلٌ على أنَّ الخيانة سببٌ لعذاب القبر، فكان فيما رأوه عبرة للأحياء ليمتنعوا من الخيانة.

ويقال: إن الأرض تنادى كل يوم خمس مرات:

أول نداء تقول: يابن آدم تمشى على ظهرى، ومصيرك إلى بطنى.

والثانى تقول: يابن آدم، تأكلُ الألوانَ على ظهرى، وتأكلك الديدان فى بطنى.

والثالث تقول: يابن آدم، تضحك على ظهرى، فسوف تبكى فى بطنى.

والرابع تقول: يابن آدم تفرح على ظهرى، فسوف تحزن فى بطنى.

والخامس تقول: يابن آدم تْذنب على ظهرى، فسوف تُعذَّب فى بطنى.

وروى عن عمرو بن دينار، قال: كان رجل من أهل المدينة له أخت فى ناحية المدينة، فاشتكتْ، فكان يأتيها يعودها، ثم ماتت، فجهّزها وحملها إلى قبرها، فلما دفنت، ورجع إلى أهله، ذكر أنه نسى كيساً كان معه، فاستعان برجل من أصحابه، فأتيا القبر، فنبشاه، فوجدا الكيس، فقال الرجل: تنحّ حتى أنظرعلى أى حال أختى، فرفع بعض ماكان على اللحد، فإذا القبر مشتعل ناراً، فردّه فسوى القبر، فرجع إلى أمه، فقال: أخبرينى عما كانت أختى عليه، فقالت: ولمَ تسأل عن أختك، وقد هلكت؟ قال: فأخبرتها. قالت: كانت أختُكَ تؤخّر الصلاة، ولا تصلّى بطهارة تامة، وكانت تأتى أبوابَ الجيرانَ إذا ناموا، فتلقم أذنها أبوابهم، فتخرج حديثهم يعنى أنها كانت تستمع الحديث لكى تمشى بالنميمة، وهو سبب عذاب القبر.

---

(١) عزاه ابن رجب فى « أهوال القبور » (ص١٤٧) إلى ابن أبى الدنيا

فمن أراد أن ينجو من عذاب القبر، فعليه أن يتحرز عن النميمة، وعن سائر الذنوب، لينجو من عذابه، ويسهل عليه سؤال منكر ونكير. قال الله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

٣٧ / م - روى عن البراء بن عازب، رضى الله عنه، عن النبى - ﷺ - أنه قال: «إذا سئل المسلم في القبر، فيشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله» فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧](١).

ويكون التثبيتُ فى ثلاثة أحوال، لمن كان مؤمناً مخلصاً مطيعاً لله تعالى:

أحدهما: فى حال معاينة ملك الموت.

وثانيها: فى حال سؤال منكر ونكير.

وثالثها: فى حال سؤاله عند المحاسبة يوم القيامة.

فأما التثبيت عند معاينة ملك الموت، فهو على ثلاثة أوجه:

الأول: العصمة من الكفر، وتوفيق الاستقامة على التوحيد؛ حتى تخرجَ روحُه وهو على الإسلام.

والثانى: أن تبشّره الملائكةُ بالرحْمة.

والثالث: أن يرى موضعَه من الجنة.

وأما التثبيت فى القبر، فعلى ثلاثة أوجه:

الأول: أن يلقّنه الله تعالى الصّوابَ، حتى يجيبهما بما يرضى عنه الرب.

والثانى: أن يزولَ عنه الخوفُ، والهيبة، والدهشة.

والثالث: أن يرى مكانهَ فى الجنّة، فيصيرُ القبرُ روضةً من رياض الجنة.

وأما التثبيت عند الحساب، فهو على ثلاثة أوجه:

الأول: أن يلقّنه الحُجَّة عما يُسأل عنه.

والثانى: أن يسهّل عليه الحساب.

---

(١) متفق عليه * البخارى (٣/ ١٣٦٩) ومسلم (٤/ ٢٨٧١).

والثالث: أن يتجاوز عنه الزلل والخطايا.

ويقال: التثبيت فى أربعة أحوال:

أحدها: عند الموت.

والثاني: فى القبر حتى يجيبَ بلا خوف.

والثالث: عند الحساب.

والرابع: عند الصّراط حتى يمرَّ كالبرق الخاطف.

فإن سُئل عن عذاب القبر، كيف هو ؟ قيل: قد تكلم العلماء فيه، واختلفت الروايات فيه فقال بعضهم: تجعل الروح فى جسده كما كان فى الدنيا، فيجلس.

وقال بعضهم: يكون السؤال للروح دون الجسد، وحينئذ تدخل الروح فى جسده إلى صدره. وقال بعضهم: تكون الروح بين جسده وكفنه. وفى ذلك كلّه قد جاءت الآثار.

والصحيح عند أهل العلم: أن يقر الإنسان بعذاب القبر، ولا يشتغل بكيفيته، ويقول: الله أعلم كيف يكون. وإنما نعاينه إذا صرنا إليه، فإذا أنكر أحدٌ سؤال منكر ونكير، فإنّ إنكارَهُ لا يخلو من أحد وجهين: إما أن يقول: إن هذا لا يجوز من طريق العقل، إذ هو خلاف الطبيعة. أو يقول: يجوز، ولكن لم يثبت.

فإن قال: هذا لا يجوزُ من طريق العقل، فإنّ قولَه يُؤدّى إلى تعطيل النبوة، وإبطال المعجزة؛ لأنّ الرسلَ كانوا من الآدميين، مثل طبيعة غيرهم، وقد شاهدوا الملائكة، وأنزل عليهم الوحى، وانفلق البحرُ لموسى عليه السلام، وصارت عصاه ثعباناً. فهذا كله خلاف الطبيعة، فَمُنْكِرُ هذا يخرجُ من الإسلام من حيث دخل.

وإن قال: هذا يجوز، ولكن لم يثبت، فنحن قد روينا من الأخبار مافيه مقنع لمن سمعها، وفى كتاب الله تعالى دليل على ذلك. قال الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ معِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ أَعْمَى**﴾ [طه ١٢٤] قال جماعة من المفسرين. المعيشةَ الضنك: عذاب القبر. وقال تعالى: ﴿ **يُثَبِّتُ الله الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَوْلِ الثَّابِتِ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِى الآخِرَةِ**﴾ [إبراهيم : ٢٧].

٣٨ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثنى أبو جعفر بإسناده، عن سعيد بن المسيب، عن عمر رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **إذا أدخل المؤمن**

قبره أتاه فتّانا القبر، فأجلساه فى قبره، وسألاه، وإنه ليسمعُ خفقَ نعالهم إذا ولّوا مدبرين، فيقولان له: مَن ربّك؟ وما دينك ؟ ومَن نبيك ؟ فيقول : الله ربى ، والإسلام دينى، ومحمد نبى. فيقولان له : ثبّتك الله، نَمْ قرير العين. وهو قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ الله الَّذينَ آمَنُوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ يعنى يثبتهم الله على قول الحق ﴿ ويُضِلُّ الله الظَّالمين﴾ [إبراهيم: ٢٧] يعنى الكافرين لا يوفّقهم للقول الحق.

وإذا أدخل الكافر، أو المنافق، قالا له: مَن ربّك؟وما دينك؟ ومَن نبيك؟ فيقول: لاأدرى، فيقولان: لادريتَ، فَيُضرب بمرزبة يسمعُها مابين الخافقين إلاالجن والإنس»(١).

٣٩ ـ وروى أبو حازم عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **كيف بك ياعمر إذا جاءك فتانا القبر، منكر ونكير: ملكان أسودان أزرقان ينحتان الأرض بأنيابهما، ويطآن فى شعورهما، أصواتهما كالرعد القاصف، وأبصارها كالبرق الخاطف؟** » فقال عمر رضى الله عنه: يارسول الله، أمعى عقلى، وأنا على ما أنا عليه اليوم؟ قال: « **نعم** ». قال: إذن أكفيكهما بإذن الله تعالى قال النبى ـ ﷺ ـ : « **إن عمر لموفّق** »(٢) .

٤٠ ـ قال: وحدثنى أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الشاباذى؛ بإسناده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: « **مامن ميت يموت إلا وله خوار، يسمعه كل دابة عنده إلا الإنسان، فلو سمعه لصعق، فإذا انطلق به إلى قبره،، فإن كان صالحاً قال: عجّلوا بى، لو تعلمون ما أمامى من الخير لعجلتمونى .**

وإن كان غير ذلك قال: لا تعجلوا بى، لو تعلمون من تقدمون له من الشرّ لما عجلتمونى»(٣) ، فإذا وورى فى قبره، أتاه ملكان أسودان أزرقان، فيأتيانه من قبل رأسه، فتقول صلاته: لا يؤتى من قبلى، فربّ ليلة قد بات فيها ساهراً حذراً من هذا المضجع فيؤتى من قبل رجليه، فيجىء بر الوالدين فيقول: لا يؤتى من قبلنا، فقد كان يمشى، وينتصب علينا حذراً لهذا المضجع فيؤتى من قبل يمينه، فتقول صدقته: لا يؤتى من قبلى، فقد كان يتصدق بى حذراً لهذا المضجع، فيؤتى من قبل شماله، فيقول صومه: لا يؤتى من قبلى، فقد كان يظمأ ويجوع حذراً لهذا المضجع. فيوقظ

---

(١) حسن * الترمذى (١٠٧١) وابن أبى عاصم فى « السنة» (٨٦٤) بنحوه عن أبى هريرة .

(٢) منكر* البيهقى فى « عذاب القبر» (١١٦، ١١٧) وابن أبى داود فى « البعث » (٧) أنكره الذهبى فى «الميزان» (٤/ ١٦٧، ٥٣٧). وورد عن عطاء مرسلاً وانظر : البعث (ص ١٨، ١٩).

(٣) ابن أبى شيبة فى « المصنف» بنحوه (١٣/ ٣٤٨).

كما بوقظ النائم، فيقال له: أرأيت هذا الرجل الذى كان يقول ما يقول، علام كنت منه؟ فيقول: من هو؟ فيقال: محمد ﷺ، فيقول: أشهد أنه رسول الله ﷺ، فيقولان له: عشت مؤمناً، ومتّ مؤمنا، فيفسحُ له فى قبره، وينشرُ من كلّ كرامة الله تعالى ماشاء الله[1] .

فنسأل الله النوفيق والعصمة، وأن يعيذنا من الأهواء الضالة المضلّة، ومن الغفلة، وأن يعيذنا من عذاب القبر،

٤١ ـ فإن النبى ﷺ ـ كان يتعوّذ منه [2] .

٤٢ ـ وذكر عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أنها قالت: كنت لم أعلم بعذاب القبر حتى دخلَتْ علىّ يهودية، فسألت شيئاً، فأعطيتها، فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر، فظننتُ أنّ قولها من أباطيل اليهود، حتى دخل النبى ﷺ، فذكرت له ذلك، فأخبرنى أنّ عذابَ القبر حق [3] .

فالواجب على كل مسلم أن يستعيذ بالله تعالى من عذاب القبر، وأن يستعدّ للقبر بالأعمال الصالحة، قبل أن يدخلَ فيه، فإنه قد سهل عليه الأمر مادام فى الدنيا، فإذا دخل القبرَ فإنه يتمنّى أن يؤذنَ له بحسنة واحدة، فلايؤذن له، فيبقى فى حسرةٍ وندامة.

فينبغى للعاقل أن يتفكر في أمر الموتى، فإن الموتى يتمنّون أن يؤذنَ لهم بأن يصلوا ركعتين، أو يؤذن لهم أن يقولوا مرة: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، أو يؤذن لهم بتسبيحة واحدة، فلا يؤذن لهم، فيتعجبون من الأحياء أنهم يضيعون أيامهم فى الغفلة والبطالة.

يا أخى، لا تضيع أيامك، فإنها رأسُ مالك، فإنك ما دمت قادراً على رأس مالك، قدرت على الربح، وإن بضاعة الآخرة كاسدة فى يومك هذا، فاجتهدْ حتى تجمع بضاعةَ الآخرة في وقت الكساد، فإنه يجىء يوم تصير هذه البضاعة فيه عزيزة، فاستكثر منها فى يوم الكساد ليوم العز، فإنك لا تقدر على طلبها في ذلك اليوم.

نسأل الله أن يوفقنا للاستعداد ليوم الحاجة والمعاد، ولا يجعلنا من النادمين، ولا من الذين يطلبون الرجعة، ويُسهّل علينا شدّة القبر، وعلى جميع المسلمين.

(١) حسن* ابن حبان (٧٨١) والطبرانى فى « الأوسط » بنحوه انظر « المجمع » (٣/ ٥١، ٥٢)
(٢) صحيح * البخارى (٢/ ٨٣٢) عن عائشة.
(٣) متفق عليه * البخارى (٣/ ١٣٧٢) ومسلم (٥٨٦).

باب أهوال القيامة وأفزاعها

٤٣ ـ قال الفقية ـ رحمه الله تعالى ـ: أخبرنا الخليل بن أحمد، أخبرنا يحيى بن محمد بن صاعد، حدثنا محمد بن المنصور الطوسى، قال: حدثنا يحيى بن إسحاق الصالحى، قال: حدثنا أحمد بن لهيعة عن خالد بن أبى عمران، عن القاسم ابن محمد، عن عائشة ـ رضى الله عنها وعنهم ـ قالت: قلت: يارسول الله، هل يذكر الحبيب حبيبه يوم القيامة؟ قال لها: «**نعم أما عند ثلاثة مواضع فلا: عند الميزان؛ حتى يعلم إما أن يخفّ، وإما أن يثقل، وعند تطاير الصحف ، إما أن يُعطى بيمينه، وإما يُعطى بشماله، وحين يخرج عنق تطاير الصحف، إما أن يعُطى بيمينه، وإما يُعطى بشماله وحين يخرج عنق من النار، فينطوى عليهم، ويقول وكلت بثلاثة، وكلت بمن دعا مع الله إلها آخر، وبكل جبار عنيد،وبكل من لم يؤمن بيوم الحساب فينطوى عليهم حتي يرمى فى غمرات جهنم ،بجهنم جسر أدق من الشعر، وأحدّ من السيف، عليه كلاليب وحسك، والناس يمرون عليه كالبرق الخاطف، وكالريح العاصف،فناج مسلم،ومخدوش مسلم، ومكبوب في النار على وجهه**»[1] .

٤٤ ـ وحدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: أخبرنا إبراهيم بن يوسف، قال: أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **ما بين النفختين أربعون سنة، ثم يُنزل الله من السماء ماء، فينبتون كما ينبت البقل**»[2] .

٤٥ ـ وأخبرنى الثقة بإسناده عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ بأسانيد مختلفة عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: « **لما فرغ الله من خلق السموات والأرض خلق الصور، فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شاخصاً ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر**» قال: قلت يارسول الله، وما الصور؟ قال: «**قرن من نور**» قلت: يارسول الله ؛ كيف هو ؟ قال: «**عظيم، والذى بعثنى بالحق نبياً لعظم دارته كعرض السماء والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات** »[3] .

---

(١) **ضعيف** * أحمد (٦/ ١١٠) لضعف ابن لهيعة. وانظر : «صعيف الجامع » (١٢٤٥)

(٢) **متفق عليه** * البخارى (٨/ ٤٩٣٥) ومسلم (٤/ ٢٩٥٥)

(٣) **ضعيف** * ابن جرير فى « تفسيره» (١٧/ ١١٠، ٢٤/ ٣، ٣٠/ ٣١) والبيهقى فى « البعث والنشور» (٣٣٦) وأبو الشيخ فى « العظمة » (٣٨٧) وانظر · «الفتح » (١١/ ٣٧٦)

وفى بعض الروايات أنهما نفختان؛ نفخة للهلاك، ونفخة للبعث، وفى رواية كعب: نفختان وفى رواية أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ: ثلاث نفخات، نفخة للفزع، ونفخة للصعق، ونفخة للبعث، فيأمر الله تعالى إسرافيل فى النفخة الأولى، فينفخ فيه، فيفزع من فى السموات ومن فى الأرض، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِى السَّمَٰوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ** ﴾ [النمل : ٨٧].

وتتزلزل الأرض و﴿ **تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ** ﴾ [الحج: ٢].

وتصير الولدان شيباً، وتطير الشياطين هاربة، وهو قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ. يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مرضعةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَاهُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ** ﴾ [الحج: ١ ـ ٢].

فيمكثون ما شاء الله، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل فينفخ نفخة الصعق، فيصعق أهل السماء وأهل الأرض، يعنى يموتون إلا من شاء الله ، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِى الصُّورِ، فَصَعِقَ مَنْ فِى السَّمَٰوَاتِ وَمَنْ فِى الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ** ﴾ [الزمر: ٦٨].

يعنى به أراوح الشهداء، ويقال: يعنى جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت، وحملة العرش، فيقول الله تعالى لملك الموت: من بقى من خلقى [وهو أعلم]؟ فيقول: يارب أنت حى لا تموت، بقى جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وحملة عرشك، وبقيت أنا، فيأمر الله تعالى ملك الموت بقبض أرواحهم .

وهكذا ذكر فى رواية الكلبى، وفى رواية مقاتل، وقال فى رواية محمد بن كعب، عن رجل، عن أبى هريرة: أن الله سبحانه وتعالى يقول: ليمت جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وليمت حملة العرش، ثم يقول الله عز وجل: ياملك الموت، من بقى من خلقى؟، فيقول: أنت الحى الذى لا تموت ، وبقى عبدك الضعيف ملك الموت، فيقول: ياملك الموت، ألم تسمع قولى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾[آل عمران: ١٨٥] وأنت خَلْق من خلقى، خلقتك لما رأيت، فمت، فيموتَ .

وروى فى خبر آخر: أنه يأمره بأن يقبض روح نفسه، فيجىء إلى موضع بين الجنة والنار، وينزع روحه بنفسه، فيصيح صيحة لوكان الخلق كلهم فى الحياة لماتوا من صيحته، ويقول: لو كنت علمت أن لِنَزْع الروح مثلَ هذه الشدة والمرارة، لكنت على قبض أرواح المؤمنين أشفق، ثم يموت، فلا يبقى أحد من الخلق، فيقول الله عز وجل

للدنيا الدنية: أين الملوك؟ وأين أبناء الملوك؟ أين الجبابرة؟ وأين أبناء الجبابرة؟ وأين الذين كانوا يأكلون رزقى ويعبدون غيرى؟ ثم يقول تعالى: ﴿ **لمَنِ الْمُلكُ الْيَوْمَ** ﴾؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب سبحانه وتعالى نفسه فيقول: ﴿ **لله الوَاحد القَهَّار** ﴾[غافر: ١٦] ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر السماء ماءً كمنىّ الرجل أربَعين يوماً؛ حتى يكون الماء فوق كل شيء اثنى عشر ذراعاً، فينبت الله الخلقَ بذلك الماء كنبات البقل، حتى تتكاملَ أجسامُهم، فتعود كما كانت.

ثم يقول الله تعالى: ليحيى إسرافيل، وعزرائيل، وحملة العرش، فيحيْون بأمر الله تعالى، ويأمر الله تعالى إسرافيل، فيأخذ الصور، ويضعه على فيه، ثم يقول الله تعالى: ليحيى جبريل، وميكائيل، فيحييان بأمر الله تعالى.

ثم يدعو الله تعالى بالأرواح، فيؤتى بها، فيجعلها فى الصور، ثم يأمر إسرافيل فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل، قد ملأت ما بين السماء والأرض، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الأجساد فى الخياشيم، فتنشق الأرض عنهم. ثم قال النبى - ﷺ - : « **وأنا أول من تنشق عنه الأرض** »[(١)] .

٤٦ - وفى خبر آخر[(٢)] : أن الله تعالى إذا أحيا جبريل وميكائيل وإسرافيل، فينزلون إلى قبر النبى - ﷺ - معهم البراق، وحلل من الجنة، فتنشق عنه الأرض، فينظر إلى جبريل، فيقول: « **ياجبريل ماهذا اليوم؟** » فيقول: هذا يوم القيامة، ويوم الحاقة، ويوم القارعة. فيقول: « **ياجبريل، مافعل الله بأمتى؟** » فيقول جبريل: أبشر، فإنك أول تنشق عنه الأرض.

ثم يأمر الله تعالى إسرافيل، فينفخ فى الصور، فإذا هم قيام ينظرون.

ثم رجعنا إلى حديث أبى هريرة - رضى الله عنه - قال: فيخرجون منها سراعاً إلىَ ربهم ينسلون. . يعنى؛ يخرجون من قبورهم حفاة عراةً. ثم يقفون موقفاً واحداً، مقدار سبعين عاماً، لا ينظر الله إليهم، ولا يقضىَ بينهم، فيبكون حتى تنقطعَ الدُّموعُ، ثم يبكون دماً ويعرقون، حتى يبلغَ ذلك منهم، بأن يلجمهم، وأن يبلغَ الأذقان، ثم يدعون إلى المحشر، وذلك قوله تعالى: ﴿ **مُهْطعينَ إلى الدَّاع** ﴾[القمر: ٨] أى ناظرين قاصدين مسرعين، فإذا اجتمع الخلائق كلهم: الجَنّ والإنس وغيرهم، فبينما هم وقوف، إذ سمعوا حسّاً من السماء شديداً، فهالهم ذلك، فتنشقّ السماء، وتنزل ملائكة سماء الدنيا كمثل من فى الأرض، فأخذوا مصافهم، فقال لهم الناس: أفيكم ربنا؟ يعنى

---

(١) سبق تخريجه برقم ٤٥

(٢) انظر ما قبله.

أفيكم أمر ربنا بالحساب؟ قالوا: لا. وهو يأتى، بعنى يأتى أمره بالحساب.

ثم ينزل أهل السماء الثانية، فيقومون صفاً خلف أهل سماء الدنيا، ثم تنزل ملائكة السماء الثالثة، حتى تنزل ملائكة السموات السبع على قدر التضعيف، ويقومون حول أهل الدنيا.

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: أنبأنا إبراهيم بن يوسف قال: أنبأنا محمد بن الفضل، عن الأجلح، عن الضحاك، قال: إن الله تعالى يأمر سماء الدنيا، فتنشق بما فيها من الملائكة، فينزلون، فيحيطون بالأرض ومن فيها، ثم الثانية ومن فيها، ثم الثالثة ومن فيها، ثم الرابعة ومن فيها، ثم الخامسة ومن فيها، ثم السادسة ومن فيها، ثم السابعة ومن فيها، حتى يكونوا سبعة صفوف من الملائكة، بعضهم في جوف بعض، وأهل الأرض لايأتون قطراً من أقطارها إلا وجدوا عنده سبعة صفوف من الملائكة، فذلك قوله تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الجنِّ والإِنْسِ إِن اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا من أَقْطَارِ السَّمَوات والأرضِ فَانْفُذُوا لاَ تَنْفُذُون إِلا بسُلْطَانٍ﴾[الرحمن: ٣٣] وقال تعالى: ﴿ويَومَ تَشقَّقُ السَّمَاءُ بِالغَمَامِ ونُزِّلَ المَلائكَةُ تَنْزِيلاً﴾[الفرقان: ٢٥].

٤٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن الله تعالى يقول: يا معشر الجن والإنس، إنى قد نصحتُ لكم، فإنما هى أعمالكم فى صحفكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله تعالى، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه، ثم يأمر الله تعالى جهنم، فيخرج منها عنق ساطع مظلم فيقول: ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُم يابَنى آدَمَ أَنْ لاَ تَعْبُدوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مبينٌ. وأَن اعْبدُونى هَذَا صراطٌ مُسْتَقيم. ولَقَدْ أَضَلَّ منكُم جبلاً كَثيراً أَفَلَمْ تكونُوا تعقلُون. هَذه جَهَنَّم الَّتى كُنْتُم تُوعَدُون. اصْلَوْهَا اليَوْمَ بِمَا كُنْتُم تَكفُرونَ﴾** [يس: ٦٠ ـ ٦٤]»[(١)].

فتبثوا الأمم، وهو قوله تعالى: ﴿ **وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا**﴾ [الجاثية: ٢٨] الآية، فيقضى الله تعالى بين خلقه، ويقضى بين الوحوش والبهائم، حتى إنه لينتقم للشاة الجماء من الشاة القرناء، ثم يقول: كونى تراباً فعند ذلك يقول الكافر: ﴿ **يَا لَيْتَنى كُنْتُ تُرَاباً**﴾ [النبأ: ٤٠] ثم يقضى بين العباد.

٤٨ ـ وروى نافع عن ابن عمر ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**يحشر الناس يوم القيامة كما ولدتهم أمهاتهم حفاة عراة**»، فقالت عائشة ـ رضى الله

(١) جزء من حديث الصور رقم (٤٥).

عنها ـ : الرجال والنساء؟ قال: «نعم»فقلت: واسوأتاه؛ ينظر بعضهم إلى بعض، فضرب على منكبيها، وقال: « يابنة ابن أبى قحافة، شغل الناس يومئذ عن النظر، وشخصوا بأبصارهم إلى السماء موقوفين أربعين سنة، لا يأكلون، ولا يشربون، فمنهم من يبلغ العرق قدميه، ومنهم من يبلغ ساقيه، ومنهم من يبلغ بطنه، ومنهم من يلجمه العرق من طول الوقوف، ثم تقوم الملائكة حافين من حول العرش، فيأمر الله تعالى منادياً ينادى: أين فلان؟ أين فلانة؟ فيشرف الناس ـ أى فيرفع الناس رؤوسهم لذلك الصوت ـ ويخرج ذلك المنادى من ذلك الموقف، فإذا وقف بين يدى رب العالمين، قيل: أين أصحاب المظالم؟ فينادون رجلاً رجلاً، فيؤخذ من حسنات الظالم وتدفع إلى من ظلمه، فيومئذ لا دينار ولا درهم، إلا أخذ من الحسنات، وردّ من السيئات، فلا يزالون يستوفون من حسناته، حتى لا يبقى له حسنة، فيؤخذ من سيئاتهم، فتردّ عليه، فإذا فرغ من حسناته، قيل له: ارجع إلى أمك الهاوية، أى جهنم، فإنه لا ظلم اليوم، إنّ الله سريع الحساب، يعنى سريع المجازاة، فلا يبقى يومئذ لك مقرب، ولانبى مرسل، ولا شهيد إلا ظن ـ لما يرى من شدّة الحساب ـ أن لا ينجو إلا مَنْ عَصَمَهُ الله »(١) .

٤٩ ـ وعن معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال : «لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيم أفناه؟ وعن جسده فيم أبلاه؟، وعن علمه فيم عمل به ؟ ، وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه ؟ »(٢) .

وعن عكرمة ـ رضى الله عنه ـ قال: إن الوالد يتعلق بولده يوم القيامة، فيقول: يابنى أىّ والد كنتُ لك فى الدنيا، فيثنى عليه خيراً، فيقول له: يابنى احتجت إلى مثاقل ذرة من حسناتك، لعلى أنجو مما ترى، فيقول له ولده: إنى أتخوف على نفسى مثل الذى تخوفت، فلا أطيق أن أعطيك شيئاً، ثم يتعلق بزوجته، فيقول لها: يا فلانة، أىّ زوج كنتُ لك فى الدنيا، فتثنى عليه خيراً، فيقول لها: إنى أطلب منك حسنة واحدة تهديها لى، لعلى أنجو مما ترين فتقول : لا أطيق ذلك، إنى أتخوف على نفسى مثل الذى تخوفت منه فيقول الله عز وجل : ﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لاَ يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْء وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾[فاطر: ١٨] يعنى الذى أثقلته الذنوبَ، لا يحمل أحدَ عنه شيئاً من ذنوبه.

---

(١) عزاه ابن كثير فى « البداية والنهاية» (١/ ٢٦٧) إلى أبى يعلى واستغربه . . ولبعضه شاهد عند مسلم عن عائشة. (٤/ ٢٨٥٩) .

(٢) صحيح لغيره: البزار (٤/ ١٥٨ كشف) والخطيب(١١/ ٤٤١). انظر : الصحيحة(٩٤٦) .

٥٠ ـ وروى ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «إن الكافرَ ليلجمْ بعرقه من طول ذلك اليوم، حتى يقول: ياربّ ارحمني، ولو إلى النار»(١) .

٥١ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا مؤمل، قال: حدثنا حماد، عن على بن زيد، عن أبى نضرة، بإسناده عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « لم يكن نبىّ قط إلا كانت له دعوة مستجابة، كلهم يعجلها في الدنيا، وإنى استخبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة ألا وأنا سيّدُ ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر، ولواء الحمد بيدى يوم القيامة، تحته آدم ومن دونه من البشر ولا فخر، ثم قال: يشتد يوم القيامة غمّه وكربه على الناس، فيأتون آدم ـ عليه السلام ـ فيقولون له : يا أبا البشر، اشفع لنا إلى ربك؛ ليقضى بيننا. فيقول : لست هناك، إنى قد أخرجت من الجنه بخطيئتى، وإنه ليس يهمّنى اليوم إلا نفسى، ولكن عليكم بنوح، فإنه أول المرسلين .

فيأتون نوحاً ـ عليه السلام ـ ويقولون: اشفعْ لنا إلى ربك ليقضى بيننا فيقول لست هناك، إنى قد دعوتُ دعوة أغرقت بها أهل الأرض، وإنه ليس يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن ائتوا إبراهيم الذى اتخذه الله خليلاً .

فيأتون إبراهيم ـ عليه السلام ـ فيقولون : اشفع لنا إلى ربك ليقضى بيننا .

فيقول: لستُ هناك، إنى قد كذبتُ فى الإسلام ثلاث كذبات ـ قال ـ ﷺ ـ والله إنه ما جادل بهنّ إلا ذبّاً عن دين الله : إحداها : قوله تعالى:﴿ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى النُّجُومِ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ﴾ [الصافات: ٨٨، ٨٩] والثانية: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُم هَذَا﴾[الأنبياء: ٦٣]، والثالثةَ قوله عن امرأته: إنها أختى ـ وليس يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن ائتوا موسى الذى كلمه الله تكليماً، فيأتون موسى، فيقول: لستُ هناك، إنى قتلت نفساً بغير حقّ، وإنى لا يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن ائتوا عيسى، روحَ الله وكلمته .

فيأتونه، فيقول : لستُ هناك، إنى اتُّخذت أنا وأمى إلهين من دون الله، وإنى لا يهمنى اليوم إلا نفسى، ولكن، أرأيتم لو كان لأحدكم بضاعة، فجعلها فى كيس، وختم عليها، أكان يصل إلى ما فى الكيس حتى يفضْ الختم؟ فيقولون: لا، فيقول: إن محمداً ـ ﷺ ـ ختمت به الأنبياء، وقد وافى اليوم، وقد غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخر، ائتوه.

---

(١) فيه ضعف: أبو يعلى وعند ابن حبان (٢٥٨٢) بشر بن الوليد وشريك القاضى . فيهما مقال وانظر : «المطالب العالية » (٤/ ٣٧٠) و«المجمع » (١٠/ ٣٣٦).

قال رسول الله ﷺ: فيأتينى الناس، فأقول : نعم ، أنا لها، حتى يأذن الله لمن يشاء ويرضى ، فيلبث ما شاء الله أن يلبث، فإذا أراد الله أن يقضى بين خلقه، نادى مناد: أين محمد ﷺ وأمته؟ فنحن الآخرون الأولون، يعنى نحن آخر الناس فى الدنيا، وأولهم فى الحساب يوم القيامة.فأقوم أنا وأمتى فتفرج لناالأمم عن طريقنا،فنمر غرلاً محجلين من آثار وضوء الطهور، ويقول لنا الناس: كادت هذه الأمة أن تكون كلها أنبياء.

ثم أتقدّم إلى باب الجنة،فأستفتح، فيقال:من هذا؟ فأقول:أنا محمد رسول الله فيفتح لى، فأدخل، وأخرّ لربى ساجداً، وأحمده بمحامد لم يحمده بها أحدٌ قبلى، ولا يحمده بها أحد بعدى، فيقال: ارفعْ رأسك، وقلْ تُسمع، وسل تُعط، واشفع تشفع. فأرفع رأسى، فأشفع لمن كان فى قلبه مثقال شعيرة أو ذرة من الإيمان»[1] يعنى من اليقين مع شهادة أن لا إله إلا الله.

وروى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أنه دخل المسجد، وكعب الأحبار يحدّث الناس، فقال له عمر رضى الله عنه: خوّفنا ياكعب الأحبار، فقال: والله، إن لله ملائكة قياماً من يوم خلقهم الله، ماثنوا أصلابهم، وآخرين سجّداً ما رفعوا رؤوسهم حتى ينفخ فى الصور، [فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم]، فيقولون جميعاً: سبحانك وبحمدك، ماعبدناك حق عبادتك، وحق ماينبغى لك أن دنتْ وقربت زفرت زفرةً، فلم يبق مما خلق الله من نبى ولا شهيد إلا جثا على ركبتيه ساقطاً على وجهه، يقول كل نبى وكل صديق وكل شهيد: يارب، لا أسألك إلا نفسى. حتى ينسى إبراهيم إسماعيل وإسحاق، فيقول: يارب، أنا خليلك إبراهيم.

فلو كان لك يابن الخطاب يومئذ عملُ سبعين نبياً، لظننت أنك لا تنجو، فبكى القوم حتى شجوا، فلما رأى عمر رضى الله عنه ذلك قال: ياكعب، بشّرنا. فقال: أبشروا، فإن لله تعالى ثلاثمائة وثلاث عشرة شريعة، لا يأتى العبدُ يوم القيامة بواحدة منهن، مع كلمة الإخلاص، إلا أدخله الله الجنة، والله لو تعلمون كُنه رحمة الله تعالى لأبطأتم فى العمل.

[ثم قال الفقيه:] يا أخى استعد لمثل هذا اليوم بالأعمال الصالحة، والاجتناب عن المعاصى، فإنك عن قريب تعاين يوم القيامة، وتندم على مافات من عمرك واعلم أنك إذا متّ، فقد قامتْ قيامتُك كما قال المغيرة بن شعبة: إنكم تقولون القيامة، إنما قيامة أحدكم موته.

---

(١) حسن * أحمد (٤/١٨٧) على بن زيد هو ابن جدعان: ضعيف.
وله شواهد صحيحة عن أنس وأبى هريرة، وغيرهما أنظر «السنة» (٧٩٧ ـ ٨١٨) لابن أبى عاصم

وذكر عن علقمة بن قيس، أنه كان فى جنازة رجل، فقام على القبر، فلما دفن، قال: أما هذا فقد قامت قيامته .

وإنما قال ذلك، لأن الإنسان إذا مات، فقد عاين أمره يوم القيامة؛ لأنه يرى الجنة والنار والملائكة، ولا يقدر على عمل، فصار بمنزلة من حضر يوم القيامة، فختم على عمله بالموت، فيقوم يوم القيامة على مامات عليه فطوبى لمن كانت خاتمته بخير.

قال أبو بكر الواسطى: الدول ثلاث: دولة الحياة، ودولة عند الموت، ودولة يوم القيامة، فأما دولة الحياة؛ بأن يعيش فى طاعة الله تعالى. ودولته عند الموت : بأن تخرج روحه مع شهادة أن لا إله إلا الله وأما دولة النشر فحين يخرج من قبره؛ يأتيه البشير بالجنة.

وذكر عن يحيى بن معاذ الرازى ـ رحمه الله ـ أنه قرئ فى مجلسه هذه الآية **﴿يَوْمَ نحشُرُ المُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً﴾** أى رُكْبَاناً **﴿ وَنَسُوقُ المجرمينَ إلى جَهَنَّمَ وِرْداً﴾**[مريم: ٨٥، ٨٦]يعنى مشاة عطاشاً. فقال: أيها الناس مهلاً مهلاً، غداً تحشرون إلى الموقف حشراً حشراً، وتوقفون بين يدى الله فرداً فردًا، وتسألون عما فعلتم حرفاً حرفاً، ويُقاد الأولياء إلى الرحمن وفداً وفداً، ويَرد العاصون إلى عذاب الله ورداً ورداً، ويدخلون جهنم حزباً حزباً، وكل هذا **﴿ إذا دُكّتِ الأرضُ دكّاً دكّاً. وجاء ربّك والملكُ صَفّاً صَفّاً﴾** [الفجر: ٢١، ٢٢] ويجاء بجهنم يومئذ ويلاً ويلاً.

إخوانى: الويل لكم فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة يوم الرجفة، يوم الآزفة، يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، فذلك يوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وهو يوم المنافسة، ويوم المحاسبة، ويوم الموازنة، ويوم المساءلة، ويوم الزلزلة، ويوم الصيحة، ويوم الحاقة، ويوم القارعة، ويوم النشور، و**﴿ يَوْمَ يَنْظُرُ المَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾**[النبأ: ٤٠]ويوم التغابن، **﴿ يَوْمَئذ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً ليُرَوْا أَعْمَالَهُم﴾** [الزلزلة: ٦]و **﴿ يَوْمَ تَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾** [آل عمران: ١٠٦] و**﴿ يَوْمَ لاَ يُغْنى عَنْ مَوْلًى شَيْئاً﴾** [الدخان: ٤١]. **﴿ يَوْمَ لاَ تُغْنى عَنْهُم كَيْدُهُم شَيْئًا﴾**[الطور: ٤٦]، و **﴿ يوماً لاَ يَجْزى والدٌ عَنْ وَلَده وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالده شَيْئاً﴾**[لقمان: ٣٣]، و **﴿يَوْماً شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾** [الإنسان: ٧] يعنى منتشراً فاشياً، و **﴿ يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ الظَّالمينَ مَعْذرَتُهُمْ﴾** [غافر: ٥٢]، و **﴿ يَوْمَ تَأْتى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسهَا﴾** [النحل: ١١١]

و﴿ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢].

قال مقاتل بن سليمان[١]: يقف الخلق يوم القيامة مئة سنة فى العرق ملجمون، ومئة سنة فى الظلمة متحيرون، ومئة سنة يموج بعضهم فى بعض، عند ربهم يختصمون.

ويقال: إن يوم القيامة مقداره خمسون ألف سنة، وإنه ليمضى على المؤمن المخلص كما تمضى عليه ساعة واحدة.

فعليك أيها العاقل بأن تصبر على شدائد الدنيا فى طاعة الله تعالى، لتسهل عليك الشدائد يوم القيامة. والله الموفق.

***

باب صفة النار وأهلها

٥٢ ـ قال الفقيه أبو الليث رحمه الله: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا محمد بن عقيل الكندى، حدثنا العباس الدورى، حدثنا يحيى بن أبى بكير، قال: أنبأنا شريك، عن عاصم، عن أبى صالح، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « **أوقد على النار ألف سنة حتى احمرّتْ، ثم أوقد عليها ألف سنة أخرى حتى ابيضَّتْ، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسوّدتْ، فهى سوداء كالليل المظلم** »[٢].

وروى عن يزيد بن مرشد أنه كان لا تنقطع دموع عينيه، ولا يزال باكياً، فَسُئل عن ذلك فقال: لو أنّ الله تعالى أوعدنى بأنى لو أذنبتُ ذنباً لحبسنى فى الحمام أبداً، لكان حقاً على أن لا تنقطع دموعى، فكيف، وقد أوعدنى أن يحبسنى فى نار قد أوقدَ عليها ثلاثةُ آلاف سنة.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، أنبأنا إبراهيم بن يوسف، أنبأنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد ـ رضى الله عنهم ـ قال: إن لجهنم جباباً فيها حيات كأمثال أعناق البُخت، وعقارب كأمثال البغال

---

(١) مقاتل بن سليمان: كذبوه وهجروه، ورموه بالتجسيم. «التقريب».

(٢) ضعيف * الترمذى (٢٥٩١) وابن ماجه (٤٣٢٠) انظر: «الضعيفة» (١٣٠٥)

الدُّهْم، فيهرب أهل النار من النار إلى تلك الحيات، فتأخذ تلك الحيات بشفافهن، فيكشطن مابين الشعر إلى الظفر، فما ينجيهم منها إلا الهرب إلى النار.

٥٣ ـ وروى عن عبد الله بن جزء، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **إن فى النار حيات مثل أعناق الإبل، تلسع أحدهم لسعة يجد حمتها أربعين خريفاً، وإن فى النار لعقارب كأمثال البغال، تلسع أحدهم لسعة يجد حمتها أربعين خريفاً** »[(١)] .

٥٤ ـ وروى عن الأعمش، عن يزيد بن وهب، عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: « **إن ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من تلك النار، ولولا أنها ضربت فى البحر مرتين لما انتفعتم منها بشىء** »[(٢)] .

وقال مجاهد : إن ناركم هذه تتعوّذ من نار جهنم.

٥٥ ـ وقال النبى ـ ﷺ ـ : «**إن أهونَ أهل النار عذاباً لرجل فى رجليه نعلان من نار، يغلى منهما دماغه، كأنه مرجل، مسامعه جمر، وأضراسه جمر، وأشفاره لهب النار، وتخرج أحشاء بطنه من قدميه، إنه ليرى أنه أشد أهل النار عذاباً، وإنه من أهون أهل النار عذاباً** » [(٣)] .

قال: حدثنا محمد بن الفضل، أنبأنا محمد بن جعفر الكرابيسى، أنبأنا إبراهيم ابن يوسف، أنبأنا أبو حفص، عن سعيد، عن قتادة، عن أبى أيوب الأزدى، عن عبدالله ابن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهم ـ قال: إن أهل النار يدعون مالكاً، فلا يردّ عليهم جواباً أربعين عاماً، ثم يردّ عليهم ﴿ **إنكم ماكثون**﴾ [الزخرف: ٧٧] يعنى دائمون أبداً، ثم يدعون ربهم: ﴿**رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْها فإنْ عُدْنَا فَإنَّا ظَالِمُونَ**﴾ [المؤمنون: ١٠٧] فلا يجيبهم مقدار ماكانت الدنيا مرتين، ثم يردّ عليهم : ﴿**اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ**﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

قال: فوالله ما ينطق القوم بعدها بكلمة، وما كان بعد ذلك إلا الزفير والشهيق فى النار، تشبه أصوات الحمير، أوله زفير، وآخره شهيق .

قال قتادة: ياقوم، هل لكم من هذا بُد؟ أم لكم على هذا صبر؟ ياقوم طاعةُ الله

---

(١) **ضعيف** ✽ أحمد (٤/ ١٩١) وأسد بن موسى فى « الزهد» (٢٢) وابن حبان (٢٦١٣) والحاكم (٤/ ٥٩٣) والبيهقى فى « البعث»(٥٦١) فيه (دراج بن سمعان). فيه مقال .

(٢) **متفق عليه**✽ (دون آخره)✽ البخارى (٦/ ٣٢٦٥) ومسلم (٤/ ٢٨٤٣) عن أبى هريرة وانظر. ضعيف الجامع (٢٠١٨) بتمامه عن أنس، وقال الألبانى: ضعيف جداً

(٣) **متفق عليه** ✽ البخارى (١١/ ٦٥٦٢) ومسلم (٢١٣) بنحوه عن النعمان بن بشير .

أهونُ عليكم فأطيعوه.

ويقال: إن أهل النار يجزعون ألف سنة، ثم يقولون: كنا فى الدنيا إذا صبرنا كان لنا الفَرَجُ، فيصبرون ألف سنة، فلا يخفف عنهم، فيقولون: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾[إبراهيم: ٢١]، فيدعون الله تعالى الغيث ألف سنة، لما بهم من العطش، وشدة العذاب، لكي يزولَ عنهم الحرارة والعطش، فإذا تضرعوا ألف سنة، يقول الله تعالى لجبريل: أى شىء يطلبون؟ فيقول جبريل: يا رب، أنت أعلمُ، إنهم يسألون الغيث، فتظهر لهم سحابة حمراء، فظنوا أنهم يمطرون، فترسل عليهم العقارب كأمثال البغال، فلتدغ الواحد منهم، فلايذهب عنه الوجع ألف سنة، ثم يسألون الله تعالى ألف سنة، أن يرزقهم الغيث، فتظهر لهم سحابة لسعة، لايذهب وجعها ألف سنة.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ زِدْنَاهُم عَذَاباً فَوْقَ العَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] يعنى بماكانوا يكفرونَ ويعصون الله تعالى.

فمن أراد أن ينجو من عذاب الله تعالى، وينال ثوابه، فعليه أن يصبرَ على شدائد الدنيا فى طاعة الله تعالى، ويجتنب المعاصى، وشهوات الدنيا، فإن.

٥٦ ـ «**الجنة قد حفت بالمكاره، وحفت النار بالشهوات**»(١) كما جاء فى الخبر.

٥٧ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله ـ أنبأنا محمد بن الفضل، أنبأنا محمد بن جعفر، أنبأنا إبراهيم بن يوسف، أنبأنا إسماعيل بن جعفر، أنبأنا محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن عبد الرحمن، عن أبى هريرة، أن النبى ـ ﷺ ـ: «**دعا الله ـ عز وجل جبريل فأرسله إلى الجنة فقال: انظر إليها، وما أعددت لأهلها فيها، فرجع وقال: وعزتك لايسمع بها أحد إلا دخلها فحفّت بالمكاره، فقال: ارجع إليها، وانظر إليها، فرجع وقال: وعزّتك، لقد خشيتُ أن لا يدخلها أحد. ثم أرسله إلى النار، فقال: انظر إليها، وما أعددت لأهلها فيها. فرجع إليه، فقال: وعزّتك لا يدخلها أحد سمع بها. فحفّت بالشهوات، فقال: عُدْ، وانظر إليها. فرجع، وقال: وعزتك وجلالك، لقد خشيتُ أن لا يبقى أحد إلا دخلها**»(٢).

٥٨ ـ وعن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**اذكروا من النار ماشئتم، فلا تذكرون منها شيئاً إلا وهى أشد منه**».

---

(١) متفق عليه * البخارى (١١/ ٦٤٨٧) ومسلم (٤/ ٢٨٢٢) عن أنس.

(٢) حسن صحيح * الترمذى (٢٥٦٠) والنسائى (٧/ ٣) وأحمد (٢/ ٣٣٢) والحاكم (١/ ٢٦)

قال: حدثنا أبى، قال: أنبأنا العباس بن الفضل المروزى، قال: أنبأنا موسى بن نصر، عن محمد بن زياد، عن ميمون بن مهران أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿**وإن جهنم لموعدهم أجمعين**﴾ [الحجر: ٤٣] وضع سلمان يده على رأسه، وخرج هارباً ثلاثة أيام، و لا يقدر عليه؛ حتى جىء به.

٥٩ ـ وروى يزيد الرقاشى، عن أنس بن مالك، قال: جاء جبريل إلى النبى ـ ﷺ ـ فى ساعة ماكان يأتيه فيها، متغير اللون، فقال له النبى ـ ﷺ ـ: «**مالى أراك متغير اللون؟**» فقال: يامحمد، جئتك فى الساعة التى أمر الله بمنافخ النار، أن تنفخ فيها، ولا ينبغى لمن يعلم أنّ جهنم حقّ، وأنّ النّار حقّ، وأن عذابَ القبر حقّ، وأن عذابَ الله أكبر، أن تقرّ عينه، حتى يأمنها، فقال النبى ـ ﷺ ـ: «**يا جبريل، صف لى جهنم**». قال: نعم، إن الله تعالى لما خلق جهنم أوقد عليها ألف سنة حتى احمرت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى ابيضت، ثم أوقد عليها ألف سنة حتى اسوّدت، فهى سوداءُ مظلمة، لا ينطفئ لهيبها ولا جمرها.

والذى بعثك بالحق، لو أنّ مثل خرم إبرة فتح منها لاحترق أهل الدنيا عن آخرهم من حرّها.

والذى بعثك بالحق لو أنّ ثوبا من أثواب أهل النار علّق بين السماء والأرض؛ لمات جميع أهل الأرض من نتنها وحرّها.

والذى بعثك بالحق نبياً، لو أن ذراعاً من السلسلة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه وضع على جبل لذاب حتى يبلغَ الأرض السابعة، والذى بعثك بالحق نبياً لو أنّ رجلاً بالمغرب يعذب، لاحترق الذى بالمشرق من شدّة عذابها: حرّها شديد، وقعرها بعيد، وحليها حديد، وشرابها الحميم والصديد، وثيابها مقطعات النيران، لها سبعة أبواب، لكل باب منهم جزء مقسوم من الرجال والنساء.

فقال ﷺ: «**أهى كأبوابنا هذه؟**» قال: لا، ولكنها مفتوحة، بعضها أسفل من بعض، من باب إلى باب، مسيرة سبعين سنة، كل باب منها أشدّ حراً من الذى يليه سبعين ضعفاً، يساق أعداء الله إليها، فإذا انتهوا إلى أبوابها، استقبلتهم الزبانية بالأغلال والسلاسل، فتسلك السلسلة فى فمه، وتخرج من دُبره، وتغل يده اليسرى إلى عنقه، وتدخل يده اليمنى فى فؤاده، وتنزع من بين كتفيه، وتشد بالسلاسل، ويقرن كلّ آدمى مع شيطان فى سلسلة، ويسحب على وجهه، وتضربه الملائكة بمقامع

من حديد، ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا﴾ [الحج : ٢٢].

فقال النبى ـ ﷺ ـ : « **مَن سُكّان هذه الأبواب؟** » قال : أما الباب الأسفل : ففيه المنافقون، ومن كفر من أصحاب المائدة وآل فرعون، واسمه الهاوية. والباب الثانى : فيه المشركون، واسمه الجحيم. والباب الثالث : فيه الصابئون، واسمه سقر. والباب الرابع : فيه إبليس ومن تبعه والمجوس، واسمه لظى. والباب الخامس : فيه اليهود، واسمه الحطمة. والباب السادس : فيه النصارى، واسمه السعير.

ثم أمسك جبريل حياءً من رسول الله ـ ﷺ ـ فقال عليه الصلاة والسلام : « **ألا تخبرنى مَن سكان الباب السابع؟** » قال : يامحمد لا تسألنى عنه، فقال : « **بلى يا جبريل أخبرنى من سكان الباب السابع** »؟ فقال : فيه أهل الكبائر من أمتك، الذين ماتوا ولم يتوبوا فخرّ النبى ـ ﷺ ـ مغشياً عليه، فوضع جبريل رأسه على حجره حتى أفاق.

فلما أفاق قال : « **ياجبريل عظمت مصيبتى، واشتدّ حزنى، أو يدخل أحدٌ من أمتى النار؟** » قال : نعم، أهل الكبائر من أمتك. ثم بكى رسول الله ـ ﷺ ـ، وبكى جبريل، ودخل رسول الله ـ ﷺ ـ منزله، واحتجب عن الناس، فكان لا يخرج إلا إلى الصلاة، يصلّى ويدخل، ولا يكلّم، ويأخذ فى الصلاة ويبكى، ويتضرّع إلى الله تعالى.

فلما كان من اليوم الثالث، أقبل أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ حتى وقف بالباب، وقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، هل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ من سبيل؟ فلم يجبْ أحد، فتنحّى باكياً، فأقبل عمر ـ رضى الله عنه ـ فصنع مثل ذلك، فلم يجبه أحد، فتنحى وهو يبكى، فأقبل سلمان الفارسى حتى وقف بالباب، وقال : السلام عليكم يا أهل بيت الرحمة، هل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ من سبيل؟ فلم يجبه أحد، فأقبل يبكى مرة، ويقع مرة، ويقوم أخرى، حتى أتى بيت فاطمة، ووقف بالباب، ثم قال : السلام عليك يابنة رسول الله ـ ﷺ ـ وكان على ـ رضى الله عنه ـ غائباً، فقال سلمان : يابنة رسول الله، إنّ رسول الله ـ ﷺ ـ قد احتجب عن الناس، فليس يخرجُ إلا إلى الصلاة، فلا يكلّم أحداً، ولا يأذن لأحد فى الدخول عليه، فاشتملت فاطمة بعباءة قطوانية، وأقبلتْ حتى وقفتْ على باب رسول الله ﷺ، ثم سلمت، وقالت : يارسول الله، أنا فاطمة حجبتُ عن الدخول، ورسول الله ساجد يبكى، فرفع رأسه وقال : « **مابال قرّة عينى فاطمة حجبت عنى؟! افتحوا لها الباب** »، ففتح لها الباب، فدخلت، فلما نظرتْ إلى رسول الله ﷺ بكتْ بكاءً شديداً لما رأت من

حاله، مصفرّا متغيرا لونه، قد ذاب لحمُ وجهه من البكاء والحزن، فقالت: يارسول الله، ما الذى نزل بك؟ فقال: « يافاطمة، جاء جبريل، ووصف لى أبوابَ جهنم، وأخبرنى أنّ فى أعلى بابها أهل البكائر من أمتى، فذلك الذى أبكانى وأحزننى».

قالت: يارسول الله [لو لم تسأله] كيف يدخلونها؟ قال: « بلى، تسوقهم الملائكة إلى النار، ولا تسودّ وجوههم، ولا تزرق أعينهم، ولا يختم على أفواههم، ولا يقرنون مع الشياطين، ولا يوضع عليهم السلاسل والأغلال».

قالت: قلت يارسول الله، كيف تقودهم الملائكة؟ فقال: « أما الرجال، فباللحى، وأما النساء فبالذوائب والنواصى، فكم من ذى شيبة من أمتى يقبض على لحيته، ويُقاد إلى النار، وهو ينادى: واشيبتاه، واضعفاه وكم من شاب قد قبض على لحيته يساق إلى النار، وهو ينادى: واشباباه، واحُسْن صورتاه وكم من امرأة من أمتى قد قبض على ناصيتها تُقاد إلى النار، وهى تنادى: وافضيحتاه، واهتك ستراه حتى ينتهى بهم إلى مالك، فإذا نظر إليهم مالك ، قال للملائكة: من هؤلاء؟ فما ورد علىّ قوم من الأشقياء أعجب شأناً من هؤلاء، لم تسودّ وجوههم، ولم تزرق أعينهم، ولم يختمْ على أفواههم، ولم يقرنوا مع الشياطين، ولم توضع السلاسل والأغلال فى أعناقهم».

فتقول الملائكة: هكذا أمرنا أن نأتيك بهم على هذه الحالة. فيقول لهم مالك: يامعشر الأشقياء، من أنتم؟ وفى خبر آخر: لما قادتهم الملائكة ينادون: وامحمداه فلما رأوا مالكاً ، نسوا اسم محمد ﷺ من هيبته، فيقول لهم مالك: من أنتم؟ فيقولون: نحن ممن أنزل علينا القرآن، ونحن ممن يصوم رمضان.

فيقول مالك: ما أنزل القرآن إلا على أمة محمد ﷺ فإذا سمعوا اسم محمد، صاحوا، وقالوا: نحن من أمة محمد ﷺ، فيقول لهم مالك: أما كان لكم فى القرآن زاجرا عن معاصى الله تعالى ؟

فإذا وقف بهم على شفير جهنم، ونظروا إلى النار، وإلى الزبانية، قالوا: يا مالك: ائذن لنا، فنبكى على أنفسنا فيأذن لهم، فيبكون الدموع، حتى لم يبقَ لهم دموع، فيبكون الدم.

فيقول مالك: ما أحسن هذا البكاء، لو كان فى الدنيا، فلو كان هذا البكاء فى الدنيا من خشية الله، مامسّتكم النّارُ اليوم. ثم يقول مالك للزبانية: ألقوهم فإذا ألقوا في النار، نادوا بأجمعهم: لا إله إلا الله، فترجع النّارُ عنهم، فيقول مالك: يانار

خذيهم، فتقول : كيف آخذهم، وهم يقولون : لا إله إلا الله؟

فيقول مالك: نعم، بذلك أمر رب العرش، فتأخذهم. فمنهم من تأخذه إلى قدميه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذه إلى حَلْقه، فإذا أهوت النارُ إلى وجهه، قال مالك: لا تحرقي وجوههم، فطالما سجدوا للرحمن في الدنيا، ولا تحرقي قلوبهم، فطالما عطشوا في شهر رمضان، فيبقون ما شاء الله فيها ويقولون : يا أرحم الراحمين، ياحنان، يامنان .

فإذا أنفذ الله تعالى حكمه، قال: ياجبريل، مافعل العاصون من أمة محمد ﷺ؟ فيقول: اللهم أنت أعلم بهم فيقول: انطلق، فانظر ما حالهم، فينطلق جبريل عليه السلام إلى مالك، وهو على منبرٍ من نار في وسط جهنم، فإذا نظر مالك إلى جبريل - عليه السلام - قام تعظيماً له . فيقول: ياجبريل، ما أدخلك هذا الموضع؟

فيقول: مافعلت بالعصابة العاصية من أمة محمد؟ فيقول مالك: ما أسوأ حالهم، وأضيق مكانهم، قد أُحْرِقَتْ أجسامهم، وأُكِلَتْ لحومُهم، وبقيت وجوههم وقلوبهم يتلألأ فيها الإيمان.

فيقول جبريل: ارفع الطَّبقَ عنهم، حتى أنظر إليهم قال: فيأمر مالك الخزنة، فيرفعون الطّبق عنهم، فإذا نظروا إلى جبريل، وإلى حُسْن خلقه، علموا أنه ليس من ملائكة العذاب فيقولون: مَن هذا العبد الذى لم نر أحداً قطّ أحسن منه ؟

فيقول مالك: هذا جبريل، الكريم على ربه، الذى كان يأتى محمداً ﷺ بالوحى، فإذا سمعوا ذكر محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم، وقالوا : ياجبريل، أقرئ محمدا ﷺ منا السلام، وأخبره أن معاصينا فرّقت بيننا وبينك، وأخبره بسوء حالنا، فينطلق جبريل، حتى يقوم بين يدى الله تعالى، فيقول الله تعالى: كيف رأيت أمة محمد؟

فيقول: يارب، ما أسوأ حالهم، وأضيق مكانهم! فيقول الله تعالى: هل سألوك شيئاً؟

فيقول: يارب. نعم، سألونى أن أقرىء نبيهم منهم السلام، وأخبره بسوء حالهم.

فيقول الله تعالى: انطلق، وأخبره، فينطلق جبريل إلى النبى ﷺ وهو فى خيمة من درّة بيضاء، لها أربعة آلاف باب، لكل باب مصراعان من ذهب، فيقول: يا محمد، قد جئتك من عند العصابة العصاة الذين يعذّبون من أمتك فى النار، وهم يقرؤونك السلام، ويقولون: ما أسوأ حالنا، وأضيق مكاننا! فيأتى النبى ﷺ إلى تحت العرش فيخرّ ساجداً، ويثنى على الله تعالى ثناء لم يثن عليه أحد مثله، فيقول الله تعالى:

ارفعْ رأسك، وسَلْ تُعْطَ، واشفعْ تشفع .

فيقول: ياربِّ الأشقياء من أمتى، قد أنفذتَ فيهم حكمك، وانتقمتَ منهم فشفعنى فيهم، فيقول الله تعالى: قد شفّعْتُك فيهم، فائت النار، فأخرج منها كلّ من قال: لا إله إلا الله .

فينطلق النبى ﷺ فإذا نظر مالك إلى النبىﷺ قام تعظيماً له، فيقول: يا مالك، ماحال أمتى الأشقياء؟فيقول: ماأسوأ حالهم، وأضيق مكانهم!فيقول محمدﷺ: افتح الباب، وارفع الطبق، فإذا نظر آهل النار إلى محمد ﷺ صاحوا بأجمعهم،

فيقولون: يامحمد، أحرقت النارُ جلودَنا وأحرقتْ أكبادنا فيخرجهم جميعاً، وقد صاروا فحماً، قد أكلتهم النار، فينطلقُ بهم إلى نهر بباب الجنة يسمى: نهر الحيوان، فيغتسلون منه، فيخرجون منه شباباً جرداً مرداً مكحلين، وكأن وجوههم مثل القمر، مكتوب على جباههم: الجهنميون، عتقاء الرحمن من النار، فيدخلون الجنة.

فإذا رأى أهل النار أنّ المسلمين قد أخرجوا منها، قالوا: ياليتنا كنا مسلمين، وكنا نخرج من النار، وهو قوله تعالى:﴿ رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] (١) .

٦٠ - وروى عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: « **يؤتى بالموت كأنه كبش أملح، فيقال: يا أهلالجنة، هل تعرفون الموت؟ فينظرون إليه، ويعرفونه، ويقال: يا أهل النار، هل تعرفون الموت؟. فينظرونه، فيعرفونه، فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال: يا أهل الجنة خلود بلا موت، ويا أهل النار خلود بلا موت** »(٢) .

وذلك قوله تعالى:﴿ وأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩] الآية .

وقال أبو هريرة رضى الله عنه: لا يُغْبَطَنَّ فاجر بنعمة، فإن من ورائه طالباً حثيثاً، وهى جهنم ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيراً﴾ [الإسراء: ٩٧]، والله سبحانه وتعالى أعلم.

***

(١) ضعيف. به إنقطاع ورواه الطرانى عن عمر، وفيه (سلام الطويل). متروك . انظر : المجمع (١٠/ ٣٨٧) والتخويف من النار (ص ٣٤، ٦٤)

(٢) متفق عليه: البخارى (٧/ ٤٧٣٠) ومسلم (٤/ ٢٨٤٩) عن أبى سعيد الخدرى

باب صفة الجنة وأهلها

٦١ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد ابن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا محمد بن يحيى بن الفضيل، عن حمزة الزيات صاحب القراءة، عن زياد الطائى، عن أبى طاهر الطائى، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قلنا: يارسول الله، مم خلقت الجنة؟ قال: « من الماء» . قلنا: أخبرنا عن بناء الجنة. قال: « **لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، ملاطها ـ أى طينها ـ المسك الأذفر، وترابه الزعفران، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت ومن يدخلها ينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت ولا تبلى ثيابه ولايفنى شبابه**» ثم قال ﷺ : «**ثلاثة لا ترد دعوتهم: الإمام العادل، والصائم حين يفطر، ودعوة المظلوم، فإنها ترفع فوق الغمام، فينظر الرب جل جلاله، فيقول: وعزتى وجلالى لأنصرنّك ولو بعد حين**»(١).

٦٢ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن عمرو، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن فى الجنة شجرة يسير الراكب فى ظلها مئة عام، لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم ﴿ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾** [الواقعة: ٣٠] **وفى الجنة مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِى لَهُم مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة: ١٧] الآية، **ولموضعُ سوط أحدكم فى الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئتم ﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾** [آل عمران: ١٨٥](٢).

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: إن فى الجنة حوراء يقال لها: لعبة، ولو بزقت فى البحر بزقة لعذب ماؤه، مكتوب على نحرها: من أحبّ أن يكون له مثلى؛ فليعمل بطاعة ربى.

وقال مجاهد: أرض الجنة من فضة، وترابُها مسك، وأصول شجرها ذَهَبٌ وفضة، وأغصانها لؤلؤ وزبرجد، والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه، ومن أكل

(١) صحيح* (دون قوله مم خلق) الترمذى (٢٥٢٦) وأحمد (٢/٣٠٥) وأبو نعيم فى « صفة الجنة » (١٣٦). وانظر الصحيحة (١٠٨٦).

(٢) متفق عليه * (أوله ووسطه). البخارى (٤٨٨١, ٧٤٩٨) ومسلم (٢٨٢٦).

وأما آخره. فأخرجه البخارى (٢٨٩٢) عن سهل بن سعد ومسلم (١٩١٣) عن أنس

جالساً لم يؤذه، ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه. ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلا﴾[الإنسان: ١٤] يعنى قربت ثمرتها حتى ينالها القائم والقاعد والمضطجع (١).

وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - أنه قال: والذى أنزل الكتاب على محمد ﷺ، إن أهل الجنة ليزدادون كل يوم جمالاً وحسناً، كما يزدادون فى الدنيا هرماً(٢).

٦٣ - قال الفقيه: حدثنا إبراهيم بن أحمد، حدثنا الحسن بن نضر، حدثنا أسد بن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البنانى، عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن صهيب، أن رسول الله - ﷺ - قال: « **إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادي مناد: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعداً، يريد أن ينجزكموه فيقولون: ماهو؟ ألم يُثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، وأدخلنا الجنة، وأخرجنا من النار؟** ».

قال: « **فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فوالذى نفسى بيده، ما أعطاهم شيئاً أحبّ إليهم من النظر إليه** »(٣).

٦٤ - وروى أنس بن مالك - رضى الله عنه - قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ بمرآة بيضاء، فيها نكتة سوداء، فقال النبى ﷺ: « **ياجبريل ماهذه المرآة البيضاء؟** »، قال: هذه الجمعة، وهذه النكتة السوداء، الساعة التى تقوم فى الجمعة، قد فضلت بها أنت وقومك على من كان قبلك، فالناس لكم فيها تبع، يعنى اليهود والنصارى، وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يسأل الله تعالى شيئاً من خير إلا استجابَ الله له، ولا يستعيذُ من شرّ إلا أعاذه منه، قال: وهى عندى يوم المزيد.

قال رسول الله ﷺ: «**وما يوم المزيد؟** » **قال**: إن ربك اتخذ وادياً فى الفردوس فيه كُثُب من مسك، فإذا كان يوم الجمعة، حفّت بمنابر من نور عليها النبيون، وحفت منابر النور بمنابر من ذهب، مُكلّلة بالياقوت والزبرجد، عليها الصديقون والشهداء والصالحون، وينزل أهل القرآن من الغرف، فيجلسون من ورائهم على تلك الكُثُب، فيجتمعون إلى ربهم، فيمدحونه ويحمدونه، ويثنون عليه، فيقول الله تعالى لهم: سلونى. فيقولون: نسألك الرضا. فيقول: رضيتُ عنكم رضاء أحلّكم دارى وأنالكم كرامتى، فيتجلى لهم حتى يروه فليس يوم أحبّ إليهم من يوم الجمعة لما يزيدهم من الكرامة(٤).

(١، ٢) أبو نعيم فى « صفة الجنة» (٢٠٧، ٢٦٤). وابن أبى شيبة فى «المصنف» (١٣/ ٩٥، ١١٤).

(٣) صحيح * مسلم (١٨١) وغيره بنحوه.

(٤) فيه ضعف* الشافعى فى « الأم» (١/ ١٨٥) وفى « مسنده» (١/ ١٢٦) وابن جرير فى «تفسيره» (٢٦/ ١٠٩) والعقيلى (٣٥٩) وانظر: تفسير ابن كثير(٤/ ٢٢٩) وميزان الاعتدال (١/ ٦٠٨).

٦٥ـ وروى فى خبر آخر: «**إن الله تعالى يقول لملائكته:أطعموا أوليائى فيؤتى بألوان الأطعمة فيجدون لكل لقمة لذة غير مايجدون للأخرى،فإذا فرغوا من الطعام، يقول الله تعالى:اسقوا عبادى، فيؤتى بأشربة،فيجدون لكل شربة لذة بخلاف الأخرى. فإذا فرغوا يقول الله تعالى لهم؟أنا ربكم،قد صدَقتكم وعدى، فاسألونى أعطكم، قالوا: ربنا نسألك رضوانك،مرتين أو ثلاثاً، فيقول تعالى:رضيتُ عنكم،ولدىّ المزيد. اليوم أكرمكم بكرامة أعظم من ذلك كلّه،فيكشف الحجاب، فينظرون إليه ماشاء الله، فيخرّون له سجداً،فكانوا فى السجود ماشاء الله، ثم يقول لهم:ارفعوا رؤوسكم، ليس هذا موضع عبادة،فينسون كل نعمة كانوا فيها،ويكون النظر إليه أحب إليهم من جميع النعم، ثم يرجعون، فتهيج ريح من تحت العرش، على تلّ من مسك أبيض، فينثر ذلك على رؤوسهم،ونواصى خيولهم، فإذا رجعوا إلى أهليهم تراهم أزواجهم فى الحسن والبهاء أفضل مماتركوهن،فيقول لهم أزواجهم:إنكم قد رجعتم على أحسن ماكنتم**»(١).

قال الفقيه رحمه الله تعالى: معنى يرفع الحجاب يعنى الحجاب الذى عليهم، وهو الستر الذى يحجبهم من النظر إليه تعالى، وأما قوله: ينظرون إليه فقال بعضهم: ينظرون إلى كرامة لم يروها قبل ذلك. وقال أكثر أهل العلم: هو على ظاهره، يرونه بغير كيف، ولاتشبيه، كما يعرفونه فى الدنيا بلا تشبيه .

وقال عكرمة: أهل الجنة كأمثال أولاد ثلاث وثلاثين سنة، رجالهم ونساؤهم، والقامة ستون ذراعاً، على قامة أبيهم آدم عليه السلام، شباب جرد مرد، مكحولون، عليهم سبعون حلّة، تتلون كلّ حلّة فى كل ساعة سبعين لوناً، فيرى وجهه فى وجهها، يعنى فى وجه زوجته، وفى صدرها، وفى ساقها. وترى هى وجهها فى وجهه وصدره وساقه، لا ينزفون، ولا يتمخطون، وما كان فوق ذلك من الأذى، فهو أبعد.

٦٦ ـ روى فى الخبر: «**أنه لو اطلعت امرأة من أهل الجنة كفّها من السماء، لأضاءت ما بين السماء والأرض**»(٢).

٦٦/ م ـ قال الفقيه: حدثنا الحكيم أبو الفضل الحدادى، حدثنا محمد بن يحيى المروزى، حدثنا محمد بن نافع النيسابورى، حدثنا مصعب بن كرام، حدثنا داود الطائى، عن الأعمش، عن ثمامة بن عقبة، عن زيد بن أرقم، قال: جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبى ﷺ فقال: يا أبا القاسم، أتزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟

---

(١) يغنى عنه حديث صهيب(٦٣).

(٢) صحيح * أحمد (١/ ١٦٩ ، ١٧١) والترمذى (٢٥٣٨) بنحوه عن سعد . وانظر. صحيح الجامع (٥٢٥١)

فقال « **نعم، والذى نفس محمد بيده، إنّ أحدّهم ليعطى قوة مئة رجل فى الأكل، والشرب، والجماع**». قال: فإن الذى يأكل ويشرب يكون له حاجة، والجنة طيبة ليس فيها أذى، قال. « **حاجة أحدهم؛ عرق هو كريح المسك** »(١).

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبى معاوية، عن الأعمش، عن أبى الأشرس، عن معتب بن سمى، فى قوله تعالى: ﴿ **طُوبىَ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴾ [الرعد: ٢٩]، قال: طوبى شجرة فى الجنة، ليس فى الجنة دار إلا يظلهم غصن من أغصانها، فيها من ألوان الثمار، ويقع عليها طير كأمثال البخت، فإذا اشتهى أحدهم طيرا دعاه، فوقع على خوانه، فيأكل من أحد جوانبه قديداً، ومن الآخر شواء، ثم يعود طيرا فيذهب.

٦٧ - وروى الأعمش عن أبى صالح، عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن النبى ﷺ قال: «**أول زمرة تدخل الجنة من أمتى على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على صورة أشدّ نجم فى السماء إضاءة، ثم هم بعد ذلك على منازل، لا يبولون ولا يتغوّطون ولا يبزقون ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ومجامرهم الألوّة، ورشحهم المسك، وأخلاقهم على خلق رجل واحد على طول آدم عليه السلام ستون ذراعاً**» (٢).

٦٨ - وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة شبان جرد مرد، ليس لهم شعر إلا فى الرأس والحاجبين وأهداب العينين، يعنى ليس لهم شعر عانةولا إبط على طول آدم، ستون ذراعاً. وعلى مولد عيسى ابن مريم، ثلاثة وثلاثين سنة، بيض الألوان، خضر الثياب، يضع أحدهم مائدة بين يديه، فيقبل طائر؛ فيقول: ياولى الله، أما إنى قد شربتُ من عين السلسبيل، ورعيتُ من رياض الجنة تحت العرش، وأكلتُ من ثمار كذا، طعم أحد الجانبين مطبوخ، وطعم الجانب الآخر مشوى، فيأكل منها ما شاء الله وعلى الولى سبعون حلة، ليس فيها حلة على لون آخر، فى أصابعهم عشرة خواتيم؛ مكتوب على الأول﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[الرعد: ٢٤] ومكتوب فى الثانى: ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ﴾[الحجر: ٤٦] وفى الثالث: ﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِى أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] وفى الرابع: رفعت عنكم الأحزان والهموم وفى الخامس: ألبسناكم الحلى والحلل وفى السادس:**

(١) صحيح* أحمد (٤/ ٣٧١) وأبو نعيم فى «صفة الجنة» (٣٢٩) وابن المبارك (١٤٥٩) وابن حبان (٢٦٣٧) والحاكم والطبرانى (٥/ ١٧٨) انظر. الترغيب للمندرى (٤/ ١١٥) والمجمع(١٠/ ٤١٦)

(٢) متفق عليه * البخارى (٦/ ٣٣٢٧) ومسلم (٤/ ٢٨٣٤).

زوّجناكم الحور العين . وفى السابع: ﴿ وفيهَا مَا تَشْتَهِيه الأنفُسُ وَتَلذُّ الأعْيُنُ وأَنْتُم فيهَا خَالدُونَ﴾[الزخرف: ٧١] وفى الثامن: رافقتم النبيين والصديقين وفى التاسع: صرتم شَباناً لا تهرمون. وفى العاشر:سكنتم فى جوار من لا يؤذى الجيران»(١).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: من أراد أن ينال هذه الكرامات، فعليه أن يداوم على خمسة أشياء:

الأول: أن يمنعَ نفسه من جميع المعاصى. قال تعالى: ﴿ وَأَما مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى . فَإِنَّ الجَنَّةَ هى المَأْوَى ﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

والثانى: أن يرضى باليسير مِنَ الدُّنيا، لأنه روى فى الخبر: أن ثمن الجنة ترك الدنيا.

والثالث: أن يكون حريصاً على الطاعات، فيتعلق بكل طاعة، لعل تلك الطاعة تكون سبباً للمغفرة، ووجوب الجنة، قال الله تعالى :﴿ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتى أُورِثْتُمُوهَا بمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف : ٧٢] وفى آية أخرى: ﴿ جَزَاءً بمَا كَانُوا يَعْمَلُون﴾ [الأحقاف : ١٤] وإنما ينالون ماينالون بالاجتهاد فى الطاعات .

والرابع: أن يحبّ الصالحين وأهلّ الخير، ويخالطهم ويجالسهم، فإنّ واحداً منهم إذا غفر له يشفع لأصحابه وإخوانه كما روى عن النبى ﷺ أنه قال: « **أكثروا من الإخوان، فإن لكل أخ شفاعة يوم القيامة** »(٢).

والخامس: أن يكثرَ الدّعاء، ويسأل الله تعالى أن يرزقه الجنة، وأن يجعل خاتمته إلى خير.

وقال بعض الحكماء: الركون إلى الدنيا مع مايعاين من الثواب جهل، وإنّ ترك الجهد فى الأعمال بعدما عرف ثوابه عجز، وإنّ فى الجنة راحة مايجدها إلا من لم يكن له فى الدنيا راحة، وفيها غنى لا يجده إلا من ترك فضول الدنيا، واقتصر على اليسير من الدنيا .

وذكر عن بعض الزهاد أنه كان يأكل بقلاً وملحاً من غير خبز، فقال له رجل: اقتصرت على هذا ! فقال: لأنى جعلتُ الدنيا للجنّة، وأنتَ جعلتَ الدنيا للمزبلة.

---

(١) ضعيف* أبو نعيم فى « صفة الجنة » (٢٦٠) مختصراً فى سنده (جسر بن فرقد) ضعيف.

(٢) موضوع* الحاكم فى « تاريخه» عن أنس بنحوه انظر ضعيف الجامع (١١١٨)

يعنى : تأكل الطيبات، فتصير إلى المزبلة، وإنّى لآكلُ لإقامة الطاعة، لعلىّ أصير إلى الجنة.

وذكر عن إبراهيم بن أدهم، رحمه الله تعالى، أنه أراد أن يدخل الحمام، فمنعه صاحبُ الحمام، وقال: لا تدخل إلا بالأجرة. فبكى إبراهيم، وقال اللهم لا يؤذن لى أن أدخل بيت الشياطين مجانا، فكيف لى بالدخول بيت النبيين والصديقين مجاناً!.

وذكر أن فى بعض ما أنزل الله على بعض أنبيائه عليهم السلام: يابن آدم تشترى النار بثمن غال، ولا تشترى الجنة بثمن رخيص!.

وتفسير ذلك: أن فاسقاً لو أرادَ أن يتّخذ ضيافةً للفساق، فربما ينفق فيها المئة أو المئتين، فهو يشترى النار بثمن غال، ولو أنه اتخذ ضيافةً لأجل الله تعالى بدرهم أو درهمين، فيدعو إليها بعض المحتاجِين، فيكون ذلك ثمن الجنة.

وروى عن أبى حازم أنه قال: لوكانت الجنةُ لا يدخلها إحدٌ إلا بترك جميع ما يحبّ من الدنيا، لكان يسيراً فى جانبها، ولو كانت النارُ لا ينجو منها أحدٌ إلا بتحمّل جميع مايكره، لكان يسيراً فى جانبها. فكيف وقد تدخل الجنة بترك جزء من ألف جزء مما تحبّ، وقد تنجو من النار بتحمل جزء من ألف جزء مماتكره ؟!

قال يحيى بن معاذ الرازى: ترك الدنيا شديد ، ترك الجنة أشد منه، وإنَّ مهرَ الجنة تركُ الدنيا .

٦٩ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « **مَن سأل الله تعالى الجنة ثلاث مرات، قالت الجنة: اللهم أدخله الجنة. ومَن استجار من النار ثلاث مرات، قالت النّار: اللهم أجره من النّار** »(١).

فنسأل الله تعالى أن يجيرنا من النار، وأن يدخلنا الجنة. ولو لم يكن فى الجنة سوى لقاء الإخوان واجتماعهم لكان هنيئاً طيباً. فكيف وفيها مافيها من فنون الكرامات.

٧٠ ـ وروى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن فى الجنة أسواقاً لا شراءَ فيها ولا بيع، يجتمعون فيها حلقاً حلقاً، يتذاكرون كيف كانت الدنيا، وكيف كانت عبادةُ الرب، وكيف كان فقراء الدنيا وأغنياؤها، وكيف كان الموت، وكيف صرنا بعد طول البلى إلى الجنة** »(٢).

---

(١) صحيح* الترمذى (٢٥٧٢) والنسائى (٨/ ٢٧٩) وابن ماجه (٤٣٤٠) انظر : المشكاة (٢٤٧٨).
(٢) لم أقف على إسناده .

٧١ ـ قال الفقيه: أخبرنا الثقة بإسناده عن أسباط ، عن السدى، عن مرة، عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: يرد الناس جميعاً الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يمرّون على الصراط بأعمالهم؛ فمنهم مَن يمرّ مثل البرق، ومنهم مَن يمرّ مثل الريح، ومنهم مَن يمرّ مثل الطير، ومنهم مَن يمرّ كأجود الخيل، ومنهم مَن يمرّ كأجود الإبل، ومنهم مَن يمرّ كعدو الرجل، حتى إن آخرهم رجل يمرّ على موضع إيهامى قدميه،[ومنهم من يمر] فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلّة، حدّه كحد السيف، عليه حسك كحسك القتاد، على حافتيه ملائكة، معهم كلاليب من نار، يختطفون بها الناس، فمن بين مارّ ناج، ومن بين مخدوش ناج، ومن بين مكدوس فى النار والملائكة يقولون: رب سلِّم سلِّم فيمرّ رجل،وهو آخر أهل الجنة دخولاً، فإذا جازَ الصِّراطَ رفع له باب من الجنة،فلا يدرى أله فى الجنة مقعد، فإذا نظر إليها قال: ربّ أنزلنى هاهنا، فيقول له: فلعلك إن أنزلتك هنا تسألنى غيره،فيقول: لا، وعزّتك فينزله، ثم يرفع له فى الجنة منازل،فيتحاقر إليه ماأعطى مما يرى،فيقول: ربّ أنزلنى هناك فيقول: فلعلك إن أنزلتك هاهنا أن تسألنى غيره فيقول: لا، وعزّتك فينزله، ثم يرفع له فى الجنة حتى الرابعة،فإذا كانت الرابعة، رفع له، فيتحاقر إليه كلّ شىء أعطى، فيسكت، فلايسأل شيئاً، فيقول له: ألاتسأل؟، فيقول: سألتُ حتى استحييتُ. فيقول الله تعالى: لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها. فهذا أوضعُ أهل الجنة منزلاً.

قال عبد الله بن مسعود: كان النبى ﷺ لا يتحدّث بذلك إلا ضحك حتى بدت نواجذه(١).

٧٢ ـ وروى فى الخبر: إن نساء أهل الدنيا، من جعل منهن فى الجنة، يفضلن على الحور العين، بأعمالهن فى الدنيا (٢).

قال تعالى: ﴿ إِنَا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاء فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً. عُرُباً أَتْرَاباً. لأصْحَابِ اليَمِين﴾ [الواقعة٣٥ ـ ٣٨] .

❊ ❊ ❊

---

(٢) صحيح❊ مسلم (١٨٧) بنحوه عن ابن مسعود مرفوعاً.

(٣) دكره القرطبى فى « التذكرة» موقوفا عن عائشة .

باب ما يرجى من رحمة الله تعالى

٧٣ ـ قال الفقيه: أخبرنا الخليل بن أحمد، قال: أنبأنا ابن معاذ، قال: حدثنا الحسين المروزى، قال: حدثنا حجاج بن أبى منيع، عن جده، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**جعل الله الرحمة مئة جزء، فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءاً، وأنزل إلى الأرض جزءاً واحداً، فبه يتراحم الخلق، حتى إن الفرسَ لترفعُ حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه**» (١).

٧٤ ـ قال الفقيه ـ رحمه لله ـ: حدثنا الخليل، حدثنا الدبيلى، حدثنا عبدالحميد، حدثنا الأسود، عن عوف الأعرابى، عن الحسن، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى مئة رحمة، أهبط منها رحمة واحدة إلى أهل الدنيا، فوسعتهم إلى آجالهم، وإن الله لقابضٌ تلك الرحمة يوم القيامة، فيضمّها إلى التسعة والتسعين، فيكملها مئة رحمة لأوليائه، وأهل طاعته**» (٢).

قال الفقيه رحمه الله: قد بيّن النبى ﷺ ما أعدّ الله للمؤمنين من الرحمة؛ ليحمدوا الله على ما آكرمهم به من رحمته، ويشكروه، ويعملوا عملاً صالحاً، لأنَ من يرجو رحمته، فإنّه يعمل ويجتهد، لكى ينالَ من رحمته، لأن الله تعالى يقول: ﴿**إنّ رحمةَ الله قريبٌ من المحسنين**﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿ **فمن كان يرجو لقاءَ ربّه فليعملْ عملاً صالحاً**﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ [الأعراف: ١٥٦] يعنى: لكلّ شىء نَصيبٌ من رحمة الله تعالى.

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ **وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ تطاول إبليس ـ عليه اللعنة ـ وقال: أنا شىء من الأشياء، يكون لى نصيبٌ من رحمته، وتطاول اليهود والنصارى، فقالوا: إنا شىء من الأشياء، ويكون لنا نصيبٌ من رحمته فلما نزل قوله تعالى: ﴿ **فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ**﴾ يعنى: سأجعل رحمتى للذين يتقون الشّرك، ﴿**ويؤتون**﴾ يعنى يعطو ﴿**الزكاة**﴾، ﴿ **والذين هم بآياتنا يؤمنون**﴾ يعنى يصدّقون بآيات الله، فيئس إبليس من رحمته، وقالت اليهود والنصارى: نحن نتقى الشرك، ونؤتى الزكاة، ونؤمن بآياته.

---

(١) متفق عليه* البخارى (١٠/ ٦٠٠٠ وطرفه) ومسلم (٤/ ٢٧٥٢).

(٢) صحيح * وصله الحاكم (١/ ٥٦) من طريق عوف عن محمد بن سيرين وخلاس عن أبى هريرة.

ثم نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ﴾[الأعراف: ١٥٧] يعنى الذين يصدّقون بمحمد ﷺ، فيئس اليهود والنصارى، وبقيت الرحمة للمؤمنين خاصّة.

فالواجبُ على كلّ مؤمن أن يحمدَ الله تعالى على ما أكرمه به من الإيمان وجعل اسمه من جملة المؤمنين، ويسأل ربّه أن يتجاوزَ عن ذنوبه.

كما روى عن يحيى بن معاذ الرازى - رحمه الله تعالى - أنه كان يقول: إلهى قد أنزلت علينا رحمة واحدة، وأكرمتنا بتلك الرحمة، وهى الإسلام، فإذا أنزلت علينا مئة رحمة، فكيف لا نرجو مغفرتك؟

وذكر عنه أنه قال: إلهى إن كان ثوابُك للمطيعين، ورحمتك للمذنبين، فإنى - وإن كنتُ لستُ مطيعاً - لأرجو ثوابك، فأنا من المذنبين؛ فأرجو رحمتك.

وذُكِر عنه أنه قال: إلهى خلقتَ الجنة، وجعلتها وليمةً لأوليائك، وآيست الكفار منها، وخلقت ملائكتك غير محتاجين إليها، وأنت مستغنٍ عنها، فإن لم تعطنا الجنة، فلِمَن تكون الجنة؟

٧٥ - قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا أبو بكر السراج، حدثنا عبدالله ابن الحكم، حدثنا معاوية بن هشام، عن سفيان، عن فراس بن يحيى، عن عطية، عن أبى سعيد الخدرى - رضى الله عنه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لقد دخل رجل الجنة، ماعمل خيراً قط إلا التوحيد، قال لأهله حين حضره الموت: إذا أنا متّ فاحرقونى بالنار، ثم اسحقونى، ثم ذروا نصفى فى البحر، ونصفى فى البر، فلما مات فعلوا ذلك، فأمر الله تعالى البر والبحر فجمعاه، فقال: ماحملك على ما صنعت؟ قال: مخافتك يارب، فغفر الله له بذلك**»(١).

٧٦ - قال الفقيه أبو جعفر: حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القارىء، حدثنا محمد بن شاذان، حدثنا محمد بن مقاتل، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن مصعب ابن ثابت، عن عاصم بن عبيد الله، عن عطاء، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ قال: اطلع علينا رسول الله ﷺ، ونحن نضحك، فقال: «**أتضحكون والنار من ورائكم؟ والله لا أراكم تضحكون**» ثم أدبر، فكأن على رؤوسنا الرَّخَم، ثم رجع إلينا القهقرى، وقال: «**جاءنى جبريل - عليه السلام - وقال: إن الله تعالى يقول لك: يامحمد لم تقنط عبادى من رحمتى؟ ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ**

---

(١) متفق عليه: البخارى (٦/ ٣٤٨١) ومسلم (٤/ ٢٧٥٥) عن أبى هريرة، ومسلم (٢٧٥٧) عن أبى سعيد

عَذَابى هُوَ العَذَابُ الأليمُ﴾ [الحجر : ٤٩ ، ٥٠].

٧٧ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثنا أبو جعفر، حدثنا أبو القاسم أحمد بن حمزة، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو عبد الرحمن المقرىء، حدثنا عبد الرحمن ابن زياد بن أنعم الإفريقى، عن عبد الله بن يزيد بن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله عنهم ـ أن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله تعالى لا يتعاظمه ذنب عبده أن لا يغفره، كان رجل فيمن كان قبلكم قتل ثمانية وتسعين نفساً، ثم أتى راهباً فقال له: إنى قتلتُ ثمان وتسعين نفساً، فهل تجد لى من توبة؟ فقال: لا ، قد أسرفت، فقام إليه فقتله. ثم أتى راهباً آخر فقال: إنى قتلتُ تسعة وتسعين نفساً فهل تجد لى من توبة؟ فقال: لا، قد أسرفت، فقام إليه فقلته. ثم أتى راهباً آخر، فقال: إنى قتلتُ مئة نفس، فهل تجد لى من توبة فقال: قد أسرفت، ومأأدرى، ولكن ها هنا قريتان، إحداهما يقال لها بصرة، والأخرى يقال لها كفرة، فأما أهل بصرة، فهم قوم يعملون بأعمال أهل الجنة، لا يلبث فيها غيرهم. وأما أهل كفرة، فهم قومٌ يعملون بأعمال أهل النار، لا يلبث فيها غيرهم . فإن أنت أتيت بصرة، فعملت بأعمالهم، فلا تشكنّ فى توبتك.**

فانطلق الرجل يريدها، فلما كان بين القريتين، أدركه الموت، فاختصمت فيه ملائكة العذاب، وملائكة الرحمة، فسألت الملائكة ربها عنه، فقيل لهم : قيسوا ما بين القريتين، فإلى أيتهما كان أقرب، فهو من أهلها فقاسوا بين القريتين، فوجدوه أقرب إلى بصرة بقدر أنملة، فَكُتِب من أهلها »[1].

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن خزيمة بن خيثمة، حدثنا محمد بن الأزهر، عن يعلى بن عبيد، عن إسماعيل بن خالد، عن عمر، عن معمر ابن عبد الرحمن، عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: ثلاثة أقسمت عليهن، والرابعة لو أقسمت عليها لصدقت:

الأولى: لا يتولى الله أحداً فى الدنيا، فيواليه غيره يوم القيامة.

والثانية: لا يجعل الله ذا السهم فى الإسلام، كمن لا سهم له.

والثالث: لا يحبّ أحدٌ قوماً إلا كان معهم يوم القيامة.

والرابعة: لا يستر الله على عبد فى الدنيا، إلا ستر الله عليه فى الآخرة.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ حدثنا ابن الفضل، حدثنا محمد بن خزيمة بن خيثمة،

(١) متفق عليه* البخارى(٦/ ٣٤٧٠)ومسلم(٤/ ٢٧٦٦) عن أبى سعيد. فى سند المصنف(ابن أنعم): ضعيف

بإسناده عن معاوية بنْ قرة، قال: قال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: أربع آيات فى سورة النساء خير من الدنيا جميعاً. قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً﴾ [النساء: ١١٦].

وقوله عزوجل: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُم إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُم الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً ﴾ [النساء: ٦٤].

وقوله عز وجل : ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ يعنى مادون الكبائر ﴿ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً﴾ [النساء: ٣١] يعنى الجنة.

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللهَ يَجِدِ اللهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء: ١١٠].

٧٨ ـ وروى عن جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « **شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى** »(١).

قال جابر بن عبد الله: من لم يكن من أهل الكبائر، فما له وللشفاعة؟ يعنى لا يحتاج إلى الشفاعة.

٧٩ ـ وروى أنس بن مالك عن النبى ﷺ أنه قال: « **شفاعتى لأهل الكبائر من أمتى، من كذب بها لم ينلها**»(٢).

٨٠ ـ وروى عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ـ رضى الله عنهما ـ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «خرج من عندى خليلى جبريل ـ صلوات الله عليه ـ آنفاً، فقال: يامحمد، والذى بعثك بالحق نبياً، إن لله عبداً من عباده، عَبَدَ الله تعالى خمسمئة سنة على رأس جبل، عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً فى ثلاثين ذراعاً، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، أجرى الله له عيناً عذبة بعرض الأصبح، بماء عذاب، يستنقع فى أسفل الجبل، وشجرة رمان كل يوم يخرج له منها رمانة، فإذا أمسى نزل فأصاب من الوضوء وأخذ تلك الرمانة، فأكلها، ثم قام لصلاته، فسأله ربه أن يقبضه ساجداً، وأن لا يجعل للأرض، ولا لشىء على جسده سبيلاً، حتى يبعثه وهو ساجد، ففعل الله ذلك له .

قال جبريل ـ عليه السلام ـ: فنحن نمر عليه إذا هبطنا، وإذا عرجنا، وهو على

(١) **صحيح** * أحمد (٣/ ٣٨٤) والترمذى (٢٤٣٦) وابن ماجه (٤٣١٠) والطيالسى (١٦٦٩) وغيرهم .
(٢) **صحيح** * أبو داود (٤٧٣٩) والترمذى (٢٤٣٥) وابن حبان (٢٥٩٦) صحيح الجامع (٣٧١٤).

حاله في السجود، قال جبريل عليه السلام: فنجد فى العلم أنه يبعث يوم القيامة، فيوقف بين يدى الله تعالى، فيقول الرب تبارك وتعالى: أدخلوا عبدى الجنة برحمتى فيقول العبد: لا، بل بعملى فيقول الله تعالى للملائكته: حاسبوا عبدى بنعمتى عليه، وبعمله . فيجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادته خمسمئة سنة، وبقيت نعمة الجسد.

فيقول: أدخلوا عبدى النار، فيجرّ إلى النار، فينادى: يارب برحمتك أدخلنى الجنة.

فيقول الله تعالى: ردّوه، فيوقف بين يديه تعالى، فيقول: عبدى، من خلقك ولم تكن شيئا؟ فيقول: أنت يارب . فيقول : أكان ذلك بعملك أم برحمتى؟ فيقول برحمتك. فيقول: مَن قوّاك على عبادتى خمسمئة سنة؟ فيقول: أنت يارب . فيقول: من أنزلك فى جبل فى وسط اللجّة، وأخرج الماء العذب من المالح، وأخرج لك. رمانة في كل ليلة، وإنما تخرجْ فى السنة مرة واحدة، وسألتنى أن أقبض روحك ساجداً، ففعلتُ ذلك بك من فعل ذلك؟فيقول: أنت يارب. قال: فكل ذلك برحمتى، وبرحمتى أدخلك الجنة ، أدخلوا عبدى الجنة برحمتى، فنعم العبد كنت يا عبدى فيدخله الله الجنة قال جبريل ـ عليه السلام ـ : إنما الأشياء برحمة الله »[1].

٨١ ـ وروى عن الحسن، عن النبى ﷺ أنه قال: « **ما اجتمع الرجاء والخوف في قلب امرىء مسلم عند الموت، إلا أعطاه الله مايرجو، وصرف عنه ما يخاف**»[2].

٨٢ ـ وروى عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ ـ قال: « **لن ينجو أحدكم بعمله** »، قالوا : ولا أنت يارسول الله؟ قال: « **ولا أنا، إلاَ أن يتغمدنى الله برحمته، فقاربوا، وسدّدوا، واغدوا، وروحوا شيئاً من الدُّلَجة، والقصدَ القصدَ تبلغوا**» [3].

٨٣ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**يسّروا، ولا تعسّروا، وبشّروا، ولا تنفّروا**» [4].

وقال ابن مسعود : لن تزال الرحمة بالناس يوم القيامة، حتى إن إبليس يرفع

---

(١) لا يصح* الحاكم (٤/ ٢٥٠) والعقيلى فى « الضعفاء» (٦٣٨) والبيهقى فى « الشعب» (٤/ ٤٦٢٠) صححه الحاكم وتعقبه الذهبى وانظر : الميزان (٢/ ٢٢٧).

(٢) حسن* عبد بن حميد (١٣٧٠) والترمذى (٩٨٣) وابن ماجه(٤٢٦١) والنسائى فى « اليوم والليلة» (١٠٦٢) والبيهقى فى « الشعب» (١٠٠١، ١٠٠٢) عن أنس مرفوعاً.

(٣) متفق عليه * البخارى (١١/ ٦٤٦٣) ومسلم (٤/ ٢٨١٦).

(٤) متفق عليه* البخارى (٦٩) ومسلم (٣/ ١٧٣٤).

رأسه مما يرى من سعة رحمة الله، وشفاعة الشافعين.

٨٤ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة : يا أمة محمد، أما ما كان لى قبلكم فقد وهبته لكم، وبقيت التبعات فتواهبوها، وادخلوا الجنّة برحمتى**» [١].

وكان فُضَيْل بن عياض ـ رحمه الله ـ يقول: الخوف مادام الرجل صحيحاً أفضل، فإذا مرض وعجز عن العمل؛ فالرجاء أفضل.

يعنى أن الرجل إذا كان صحيحاً كان الخوف أفضل؛ حتى يجتهد فى الطاعات ويجتنب المعاصى، فإذا مرض وعجز عن العمل؛ فالرجاء أفضل .

قال الفقيه رحمه الله: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن ابن أبى روّاد، عن أبيه، قال: أوحى الله تعالى إلى داود النبى عليه السلام :أن يا داود، بشّر المذنبين، وأنذر الصديقين، فقال: وكيف أبشّر المذنبين، وأنذر الصديقين؟ قال: بشر المذنبين، بأنى لا يتعاظمنى ذنب أن أغفره، وأنذر الصديقين بأن لا يعجبوا بأعمالهم. فإنى لا أضعُ عدلى وحسابى على أحدٍ إلا أهلكه.

وروى ابن أبى روّاد، عن أبيه، وعن بعض أهل الكتاب قال: يقول الله تعالى: إنى أنا الله، مالك الملك، قلوب الملوك بيدى ونواصيهم، فأيما قوم رضيتُ عنهم جعلت قلوب الملوك عليهم رحمة، وأيما قوم سخطت عليهم جعلتُ قلوبَ الملوك عليهم نقمة، فلا تشغلوا أنفسكم بلعن الملوك، وتوبوا إلىّ أرفقهم عليكم.

٨٥ ـ وروى العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أنّ النبى ﷺ قال: « **لو يعلم المؤمن ماعند الله من العقوبة، ماطمع فى جنته أحد، ولو يعلم الكافر ماعند الله من الرحمة؛ ماقنط من رحمته أحد**»[٢].

٨٦ ـ وقال: حدثنا أبو يعلى،عن الحسين بن محمد الزبيرى النيسابورى، حدثنا محمد بن يزيد بن محمد الإسفراينى، حدثنا محمد بن عمر الكوفى، حدثنا هارون ابن محمد، عن أحمد بن سهل، قال: رأيت يحيى بن أكثم فى المنام، فقلت له: يايحى مافعل بك ربك؟ قال: دعانى، فقال: ياشيخ السوء، فعلتَ ما فعلتَ. فقلت: يارب، ما بهذا حُدِّثْتُ عنك قال: وبم حُدِّثْتَ؟ قال: قلت: حدّثنى عبد الرزاق، عن

---

(٥) موضوع* انظر الإحياء: ٤/ ٥٣٠ واتحاف السادة المتقين (١/ ٥٦١) .

(٢) **صحيح** * مسلم (٤/ ٢٧٥٥) وغيره .

معمر، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ عن جبريل ـ عليه السلام ـ أنك قلت: «**ما من مسلم يشيب فى الإسلام وأنا أريد أن أعذبه، إلا وأنا أستحى أن أعذبه**» وأنا شيخ كبير قال: صدق عبد الرزاق، وصدق معمر، وصدق الزهرى، وصدق عروة، وصدقت عائشة، وصدق النبى ﷺ وصدق حبريل ـ عليه السلام ـ وصدقت أنا. يايحيى، إنى لا أعذّب مَن شاب فى الإسلام ثم أمر بى بذات اليمين إلى الجنة»[1].

٨٧ ـ وروى عن عمر ـ رضى الله عنه ـ أنه دخل على النبى ﷺ فوجده يبكى، فقال: مايبكك يارسول الله ؟ قال: « **جاءنى جبريل ـ عليه السلام ـ وقال: إن الله يستحى أن يعذّبَ أحداً قد شاب فى الإسلام، فكيف لا يستحى مَنْ شَابَ فى الإسلام أن يعصى الله تعالى** »[2].

قال الفقيه رحمه الله تعالى: فالواجب على الشيخ أن يعرف هذه الكرامة، ويشكر الله، ويستحى من الله عز وجل، ويستحى من الكرام الكاتبين، ويمتنع عن المعاصى، ويكون مُقبلاً على طاعة الله تعالى فإنه لا يدرى متى يأتى أجله، فإن الزرع إذا دنا حصاده لا ينتظر به وكذلك الشاب يجب عليه أن يتقى الله، ويجتنب المعاصى، ويقبل على الطاعة، فإنه لا يدرى متى يأتى أجله، فإنّ الشاب إذا كان مقبلاً على طاعة الله تعالى ويمتنع عن المعاصى، أظله الله يوم القيامة تحت عرشه، كما جاء فى الخبر.

٨٨ ـ قال: حدثنا أبو الحسن القاسم بن محمد بن روزبه، حدثنا عيسى بن خشنام، حدثنا سويد بن مالك، عن خُبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « **سبعة يظلهم الله تعالى يوم القيامة فى ظل عرشه، يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله، ورجل كان قلبه معلقاً بالمسجد إذا خرج منه حتى يعودَ إليه، ورجلان تحابّا فى الله تعالى؛ اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل ذَكر الله ـ عز وجل ـ خالياً ففاضت عيناه، ورجل تصدّق بصدقة فأخفاها؛ حتى لا تعلم شماله مافعلت يمينه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال إلى نفسها، فقال: إنى أخاف الله عز وجل** »[3].

***

---

(١) انظر * كشف الخفاء (١/ ٢٨٤) واللآلىء المصنوعة (١/ ١٣٦) وتاريخ دمشق (٣/ ٢٢٩) .

(٢) انظر * كشف الخفاء (١/ ٢٨٤) .

(٣) متفق عليه * البخارى (٦٦٠) ومسلم (٢/ ١٠٣١).

باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله ـ : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا على بن عاصم، تلميذ أبى حنيفة رضى الله عنه، عن يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبى حكيم، قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه: إن الله تعالى لا يعذّب العامة بعمل الخاصه، ولكن إذا ظهرت المعاصى، فلم ينكروا؛ فقد استحق القوم جميعاً العقوبة.

٨٩ ـ وذكر: «إن الله تعالى أوحى إلى يوشع بن نون عليه السلام: إنى مهلك من قومك أربعين ألفاً من خيارهم، وستين ألفاً من شرارهم فقال: يارب، هؤلاء الأشرار، فما بال الأخيار؟ قال: إنهم لم يغضبوا لغضبى، وآكلوهم، وشاربوهم»(١).

٩٠ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «**مروا بالمعروف وإن لم تعملوا به، وانهوا عن المنكر، وإن لم تنتهوا عنه**»(٢).

٩١ ـ وروى عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إن من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، وإن من الناس ناساً مفاتيح للشر مغاليق للخير، فطوبى لمن جعل الله تعالى مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل الله مفاتيح الشر على يديه**»(٣).

يعنى الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فهو مفتاح للخير ومغلاق للشر، وهو من المؤمنين؛ كما قال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ [التوبة: ٧١].

فأما الذى يأمر بالمنكر، وينهى عن المعروف، [فهو مفتاح للشر]، وهو من علامات المنافقين، كما قال تعالى: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ**﴾ [التوبة: ٦٧].

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ : أفضل الأعمال: الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر وشنآن الفاسق ـ يعنى بغضه ـ فمن أمر بالمعروف فقد شدّ

---

(١) **فيه ضعف*** (من الاسرائيليات) البيهقى فى «الشعب» (٩٤٢٨) عن الوضين بن عطاء.

(٢) **ضعيف جداً*** انظر: المجمع (٧/٢٧٧) وضعيف الجامع (٥٢٥٩)

(٣) **حسن** * ابن ماجه (٢٣٧) والطيالسى (٨٢ ٢) انظر: الصحيحة (١٣٣٢).

ظهر المؤمن، ومن نهى عن المنكر فقد أرغم أنف المنافق.

٩٢ ـ وروى سعيد عن قتادة، قال : ذُكِر لنا أنّ رجلاً أتى النبى ﷺ وهو يومئذ بمكة، فقال: أنت تزعم أنك رسول الله؟ قال: «**نعم**». قال: فأى الأعمال أحبّ إلى الله تعالى ؟ قال: « **الإيمان بالله**» قال: ثم ماذا؟ قال: «**صلة الرحم**» قال: ثم ماذا؟ قال: «**الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر**» قال فأى الأعمال أبغض إلى الله سبحانه وتعالى؟ قال: « **الشرك بالله**». قال : ثم ماذا؟ قال: «**قطيعة الرحم**» قال: ثم ماذا؟ قال: «**ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر** »(١).

قال سفيان الثورى رحمه الله تعالى: إذا رأيت القارىء محبباً فى جيرانه، محموداً عند إخوانه، فاعلم أنه مداهن .

٩٣ ـ قال الفقيه : حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن خزيمة، قال: حدثنا محمد بن الأزهرى، بإسناده عن عبيد الله بن جرير، عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: « **مامن قوم يكون فيهم رجل يعمل بالمعاصى، ويقدرون أن يغيروه فلا يغيرونه: إلاّ عمّهم الله تعالى بعذاب قبل أن يموتوا**»(٢).

قال الفقيه رحمه الله تعالى: قد اشترط النبى ﷺ القدرة؛ يعنى إذا كانت الغلبة لأهل الصلاح، فالواجبُ عليهم أن يمنعوا أهلَ المعاصى من المعصية إذا أظهروها؛ لأنّ الله تعالى مدح هذه الأمة بذلك، فقال: ﴿ **كُنْتُم خَيْرَ أُمَّة أُخْرِجَتْ للنَّاس تَأْمُرُونَ بالْمَعْرُوف وتَنْهَوْنَ عَن الْمُنْكر وتُؤْمنُونَ بالله ولَوْ آمنَ أَهْلُ الكتَاب لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ منْهُمُ الْمُؤْمنُون وأَكْثَرُهُمُ الفَاسقُونَ**﴾ [آل عمران: ١١٠] ويقال معناه : كنتم مكتوبين فى اللوح المحفوظ خير أمةَ أخرجت للناس، يعنى أخرجكم الله تعالى لأجل الناس، تأمرون بالمعروف، يعنى لكى تأمروا بالمعروف؛ أى الطاعات، وتنهوا عن المنكر، يعني تمنعون أهل المعاصى من المعصية .

والمعروف ماكان موافقاً للكتاب والسنة والعقل، والمنكر: ماكان مخالفاً لذلك.

وقال تعالى فى آية أخرى: ﴿ **وَلْتَكُنْ منْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إلَى الخَيْرِ ويَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وأُولَئكَ هُمُ الْمُفْلحُونَ**﴾ [آل عمران : ١٠٤].

(١) إسناده جيد* رواه أبو يعلى بإسناد جيد انظر : الترغيب (٣/ ٢٢٤) والمجمع (٨/ ١٥١) .
(٢) صحيح* أبو داود (٤٣٣٩) وابن ماجة (٤٠٠٩) وانظر : صحيح الجامع (٥٧٤٩).

وهذه اللام: لام الأمر. يعنى: لتكن منكم جماعة يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر .

وقد ذمّ الله تعالى أقواماً بترك الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، فقال: ﴿كَانُوا لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكر فَعَلُوهُ﴾ يعنى لا ينهى بعضهم بعضاً عن منكر فعلوه ﴿ لَبِئْسَ ماكَانُوا يَفْعَلون﴾ [المائدة: ٧٩] وفى آية أخرى: ﴿ لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ والأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الإِثْمَ، وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَاكَانُوا يَصْنَعون﴾ [المائدة: ٦٣].

يعنى: هلا ينهاهم علماؤهم وفقهاؤهم وقراؤهم عن قولهم الفحش، وأكل الحرام.

وينبغى للآمر بالمعروف أن يأمرَ فى السِّرّة إن كان مستطيعاً ذلك ، ليكونَ أبلغ منه فى الموعظة والنصيحة .

قال أبو الدرداء رضى الله عنه: من وعظ أخاه فى العلانية فقد شانه، ومن وعظه فى السر فقد زانه .

فإن لم تنفعه الموعظة فى السر يأمره فى العلانية، ويستعين بأهل الصلاح وأهل الخير ليزجروه عن المعصية، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك غلب عليهم أهل المعصية، فيأتيهم العذاب فيهلكهم جميعاً .

٩٤ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد الدبيلى، حدثنا عبد الله، حدثنا سفيان، عن مجاهد، عن الشعبى، قال: سمعت النعمان بن بشير ـ رضى الله عنه ـ يقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **مثل المدهن فى حقوق الله تعالى والواقع فيها، والقائم عليها، كمثل ثلاثة رجال، كانوا فى سفينة، فاقتسموا منازلهم، وصار لأحدهم أعلاها، ولأحدهم أوسطها، ولأحدهم أسفلها، فبينما هم كذلك، إذ أخذ أحدُهم القدوم، فقالوا له: ماتريد؟ قال: أخرق مكانى خرقاً، فيكون الماء أقرب إلى، ويكون فيها مخلاتى، ومهراق مائى.**

فقال بعضهم : اتركوه ـ أبعده الله ـ يخرق فى حقّه ماشاء. وقال بعضهم : لا تدعوهُ يخرقها ، فيهلكنا، ويهلك نفسه فإن هم أخذوا على يديه، نجا ونجوا، وإن هم لم يأخذوا على يديه هلكوا وهلك»[1].

---

(١) صحيح* البخارى (٥/ ٢٤٩٣، ٢٦٨٦) المدهن : المرائى ، يضيع الحقوق ولا يغير المنكر.

٩٥ ـ وروى عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ أنه قال : لتأمرن بالمعروف، وتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم سلطاناً ظالماً، لا يجل كبيركم، ولا يرحم صغيركم، ويدعو خياركم فلا يستجاب لهم، ويستنصرون فلا ينصرون، ويستغفرون فلا يغفر لهم »[١].

٩٦ ـ وروى عن حذيفة ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «والذى نفسى بيده، لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، أو ليوشكنّ أن يبعثَ الله عليكم عقاباً من عنده، ثم لتدعُونَه فلا يستجيبُ لكم» [٢]

٩٧ ـ وروى عن على ـ كرم الله وجهه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا هابتْ أمتى أن يقولوا للظّالم: أنتَ ظالمٌ، فقد تودّع منهم »[٣].

٩٨ ـ وروى أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحدُكم منكراً فليغيّره بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه، فإن لم يستطعْ فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان »[٤] يعنى : أضعف فعل أهل الإيمان.

قال بعضهم: التغييرُ باليد للأمراء، وباللسان للعلماء، وبالقلب للعامة.

قال بعضهم: كلّ مَن قدر على ذلك؛ فالواجبُ عليه أن يغيرّه.

قال الفقية رحمه الله: ينبغى للذى يأمر بالمعروف، أن يقصد به وجه الله تعالى، وإعزاز الدين، ولا يكون لحمية نفسه. فإنه إن قصد به وجهَ الله، وإعزازَ الدين، نصره الله تعالى، ووفّقه لذلك، وإن كان أمره لحمية نفسه، خذله الله تعالى.

فإنه بلغنا عن عكرمة ـ رضى الله عنه ـ أنّ رجلاً مرّ بشجرة تُعْبَدُ من دون الله تعالى، فغضب لله، وقال: هذه الشجرة تُعبد من دون الله تعالى، ثم إنه أخذ فأسه، وركب حماره، ثم توجه نحو الشجرة ليقطعها، فلقيه إبليس ـ عليه اللعنة ـ فى الطريق على صورة إنسان، فقال له : إلى أين ؟ فقال: رأيت شجرة تُعبد من دون الله عز وجل، فأعطيت الله عهداً أن أركبَ حمارى، وآخذ فأسى، وأتوجّه نحوها، فأقطعها، فقال له إبليس: مالك ولها؟ دَعْها ومن يعبدها، أبعدهم الله تعالى، فلم

---

(١) ضعيف * البزار (٣٣٠٧) عن أبي هريرة . انظر : المجمع (٧/ ٢٦٦) وضعيف الجامع (٤٦٥٠).
(٢) حسن* الترمذى (٢١٦٩) وأحمد (٥/ ٢٨٨) . انظر : المشكاة (٥١٤٠).
(٣) إسناده لا بأس به* أحمد (٢/ ١٩٠) والحاكم (٤/ ٩٦) والبزار (٣٣٠٢ ـ كشف).
(٤) صحيح* مسلم(٤٩)وأبو داود (١١٤٠) والترمذى(٢١٧٢) والنسائى(٨/ ١١١) وابن ماجه(١٢٧٥، ٤٠١٣).

يرجع، قال إبليس ـ لعنه الله ـ : ارجع وأنا أعطيك كل يوم أربعة دراهم، فترفع كل يوم طرف فراشك فتأخذها فقال : أو تفعل ذلك؟ قال : نعم ضمنت لك ذلك كل يوم، فرجع إلى منزله، فوجد ذلك يومين، أو ثلاثة، أو ماشاء الله.

فلما أصبح بعد ذلك، رفع طرفَ فراشه، فلم يَرَ شيئاً، ثم نكث يوماً آخر، فلما رأى أنه لا يجد الدراهم أخذ الفأس، وركب الحمار، وتوجّه نحو الشجرة، فلقيه إبليس على صورة إنسان، فقال له: أين تريدُ؟ قال: شجرة تُعْبَدْ من دون الله تعالى؛ أريدُ قطعها، فقال له إبليس: لاتطيقُ ذلك أما أول مرة، فكان خروجُك غضباً لله تعالى، فلو اجتمعَ أهل السموات والأرض ماردّوك وأما الآن، فإنما خروجُك لنفسك، حيث لم تجد الدراهمَ، فلئن تقدّمت لندقن عنقك فرجع إلى بيته، وترك الشجرة[1].

قال الفقية: فالذى يأمر بالمعروف يحتاج إلى خمسة أشياء.

أولها: العلم، لأن الجاهل لا يحسن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

الثانى: أن يقصد به وجه الله تعالى، وإعزاز الدين.

الثالث: الشفقة على من يأمره، فيأمره باللين والتودّد، ولا يكون فظّاً غليظَ القلب؛ لأنّ الله تعالى قال لموسى وهارون ـ عليهما السلام ـ حين بعثهما إلى فرعون: ﴿ **فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَيِّناً**﴾ [طه: ٤٤].

الرابع: أن يكونَ صبوراً حليماً؛ لأن الله تعالى قال فى قصة لقمان ـ عليه السلام: ـ ﴿ **وَامُرْ بالمَعْرُوفِ وَانْه عن المُنْكَرِ واصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ**﴾ [لقمان: ١٧].

الخامس: أن يكون عاملاً بما يأمر به؛ لكيلا يعيّر به، ولا يدخل تحت قوله تعالى: ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بالبِرِّ، وَتَنْسونَ أَنْفُسَكُمْ** ﴾ [البقرة: ٤٤].

٩٩ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « **رأيتُ ليلة أسرى بى إلى السماء رجالاً تقرض شفاههم بالمقاريض، فقلت: مَن هؤلاء يا جبريل؟ قال: خطباء أمتك، الذين كانوا يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، وهم يتلون الكتاب، فلا يعقلون ؟**» يعنى يتلون كتاب الله، وهم لا يعملون بما فيه .

وقال قتادة : ذُكر لنا أنّ فى التوراة مكتوباً: يابن آدم، تُذَكِّرُ بى وتنسانى، وتدعو إلىّ وتفرّ منى، فياطل ما تذهبون إليه .

---

(١) **ضعيف** * رواه اس آبى الدنيا فى «مكائد الشيطان»(٦) وعنه ابن الحوزى فى «تلبيس إبليس» (ص٣٣ بتحقيقى) علته: عنعنة (المبارك بن فصالة) يدلس، ويسوى فى روايته .

١٠٠ ـ وروى أبو معاوية النزارى، بإسناده عن النبى ﷺ أنه قال: «أنتم اليوم على بيّنة من ربكم ـ يعنى على بيان من ربكم ـ قد بيّن الله تعالى طريقكم، ما لم تظهر فيكم السكرتان: سكرة العيش، وسكرة الجهل. فأنتم اليوم تأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر، وتجاهدون فى سبيل الله، وستحولون عن ذلك إذا فشا فيكم حبّ الدنيا، فلا تأمرون بالمعروف ولا تنهون عن المنكر، وتجاهدون فى غير سبيل الله والقائمون يومئذ بالكتاب، سراً وعلانية، كالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار»(١).

١٠١ ـ وروى الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «من فرّ بدينه من أرض إلى أرض، وإن كان شبراً، فقد استوجبَ الجنّة، وكان رفيقَ إبراهيم ومحمّد عليهما الصلاة والسلام»(٢).

يعنى أن إبراهيم هاجر من أرض حرّان إلى أرض الشام، وهو قوله تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى إِنَّهُ هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [العنكبوت: ٢٦] وقال: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الصافات: ٩٩] يعنى إلى طاعة ربى ورضاه. وقد هاجر النبىّ ﷺ من مكة إلى المدينة.

فمن كان فى أرض ظَهَر فيها المعاصى، فخرج منها ابتغاءَ مرضاة الله تعالى، فقد اقتدى بإبراهيم ومحمد المصطفى ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ فيكون رفيقهما فى الآخرة فى الجنة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾[النساء: ١٠٠].

يعنى من يخرج إلى طاعة الله ورسوله، ثم يموت، فقد وَجَبَ ثوابُه على الله تعالى.

١٠٢ ـ وقال النبى ﷺ: «أيما مسلم خرج من بيته مهاجراً إلى الله تعالى ورسوله، ووضع رجله فى غرز راحلته، ولو خطوة واحدة، ثم نزل به الموت، أعطاه الله مثل أجور المهاجرين. وأيما مسلم يخرج من بيته قاصداً فى سبيل الله، فوقصته دابته قبل القتال، أو لدغته هامة، أو مات كيفما مات، فهو شهيد. وأيما مسلم خرج من بيته إلى

---

(١) ضعيف* أبو نعيم فى «الحلية»(٨/ ٤٨، ٤٩) حديث عن عائشة وعروة وأنس ومعاذ، ورواه الحكيم الترمذى فى «نوادر الأصول» (٢٣٤) ولا تخلو من علة.

(٢) ضعيف* أرسله الحسن. وكان يدلّس.

بيت الله الحرام، ثم نزل به الموت قبل بلوغه، أوجب الله تعالى له الجنة»[١].

قال الفقيه رحمه الله تعالى: ومن لم يهاجر من أرضه، وهو يقدر على أداء فرائض الله تعالى، فلا بأس أن يقيم هناك، ويكون كارها لمعاصيهم، فهو معذور.

وروى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: بحسب امرىء منكم أنه إذا رأى منكراً لا يستطيع له تغييراً أن يعلمَ الله من قبله أنه كاره.

وروى عن بعض الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ أنه قال: إذا رأى أحدكم منكراً، لا يستطيع النكير عليه، فليقل ثلاث مرات: اللهم إن هذا منكر، فلا أرضى به، فإذا قال ذلك؛ فله ثوابُ مَن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

١٠٣ ـ وروى عن عمرو بن جارية اللخمى، عن أبى أمية، قال: سألت أبا ثعلبة الخُشنى عن هذه الآية: ﴿ **يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥] فقال: لقد سألتَ عنها خبيراً، فلقد سألت عنها رسولَ الله ﷺ فقال: « **يا أبا ثعلبة، ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، فإذا رأيت دنيا مؤثرة، وشحّاً مطاعاً، وإعجاب كلّ ذى رأى برأيه، فعليك نفسك، فإنّ من بعدكم أيام الصبر، وللمتمسك يومئذ بمثل الذى أنتم عليه اليو كأجر خمسين عاملاً منكم** » فقالوا: يارسول الله، كأجر خمسين عاملاً منهم أو منا؟ فقال ﷺ : « **كأجر خمسين عاملاً منكم**»[٢].

١٠٤ ـ وعن قيس بن أبى حازم، قال: سمعت أبا بكر الصديق ـ رضى الله عنه يقول : إنكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها فى غير موضعها ﴿ **ياأيّها الذين آمَنوا عَلَيْكُم أَنْفُسَكُم لاَ يَضُرُّكُم مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى الله مَرْجِعُكُم جَمِيعاً** ﴾ [المائدة: ١٠٥] وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **مامن قوم يعمل فيهم بالمعاصى، ولا يغيرونها، إلا أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه**» [٣].

وعن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه سئل عن هذه الآية، فقال: ليس ذا زمان ذلك، ولكن إذا كثرت أهواؤهم، وألفوا الجدل فعلى كل امرىء نفسه، جاء تأويلها.

---

(١) **إسناده ضعيف*** أحمد (٤٠/٣٦) من حديث محمد بن عبد الله بن عتيك عن أبيه .فيه علتان **الأولى**: تدليس (ابن إسحاق) فقد عنعنه **والثانية** : جهالة (محمد) تفرد عنه إبراهيم بن محمد بن الحارث

(٢) **ضعيف*** أبو داود (٤٣٤١) والترمذى (٣٠٥٨) وابن ماجه (٤٠١٤) انظر: ضعيف ابن ماجه (٨٦٩) لكن فقرة « أيام الصبر » ثابتة، الصحيحة (٤٩٤) .

(٣) **صحيح*** أحمد (٢ ـ وغيره) وأبو داود (٤٣٣٨) والترمذى (٢١٦٨، ٣٠٥٧) وابن ماجه (٤٠٠٥) وابن حبان (١٨٣٧) وانظر . صحيح سنن أبى داود (٣٦٤٤).

باب التوبة

قال الفقيه أبو الليث ـ رحمه الله تعالى ـ : حدثنا الفقيه أبو جعفر، [عن أحمد ابن حمزة]، حدثنا نصير بن يحيى، حدثنا أبو مطيع، عن حماد بن سلمة، عن حميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير، قال: قال آدم ـ صلوات الله وسلامه عليه: يا ربِّ إنك سلطت عليَّ إبليس، ولا أستطيع أن أمتنع منه إلا بك. قال: لا يولد لك ولد، إلا وكّلت عليه من يحفظه من مكر إبليس ـ عليه اللعنة ـ ومن قرناء السوء.

قال: يارب، زدني، قال: الحسنة بعشر أمثالها، وأزيدها، والسيئة بواحدة، أو أمحوها.

قال: يارب زدني. قال: التوبة مقبولة مادامت الروحُ في الجسد.

قال: يارب زدني. قال: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِم لاتَقْنَطُوا مِن رَحْمَةِ اللّهِ إنْ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيم﴾ [الزمر: ٥٣] (١).

١٠٥ ـ قال الفقيه: وحدثني الثقة بإسناده، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن وحشيًا، قاتل حمزة عمّ النبي ﷺ كتب إلى رسول الله ﷺ من مكة: إني أريد أن أسلم، ،لكني يمنعني عن الإسلام آية من القرآن نزلت عليك، وهي قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لايَدْعُونَ مَعَ الله إلهًا آخَرَ وَلايَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللّهُ إلا بالْحَقِّ وَلايَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلكَ يَلْقَ أَثامًا﴾ [الفرقان: ٢٥] وإني فعلت هذه الأشياء الثلاثة، فهل لي من توبة؟، فنزلت هذه الآية ﴿إلاَّ مَنْ تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالحًا فَأُولَئكَ يُبَدِّلُ اللّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَات﴾ [الفرقان: ٧٠].

فكتب بذلك إلى وحشي. فكتب إليه: إنَّ الآية شرطًا، وهو العمل الصالح، ولا أدري هل أقدرُ على العمل الصالح أم لا؟ فنزل قوله تعالى: ﴿إنَّ اللهَ لايَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ به، ويَغْفِرُ مَادُونَ ذَلكَ لمَنْ يَشَاء﴾ [النساء: ٤٨] فكتب بذلك إلى وحشي. فكتب إليه: إن في الآية شرطًا أيضًا، فلا أدري أيشاء الله أن يغفر لي أم لا. فنزل قوله تعالى: ﴿قُلْ ياعبَادِيَ الَّذينَ أَسْرفُوا عَلى أَنْفسهمْ لاتقْنطوا منْ رحْمَةِ الله إنَّ اللهَ يَغفُرُ الذُّنُوبَ جَميعًا، إنَه هُوَ الغَفُور الرَّحِيم﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) إسناده صحيح*. عزاه ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٦١) إلى ابن أبي حاتم. والأثر من الإسرائيليات التي يقف حيالها المرء غير مصدق أو مكذب. قلت. توبع (أبو مطيع)

فكتب إلى وحشى، فلم يجدْ فيها شرطا. فقدم إلى المدينة؛ وأسلم [(١)] .

١٠٦ ـ قال الفقيه: أنبأنا الخليل بن أحمد، أنبأنا ابن معاذ، أنبأنا الحسين المروزى، حدثنا عبدالله بن سفيان، قال: كتب محمد بن عبدالرحمن السلمى إلىّ، قال: حدثنا أبى. قال : جلست إلى نفر من أصحاب النبى ﷺ بالمدينة، فقال رجل منهم سمعت رسول الله ﷺ يقول « **من تاب قبل موته بنصف يوم تاب الله عليه**» قال: قلت: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول؟ قال: نعم، فقال رجل آخر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه**» فقال رجل آخر: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**من تاب قبل الغرغرة تاب الله عليه**» [(٢)] .

١٠٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بن أحنف، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سعيد بن سالم القداح، عن بشير بن جبلة، عن عبدالعزيز ابن إسماعيل، عن محمد بن مطرف، قال: قال الله تعالى: ويح ابن آدم، يذنب الذنب، فيستغفرنى، فأغفر له ، ثم يعود فيستغفرنى فأغفر له، ويحه، لاهو يترك ذنبه، ولا هو ييأس من رحمتى، أشهدكم ياملائكتى أنى قد غفرت له [(٣)] .

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن رجل، عن مغيث بن سمى، قال: كان ممن كان قبلكم يعمل بالمعاصى، فبينما هو يسير ذات يوم، إذا تفكر فيما سلف ، فقال: اللهم غفرانك، ثلاث مرات، فأدركه الموت على تلك الحالة، فغفر الله له [(٤)] .

وروى له عن محمد بن عجلان، عن مكحول، قال: بلغنى أن إبراهيم عليه السلام، لما عرج به إلى ملكوت السموات، أبصر عبدًا يزنى، فدعا عليه، فأهلكه الله تعالى، ثم رأى عبدًا يسرق، فدعا عليه، فأهلكه الله تعالى .

فقال الله تعالى: يا إبراهيم، دَعْ عنك عبادى، فإنّ عبدى بين ثلاث خصال: بين أن يتوب فأتوب عليه، وبين أن أستخرج له ذرية تعبدنى، وبين أن يغلب عليه الشقاء؛ فمن ورائه جهنم. [(٥)] .

---

(١) **ضعيف*** الواحدى فى « أسباب النزول»(ص٢٨١) دلسه ابن جريج، فقد عنعنه وأحرجه الطبرابى فى «الكبير» (١١٤٨٠) وفيه أبين بن سفيان. انظر . المجمع (٧/ ١٠١).

(٢) عزاه صاحب « كنز العمال» (١٠٢٦١ , ٢٦٥ ١) إلى البغوى والخطيب وله شواهد صحيحة

(٣) **ضعيف*** فيه علتان. (سعيد بن سالم القداح) صدوق لهم و(بشر بن حبلة) مجهول. .

(٤) **ضعيف*** عنعنه الأعمش عن رجل (مع ثقته كان يدلس) . والأثر من الإسرائليات

(٥) إسناده **ضعيف*** فيه (مكحول) وثقه عمر واحد، وضعفه جماعة، وقال الذهبى فى « الميزان» (٤/ ١٧٧) صاحب تدليس والحبر من الإسرائيليات

قال الفقيه رحمه الله تعالى: فى هذا الخبر دليلُ على أنَّ العبدَ إذا تاب، قبلِ الله توبته، فلا ينبغى للعبد أن ييأس من رحمة الله تعالى، فإن الله تعالى قال: ﴿ إنَّه لا ييْأسُ من رَوحِ الله إلاَّ القومُ الكافرون﴾ [يوسف ٨٧] وفى رواية أخرى: ﴿ وهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التوبَةَ عَنْ عِبَاده ويَعْفُوَ عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ [الشورى : ٢٥] .

فينبغى للعاقل أن يتوب إلى الله فى كل يوم ووقت، ولايكون مصرًا على الذنب، فإن الراجعَ عن ذنبه لايكون مصرًّا، وإن عاد فى اليوم سبعين مرة .

١٠٨ ـ كما روى عن أبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « ما أصرّ من استغفر، وإنْ عادَ فى اليوم سبعين مرة » (١)

١٠٩ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال : « والله إنى لأتوبُ إلى الله تعالى فى اليوم مئة مرة » (٢) .

١١٠ ـ وروى على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال: كنتُ إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ شيئاً نفعنى الله به ماشاء الله، فإذا حدثنى غيره حلّفته، فإن حلف صدقته. وحدثنى أبو بكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من عبد يذنب ذنباً، فيتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلى ركعتين، ويستغفر الله، إلا غفر الله له، ثم تلا هذه الآية: ﴿ ومَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِر الله يَجِدِ الله غَفُوراً رَحِيماً﴾ [النساء: ١١٠].

وفى رواية تلا هذه الآية: ﴿ والَّذينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلاَّ الله ولَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ. أُولئكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العَاملينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٥ ـ ١٣٦](٣) .

١١١ ـ وروى الحسن البصرى رحمه الله تعالى عن النبى ﷺ أنه قال: «لما أهبط الله ـ عز وجل ـ إبليس ـ عليه اللعنة ـ قال: بعزّتك إنّى لا أفارقُ ابن آدم حتى تفارق روحُه جسده. فقال الرب تعالى: وعزّتى وعظمتى، لا أحجبُ التوبة عن عبدى حتى يغرغربها »(٤) .

(١) ضعيف ✽ أبو داود (٤/ ١٥) والترمذى (٣٥٥٩) . انظر : ضعيف الجامع (٥٠٠٤) .
(٢) صحيح ✽ مسلم (٤/ ٢ ٢٧) وأبو داود (١٥١٥) عن الأغر المزنى .
(٣) حسن✽ أبو داود (١٥٢١) والترمذى (٦ ٣) وابن ماجه (١٣٩٥).
(٤) صحيح ✽ أحمد (٣/ ٢٩، ٤١)وأبو يعلى (٢/ ٤٥٨) بإسنادين أحدهما صحيح . المجمع (١/ ٢٠٧).

١١٢ ـ وروى أبو القاسم، عن أبى أمامة الباهلى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: « **صاحبُ اليمين أمين على صاحب الشمال، فإذا عملّ العبدُ حسنةً كتب له صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة، فأراد أن يكتبها صاحب الشمال، قال صاحب اليمين: أمسك فيمسك ستّ ساعات أو سبع ساعات، فإن استغفر الله، لم يكتبْ عليه شيئاً، وإن لم يستغفرْ يكتب عليه سيئة واحدة**»[١] .

١١٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ : وهذا موافق لما روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **التّائبُ مِنَ الذَّنب كمن لا ذنبَ له** »[٢] .

١١٤ ـ وفى رواية أخرى: «**إذا أذنبَ العبدُ، لم يكتبْ عليه حتى يذنب ذنباً آخر، ثم إذا أذنب ذنباً آخر لم يكتب عليه حتى يذنب ذنباً آخر، فإذا اجتمعت عليه خمسة من الذنوب، وعمل حسنة واحدة، كتب له خمس حسنات، وجعل الخمس بإزاء خمس سيئات، فيصيحُ عند ذلك إبليس ـ عليه اللعنة ـ ويقول : كيف أستطيعُ على ابن آدم؟ فإنى، وإن اجتهدت عليه، يبطل بحسنة واحدة جميعَ جهدى** ».

١١٥ ـ وروى صفوان بن عسال المرادى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « **إن من قبل المغرب باب خلقه الله تعالى للتوبة، عرضه مسيرة سبعين سنة، أو أربعين سنة، لا يَزال مفتوحاً، لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها** »[٣] .

وعن سعيد بن المسيب فى قوله عز وجل: ﴿ **فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً** ﴾ [الإسراء: ٢٥] قال : هو الرجل يذنبُ ذنباً، ثم يتوب، ثمَ يذنبُ ذنبَاً، ثَم يتوب .

وقيل للحسن البصرى: إنّ الرجل يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، ثم يذنب ثم يتوب، إلى متى هذا ؟ قال: لا أعرف هذا إلا من أخلاق المؤمنين.

وقال بعض الحكماء: حرفة العارف ستة أشياء :

إذا ذكر الله افتخر، وإذا ذكر نفسه احتقر، وإذا نظر فى آيات الله اعتبر، وإذا همّ بمعصية أو شهوة انزجر، وإذا ذكر عفو الله استبشر، وإذا ذكر ذنوبه استغفر .

١١٦ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: حدثنى أبى رحمه الله تعالى، حدثنا أبو الحسين الفراء، حدثنا أبو بكر الجربانى، عن محمد بن إسحاق، عمن حدثه، عن معمر، عن الزهرى، قال: دخل عمر بن الخطاب على رسول الله ﷺ وهو يبكى، فقال له

---

(١) **ضعيف جداً*** البيهقى فى « الشعب» (٥/٧٠٤٩، ٧٠٥٠). انظر : ضعيف الجامع (٣٤٦٣)
(٢) حسن* انظر صحيح الجامع (٨ ٣٠) والداء والدواء (ص٢١١ تحقيقى)
(٣) حسن* الترمذى (٣٥٣٥) مطولا، والبيهقى فى « الشعب» (٥/٧٠٧٦) بلفظه

رسول الله ـ ﷺ ـ : « **ما يبكيك ياعمر؟** » فقال: يارسول الله، بالباب شابٌ، قد أحرق فؤادى وهو يبكى. فقال رسول الله ﷺ: « **ياعمر، أدخله علىّ** »، قال: فدخل، وهو يبكى، فقال له رسول الله ﷺ : « **مايبكيك ياشاب؟** » قال: يارسول الله، أبكتنى ذنوب كثيرة، وخفت من جبار غضبان علىّ فقال رسول الله ﷺ: «**أشركت بالله ياشاب؟**» قال: لا . قال: «**أقتلت نفساً بغير حق؟**» قال: لا قال: «**فإن الله يغفر ذنبك، ولو كان مثل السموات السبع والأرضين السبع والجبال الرواسى**» . قال: يارسول الله، ذنبى أعظم من السموات السبع والأرضين السبع، والجبال الرواسى. فقال رسول الله ﷺ : « **ذنبك أعظم من الكرسى؟**» قال: ذنبى أعظم . قال: «**ذنبك أعظم أم العرش ؟**» قال: ذنبى أعظم . قال: « **ذنبك أعظم أم إلهك؟** » ـ يعنى عفو الله ـ قال: بل الله أعظم وأجل.

قال: « **فإنه لا يغفر الذنب العظيم، إلا الله العظيم**» يعنى العظيم التجاوز. قال «**أخبرنى عن ذنبك**» قال: فإنى أستحى منك يارسول الله. قال: «**أخبرنى عن ذنبك**».

قال: يارسول الله، إنى كنتُ رجلاً نباشاً، أنبش القبورَ منذ سبع سنوات، حتى ماتت جارية من بنات الأنصار، فنبشت قبرها، فأخرجتها من كفنها، فمضيت غير بعيد، إذ غلب الشيطانُ على نفسى، فرجعت فجامعتها، فمضيتُ غير بعيد، إذ قامت الجارية، وقالت: ويلك ياشاب، أما تستحى من ديان يوم الدين؟ يوم يضع كرسيه للقضاء، ويأخذ للمظلوم من الظالم تركتنى عريانة فى عسكر الموتى، وأوقفتنى جُنُباً بين يدى الله تعالى .

فوثب رسول الله ﷺ وهو يدفع فى قفاه، وهو يقول: «**يافاسق، ما أحوجك إلى النار، اخرج عنى**»، فخرج الشابُ تائباً إلى الله تعالى أربعين ليلة، فلما تمّ له أربعون ليلة، رفع رأسه إلى السماء، فقال: ياإله محمد وآدم وحواء، إن كنت غفرت لى، فأعلم محمداً ﷺ وأصحابه، وإلا فأرسل ناراً من السماء فأَحْرِقْنى بها ونجّنى من عذاب الآخرة . قال: فجاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: السلام عليك يامحمد، ربك يقرئك السلام فقال: « **هو السلام، ومنه السلام، وإليه يرجع السلام**».

قال: يقول الله تعالى: أنت خلقت الخلق؟ قال: «**بل هو الذى خلقنى وخلقهم**» . قال: يقول أنت ترزقهم؟ قال: «**بل الله يرزقهم وإياى**»، قال: يقول أنت تتوبُ عليهم؟ قال: « **بل الله يتوب على وعليهم**» قال: يقول الله تعالى: تب على عبدى، فإنى تبتُ عليه .

فدعا النبى ﷺ الشاب، وبشّره بأن الله تاب عليه (١) .

---

(١) إسناده ضعيف؛ لعنعنة ابن إسحاق عمن حدثه مع ثقته كان يدلس .

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: ينبغي للعاقل أن يعتبرَ بهذا الخبر، ويعلم بأن الزنا مع الحيّ أعظم ذنباً من الزنا مع الميت، وينبغي أن يتوب توبة حقيقة؛ لأنّ الشاب لما علم تعالى أن توبته حقيقية تجاوز عنه، وينبغي أن تكون التوبةُ على قدر الذنب.

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله تعالى: **﴿ياأَيُّها الَّذين آمَنُوا تُوبُوا إلَى الله تَوْبَةً نَصُوحا﴾** [التحريم:٨] قال: التوبة النصوح: الندم بالقلب، والاستغفار باللسان، [والإقلاع بالبدن] والإضمار أن لا يعود إليه أبداً.

١١٧ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**المستغفر باللسان، المصرّ على الذنب كالمستهزىء بربه**»(١) .

وذكر عن رابعة رضى الله عنها أنها كانت تقول: إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير. يعنى إذا استغفر باللسان ونيته أن يعودَ إلى الذنب، فإنّ توبته توبة الكاذبين وهذا لا يكون توبة. وإنما التوبة: أن يستغفر باللسان، وينوى أن لا يعود إلى الذنب، فإذا فعل ذلك غفر الله له ذنبه، وإن كان عظيماً؛ لأنّ الله تبارك وتعالى رحيمٌ بعباده.

وذكر أنه كان فى بنى إسرائيل ملك، فَوُصِفَ له رجلٌ من العبّاد، فدعاه، وراوده على صحبته، ولزوم بابه، فقال له العابد: حَسناً ماتقول أيها الملك، ولكن لو أنك دخلت يوماً فى بيتك، فوجدتنى ألعب مع جاريتك، ماذا كنت تفعل ؟

فغضب الملك، وقال: يافاجر، أتجترىء علىّ بمثل هذا؟ فقال له العابد: إنّ لى رباً كريماً، لو رآى منى سبعين ذنباً فى اليوم ماغضب علىّ، ولا طردنى عن بابه، ولا حرمنى رزقه، فكيف أفارق بابه، وألزم بابَ من يغضب علىّ، قبل أن أعصيه؟ فكيف لو رأيتنى فى المعصية ؟ ثم خرج .

قال الفقيه رحمه الله: الذَّنبُ على وجهين: ذنب فيما بينك وبين الله تعالى، وذنب فيما بينك وبين العباد: أما الذى بينك وبين الله تعالى فتوبته الاستغفار باللسان، والندم بالقلب، والإضمار أن لا تعود، فإن فعل ذلك، لا يبرح مكانه حتى يغفرَ الله له، إلا أن يتركَ شيئاً من الفرائض، فلا تنفعه التوبة، مالم يقض، مافاته، ثم يندم ويستغفر. وأما الذنب الذى بينك وبين العباد، فما لم ترضهم لا تنفعك التوبة، حتى يحلّوك.

وروى عن بعض التابعين ـ رضى الله عنهم ـ أنه قال: إن المذنب يذنب، فلا يزال نادماً مستغفراً حتى يدخل الجنة، فيقول الشيطان: ياليتنى لم أوقعه فيه .

(١) ضعيف ✽ البيهقى فى « الشعب» (٥/ ٧١٧٨) عن ابن عباس انظر : الضعيفة (٦١٦).

وقال بعض الحكماء: إنما تُعرفُ توبةُ الرجل فى أربعة أشياء :

أحدها: أن يمسكَ لسانَه من الفضول، والغيبة، والكذب.

والثانى: أن لا يرى لأحدٍ فى قلبه حسداً ولا عداوة.

والثالث: أن يفارقَ أصحابَ السوء.

والرابع: أن يكونَ مستعداً للموت، نادماً مستغفراً لما سلف من ذنوبه، مجتهداً على طاعة ربه .

وقيل لبعض الحكماء: هل للتائب من علامة يعرف أنه قبلت توبته؟ قال: نعم، علامته أربعة أشياء.

أولها: أن ينقطع عن أصحاب السوء، ويريهم هيبةً من نفسه، ويخالطَ الصالحين.

الثانى: أن يكونَ منقطعاً من كلّ ذنب، ومقبلاً على جميع الطاعات .

الثالث: أن يُذْهِبَ عنه فرحَ الدنيا كلّها من قلبه، ويرى حزن الآخرة كلها دائماً فى قلبه .

الرابع: أن يرى نفَسه فارغاً عما ضمن الله تعالى من الرزق، مشتغلاً بما أمر به .

فإذا وجدت فيه هذه العلامات، فهو من الذين قال الله فى حقهم: ﴿**إِنَّ الله يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ويُحِبُّ المُتَطَهِّرِين**﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ووجب له على الناس أربعة أشياء .

أولها: أن يحبّوه، فإن الله تعالى قد أحبّه .

الثانى : أن يحفظوه بالدعاء على أن يثبته الله على التوبة .

الثالث: أن لا يعيّروه بما سلف من ذنوبه.

الرابع: أن يجالسوه، ويذاكروه، ويعينوه .

ويكرمه الله تعالى بأربع كرامات .

إحداها: أن يخرجه الله تعالى من الذنوب، كأنه لم يذنب قط.

الثانية: أن يحبّه الله تعالى.

الثالثة : أن لايسلط عليه الشيطان، ويحفظ منه .

الرابعة: أن يؤمنه من الخوف، قبل أن يخرجَ من الدنيا، لأنه عز وجل قال: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

وروى عن خالد بن معدان أنه قال: إذا دخل التوابون الجنة، قالوا: ألم يعدنا ربنا أن نرِد النار قبل أن ندخلَ الجنة؟ قيل لهم: إنكم مررتم بها وهى خامدة.

١١٨ ـ وروى الحسن عن النبى ﷺ أنه رجم امرأة زنت، ثم صلى عليها.

فقال له بعض الصحابة: يارسول الله، رجمتها، وصليت عليها! فقال: « **لقد تابت توبة، لو فعلت مثل ذلك سبعين مرة لتاب الله عليها** »[١] يعنى أن توبتها كانت حقيقية، والتوبة إذا كانت حقيقية تُقبل؛ وإن كان الذنب عظيماً.

١١٩ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من عيّر مؤمناً بفاحشة فهو كفاعلها، وكان حقاً على الله أن يوقعه فيها، ومن عيّر مؤمناً بجريمة لم يخرجْ من الدنيا حتى يرتكبها، ويفتضح بها** »[٢].

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: إنَّ المؤمنَ لا يقصد أن يقعَ فى الذنب، ولا يتعمده؛ لأن الله تعالى قال: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ [الحجرات: ٧] فأخبر سبحانه أنه قد بغّض إلى المؤمنين المعصية، فلا يتعمدها المؤمن، ولكن يقعُ فيها فى حال الغفلة، فلا يجوز أن يعيّر بها إذا تاب.

١٢٠ ـ وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: إذا تاب العبد تاب الله عليه، وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوىء عمله، وأنسى جوارحه ماعملت من الخطايا، وأنسى مقامه من الأرض، وأنسى مقامه من السماء، ليجىء يوم القيامة، وليس شىء من الخلق يشهدُ عليه بذلك[٣].

١٢١ ـ وروى عن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « مكتوب حول العرش، قبل أن يخلق الخلق بأربعة آلاف عام: ﴿ **وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى** ﴾ [طه: ٨٢][٤]، والله أعلم.

---

(١) صحيح * مسلم (٣/١٦٩٦) من حديث عمران بن الحصين

(٢) موضوع* الترمذى (٢٥٠٥) وابن عدى فى « الكامل» (٦/١٧٣) والبيهقى فى « التعب» (٦٦٩٧). انظر الصعيفة (١٧٨).

(٣) ضعيف* الأصبهانى فى « الترغيب والترهيب» (٧٥١) عن أنس . انظر . ضعيف الجامع (٤٢١)

(٤) موضوع* الديلمى فى « الفردوس» (٨ ٦٧). فى سنده (إسماعيل بن يحيى بن عبيد الله التيمى) اتهم بالوصع ورواية الأباطيل انظر : اللسان (١/٤٩٣).

باب آخر فى التوبة

١٢٢ ـ قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى: حدثنا أبى رحمه الله تعالى، حدثنا أحمد بن محمد، وهو أبو الحسين الفراء الفقيه بسمرقند، حدثنا الشيخ أبو بكر أحمد ابن إسحاق الجوزجانى، حدثنا داود بن إبراهيم، حدثنا نوح بن أبى مريم، عن مقاتل ابن حيان، عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ ذكر باب التوبة، فقال عمر بن الخطاب: يا رسول الله ما باب التوبة؟ فقال النبى ﷺ: « **باب التوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب، مكلّلان بالدر والياقوت، مابين المصراع والمصراع الآخر مسيرةُ أربعين عاماً للراكب المسرع، وذلك البابُ مفتوحُ منذ خلق الله تعالى خلقه، إلى صبيحة ليلة طلوع الشمسِ من مغربها، ولم يتب عبدٌ من عباد الله تعالى توبةً نصوحاً؛ إلا دخلت تلك التوبةُ من ذلك الباب**». قال معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ : بأبى أنت وأمى يارسول الله، ما التوبة النصوح؟ قال: «**أن يندم المذنب على الذنب الذى أصاب، فيعتذر إلى الله تعالى، ثم لا يعود. ثم تغرب الشمس والقمر فى ذلك الباب، ثم يردّ المصراعان، فيلتئم ما بينهما ويصيرُ كأن لم يكن بينهما صدعٌ قط**». فعند ذلك لا تُقبل من العبد توبة، ولا تنفعه حسنةٌ يعملها فى الإسلام، إلا من كان قبل ذلك محسناً، فإنه يُجْرى له عمله، وعليه ماكان يُجْرَى قبل ذلك.

وذلك قوله تعالى: ﴿ **يَومَ يأتى ربُّكَ أَوْ بَعْضُ آيات ربّك لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إيمَانُهَا لَمْ تكُنْ آمنَتْ مِنْ قَبلُ أَوْكَسَبَتْ فى إِيمانهَا خَيْراً** ﴾ [الأنعام: ١٥٨]» (١).

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: [التوبة النصوح: أن يتوب ثم لا يعود.

وعنه أنه قال]: باب التوبة مفتوح، وهى مقبولة من كل أحد، إلا من ثلاثة:

إبليس رأس الكفرة، وقابيل بن آدم رأس الخاطئين، ومن قتل نبياً من الأنبياء.

وقال: باب التائبين مفتوح من قبل المغرب، مسيرة أربعيم سنة، لا يغلق عليهم، حتى تطلع الشمسُ من مغربها.

١٢٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ : حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو حسين الفراء، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق، حدثنا عبد الرحمن بن حبيب،

---

(١) واهٍ جداً *. فى سنده (نوح بن أبى مريم) كذبوه فى الحديث. انظر: التهذيب (١٠/ ٤٣٣)

عن إسماعيل، عن يحيى، عن ابن لهيعة، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : « **التوبة معلقة فى الهواء، تنادى الليل والنهار، لا تفتر: من يقبلنى لا يعذّب. فهى الدهر كله على هذا الحال، حتى تطلع الشمسُ من مغربها ، فإذا طلعت الشمسُ من مغربها رُفعت**»[1] .

ففى هذه الأخبار حثّ على التوبة. وفيها بيان أنّ العبدَ إذا تاب قُبلت التوبةُ منه والله تعالى دعا المؤمنين إلى التوبة، فقال عز وجل : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى الله جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**﴾ [النور: ٣١] يعنى لكى تنجوا من عذابه، وتنالوا من رحمته فبيّن تعالى أنَ التوبة مفتاحُ كلّ خير، وأنّ فلاحَ المؤمن فى توبته، وأمر المؤمنين بالتوبة، فقال تعالى: ﴿**يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا توبُوا إِلَى الله تَوْبَةً نَصُوحًا**﴾ثم بين مالهم من الكرامة فى التوبة، فقال تعالى: ﴿**عَسَى رَبُّكُم أَنْ يُكفِّر عَنْكُمْ سَيِّئَاتكُمْ**﴾يعنى يتجاوز عن ذنوبكم ﴿ **وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّات تَجْرِى منْ تَحْتهَا الأَنْهَار** ﴾ [التحريم: ٨]يعنى يعطيكم فى الآخرة بساتين تجرى من تحت غرفها ومساكنها وأشجارها الأنهار.

وأخبرهم أنه غفّار لذنوب التوابين، فقال تعالى: ﴿ **والّذينَ إذَا فَعَلُوا فَاحشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُم ذَكروا الله فاسْتَغْفَرُوا لذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفرُ الذُّنُوبَ إلاَّ الله وَلَمْ يُصرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**﴾[آل عمران : ١٣٥] يعنى إذا فعلوا الكبائر(أو)ويقال إنها بمعنى الواو، ومعناه والذين إذا فعلوا فاحشة، وظلموا أنفسهم ذكروا الله، يعنى خافوا الله عند المعصية، فاستغفره ﴿ **ولم يصروا على مافعلوا**﴾ يعنى ولم يثبتوا على معصيتهم، وهم يعلمون أنها معصية .

١٢٤ ـ وروى سعيد بن أبى بردة، عن أبيه، عن جدّه، عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنى لأستغفر الله، وأتوب إليه فى اليوم مئة مرة**»[2] .

١٢٥ ـ وفى خبر آخر قال: « **يا أيها الناس توبوا إلى الله، فإنى أتوب إليه فى اليوم والليلة مئة مرة**»[3] .

فإذا كان النبى ﷺ يستغفر ويتوب ـ وقد غَفَر الله له ماتقدّم من ذنبه وما تأخّر ـ فالذى لم يظهرْ حاله أنه آغفر له آم لا؟ كيف لا يتوب إلى الله تعالى فى كلّ وقت؟ وكيف لا يجعل لسانه ـ آبداً ـ مشغولاً بالاستغفار؟

---

(١) **إسناده ضعيف**؛ لضعف ابن لهيعة وعيره .

(٢) **صحيح**؛ سبق تخريجه برقم (١٠٩).

(٣) **صحيح**؛ مسلم (٤٠/٢٧٠٢ ـ ٤٢) عن الأعر

قال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله تعالى: ﴿ **بَلْ يُرِيدُ الإنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ**﴾ [القيامة: ٥] يعنى يقدّم ذنوبه، ويؤخّر توبته، ويقول: سأتوب، حتى يأتيه الموتُ على شرّ ما كان عليه، فيموت عليه.

١٢٦ ـ وروى عن[حميد، عن] جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه قال: «**هلك المسوّفون**»(١)، والمسوف: منَ يقول: سوف أتوب.

فالواجبُ على كلّ إنسان أن يتوبَ إلى الله تعالى فى كل وقت، حتى يأتيه الموتُ وهو تائب لأنّ الله تعالى قابل للتوبة، حيث قال عز وجل: ﴿**وَهُوَ الَّذى يَقْبَلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَاده ويَعْفُو عَن السَّيِّئَات**﴾[الشورى: ٢٥] يعنى يتجاوز عن سيئاتهم إذا تابوا ورجعوا. فالتوبة : أن يندم على ذنبه بالقلب، ويستغفر باللسان، ويضمر ألاّ يرجع إليه أبداً .

١٢٧ ـ قال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: من قال : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو، الحىّ القيوم، وأتوب إليه، ثلاثاً، غفرت له ذنوبه، ولو كانت مثل زَبَدِ البحر (٢) .

١٢٨ ـ وروى أيوب، عن أبى قلابة، قال: إن الله تعالى، لما لعن إبليس، سأله النّظرة، فأنظره، فقال: انظر ماترى. فقال: وعزّتك، لاأخرج من صدر عبدك حتى تخرج نفسه. فقال الرب: وعزتى وجلالى، لاأحجب التوبة عن عبدى، حتى تخرج نفسه»(٣) .

فانظر إلى رحمة الله، ورأفته على عباده، أنّه سمّاهم مؤمنين بعدما أذنبوا، فقال تعالى: ﴿ **وتُوبُوا إلى الله جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُم تُفْلحُونَ** ﴾ [النور: ٣١].

وأحبهم بعد التوبة فقال: ﴿**إِنَّ الله يُحبُّ التَّوَّابِينَ ويُحبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**﴾[البقرة: ٢٢٢].

١٢٩ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**التائبُ منَ الذنب كمن لاذنبَ له**»(٤).

وروى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ : أن رجلاً سأله، فقال: إنى أصبتُ ذنباً فقال له على ـ كرم الله وجهه ـ: تُبْ إلى الله تعالى، ثم لا تعد قال: فإنى قد فعلت، ثم عدتُ قال على: تُبْ إلى الله تعالى، ثم لا تعدْ. قال: إلى متى؟ قال: حتى يكونَ الشيطانَ هو المحسور.

---

(١) **ضعيف جداً***فيه علتان. (حويبر بن سعيد الأزدى) ضعيف جدا و(الضحاك) قيل· لم يسمع من الصحابة
(٢) حسن * الحاكم (١/ ٥١١) عن ابن مسعود مرفوعاً .
(٣) صحيح* سبق تخريجه برقم (١١١) عن أبى سعيد مرفوعاً.
(٤) حسن* سبق تخريجه برقم (١١٣).

وقال مجاهد فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى الله للذين يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ**﴾ [النساء: ١٧]، قال: الجهالة: العمد، ﴿ **ثم يتوبون من قريب**﴾ قال: كل شىء دون الموت، فهو قريب.

١٣٠ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا أذنب العبد ذنباً، فقال: ربّ إنى أذنبتُ ذنباً، أو قال: عملتُ ذنباً، فاغفرْ لى. قال الله تعالى: عبدى عملَ ذنباً، فعلم أن له رباً يغفرُ الذنب، ويأخذُ به، فقد غفرتُ لعبدى**»[١].

وهذا كله لكرامة محمدﷺ. وكان فى الأمم الماضية؛ إذا أذنبوا ذنباً حُرِّم عليهم حلال، وإذا أذنب واحدٌ منهم ذنباً، وَجَدَ على بابه، أو على جبهته مكتوباً؛ أن فلاناً بن فلان قد أذنب كذا، وتوبته كذا. فخفّف الله تعالى الأمر على هذه الأمة، فقال: ﴿ **وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ الله يَجِدَ الله غَفُوراً رَحِيماً**﴾[النساء: ١١٠].

فالواجبُ على كلّ مسلم أن يتوبَ إلى الله تعالى، حين يصبح، وحين يمسى.

وقال مجاهد: ومن لم يتبْ إذا أمسى، وإذا أصبح، فهو من الظالمين.

ويتبغى للعبد أن يتوبَ إلى الله تعالى فى كلّ وقت، ويجتهد فى حفظ الصلوات الخمس، فإن الله تعالى جعل الصلوات الخمس تطهيراً لذنوب العباد، فيما دون الكبائر.

١٣١ ـ وروى علقمة، عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يارسول الله، إنى لقيتُ امرأةً فى البستان، فضممتها إلىّ وقبّلتها، وفعلتُ بها كلّ شىء، إلا أننى لم أجامعها، فسكتَ النبىُّ ﷺ ساعة، فنزلت هذه الآية: ﴿ **وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ**﴾ [هود: ١١٤].

يعنى: صلّ لله تعالى فى طرفى النهار، وهى صلاةُ الفجر والظهر والعصر، وزلفاً من الليل، يعنى صلّ لله تعالى صلاة المغرب، وصلاة العشاء الآخرة. ﴿**إن الحسنات يذهبن السيئات**﴾ يعنى الصلوات الخمس تكفر الذنوب التى بينها ما دون الكبائر[٢]، وذلك توبة للتائبين.

فدعاه النبى ﷺ وقرأ عليه هذه الآية، فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ يارسول الله

---

(١) متفق عليه * البخارى (١٣/٧٥٠٧) ومسلم (٤/٢٧٥٨)

(٢) قال ﷺ. «الصلوات الخمس .. مكفرات مابينهن، إذا اجتنب الكبائر». مسلم (٢٣٣) وغيره

أله خاصة، أم للناس عامة؟ فقال النبى ﷺ: « **بل للناس عامة**»(١) .

١٣٢ ـ وروى الحسن، عن النبى ﷺ أنه قال: « **ليس من عبد إلا وعليه ملكان يكتبان عمله، وصاحب اليمين أمين على صاحب الشمال**»، فإذا عمل العبدُ السيئة، قال صاحب الشمال: أأكتبها ؟ قال له: دعه حتّى يعمل خمس سيئات، فإذا عمل خمساً قال: أأكتبها؟ قال: دعه حتى يعمل حسنة، فإذا عمل حسنة، قال صاحبُ اليمين: قد أخبرنا أن الحسنة بعشر أمثالها، فتعال حتى نمحو خمساً بخمس، ونثبت له خمساً من الحسنات. قال: فيصيحُ الشّيطانُ ويقول: متى أدركُ ابن آدم»(٢) .

١٣٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ ، قال: حدثنا أبو الحسين الفراء، عن أبى بكر أحمد بن إسحاق بإسناده، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: خرجتُ ذات ليلة بعدما صليت العشاء الآخرة، مع رسول الله ﷺ فإذا أنا بامرأة منتقبة، قائمة على الطريق، فقالت: يا أبا هريرة، إنى قد ارتكبتُ ذنباً عظيماً، فهل من توبة؟ فقلت: وما ذنبك؟ قالت: إنى زنيت، وقتلت ولدى من الزنا . فقلت لها: هلكت، وأهلكت، والله ما لك من توبة، قال: فشهقت شهقة، وخرت مغشياً عليها ومضيت، وقلت فى نفسى: أفتى، ورسول الله ﷺ بين أظهرنا ! فلما أصبحت، غدوتُ إلى رسول الله ﷺ فقلت: يارسول الله، إن امرأةً استفتتنى البارحة فى كذا وكذا، وإنى أفتيتها بكذا وكذا. فقال رسول الله ﷺ: «**إنا لله وإنا إليه راجعون، أنتَ ـ والله ـ يا أبا هريرة هلكت وأهلكت، أين كنت يا أبا هريرة من هذه الآية: ﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ الله إلَها آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتى حَرَّم الله إلاَّ بالحق وَلاَ يَزْنُون ﴾** إلى قوله تعالى: **﴿ فَأُولَئكَ يُبَدِّل الله سَيِّئَاتِهم حَسَنَات وَكَانَ الله غفوراً رحيماً﴾** [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

قال: فخرجتُ من عند رسول الله ﷺ وأنا أعدو فى سكك المدينة، وأقول: من يدلّنى على امرأة استفتتنى البارحة فى كذا وكذا، والصبيان يقولون: جُنّ أبو هريرة، حتى إذا كان اللّيل لقيتها فى ذلك الموطن، فأعلمتها بقول الرسول ﷺ، وأن لها التوبة، فشهقتْ شهقةً من السرور، وقالت: إنّ لى حديقة، وهى صدقة على المساكين كفارة لذنبى (٣) .

---

(١) **متفق عليه*** البخارى (٨/ ٤٦٨٧) ومسلم (٤/ ٢٧٦٣)

(٢) **مرسل*** (من أقسام الضعيف): أرسله الحسن

(٣) **ضعيف*** ابن جرير فى « تفسيره » (١٩/ ٢٧) مسلسل بثلاث علل. لين (عيسى بن شعيب) وجهالة (فليح الشماس)و (عبيد بن أبى عبيد) مقبول .

وذكر في قوله تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ تَابَ وآمنَ وَعَملَ عَمَلاً صَالحاً فَأُولَئكَ يُبَدَّلُ الله سَيِّئَاتهِمْ حَسَنَات﴾[الفرقان : ٧٠]. قال بعضهم: إنَّ العَبدَ إذا تاب مَن الذّنوب، صارت الدنوبُ الماضيةُ كلّها حسنات. وروى هكذا عن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: ينظر الإنسانُ يوم القيامة في كتابه، فيرى فى أوله معاصى، وفى آخره حسنات، فإذا رجع إلى أول الكتاب، رأى كلّه حسنات .

وروى أبو ذر الغفارى ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ نحوه [(١)] .

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ فَأُولَئكَ يُبَدّلُ الله سَيِّئَاتهمْ حَسَنَات﴾ ويقال معناه: أنه يحول من العمل السىء إلى العمل الصالح، فيوفقه الله تعالى، لكى يعمل الحسنات مكان ما يعمل من السيئات فذلك قوله تعالى: ﴿ فَأُولَئكَ يُبَدِّلُ الله سَيِّئَاتهمْ حَسَنَات، وَكَانَ الله غَفُوراً رَحيماً﴾[الفرقان: ٧٠] يعنى غفوراً لَمَا فعلوا قبل التوبة، رحيماً بهم بعد التوبة .

واعلم يا أخى أنه ليس ذنب أعظم من الكفر، وقد قال الله تعالى: ﴿ قلْ للَّذينَ كَفَرُوا إنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَاقَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨] فما ظنك بما دون الكفر؟

١٣٤ ـ وروى الحسن عن النبى ﷺ أنه قال: « **لو أخطأ أحدُكم حتى ملأ ما بين السماء والأرض، ثم تاب، تاب الله عليه** » [(٢)] .

١٣٥ ـ وروى عن يزيد الرقاشى، قال: خطبنا أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ على منبر رسول الله ﷺ فقال فى خطبته : سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «آدم أكرمُ البشر على الله، يعتذرُ الله إليه يوم القيامة بثلاث معاذير: يقول الله :يا آدم لولا أنى لعنتُ الكذابين، وأُبغض الكذب، وأوعدتُ عليه، وقد ﴿ حَقَّ الْقَوْلُ منِّى لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ منَ الجنَّة والنَّاسِ أجمعين﴾ [السجدة : ١٣] لرحمت ذريتك اليوم أجمعين.

ويقول له: يا آدم، إنى لا أدخل أحداً من ذريتك النار، ولا أعذّبه بالنار، إلا من علمت بعلمى أنه لو رددته إلى الدنيا؛ لعاد إلى شر ماكان فيه، ثم لم يرجع، ولم يتب ويقول له: ياآدمُ، قد جعلتك حكماً بينى وبين ذريتك، قم عند الميزان، فانظر إلى مايرفع إليك من أعمالهم، فمن رجح له خير مثقال ذرة، فله الجنة،حتى تعلم أنى لا أدخل النار إلا كل ظالم »[(٣)] .

---

(١) **صحيح*** مسلم (١٩٠)

(٢) **حسن*** ابن ماجه (٤٢٤٨). انظر . مصباح الزجاجة (٣/٣٠٧) والصحيحة (٩٠٣).

(٣) **ضعيف** * يزيد بن آبان الرقاشى. ضعيف كما فى « التقريب».

١٣٦ ـ وروت عائشة رضى الله عنها، عن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الدواوينُ ثلاثة: ديوان يغفره الله، وديوان لا يغفره الله، وديوان لا يترك الله تعالى منه شيئاً**».

فأما الديوانُ الذى لا يغفره الله، فالشرك بالله تعالى: قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ، فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ، وَمَأْوَاهُ النَّارُ﴾ [المائدة : ٧٢].

«**وأما الديوان الذى يغفره الله تعالى، فظلم العبد لنفسه، فيما بينه وبين ربه**.

وأما الديوان الذى لا يترك الله منه شيئاً، فظلم العباد بعضهم لبعض».(١) . .

١٣٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**لتؤدّنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجمّاء من الشاة القرناء تنطحها**»(٢).

فينبغى للعبد إن يجتهدَ فى رضا الخصوم، فإذا كان الذنبُ بينه وبينه الله تعالى، فإنّ الله رحيمٌ يتجاوز عنه إذا استغفر، وإذا كان الذنب بينه وبين العباد، فإنه مطالب به لا محالة، ولا ينفعه الاستغفار ولا التوبة؛ مالم يُرْضِ الخصم، وإن لم يُرضه فى الدنيا أخذ من حسناته يوم القيامة، كما جاء فى الخبر.

١٣٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ : حدثنا أبى، حدثنا أبو الحسين الفراء، حدثنا أبو بكر، حدثنا أحمد بن عبد الله، عن صالح بن محمد، عن القاسم بن عبدالله، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: « **أتدرون من المفلس من أمتى؟** » قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له، ولا دينار، ولامتاع. فقال رسول الله ﷺ: « **المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاته وصيامه، ويأتى قد شتَم هذا، وقَذَف هذا، وأكلَ مال هذا، وسَفَكَ دم هذا، وضرب هذا، فيقتص لهذا من حسناته، ولهذا من حسنات، فإذا فنيتْ حسناتُه، قبل أن يقضى ماعليه، أُخذ من خطاياهم، فُطرِحت عليه، ثم طُرِح فى النار**»(٣) .

فنسأل الله تعالى أن يوفّقنا للتوبة، وأن يثبتنا عليها، فإن الثباتَ على التوبة أشدُّ من التوبة.

قال محمد بن سيرين ـ رحمه الله تعالى ـ : إياك أن تعملَ شيئاً من الخير، ثم تدعه، فإنه ما من أحدٍ تاب ثم رجع فأفلح.

---

(١) ضعيف* الحاكم (٤/ ٥٧٥) انظر : ضعيف الجامع (٣٠٢٢).

(٢) صحيح* مسلم (٤/ ٢٥٨٢) والترمذى (٢٤٢٠) وأحمد (٢/ ٢٣٥، ٣٠١، ٣٧٢).

(٣) صحيح* مسلم (٤/ ١٢٥٨١) والترمذى (٢٤١٨)

فينبغي للتائب أن يجعل أجله بين عينيه، لكي يثبت على التوبة، ويتفكر فيما مضى من ذنوبه ويكثر الاستغفار، ويشكر الله تعالى على ذلك، وعلى مارزقه من التوبة، ووفقه لذلك، ويتفكر فى ثواب يوم القيامة، فإن من تفكر فى ثواب الآخرة رغب فى الحسنات، ومن تفكر فى العقاب انزجر عن السيئات .

١٣٩ ـ وروى زيد بن وهب، عن أبى ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قلت يا رسول الله، أخبرنا ماكان فى صحف موسى، قال: « **كان فيها أمثال وعبر: عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالحساب كيف يعمل السيئات، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب، أو كيف يحزن، وعجبت لمن يرى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وعجبت لمن أيقن بالجنة، وهو لا يعمل الحسنات . لا إله إلا الله، محمد رسولُ الله**»(٢) .

وروى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه مرّ ذات يوم فى موضع من نواحى الكوفة، فإذا الفساق قد اجتمعوا، وهم يشربون الخمر، وفيهم مغنّ يقال له « زاذان»، وكان يضرب بالعود ويغنى، وكان له صوتٌ حسن، فلما سمع ذلك عبد الله بن مسعود قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان لقراءة القرآن! وجعل الرداء فى رأسه ومضى؛ فسمع « زاذان» قوله، فقال: من كان هذا؟ قالوا: عبد الله ابن مسعود، صاحب رسول الله ﷺ قال: فأىّ شىء قال؟ قالوا: إنه قال: ما أحسن هذا الصوت لو كان لقراءة القرآن! فدخلت الهيبةُ فى قلبه، فقام ، وضرب العود على الأرض، فكسره، ثم أسرع حتى أدركه، وجعل المنديل فى عنق نفسه، وجعل يبكى بين يدى عبد الله فاعتنقه عبد الله ، وجعل يبكى كلّ واحد منهما ثم قال عبد الله: كيف لا أحبّ مَن أحبّه الله تعالى، فتاب من ذنوبه. وجعل يلازمُ عبد الله، حتى تعلّم القرآن، وأخذ حظّاً من القرآن والعلم، حتى صار إماماً فى العلم، وقد جاء فى كثير من الأخبار عن زاذان عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنهما ـ.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعتُ أبى يحكى: أن فى بنى إسرائيل كانت امرأة بغى، وكانت مفتنة للناس بجمالها وكان بابُ دارها ـ أبداً ـ مفتوحاً، فكل من مرّ ببابها رآها قاعدة فى دارها على السرير بحذاء الباب، فكلّ مَن نَظَر إليها افتتن بها، فإذا أراد الدخول إليها، احتاج إلى إحضار عشرة دنانير، أو أقلّ، أو أكثر، حتى تأذن له بالدّخول إليها، فمر ببابها ذات يوم عابدٌ من العبّاد، فوقع بصره فى الدار،

---

(١) ضعيف* ابن حبان (٩٤) وأبو نعيم (١/١٦٦) انظر : الضعيفة (١٩١٠)

وهى قاعدةٌ على السرير، فافتتن بها، فجعل يجاهدُ نفسه، ويدعو الله تعالى ليزيل ذلك من قلبه، فلم يزلْ ذلك عنه، وكان يكابدْ بنفسه المكابدة الشديدة، حتى باع قماشاً كان له، وجمع من الدنانير ما يحتاج ُ إليه فجاء إلى بابها، وأمرت أن يسلم ذلك إلى وكيل لها، وواعدته وقتاً لمجيئه، فجاء إليها فى ذلك الوقت، وقد تزيّنت، وجلستْ فى بيتها على سريرها، فدخل عليها العابدُ، وجلس معها على السرير، فلما مدّ يده إليها، وانبسط إليها، تداركه الله برحمته، وبركة عبادته المتقدمة، فوقع فى قلبه أن الله تعالى يرانى فى هذه الحالة، فوق عرشه، وأنا فى الحرام، وقد أحبطَ عملى كله، فوقعت الهيبةُ فى قلبه، وارتعدت فرائصهُ، وتغير لونه، فنظرت المرأة إليه، فرأته متغير اللون. فقالت: أىّ شىء أصابك؟ قال: إنى أخافُ ربى، فائذنى لى بالخروج.

فقالت له: ويحك، إن كثيراً من الناس يتمنون الذى وجدته، فأى شىء هذا الذى أنت فيه: فقال لها: إنى أخافُ الله، وإن المالَ الذى دفعتهُ إليك هو حلال لك، فأذنى لى بالخروج.

فقالت له: كأنك لم تعملْ هذا العمل قط؟ قال : لا. فقالت: من أين أنت؟ وما اسمك؟ فأخبرها أنه من قرية كذا، واسمه كذا. فقالت : اخرج، فخرج من عندها، وهو يدعو بالويل والثبور ويبكى على نفسه، ويحثو التراب على رأسه، فوقعت الهيبةُ فى قلب المرأة. فقالت فى نفسها: إن هذا الرجل أول ذنب أذنبه، وقد دخل عليه من الخوف مادخل، وإنى قد أذنبت منذ كذا وكذا سنة، وإن ربّه الذى يخافُ منه هو ربّى، فخوفى منه ينبغى أن يكون أشد. فتابتْ إلى الله، وأغلقت بابها عن الناس، ولبست ثيباً خَلقه، وأقبلت على العبادة، وكانت فى عبادتها ماشاء الله، فقالت فى نفسها : لو أنىَ انتهيتُ إلى ذلك الرجل، فلعله يتزوجنى فأكون عنده، فأتعلم منه أمر دينى، ويكون عوناً على عبادة الله تعالى، فتجهزتْ، وحملتْ معها من الأموال والخدم ماشاء الله، فانتهتْ إلى تلك القرية، وسألت عنه، فأخبر العابد أن امرأة تسأل عنه، فخرج إليها، فلما رأته المرأة كشفتْ عن وجهها ليعرفها، فلما رآها عرف وجهها، وتذكر الأمر الذى كان بينه وبينها، فصاح صيحة، وخرجت روحُه، فبقيت المرأة حزينةً، وقالت : إنى خرجتُ لأجله، وقد مات، فهل من أقربائه أحدٌ يحتاج إلى امرأة يتزوجها؟ فقالوا : إن له أخاً ليس له مال . فقالت: لا بأس، وإن لى من المال ما فيه غنية. فجاء أخوه، فتزوّج بها، فولد منها سبعة من البنين كلهم صاروا أنبياء فى بنى إسرائيل !» ، والله سبحانه أعلم .

باب حق الوالدين

١٤٠ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ :حدثنا أبو القاسم عبد الرحن بن محمد النيسابورى، أنبأنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل العابد، حدثنا يزيد بن هارون، قال: حدثنا سليمان التيمى، عن سعد بن مسعود، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : مامن مؤمن له أبوان، فيصبح وهو محسنٌ إليهما إلا فتحَ الله له بابين من الجنة. ولا يسخط عليه واحد منهما، فلا يرضى الله تعالى عنه حتى يرضى .قيل : وإن كان ظالماً؟ قال: وإن كان ظالماً (١) .

وروى هذا الخبر مرفوعاً، فيه زيادة. قال: «ولا يصبح وهو مسىء إليهما إلا فتح الله له بابين من النار، وإن كان واحداً فواحد» (١) .

قال ـ رضى الله تعالى عنه ـ: حدثنا أبو القاسم، حدثنا فارس، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن سفيان، عن ابن جريج، عن عطاء قال: قال موسى عليه الصلاة والسلام: يارب أوصنى. قال: أوصيك بى. قال: أوصنى. قال: أوصيك بأمك. قال: أوصنى، قال: أوصيك بأمك قال: أوصنى، قال: أوصيك بأبيك.

١٤١ ـ وروى عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إنى أريد الجهاد. قال: « **أحىّ أبواك ؟**» قال: نعم قال: « **ففيهما فجاهد** »(٢) .

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ فى هذا الخبر دليلٌ على أنّ بر الوالدين أفضلُ من الجهاد فى سبيل الله تعالى؛ لأنَّ النبىﷺ أمره أن يترك الجهاد، ويشتغل ببرِّ الوالدين. وهكذا نقول: إنه لا يجوزُ للرجل أن يخرج إلى الجهاد فى سبيل الله ، إذا لم يأذن له أبواه، مالم يقع النفيرُ عاماً، وتكون طاعةُ الوالدين أفضلَ من الخروج إلى الغزو.

١٤٢ ـ وروى بهز بن حكيم، عن أبيه عن جدّه، قال: قلت: يارسول الله؛ من أبر؟ قال: «**أمك**» قال : قلت: ثم من؟ قال: « **أمك**» قال: قلت: ثم من؟ قال:

---

(١) ضعيف * البخارى فى « الأدب المفرد»(٤) والبيهقى فى « الشعب» (٧٩١٥، ٧٩١٦). وانظر . ضعيف الجامع(٥٤٢٧).

(٢) متفق عليه* البخارى (٦/ ٤٠٠٣) ومسلم (٤/ ٢٥٤٩).

«**أمسك**» قال : قلت: ثم من ؟ قال: « **أباك، ثم الأقرب والأقرب**»(١).

١٤٣ ـ قال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو القاسم، حدثنا فارس بن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضيل، قال: حدثنا آصرم بن حوشب قال: حدثنا عيسى بن عبدالله، عن زيد بن على، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول الله ﷺ: « **لو علم الله أن شيئاً من العقوق أدنى من أفّ لنهى عن ذلك، فليعمل العاق ماشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة، وليعمل البار ماشاء أن يعمل فلن يدخل النار**»(٢).

قال الفقيه رضى الله عنه: لو لم يذكر الله تعالى فى كتابه حرمة الوالدين، ولم يوص بهما، لكان يعرف بالعقل أن حرمتهما واجبة، وكان الواجبُ على العاقل أن يعرفَ حرمتهما، ويقضى حقهما، فكيف وقد ذكر الله تعالى فى جميع كتبه: فى التّوراة، والإنجيل، والزّبور، والفرقان، وقد أمر فى جميع كتبه، وأوحى إلى جميع الأنبياء، وأصاهم بحرمة الوالدين، ومعرفة حقّهما، وجعل رضاه فى رضا الوالدين، وسخطه فى سخطهما.

ويقال: ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث، لا يقبلُ الله واحدة منهن بغير قرينتها:

أولاها: قوله تعالى: ﴿ **وأقيمُوا الّصلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ [البقرة: ٤٣] فمن صلى ولم يؤت الزكاة؛ لم تُقبل منه الصَلاة [آل عمران : ١٣٢].

والثانية: قوله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا الله والرَّسُولَ** ﴾ [آل عمران: ١٣٢] فمن أطاع الله ولم يطع الرسول؛ لم يُقبل منهَ.

والثالثة: قوله تعالى: ﴿ **أَنِ اشْكُرْ لى وَلِوَالِدَيْكَ**﴾ [لقمان: ١٤] فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه، لم يُقبل منهَ.

١٤٤ ـ والدليل على ذلك ماروى عن رسول الله ﷺ قال: « **إن لعنة الوالدين تبتر أصلَ ولدهما إذا عقّهما، فمن أرضى والديه فقد أرضى خالقه، ومن أسخط والديه فقد أسخط خالقه، ومن أدرك والديه، أو أحدهما، فلم يبرهما، دخل النار، فأبعده الله** »(٣).

١٤٥ ـ وسئل النبى ﷺ: أى الأعمال أفضل؟ قال: « **الصلاة لوقتها، ثم برّ**

---

(١) حسن* أحمد (٥/٣) وأبو داود (٥١٣٩) والترمذى (١٨٩٧) والحاكم (٤/ ١٥٠).

(٢) موضوع * الديلمى فى « الفردوس » (٥١٠١) . انظر : تنزيه الشريعة (٢/ ٢٣٣).

(٣) جمع المصنف بين حديث ابن عمرو« رضا الرب فى رضا الوالد . » وحديث أبى بن مالك «**من أدرك والديه أو أحدهما ثم دخل النار .** ». انظر · الصحيحة (٥١٥. ٥١٦).

الوالدين، ثم الجهاد في سبيل الله »[1].

وعن فرقد السَّبَخي، قال: قرأت في بعض الكتب أنه لا ينبغي للولد أن يتكلّم إذا شهد والديه إلا بإذنهما، ولا يمشي بين أيديهما، ولا عن يمينهما، ولا عن شمالهما، إلا أن يدعواه فيجيبهما، ولكن يمشي خلفهما، كما يمشي العبدُ خلف مولاه.

١٤٦ ـ وذكر أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال: يارسول الله، إن أمي خرفت عندي، وأنا أطعمها بيدي، وأسقيها، وأوضئها، وأحملها على عاتقي، فهل جازيتها؟ قال: « **لا ، ولا واحدة من مئة، ولكنك قد أحسنت، والله يثيبك على القليل كثيراً**»[2].

وروى هشام بن عروة عن أبيه، قال: مكتوب في الحكمة: ملعون من لعن أباه، ملعون من لعن أمه، ملعون من صدّ عن السبيل، أو أضل الأعمى عن الطريق، ملعون من ذبح بغير اسم الله، ملعون من غير تخوم الأرض[3]، يعني الحدّ الذي بين أرضه وأرض غيره، ويقال: يعني علامات الحرم، معنى قوله: « **لعن أباه ولعن أمه**» يعني عمل عملاً يلعن به أبواه، فصار كأنه هو الذي لعنهما.

١٤٧ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إن من أكبر الذنب أن يسب الرجل والديه**»، قيل: وكيف يسب والديه؟ قال: « **يسب أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسبّ أمه**» [4].

١٤٨ ـ وروى أبان، عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: كان شاب على عهد رسول الله ﷺ يسمى علقمة، وكان شديد الاجتهاد عظيم الصدقة، فمرض فاشتدّ مرضه، فبعثت امرأته إلى رسول الله ﷺ أن زوجي في النّزع، فأردتُ أن أعلمك بحاله، فقال رسول الله ﷺ لبلال وعليّ وسلمان وعمار:

« **اذهبوا إلى علقمة فانظروا ما حاله؟**» فانطلقوا حتى دخلوا عليه، فقالوا له: قل: لا إله إلا الله، فلم ينطلق لسانه، فلما أيقنوا أنه هالك، بعثوا بلالاً إلى رسول الله ﷺ ليخبره بحاله فقال رسول الله ﷺ: « **هل له أبوان؟** » فقيل له: أما أبوه فقد مات، وله أم كبيرة السّن. فقال: « **يابلال، انطلق إلى أم علقمة، فأقرئها مني السلام، وقل لها: إن قدرتِ على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقري حتى يأتيك رسول الله**

---

(١) **متفق عليه** * البخاري (١٠/ ٥٩٧٠) ومسلم (٨٥) عن ابن مسعود.

(٢) **صحيح موقوف** * البخاري في « الأدب المفرد» (١١) . وانظر المجمع (٨/ ١٣٧)و الشعب (٧٩٢٤)

(٣) **صحيح مرفوع** * من حديث علي بن أبي طالب . انظر : صحيح الجامع (٥١١٢).

(٤) **متفق عليه** * البخاري (١٠/ ٥٩٧٢ بنحوه) ومسلم (٩٠ بلفظه) عن ابن عمرو.

ﷺ، فذهب بلال فأخبرها. فقالت: نفسى لنفسه الفداء، أنا أحقّ بإتيانه، فأخذت العصا، فمشت حتى دخلت على رسول الله ﷺ فقال: «**اصدقينى، فإن كذبتنى جاءنى الوحى من الله تعالى؛ كيف حال علقمة؟**».

قالت: يارسول الله، كان يصلى كذا، ويصوم كذا، وكان يتصدق بجملة من الدراهم، ما يدرى كم وزنها، وما عددها. قال: «**فما حالك وحاله؟**» قالت: يارسول الله، إنى عليه ساخطة واجدة، قال لها: «**ولَمَ ذلك؟**» قالت: كان يؤثر امرأته علىّ، ويطيعها فى الأشياء، ويعصينى. فقال رسول الله ﷺ: «**سخط أمه حجب لسانه عن شهادة أن لا إله إلا الله**»، ثم قال لبلال: «**انطلق، واجمع حطباً كثيراً، حتى أحرقه بالنار**» فقالت: يارسول الله، ابنى وثمرة فؤادى تحرقه بالنار بين يدى، فكيف يحتمل قلبى؟ فقال لها رسول الله ﷺ: «**ياأم علقمة، فعذاب الله أشد وأبقى، فإن سرّك أن يغفر الله له فارضى عنه، فوالذى نفسى بيده لا تنفع الصلاة والصدقة مادمت عليه ساخطة**» فرفعت يديها، وقالت. يارسول الله، أُشْهِدُ الله فى سمائه، وأنت يا رسول الله، ومَن حضرنى، أنى قد رضيتُ عن علقمة .

فقال رسول الله ﷺ: «**انطلق يابلال فانظر، هل يستطيع علقمة أن يقول: لا إله إلا الله؟ فلعل أم علقمة تكلّمت بما ليس فى قلبها حياء من رسول الله**» فانطلق بلال، فلما انتهى إلى الباب، سمع علقمة يقول: لا إله إلا الله، فلما دخل بلال قال: ياهؤلاء، إنّ سخطَ أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة، وإنّ رضاها أطلق لسانه، فمات من يومه فأتاه رسول الله ﷺ فأمر بغسله وتكفينه، وصلى عليه، ثم قام على شفير القبر، وقال: «**يامعشر المهاجرين والأنصار، مَن فضّل زوجته على أمه، فعليه لعنة الله، ولا يُقبل منه صرْف ولا عدل**» (١) يعنى الفرائض والنوافل.

وروى ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى قوله تعالى: ﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاه بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً** ﴾ يعنى أمر ربك أن لا توحّدوا غير الله تعالى. ويقال: ألا تعبدوا إلا إياه يعنى لا تطيعوا أحداً فى المعصية. لكل أطيعوا الله فيما يأمركم به ﴿ **وبالْوَالِدَين إِحْسَاناً** ﴾ يعنى براً بهما وعطفاً عليهما ﴿ **إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ** ﴾ يعنى الهرم ﴿ **أَحَدُهُما أَوْ كِلاَهُمَا** ﴾ يعنى أحد الأبوين أو كلا الأبوين ﴿ **فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ** ﴾ يعنى: ولاتقل لهما قولاً رديئاً، ويقال معناه: إذا كبر الأبوان، واحتاجا إلى رفع بولهما وغائطهما، فلا تأخذ بأنفك عند ذلك، ولا تعبس بوجهك، فإنهما قد

(١) ضعيف جداً، مداره على (فائد بن عبد الرحمن) متروك انظر: الترغيب للمنذرى (٣/ ٢٢٢) والفوائد المجموعة (٢٣٠، ٢٣١). والكبائر (١١٦ بتحقيقى) .

رفعا ذلك منك في حالة صغرك، ورأيا ذلك منك كثيراً. ثم قال: ﴿ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا﴾ يعني: لا تغلظ لهما بالقول﴿وقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً﴾يعني ليناً حسناً ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾يعني كُنْ ذليلاً رحيماً عليهما ﴿ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ يعني إذا ماتا، فادعُ لهما بالمغفرة، يعني يجب على الولد أن يعرفَ حقّ الوالدين في حياتهما، ويعرف حقّهما بعد موتهما، فيدعو لهما بالمغفرة على أثر كل صلاة.

ويقال: ﴿ وقلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا﴾ يعني يدعو لهما بالمغفرة في حال حياتهما وبعد موتهما ﴿ كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٤] كما قاما عليّ في حال صغرى حتى كبرت، فاجزهما عني بالمغفرة لهما.

وروى عن بعض التابعين ـ رضى الله عنهم ـ أنه قال: من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات، فقد أدى حقهما، لأن الله تعالى قال: ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] فشكر الله تعالى أن يصلى في كل يوم خمس مرات، وكذلك شكرَ الوالدين أن يدعو لهما في كل يوم خمس مرات، ثم قال: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ يعني عالم بما في قلوبكم من اللين والبر للأبوين ﴿ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ يعني إن تكونوا بارّين بالوالدين؛ فتستوجبوا على الله بذلك الأجرَ﴿ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً﴾ [الإسراء: ٢٥] يعني إن تركتم حقّ الوالدين فتوبوا إلى الله تعالى، فإنه كان للأوّابين يعني الراجعين عن الذنوب غفوراً.

ويقال للوالدين على الولد عشرة حقوق:

أحدهما : أنه إذا احتاج أحدهما إلى الطعام أطعمه .

والثاني : إذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليه. وهكذا روى عن رسول الله ﷺ في تفسير قول الله تعالى: ﴿ وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفاً﴾ [لقمان : ١٥] فقال: المصاحبة بالمعروف: أن يطعمهما إذا جاعا، ويكسوهما إذا عريا .

والثالث: إذا احتاج أحدهما إلى خدمته خدمه.

والرابع: إذا دعاه أجابه وحضره .

والخامس: إذا أمره بأمر أطاعه؛ مالم يأمر بالمعصية والغيبة .

والسادس : أن يتكلم معه باللين ولا يتكلم معه بالكلام الغليظ .

والسابع : أن لا يدعوه باسمه.

والثامن: أن يمشي خلفه.

والتاسع: أن يرضى له ما يرضى لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه .

والعاشر: أن يدعو له بالمغفرة، كلما يدعو لنفسه .

قال الله تعالى، حكاية عن نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ: ﴿ **رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ** ﴾ [نوح: ٢٨] وهكذا عن إبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ : ﴿ **رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ. رَبَّنَا اغْفِرْ لِى وَلِوَالِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِسَابُ** ﴾ [إبراهيم : ٤٠ ـ ٤١].

يعنى يوم القيامة.

وروى عن بعض الصحابة ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: تَرْكُ الدعاء للوالدين يضيّق العيش على الولد.

قال الفقيه: فإن سأل سائل: إنّ الوالدين إذا ماتا ساخطين على الولد، هل يمكنه أن يرضيهما بعد وفاتهما؟ قيل له : بلى. يرضيهما بثلاثة أشياء :

أولها: أن يكونَ الولدُ صالحاً فى نفسه؛ لأنه لا يكونُ شىءٌ أحبّ إليهما من صلاحه.

والثانى: أن يصلَ قرابتهما وأصدقاءهما.

والثالث: أن يستغفرَ لهما، ويدعوَ لهما، ويتصدّق عنهما .

١٤٩ـ وروى العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: « **إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له بالمغفرة** » (١).

١٥٠ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: « **لا تقطع من كان يصل أباك، فتطفىء بذلك نورك، فإن ودّك ودّ أبيك** »(٢) .

١٥١ ـ وذكر أن رجلاً من بنى سلمة جاء إلى النبى ﷺ فقال : إن أبواى قد ماتا، فهل بقى من برّهما علىّ شىء؟ قال: « **نعم، الاستغفار لهما، وانفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التى لا تُوصل إلا بهما** » (٣).

والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) **صحيح** * مسلم (/ ١٦٣١) وغيره.

(٢) **حسن** * رواه البخارى فى « الأدب المفرد» (ص٩) والبيهقى فى « الشعب» (٧٨٩٨ مكرر). انظر . المجمع (١٤٧/٨).

(٣) **ضعيف** * أحمد (٣/ ٤٩٨) وأبو داود (٥١٤٢) وابن ماجه (٣٦٦٤). انظر: المشكاة (٤٩٣٦).

باب حقّ الولد على الوالد

١٥٢ ـ قال الفقيه أبو الليث ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا أبومعاوية، عن حسن بن عمارة، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن عيسى بن طلحة، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: « **من حق الولد على الوالد ثلاثة أشياء: أن يحسن اسمه إذا ولد، ويعلمه الكتاب إذا عقل، ويزوّجه إذا أدرك**»[(١)].

وروى عن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رجلاً جاء إليه بابنه، فقال: إن ابنى هذا يعقّنى. فقال عمر ـ رضى الله عنه ـ للابن: أما تخاف الله فى عقوق والدك، فإن من حق الوالد كذا، ومن حق الوالد كذا. فقال الابن: ياأمير المؤمنين، أما للابن على والده حق؟ قال: نعم، حقّه عليه أن يستنجب أمه، يعنى لا يتزوّج امرأة دنيئة، لكيلا يكون للابن تعيير بها. قال: ويُحْسِن اسمه، ويعلمه الكتاب. فقال الابن: فوالله ما استنجب أمى، وماهى إلا سندية اشتراها بأربعمئة ردهم، ولا حسن اسمى، سمانى جُعَلاً ـ ذكر الخفاش ـ ولا علّمنى من كتاب الله آية واحدة فالتفت عمر ـ رضى الله عنه ـ إلى الأب، وقال: تقول: ابنى يعقنى، فقد عققته قبل أن يعقّك. قم عنى.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعت أبى يحكى عن أبى حفص الإسكندرانى، وكان من علماء سمرقند، أنه أتاه رجل، فقال: إنّ ابنى ضربنى وأوجعنى. قال: سبحان الله الابن يضرب أباه؟ قال: نعم، ضربنى وأوجعنى. فقال: هل علّمته الأدب والعلم. قال: لا. قال: فهل علمته القرآن؟ قال: لا. قال: فأى عمل يعمل؟ قال: هل علمتّ لأى شىء ضربك؟ قال: لا. قال: فلعله حين أصبح وتوجّه إلى الزرع، وهو راكبٌ على الحمار، والثيران بين يديه، والكلب من خلفه، وهو لايحسنُ القرآن، فتغنى، وتَعَرَّضْتَ له فى ذلك الوقت، فظن أنك بقرة فضربك، فاحمد الله حيث لم يكسر رأسك.

وعن ثابت البنانى ـ رحمه الله تعالى ـ قال: روى أن رجلاً كان يضربُ أباه فى موضع، فقيل له: ماهذا؟ فقال الأب: خلّوا عنه، فإنى كنت أضربُ أبى فى هذا الموضع، فابتليت بابنى يضربنى فى هذا الموضع، هذا بذاك، ولا لوم عليه.

قال بعض الحكماء: من عصى والديه لم يَرَ السُّرور من ولده، ومن لم يستشرْ فى الأمور لم يصلْ إلى حاجته، ومن لم يدار أهلَه ذهبتْ عيشه.

---

(١) ضعيف جداً: انظر ضعيف الجامع (٢٧٣٤).

١٥٣ ـ وروى الشعبى عن النبى ﷺ أنه قال : « **رحم الله والداً أعان ولده على برّه** »(١) يعنى لا يأمرٍ يخافُ منه أن يعصيَه فيه.

وروى عن بعض الصالحين أنه كان لا يأمر ابنَه بأمر، وكان إذا احتاج إلى شىء يأمرْ غيره، فَسُئِل عن ذلك، فقال: إنى أخاف أنى لو أمرتُ ابنى بذلك يعصينى فى ذلك، فيستوجبُ النار، وأنا لا أحرقُ ابنى بالنار.

وروى عن خلف بن أيوب نحو هذا.

وقال الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ : تام المروءة مَن بَرّ والديه، ووصَل رحمه، وأكرم إخوانه، وحسّن خلقه مع أهله وولده وخدمه، وأحرز دينه، وأصلح ماله، وأنفق من فضله، وحفظ لسانه، ولزم بيته. يعنى يكون مقبلاً على عمله، ولا يجلسُ مع أهل الفضول.

١٥٤ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « أربع من سعادة المرء: أن تكون زوجته صالحة، وأولاده أبراراً، وخلطاؤه صالحين، وأن يكون رزقُه فى بلده»(٢).

١٥٥ ـ وروى يزيد الرقاشى عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: سبع يؤجر فيهن العبد من بعده: من بنى مسجداً فله أجره ما دام أحد يصلى به، ومن أجرى نهراً، فما دام يجرى فيه الماء ويشرب منه الناس كان له أجره، ومن كتب مصحفاً وأحسنه، كان له أجره مادام يقرأ فيه أحد، ومن استخرج عيناً ينتفع بمائها، كان له أجرها مابقيت، ومن غرس غرساً كان له أجره فيما أكل الناس منه والطير، ومن عَلَّم علماً كذلك، ومن ترك ولداً يستغفر له، ويدعو له من بعده، يعنى إذا كان الولد صالحاً، وقد علمه الأب الأدب والقرآن والعلم، فيكون أجره لوالده من غير أن ينقص من أجر ولده شىء، فإذا كان الوالد لايعلمه القرآن، ويعلمه طريق الفسق، يكون وزره على أبيه، من غير أن ينقصَ من وزر ولده شىء(٣).

١٥٦ ـ وروى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له بخير**»(٤).

---

(١) مرسل (من أقسام الضعيف) .وانظر : تخريج الإحياء (٢/ ١٩٣) والضعيفة (١٩٤٦).

(٢) **ضعيف جداً*** ابن أبى الدنيا فى « كتاب الإخوان » (٥٣، ٥٤) انظر . الضعيفة (٧٥٩).

(٣) **ضعيف جداً*** أبو نعيم فى « الحلية» (٢/ ٣٤٤) والبزار: فيه (محمد بن عبيد الله العرزمى) متروك كما فى «التقريب » وانظر . المجمع (١/ ١٦٧).

(٤) **ضعيف*** سبق تخريجه برقم (١٤٩)

باب صلة الرّحم

١٥٧ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رضى الله تعالى عنه : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، قال: حدثنا فارس بن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن عبيد الطنافسى، تلميذ الأعمش، عن عمرو بن عثمان، عن موسى بن طلحة، عن أبى أيوب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: عرض أعرابى للنبى ﷺ فأخذ بزمام ناقته أو خطامها، ثم قال : يارسول الله، أخبرنى بما يقرّبنى من الجنة ويباعدنى من النار، قالﷺ: « **أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتى الزكاة، وتصل الرحم**»(١).

١٥٨ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن على السردرى: قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن الأحوص، قال: حدثنا الحسين بن على بن عفان، قال: حدثنا هانىء بن سعيد النخعى، عن سليمان بن زيد، عن عبد الله بن أبى أوفى ـ رضى الله عنه ـ قال: كنا جلوساً عشية عرفة عند رسول الله ﷺ فقال النبى ﷺ :«**لا يجالسنى من أمسى قاطعَ رحم، ليقمْ عنا**» فلم يقم أحد إلا رجل كان من أقصى الحلقة، فمكث غير بعيد ثم جاء، فقال له رسول الله ﷺ: « **مالك لم يقم أحدٌ من الحلقة غيرك**» قال: يانبى الله، سمعت الذى قلت، فأتيت خالة لى كانت تصارمنى أى تقاطعنى، فقالت: ماجاء بك، ماهذا دأبك؟، فأخبرتها بالذى قلت، فاستغفرت لى واستغفرت لها، فقال النبى ـ ﷺ ـ : « **أحسنت، اجلس. ألا إنّ الرحمة لا تنزلُ على قوم فيهم قاطع رحم**»(٢).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: فى الخبر دليلٌ على أنّ قطعَ الرحم ذنبٌ عظيم، لأنه يمنع الرحمة عنه، وعمن كان جليسه، فالواجب على المسلم أن يتوب من قطع الرحم، ويستغفر الله تعالى، ويصل رحمه، لأن النبى ﷺ بيّن فى الخبر الأول: أنّ صلة الرّحم تقرب العبد من رحمته، وتباعده من النار.

١٥٩ ـ وروى عن الرسول ﷺ أنه قال: « **مامن حسنة أعجل ثواباً من صلة الرحم، وما من من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة فى الدنيا مع ما يدّخر فى**

---

(١)متفق عليه * البخارى (١٠/ ٥٩٨٣) ومسلم (١٣)

(٢) ضعيف * الأصبهانى فى « الترغيب» (٢٢٩٠) فيه· أبو إدام .انظر: ضعيف الجامع (١٤٦٣).

الآخرة من البغى وقطيعة الرحم»(١).

١٦٠ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، قال: حدثنا فارس بن مردويه، قال: حدثنا محمد بن الفضيل، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: حدثنا الحجاج بن أرطأة، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إن لى أرحاماً أصلهم ويقطعوننى، وأعفو عنهم ويظلموننى، وأحسن إليهم ويسيئوننى أفأكافئهم؟ قال: «**لا، إذا تشتركون جميعاً، ولكن خُذْ بالفضل وصِلْهم، فإنه لن يزال معك ظهيرٌ من الله، ماكنت على ذلك**»(٢).

ويقال: ثلاثة من أخلاق أهل الجنة، لاتوجد إلا فى الكريم: الإحسان إلى المسىء، والعفو عمن ظلمه، والبذل لمن حرمه.

قال: حدثنا أبو القاسم، حدثنا فارس، حدثنا محمد، حدثنا أصر بن حوشب، عن أبى سنان، عن الضحاك بن مزاحم، فى تفسير هذه الآية: ﴿**يَمْحُو الله مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ**﴾ [الرعد: ٣٩] قال: إنّ الرجل ليصلُ رحمه، وقد بقى من عمره ثلاثة أيام، فيزيد الله فى عمره ثلاثين سنة، وإن الرجل ليقطع رحمه، وقد بقى من عمره ثلاثون سنة، فيحطه الله إلى ثلاثة أيام.

١٦١ ـ وروى ثوبان عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا يردّ القدر إلا الدعاء، ولايزيدُ فى العمر إلا البرّ، وإن الرجلَ ليحرُم الرزق بالذنب يصيبه**»(٣).

وعن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: من اتّقى ربّه، ووصل رحمه، أُنسىء له فى عمره، يعنى يزاد فى عمره، وأثرى له ماله ـ يعنى كثر ـ وأحبه أهله.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: قد اختلفوا فى زيادة العمر، فقال بعضهم: الخبر على ظاهره، أن من وصل رحمه الله يزاد فى عمره. وقال بعضهم: لا يزاد فى الأجل الذى أُجِّلَ له؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَيَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف: ٣٤] ولكن معنى زيادة العمر أن يكتب ثوابه بعد موته، وإذا كتب له ثوابه بعد موته، فكأنه يزيد فى عمره.

١٦٢ ـ وروى سعيد، عن قتادة، أنه قال: ذكر لنا أن النبى ﷺ قال: «**اتّقوا الله**

---

(١) **صحيح** ❊ أحمد (٥/٣٦، ٣٨) والترمذى (٢٥١١) وابن ماجه(٤٢١١). انظر. الصحيحة (٩١٨).

(٢) **صحيح** ❊ مسلم (٤/٢٥٥٨) وغيره.

(٣) **حسن (دون آخره)** ❊ الصحيحة (١٥٤) وآخره فى ضعيف الجامع (١٤٥٢). والداء والدواء (ص١٥).

وصِلُوا الرحم، فإنه أبقى لكم فى الدنيا، وخير لكم فى الآخرة»(١).

وكان يقال: إذا كان لك قريب، فلم تمش إليه برجلك، ولم تعطه من مالك، فقد قطعته.

وفى بعض الصحف مما أنزل الله تعالى: يابن، صِلْ رحمك بمالك، فإن بخلتَ بمالك، أو قلّ مالك، فامشِ إليه برجلك.

١٦٣ ـ وقال النبى ﷺ: « **صلّوا أرحامكم ولو بالسلام**»(٢).

قال ميمون بن مهران: ثلاثة أشياء الكافر والمسلم فيهن سواء: من عاهدته ففِ له بعهدك مسلماً كان أو كافراً، فإنما العهدُ لله، ومن كانت بينك وبينه قرابة فصله مسلماً كان أو كافراً، ومن ائتمنك على أمانة فأدّها مسلماً كان أو كافراً.

وقال كعب الأحبار: والذى فلق البحر لموسى ـ عليه السلام ـ وبنى إسرائيل إنه لمكتوب فى التوراة: اتّق ربك، وبّر والديك، وصل رحمك، أمدّ لك فى عمرك، وأيسرك فى يسرك، وأصرف عنك عسرك.

وقد أمر الله تعالى بصلة الرحم فى مواضع من كتابه، فقال﴿ **واتَّقُوا الله الَّذى تَسَاءَلُونَ بِهِ والأَرْحَامَ**﴾ [النساء: ١] يعنى: اخشو الله الذى تساءلون به الحاجات والأرحام، يعنى اتقوا الأرحام فصلوها ولاتقطعوها وقال فى آية أخرى: ﴿**وآتِ ذا القُرْبى حقَّهُ**﴾ [الإسراء: ٢٦] يعنى أعطه حقه من الصلة والبر.

وقال فى آية أخرى: ﴿ **إنَّ الله يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإِحْسَانِ**﴾ يعنى بالتوحيد، وهو شهادة أن لا إله إلا الله، ويأمر بالإحسان يعنى إلى الناس والعفو عنهم ﴿ **وإيتاء ذى القُرْبى**﴾ يعنى يأمر بصلة الرحم فأمر بثلاثة أشياء، ثم نهى عن ثلاثة أشياء، فقال عز وجل ﴿ **ويَنْهَى عَنِ الفَحْشَاء والمُنْكَرِ والبَغْى**﴾ الفحشاء المعاصى. والمنكر: ما لا يعرف فى شريعة ولا سنة. والبغى: الاستطالة على الناس ﴿**يَعظُكُم**﴾ يعنى يأمركم بهذه الأشياء الثلاثة، وينهاكم عن هذه الثلاثة﴿ **لَعَلَّكُم تَذَكَّرُونَ**﴾ [النحل: ٩٠] يعنى لكى تتعظوا.

١٦٤ ـ وروى عن عثمان بن مظعون ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان

---

(١) مرسل (من أقسام الضعيف) * انظر: ضعيف الجامع (١٢٢).

(٢) حسن* القضاعى فى « الشهاب» (٦٥٣ , ٦٥٤) . وانظر: الصحيحة (١٧٧٧). الكبائر (١١٩ بتحقيقى) .

رسول الله ﷺ صديقاً لى، وما أسلمتُ إلا حياءً من رسول الله ﷺ ؛ لأنّه كان يدعونى إلى الله فأسلمتُ ولم يكن يستقر الإسلام فى قلبى، فجلستُ عنده يوماً يحدّثنى إذا أعرض عنى، فكأنه يحدّث أحداً بجانبه، ثم أقبل علىّ، فقال: « نزل جبريل عليه السلام، فقرأ علىّ هذه الآية: ﴿ إنَّ الله يَأْمُرُ بالعَدْلِ والإحْسَانِ وإيتَاءِ ذِى القُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠] الآية. فسررتُ بذلك، واستقر الإسلامَ فى قلبى، فقمت من عنده وأتيت عمه أبا طالب، فقلت له: كنت عند ابن أخيك، فأنزلت عليه هذه الآية، فقال أبو طالب: تابعوا محمداً تفلحوا وترشدوا، والله إن ابن أخى يأمرُ بمكارم الأخلاق، لئن كان صادقاً أو كاذباً لا يدعوكم إلا إلى الخير فبلغ ذلك النبى ﷺ فطمع فى إسلامه، فأتى إليه ودعاه إلى الإسلام، فأبى أن يسلم، فنزلت هذه الآية: ﴿ إنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ الله يَهْدِى مَنْ يَشَاء﴾ [القصص: ٥٦] فقد ذكر الله عز وجل فى هذه الآية صلة الرحم. وقال فى آية أخرى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُم إنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فى الأرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣] يعنى الذين يقطعون الرحم(١).

١٦٥ ـ ويقال: « إنَّ الله تعالى لما خَلَق الرّحم، قال: أنا الرحمنُ وأنت الرَّحم، أقطعُ من قطعك، وأصلُ من وصلك»(٢).

١٦٦ ـ وذكر « إنَّ الرّحم معلّق بالعرش ينادى الليل والنهار: يارب، صِلْ مَن وصلنى فيك، واقطعْ مَن قطعنى فيك» (٣).

قال الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ : إذا أظهر الناس العلم، وضيّعوا العمل، وتحابّوا بالألسن، وتباغضوا بالقلوب، وتقاطعوا بالأرحام، لعنهم الله، فأصمّهم، وأعمى أبصارهم.

قال الفقيه: حدثنى أبى، حدثنا محمد بن حمزة أبو الحسين الفراء الفقيه، حدثنا أبو بكر الطوسى، حدثنا حامد بن يحيى البلخى، حدثنا يحيى بن سليم قال: كان عندنا بمكة رجل من أهل خراسان، وكان رجلاً صالحاً، وكان الناس يُودعونه ودائعهم، فجاء رجل؛ فأودعه عشرة آلاف دينار، وخرج الرجلُ فى حاجته، فقدم

---

(١) ضعيف* البخارى فى « الأدب المفرد»، وأحمد (١/ ٣١٨) فيه (شهر بن حوشب).

(٢) صحيح * أحمد (١/ ١٩٤) وأبو داود(١٦٩٤) والترمذى (١٩٠٧) . انظر: الصحيحة (٥٢٠).

(٣) صحيح * مسلم (٤/ ٢٥٥٥) عن عائشة بنحوه .

الرجلُ مكة، وقد مات الخراسانى، وسأل ولده وأهله عن ماله، فلم يكن لهم به علم، فقال الرجل لفقهاء مكة ـ وكانوا يومئذ مجتمعين متوفرين ـ : أودعت فلاناً عشرة آلاف دينار، وقد مات، وسألت ولده وأهله فلم يكن لهم بها علم، فما تأمروننى؟ فقالوا: نحن نرجوا أن يكون الخراسانى من أهل الجنة، فإذا مضى من الليل ثلثه أو نصفه، فائت زمزم، فاطلع فيها، وناد: يافلان بن فلان، أنا صاحبُ الوديعة، ففعل ذلك ثلاث ليال، فلم يجبه أحد، فأتاهم، وأخبرهم، فقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، نحن نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار فائت اليمن، فإن فيها وادياً يقال له برهوت، وبه بئر، فاطلع فيها إذا مضى ثلث الليل أو نصفه، فناد: يافلان بن فلان، أنا صاحبُ الوديعة، ففعل ذلك، فأجابه فى أول صوت، فقال: ويحك، ما أنزلك ههنا، وقد كنت صاحب خير قال: كان لى أهل بيت بخراسان، فقطعتهم حتى متّ، فآخذنى الله بذلك، فأنزلنى هذا المنزل، فأما مالك فهو على حاله، وإنى لم أأتمن ولدى على مالك، فدفنته فى بيت كذا، فقل لولدى يدخلك فى دارى، ثم سِرْ إلى البيت، فاحفرْ؛ فإنك ستجد مالك. فرجع فوجد ماله على حاله!.

قال الفقيه: إذا كان الرجل عند قرابته، ولم يكن غائباً عنهم، فالواجبُ عليه أن يصلهم بالهدية وبالزيارة، فإن لم يقدرْ على الصّلة بالمال، فليصلهم بالزيارة وبالإعانة فى أعمالهم إن احتاجوا، وإن كان غائباً يصلهم بالكتابة إليهم، فإن قدرَ على المسير إليهم كان المسيرُ أفضل.

واعلم بأن فى صلة الرحم عشر خصال محمودة:

أولاها: أنّ فيها رضا الله تعالى لأنه أمر بصلة الرحم.

والثانية: إدخال السرور عليهم، وقد روى فى الخبر:

١٦٧ ـ « إنّ أفضلَ الأعمال إدخالُ السّرور على المؤمن» (١).

والثالثة: أنّ فيها فرح الملائكة؛ لأنهم يفرحون بصلة الرحم.

والرابعة: أنّ فيها حسن الثناء من المسلمين عليه.

والخامسة: أنّ فيها إدخال الغم على إبليس عليه اللعنة.

(١) حسن * ابن أبى الدنيا فى « قضاء الحوائج» (١١٢) والبيهقى فى « الشعب »(٧٦٧٨، ٧٦٧٩) .
انظر: الصحيحة (١٤٩٤).

والسادسة: زيادة فى العمر.

والسابعة: بركة فى الرزق.

والثامنة: سرور الأموات؛ لأن الآباء والأجداد يسرون بصلة الرحم والقرابة.

والتاسعة: زيادة فى المودة؛ لأنه إذا وقع له سبب من السرور والحزن، يجتمعون إليه، ويعينونه على ذلك، فيكون له زيادة فى المودة.

والعاشرة: زيادة الأجر بعد موته، لأنّهم يدعون له بعد موته، كلما ذكروا إحسانه.

قال أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ : ثلاثة نفر فى ظل عرش الرحمن يوم القيامة: واصل الرحم يمدّ له فى عمره ويوسع له فى رزقه، وامرأة مات زوجها وترك يتامى، فتقوم هى على الأيتام حتى يغنيهم الله، أو يموتوا، والرجل اتخذا طعاماً، فدعا إليه اليتامى والمساكين.

١٦٨ـ وروى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من الخطوة إلى صلاة الفريضة، وخطوة إلى ذى الرحم المحرم**»[١] .

ويقال: خمسة أشياء من دوام عليها، زيد فى حسناته مثل الجبال الراسيات، ويوسع الله عليه رزقه: من دوام على الصدقة؛ قلّت أو كثرت، ومن وصل رحمه؛ قلّ أو كثر، ومن دوام على الجهاد فى سبيل الله، ومن دوام على الوضوء ولم يسرف فى صبّ الماء، ومن أطاع والديه ودوام على طاعتهما .

والله سبحانه وتعالى أعلم .

***

(١) رواه ابن أبى الدنيا فى مكارم الأخلاق رقم (٢٤٥) موقوفاً على عمرو بن دينار . ورجاله ثقات لكن يخشى من عنعنة أبى يحيى (زكريا بن أبى زائدة) .

باب حق الجار

١٦٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله ـ : حدثنا الفقيه أبو جعفر، قال: حدثنا على بن محمد الوراق، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا قتيبة بن سعيد، عن ابن لهيعة، عن ابن أنعم، عن أبى عبد الرحمن الحبلى، عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: قال رسول الله ﷺ : « **سبعة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ويقول لهم: ادخلوا النار مع الداخلين: الفاعل والمفعول ـ يعنى اللواطة ـ والناكح يده، وناكح البهيمة، وناكح المرأة فى دبرها، وجامع المرأة وابنتها، والزانى بحليلة جاره، والسابع: المؤذى جاره حتى يلعنه الناس**» (١) **إلا أن يتوب بشروطها.**

١٧٠ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد الشاباذى، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا (محمد بن] إبراهيم، حدثنا أبو معاوية، عن بشر بن سلمان، عن عبيد، عن أبان إسحاق، عن الصباح بن محمد البَجَلى، عن مرة الهمدانى، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ : « **والذى نفسى بيده لا يسلم عبد حتى يَسْلَمَ الناس من قلبه ولسانه ويده، ولايؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه،** قلنا: يارسول الله، وما بوائقه؟ **قال: غشمه وظلمه**»(٢).

١٧١ ـ قال: حدثنا محمد بن داود بن ظهير، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا محمد بن القاسم، عن موسى بن عبيدة الربذى، عن زيد بن عبد الرحمن، عن سعيد بن المسيب، أن النبى ﷺ قال: «**حرمة الجار على الجار كحرمة أمه**» (٣).

١٧٢ ـ قال: حدثنا محمد بن داود، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا أبو معاوية، عن بشر بن سلمان، عن مجاهد، قال عبد الله بن عمرو بن العاص لغلامه: اذبح الشاة وأطعم جارنا اليهودى، ثم تحدث ساعة، فقال: ياغلام، إذا ذبحت الشاة فأطعم جارنا اليهودى. فقال الغلام: قد آذيتنا

---

(١) **ضعيف*** الآجرى فى «ذم اللواط» (٥٣) وغيره فى (ابن لهيعة وابن أنعم الإفريقى) من الضعفاء. وانظر الكبائر (١٤٩ بتحقيقى).

(٢) **ضعيف*** أحمد (١/ ٣٨٧) والحاكم (٤/ ١٦٥) والبيهقى (٥٥٢٤). انظر. ضعيف الجامع. (١٦٢٥).

(٣) **ضعيف مرسل*** ابن أبى الدنيا فى«المكارم»(٣٢٣)فيه: موسى بن عبيدة وزيد بن عبد الرحمن: من الضعفاء.

بجارك هذا اليهودى فقال عبد الله بن عمرو: ويحك إن النبى ﷺ لم يزل يوصينا بالجار، حتى ظننا أنه سيورثه (١).

١٧٣ ـ حدثنا القاسم بن محمد بن روزبه، قال حدثنا عيسى بن خشنام التوزى، قال: حدثنا سويد، عن مالك، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى شريح الكعبى؛ أن النبى ﷺ قال: « **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، وما كان بعد ذلك فهو صدقة** »(٢).

١٧٤ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، بإسناده عن الحسن البصرى قال: قيل يارسول الله، ماحق الجار على الجار؟ قال: « **إذا استقرضك أقرضته، وإن دعاك أجبته، وإن مرضَ عدته، وإن استعان بك أعنته، وإن أصابته مصيبة عزيته، وإن أصابه خير هنيته، وإن مات شهدته، وإن غاب حفظته** » **يعنى منزله وعياله** « **ولا تؤذه بقتار قِدْرِكَ إلا أن تهدى إليه منه** » (٣).

وروى فى خبر آخر زيادة على هذه التسعة، والعاشر « **أن لاتطيل بناءك عليه إلا بطيبة من نفسه** ».

١٧٥ ـ وروى عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « **لايزال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننتُ أنه سيورِّثه** »(٤).

١٧٦ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **يا أبا هريرة، كُنْ ورعًا تكن أعبد الناس، وكُنْ قنعاً تكن أشكر الناس، وأحبّ للناس ماتحبّ لنفسك تكن مؤمناً، وأحسنْ مجاورة مَن جاورك تكن مسلماً، وأقلّ الضحك، فإنّ كثرة الضّحك تُميتُ القلب** »(٥).

قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْبُدوا الله وَلا تُشْرِكُوا به شَيْئاً وبالْوَالدَيْنِ إحْسَاناً** ﴾ يعنى وحّدوا الله واعبدوه، ولا تتخذوا له شريكاً، ﴿ **وبالوالدين إحساناً** ﴾ يعنى وأحسنوا

---

(١) **صحيح** ٭ أحمد (٢/ ١٦٠) وأبو داود (٥١٥٢) والترمذى (١٩٤٣) . انظر. الإرواء (٣/ ٤٠١) .

(٢) **متفق عليه** ٭ البخارى (٦٠١٩ وأطرافه) ومسلم (٤٨ مختصراً) . عن أبى شريح .

(٣) **ضعيف** ٭ البيهقى فى « الشعب » (٩٥٦) والخرائطى فى « مكارم الأخلاق » (ص ٤٠) عن ابن عمرو وأيضا: البيهقى (٩٥٦١) عن بهر بن حكيم عن أبيه عن جده وأعلهما البيهقى بالضعف

(٤) **صحيح** ٭ أحمد (٢/ ٣٠٥، ٤٤٥) وابن ماجه (٣٦٧٤) . وانظر: الإرواء (٣/ ٤٠٢) .

(٥) **حسن** ٭ الترمذى (٢٣٠٥) وانظر الصحيحة (٩٣) .

إلى الوالدين إحساناً، ﴿وبذى القُرْبَى واليَتَامَى والمَسَاكين﴾ يعنى أحسنوا إلى زوى القربى بالصلة والهدية، وإلى اليتامى والمساكين بالصدقة وبالقول الجميل، ﴿وَابْن السَّبيل﴾ يعنى الضيف النازل، وهو مار بالطريق، ﴿ وَالجَار ذى القُرْبَى﴾ يعنى أحسنوا إلى الجار الذى بينك وبينه قرابة﴿ وَالجَارِ الجُنُبِ﴾ [النسَاءَ: ٣٦] يعنى الجار الذى هو أجنبى لا قرابة بينك وبينه .

١٧٧ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **الجيران ثلاثة، فمنهم من له ثلاثة حقوق، ومنهم من له حقان، ومنهم من له حق واحد، فأما الجار الذى له ثلاثة حقوق: فجارك القريب المسلم، وأما الجار الذى له حقان، فجارك المسلم، وأما الذى له حق واحد: فجارك الذّمى** » (١).

يعنى إذا كان الجار قريبه وهو مسلم" فله حقّ القرابة وحقّ الإسلام وحقّ الجوار وأما الذى له حقّان؛ فالجار المسلم، فله حقّ الإسلام وحق الجوار. وأما الذى له حقّ؛ فجارك الذمى. فله حقّ الجوار، فينبغى أن يعرفَ حقّ الجار وإن كان ذمياً.

١٧٨ ـ قال أبو ذرّ الغفارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ: أوصانى خليلى محمد ﷺ بثلاث : قال: « **اسمع وأطع؛ ولعبد مجدوع الأنف. فإذا صنعتَ مرقةً فأكثر ماءها، ثم انظر إلى أهل بيت جيرانك فأصبهُم منها بمغرفتك، وصلّ الصلاة لوقتها**»(٢).

ويقال: من مات وله جيران ثلاثة، كلهم راضون عنه، غفر له.

١٧٩ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أن رجلاً جاء إليه يشكو جاره، فقال رسول الله ﷺ :« **كفّ أذاك عنه، واصبرْ على أذاه، وكفى بالموت مُفرِّقاً**»(٣).

وقال الحسن البصرى: ليس حسن الجوار كفّ الأذى عن الجار، ولكن حسن الجوار: الصبر على الأذى من الجار.

وقال عمرو بن العاص: ليس الواصلُ الذى يصلُ مَن وصله، ويقطع من قطعه، وإنما ذلك المنصفُ، وإنما الواصلُ الذى يصل من قطعه، ويعطفُ على من جفاه. وليس الحليمُ الذى يحلم عن قومه ماحلموا عنه، فإذا جهلوا عليه جاهلهم، وإنما ذلك المنصف، إنما الحليمُ الذى يحلم إذا حلموا، فإذا جهلوا عليه حلمَ عنهم .

---

(١) ضعيف * انظر الحديث رقم (١٧٤) وضعيف الجامع (٢٦٧٤)

(٢) صحيح * مسلم بنحوه (٦٤٨، ٨٣٧، ٢٦٢٥) وأحمد (٥/ ١٦١، ١٧١) والبيهقى فى « التعب» (٥٩١٩ - ٧٣٤٧).

(٣) ضعيف* ابن النجار عن أبى عبد الرحمن الحبلى مرسلاً . انظر . ضعيف الجامع (٤١٩١).

قال الفقيه ـ رضى الله تعالى عنه ـ: ينبغى للمسلم أن يصبرَ على أذى الجار، ولا يؤذى جاره، ويكون بحال يكون جاره آمناً منه، وأمانه لجاره يكون بثلاثة أشياء: باليد وباللسان وبالعورة. فأما أمانه بلسانه: فهو ألا يتكلم بكلام لو دخل عليه جاره لسكت، أو لو بلغ إلى جاره لا ستحى منه، وأما أمانه بيده: فهو أنّ جاره لو كان بالسوق، وتذكر أن كيسه نسيه فى منزله، فإنه لا يخاف عليه، ويقول منزله ومنزلى سواء. وأما أمانه بالعورة: فهو أنه لو كان فى السفر، فبلغه أن جاره دخل منزله لسكن قلبه وفرح.

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: ثلاثة أخلاق، كانت فى الجاهلية مستحسنة، والمسلمون آولى بها:

أولها: لو نزل حنيف لاجتهدوا فى برّه.

والثانى: لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده، لا يطلّقها، ويمسكها مخافة أن تضيع .

والثالث: إذا لحق بجارهم دَيْن، أو أصابه شدّة أو جهد، اجتهدوا حتى يقضوا دينه، وأخرجوه من تلك الشدة.

١٨٠ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنّ الجار يتعلّق بجاره يوم القيامة، فيقول: يارب، وسّعتَ على أخى هذا، وقسّرتَ علىّ، أُمسى جائعاً، ويمسى هذا شبعان، فسله: لِمَ أغلق بابه دونى، وحرمنى ماقد وَسّعْتَ عليه ؟**»[(١)] .

وروى عن سفيان الثورى أنه قال: عشرة أشياء من الجفاء:

أولها :رجل أو امرأة يدعو لنفسه، ولا يدعو لوالديه ولا للمؤمنين.

والثانى: رجل يقرأ القرآن، ولا يقرأ فى كلّ يوم مئة أية.

والثالث : رجل دخل المسجد وخرج، ولم يصل ركعتين.

والرابع: رجل يمرّ على المقابر، ولم يسلّم عليهم، ولم يَدْعُ لهم.

والخامس: رجل دخلَ مدينة فى يوم الجمعة، ثم خرج، ولم يصلّ الجمعة.

---

(١) **ضعيف** ✲ البخارى فى « الأدب المفرد»(١١١) وهناد فى «الزهد» (١٠٤٥) والأصبهانى فى «الترغيب» (٨٧٥) بنحوه عن ابن عمر. انظر : ضعيف الجامع (٤٢٦٨).

والسادس: رجل أو زمرأة نزل فى محلتهما عالم، ولم يذهب إليه أحد؛ ليتعلّم منه شيئاً من العلم.

والسابع: رجلان ترافقا، ولم يسأل أحدُهما عن اسم صاحبه.

والثامن: رجل دعاه رجلٌ إلى ضيافة، فلم يذهب إلى الضيافة.

والتاسع: شاب يضيع شبابه وهو فارغ، ولم يطلب العلمَ والأدب.

والعاشر: رجل شبعان وجاره جائع، ولا يعطيه شيئاً من طعامه.

قال الفقيه ـ رضى الله تعالى عنه ـ : تمام حسن الجوار فى أربعة أشياء:

أولها: أن يواسيه بما عنده.

والثانى: أن لا يطمعَ فيما عنده.

والثالث: أن يمنعَ أذاه عنه.

والرابع: أن يصبرَ على أذاه .

❊ ❊ ❊

باب الزّجر عن شرب الخمر

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، أنبأنا إسماعيل بن علية، عن الليث، عن عبيد الله قال: قال عبد الله بن عمر ـ رضى الله عنهما ـ : يُجاء بشارب الخمر يوم القيامة مسوداً وجهه، مزرقّة عيناه، مدلعاً لسانه على صدره يسيل لعابه، يستقذره كل من يراه من نتن رائحته، لا تسلّموا على شربة الخمر، ولا تعودوهم إذا مرضوا، ولا تصلّوا عليهم إذا ماتوا (١).

وقال مسروق: شارب الخمر كعابد الوثن، وشارب الخمر كعابد اللات والعزى.

وقال كعب الأحبار: لأن أشربَ قدحاً من نار أحبّ إلى من أشرب قدحاً من خمر.

١٨١ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الفضل الحدادى، حدثنا عبد الله بن محمود المروزى، حدثنا إبراهيم بن عبد الله، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن أيوب، عن نافع،

(١) **ضعيف** ❊ فمدار الحديث على (ليث بن أبى سليم) مختلط ولم يتميز حديثه فترك وانظر : مصنف عبد الرزاق (٩/ ٢٤٠) والموضوعات (٣/ ٤٢) واللآلىء (٢/ ٥ ٢) وتنزيه الشريعة (٢/ ٢٣٠).

عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **كلّ مسكر خمر، وكلّ مسكر حرام، ومَن شربَ الخمر فى الدنيا فمات وهو يدمنها ولم يتب؛ لم يشربْها فى الآخرة**»[1].

قال الفقيه: قد أخبر النبى ﷺ أن كلّ مسكر حرام يعنى ماكان مطبوخاً أو غير مطبوخ.

١٨٢ ـ هذا كما روى عن جابر بن عبد الله، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما أسكر كثيره، فقليلهُ حرام**» [2].

١٨٣ ـ وفى رواية: « **ما أسكر منه الفَرَقُ، فالجرعةُ منه حرام**» [3].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: شاربُ الخمر المطبوخ أعظم ذنباً وإثماً من شارب الخمر؛ لأنّ شارب الخمر يكون عاصياً فاسقاً، ومن شرب المطبوخ يخاف أن يصيرَ كافراً، لأن شارب الخمر مقرّ يشرب الخمر، وهو حرام وشارب المطبوخ يشرب المسكر، ويراه حلالاً، وأجمع المسلمون أنّ شُرْبَ المسكرِ حرامٌ قليله وكثيره، فإذا استحلّ ماهو حرام بالإجماع صار كافراً.

١٨٤ ـ قال فقيه ـ رضى الله عنه ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا كثير بن هشام، عن جعفر بن برقان، عن الزهرى[4]،عن عثمان بن عفان ـ رضى الله تعالى عنه ـ قام خطيباً فقال: أيها الناس، اتقوا الخمر، فإنّها أمّ الخبائث، وإن رجلاً ممن كان قبلكم من العباد كان يختلف إلى المسجد، فلقيته امرأة سوء، فأمرت جاريتها فأدخلته المنزل، فأغلقت الباب، وعندها بَاطِيةُ من خمر، وعندها صبى، فقالت له: لا تفارقنى حتى تشرب كأساً من هذا الخمر، أو تواقعنى، أو تقتل هذا الصبى، وإلا صحتُ، يعنى صرختُ، وقلت: دخل علىّ فى بيتى، فمن الذى يصدّقُكَ؟ فضعفُ الرجل عند ذلك، وقال: أما الفاحشة فلا آتيها، وأما النفس فلا أقتلها، فشرب كأس من الخمر، فقال: زيدينى فزادته، فوالله مابرح حتى واقَعَ المرأة، وقَتَل الصبى.

قال عثمان رضى الله تعالى عنه: فاجتنبوها، فإنّها أمّ الخبائث، وإنه والله لايجتمعُ

---

(١) متفق عليه* البخارى (١٠/ ٥٥٧٥) ومسلم (٣/ ٢٠٠٣).

(٢) صحيح * أحمد (٣/ ٣٤٣) وأبو داود (٣٦٨١) والترمذى (١٨٦٥) . وانظر. الإرواء (٢٣٧٥).

(٣) صحيح* أحمد (٦/ ٧١، ١٣١) وأبو داود (٣٦٨٧) والترمذى (١٨٦٦) . وانظر: الإرواء (٢٣٧٦) .

(٤) فى سند المصنف انقطاع بين الزهرى وعثمان بينهما أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث عن أبيه . .

الإيمانُ والخمرُ فى قلب رجلٍ إلا يوشك أحدُهما أن يذهب أن يذهب بالآخر[1].

يعنى أن شارب الخمر إذا سكر تجرى علىٰ لسانه كلمةُ الكفر، ويتعوّد لسانه بذلك، ويخاف عند موته أن تجرى على لسانه كلمة الكفر، فيخرج من الدنيا على الكفر، فيبقى فى النار أبداً، لأنّ أكثرَ ماينزع الإيمان من العبد إنما ينزع عند موته، وذلك بسبب ذنوبه التى فعلها فى حياته، فيبقى فى حسرة وندامة.

وقال الضحاك: من مات وهو مدمن خمر بعث يوم القيامة وهو سكران .

١٨٥ ـ وروى سعيد عن قتادة قال: ذكر لنا أن النبى ﷺ قال: « **أربعة لا يجدون ريح الجنة، وإن ريحَها ليوجدُ من مسيرة خمسمئة عام: البخيل، والمنان، ومدمن الخمر، والعاق لوالديه، والمصارم** »[2].

وقال ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ : لعن فى الخمر عشرة: العاصر لها، والمعصوره له، وشاربها، وساقيها، وحاملها، والمحمولة إليه، وتاجرها، ومتجرها، وبائعها، ومشتريها، وشاتلها، يعنى غارسها.

١٨٦ ـ وروى فى بعض الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يخرج يوم القيامة شارب الخمر من قبرة أنتن من الجيفة، والكوز معلّق فى عنقه، والقدح بيده، ويملأ مابين جلده ولحمه حيّات وعقارب، ويلبس نعلاً من نار، فيغلى دماغُ رأسه، ويجد قبرَه حفرةً من حفر النار، ويكونُ فى النار قرين فرعون وهامان**»[3].

١٨٧ ـ وروت عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَن أطعمَ شاربَ الخمر لقمةً؛ سلّط الله على جسده حية وعقرباً، ومن قضى حاجته فقد أعانَ على هدم الإسلام، ومن أقرضه قرضاً فقد أعان على قتل مؤمن، ومَن جالسه حشره الله تعالى يوم القيامة أعمى لا حجَة له، ومن شرب الخمر فلا تزوّجوه، فإن مرض فلا تعودوه، وإن شهد فلا تقبلوا شهادته، فوالذى بعثنى بالحق نبيّاً، إنه ما يشربُ الخمرَ إلا ملعونٌ فى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، ومن شرب الخمر فقد كفر بجميع ما أنزل الله على أنبيائه، ولا يستحلّ الخمرَ إلا كافر، ومن استحلّ الخمرَ،**

(١) صحيح * رواه النسائى: (٨/ ٣١٥) وغيره عن عثمان موقوفاً. ومثله لايقال من قبل الرأى. «باطية» إناء.

(٢) ضعيف جدا* أبو نعيم فى « الحلية»(٣/ ٣٠٧) وفى « صفة الجنة» (١٩٤) والطبرانى فى « الصغير» (٤٠٨ ـ الروض) بنحوه. فى سنده (الربيع بن بدر) متروك كما فى « التقريب».

(٣) فى القلب منه شىء: ذكره المصنف فى كتابه « قرة العيون» ولعله يعنى بـ (روى). التمريض.

فأنا منه برىء فى الدنيا والآخرة »[1].

وعن عطاء بن يسار، أنّ رجلاً سأل كعب الأحبار ـ رضى الله عنه ـ هل حرمت الخمر فى التوراة؟ قال: نعم، ثم قرأ هذه الآية ﴿ **إِنَّمَا الخَمْرُ وَالمَيْسرُ**﴾ [المائدة: ٩٠] مكتوب فى التوراة: إنا أنزلنا الحقّ ليذهب بالباطل، ويبطل به اللعب والدّف والمزامير، والخمر ويل لشاربها، أقسم الله تعالى بعزّته وجلاله؛ لمن انتهكها فى الدنيا إلا عطشته يوم القيامة، ولمن تركها بعدما حَرَّمْتُها إلا سقيته إياها فى حظيرة القدس، قيل: وما حظيرة القدس؟ قال: الله هو القدس، وحظيرته الجنة.

قال الفقيه رضى الله تعالى عنه: إيّاك وشرب الخمر، فإن فيه عشر خصال مذمومة.

أولها: أنه إذا شرب الخمر يصيرُ بمنزلة المجنون، ويصير ضُحكة للصبيان، ومذمة عند العقلاء. كما ذكر عن ابن أبى الدنيا أنه قال: رأيت سكران فى بعض سكك بغداد يبول، وهو يتمسّح ببوله، وهو يقول: اللهم اجعلنى من التوابين، واجعلنى من المتطهّرين.

وذكر أنّ سكرانا قاء فى بعض الطرق، وجاء كلب يلحس فمه ولحيته، وهو يقول للكلب: ياسيدى ياسيدى، بارك الله فيك، ثم إنّ الكلب رفع رجله وبال على وجهه، فقال السكران: ماء حار، بارك الله فيك.

والثانية: أنّها متلفة للمال، مذهبة للعقل، كما قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه: يارسول الله، أرِنَا رأيك فى الخمر، فإنها متلفة للمال، مذهبة للعقل.

والثالثة: أنّ شربها سبب للعداوة بين الإخوان والأصدقاء والناس، كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّما يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُم العَدَاوَةَ والبَغْضَاءَ فِى الخَمْرِ والمَيْسرِ**﴾ وهو القمار.

والرابعة: أنّ شربها يمنعه عن ذكر الله وعن الصلاة، كما قال الله تعالى: ﴿**وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ الله وعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ**﴾ [المائدة: ٩١] يعنى انتهوا عنها.

فلما نزلت هذه الآية، قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: قد انتهينا ياربّ.

والخامسة: أنّ شربها يحمله على الزنا؛ لأنه إذا شرب يطلق امرأته، وهو لا يشعر.

---

(١) ذكره المصنف أيضاً فى « قرة العيون» وله شواهد واهية ذكرها ابن عراق فى « تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٣٢)

والسادسة: أنّه مفتاح كلّ شر؛ لأنه إذا شرب الخمر سهل عليه جميع المعاصى.

والسابعة: أنّه يؤذى حفظته بإدخالهم فى مجلس الفسق، وبوجود الرائحة المنتنة منه فلا ينبغى أن يؤذى من لا يؤذيه .

والثامنة: أنه أوجب على نفسه ثمانين جلدة، فإن لم يضرب فى الدنيا فإنه يضرب فى الآخرة بسياط من نار على رؤوس الناس، ينظر إليه الآباء والأصدقاء.

والتاسعة: أنّه ردّ باب السماء على نفسه؛ لأنه ترفعُ له حسناته، ولا دعاؤه أربعين يوماً.

والعاشرة: أنّه مخاطرٌ بنفسه؛ لأنه يخافُ أن ينزعَ منه الإيمان عند موته، فهذه عقوبات فى الدنيا، قبل أن ينتهى إلى عقوبات الآخرة.

فأما عقوبات الآخرة فإنها لا تُحصى؛ من شرب الحميم والزقوم، وفوت الثواب. فلا ينبغى للعاقل أن يختارَ لذّة قليلة، ويتركَ لذّةَ طويلة.

وروى عن مقاتل بن سليمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى قوله تعالى: ﴿ **يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً. وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً**﴾[مريم: ٨٥، ٨٦].

قال: يُحشر أهل الجنة، فإذا انتهوا إلى باب الجنة، إذا هُمْ بشجرةٍ ينبعُ من تحتها عينان، فيشربون من إحدى العينين، فلا يبقى فى بطونهم قذرٌ إلا خرجَ من الجوف ثم يأتون العينَ الأخرى فيغتسلون فيها، فلا يبقى فى أجسادهم شيءٌ مما يكون على الجسد من وسخ وغيره إلا ذهب، فذلك قوله تعالى: ﴿ **سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ**﴾ [الزمر : ٧٣].

ثم يؤتون بنجائب من الإبل، من ياقوت أحمر، رجلاها من ذهب، مكللة بالدر والياقوت، أزمتها من اللؤلؤ، فيكسى كلّ رجل منهم حلتين، لو أنّ الحلّةَ منها أشرقت لأهل الدنيا لأضاءتْ لهم، ومع كلّ واحد منهم حفظة من الملائكة يدلونه على مساكنه فى الجنة، فإذا دخل الجنة، رفع له قصر من فضة، شُرُفُه من الذهب، فإذا انتهى إليه، استقبلته وصائف كثيرة كاللؤلؤ المنثور، ومعهم الحلى والحلل، وآنية الفضة، وأكواب الذهب، والملائكة يسلّمون، فيرد عليهم، ثم يدخل .

فإذا رأى ماأعدّ الله له من المنازل والكرامة، تهيأ للنزول، فتقول له حفظته: ما تريد؟ فيقول: أريد النزول إلى كرامة الله، فيقولون له: سر أمامك، فإن لك ماهو أفضل من هذا، فإذا سار رفع له قصر من ذهب شرفه من اللؤلؤ، فإذا دنا منه استقبلته

الوصائف كاللؤلؤ المنثور، معهن آنية من فضة، وأكواب من ذهب، فيسلّمن عليه، فيردّ عليهن السلام، فيريدُ النزول فيها، فتقول حفظته: سِرْ، فإنّ لك ما هو أفضل من هذا، فإذا سار رُفِعَ له قصرٌ من ياقوته حمراء، يرى باطنه من ظاهرة من صفائه، فإذا دنا استقبلته الوصائف كما استقبلنه فى القصرين الأولين، سلّمن عليه، فيردّ عليهن السلام، فإذا دخل استقبلته حوراء من العين، عليها سبعون حلّة، لا تشبه الحلّةُ الحلّةَ الأخرى، ليس عليها مفصل إلا وعليه حلّة، يوجد ريحُها من مسيرة مئة عام.

فإذا نظر إلى وجهها، أبصر وجهه فيه من صفاء وجهها، فإذا نظر إلى صدرها أبصر كبدهَا من رقّة ثيابها، ويبصر مخّ ساقها من رقّة عظمها وجلدها، وهي فى بيت فرسخ فى فرسخ وسمكه مثل ذلك، عليه أربعة آلاف مصراع من ذهب، فيه بساط من ذهب، مُكلّل باللؤلؤ، قد طبق البيت، وفيه سريرٌ عليه من الفرش بمنزلة سبعين غرفة من غرف الدنيا، فإذا جلس واشتهى الثمرة؛ سارت إليه الثمرة، حتى يأكل منها، أو يذهب به سريره حتى يأكل منها، وهذا كلّه ثواب المتقين الذين يتقون شرب الخمر والفواحش.

قال: ويُساقُ أهلُ النار إلى النار، فإذا دنوا منها فتحت أبوابها، فاستقبلتهم الملائكةُ بمقامع الحديد، فإذا دخلوا النّارَ لم يَبْقَ منهم عضو إلا لزمه عذاب، إما حية تنهشه، أو نار تسفعه، أو ملك يضربه، فإذا ضربه ملك هوى فى النار مقدار أربعين عاماً لا يبلغ قرارها، ثم يرفعه اللهب، فيضربه الملك، فيهوى فى النار، فإذا بدا رأسه ضربه الأخرى، وهو قوله تعالى: ﴿**كُلَّما نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيذُوقُوا العَذَاب إِنَّ الله كَانَ عَزيزاً حَكيماً**﴾ [النِّساء: ٥٦].

قال: وبلغنا أنهم يبدّلون كل يوم سبع مرّات، فإذا عطش نادى بالشرب فيؤتى بالحميم، فإذا دنا من وجهه سقط لحمُ وجهه، ثم يدخل فى فيه، فتسقط أضراسُه وأنيابه ولهاته، ثم يدخل بطنه، فيقطع أمعاءه، وينضج جلده، لقوله عز وجل: ﴿**يُصْهَرُ بِه مَا فِى بطُونِهمْ والجُلُودُ . وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِن حَدِيد**﴾ [الحج: ٢٠، ٢١].

فيعذّبون ماشاء الله أن يعذّبوا، ثم يدعون خزنة جهنم ﴿**ادْعُوا رَبَّكُم يُخَفِّفْ عَنّا يَوْماً مِن العَذَاب**﴾ [غافر: ٤٩] فلا يجيبونهم.

ثم يدعون مالكاً أربعين عاماً فلا يجيبهم، فيقولون: قد دعونا الخزنة، ودعونا مالكاً، فلم نجب، هلموا فلنجزع، فيجزعون فلا يغنى عنهم، ثم يقولون: هلموا فلنصبر، فيصبرون فلا يغنى عنهم، فيقولن: ﴿ **سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَالنَا**

مِنْ مَحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١] فهذا العذاب للكفار (١).

لكنِ المسلم إذا شربَ الخمرِ، وجرى على لسانه الكفر، يخافُ أن يزولَ عنه الإيمانُ عند موته، فيصيرُ من جملَة الكافرين.

فينبغى للمسلم أن يمتنعَ عن شرب الخمر، وينقطعَ عمّن يشربها، فإنه إذا خالط شارب الخمر يخاف عليه أن يصيبه من غباره، وينبغى أن يتفكّرَ فى هول يوم القيامة، فإنّ مَن تفكّر فى هول يوم القيامة، فلا يميلُ قلبه إلى شرب الخمر، ولا إلى صحبة شارب الخمر.

وروى عن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال(٢): بلغنا أنَّ العبدَ إذا شرب شربة من الخمر اسودّ قلبه، فإذا شرب الثانية تبرّأتْ منه الحفظة، فإذا شرب الثالثة تبرأ منه ملك الموت، فإذا شرب الرابعة تبرّأ منه النبى ﷺ، فإذا شرب الخامسة تبرّأ منه أصحاب النبىﷺ وفى السادسة تبرأ منه جبريل عليه السلام، وفى السابعة تبرأ منه إسرافيل عليه السلام، وفى الثامنة تبرأ منه ميكائيل عليه السلام، وفى التاسعة تبرّأت منه السموات، وفى العاشرة تبرّأت منه الأرض، وفى الحادية عشرة تبرأت منه حيتان البحر، وفى الثانية عشرة تبرّأت منه الشمس والقمر، وفى الثالثة عشرة تبرأت منه كواكب السماء، وفى الرابعة عشر تبرّأت منه الخلائق، وفى الخامسة عشرة أغلقت عليه أبوابُ الجنان، وفى السادسة عشرة فتحت عليه أبوابُ النيران، وفى السابعة عشرة تبرّأت منه حملةُ العرش، وفى الثامنة عشرة تبرأ منه الكرسى، وفى التاسعة عشرة تبرّأ منه العرش، فإذا شرب العشرين تبرأ منه الجبّارُ تبارك وتعالى.

١٨٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ : حدثنا منصور بن جعفر، وهو أبو نصر الدبوسى بسمرقند، حدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد، حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا على بن عاصم، عن عبد الله بن عثمان، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد ـ رضى الله عنها ـ قالت: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: « **من شرب الخمر، فجعلها فى بطنه لم تقبل منه صلاة سبعاً، فإن هى أذهبت عقله، لم تقبل صلاته أربعين يوماً، وإن مات كافراً، وإن تاب تاب الله عليه، وإن عاد حقاً على الله أن يسقيه من طينة الخبال**» قيل: يارسول الله وماطينة الخبال؟ : «**صديد أهل النار**»(٣).

---

(١) موضوع* الآثر موقوف على (مقاتل بن سليمان الأزدى) وهو كذاب متهم وما جاء فى هذا الأثر عن أمور الغيب لا يخبر بها إلا النبى ﷺ.

(٢) ضعيف * ذكره الحسن البصرى بلاغاً وذكره المصنف فى « قرة العيون» مرفوعاً إلى النبى ﷺ.

(٣) حسن لغيره* (شهر بن حوشب) يضعَّف فى الحديث لسوء حفظه، وقد حُسِّن و(على بن عاصم) صدوق يخطئ ويصر لكن تابعه داود بن عبد الرحمن العطار (ثقة) عند أحمد (٦/ ٤٦) وانظر مابعده (١٨٩)

١٨٩ ـ وفى خبر آخر أنه: « إذا شرب الخمرة مرة لم تقبل صلاته، ولا صومه، ولا سائر عمله أربعين يوماً، وإذا شرب الثانية، لا يقبل الله صلاته، ولا صومه ولا سائر عمله ثمانين يوماً، وإذا شرب الثالثة، فإلى مئة وعشرين يوماً، فإذا شرب الرابعة فاقتلوه؛ فإنه كافر، حق على الله أن يسقيه من طينة الخبال» قيل: وما طينة الخبال؟ قال: «صديد أهل النار» (١).

١٩٠ ـ وروى فى خبر آخر أنه قال: « **الذنوبُ والخطايا جُعلت كلّها فى بيت واحد، وجُعل مفتاحه شرب الخمر**»(٢) يعنى إذا شرب الخمر فتح على نفسه أبواب الخطايا كلها.

وروى عن بعض الصحابة ـ رضوان الله تعالى عنهم ـ أنه قال: مَن زوّج كريمته من شارب الخمر، فكأنما ساقها إلى الزنا ـ ومعناه: أنّ شارب الخمر إذا سكر كثر كلامه فى الطلاق، فقد حرمت عليه امرأته؛ وهو لا يشعر.

ويقال: إنَّ شاربَ الخمر شبيهٌ بعبدة الأوثان؛ لأن الله تعالى سمى الخمر رجساً، وأمر بالاجتناب عنها، وهو قوله تعالى: ﴿ **رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ** ﴾ [المائدة: ٩٠] كما قال: ﴿ **فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ** ﴾ [الحج: ٣٠].

وروى طلحة بن مُصَرِّف عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنَّ مَن شربها نهاراً أشرك بالله تعالى حتى يمسى، وإن مَن شربها ليلاً أشرك بالله تعالى حتى يصبح.

وروى عنه أنه قال: إذا مات شاربُ الخمر؛ فادفنوه واحبسونى، ثم انبشوا قبره، فإن لم تجدوه مصروفاً عن القبلة فاقتلونى.

١٩١ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **بعثنى الله تعالى هدى ورحمة للعالمين، وبعثنى لأمحو المعازف والمزامير، وأمر الجاهلية والأوثان، وحَلَفَ ربّى بعزّته، لا يشرب عبدٌ من عبيدى الخمر فى الدنيا إلا حرِمها يوم القيامة، ولا يتركها عبدٌ من عبيدى إلا سقيته من حظيرة القدس**»(٣).

---

(١) صحيح* أحمد (٢/ ٣٥) والترمذى (١٨٦٢) والطيالسى (١٩٠١) بنحوه.
انظر: صحيح الجامع (٦٣١٢).

(٢) صحيح بشواهده* ابن ماجه (٤٠٣٤) عن أبى الدرداء بلفظ « .. ولا تشرب الخمر فإنها مفتاح كل شر»
انظر: صحيح الجامع (٧٣٣٩).

(٣) ضعيف * البيهقى فى « الشعب» (٦٥٢٩) عن أنس. فى سنده (هلال بن ريد بن يسار) متروك وأخرجه أحمد (٥/ ٢٥٧، ٢٦٨) والطيالسى (١١٣٤) وابن أبى الدنيا فى « دم الملاهى » (٣١) وفى سنده (فرج بن فضالة وعلى بن يزيد الألهانى) كلاهما ضعيف.

قال أوس بن سمعان: والذى بعثك بالحق، إنى لأجدّها فى التوراة محرّمة خمساً وعشرين مرة، ويلٌ لشارب الخمر، وحقّ على الله أن لا يشربها عبدٌ من عبيده فى الدنيا إلا سقاه من طينة الخبال.

١٩٢ - وروى مالك عن محمد بن المنكدر أنه قال: «يقول الله تعالى يعنى يوم القيامة: أين الذين كانوا ينزهون أنفسهم وأسماعهم في الدنيا عن اللهو ومزامير الشيطان، اجعلوهم فى رياض المسك، ثم يقول للملائكة: أسمعوهم حمدى وثنائى، وأخبروهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »(١).

١٩٣ - وروى عن أبى وائل، عن شقيق بن سلمة، أنه دُعى إلى وليمة، فرأى فيها لعابين - مغنين - فرجع، ثم قال : سمعت ابن مسعود يقول: إنّ الغناءَ ينبت النفاق فى القلب، كما ينبت الماء البقل(٢).

١٩٤ - وروى عطاء بن السائب، عن أبى عبد الرحمن السلمى، قال: شربَ نَفَرٌ من أهل الشام الخمر، وعليهم يومئذ يزيد بن أبى سفيان، وقالوا: هى لنا حلال؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ليْسَ عَلَى الَّذين آمَنوا وعَملُوا الصَّالحَات جُنَاحٌ فيمَا طَعمُوا﴾ [المائدة: ٩٣] الآية، فكتب فيهم إلَى عمر - رضَى الله تَعالى عَنه - بذَلك، وكتب عمر أن ابعث بهم إلىّ قبل أن يُفْسدُوا مَن قبلك، فلما قدموا إلى عمر - رضى الله تعالى عنه - جمع لهم أصحاب رسول الله - ﷺ - فشاورهم فى ذلك، فقالوا : ياأمير المؤمنين، إنهم افتروا على الله، وشرعوا فى دينه مالم يأذن به الله، فاضرب أعناقهم، وعلى - رضى الله تعالى عنه - ساكتٌ فى القوم، فقال لعلىّ : ماترى؟ قال: أرى أن تستتيبهم، فإن لم يتوبوا فاضرب أعناقهم، وإن تابوا فاضربهم ثمانين جلدة، فاستتابهم فتابوا، فضربهم ثمانين جلدة (٣).

١٩٥ - وروى عكرمة عن ابن عباس - رضى الله عنهما - أنه قال: لما نزلت آية تحريم الخمر، قالوا: فكيف إخواننا الذين ماتوا، وهم يشربونها؟ فنزل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحات جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾[المائدة: ٩٣]الآية (٢) يعنى لا إثمَ على الذين شَربوا قبل التَحريم(٤).

---

(١) رواه ابن المبارك (٤٣- زوائد) وعنه أبو نعيم فى « الحلية » (٣/ ١٥١) وابن أبى الدنيا فى «صفة الجنة» (٢٦٣) والأصبهانى فى « الترغيب » (٣١٩) .

(٢) **صحيح موقوف*** ابن أبى الدنيا فى « ذم الملاهى» (١٢) والبيهقى فى « السنن» (١٠/ ٢٢٣) وفى « الشعب» (٥٠٩٨، ٥٠٩٩) وانظر. التلخيص الحبير (٤/ ١٩٩) وتلبيس إبليس (ص ٢٤٩ بتحقيقى).

(٣) **فيه ضعف*** ابن أبى شيبة وابن المنذر كما فى « الدر المنثور » (٣/ ١٧٤) عطاء. مختلط.

(٤) **فيه ضعف*** الحاكم (٤/ ١٤٣) والبيهقى فى « الشعب» (٥٦١٧) رواية سماك فيها اضطرب عن عكرمة وله بديل (**متفق عليه**) البخارى (٢٤٦٤) ومسلم (٣/ ١٩٨٠) عن أنس

باب الزّجر عن الكذب

١٩٦ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ : حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد ابن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق ابن سلمة، عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «عليكم بالصّدق؛ فإنّ الصّدقَ يهدى إلى البِرّ وإن البر يهدى إلى الجنة. وما يزال الرجل يصدقُ، ويتحرّى الصّدق، حتى يُكتبَ عند الله صديقاً، وإيّاكم والكذب، فإنّ الكذبَ يهدى إلى الفجور ، وإن الفجور يهدى إلى النار، ومايزال الرجلُ يكذب، ويتحرّى الكذب، حتى يُكتبَ عند الله كذّاباً »(١).

١٩٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن عبد الرحمن ابن يزيد، عن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: « اختبروا المنافق بثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر» (٢).

قال عبد الله ـ رضى الله تعالى عنه ـ : وأنزل الله تعالى تصديقاً لذلك فى كتابه قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ الله لئِنْ آتانَا مِنْ فَضْلِه**﴾ إلى قوله : ﴿ **وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾ [التوبة: ٧٥ ـ ٧٧].

١٩٨ ـ قال : حدثنا أبو القاسم بن محمد بن روزبه، حدثنا عيسى بن خشنام التوزى، حدثنا سويد، عن مالك، أنه بلغه أنه قيل للقمان الحكيم: ما بلغ بك ما ترى؟ قال: صِدق الحديث وأداء الأمانة، وترك مالا يعنينى (٣).

١٩٩ ـ قال : حدثنا أبو القاسم عيسى، حدثنا سويد، عن مالك، عن صفوان ابن مسلم؛ أنه قال: قيل: يارسول الله، أيكون المؤمن جباناً؟ قال: « نعم» فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال : « نعم» قيل له: أيكون المؤن كذاباً؟ قال: «لا»(٤).

---

(١) **متفق عليه**: البخارى (١٠/ ٦٠٩٤) ومسلم (٤/ ٢٦٠٧ ـ ١٠٤) .

(٢) إسناده **حسن**: واتفق عليه عن أبى هريرة مرفوعاً . البخارى (٣٣) ومسلم (٥٩).

(٣) مالك فى « الموطأ» (٢/ ٩٩٠ـ ١٧). وفى سند المصنف (سويد بن سعيد) ضعيف .

(٤) **ضعيف**: المصدر السابق وهو مرسل أو معضل .

٢٠٠ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو، عن المطلب بن حنطب، عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**اضمنوا لى ستاً من أنفسكم، أضمن لكم الجنة: اصدُقوا إذا حدّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضّوا أبصاركم، وكفّو أيديكم**»(١)

قال الفقيه: قد جمع النبى ﷺ جميعَ الخيرات فى هذه الأشياء الستة: أولها: قال: «**اصدقوا إذا حدثتم**» فقد دخل فيه كلمة التوحيد وغيرها، يعنى إذا شهد أن لا إله إلا الله، يكون قوله صادقاً من نفسه، ويكون صادقاً فى حديثه مع الناس.

وقوله: «**وأوفوا إذا وعدتم**» يعنى الوعد الذى بينه وبين الله تعالى، والوعد الذى بينه وبين الناس، فأما العهد الذى بينه وبين الله تعالى فأن يثبت على إيمانه إلى الموت، وأما الذى بينه وبين الناس، فهو أن يفى بجميع ماوعدهم.

وقوله: «**وأدّوا إذا ائتمنتم**» فالأمانة على وجهين: أحدهما: بينه وبين الله تعالى، والآخر: بينه وبين الناس، فأما الذى بينه وبين الله تعالى؛ فهى الفرائض التى افترضها الله على عباده، وهى أمانةُ الله عنده، فوجب عليه أن يؤدّيها فى وقتها، وأما الأمانة التى بينه وبين الناس؛ فهو أن يأتمنه رجلٌ على ماله، أو على قوله، أو على غير ذلك، فيجب عليه أن يفىَ بأمانته.

وقوله: «**واحفظوا فروجكم**» فالحفظ على وجهين:

أحدهما: أن يحفظَ فرجَه عن الحرام والشبهة.

والثانى: أن يحفظَ فرجَه حتى لا يقع بصر أحد عليه؛ لأن النبى ـ ﷺ ـ قال:

٢٠١ ـ «**لعن الله الناظر والمنظور إليه**» (٢) فالواجب على المسلم أن يتعاهد نفسه فى وقت قضاء الحاجة ووقت الاستنجاء، لكيلا ينظر إليه من لا يحل له النظر إليه من الرجال والنساء.

وقوله: «**وغضّوا أبصاركم**» يعنى غضوا أبصاركم عن عورات الناس، وعن النظر إلى محاسن المرأة التى لا يحلّ له النظر إليها، وعن النظر إلى الدنيا بعين الرغبة، كما

---

(١) حسن* أحمد (٥/٣٢٣) والحاكم (٤/٣٥٨) وانظر: الصحيحة (١٤٧٠) والداء والدواء ـ (١٩٥بتحقيقى).

(٢) ضعيف* البيهقى فى «الشعب» (٧٧٨٨) عن الحسن مرسلاً وابن عدى فى «الكامل» (١/٣٣١) عن عمران بن الحصين، فى سنده (إسحاق بن نجيح) كذبوه، والديلمى (٥٤٨٣) عن ابن عمر، وفيه ضعف.

قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَامَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنهُمْ زَهْرَةَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فيه﴾ [طه: ١٣١].

وقوله: «**كفّوا أيديكم**» أى عن الحرام من الأموال وغير ذلك.

وروى عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه أنه قال: إنّ الرجلَ كان يتكلّم بالكلمة على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فيصير بها منافقاً، وإنّى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات يعني أنَّ الرجل إذا كان يكذب، كان ذلك دليلاً على نفاقه.

فالواجبُ على المسلم أن يمنعَ نفسه من علامات المنافقين، فإنَّ الرجلَ إذا تعّود الكذب، يُكتب عند الله منافقاً، ويكون عليه وزره، ووزر من اقتدى به.

٢٠٢ ـ قال: حدثنا أبو منصور بن عبد الله الفرضى بسمرقند، بإسناده عن سمرة ابن جُنْدُب، قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى الغداة آقبل علينا بوجهه الكريم، فقال لأصحابه: «**هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟**» فيقصّ عليه ماشاء الله أن يقصّ فى رؤياه عليه، وأنه قال لنا ذات غداة: «**هل رأى أحد منكم الليلة رؤيا؟**» فقلنا: لا. قال: «**لكنى رأيت الليلة، أنه أتانى اثنان، وأنهما أخذا بيدى، فقالا لى: انطلق، فانطلقت معهما، فأخرجانى إلى أرض مستوية، فأتينا على رجل مضطجع، وآخر قائم عليه بصخرة، فإذا هو يهوى بالصخرة على رأسه، فيثلغ به رأسه، فيتهدهده الحجر، فيتبعها ويأخذها، فلا يرجع حتى يصح رأسه كما كان، فيعود عليه بمثل ذلك.**

فقلتُ: سبحان الله ما هذا؟ فقالا لى: انطلق فانطلقت معهما، حتى أتينا على رجل مستلق على قفاه، وإذا آخر قائم عليه بكلوب من حديد، فإذا هو يأتى أحد شقّى وجهه، فيشقّ شدقه حتى يبلغَ إلى قفاه ومنخره إلى قفاه، ثم يتحوّل إلى الجانب الآخر، فيفعل به مثل ذلك، فلا يفرغ منه، حتى يصح الجانب الأول كما كان، فيعود إليه، فيفعل به مثل ذلك. قال: قلت: سبحان الله، ماهذا؟ قالا لى: انطلق . فانطلقنا، حتى أتينا على بناء، رأسه مثل التنور ، وأسفله واسع. قال: فاطلعت، فإذا فيه رجالٌ ونساء عُراة، فإذا هُم يأتيهم لهب من أسفل منهم، فإذا أوقد، ارتفعوا حتى يكادوا أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، فلما جاءهم ذلك اللهب ضوضوا ـ يعنى صاحوا ـ فقلت: سبحان الله! ماهؤلاء؟ قالا لى: انطلق .

فانطلقنا حتى أتينا على نهر معترض، فيه ماءُ أحمر مثل الدم، فإذا فيه رجلٌ يسبح، وإذا على شاطىء النهر رجل قد جمع حجارة كثيرة، قال: فيأتيه السابح فيفغر ـ أى يفتح فاه ـ فيلقمه حجراً، قال: قلت : سبحان الله! ماهذا؟ قالا لى: انطلق.

فأتينا على رجل كريه المنظر، كأكره الرجال مرآة، فإذا هو حوله نار عظيمة، يحشّها، ويسعى حولها فقلت: سبحان الله ! ماهذا؟ فقالا لى: انطلق.

فانطلقنا فأتينا على روضة فيها من كل نَوْر الربيع، فإذا بين ظهرانى الروضة رجلٌ طويل، وإذا حول ذلك الرجل ولدان كثير، من أكثر ما رأيتهم، فقلت: سبحان الله! ماهذا؟ ، قالا لى: انطلق .

فانطلقنا حتى انتهينا إلى دوحة عظيمة، لم أر دوحة ولا أحسن منها، فارتقينا فيها، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن من ذهب، ولبن من فضة، فاستفتحنا باب المدينة، ففتح لنار فدخلنا فيها داراً، فأخرجانى منها، فأدخلانى داراً هى أحسن منها وأفضل، فبينما هم كذلك إذ بصرى يسمو صعداً فإذا قصر أبيض كأنه ربابة بيضاء. قالا: ذلك منزلك. قلت: ألا أدخله؟ قالا: أما الآن فلا وأنت داخله .

قلت: إنى رأيت فى هذه الليلة عجباً، فما هذا الذى رأيته ؟

قالا: أما الأول الذى رأيته يثلغ رأسه بالحجر، فإنه رجل يأخذ القرآن، ثم يرفضه، وينام عن الصلاة المكتوبة.

وأما الذى يشرشر شدقه إلى قفاه، فإنه رجلٌ يخرجُ من بيته، فيكذب الكذبة فتبلغ الآفاق. وأما الذين رأيتهم فى التنور، فإنهم الزناة والزوانى. وأما الذى يسبح فى النهر فهو آكل الربا وأما الذى يسعى حول النار فإنه مالك خازن النار أى جهنم وأما الرجل الطويل الذى رأيته فى الروضة فإنه إبراهيم عليه السلام.

وأما الولدان الذين حوله، فكل مولود مات على الفطرة وأما الدار التى دخلت أولاً فدار عامة المؤمنين وأما الدار الأخرى فدار الشهداء وأنا جبريل، وهذا ميكائيل» فقال رجل: وأولاد المشركين؟ قال: «وأولاد المشركين أيضاً يكونون عند إبراهيم عليه السلام»[(١)].

وقد جاء فى أولاد المشركين أخبار مختلفة، قال بعضهم: يكونون خدماً لأهل الجنة، وقال بعضهم : هم أهل النار، والله تعالى أعلم.

قال الفقيه رضى الله تعالى عنه: حدثنا أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو حذيفة بالبصرة، حدثنا سفيان، حدثنا عبدالرحمن بن عباس، قال: حدثنا ناس من أصحاب عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال:

---

(١) صحيح* البخارى (١٢/ ٧٠٤٧) وأحمد (٥/ ٨).

أصدقُ الحديث كلام الله، وأشرف الحديث ذكر الله، وشرُّ العمى عمى القلب، وما قلّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى، وشرّ الندامة ندامة يوم القيامة، وخير الغنى غنى النفس والقلب، وخير الزاد التقوى، والخمر جماع الإثم، والنساء حبائل الشيطان، والشباب شعبة من الجنون، وشر المكاسب كسب الربا، وأعظم الخطايا اللسان الكذوب[1].

٢٠٣ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا سفيان بن أبى حصين، يبلغ به إلى النبى ـ ﷺ ـ قال: « **الكذب لا يصلح إلا فى ثلاث: فى الحرب، لأنّ الحربَ خدعةٌ، والرجل يصلح بين اثنين، والرجل يصلح به بينه وبين امرأته**»[2].

وروى عن بعض التابعين، أنه قال: اعلم أنّ الصدقَ زين الأولياء، وأن الكذب علامة الأشقياء، كما بين الله تعالى فى كتابه، قال الله تعالى: ﴿**هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ**﴾ [المائدة: ١١٩] وقال تعالى: ﴿**يا أَيُّهَا الَّذين آمَنُوا اتَّقُوا الله وكُونُوا مَعَ الصَّادقينَ**﴾ [التوبة: ١١٩] وقال تعالى: ﴿**والَّذى جَاءَ بالصِّدْقِ وصَدَّقَ به أُولَئكَ هُم المتَّقونَ لَهُم مَا يَشاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِم**﴾ [الزمر: ٣٣].

وقد ذمّ الكاذبين ولعنهم، فقال عز من قائل: ﴿**قُتِلَ الخَرَّاصُونَ**﴾ [الذاريات: ١٠] يعنى لعن الكذابون ﴿**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى عَلَى الله الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلاَمِ والله لاَ يَهْدِى القَومَ الظَّالمِين**﴾[الصف: ٧].

* * *

باب الغيبة

٢٠٤ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد ابن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبدالرحمن، عن أبيه، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**أتدرون ما الغيبة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم . قال: «**إذا ذكرت أخاك بما يكره، فقد اغتبته**» قيل : أرأيت إن كان فى أخى مأأقول: قال «**إن كان فيه ماتقول، فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته**» [3] يعنى قلت فيه بهتانا .

---

(١) ضعيف * انظر: ضعيف الجامع (١٢٣٩) .

(٢) **صحيح لغيره*** أحمد (٦/ ٤٥٤، ٤٥٩) والترمذى (١٩٣٩) عن أسماء. وله شاهد عند مسلم (٤/ ٢٦٠٥) وأحمد (٦/ ٤٠٤) عن أم كلثوم بنت عقبة وانظر. الصحيحة (٥٤٥).

(٣) **صحيح** * مسلم (٤/ ٢٥٨٩) وغيره البهتان. الباطل الذى يُتحير من بطلانه .

قال الفقيه: ذُكِرَ عن بعض المتقدّمين أنه قال: لو قلت: إن فلاناً ثوبه قصير، أو ثوبه طويل، يكون غيبةً. فإذا ذكرت عن ثيابه يكون غيبة، فكيف إذا ذكرت عن نفسه.

٢٠٥ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا يحيى بن سليم، عن سلمان القاضى، عن محمد بن الفضل العابد، عن ابن أبى نجيح، قال: بلغنا أنّ امرأةً قصيرةً دخلتْ على النبى ـ ﷺ ـ فلما خرجت، قالت عائشة ـ رضى الله عنها ـ: ما أقصرها !، فقال النبى ـ ﷺ ـ : «اغتبتها»، قالت عائشة: ماقلت إلا مافيها، قال: « **ذكرت أقبحَ مافيها**»(١).

٢٠٦ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، عن إبراهيم، حدثنا عبد الوهاب بن عطاء، عن محمد الجمانى، عن أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: « **ليلة أسرى بى إلى السماء، مررتُ بقوم يقطع اللحم من جنوبهم، ثم يلقمونه، ثم يقال لهم: كلوا ما كنتم تأكلون من لحوم إخوانكم، فقلت: ياجبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء من أمتك الهمازون اللمازون**» (٢) يعنى المغتابين.

٢٠٧ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: سمعت أبى يحكى، قال: كان النبي ﷺ فى المنزل وأصحابه فى المسجد من أهل الصفة، وزيد بن ثابت يحدثهم بما سمع من النبى ـ ﷺ ـ من الأحاديث، فأُتى النبى ـ ﷺ ـ بلحم، فقالوا لزيد بن ثابت: ادخل على النبى ـ ﷺ ـ وقل: إنا لم نأكل اللحم منذ كذا وكذا، لكى يبعثَ إلينا بشىء من ذلك اللحم، فلما قام زيد بن ثابت من عندهم، قالوا فيما بينهم: إن زيداً قد لقى النبى ـ ﷺ ـ مثل مالقينا، فكيف يجلس ويحدثنا، فلما دخل زيد على النبى ـ ﷺ ـ وأدى الرسالة، قال النبى ـ ﷺ: « **قل لهم: قد أكلتم اللحم الآن**»، فرجع إليهم، وأخبرهم به، قالوا: والله ماأكلنا اللحم منذ كذا وكذا، فرجع إليه فأخبره، فقال: «**إنهم قد أكلوا اللحم الآن**»، فرجع إليهم وأخبرهم. فقاموا، فدخلوا على النبى ﷺ فقالوا: يارسول الله إنا لنا كذا وكذا ما أكلنا اللحم، فقال لهم: «**الآن أكلتم لحم أخيكم، وأثر اللحم فى أسنانكم، فابزقوا حتى تروا حمرة اللحم**»، فبذقوا الدم، فتابوا، ورجعوا عن ذلك واعتذروا إليه؛ وقالوا: ما أردنا بذلك الكلام إلا خيراً(٣).

---

(١) صحيح* أحمد (٦/ ١٨٩، ٢٠٦) وابن أبى الدنيا فى« الغيبة والنميمة» (٦٨، ٧٣).

(٢) صحيح* أحمد(٣/ ٢٢٤) وأبو داود (٤٧٧٨) وابن أبى الديا فى« الصمت» (١٦٥). الصحيحة (٥٣٣)

(٣) رواه* عبد بن حميد عن عكرمة بنحوه انظر· الدر المنثور (٧/ ٥٧١، ٥٧٢).

٢٠٨ ـ وروى جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: هاجت ريح منتنة على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ فقال النبى ـ ﷺ ـ: «**إنّ ناساً من المنافقين قد اغتابوا ناساً من المسلمين، فلذلك هاجت هذه الريحُ المنتنة**»[١].

وقيل لبعض الحكماء: ما الحكمةُ فى أنّ ريحَ الغيبة ونتنها كانت تتبين على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ ولا تتبيّن فى يومنا هذا؟ قال: لأنّ الغيبة قد كثرت فى يومنا، فامتلأت الأنوف منها، فلم تتبين الرائحة، وهى النتن، ويكون مثال هذا مثال رجل دخل دارَ الدباغين، لايقدر على القرار فيها من شدّة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام، ويشربون الشراب، ولاتتبين لهم الرائحة؛ لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمرُ الغيبة فى يومنا هذا.

٢٠٩ ـ وروى أسباط عن السدى، قال: كان سلمان الفارسى فى سفر مع ناس، فيهم عمر ـ رضى الله عنه ـ فنزلوا منزلاً، فضربوا خيامهم، وصنعوا طعامهم، ونام سلمان، فقال بعض القوم: مايريد هذا العبدُ إلا أن يجيءَ إلى خيام مضروبة، وطعام مصنوع. ثم قالوا بعد ذلك لسلمان: انطلق إلى النبى ﷺفالتمس لنا إداماً به، فأتى النبىﷺفأخبره، فقال النبى ﷺ: «**أخبرهم أنهم ائتدموا**»، فأخبرهم بذلك، فقالوا: ماطعمنا بعد، وماكذب النبى ﷺ عليكم، فأتوه، فقال لهم النبى ﷺ «**قد ائتدمتم من لحم صاحبكم، حين قلتم ما قلتم وهو نائم**»، ثم قرأ عليهم: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ**﴾[الحجرات: ١٢][٢] يعنى معصية.

قال سفيان: الظنّ ظنّان: ظنّ فيه إثم، وظنّ ليس فيه إثم. فأما الظنّ الذى فيه إثم فالذى [يضمر ثم] يتكلم به. وأما الظن الذى ليس فيه إثم، فما يضمره ولا يتكلم به ﴿**وَلاَ تَجسَّسُوا**﴾ يقول ولا تطلبوا عيب أخيكم ﴿**ولاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أنْ يَأكُلَ لَحْمَ أَخِيه مَيْتاً فَكَرِهْتُموهُ**﴾[الحجرات: ١٢] يعنى كما تكرهون أكل لحم أخيكم ميتاً، فكذلك اجتنبوا ذكره بالسوء إذا كان غائباً.

٢١٠ ـ وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ فى هذه الآية ﴿**وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً**﴾ قال: نزلتْ فى رجلين من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ وذلك أن النبى ﷺ ضمّ مع كلّ رجلين غنيين فى السفر رجلاً من أصحابه قليل الشىء ليصيبَ

---

(١) **ضعيف*** أحمد (٣/ ٣٥١) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٧٣٤) وابن أبى الدنيا فى «الصمت» (٢١٦) فى سنده (خالد بن عرفطة) مجهول.

(٢) **ضعيف*** فيه علتان: أسباط هو (ابن نصر الهمدانى) ليس بالقوى، والسدّى عن سلمان منقطع.

معهما من طعامهما، ويتقدمهما فى المنازل، ويهيئ لهما المنزل، وما يصلح لهما. وقد كان ضمّ سلمان إلى رجلين، فنزل منزلاً من المنازل ذات يوم، ولم يهيئ لهما شيئاً، فقالا له: اذهبْ إلى النبى - ﷺ - فسلْ لنا فضلَ إدام، فانطلق، فقال أحدهما لصاحبه حين غاب عنهما: إنه لو انتهى إلى بئر كذا لقلّ الماء، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ وبلّغه الرسالة، قال النبى ﷺ: **«قل لهما قد أكلتما الإدام»**، فأتاهما، فأخبرها، فأتياه، فقالا: ماأكلنا من إدام، فقال: **«إنّى لأرى حمرةَ اللحم فى أفواهكما»**، فقالا: لم يكن عندنا شيء، وما أكلنا لحمناً اليوم، فقال لهما: **« إنكما قد اغتبتما أخاكم»**، ثم قال لهما: **«أتحبّان أن تأكلا لحماً ميتاً»**، فقال: لا فقال لهما: **«فكما كرهتما أن تأكلا لحماً ميتاً، فلا تغتابا، فإنه من اغتاب أخاه، فقد أكل لحمه ميتاً»**، فنزلت ﴿**ولا يَغْتَبْ بَعْضُكم بَعْضاً**﴾[1].

وروى عن الحسن البصرى: أن رجلاً قال: إن فلاناً قد اغتابك، فبعث إليه طبقاً من الرطب، وقال: بلغنى أنك أهديتَ إلىّ حسناتك، فأردتُ أن أكافئك عليها فاعذرنى، فإنى لا أقدرُ أن أكافئك بها على التمام.

وذكر عن إبراهيم بن أدهم - رحمه الله تعالى - أنه أضاف أناساً، فلما قعدوا على الطعام، جعلوا يغتابون رجلاً، قال إبراهيم: إن الذين كانوا قبلنا كانوا يأكلون الخبز قبل اللحم، وأنتم بدأتم باللحم قبل الخبز.

وذكر عن أبى أمامة الباهلى - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: إنّ العبدَ لَيُعْطَى كتابه يوم القيامة فيرى فيه حسنات لم يكن عملها، فيقول: يارب؛ من أين لى هذا؟ فيقول: هذا بما اغتابك الناسُ وأنت لا تشعر.

وعن إبراهيم بن أدهم، أنه قال: يامكذّب بخلتَ بدنياك على أصدقائك، وسخوتَ بآخرتك على أعدائك، فلا أنت فيما بخلتَ به معذور، ولا أنت فيما سخوتَ به محمود.

وذكر عن بعض الحكماء أنه قال: الغيبةُ فاكهة القرّاء، وضيافةُ الفساق، ومراتعُ النساء، وإدامُ كلاب الناس، ومزابلُ الأتقياء.

٢١١ - وروى أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه

---

(١) قال الحافظ فى تخريج « الكشاف» (٤/ ٣٧٤). هكذا ذكره الثعلبى وربيعة بغير سند ولا راو، وفى «الترغيب» لأبى القاسم الأصبهانى [٢٢٣١] من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى نحوه ا هـ. وأشار البغوى فى « تفسيره» إلى ضعفه فصدّره بلفظة « قيل نزلت..».

قال: «**أربع يفطرن الصائم، وينقضن الوضوء، ويهدمن العمل: الغيبة، والكذب، والنميمة، والنظر إلى محاسن المرأة التى لا يحل له النّظر إليها، وهن يسقين أصول الشرّ، كما يسقى الماء أصول الشجر، وشرب الخمر يعلو الخطايا** »[1].

قال كعب الأحبار: قرأتُ فى كتب الأنبياء ـ عليهم السلام ـ أنّ من مات تائباً من الغيبة كان آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصراً عليها، كان أول من يدخل النار.

وذكر عن عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ أنه قال لأصحابه: أرأيتم لو أتيتم على رجل نائم، قد كشفت الريح عن بعض عورته، كنتم تسترون عليه؟ قالوا: نعم. قال: بل كنتم تكشفون البقية، قالوا: سبحان الله! كيف نكشف البقية؟ قال: أليس يذكر عندكم الرجل بالسوء، فتذكرونه بأسوأ ما فيه، فأنتم تكشفون بقية الثوب عن عورته.

وروى خالد الربعى، قال: كنتُ فى المسجد الجامع، فتناولوا رجلاً، فنهيتهم عن ذلك، فكفوا وأخذوا فى غيره، ثم عادوا إليه، فدخلتُ معهم فى شىء من أمره، فرأيت تلك الليلة فى المنام كأنى أتانى رجلٌ أسود طويل، ومعه طبق، عليه قطعةٌ من لحم خنزير، فقال لى: كُلْ، فقلت: آكل لحم الخنزير؟ والله لا آكله، فانتهرنى انتهاراً شديدا، وقال: قد أكلت ماهو أشدّ منه، فجعل يدسّه فى فمى، حتى استيقظتُ من منامى، فوالله لقد مكثتُ ثلاثين يوماً أو أربعين يوماً، ما أكلتُ طعاماً إلا وجدت طعمَ ذلك اللحم ونتنه فى فمى.

قال سفيان بن الحسين: كنتُ جالساً عند إياس بن معاوية، فمرّ رجل، فنلت منه، فقال: اسكت، ثم قال لى: : ياسفيان هل غزوتَ الروم؟ قلت: لا، قال: غزوتَ الترك؟ قلت: لا، قال: سلم منك الروم، وسلم منك الترك، ولم يسلم منك أخوك المسلم، قال: فما عدتُ إلى ذلك بعد.

وروى عن حاتم الزاهد ـ رحمه الله تعالى ـ قال: ثلاثة إذا كنّ فى مجلس؛ فالرحمة عنهم مصروفة: ذكر الدّنيا، والضّحك، والوقيعة فى الناس.

وعن يحيى بن معاذ الرازى قال: ليكن حظّ المؤمن منك ثلاث خصال، لتكون من المحسنين:

إحداهما: إنك إن لم تنفعه فلا تضرّه.

والثانية: إن لم تسرّه، فلا تغمه.

والثالثة: إن لم تمدحه، فلا تذمه.

---

(١) موضوع* الديلمى فى « الفردوس » (١ ٢٨) وغيره. انظر: الضعيفة (١٧٠٨).

وذكر عن مجاهد أنه قال: إنّ لابن آدم جلساء من الملائكة، فإذا ذَكر أحدُهم أخاه بخير، قالت الملائكة له: ولك مثله، وإذا ذكر أحدهم أخاه بسوء، قالت الملائكة: يابن آدم كشفت المستور عليه عورته، ارجع إلى نفسك، واحمد الله الذى ستر عليك عورتك.

وذُكر عن إبراهيم بن أدهم أنه دُعى إلى طعام، فلما جلس، قالوا: إن فلاناً لم يجئ، فقال رجل منهم: إنّ فلاناً رجلٌ ثقيل، فقال إبراهيم: إنما فعل هذا بى بطنى حين شهدت طعاماً؛ اغتبت فيه مسلماً، فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام.

قال بعض الحكماء: إن ضعفتَ عن ثلاث، فعليك بثلاث: إن ضعفتَ عن الخير، فأمسك عن الشر، وإن كنتَ لا تستطيعُ أن تنفعَ الناس فأمسك عنهم ضرك، وإن كنت لا تستطيعُ أن تصومَ فلا تأكلْ لحومَ الناس.

وذُكر عن وهب المكى، أنه قال: لأن أدعَ الغيبة أحبّ إلىّ من أن تكون لى الدنيا وما فيها؛ منذ خُلقَتْ إلى أن تفنى، فأجعلها فى سبيل الله تعالى ولأن أغضّ بصرى عما حرّم الله تعالى، أحبّ إلى من أن تكونَ لى الدنيا وما فيها، فأجعلها فى سبيل الله تعالى، ثم تلا قوله تعالى: ﴿**وَلا يَغْتَب بَعْضُكُم بَعْضاً**﴾ [الحجرات: ١٢]، وتلا قوله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ**﴾ [النور: ٣٠].

قال الفقيه: قد تكلّم الناس فى توبة المغتاب، هل تجوز من غير أن يستحلّ من أخيه؟ قال بعضهم: يجوز وقال بعضهم: لا يجوز مالم يستحل من صاحبه. وهو عندنا على وجهين: إن كان ذلك القولُ قد بلغ إلى الذى اغتابه، فتوبته أن يستحل منه ويستغفر الله وإن لم يبلغ فليستغفر الله تعالى، ويضمر أن لا يعود إلى مثله.

وقد روى أنّ رجلاً أتى ابن سيرين، فقال: إنى اغتبتك، فاجعلنى فى حلّ فقال: وكيف أحلّ ماحرم الله؟ فكأنه أشار إليه بالاستغفار والتوبة إلى الله تعالى، مع استحلاله منه.

فأمّا إذا لم تبلغ إلى صاحبه تلك الغيبة، فتوبته أن يستغفر الله تعالى، ويتوب إليه، ولا يخبر صاحبه فهو أحسن لكيلا يشتغل قلبه به، ولو أنه قال بهتاناً لم يكن ذلك فيه، فإنه يحتاج إلى التوبة فى ثلاثة مواضع:

أحدها: أن يرجعَ إلى القوم الذين تكلّم بالبهتان عندهم، ويقول: إنى قد ذكرتُ عندكم فلاناً بكذا وكذا، فاعلموا أنى كنت كاذباً فى ذلك.

والثانى: أن يذهبَ إلى الذى قال عليه البهتان، ويطلب منه أن يجعلهَ فى حلَ .

والثالث: أن يستغفرَ الله تعالى، ويتوبَ إليه، فليس شىء من الذنوب أعظم من البهتان، فإنّ سائرَ الذّنوب تحتاجُ إلى توبة واحدة، وفى البهتان يحتاج إلى التوبة فى ثلاثة مواضع. وقد قرن الله تعالى البهتان بالكفر، فقال تعالى: ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ**﴾ [الحج: ٣٠].

ويقال: لا تكون الغيبةُ إلا فى قوم معلومين، حتى لو ذكر أهل مصر من الأمصار، فقال: هم بخلاء، أو قوم سوء، لا يكون غيبة؛ لأنّ فيهم البر والفاجر. وعلم أنه لم يردْ به الجميع، والكفّ عن ذلك أفضل.

وذُكر عن بعض الزهاد أنه اشترى قطناً لامرأته، فقالت المرأة: إن باعة القطن قومٌ سوء، قد خانوك فى هذا القطن فطلّق الرجل امرأته، فسُئل عن ذلك فقال: إنى رجلٌ غيور ، فأخاف أن يكون القطّانون كلهم خصماءها يوم القيامة، فيقال: إن امرأة فلان تعلّق لها القطانون، فلأجل ذلك طلّقتُها .

وقال: ثلاثةٌ لا تكون غيبتُهم: غيبة سلطان جائر، وفاسق معلن، وصاحب بدعة. يعنى إذا ذكر فعلهم ومذهبهم، ولو ذكر شيئاً من أبدانهم بعيب فيهم، لكان ذلك غيبة ولكن إذا فعلهم ومذهبهم، فلا بأس لكى يحذرهم الناس.

٢١٢ـ وقد روى عن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**اذْكُروا الفاجرَ بما فيه؛ لكى يحذره الناس**»(١).

قال الفقيه: الغيبة على أربعة أوجه: فى وجه هى كفر، وفى وجه هى نفاق، وفى وجه هى معصية، والرابع مباح، وهو مأجور.

فأما الوجه الذى هو كفر: فهوأن يغتاب المسلم، فيقال له: لاتغتب، فيقول: ليس هذا غيبة وأنا صادق فى ذلك، فقد استحلّ ما حرم الله تعالى، ومن استحلّ ماحرّم الله تعالى صار كافراً، نعوذ بالله.

وأما الوجه الذى هو نفاق: فهو أن يغتابَ إنساناً، فلا يسمّيه عند من يعرف أنه يريد به فلاناً، فهو يغتابه، يرى فى نفسه أنه متورع فهذا هو النفاق.

وأما الذى هو معصية، فهو أن يغتابَ إنساناً، ويسمّيه، ويعلم أنها معصية، فهو

---

(١)موضوع* العقيلى (٧٢) وابن حبان فى «المجروحين» (١/ ٢٢٠) وابن عدى (٢/ ١٧٣، ١٧٤، ٣/ ٢٨٩) وابن أبى الدنيا فى « الصمت» (٢٢) وانظر العلل المتناهية (٢/ ٧٨٠) والضعيفة (٥٨٣).

عاص، وعليه التوبة.

والرابع: أن يغتاب فاسقاً معلناً بفسقه، أو صاحب بدعة. فهو مأجور؛ لأنهم يحذرون منه إذا عرفوا حاله. وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**اذكروا الفاجر بما فيه لكى يحذرَه النَّاسُ**».

قال الفقيه: سمعت أبى يحكى أنّ الأنبياءَ الذين لم يكونوا مرسلين ـ عليهم السلام ـ بعضهم كانوا يرون فى المنام، وبعضهم كانوا يسمعون الصوت ولا يرون شيئاً، وكان نبىّ من الأنبياء ممن يرى فى المنام، رأى ذات ليلة فى المنام، قيل له: إذا أصبحت فأول شىء يستقبلك فكله، والثانى اكتمه، والثالث اقبله، والرابع لا تؤيسه، والخامس اهرب منه فلما أصبح كان أول شىء استقبله جبل أسود عظيم، فوقف وتحيّر، وقال : أمرنى ربى أن آكل هذا، ثم رجع إلى نفسه، وقال: إن ربى لا يأمرنى بما لا أطيق، فلما عزم على أكله، ومشى إليه ليأكله، فكلما دنا منه صغر ذلك الجبل، فلما انتهى إليه وجده لقمةً أحلى من العسل، فأكله، وحمد الله تعالى ومضى.

فاستقبله طست من ذهب، وقال: أمرت بأن أكتمه، فحفر بئراً فى الأرض، ودفنه فيها ومضى، والتفت، فإذا الطست فوق الأرض، فرجع مرتين أو ثلاثاً، وهو يدفنه فيها، ومضى، فالتفت، فإذا هو على وجه الأرض، قال: إنى فعلت ما أمرت به، فذهب.

فاستقبله طائر خلفه بازى يريد أن يأخذه، فقال: يانبى الله، أغثنى، فقبله، وجعله فى كمه، فجاء البازى، فقال : يانبى الله، إنى كنتُ جائعاً، وإنى كنتُ فى طلب هذا الصيد منذ الغداة، حتى أردت أن آخذه، فلا تؤيسنى من رزقى، فقال فى نفسه: إنى قد أمرت أن أقبل الثالث، وقد قبلته، وقد أمرت أن لا أؤيس الرابع، والرابع هذا البازى، فيكف أصنع؟ فلما تحيّر فى ذلك أخذ السكينَ وقطع من فخذ نفسه قطعة من لحم، فرمى بها إلى البازى، حتى أخذها ومضى، ثم أرسل الطائر ومضى، فرأى الخامس جيفة منتنة، فهرب منها.

فلما أمسى، قال: يارب، إنى قد فعلتُ ما أمرتنى، فبيّن لى ما كان من أمر هذه الأشياء، فرأى فى منامه، أنه قيل له: أما الأول الذى أكلته، فهو الغضب، يكون فى الأول كالجبل، وهو فى آخره إذا صبر وكظم غيظه أحلى من العسل. والثانى : فهو من عمل حسنة، فإن كتمها فإنها تظهر. والثالث: من ائتمنك بأمانة فلا تخنه. وأما الرابع: فإذا سألك إنسان حاجة؛ فاجتهد فى قضائها، وإن كانت محتاجاً إليه والخامس: الغيبة، فاهرب من الذين يغتابون الناس والله أعلم.

باب النّميمة

٢١٣ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا أبو جعفر الدبيلى، حدثنا أبو عبد الله، حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن همام بن الحارث، عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **لا يدخلُ الجَنَّةَ قتّاتٌ**»[١] يعنى النمام.

٢١٤ ـ قال: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا أبو جعفر الدبيلى، حدثنا أبو عبدالله، حدثنا سفيان، عن أبى الزناد، عن الأعرج، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**هل تدرون من شراركم؟**» قالوا: **الله** ورسوله أعلم، قال: «**شراركم ذو الوجهين: الذى يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**»[٢].

٢١٥ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مجاهد، عن طاووس، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: مرّ النبى ـ ﷺ ـ بقبرين جديدين، فقال: « **إنهما يعذبان، وما يعذبان فى كبيرة، فأما أحدهما، فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة**»، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقّها نصفين، وغرز فى كل قبر واحدة، فقالوا: يارسول الله، لم صنعت هذا؟ فقال: « **لعلّهما يخفّف عنهما، مالم ييبسا**»[٣].

قال الفقيه: معنى قوله: «**مايعذبان فى كبيرة**»، يعنى ليس بكبيرة عندكم، ولكنه كبيرة عند الله، ألا ترى أنه ذكر فى خبر أبى هريرة أن النمام شرّ الناس عند الله.

وقد ذكر فى حديث حذيفة، أنه «**لا يدخل الجنة قتات**»، يعنى النمام، فإذا لم يدخل الجنة، لم يكن مأواه إلا النار؛ لأنه ليس هناك إلا الجنة أو النار، فإذا ثبت أنه لا يدخل الجنة، ثبت أن مأواه النار، فالواجبُ على النمام أن يتوبَ إلى الله تعالى، فإنَّ النمامَ ذليلٌ فى الدنيا، وهو فى عذاب القبر بعد موته، وهو فى النار يوم القيامة، آيس من رحمة الله تعالى، فإن تابَ قبل موته تابَ الله عليه.

٢١٦ ـ وروى الحسن عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من شرّ الناس ذو الوجهين؛ يأتى هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه**»[٤] «ومن كان ذا لسانينِ فى الدنيا، فإن الله تعالى

---

(١) **متفق عليه*** البخارى(١٠/٦٠٥٦) ومسلم (١٠٥).

(٢) **متفق عليه*** البخارى (١٠/٦٠٥٨) ومسلم (٤/٢٥٢٦)

(٣) **متفق عليه*** البخارى(٢١٦) ومسلم (٢٩٢).

(٤) **متفق عليه من طريق أخرى*** سبق برقم (٢١٤) أما طريق المصنف (مرسل)

يجعل له يوم القيامة لسانين من نار»[١].

وروى عن قتادة أنه قال: كان يقال إنّ من شر عباد الله كلّ طعّان لعّان نمّام.

وكان يقال: عذابُ القبر ثلاثةُ أثلاث: ثلث من الغيبة، وثلث من البول، وثلث من النميمة.

وروى عن حماد بن سلمة أنه قال: باع رجل غلاماً، فقال للمشترى: ليس فيه عيب إلا أنه نمّام فاستخفه المشترى، فاشتراه على ذلك العيب، فمكث الغلام عنده أياماً، ثم قال لزوجة مولاه: إن زوجك لا يحبك، وهو يتسرّى عليك، أفتريدين أن يعطف عليك؟ قالت: نعم، قال لها: خذى موسى، واحلقى شعرات من باطن لحيته إذا نام. ثم جاء إلى الزوج، وقال: إن امرأتك تخادنت، يعنى اتخذت خليلاً، وهى قاتلتك، أتريد أن يتبين لك ذلك؟ قال: نعم، قال: فتناوم لها فتناوم الرجل، فجاءت امرأته بموسى لتحلق الشعرات، فظن الزوج أنها تريد قتله، فأخذ منها الموسى فقتلها، فجاء أولياؤها فقتلوه، فجاء أولياء الرجل ووقع القتال بين الفريقين.

وقال يحيى بن أكثم: النمام شرٌ من السّاحر، ويعمل النمام فى ساعة مالا يعمل الساحر فى شهر.

ويقال: عمل النمام أضرَ من عمل الشيطان؛ لأنّ عملَ الشيطان بالخيال والوسوسة، وعمل النمام بالمواجهة والمعاينة، وقد قال تعالى: ﴿حَمَّالَةَ الحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] قال أكثر المفسرين: إنّ الحطبَ أراد به النميمة، وإنما سمّيت النميمة حطباً؛ لأنها سبب للعداوة والقتال، فصار بمنزلة إيقاد النار.

وقال أكثم بن صيفى: الأذلاء، أربعة: النمام، والكذّاب، والمديون، واليتيم.

وروى عبيدة بن أبى لبابة، عن أبى عبيد الله القرشى قال: اتبع رجل رجلاً سبعمائة فرسخ فى سبع كلمات، فلما قدم عليه قال: إنى جئتك للذى آتاك الله من العلم، أخبرنى عن السماء وما أثقل منها، وعن الأرض وما أوسع منها، وعن الحجر وما أقسى منه، وعن النار وما أحرّ منها، وعن الزمهرير وما أبرد منه، وعن البحر وما أغنى منه، وعن اليتيم وما أضعف منه وفى بعض الروايات: وعن السم وما أزعف منه. فقال: أما البهتان على البرىء فأثقل من السموات، والحقّ أوسع من الأرض، والقلب القانع أغنى من البحر، والحرص فى الجسد أحرّ من النار، والحاجة إلى القريب - إذا لم تنجح - أبرد من الزمهرير، وقلب الكافر أقسى من الحجر، والنميمة إذا استبانت على صاحبها أضعف من كلّ يتيم، يعنى النّمام يصيرُ ذليلاً إذا ظهر أمره.

---

(١) صحيح بطرقه: أبو داود (٤٨٧٣) والبخارى فى «الأدب المفرد»(١٨٨) الصحيحة (٨٩٢)

وفى رواية أخرى: أزعف من كلّ سم، يعنى أهلك. يقال سم زعاف: إذا كان مهلكاً.

٢١٧- وروى عن نافع، عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لما خلق الله تعالى الجنة، قال لها: تكلّمى، قالت: سعد مَن دخلنى، فقال الجبار جل وعلا: وعزّتى وجلالى لا يسكنُ فيك ثمانية نفر من الناس: مدمن خمر، ولا مصرّ على الزنا، ولا نمّام، ولا ديوث وهو القرطبان، ولا الشرطى، ولا المخنث، ولا قاطع الرحم، ولا الذى يقول: علىّ عهد الله إن لم أفعلْ كذا أو كذا، ثم لم يفِ به**»(١).

وعن الحسن البصرى - رحمه الله تعالى - قال: مَن نقلَ إليك حديثاً، فاعلمْ أنّه ينقلُ إلى غيرك حديثك.

وروى عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل، فذكر عنده رجلاً، فقال له عمر: إن شئت نظرنا فى أمرك إن كنت كاذباً، فأنتَ من أهل هذه الآية ﴿ **إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا** ﴾[الحجرات: ٦] وإن كنت صادقاً، فأنت من أهل هذه الآية ﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ**﴾[القلم: ١١] وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لاَ أعودُ إلَى مثل ذلك.

وروى عن عبد الله بن المبارك أنه قال: ولد الزنا لا يكتم الحديث، وذو الحسب فى قومه لا يؤذى جاره يعنى الذى لا يكتم حديث الناس، ويمشى بالنميمة، فهو ولد الزنا، وإنه لو لم يكن ولد الزنا لكتم الحديث، وهذا مُستخرَجٌ من قول الله تعالى: ﴿**هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ. عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾ [القلم: ١١ - ١٣] يعنى الوليد بنَ المغيرة، فإنَه كان طعاناً يمشى بالنميمة، ﴿**مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ**﴾ يعنى يمنع الخير من الناس ﴿**مُعْتَدٍ أَثِيمٍ**﴾ يعنى عاص فاجر، ﴿**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾ يعنى من فيه هذا كلّه، فهو دعىّ، والدَعىّ: ولد الزنا، ، هكذا قال بعض المفسرين.

وذكر: أن حكيماً من الحكماء، زاره بعض أصدقائه، وذكر عنده بعض إخوانه، فقال له الحكيم: قد أبطأت فى الزيارة، وأتيتنى بثلاث جنايات: بغّضت إلى أخى، وشغلت قلبى الفارغ، واتهمت نفسك بالمين.

وروى عن كعب الأحبار - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: أصاب بنى إسرائيل قحطٌ، فخرج بهم موسى - عليه السلام - ثلاث مرات يستقون، فلم يسقوا، فقال

---

(١) قال الحافظ العراقى فى تخريج « الإحياء» (٣/ ١٥٢): لم أجده هكذا بتمامه . . ا هـ ثم ذكر له شواهد متفرقه

موسى ـ عليه السلام ـ: إلهى، عبادك قد خرجوا ثلاث مرات، فلم تستجب دعاءهم. فأوحى الله تعالى إليه: بأنى لا أستجيبُ لك ولمن معك؛ لأنّ فيكم رجلاً نمّاماً، قد أصرّ على النميمة. فقال موسى ـ عليه السلام ـ: مَن هو حتى نخرجه من بيننا؟ فقال: ياموسى، أنهاكم عن النميمة، وأكون نمّاماً، فتابوا جميعهم، فَسُقُوا .

وذُكر أنّ سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين كان جالساً، وعنده الزهرى، فجاء رجل، فقال له سليمان: بلغنى أنك وقعتَ فىّ، وقلتَ كذا وكذا، فقال الرجل: مافعلتُ، وما قلتُ شيئاً فيك. فقال له سليمان: إن الذى أخبرنى كان صادقاً، فقال الزهرى رضى الله تعالىٰ عنه: لا يكونُ النمّامُ صدوقاً. قال سليمان: صدقتَ، اذهبْ بسلام.

وقال بعضُ الحكماء: مَن أخبرك بشتمٍ عن أخ فهو الشاتمُ، لا منَ شتمك.

وقال وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ : مَن مدحك بما ليس فيك، فلا تأمن أن يذمّك بما ليس فيك.

قال الفقيه: إذا أتاك إنسان، فأخبرك أنّ فلاناً قد فعل بك كذا وكذا، وقال فيك كذا، وكذا، فإنه يجبُ عليك ستة أشياء.

أولها: أن لا تصدّقه؛ لأنّ النمام مردودُ الشهادة عند أهل الإسلام، وقد قال الله تعالى: ﴿**يَاأَيُّها الَّذينَ آمَنُوا إنْ جَاءكُمْ فَاسقٌ بنَبأ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْماً بجَهَالَة فَتُصْبحُوا عَلَى مَافَعَلْتُمْ نَادمينَ**﴾[الحجرات:٦] يعنى إن جاءكم فاسق بخبر، فانظروا فى الأمر، ولا تعجلوا لكى لا تصيبوا قوماً بجهالة.

والثانى: أن تنهاه عن ذلك؛ لأنّ النهىَ عن المنكر واجبٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أمَّة أُخْرجَتْ للنَّاس تَأمُرُونَ بالْمَعْرُوف وتَنْهَوْنَ عَن الْمُنْكَر**﴾[آل عمران:١١٠].

والثالث: أن تبغضه فى الله تعالى، فإنه عاص، وبغضُ العاصى واجبٌ؛ لأنّ الله تعالى يبغضه.

والرابع: أن لا تظنّ بأخيك الغائب الظنّ بالسوء، فإنّ إساءةَ الظنّ بالمسلم حرامٌ، وقد قال الله تعالى: ﴿ **إنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إثْمٌ**﴾[الحجرات: ١٢].

والخامس: أن لا تجسّس عن أمره، فإن الله تعالى نهى عن التجسُس، وهو قوله تعالى: ﴿**ولا تَجَسَّسُوا**﴾ الحجرات: ١٢].

والسادس: مالا ترضى من هذا النمام، فلا تفعله أنت، وهو أن لا تخبرَ أحداً بما أتاك به هذا النمام .

وبالله التوفيق

باب الحسد

٢١٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن يزيد الرقاشى، عن الحسن، أنّ النبى ـ ﷺ ـ قال: « **إنّ الغِلّ والحسد يأكلان الحسنات كما تأكل النار الحطب**»(١).

٢١٩ ـ وبهذا الإسناد قال إبراهيم بن علية، عن عباد بن إسحاق، عن عبدالرحمن بن معاوية، أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**ثلاثة لا ينجو منهم أحد: الظن، والحسد، والطَيرة**»، قيل: يارسول الله، وما ينجى منهن؟ قال: « **إذا حسدت فلا تبغِ، وإذا ظننتَ فلا تُحَقِّقْ. وإذا تطيّرت فامْضِ**» أو قال: « **لا ترجع**»(٢).

ومعنى قوله ﷺ: «**إذا حسدت فلا تبغ**» يعنى إذا كان الحسد فى قلبك، فلا تظهره ولا تذكر عنه بسوء، فإن الله تعالى لا يؤاخذك بما فى قلبك، مالم تقلْ بلسانك، أو تعمل عملاً فى ذلك.

وقوله عليه السلام: « **إذا ظننت فلا تحقق**» يعنى إذا ظننت بالمسلم ظن السوء، فلا تجعل ذلك حقيقة، مالم تر بالمعاينة.

وقوله عليه السلام: «**إذا تطيرت فامض**» يعنى إذا أردتَ الخروج إلى موضع فسمعت صوت هامة(٣)، أو صوت عقعق(٤)، أو اختلج شىء من أعضائك. فامضِ ولا ترجع.

٢٢٠ ـ وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه كان يحب الفأل الحسن، ويكره الطيرة»(٥).

ويقال: الطيرة من أفعال الجاهلية، كما قال الله تعالى: ﴿**قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ**

---

(١) **ضعيف**﴿ فيه ثلاث علل: عنعنة الأعمش، وضعف يزيد الرقاشى، وإرسال الحسن وانظر: ضعيف الجامع (٣٩٣٥) والضعيفة (١٩٠١، ١٩٠٢).

(٢) **مرسل(من أقسام الضعيف)**﴿ ابن عبد البر فى « التمهيد»(٦/ ١٢٥) ورواه مرفوعاً. الطبرانى فى « الكبير» (١/ ٣٣٠) وأبو الشيخ فى «التوبيخ» (١٥٢، ٢٣٧) بإسناد ضعيف.

(٣) **هامة**﴿ هى البومة.

(٤) **عقعق**﴿ نوع من الغربان طويل الذيل.

(٥) **صحيح**﴿ ابن ماجه (٣٥٣٦) عن أبى هريرة، وأحمد (٦/ ١٣٠) وغيره عن عائشة صحيح الجامع (٤٩٨٥)

مَعَكَ﴾ [النمل: ٤٧] وفى آية أخرى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٨].

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه كان يقول: إذا سمعت صوت طير، فقل: اللهم لا طيرَ إلا طيرك، ولا خيرَ إلا خيرك، ولا إله غيرك، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، ثم امض فإنه لا يضرك شىء بإذن الله تعالى.

٢٢١ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن محمد بن عمرو، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: « **لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تناجشوا، وكونوا عباد الله إخوانا**»(١).

وروى عن معاوية بن أبى سفيان ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال لابنه: يابنى، إياك والحسد، فإنه يتبيّن فيك قبل أن يتبيّن فى عدوك.

قال الفقيه ـ رضى الله تعالى عنه ـ: ليس شىء من الشر أضرّ من الحسد؛ لأنه يصلُ إلى الحاسد خمس عقوبات، قبل أن يصل إلى المحسود مكروه.

أولاها: غمّ لا ينقطع.

والثانية: مصيبة لايؤجر عليها.

والثالثة: مذمّة لا يحمد بها.

والرابعة: يسخط عليه الربّ.

والخامسة: تُغلق عليه أبوابُ التوفيق.

٢٢٢ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ألاَ إنّ لنعم الله أعداء**» قيل: من أعداء نعم الله يارسول الله؟ قال: « **الذين يحسدون الناسَ على ماآتاهم الله من فضله**»(٢).

وروى عن مالك بن دينار، أنه قال: إنى أجيزُ شهادة القراء على جميع الخلق، ولا أجيز شهادة القراء بعضهم على بعض؛ لأنّى وجدتهم حساداً. يعنى أن أكثرَ الحسد فى القراء.

٢٢٣ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **ستة بستة يدخلون النار يوم القيامة قبل الحساب**» قيل: يارسول الله، من هم؟

---

(١) متفق عليه * البخارى(٦٠٦٥) ومسلم (٤/ ٢٥٥٩)

(٢) لم أقف على أسناده .

قال: « **الأمراء من بعدى بالجور، والعرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرساتيق بالجهالة، وأهل العلم بالحسد**»[1] يعنى العلماء الذين يطلبون الدنيا يحسد بعضهم بعضاً.

فينبغى للعالم أن يتعلّم العلم، ليطلبَ به الآخرةَ، فإذا كان العالمُ يطلبُ بعلمه الآخرة فإنه لا يحسدُ أحداً، ولا يحسده أحد، وإذا تعلّم لطلب الدنيا، فإنه يحسد، كما قال الله عن علماء اليهود ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَاآتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِه**﴾ [النساء: ٥٤] يعنى أن اليهود كانوا يحسدون رسول الله ﷺ وأصحابه، فكانوا يقولون: لو كان هو رسول الله ﷺ لشغله ذلك عن كثرة النساء، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ الله مِنْ فَضْلِه**﴾[النساء: ٥٤] يعنى النبوة وكثرة النساء.

وقال بعض الحكماء: إيّاكم والحسد؛ فإنَّ الحسدَ أوّلُ ذنب عُصِىَ الله تعالى به فى السماء، وأول ذنب عُصِىَ الله تعالى به فى الأرض. وإنما أراد بقوله: أول ذنب عصى الله تعالى به فى السماء، يعنى به إبليس، حين أبى أن يسجد لآدم، وقال: ﴿**خَلَقْتَنِى مِنْ نار وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِين**﴾ [الأعراف: ١٢] فحسده، فلعنه الله تعالى بذلك.

وأما الذى عُصِىَ الله تعالى به فى الأرض، فهو قابيل بن آدم، حين قتل أخاه هابيل حسداً، وهو قوله تعالى: ﴿**وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى ادمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّل مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِين**﴾[المائدة:٢٧].

وروى عن الأحنف بن قيس، أنه قال: لا راحة لحسود ولا وفاء لبخيل، ولا صديق لملول، ولا مروءة لكذوب، ولا رأى لخائن، ولا سؤدداً لسيئ الخلق.

وقال بعض الحكماء: ما رأيتُ ظالماً أشبه بالمظلوم من الحاسد.

وقال محمد بن سيرين: ماحسدت أحداً قط على شيء من الدنيا؛ وإن كان من أهل الجنة، فكيف أحسده وهو صائر إلى الجنة، وإن كان من أهل النار، فكيف أحسده وهو صائر إلى النار؟!

وقال الحسن البصرى: يابن آدم، لم تحسد أخاك؟ فإن كان الذى أعطاه الله لكرامته عليه، فلم تحسد من أكرمه الله تعالى؟ وإن يكن غير ذلك، فلا ينبغى لك أن تحسد من مصيره إلى النار.

---

(١) إسناده ليس بذاك . الديلمى (٣٣٠٩) عن أبى هريرة بنحوه وعن أنس بلفظ « سبعة . . »

قَالَ الفقيه ـ رضى الله تعالى عنه ـ: ثلاثةٌ لا تُستجابُ دعوتُهم: آكل الحرام، ومكثار الغيبة، ومَن كان فى قلبه غل أو حسد للمسلمين.

٢٢٤ ـ وروى ابن شهاب، عن سالم عن أبيه، أن النبى ـ ﷺ ـ قال: « **لا حسد إلا فى اثنتين: رجلا آتاه الله تعالى القرآن، وهو يقومُ به آناء الليل والنهار، ورجل آتاه الله تعالى مالاً، وهو ينفقُ منه سراً وجهراً آناء الليل والنهار**»[١].

قال الفقيه: يعنى أن يجتهدَ؛ حتى يفعل مثل فعله فى قيام الليل، وفى الصدقة، فهذا الحسد محمود، فأمّا إذا حسده فى ذلك يريد زواله عنه، فهو مذموم، وهكذا فى كلّ شيء، إذا رأى الإنسان مالاً أو شيئاً يعجبه، فيتمنّى أن يكونَ ذلك الشيءُ له، فهو مذموم، وإن تمنى أن يكون له مثله، فهو غيرُ مذموم، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ **وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَافَضَّلَ الله به بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ**﴾ النساء:٣٢] وقال فى آية آخرى: ﴿**وَاسأَلُوا الله مِنْ فَضْلِه**﴾[النساء: ٣٢].

وهكذا ينبغى للمسلم أن لا يتمنّى فضلَ غيره لنفسه، وينبغى أن يسأل الله تعالى أن يعطيه مثل ذلك فالواجب على كلّ مسلم أن يمنعَ نفسه من الحسد؛ لأنّ الحاسدَ يضادّ حكم الله تعالى، والناصحُ هو راضٍ بحكم الله تعالى.

٢٢٥ ـ وقال النبى ﷺ: «**ألا إنّ الدِّينَ النصيحة**»[٢]، فينبغى للمسلم أن يكون راضياً ناصحاً لجميع المسلمين، ولا يكون حاسداً.

٢٢٦ ـ وروى العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه سأل النبىﷺعن حق المسلم على المسلم، فقال: «**حقّ المسلم على المسلم ستة أشياء**»، قيل: ماهن يارسول الله؟ قال: «**إذا لقيته فسلّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصحْ له، وإذا عطس فحمدَ الله فشمّته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه**»[٣].

٢٢٧ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدّثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو همام النسفى، حدثنا عيسى بن أحمد العسقلانى، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا أبو محمد الثقفى، قال: سمعت أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ يقول: خدمت رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا ابن ثمانى سنوات، فكان أول ماعلمنى، قال: « **ياأنس أحكم وضوءك لصلاتك تحبك حفظتك، ويُزاد فى عمرك يا أنس اغتسل من الجنابة، وبالغ**

---

(١) متفق عليه * البخارى (٨/ ٢٥ ، ٥ ، ١٣/ ٧٥٢٩) ومسلم (٨١٥) عن ابن عمر

(٢) صحيح* مسلم (٥٥) والنسائى (٧/ ١٥٧) وأحمد (٢/ ٢٩٧) وغيرهم عن تميم الدارى

(٣) صحيح * مسلم (٤/ ٢١٦٢ ـ ٥) « فشمّته» تشميت العاطس أن يقول: يرحمك الله

فيها، فإنّ تحت كل شعرة جنابة» قال: قلت يارسول الله؛ وكيف أبالغ فيها؟ قال: « روّ أصول شعرك، وأنق بشرتك، تخرجْ من مغتسلك وقد غفر ذنبك. يا أنس لا تفوتنك ركعتا الضحى؛ فإنهّا صلاةُ الأوابين، وأكثر الصلاة بالليل والنهار، فإنك ما دمتَ فى الصلاة؛ فإنّ الملائكة يصلّون عليك.

ياأنس وإذا قمت للصلاة؛ فانصبْ نفسك لله تعالى، وإذا ركعتَ فاجعل راحتيك على ركبتيك، وفرّج بين أصابعك،وارفعْ عضديك عن جنبيك، وإذا رفعت رأسك فَقُمْ حتى يعودَ كلّ عضو إلى مكانه، وإذا سجدتَ فالزقْ وجهك بالأرض،ولا تنقر نقر الغراب، ولا تبسط ذراعيك بسط الثعلب،وإذا رفعتَ رأسك من السجود، فلا تقع كما يقعى الكلب، وضعْ إليتيك بين قدميك، والزق ظَاهرَ قدميك بالأرض فإنّ الله تعالى لا ينظرُ إلى صلاة لايتمّ ركوعها ولا سجودها، وإَن استطعتَ أن تكونَ على الوضوء فى يومك وليلتك فافعل؛ فإنّه إن يأتك الموتُ وأنت على ذلك، لم تفتك الشهادة.

يا أنس إذا دخلت بيتك فسلّم ـ يعنى على أهل بيتك ـ تكثر بركتك، وبركة بيتك، وإذا خرجتَ لحاجة، فلا يقعن بصرُك على أحد من أهل قِبْلتك إلا سلّمت عليه، تدخل حلاوة الإيمان فى قلبك، وإن أصبت ذنباً فى مخرجك رجعت وقد غفر لك.

يا أنس، لا تبيتنّ ليلة، ولا تصبحن يوماً، وفى قلبك غشٌ لأحد من أهل الإسلام، فإنّ هذا من سُنّتى، ومَن أخذ بسُنّتى فقد أحبنى، فهو معى فى الجنة.

ياأنس، إذا عملت بهذا، وحفظتَ وصيتى، فلا يكون شىءٌ أحبّ إليك من الموت، فإن فيه راحتك»(1).

فقد أخبر النبى ـ ﷺ ـ أنّ إخراج الغش من القلب من سنته، فالواجب على كل مسلم أن يخرج الغش والحسد من قلبه، فإن ذلك من أفضل الأعمال.

٢٢٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعتُ أبى ـ رحمه الله تعالى ـ يحكى بإسناده عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: بينا نحن عند النبى ـ ﷺ ـ إذ قال: « يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة تنطف لحيته من ماء وضوئه معلّق نعليه بشماله»، فطلع رجل بهذه الصفة، فسلّم وجلس مع القوم، فلما كان من الغد

(١) ضعيف* ابن حبان فى« المجروحين » (٢/ ٢٢٣) وابن عدى فى «الكامل»(٦/ ٦٦) وابن الجوزى فى «العلل» (١/ ٣٥١) والعقيلى (٤/ ٨) عن كثير الأيلى عن أنس.قال العقيلى. لا يتابع كثير إلا نحوه فى الضعف وانظر: «تنزيه الشريعة » (٢/ ٣٤٢).

قال رسول الله ـ ﷺ ـ مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل على مثل هيئته، فلما كان اليوم الثالث قال مثل ذلك، فلما قام رسول الله ـ ﷺ ـ سار معه عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله تعالى عنه ـ وقال: قد وقع بينى وبين أبى كلام، وأقسمتُ أن لا أدخل عليه ثلاث ليالٍ، فإذا رأيتَ أن تؤوينى إليك؛ لأجل يمينى فعلت، قال: نعم.

قال أنس: فكان عبد الله بن عمرو بن العاص يحدّث: أنه بات عنده ليلة، فلم يقم منها ساعة، إلا أنه إذا تقلب على فراشه؛ ذكر الله تعالى وكبره، حتى يقوم مع الفجر. فإذا توضأ أسبغ الوضوء، وأتمّ الصلاة، ثم أصبح وهو مفطر. قال: فرمقته ثلاث ليال لا يزيدُ على ذلك، غير أنى لا أسمعه يقول إلا خيراً، فلما مضت الثلاث، وكدت أن أحقر عمله، قلت له: إنى لم يكن بينى وبين أبى غضبٌ ولا هجرة، ولكنى سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول فى ثلاثة مجالس: « **يطلع عليكم رجل من أهل الجنة**» فطلعتَ أنت فأردتُ أن آوى إليك، حتى أنظرَ ماتعمل، فأقتدى بك، فلم أرك تعمل كثيراً، فما الذى بلغ بك ما قال النبى ـ ﷺ ـ ؟

قال: ماهو إلا ما رأيت، فانصرفت عنه، فدعانى حين وليت. فقال: ماهو إلا ما رأيت، غير أنى لا أجد فى نفسى شراً لأحد من المسلمين، ولا أحسده على خير أعطاه الله إياه ، قال: فقلت: هذا الذى بلغ بك ماقال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**وهو الذى لا أطيق عليه**»(١).

قال بعض الحكماء: بارز الحاسدُ ربَّه من خمسة أوجه.

أولها: قد أبغض كل نعمة قد ظهرت على غيره.

والثانى: سخط لقسمته. يعنى يقول لربه: لم قسمت هكذا؟

والثالث: أنه ضنّ بفضله يعنى أن ذلك فضل الله يعطيه من يشاء، وهو يبخل بفضل الله تعالى.

والرابع: خذل ولى الله تعالى؛ لأنه يريد خذلانه، وزوال النعمة عنه.

والخامس: أعان عدوه. يعنى إبليس ـ لعنه الله ـ .

ويقال: الحاسد لا ينال فى المجالس إلا مذمة وذلاً، ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضاً، ولا ينال فى الخلوة إلا جزعاً وغماً، ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولاً، ولا ينال فى الموقف إلا فضيحة ونكالاً، ولا ينال فى النار إلا حراً واحتراقاً والله أعلم.

---

(١) **صحيح*** أحمد (٣/ ١٦٦)والبغوى (٦/ ٣٤٢٩) والأصبهانى (١١٣٥) انظر: «الترغيب» للمنذرى(٤/ ١٣).

باب الكبر

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا الفضل بن دكين، عن مِسْعَر بن كِدام، عن أبى مصعب عن أبيه، عن كعب الأحبار ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: يأتى المتكبرون يوم القيامة ذراً فى صور الرجال، يغشاهم أو يأتيهم الذّلّ من كلّ مكان، يُسلكون فى نار من النيران، يُسقون من طينة الخبال، وهى عصارة أهل النار.

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان، عن مسعر، أنه قال: بلغنى عن الحسين بن على ـ رضى الله عنهما ـ أنه مرّ بمساكين، وهم يأكلون كسراً لهم كساء، فقالوا: ياأبا عبد الله الغداء، قال: فنزل، وقال: ﴿إِنَّهُ لاَ يحبُّ الْمُستكْبِرينَ﴾[النحل: ٢٣] فأكل معهم، ثم قال لهم: قد أجبتكم فأجيبونى، فانطلقوا معه، فلما أتو المنزل، قال لجاريته: أخرجى ماكنت تدخرين. فأخرجت من كلّ شىء، فأكلوا، وأكل معهم، وحملوا بقية ذلك.

٢٢٩ ـ وبهذا الإسناد عن سفيان، عن أبى حازم، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه، عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «**ثلاثة لا يكلّمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر**»[1] يعنى الفقير.

٢٣٠ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا محمد بن موسى الفقيه الرازى أبو عبد الله، حدثنا محمد بن رباح، حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام الدستوائى، عن يحيى بن أبى كثير، عن عامر العقيلى، عن أبيه، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «**عُرض علىّ أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربّه، وفقير ضعيف ذو عيال. وأول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلّط، وذو ثروة من المال لا يؤتى الزكاة، وفقير فخور**»[1].

٢٣١ ـ وقال: « إن الله تعالى يبغض ثلاثة نفر، وبغضه لثلاثة منهم أشد .

أولها : ببغض الفساق، وبغضه للشيخ الفاسق أشد.

---

(١) صحيح* مسلم (١٠٧) وغيره.

والثانى: يبغض البخلاء، ويفضه للغنى البخيل أشد.

والثالث: يبغض المتكبرين، وبغضه للفقير المتكبر أشد.

ويحبّ ثلاثة نفر وحبه لثلاثة منهم أشد:

أولها: يحب المتقين، وحبه للشاب التقى أشد.

والثانى: يحب الأسخياء، وحبه للفقير السخى أشد.

والثالث: يحب المتواضعين، وحبه للمتواضع الغنى أشد».

٢٣٢ ـ وروى عن حبيب بن أبى ثابت، عن يحيى بن جعدة، أن النبى ﷺ قال: « **لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من كبر** » قال رجل: يا رسول الله، إنى ليعجبنى نقاء ثوبى، وشراك نعلى، وعلاقة سوطى، أفهذا من الكبر؟ فقال النبى ﷺ: «**إنه الله تعالى جميل يحب الجمال، ويحب إذا أنعم على عبد نعمة، أن يرى أثرها عليه، ويبغض البؤس والتباؤس. ولكن الكبر: أن يسفه الحق،ويغمط الخلق**»(٢).

٢٣٣ ـ وروى الحسن عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « من خصف نعله، ورقع ثوبه، وعفرّ وجهه لله فى السجود، فقد برئ من الكبر» (٣).

٢٣٤ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من لبس الصوف، وانتعل المخصوف، وركب حماره، وحلب شاته، وأكل مع عياله، وجالس المساكين، فقد محا الله تعالى عنه الكبر** »(٤).

وذكر أن موسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ناجى الله تعالى، فقال: يارب، من أبغض خلقك إليك؟ قال: ياموسى، من تكبر قلبه، وغلظ لسانه، وصفق عينه، وبخلت يده.

وقال عروة بن الزبير: التواضع أحد مصائد الشرف، وكل ذى نعمة محسود عليها إلا التواضع.

---

(١) ضعيف جداً* أحمد (٢/ ٤٢٥، ٤٧٩) والطيالسى(٢٥٦٧) وابن حبان (١٢٠٣، ١٥٦١ ـ موارد) والحاكم (١/ ٣٨٧) والبيهقى(٤/ ٨٢). انظر . صعيف الجامع (٣٧٠٣).

(٢) صحيح لغيره* أحمد (٤/ ١٥١) له شاهد (صحيح) عن ابن مسعود: أخرجه مسلم (٩١) وغيره.

(٣) رجاله ثقات* عبد بن حميد (٦٧٣) والأصبهانى (٦٢٨) عن ابن عباس

(٤) ضعيف جداً * البيهقى فى الشعب » (٥/ ٦١٦٤) عن أبى هريرة. علته (عبد الله بن سعيد المقبرى) متروك .

وقال بعض الحكماء: ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة.

وذكر أن المهلّب بن أبي صُفْرة كان صاحب جيش الحجاج، فمرّ على مُطَرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير، وهو يتبختر فى حلة خز، فقال له مطرف: ياعبد الله، هذه مشية يبغضها الله ورسوله، فقال المهلب: أما تعرفنى؟ قال: بلى، أعرفك، أولك نطفة قذرة، وآخرك جبفة منتنة، وتحمل فيما بين ذلك عذرة. فترك المهلب مشيته تلك.

وأنشد فى المعنى محمد بن الورّاق:

عجبتُ من معجب بصُورته ... وكان بالأمس نُطفةً مذره
وفى غدٍ بعد حُسْنِ هيئتهِ ... يصيرُ فى اللَّحدِ جيفة قذره
وهو على تيهِه ونخوته ... مابين ثوبَيْه يحملُ العذره

وقال بعض الحكماء: افتخارُ العبد المؤمن بربه، وعزّه بدينه، وافتخارُ المنافق بحسبه، وعزّه بماله.

٢٣٥ ـ وروى عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «**إذا رأيتم المتواضعين فتواضعوا لهم، وإذا رأيتم المتكبرين فتكبّروا عليهم، فإن ذلك لهم صغار ومذلّة، ولكم بذلك صدقة**»(١).

٢٣٦ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**ما تواضع رجلٌ لله إلا رفعه الله تعالى**»(٢).

وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أنه قال: رأسُ التواضع أن تبدأ بالسلام على من لقيت من المسلمين، وأن ترضى بالدّون من المجلس، وأن تكرهَ أن تُذْكَر بالبِرّ والتقوى.

قال الفقيه: اعلم أنَّ الكبرَ مِن أخلاق الكفار والفراعنة، والتواضع من أخلاق الأنبياء والصالحين؛ لأن الله تعالى وصف الكفار بالكبر، فقال: ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إلا الله يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ [الصافات: ٣٥] وقال: ﴿**وقَارُون وفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ ولَقَد جَاءَهُم مُوسَى بالبيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فى الأَرْضِ وماكَانُوا سَابِقِينَ**﴾[العنكبوت: ٣٩].

وقال: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠].

---

(١) غريب* قاله الحافظ العراقى فى « تخريج الإحياء»(٣/ ٣٣١).

(٢) صحيح* مسلم (٤/٢٥٨٨) ومالك (٢/ ١٠٠٠) وأحمد (٢/٣٨٦) والترمذى (٢٠٢٩).

وقال: ﴿ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

وقال: ﴿ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[النحل: ٢٣].

وقد مَدَحَ الله عبادَه المؤمنين بالتّواضع، فقال: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِين يَمْشُونَ عَلَى الأَرضْ هَوْناً﴾[الفرقان: ٦٣]يعنى متواضعين، ومدحهم بتواضعهم، وأمر نبيه ﷺ بالتواضع، فقال: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[الحجر: ٨٨]، و﴿اخفضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِين﴾[الشعراء: ٢١٥]، ومَدح النبيﷺ بخلقه، فقال: ﴿ وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤] وكان خلقه التواضع، لأنه روى فى الخبر أنه كان يركب الحمار، ويجيب دعوة المملوك، فثبت أنّ التواضعَ من أحسن الأخلاق، وكان الصالحون من قَبْلُ أخلاقهم التواضع، فوجب علينا أن نقتدىَ بهم - رضى الله تعالى عنهم -.

وذُكِر عن عمر بن عبد العزيز - رحمه الله تعالى - أنه أتاه ذات ليلة ضيف، فلما صلى العشاء، وكان يكتب شيئاً، والضيف عنده، كاد السراج أن ينطفئ، فقال الضيف: يا أمير المؤمنين، أقوم إلى المصباح فأصلحه؟ قال: ليس من مروءة الرجل أن يستعملَ ضيفه. قال: أفأنبّه الغلام؟ قال: لا، هى أول نومة نامها، فقام عمر، وأخذ البطة، فملأ المصباح. فقال الضيف: قمتَ بنفسك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذهبتُ وأنا عمر، ورجعتُ وأنا عمر، وخيرُ الناس عند الله من كان متواضعاً.

ورُوى عن قيس بن أبى حازم أنه قال: لما قدم عمر بن الخطاب إلي الشام تلقاه علماؤها وكبراؤها، فقيل: اركب هذا البرذون يرك الناس، فقال: إنكم ترون الأمر من ههنا، إنما الأمر من ههنا، وأشار بيده إلى السماء، خلّوا سبيلى.

وروى فى رواية أخرى: أن عمر - رضى الله تعالى عنه - جعل بينه وبين غلامه مناوبة، فكان عمر يركب الناقة، ويأخذ الغلام بزمام الناقة، ويسير مقدار فرسخ، ثم ينزل، ويركب الغلام، ويأخذ عمر بزمام الناقة، ويسير مقدار فرسخ فلما قرب من الشام كانت نوبة ركوب الغلام، فركب الغلام، وأخذ عمر بزمام الناقة، فاستقبله الماء فى الطريق، فجعل عمر يخوض فى الماء؛ ونعله تحت إبطه اليسرى، وهو آخذ بزمام الناقة، فخرج أبو عبيدة بن الجراح، وكان أميراً على الشام، وقال: يا أمير المؤمنين، إن عظماء الشام يخرجون إليك، فلا يحسن أن يروك على هذه الحال، فقال عمر - رضى الله تعالى عنه - إنما أعزنا الله بالإسلام، فلا نبالى مقالة الناس.

وذُكر عن سلمان الفارسى - رضى الله تعالى عنه - أنه كان أميراً بالمدائن،

فاشترى رجلٌ من عظمائها شيئاً، فمرّ به سلمان، فحسبه علْجاً، فقال: تعال فاحمل هذا، فحمله سلمان، فجعل يتلقاه الناس، ويقولون: أصلحَ الله الأمير، نحن نحمل عنك، فأبى أن يدفع إليهم، فقال الرجل فى نفسه ويحك، إنى لم أصخر الأمير، فجعل يعتذرُ إليه ويقول: لم أعرفك آصلحك الله، فقال: انطلق، فذهب به إلى منزله، ثم قال: لا أسخّر أحداً أبداً.

وروى عن عمار بن ياسر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه كان أميراً بالكوفة، فخرج إلى حانوت العلاف فاشترى منه القت، واستزاده، وأخذ حزمة من قت، وأخذ البائع جانب الحزمة، فجعل يمدّ كل واحد منهما يده، حتى صار نصف القت فى يد هذا، ونصفه فى يد هذا، ثم جعله على عاتق عمار، فذهب به إلى منزله.

ورُوى عن أبى هريرة رضى اللهعنه أنه بعثه عمر بن الخطاب أميراً على البحرين، فدخل البحرين وهو راكبٌ على حمار، وجعل يقول: طَرِّقُوا للأمير، طرقوا للأمير.

فهؤلاء أصحاب رسول الله ـﷺ ـ كان خُلُقهم التواضع، وكانوا أعزاء عند الخلق، وعند الملائكة، وعند الله سبحانه وتعالى.

٢٣٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **ما نقص مال من صدقة، وماعفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً، وما تواضع أحدٌ إلاّ زاده الله عزّاً**»[1].

٢٣٨ ـ وروى عن رسول الله ﷺأنه كان فى بيت عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ وبين يديه طبق فيه قديد، وهو جاث على ركبتيه يأكل، فأتت امرأة بذيئة فحّاشة، ماتبالى لقيت رجلاً أو امرأة، فنظرت إلى النبى ـ ﷺ ـ فقالت: انظروا إليه يجلس كما يجلس العبد، [ويأكل كما يأكل العبد]، فقال النبى ﷺ «**أنا عبد، أجلس كما يجلس العبد، وآكل كما يأكل العبد**»، وقال لها: «**كلى**»، فقالت: لا، إلا أن تطعمنى بيدك، فأطعمها، فقالت: لا، حتى تطعمنى من فيك. وكان فى فم رسول الله ﷺ قديدة فيها عَصَب، قد مضغها، فأخرجها، فأعطاها إياها، قال: فأخذتها، ومضغتها، فما هى إلا أن وقعت فى بطنها، فغشيها من الحياء حتى ماكانت تستطيعُ النّظر إلى أحد، قال: فما سُمِعَ منها بعد يومها ذلك بباطل حتى لحقت بالله تعالى [2].

---

(١)صحيح* مسلم (٤/ ٢٥٨٨) وانظر. رقم (٢٣٦) السابق.

(٢) صحيح بطرقه وشواهده* أبو الشيخ فى «أخلاق النبى» (١٤١) ومن طريقه البغوى فى «شرح السنة» (٦/ ٢٨٣٣) عن عائشة وانظر . تخريج الإحياء (٢/ ٣٦٧) والصحيحة (٥٤٤) .

٢٣٩ ـ وروى الحسن عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **أُوتيتُ مفاتيح الأرض، فخيّرت بين أن أكون عبداً نبياً، أو نبياً ملكاً، فأومأ إليّ جبريل أن تواضع، وكن عبداً، فاخترتُ أن أكون عبداً نبياً، فأوتيت ذلك، وإنى أوّل من تنشقّ عنه الأرض، وأول شافع** »(١).

قال ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ: من تواضع تخشعاً رفعه الله تعالى يوم القيامة، ومن تطاول تعظماً وضعه الله تعالى يوم القيامة.

٢٤٠ ـ وذكر عن قتادة ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: ذكر لنا أن النبى ـ ﷺ ـ كان يقول: «**من فارقت روحه جسده**»، وفى رواية، «**من فارق الدنيا، وهو برىء من ثلاث، دخل الجنة: من الكبر، والغلول والدين**»(٢).

قال: حدثنى أبى ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن طلحة بن زيد، عن أبى عبدالله بن أبى جعفر قال: دخل على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ السوق، فاشترى قميصين من هذه الكرابيس بستة دراهم، ثم قال لغلامه: يا أسود، اختر أيهما شئت، فاختار الغلامُ خيرَهما، ولبس على ـ كرم الله وجهه ـ الآخر فَفَضُلَ كماه على أطرافه، فدعا بالشّفرة، فقطع كمّيه، وخطب بالناس يوم الجمعة، ونحن ننظر إلى تلك الهدب على ظهر كفيه. ورأى رجلاً قد أسبل ثوبه، فقال: يافلان. ارفع ثوبك، فإنه أنقى لثوبك، وأنقى لقلبك، وأبقى عليك.

٢٤١ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى تعالى عنه النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**قال تعالى: العظمة إزارى، والكبرياء ردائى، فمن نازعنى فى واحد منهما، ألقيته فى النار لاغية**»(٣).

قال الفقيه: « **العظمة إزارى، والكبرياء ردائى** » يعنى أنهما من صفاتى، كما فى القرآن: ﴿**الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ**﴾ [الحشر:٢٣] فهما صفتان من صفات الله تعالى، فلا ينبغى للعبد الضعيف أن يتكبر.

***

---

(١) عزاه الهيثمى فى « المجمع» (٩/ ١٩٢) إلى البرار والطبرانى فى الأوسط وقال: ورجال البزار ثقات.

(٢) **صحيح** * أحمد (٦/ ٢٧٦) والترمذى(١٥٧٢) وابن ماجه(٢٤١٢) وانظر · صحيح الجامع (٦٤١١)

(٣) **صحيح** * مسلم (٤/ ٢٦٢٠) وأبو داود (٩ ٤) واللفظ له

باب الاحتكار

٢٤٢ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي رحمة الله تعالى عليه: حدثنا أبو الحسن الحاكم السردري، حدثنا بكر بن المثنى حدثنا هانئ بن النضر، حدثنا أحمد بن خالد، حدثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن إبراهيم، عن سعيد بن المسيب، عن معمر بن عبد الله العدوي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحتكرُ إلاّ خاطِئ**»(١).

٢٤٣ ـ وعن ابن عمر ـ رضي الله تعالى عنهما ـ عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال: «**مَن احتكر طعاماً أربعين يوماً، فقد برئ من الله تعالى، وبرئ الله منه**»(٢).

٢٤٤ ـ وروى سعيد بن المسيب، عن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن رسول ـ ﷺ ـ أنه قال: « **الجالبُ مرزوق، والمحتكرُ ملعون**»(٣).

وإنما أراد بالجالب الذي يشتري الطعام للبيع، فيجلبه إلى بلده. ، فيبيعه، فهو مرزوق؛ لأن الناس ينتفعون به، فيناله بركة دعاء المسلمين، والمحتكر الذي يشتري الطعام للمنع، ويضر بالناس.

٢٤٥ ـ وروى الشعبي: أن رجلاً أراد أن يسلم ابنه إلى عمل، فاستشار النبي ـ ﷺ ـ في ذلك، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : «**لا تسلمه إلى حناط يبيع الحنطة، ولا إلى جزّار، ولا إلى من يبيع الأكفان أما الحناط، فَلأن يلقى ﷺ تعالى زانياً، أو شارب خمر، خير له من أن يلقى الله تعالى، وهو حبس الطعام أربعين ليلة، وأما الجزّار، فإنه يذبح حتى تذهبَ الرحمة من قلبه، وأما بائع الأكفان، فإنه يتمنّى لأمتي الموت، والمولود من أمتي أحبّ إليّ من الدنيا وما فيها**»(٤).

قال الفقيه: الحكرة: أن يشتري الطعام في مصره، ويحبسه عن البيع، وللناس حاجة إليه، فهذا هو الإحتكار الذي نهى عنه وأما إذا دخل له الطعام من ضيعة أو جلب من مصر آخر، فإنه لا يكون احتكاراً، ولكن لو كان للناس إليه حاجة، فالأفضل أن يبيعه، وفي امتناعه عن ذلك يكون مسيئا لسوء نيته وقلة شفقته للمسلمين فينبغي

---

(١) صحيح* مسلم (٣/ ١٦٠٥ ـ ١٣٠) وغيره والخاطئ. هو العاصي الآثم.

(٢) ضعيف منكر* أحمد (٢/ ٣٣) والحاكم (٢/ ١١) وابن أبي حاتم في « العلل» (١/ ٣٩٢) وانظر . «غاية المرام » (٣٢٤)

(٣) ضعيف * ابن ماجه (٢١٥٣) والحاكم(٢/ ١١) والبيهقي (٦/ ٣٠) وانظر. «غاية المرام» (٣٢٧)

(٤) ضعيف* به انقطاع وانظر· «المطالب العاليه» (١/ ٣٧٩/ ١٢٧٢)

أن يُجْبَرَ المحتكِرُ على بيع الطعام، فإن امتنعَ من ذلك، فإنه يعزّر، ويؤدّب، ولا يسعر عليه، ويقال له: بعه كما يبيع الناس.

٢٤٦ ـ وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **أنا لا أسعِّر، فإنّ الله تعالى هو المسعِّر**»(١).

٢٤٧ ـ وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **الغلاءُ والرُّخصُ جندان من جنود الله تعالى، اسم أحدهما الرغبة، واسم الآخر الرهبة، فإذا أراد الله تعالى أن يرخصه قذفَ الرهبةَ فى قلوب الرجال، فأخرجه من أيديهم فرخص، وإذا أراد الله تعالى أن يغليه قذف الرغبة فى قلوب الرجال، فحبسوه فى أيديهم**»(٢).

وذُكِر فى الخبر: أنّ عابداً من عباد بنى إسرائيل مرّ على كثيب من الرمل، فتمنى فى نفسه لو كان دقيقاً، فأشبع به بنى إسرائيل فى مجاعة أصابتهم، فأوحى الله تعالى إلى نبى فيهم: أن قل لفلان: إنّ الله تعالى قد أوجب لك من الأجر مالو كان دقيقاً، فتصدقت به، يعنى أنه لما نوى نية حسنة، أعطاه الأجر بحسن نيته وشفقته على المسلمين ورحمته لهم فينبغى للمسلم أن يكون مشفقاً رحيماً على المسلمين.

وذُكِر أنّ رجلاً جاء إلى عبد الله بن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ فقال له: أوصنى. فقال له عبد الله بن عباس: أوصيك بستة أشياء.

أولها: يقين القلب بالأشياء التى تكفل الله لك بها، والتفكر فى الآخرة.

والثانى: بأداء الفرائض لوقتها.

والثالث: بلسان رطب فى ذكر الله تعالى.

والرابع: لا توافق الشيطان، فإنه حاسدٌ للخلق.

والخامس: لا تعمر الدنيا فإنها تخربُ آخرتك.

والسادس: أن تكون ناصحاً للمسلمين دائماً.

قال الفقيه: ينبغى للمسلم أن يكون ناصحاً للمسلمين رحيماً بهم فإن ذلك من بعلامات السعادة.

---

(١) **صحيح*** أبو داود(٣٤٥١) والترمذى (١٣١٤) وابن ماجه (٢٢٠٠) عن أنس.

(٢) **باطل*** العقيلى فى « الضعفاء» (١٣٩٩) والخطيب فى «تاريخه» (٨/ ٥٠) ومن طريقهما ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٢/ ٢٤١) وأبطله ووافقه السيوطى فى «اللآلئ» (١/ ٨٠) ثم ابن عراق فى « تنزيه الشريعة» (٢/ ١٨٨) وانظر. الميزان (٢/ ٣٨٢) واللسان (٣/ ٢٧٣)

وقيل : إن علامات السعادة إحدى عشرة خصلة.

أولاها: أن يكون زاهداً فى الدنيا، راغباً فى الآخرة.

والثانية: أن تكون نهمته العبادة وتلاوة القرآن.

والثالثة: قلة القول فيما لا يحتاج إليه .

والرابعة: أن يكون محافظاً على الصلوات الخمس.

والخامسة: أن يكون ورعاً فيما قل أو كثر من الحرام والشبهات.

والسادسة: أن تكون صحبته مع الصالحين.

والسابعة: أن يكونَ متواضعاً غير متكبر.

والثامنة: أن يكون سخيّاً كريماً.

والتاسعة: أن يكون رحيماً بخلق الله تعالى .

والعاشرة: أن يكون نافعاً للخلق .

والحادية عشرة: أن يكون ذاكراً للموت كثيراً.

وعلامة الشقى أيضاً إحدى عشرة خصلة:

أولاها: أن يكونَ حريصاً على جمع المال.

والثانية: أن تكون نهمته فى الشهوات واللذات فى الدنيا.

والثالثة: أن يكون فحّاشاً فى القول مكثاراً.

والرابعة: أن يكون متهاوناً فى الصلوات.

والخامسة: أن يكون أكلُه من الحرام والشبهات، وصحبته مع الفجار.

والسادسة: أن يكون سّيئ الخلق.

والسابعة: أن يكونَ مختالا متكبّراً فخوراً.

والثامنة: أن يمنع منفعته عن الناس.

والتاسعة: أن يكون قليلَ الرحمة للمسلمين.

والعاشرة: أن يكون بخيلاً.

والحادية عشرة: أن يكونَ ناسياً للموت. يعنى أن الرجل إذا كان ذاكراً للموت فإنه لا يمنع طعامه من البيع، ويرحم المسلمين.

وذكر عن بعض الزهاد؛ أنه كان فى بيته وِقْر من الحنطة، فقحط الناس، فباع ماعنده من الحنطة، ثم جعل يشترى لحاجته، فقيل له: لو أمسكتَ ما عندك فقال: أردتُ أشاركَ النّاسَ فى غمهم.

باب الزّجر عن الضّحك

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى :ـ حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان بن عيينة، قال: قال عيسى ابن مريم صلوات الله عليه للحواريين: ياملح الأرض، لاتفسدوا، فإن الأشياء إذا فسدت إنما تداوى بالملح، وإن الملح إذا فسد لم يُداوَ بشيء. يامعشر الحواريين: لا تأخذوا ممن تُعَلِّمُون أجراً إلا كما أعطيتمونى واعلموا أن فيكم خصلتين من الجهل: الضّحك من غير عجب، والتّصبّح من غير سهر.

قال الفقيه: معنى قوله ـ عليه السلام ـ ملح الأرض يعنى به العلماء، فإن العلماء هم الذين يصلحون الخلق، ويدلّونهم على طريق الآخرة، فإذا ترك العلماءُ طريق الآخرة، فمن الذى يدلّهم على الطريق، وبمن يقتدى الجهال.

وقوله: لا تأخذوا ممن تُعلِّمُون أجراً إلا كما أعطيتمونى، يعنى العلماء ورثة الأنبياء، فكما أن الأنبياء يعلّمون الخلق بغيرا أجر، وهو قوله عز وجل: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إلا المَوَدَّة فى القُرْبى**﴾[الشورى: ٢٣] وأيضاً: ﴿**إنْ أَجْرِىَ إلا عَلَى الله**﴾[سبأ: ٤٧] فكذلك العلماء ينبغى لهم أن يقتدوا بالأنبياء، ولايأخذوا على تعليمهم أجرًا،

وأما قوله عليه السلام: الضّحك من غير عجب، يعنى الضّحك بالقهقهة، وهو مكروه، وهو من عمل السفهاء. وأما التّصبّح من غير سهر، يعنى النوم فى أول النهار من غير أن يكون ساهراً بالليل، فإن ذلك من الحمق.

٢٤٨ ـ وقال النبى ـ ﷺ ـ: « **النومُ فى أول النهار حمق، وفى أوسطة خلق، وفى آخره خرق**»[(١)] يعنى الجهل.

٢٤٩ ـ قال: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا ابن منيع، حدثنا ابن زنجويه، حدثنا ابن أبى غالب، حدثنا هشام، حدثنا الكوثر بن حكيم، عن نافع، عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: خرج النبى ﷺ ذات يوم إلى المسجد فإذا قوم يتحدثون ويضحكون، فوقف وسلم عليهم، ثم قال: « **أكثروا ذكْر هاذم اللذات**»، قلنا: وما

(١) لم يصح مرفوعا إلى النبى ﷺ وإنما موقوف على فوات عن جبير وابن عمرو كما فى المستدرك (٤/ ٢٩٣) والبيهقى فى«الشعب»(٤٧٣٧ ـ ٤٧٣٨) والديلمى(٧١٦١)وانظر « تنزيه الشريعة »(٢/ ١٩٨).

هاذم اللذات؟ قال: « **الموت**»(١)

ثم خرج بعد ذلك مرة أخرى، فإذا قوم يضحكون فقال: « **أما والذى نفسى بيده لو تعلمون ما أعلم، لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً**»(٢).

ثم خرج أيضا، فإذا قوم يضحكون ويتحدّثون، فسلّم عليهم، ثم قال: «**إن الإسلامَ بدأ غريباً، وسيعودُ غريباً، فطوبى للغرباء يوم القيامةِ**» فقيل: ومن الغرباء يوم القيامة؟ قال: « **الذين إذا فسد الناس صلحوا** »(٣).

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف حدثنا إسحاق بن منصور، قال: لما فارق الخضرَ موسى ـ عليهما السلام ـ قال [موسى] له: عظنى قال: ياموسى؛ إياك واللجاجة، ولا تكن ماشياً بغير حاجة، ولا تضحك من غير عجب، ولاتعِب على الخاطئ بخطيئته، وفى بعض الروايات: ولا تعيّر الخاطئين بخطاياهم، وابكِ على خطيئتك يابن عمران.

٢٥٠ ـ وروى جعفر بن عون، عن مسعر، عن عون بن عبد الله قال: كان النبى لا يضحك إلا تبسّماً، ولا يلتفت إلا جميعا (٤) يعنى يلتفت بجميع وجهه.

ففى هذا الخبر دليل على أن التبسّم مباح، وإنما النهى عن الضحك بالقهقهة فينبغى للعاقل أن لا يضحك بالقهقهة، فإنّ مَن ضحك قهقهة فى الدنيا قليلاً بكى فى الآخرة كثيراً، فكيف بمن ضحك فى الدنيا كثيراً، كيف يكون حاله يوم القيامة؟ وقد قال الله تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرا**﴾[التوبة: ٨٢].

قال الربيع بن خُثَيمْ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَليلاً**﴾ فى الدنيا ﴿**ولْيَبْكُوا كَثيراً**﴾ فى الآخرة.

وعن الحسن البصرى فى قوله تعالى: ﴿**فَلَيضحكوا قليلاً**﴾: فى الدنيا ﴿**وليبكوا كثيراً**﴾ فى الآخرة فى نار جهنم جزاء بما كانوا يكسبون.

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ ياعجباً مِن ضاحكٍ ومن ورائه النار، ومِن مسرور ومن ورائه الموت!

وقيل: مرّ الحسنُ البصرى بشاب وهو يضحك، فقال: يابنى، هل جزتَ على

(١) **حسن*** الترمذى(٢٣٠٨) والنسائى(٤/ ٤) وابن ماجه (٤٢٥٨) وانظر: الإرواء (٦٨٢) .

(٢)**متفق عليه*** البخارى (١١/ ٦٤٨٦) ومسلم (٤/ ٢٣٥٩) عن أنس

(٣) **صحيح*** مسلم (١٤٥) والترمذى (٢٦٢٩) وابن ماجه(٣٩٨٦) عن أبى هريرة.

(٤) **معضل*** وله شواهده متصلة صحيحة . انظر: صحيح الجامع(١/ ٤٨)

الصراط؟ قال: لا، فقال: هل تبيّن لك إلى الجنة تصير أم النار ؟ قال: لا، قال: ففيم هذا الضّحك؟ قال: فما رُئى هذا الفتى ضاحكاً بعدها قط، يعنى أن قول الحسن وقع فى قلبه؛ فتاب عن الضحك.

وهكذا كان العلماءُ فى ذلك الزمان، إنهم كانوا إذا تكلّموا بالموعظة وقع كلامُهم موقعاً؛ لأنهم كانوا يعملون بالعلم، فينفع علمُهم غيرَهم، فأما علماءُ زماننا فإنهم لا يعلمون بعلمهم، فلا ينفعُ علمُهم غيرَهم.

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: مَن أذنب ذنباً وهو يضحك، دَخَلَ النَّارَ وهو يبكى.

ويقال: أكثرُ الناس ضحكاِ فى الدنيا، أكثرهم بكاءً فى الآخرة، وأكثرهم بكاءً فى الدنيا أكثرهم ضحكاً فى الجنة.

قال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى: أربعُ خصال لم يبقين للمؤمن ضحكاً ولا فرحاً: هَمّ المعاد ـ يعنى هَمّ الآخرة ـ وشغل المعاش، وغمّ الذنوب، وإلمام المصائب.

يعنى ينبغى للمؤمن أن يكونَ مشغولاً بهذه الأشياء الأربعة؛ لتمنعه عن الضحك، فإنّ الضحكَ ليس مِن خصال المؤمن .

وقد عيّر الله تعالى أقواماً بالضحك فقال: ﴿**أَفَمِنْ هَٰذَا الحَدِيث تَعْجَبُونَ. وَتَضْحَكُونَ وَلاَ تَبْكُونَ وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**﴾[النجم: ٥٩ ـ ٦١][1]ومدح أقواماً بالبكاء، فقال تعالى: ﴿ **وَيَخِرُّونَ للأَذْقَان يَبْكُونَ**﴾ [الإسراء: ١٠٩].

ويقال: غَمُّ الأحياء خمسةُ أشياء، فينبغى للإنسان أن يكون غمّه فى هذه الخمسة.

أولها: غمّ الذنوب الماضية؛ لأنه قد أذنب ذنوباً، ولم يتبيّن له العفو، فينبغى أن يكون مغموماً بها مشغولاً بها.

والثانى: أنه قد عمل الحسنات، ولم يتبيّن له القبول.

والثالث: أنه قد علم بحياته فيما مضى كيف مضى؟ ولا يدرى كيف يكون فى الباقى.

والرابع: قد علم أن لله تعالى دارين فى الآخرة، ولا يدرى إلى أية داريْه يصير هو.

---

(١) « سامدون » لاهون غافلون.

والخامس: لا يدرى أن الله تعالى راض عنه، أم ساخط عليه. فمن كان غمه فى هذه الأشياء الخمسة فى حياته، فإنها تمنعه عن الضحك.

ومن لم يكن غمّه فى هذه الأشياء الخمسة فى حياته، فإنه يستقبله بعد الموت خمسة من الغموم.

أولها: حسرة ما خلّف من التركة التى جمعها من الحلال والحرام، وتركها لورثته الأعداء.

والثانى: ندامة تسويف الأعمال الصالحة، فيرى فى كتابه عملاً قليلاً، فيستأذن فى الرجوع ليعمل صالحاً، فلا يؤذن له.

والثالث: ندامة الذنوب، فيرى فى كتابه ذنوباً كثيرة، فيستأذن فى الرجوع ليتوبَ، فلا يؤذن له.

والرابع: يرى لنفسه خصوماً كثيرة، ولا يتهيأ له أن يرضيهم إلا بأعماله.

والخامس: وجد الله تعالى عليه غضبان، ولا يمكنه أن يرضيه.

٢٥١ ـ وروى أبو ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولو تعلمون ماأعلم لخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى ربكم وتبكون، ولو تعلمون ماأعلم ما انبسطتم إلى نسائكم، ولا تقاررتم على فُرُشِكم**»[(١)] ولوددتُ أنّ الله خلقنى يوم خلقنى شجرة تُعضد[(٢)].

وروى يونس عن الحسن البصرى أنه قال: المؤمن ـ والله ـ يمسى حزيناً، ويصبح حزيناً، وكان الحسن البصرى قلّما رأيته إلا كرجل أصيب بمصيبة محدثة. وروى فى رواية أخرى: آنه مارُئى الحسن إلا كأنّه رَجَعَ من دَفْن أمه.

وروى عن الأوزاعى فى قول الله عز وجل: ﴿ **مالهذا الكتَاب لا يُغادرُ صَغيرَةً وَلا كَبيرَةً إلا أحْصَاهَا**﴾[الكهف: ٤٩] قال: الصغيرةَ: التبسّم والكبيرةَ: القهقهة يعنى أَن القهقهة من الكبائر.

وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولو تعلمون ما أعلم لسجد أحدُكم حتى ينقطعَ صُلْبه، ولصرخ

---

(١) **حسن**: أحمد (٥/١٧٣) والترمذى (٢٣١٢) وابن ماحه (٤١٩٠)

(٢) أحرحه أحمد فى « الزهد» (ص ١٨٢) من قول أبى ذر قال الحافظ وهذا مدرج

حتى ينقطعَ صوته، ابكوا إلى الله تعالى، فإن لم تستطيعوا أن تبكوا فتباكوا يعنى تشبّهوا بالباكين.

٢٥٢ - وروى سفيان عن محمد بن عجلان، عن حبيب، فى حديث يذكره قال: « **كلّ عين باكيةٌ يوم القيامة إلا ثلاثة أعين: عين بكت من خشية الله تعالى، وعين غضّت عن محارم الله تعالى، وعين سهرت فى سبيل الله تعالى**»[(١)]وقد روى هذا الخبر مرفوعاً عن رسول الله ﷺ.

وروى عن أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه أنه قال: ضحكتُ مرة وأنا من النادمين على ذلك، وذلك أنى ناظرتُ عمرو بن عبيد القدرى إمام المعتزلة، فلما أحسست بالظفر ضحكت، فقال لى: تتكلّم فى العلم وتضحك، فلا أكلّمك أبداً، وأنا من النادمين على ذلك، إذ لو لم يكنْ ضحكى لرددته إلى قولى، فكان فى ذلك صلاح العالم.

وروى عن عبد الله بن محمد العابد أنه قال: من ترك فضول النظر وُفّق للخشوع، ومن ترك الكبر وفّق للتواضع، ومن ترك فضول الكلام وفّق للحكمة، ومن ترك فضول الطعام وفّق لحلاوة العبادة، ومن ترك المزاح وفّق للبهاء، ومن ترك الضحك وفّق للهيبة، ومن ترك الرغبة وفق للمحبّة - يعنى إذا لم يرغب فى أموال الناس أحبوه - ومن ترك التجسس وفّق لإصلاح عيوبه، ومن ترك التوهم فى صفات الله تعالى وفّق للنجاة من الشك والنفاق.

٢٥٣ - وروى عن رسول الله - ﷺ - أنه قال، فى قوله الله تعالى: ﴿**وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا**﴾[الكهف: ٨٢] قال: « **كان تحته لوحٌ من ذهب مكتوب فيه خمسة أسطر: أولها: عجبت لمن أيقنَ بالموت كيف يفرح؟ وعجبتُ لمن أيقن بالنار كيف يضحك، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن، وعجبتُ لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلّبها بأهلها كيف يطمئن إليها، وفى الخامس: لا إله إلا الله، محمد رسول الله** » [(٢)].

وقال ثابت البنانى - رحمه الله تعالى -: كان يقال: ضحكُ المؤمن من غفلته - يعنى غفلته عن أمر الآخرة - ولولا غفلته لما ضحك.

وقال يحيى بن معاذ الرازى - رحمه الله تعالى -: اطلبْ فرحاً لاحزنَ فيه بحزن

(١) **ضعيف جداً*** أبو نعيم فى «الحلية»(٣/ ١٦٣) وابن الجوزى فى «دم الهوى»(١٤١) انظر. الصعيفة (١٥٦٢)

(٢) **ضعيف*** ابن جرير فى « تفسيره» (١٦/ ٥، ٦) عن الحسن وعيره. وابن عدى (٦/ ٦٩) والبيهقى فى «الزهد»(٥٤٠) عن ابن عباس و(٥٤١) والشعب(٢١٣) عن على ولاتخلو من علة

لا فرحَ فيه. يعني إذا أردت أن تنال فرح الجنة، فكن فى الدنيا حزيناً، ولا تكن ضاحكاً مسروراً؛ لكى تنال فرح الجنة، وهو فرح لا حزن فيه.

ويقال: ثلاثةُ أشياء تقسى القلب: الضحك من غير عجب، والأكل بغير جوع، والكلام من غير حاجة.

٢٥٤ ـ وروى بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: « **ويلٌ لمن يكذب ليضحكَ به الناس، ويلٌ له** » ثلاث مرات[١].

وقال إبراهيم النَّخَعى: إنَّ الرجلَ ليتكلّم بكلمة ليضحك بها من حوله، فيسخط الله بها، فيصيبه السخط، فيعمّ مَن حوله، وإن الرجلَ ليتكلّم بكلمة، يرضى الله بها فتصيبه الرحمة، فتعمّ مَن حوله .

٢٥٥ ـ وروى واثلة بن الأسقع، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: « **يا أبا هريرة، كنْ ورعاً تكنْ أعبدَ الناس، وكنْ قنعاً تكنْ أشكرَ الناس، وأحبَّ للناس ماتحب لنفسك تكن مؤمناً، وأحسنْ مجاورةَ مَن جاورك تكنْ مسلماً، وأقلّ الضحك، فإنَّ كثرةَ الضحك تميتُ القلب** »[٢].

وروى مالك بن دينار، عن الأحنف بن قيس أنه قال: قال لى عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ: ياأحنف؛ مَن كثر ضحكه قلّت هيبته، ومَن مزح استخفّ به، ومن أكثر من شىء عزف به، ومَن كثر كلامه كثر سقطه، ومَن كثر سقطُه قلَ حياؤه، ومَن قل حياؤه قلّ ورعه، ومَن قلّ ورعه، مات قلبه، ومَن مات قلبه كانت النار أولى به.

قال الفقيه: إياك وضحك القهقهة، فإنّ فيه ثمانياً من الآفات:

أولاها: أن يذمَّك العلماء والعقلاء.

والثانية: أن يجترئَ عليك السُّفهاءُ والجهّال.

والثالثة: أنك لو كنت جاهلاً ازدادَ جهلُك، وإن كنت عالماً نقصَ علمك؛ لأنه روى فى الخبر: « إنَّ العالمَ إذا ضحك ضحكةً مجّ من العلم مجّة» يعنى رمى من العلم بعضه.

والرابعة: أن فيه نسيان الذنوب الماضية.

---

(١) **حسن*** أحمد (٥/ ٥٢٣) وأبو داود (٤٩٩٠) والترمذى (٢٣١٥) والدارمى (٢٧٠٢)

(٢) **حسن*** سبق تخريجه برقم (١٧٦).

والخامسة: فيه جراءة على الذنوب فى المستقبل؛ لأنك إذا ضحكت يقسو قلبُك.

والسادسة: أن فيه نسيان الموت وما بعده من أمر الآخرة.

والسابعة: أنّ عليك وزر من ضحك بضحكك.

والثامنة: أنه يُجْزَى بالضحك القليل بكاء كثيراً فى الآخرة.

قال تعالى: ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾[التوبة: ٨٢].

وروى عن أبى ذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال ـ فى قول الله عز وجل: ـ ﴿**فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً**﴾ معناه أن الدنيا قليل، فليضحكوا فيها ماشاؤوا، وإذا صاروا إلى الله بكوا بكاءً لَا ينقطع؛ فذلك الكثير، وهو قوله تعالى: ﴿**وَلْيَبْكُوا كَثِيراً جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**﴾.

***

باب كظم الغيظ

٢٥٦ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا أبو جعفر الدبيلى، حدثنا أبو عبد الله بن عمر، حدثنا سفيان، عن على بن زيد، عن أبى نضرة، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**إنَّ الغضبَ جمرةٌ من النار، فمن وَجَدَ ذلك منكم فإن كان قائماً فليجلس، وإنْ كان جالساً فليضطجع، وإن كان مضطجعاً فليتمرّغ فى التراب**»[١].

٢٥٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا المسيب، عن محمد بن مسلم، عمن أخبره عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**إيّاكم والغضبَ، فإنه يوقد فى فؤاد ابن آدم النار، ألم تر إلى أحدكم إذا غضب كيف تحمر عيناه، وتنتفخ أوداجه، فإذا أحسّ أحدكم بشىء من ذلك فليضطجع وليلصق بالأرض**». وقال: «**إن منكم من يكون سريعَ الغضب سريعَ الفىء فأحدهما بالآخر**» **يعنى يكون أحدهما بالآخر قصاصا** «**ومنكم من يكون بطئ الغضب بطئ الفئ ويكون أحدهما بالآخر، وخيركم من كان بطئ الغضب سريع الفئ، وشرّكم من كان سريع الغضب بطىء الفىء**»[٢].

---

(١) ضعيف* عبد الرزاق (٢٠٧٢٠) وأحمد (٣/ ١٩، ٦١)وانظر. الداء والدواء ـ (ص١٣٣ بتحقيقى).

(٢) ضعيف* فيه جهالة. وانظر ماقبله

٢٥٨ ـ وروى أبو أمامة الباهلى رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كظم غيظاً وهو يقدر على أنه يمضيه فلم يمضه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً**»[١].

ويقال: مكتوب فى الإنجيل: يابن آدم، اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب، وارضَ بنصرتى لك، فإنّ نصرتى لك خيرٌ مِن نصرتك لنفسك.

وروى عن عمر بن العزيز أنه قال لرجل أغضبه: لولا أنك أغضبتنى لعاقبتك؛أراد بذلك قول الله تعالى: ﴿ **والكَاظمينَ الغَيْظ** ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وذكر أنه رأى سكران، فأراد أن يأخذه فيعزره، فشتمه السّكران، فلما شتمه رجع عمر، فقيل له: يا أمير المؤمنين لما شتمك تركته، قال: لأنّه أغضبنى، فلو عزرته لكان ذلك لغضب نفسى، ولا أحبّ أن أضربَ مسلماً لحمية نفسى.

وروى عن ميمون بن مهران: أن جارية له جاءت بمرقة، فعثرت فصبّت المرقة عليه،فأراد ميمون أن يضربها، فقالت الجارية: يامولاى استعمل قول الله تعالى: ﴿**وَالكَاظمينَ الغَيْظَ**﴾ فقال: قد فعلت، فقالت: اعمل بما بعده: ﴿**وَالعَافينَ عَنِ النَّاسِ**﴾ قَالَ: قد عفَوْت، فقالت: اعمل بما بعده ﴿**والله يُحبُّ المُحْسنينَ**﴾ فقال ميمون: أحسنت إليك فأنتِ حرة لوجه الله تعالى.

٢٥٩ ـ وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «**مَن لم يكنْ فيه ثلاث خصال، لم يجدْ طَعْمَ الإيمان: حلم يردّ به جهل الجاهل، وورع يحرزه عن المحارم، وخلق يدارى به الناس**»[٢].

وذكر عن بعض المتقدمين أنه كان له فرس،وكان معجباً به،فجاء ذات يوم فوجده على ثلاث قوائم لغلامه: من صنع به هذا؟فقال: أنا، قال: لم؟قال: أردتُ أن أغمّك، قال: لا جرم، لأغمنّ مَن أَمَرَك به، يعنى الشيطان، اذهب فأنت حرّ والفرسُ لك.

قال الفقيه: ينبغى للمسلم أن يكونَ حليماً صبوراً، فإن ذلك من خصال المتقين، وقد مدح الله تعالى الحليم فى كتابه فقال تعالى: ﴿ **وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ** ﴾ يعنى من صبر على الظلم، وتجاوز عن ظالمه وعفا عنه ﴿**إنَّ ذَلكَ لَمنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ [الشورى: ٤٣] يعنى من حقائق الأمور التى يثاب فاعلها على ذلك وينال أجراً عظيماً.

---

(١) **حسن*** أبو داود (٤٧٧٧) وابن ماجه (٤٨١٦) بنحوه عن معاذ بن أنس.

(٢) **ضعيف مرفوع*** ابن أبى الدنيا فى «الحلم» (٥٣) مرسلاً والبيهقى فى «الشعب» (٨٤٢٣) عن الحسن مرسلاً (٨٤٢٤) عن أم سلمة مرفوعاً (٨٤٢٥) عن وهيب المكى مقطوعاً.

وقال فى آية أخرى: ﴿وَلاَ تَسْتَوِى الحَسَنَةُ ولاَ السَّيِّئَة﴾ يعنى لا تستوى الكلمة الحسنة والكلمة السيئة، يعنى لا ينبغى للمسلم أن يكافئَ كلمةَ حسنةً بكلمة قبيحة، ثم قال: ﴿ ادْفَعْ بالَّتِى هى أَحْسَنُ﴾ يعنى ادفع الكلمة القبيحة بالكلمة التى هى أحسن ﴿ فإذا الَّذى بَيْنَكَ وبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤] يعنى أنك إذا فعلت ذلك صار عدوك صديقاً لك مثل القرابة القريب.

وقد مَدَحَ الله تعالى خليلَه إبراهيم ـ عليه السلام ـ بالحلم، فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾[هود: ٧٥] فالحليم: المتجاوز، والأوّاه: الذى يذكر ذنوبه ويتأوه، والمنيب: الذى أقبل على طاعة الله تعالى.

وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بالصبر والحلم، وأخبره أن الأنبياء الذين كانوا قبله كانوا على ذلك. فقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] يعنى اصبر على تكذيب الكفار وأذاهم، كما صبر الأنبياء الذين أمروا بالقتال مع الكفار. وأولو العزم هم ذوو الحزم، وهم الذين يثبتون على الأمر ويصبرون عليه.

وقال الحسن فى قوله الله تعالى: ﴿وإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاَماً﴾ [الفرقان: ٦٣] يعنى قالوا حلماً، وإنْ جُهِل عليهم حلموا.

ورُوى عن وهب بن منبه رضى الله تعالى عنه قال: كان عابد من بنى إسرائيل أراد الشيطانُ أن يضلّه فلم يستطع، فخرج العابدُ ذات يوم لحاجة، وخرج الشيطان معه لكى يجد منه فرصة، فأراده من قبل الشهوة والغضب فلم يستطع منه على شىء، فأراده من قبل الخوف وجعل يدلى عليه صخرة من الجبل، فإذا بلغته ذكر الله تعالى فنأتْ عنه، ثم جعل يتمثّل بالأسد والسباع فذكر الله تعالى فلم يُبال به، ثم جعل يتمثل له بالحية وهو يصلى، فجعل يتلوّى على قدميه وجسده حتى بلغ رأسه

وكان إذا أراد السجودَ التوى فى موضع رأسه من السجود، يعنى وجهه، فلما وضع رأسه ليسجد فتح فاه ليلتقم رأسه، فجعل ينحّيه بيده حتى استمكن من الأرض ليسجد.

فلما فرغ من صلاته وذهب جاء إليه الشيطان، فقال: أنا فعلت بك كذا وكذا فلم أستطع منك على شىء، وقد بدا لى أن أصادقك، ولا أريدُ ضلالتك بعد اليوم، فقال العابد: لا، اليوم الذى خوفتنى بحمد الله ما خفتُ منك، ولا لى حاجة اليوم فى مصادقتك. فقال له: ألاتسألنى عن أهلك ماأصابهم بعدك؟ فقال له العابد: أنا متّ مثلهم، فقال له: ألا تسألنى عما أضل به بنى آدم؟ قال: بلى، فأخبرنى بالذى تصلُ به إلى ضلال بنى آدم، قال: بثلاثة أشياء: الشح، والحدّة، والسكر.

فإن الإنسان إذا كان شحيحاً قلّلنا ماله فى عينه، فيمنعه من حقوقه، ويرغب فى أموال الناس.

وإذا كان الرجل غضوباً، أدرناه بيننا كما يدير الّصبيانُ الكرةَ بينهم، ولو كان يحيى الموتى بدعوته لم نيأس منه، فإنما يبنى ويهدم فى كلمة واحدة.

وإذا سكر قُدناه إلى كل سوء كما تُقاد الغنمُ بآذانها حيث نشاء.

فقد أخبره الشيطان أن الذى يغضبُ يكون فى يد الشيطان كالكرة فى أيدى الصبيان. فينبغى للذى يغضبُ أن يصبرُ لكيلا يصير أسيرَ الشيطان ولا يحبط عمله .

وذُكِر أن إبليس جاء إلى موسى صلوات الله تعالى وسلامه عليه فقال له: أنت الذى اصفاك الله تعالى برسالته، وكلمك تكليماً، وإنما أنا خَلْقٌ مِن خَلْق الله تعالى أردت أن أتوب إلى ربك، فاسأله أن يتوب علىّ، ففرح موسى ـ عليه السلام ـ فدعا بماء فتوضأ وصلّى ماشاء الله تعالى، ثم قال: يارب، إن إبليسَ خَلْقٌ من خلقك يسألك التوبة فتب عليه، فقيل له: ياموسى إنه لا يتوب، فقال: يارب إنه يسألك التوبة، فأوحى الله تعالى إنى أستجيب لك ياموسى، فمره أن يسجدَ لقبر آدم؛ فأتوب عليه.

فرجع موسى مسروراً فأخبره بذلك، فغضب مِن ذلك واستكبر، ثم قال: أنا لم أسجدْ له حياً أأسجد له ميتاً؟ ثم قال له: ياموسى إن لك حقّاً علىّ بما تشفعتَ لى إلى ربك، فأوصيك بثلاثة أشياء: اذكرنى عند ثلاث خصال: اذكرنى حين تغضب، فإنى من قلبك وجسدك أَجْرِى منك مجرى الدم، واذكرنى حين تلقى العدو فى الزحف، فإنى آتى ابنَ آدم حين يلقى العدو، فأذكّره زوجه وأهله وماله وولده حتى يولّى دبره، وإياك أن تجالسَ امرأةَ ليست بذات محرم منك، فإنى رسولُها إليك ورسولُك إليها .

وذُكر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يابنىّ ثلاث لا تعرف إلا من ثلاث؛ لا يُعرف الحَليمُ إلا عند الغضب، ولا يُعرف الشّجاعُ إلا عند الحرب، ولايُعرف الأخ إلا عند الحاجة.

وذُكِر أنَّ رجلاً من التابعينَ مَدحهُ رجلُ فى وجهه، فقال له: ياعبد الله لِمَ تمدحنى؟ أجربّتنى عند الغضب فوجدتنى حليماً؟ قال: لا، قال: أجربّتنى فى السفَر فوجدتنى حَسَنَ الخلق؟ قال: لا، قال: أجرّبتنى عند الأمانة فوجدتنى آميناً؟ قال: لا، فقال: ويحك ما لأحد أن يمدحَ أحداً مالم يجرّبه فى هذه الأشياء الثلاثة.

وقال: ثلاثةٌ من أخلاق أهل الجنة ولا توجد إلا فى الكريم: العفو عمن ظلمك، والبذل لمن حرمك، والإحسان إلى مَن أساء إليك، قال الله تعالى: ﴿خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

٢٦٠ ـ ورُوى فى الخبر أنه لما نزلتْ هذه الآيةُ قال النبى ـ ﷺ ـ لجبريل :« ما تفسير هذه الآية؟» فقال له جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ: حتى أسأل العالم العلاّم، فذهب جبريلُ ثم أتاه، فقال: يامحمد إنّ الله تعالى يأمرك أن تصلَ من قطعك، وتعطى من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك(١).

٢٦١ ـ وروى عن عبد الله بن عجلان، عن سعيد المقبرى، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: سبّ رجلٌ أبا بكر الصديق ـ رضى الله تعالى عنه ـ ورسول الله ـ ﷺ ـ جالس، فسكتَ النبى ـ ﷺ ـ وسكت أبو بكر، فلما سكتَ الرجلُ تكلّم أبو بكر، فقام النبى ـ ﷺ ـ وأدركه أبو بكر، فقال: يارسول الله سبنى وسكت، فلما تكلمتُ قمتَ، فقال النبى ـ ﷺ ـ:

« إنَّ الملك كان يردّ عليه عنك حين سكتّ، فلما تكلمتَ ذهب الملكُ وقعد الشيطانُ، فكرهتُ أن أقعدَ فى مقعد يحضره الشيطان»، ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « ثلاث كلّهن حق على الله: ما من عبد يُظلم بمظلمة فيعفو عنها ابتغاء مرضات الله تعالى إلا زاده الله بها عزاً، وما من عبد فتحَ على نفسه باب مسألة يريد بها كثرة إلا زاده الله بها قلّة، وما من عبد أعطى عطية يبتغى بها وجهَ الله تعالى إلا زاده الله تعالى بها كثرةً»(٢).

٢٦٢ ـ قال: حدثنى أبى بإسناده عن محمد بن كعب القرظى، عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: **« لكلّ شىء شرفٌ، وإنّ أشرفُ المجالس ما استُقبل به القبلة، وإنما تجالسون بالأمانة، ولا تصلّوا خلف النائم والمحدث، واقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم فى صلاتكم، ولا تستروا الجدران بالثياب، ومَن نَظَر فى كتاب أخيه بغير إذن فكأنما ينظر فى النار، ومن أحبّ أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله تعالى، ومَن أحبّ أن يكون أكرم الناس فليتّق الله تعالى، ومَن أحبّ أن يكونَ أغنى الناس فليكنْ بما فى يد الله تعالى أوثق منه بما فى يده»**.

---

(١) مرسل(من أقسام الضعيف)*ابن حرير(٩/ ١٠٥)وابن أبى حاتم عن عيينة. انظر. تفسير ابن كثير(٢/ ٢٦٦).
(٢) حسن* أحمد (٢/ ٤٣٦) وأبو داود (٤٨٩٧) انظر: الصحيحة (٢٢٣١، ٢٣٧٦)

ثم قال: «**ألا أنبئكم بشراركم**» قالوا: بلى يارسول الله، قال: «**من أكل وحده، ومنع رفده، وجلد عبده**».

ثم قال: «**ألا أنبئكم بشر من هذا؟**» قالوا: بلى يارسول الله، قال: «**من يبغض الناس ويبغضونه**».

ثم قال: «**ألا أنبئكم بشر من هذا؟**» قالوا: بلى يارسول الله، قال: «**من لا يقبل عثرة، ولا يقبل معذرة، ولا يغفر ذنباً**».

ثم قال: «**ألا أنبئكم بشر من هذا؟**» قالوا: بلى يارسول الله، قال: «**من لايرجى خيره، ولا يؤمن شره**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**إن عيسى ـ عليه السلام ـ قام فى بني إسرائيل، فقال: يابنى إسرائيل لا تتكلّموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم ـ وقد قال مرة ـ: فتظلموها، ولا تكافؤوا ظالماً بظلم فيبطل فضلكم عند ربكم يابنى إسرائيل الأمور ثلاثة: أمرٌ تبيّن رشده فاتبعوه، وأَمْر ظهر غيّه فاجتنبوه، وأَمْر اختُلِف فيه فردّوه إلى الله ورسوله**»[1].

وقال بعض الحكماء: الزهد فى الدنيا أربعة:

أولها: الثقة بالله تعالى فيما وعد من أمر الدنيا وأمر الآخرة.

والثانى: أن يكون مَدْح الخلق وذمّهم عنده واحداً.

والثالث: الإخلاص فى عمله.

والرابع: أن يتجاوزَ عمّن ظلمة، ولا يغضب على ما ملكتْ يمينه، ويكون حليماً صبوراً.

وروى عن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رجلاً قال له: علّمنى كلمات ينفعنى الله تعالى بهن، قال أبو الدرداء: أوصيك بكلمات مَن عمل بهن كان ثوابه على الله عز وجل الدرجات العلى؛ لا تأكل إلا طيباً، واسأل الله تعالى رزْقَ يوم بيوم، وعدّ نفسك من الموتى، وهبْ عرضك لله تعالى، فمن شتمك أو آذاك فقل: وهبتُ عرضى لله تعالى، وإذا أسأتَ فاستغفر الله تعالى.

---

(١) موضوع* الحاكم (٤/ ٢٦٩، ٢٧) بإسنادين تعقبه الذهبى بقوله: هشام ـ أى أبو المقدام ـ متروك، ومحمد ابن معاوية كذبه الدارقطنى فبطل الحديث.

٢٦٣ ـ وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال لما كسرت رباعيته في يوم أُحد، فشقّ ذلك أصحابه مشقة شديدة فقالوا: يارسول الله لو دعوتَ الله تعالى على هؤلاء الذين صنعوا بك مانرى، فقال النبى ـ ﷺ ـ: « **إنى لم أُبعثْ لعاناً، ولكنى بُعثتُ داعياً ورحمة، اللّهم اهدِ قومى فإنهم لا يعلمون**»[1].

٢٦٤ ـ وقال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **من كفّ لسانه عن أعراض المسلمين أقال الله تعالى عثرته يوم القيامة، ومن كفّ أقال الله تعالى غضبه عنه يوم القيامة**»[2].

٢٦٥ ـ وروى عن مجاهد ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ مرّ بقوم يرفعون حجراً ـ يعنى يرفعون حجراً وينظرون أيهم أقوى ـ فقال رسول الله ـ ﷺ: «**ما هذا؟**» قالوا: حجر الأشداء، فقال: «**ألا أخبركم بماهو أشدّ منه؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: « **الذى يكون بينه وبين أخيه شحناء فيغلب شيطانه وشيطان صاحبه فيأتيه حتى يكلّمه**».

وفى رواية أخرى أنه مرَّ بقوم يرفعون الحجر، فقال: « **أتعرفون الشدة برفع الحجارة؟ ألا أنبئكم بأشدّ منكم؟**»، قالوا: بلى يارسول الله، قال: « **الذى يمتلئ غضباً ثم يصبر**»[3].

وذُكر عن يحيى بن معاذ أنه قال: مَن دعا على ظالمه فقد أحزنَ محمّدًا ـ ﷺ ـ فى الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وسَرَّ اللعين إبليس فى الكفرة والشياطين، ومَن عفا عن ظالم فقد أحزنَ اللعينَ فى الكفرة والشياطين، وسَرَّ محمّدًا ـ ﷺ ـ فى الأنبياء والصالحين ـ صلوات الله عليهم أجمعين ـ .

٢٦٦ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ينادى مناد يوم القيامة: أين الذين كانت أجورُهم على الله عز وجل، فيقوم العافون عن الناس فيدّخلون الجنّة**»[4].

وسُئِل الأحنف بن قيس ـ رحمه الله تعالى ـ ما الإنسانية؟ قال: التواضع فى الدولة، والعفو عند القدرة، والعطاء بغير منة.

---

(١) **صحيح** * مسلم (٤/ ٢٥٩٩) وقصة كسر رباعيته (٣/ ١٧٩١، ١٧٩٢).

(٢) **ضعيف** * ابن أبى الدنيا (٢١) عن هشام بن أبى إبراهيم ـ مجهول ـ عن ابن عمر

(٣) **معضل لكن له بديل (متفق عليه)** * البخارى(١٠/ ٦١١٤) ومسلم (٤/ ٩ ٢٦) عن أبى هريرة مرفوعا «**ليسَ الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب**»

(٤) **ضعيف** * العقيلى فى «الضعفاء» (١٤٩٨) والطبرانى فى « الأوسط»(٢١٩٢) وأبو نعيم فى « الحلية» (٦/ ١٨٧) وابن أبى الدنيا فى « الأهوال» (١٧٦) انظر. الصعيفة (١٢٧٧)

٢٦٧ ـ وروى عطية عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «**المؤمنون هيّنون ليّنون كالجمل الأنف، إن قِيد انقاد، وإن أُنيخ على صخرة استناخ**»(١).

قال الفقيه: عليكم بالصبر عند الغضب، وإياكم والعجلة عند الغضب، فإنّ فى العجلة ثلاثة أشياء، وفى الصبر ثلاثة أشياء، فأما الثلاثة التى فى العجلة:

فأحدُها: الندامة فى نفسه.

والثانى: الملامة عند الناس.

والثالث: العقوبة عند الله تعالى.

وفى الحلم ثلاثة أشياء: السرور فى نفسه، والمحمدة عند الناس، والثواب من الله تعالى، فإن الحلم يكون مراً فى أوله، وحلواً فى آخره، كما قال القائل:

الحلمُ أوّله مرّ مذاقته ... لكن آخره أحلى مِنَ العسل

***

باب حفظ اللّسان

٢٦٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى رضى الله تعالى عنه: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا أبو القاسم أحمد بن محمد، حدثنا محمد بن سلمة، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا يعقوب بن عبد الله القمى، عن عمر، عن ليث، عن مجاهد، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه، قال: جاء إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أوصنى، قال: «**عليك بتقوى الله فإنها جماعُ كلّ خير، وعليك بالجهاد فإنّه رهبانية المسلمين** ـ أو قال المسلم ـ **وعليك بذكر الله تعالى وتلاوة القرآن فإنه نورٌ لك فى الأرض، وذكْر لك فى السماء، واخزن لسانك إلا من خير فإنك بذلك تغلب الشيطان**»(١).

قال الفقيه: معنى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**عليك بتقوى الله تعالى**» فتقوى الله أن يجتنب عما نهاه الله عنه، ويعمل بما أمره الله تعالى به، فإذا فعل ذلك فقد جمع جميع الخير. وقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ و«**اخزن لسانك**»: يعنى احفظ

---

(١) **صحيح مرسل*** أحمد فى «الزهد» (ص ٤٦٣) وأبو نعيم فى «الحلية» (٥/ ١٨٠) وابن المبارك فى «الزهد» (٣٨٧) والبيهقى فى «الشعب» (٨١٢٨) عن مكحول مرسلا، والبيهقى (٨٢٢٩) عن ابن عمر وقال. الأول مع إرساله أصح

(٢) **ضعيف** * الطرانى فى «الصعير» (٩٤٩ ـ الروص) والأصبهانى فى «النرغيب»(١٣٦٣).
علته (ليث بن أبى سليم) اختلط ولم يميّز فطرح. انظر. المجمع (٤/ ٢١٥) وضعيف الجامع (٣٧٤٦).

لسانك إلا من خير، يعنى قُلْ خيراً حتى تغنم أو اسكتْ حتى تسلم، فإنَّ السلامةَ فى السكوت.

فأخبر أن الإنسان يغلب الشيطان بالسكوت، فينبغى للمسلم أنْ يكونَ حافظاً للسانه؛ حتى يكونَ فى حرزٍ من الشيطان، ويستر الله عليه عورته.

٢٦٩ـ قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن حمدان، حدثنا الحسن بن على الطوسى، حدثنا محمد بن حسان، حدثنا إسحاق بن سليمان الرازى، عن المغيرة بن مسلم، عن هشام، عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « **من لطم عبده كان كفارته عتقه**[١]، **ومن ملك لسانه ستر الله عليه عورته، ومن كظم غيظه وقاه الله تعالى عذابه، ومن اعتذر إلى ربه قبل الله معذرته** »[٢].

٢٧٠ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن الحسن، عن أبى هُرَيْرة رضى الله تعالى عنه، أن النبى ﷺ قال: « **مَنْ كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرمْ جاره، وليكرمْ ضيفه، وليقلْ خيراً أو ليسكت** »[٣].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم، حدثنا يعلى، قال: دخلنا على محمد بن سوقه الزاهد فقال: ألاَ أحدّثكم حديثاً لعلّه أن ينفعكم فإنه قد نفعنى؟ قال: قال لنا عطاء بن أبى رباح: يابن أخى، إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام، وكانوا يعدّون كلّ كلام فضولاً ماعدا كتاب الله تعالى أن يقرأه أحد، أو أمراً بالمعروف، أو نهياً عن المنكر، أو تنطق بحاجتك فى معيشتك التى لابُدَّ لك منها.

ثم قال: أتنكرون قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ. كِرَاماً كَاتِبِينَ**﴾[الانفطار: ١٠ ، ١١]و﴿**عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾ [ق: ١٧ ، ١٨] أو ما يستحى أحدكم أن لو نُشرَت عليه صحيفتُه التى أملاها صدر نهاره، وأكثر ما فيها ليس من أمر دينه ولا دنياه؟!

٢٧١ ـ قال: حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن أنس بن مالك، قال:

---

(١) **صحيح*** مسلم (/١٦٥٧) وغيره عن ابن عمر.

(٢) **ضعيف*** (دون أوله): سبق تخريجه برقم (٢٦٤).

(٣) **متفق عليه*** البخارى (٦٠١٨/١٠) ومسلم (٤٧).

قال رسول الله ﷺ: «**أربع لا يصبن إلا بعجب: الصمت وهو أول العبادة، والتّواضع، وذِكْر الله تعالى، وقلّة الشيء**»(١).

وذكر عن عيسى ابن مريم عليه السلام بهذا اللفظ.

٢٧٢ ـ روى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: «**مِن حُسْن إسلام المرء تَرْكُه مالا يعنيه**»(٢).

وذُكِر عن لقمان الحكيم أنه قيل له: مابلغ بك مانرى؟قال: صِدْقُ الحديث، وأداء الأمانة، وتركى مالا يعنينى.

وروى عن أبى بكر بن عيّاش أنه قال: أربعة من الملوك تكلّم كلّ واحد منهم بكلمة كأنها رمية من قوس واحدة؛ قال كسري: لا أندم على مالم أقل، وقد أندم على ماقلت. وقال ملك الصين: مالم أتكلّم بالكلمة فأنا أملكها، فإن تكلّمتُ بها ملكتنى. وقال قيصر ملك الروم: أنا على ردّ مالم أقل أقدر منى على رد ماقلت. وقال ملك الهند: العجب ممن يتكلّم بكلمة إنْ هى رفعت ضرّته، وإن لو ترفع لم تنفعه.

وروى عن الربيع بن خُثيم أنه كان إذا أصبح وضع قرطاساً وقلماً؛ ولا يتكلم بشيء إلا كتبه وحفظه، ثم يحاسب نفسه عند المساء.

قال الفقيه: هكذا كان عملُ الزهاد، أنهم كانوا يتكلفون لحفظ اللسان، ويحاسبون أنفسهم فى الدنيا وهكذا ينبغى للمسلم أن يُحاسبَ نفسه فى الدنيا قبل أن يحاسِب فى الآخرة؛ لأنّ حسابَ الدُّنيا أيسرُ من حساب الآخرة، وحفظ اللسان فى الدنيا أيسر من ندامة الآخرة.

ورُوى عن إبراهيم التيمى أنه قال: حدّثنى مَن صحب الربيع بن خثُيم عشرين سنة، فما سمع منه كلمة يُعاقب عليها.

وقال موسى بن سعيد: لما أصيب الحسين بن على ـ رضى الله تعالى عنهما ـ يعنى قتل، فقال رجل من أصحاب الربيع: إن تكلّم الربيع فاليوم يتكلّم، فجاء حتى فتح الباب وأخبره بأن الحسين قد قتل، فنظر إلى السماء فقال: ﴿**اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ**

---

(١) **موضوع*** الطبرانى فى «الكبير» (١/ ٣٧) وابن أبى الدنيا فى «الصمت» (٥٥٦) والحاكم (٤/ ٣١١) وابن عدى فى «الكامل» (٢/ ٢٨٢) وابن حبان فى «المجروحين» (٢/ ١٩٦) والبيهقى فى «الشعب» (٤٩٨٢). فيه (العوام بن جويريه) قال ابن حبان. يروى الموضوعات. انظر: الضعيفة (١٩٥٨).

(٢) **صحيح*** الترمذى (٢٣١٧) وابن ماجة (٣٩٧٦) وأحمد (١/ ٢٠١) وابن أبى الدنيا فى «الصمت» (١٠٧) والبيهقى فى «الشعب» (٤٩٨٦). وانظر: صحيح الجامع (٥٩١١).

وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبادِكَ فى مَاكَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزمر:٤٦] ولم يزد على ذلك شيئاً.

قال حكيم من الحكماء: ست خصال يُعرف بهنّ الجاهل:

إحداها: الغضب فى غير شىء، يعنى يغضب على ابن آدم وعلى الحيوان وعلى كل شىء يستقبله منه مكروه، فهذا من علامة الجهل.

والثانية: الكلام فى غير نفع، فينبغى للعاقل: أن لايتكلم بكلام لا منفعة له فيه، وهو علامة الجهل، وينبغى له أن يتكلم بكلام له فيه منفعة فى أمر دنياه وآخرته.

والثالثة: العطية فى غير موضع، يعنى يدفع ماله إلى من لا يكون له فى ذلك أجر، وهو علامة الجهل.

والرابعة: إفشاء السّر عند كل أحد.

والخامسة: الثّقة بكل إنسان.

والسادسة: أن لا يعرف صديقه من عدوه، يعنى أن الرجل ينبغى له أن يعرف صديقه فيطيعه، ويعرف عدوّه فيحذره، وأول الأعداء هو الشيطان، فينبغى أن لا يطيعه فيما يأمره.

وعن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال: كلّ كلام ليس بذكر الله تعالى فهو لغو، وكلّ سكوت ليس بفكر فهو غفلة، وكلّ نظر ليس بعبرة فهو لهو، فطوبى لمن كان كلامه ذكر الله تعالى، وسكوته تفكّراً، ونظره عبرة.

وذُكِر عن الأوزاعى أنه قال: المؤمن يقلّ الكلام ويُكثر العمل، والمنافق يُكثر الكلام ويقلّ العمل.

٢٧٣ ـ وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «**خمس لا تكون فى المنافق: الفقه فى الدين، والورع باللسان، والبسمة فى الوجه، والنّور فى القلب، والمودّة فى المسلمين**»(١).

قال يحيى بن أكثم: ما صلح منطقٌ لرجل إلا عرف ذلك فى سائر عمله، ولا فسد منطق رجل إلا عُرف ذلك فى سائر عمله.

---

(١) الذى وقفت عليه« خصلتان لاتكونان فى منافق: حسن سمت، ولا فقه فى الدين» رواه الترمذى (٢٨٢٤) وغيره. انظر . الصحيحة (٢٧٨).

وذُكِر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يابنى من يصحب صاحبَ السّوء لم يسلم، ومن يدخل مدخل السوء يُتّهم، ومن لا يملك لسانه يندمْ.

٢٧٤ ـ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**طُوبى لمن مَلَك لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته**»[(١)].

قال: حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن الحسن البصري أنه قال: كانوا يقولون: إنّ لسانَ الحكيم من وراء قلبه، فإذا أراد أن يقولَ رجع إلى قلبه، فإن كان له قاله، وإن كان عليه أمسك. وإنّ الجاهل قلبه على طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه ما أتى على لسانه تكلّم به.

٢٧٥ ـ قال: حدثنى أبى ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن أبى ذر الغفارى أنه قال: قلتُ يارسول الله ماكان فى صحف إبراهيم؟ قال: «**كان فيها أمثال وعبر: ينبغى للعاقل مالم يكن مغلوباً فى عقله أن يكونَ حافظاً للسانه، عارفاً بزمانه، مُقبلاً على شأنه، فإنّه من حسب كلامه من عمله قلّ كلامه إلا فيما يعنيه**»[(٢)].

٢٧٦ ـ قال حدثنا الفقيه أبو جعفر؛ بإسناده عن أبى إسحاق الهمدانى، عن الحرث، عن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**ينبغى للعاقلِ أن لا يكونَ شاخصاً إلا فى ثلاث: حرمة لمعاشه، أو خلوة لمعادة، أو لذّة فى غير مُحرّم**»[(٣)].

وقال: ينبغى للعاقل أن يكون له فى النهار أربع ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يأتى فيها أهل العلم الذين يبصرونه بأمر دينه ودنياه وينصحونه، وساعة يخلى بين نفسه ولذاتها فيما يحلّ.

وقال: ينبغى للعاقل أن ينظرَ في شأنه، ويعرف أهل زمانه، ويحفظ فرجه ولسانه.

قال الفقيه: ذُكِر أنّ الكلمات مكتوبةٌ فى حكمة آل داود.

وروى عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن لقمان الحكيم دَخَل على داود النبى ﷺ وكان داود يسردُ الدرع، فجعل يتعجّب ممّا يرى، فأراد أن يسأله عن ذلك فمنعته حكمته، فأمسك نفسه ولم يسأله، فلما فرغ قام داود ـ عليه السلام ـ

---

(١) **حسن*** الطبرانى فى «الأوسط و الصغير» (٢١٢). انظر. المجمع (١٠/٢٩٩) وصحيح الجامع (٣٩٢٩).

(٢) **ضعيف*** ابن حبان (٩٤) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/١٦٦) انظر: الضعيفة. (١٩١٠).

(٣) **إسناده ضعيف*** الحارث هو (ابن عبد الله الأعور) في حديثه ضعف كما فى «التقريب».

فلبس الدرع، ثم قال: نِعْم الدّرعُ للحرب، ونعم عامله. فقال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله. قال القائل:

العلــم زينٌ والسكـوتُ سلامــةٌ   فإذا نطقت فلا تكـنْ مـكثارا
ما إن ندمتُ على سكوتى مرةً   فلقد ندمتُ على الكلامِ مرارا

وقال بعضهم:

يموتُ الفتى مِن عثرةٍ بلسانه   وليس يموتُ المرء من عثرة الرِّجْلِ
فعثرتُه بالفم ترمـى بـرأسه   وعثرتُه بالـرِّجل تبـرا على مهـلِ

وقال بعض الحكماء: فى الصمت سبعة آلاف خير، وقد اجتمع ذلك كلّه فى سبع كلمات، فى كل كلمة منها ألف:

أولها: أنّ الصَّمتَ عبادةٌ من غير عناء.

والثانية: زينةمن غير حلى.

والثالثة: هيبة من غير سلطان.

والرابعة: حصن من غير حائط.

والخامسة : الاستغناء عن الاعتذار إلى أحد.

والسادسة: راحة الكرام الكاتبين.

والسابعة: ستر لعيوبه. ويقال الصت زين للعالم وستر للجاهل.

قال بعض الحكماء: إنَّ جسد ابن آدم ثلاثة أجزاء: فجزء منه قلبه، والثانى لسانه، والثالث الجوارح. وقد أكرم الله تعالى كلّ جزء بكرامة، فأكرم القلب بمعرفته وتوحيده، وأكرم اللسان بشهادة أن لا إله إلا الله وتلاوة كتابه، وأكرم الجوارح بالصلاة والصوم وسائر الطاعات، ووكّل على جزء رقيباً حَفيظاً، فتولى حفظ القلب بنفسه، فلا يعلم ما فى ضمير العبد إلا الله. ووكل على لسانه الحفظة، قال الله تعالى: ﴿ **مَايَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾[ق:١٨]. وسلط على الجوارح الأمر والنهى.

ثم إنّه يريدُ من كلّ جزء وفاء، فوفاء القلب أن يثبتَ على الإيمان وأن لا يحسد ولا يخون ولا يمكر، ووفاء اللسان لا يغتابَ ولا يكذب ولا يتكلّم بما لا يعنيه، ووفاء الجوارح أن لا يعصى الله تعالى ولا يؤذى أحداً من المسلمين. فمن وَقَع من القلب فهو منافق. ومن وقع من اللسان فهو كافو. ومن وقع من الجوارح فهو عاص.

وعن الحسن قال: نظر عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ إلى شاب فقال: ياشاب إن وقيتَ شرّ ثلاثة فقد وقيتَ شرّ الشباب: إن وقيتَ شر لقلقك وذبذبك وقَبقبك.

وذُكر أن لقمان الحكيم كان عبداً حبشياً، فأوّل ما ظهر من حكمته أنه قال له مولاه: ياغلام اذبحْ لنا هذه الشاة، وآتنى بأطيب مضغتين فيها، فجاءه بالقلب واللسان. ثم قال له مرة أخرى: اذبح لنا هذه الشاة وآتنى بأخبث مضغتين فيها فأتاه باللسان والقلب فسأله عن ذلك فقال: ليس فى الجسد مضغتان أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا.

٢٧٧ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه لما بعث معاذًا إلى اليمن فقال: يانبى الله أوصنى، فأشار إلى لسانه، يعنى: عليك بحفظ اللسان فكأنه تهاون به، فقال: يانبى الله أوصنى قال: «**ثكلتك أمك، وهل يكُبُّ الناسَ على مناخرهم فى نار جهنم إلا حصائدُ ألسنتهم**»(١).

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ: مَن كثر كلامُه كثر سقطُه، ومَن كثر ماله كثر إثمه، ومَن خُلُقُه عذّب نفسه.

وروى عن سفيان الثورى أنه قال: لأن أرمى رجلاً بسهم أحبّ إلى من أن أرميه بلسانى، لأنَّ رميَ اللسان لا يخطىء، ورمى السهم قد يخطىء.

٢٧٨ ـ وروى عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا أصبح ابن آدم سألت الأعضاءُ كلُّها اللسانَ وقلن: يا لسان، ننشدك الله أن تستقيم فإنه إن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا (٢).

وروى عن أبى ذرّ الغفارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قام عند الكعبة، فقال: ألامَن عرفنى فقد عرفنى، ومن لم يعرفنى فأنا جُنْدُب بن جنادة الغفارى أبو ذرّ، هلمّوا إلى أخ ناصح شفيق عليكم. فاجتمع الناس حوله فقال: يا أيها النّاس مَن أراد منكم سفراً من أسفار الدنيا لا يفعلُ ذلك إلا بزاد، فكيف من يريدُ سفرَ الآخرة بلا زاد؟

قالوا: وما زادُنا يا أبا ذرّ؟ قال: صلاة ركعتين فى سواد الليل لوحشة القبور، وصوم فى يوم حرّ شديد ليوم النشور، وصدقة على المساكين ليوم ينقر فى الناقور؛

---

(١) **صحيح*** أحمد (٥/ ٢٣١، ٢٣٧) والترمذى (٢٦٦١) وابن ماجة (٣٩٧٣) مطولاً.

(٢) **حسن*** أحمد (٣/ ٩٦) والترمذى (٢٤٠٧) والبغوى فى «شرح السنة» (٧/ ٤٠٢١) وابن أبى الدنيا فى «الصمت»(١٢) والبيهقى فى «الشعب»(٤٩٤٥) عن أبى سعيد.

لعلكم تنجون من عذاب يوم عسير، وحجّ لعظائم الأمور.

واجعلوا الدنيا مجلسين: مجلساً فى طلب الدنيا، ومجلساً فى طلب الآخرة، والثالث يضر ولا ينفع.

واجعلوا الكلام كلمتين: كلمة نافعة فى أمر دنياكم، وكلمة باقية فى أمر آخرتكم، والثالث يضرّ ولا ينفع.

واجعلوا المال درهمين: درهماً أنفقه على عيالك، ودوهماً قدّمه لنفسك، والثالث يضر ولا ينفع.

ثم قال: أوه! قتلنى همّ يوم لا أدركه، قيل: وماذاك؟ قال: إنّ أملى قد جاوز أجلى.

ذكر عن عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - أنه قال: لا تكثروا الكلام فى غير ذكر الله فتقسو قلوبكم، والقلب القاسى بعيد من الله، ولكن لاتعلمون.

وأيضاً عنه: لاتنظروا فى ذنوب النّاس كالأرباب، ولكن انظروا إلى ذنوبكم كالعبيد، فإنما النّاس بين مُعافى ومبُتلى، فاحمدوا الله على العافية، وارحموا المبتلى.

وقال لبعض أصحابه: إذا رأيت قساوةً فى قلبك، ووهناً فى بدنك، وحرماناً فى رزقك، فاعلم بأنك قد تكلمت بما لا يعنيك.

***

باب الحرص وطول الأمل

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى - رحمه الله تعالى -: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا محمد بن الفضيل الضبى، عن حصين، عن سالم بن أبى الجعد، أن أبا الدرداء - رضى الله تعالى عنه - قال: مالى أرى علماءكم يذهبون، وأنّ جهالكم لا يتعلمون، تعلّموا قبل أن يرفع العلم، وتضيعون ما وكلتم إليه، لأنا أعلمُ بشراركم من البيطار فى الخيل: هم الذين لا يؤدون الزكاة إلا ديناً، ولا يأتون الصلاة إلا دُبُراً، ولا يسمعون القرآن إلا هجراً، ولا يعتقون محرّريهم[1].

قال الفقيه: الحرص على وجهين: حرص مذمون، وحرص غير مذموم وتركه أفضل؛ فأما الحرص الذى هو مذموم: فهو أن يشغلَه عن أداء أوامر الله تعالى، أو

(١) **ضعيف** * رواه أبو نعيم فى « الحلية» (١/ ٢٢١) والبيهقى في « الشعب» (١١٩٦). سالم بن أبى الجعد. لم يدرك أبا الدرداء. المراسيل (١٢٤)

يريد جمعَ المال للتكاثر والتفاخر.

وأما الذى هو غير مذموم: فهو أن لا يترك من اللوازم من أوامر الله تعالى لأجل جمع المال، ولا يريد به التفاخر، فهذا غير مذموم؛ لأن أصحاب رسول الله ﷺ كان بعضهم يجمع المال، ولم ينكر عليهم رسول الله ﷺ ولكن لو تركه كان أفضل؛ لأنه بيّن أن تركه أفضل.

وقد بين أبو الدرداء - رضى الله تعالى عنه - فى هذا الخبر أنّ الحرصَ مذمومٌ إذا ضيع أوامر الله تعالى، لأنه قال: «وتحرصون على ماتكفَّل الله لكم به»، يعنى أرزاقكم، فتحرصون على طلبها، وتضيعون ماوكلتم إليه، يعنى أمر الطاعة. قوله: «ولا يعتقون محرريهم»؛ يعنى لحرصهم يستعملون الأحرار كما يستعملون العبيد.

قال: حدثنا أبو الحسين أحمد بن حمدان، حدثنا الحسين بن على الطوسى، حدثنا على بن حرب الموصلى، حدثنا محمد بن بشر، عن إسماعيل بن أبى خالد، عن أخيه، عن مصعب بن سعد؛ أنّ حفصة بنت عمر قالت لأبيها: إن الله قد أكثر لك من الخير، ووسّع لك فى الرزق، فلو أكلت طعاماً أطيب من طعامك؟ ولبست ثوباً ألين من ثوبك قال: سأحاكمك إلى نفسك، ولم يزل يذكرها ماكان فيه رسول الله ﷺ وكانت[رقية بنت على] معه حتى أبكاهما. ثم قال: إنه كان لى صاحبان سلكا طريقاً، فإن سلكت طريقاً، غير طريقهما سلك بى طريق غير طريقهما، وإنى والله سأصبر على عيشهما الشديد لعلى أدرك معهما العيش الرخى [(1)].

٢٧٩ - قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا محمد بن الفضيل الضبى، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبى، عن مسروق، قال: قلتُ لعائشة - رضى الله عنها -: يا أماه، ماأكثر ما كان يقول رسول الله ﷺ إذا دخل البيت؟ قالت: أكثر ما سمعته يقول إذا دخل البيت: «**لو أنّ لابن آدم واديين من ذهب لتمنى إليهما ثالثاً، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب، وإنما جعل الله تعالى هذا المال لتُقام به الصلاة وتُؤتى به الزكاة**»[(2)].

٢٨٠ - وروى عن قتادة، عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**يهرم من ابن آدم كلّ شىء إلا اثنين: الحرص والأمل**»[(3)].

---

(١) أبو نعيم فى «الحلية» (١/٤٨) وأحمد فى «الزهد» (ص ١٥٤) وابن المبارك (٥٧٤).

(٢) صحيح (وفيه ضعف) * البيهقى فى «الشعب» (١٠٢٨٠) فيه (مجالد بن سعيد) ليس بالقوى والحديث (متفق عليه) دون القصة. البخارى (١١/ ٦٤٣٦، ٦٤٣٩) ومسلم (٢/ ١٠٤٩، ١٠٤٨) عن ابن عباس وأنس.

(٣) صحيح * البخارى (١١/ ٦٤٢١) ومسلم (٢/ ١٠٤٧) وغيرهما

وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: أخوفُ ماأخاف عليكم ثنتان: طول الأمل، واتباع الهوى. وإنّ طول الأمل ينسى الآخرة، واتباع الهوى يصدّ عن الحق.

٢٨١ ـ وروى عن رسول الله ﷺ: «**أنا زعيم لثلاثة بثلاثة: للمكبّ على الدنيا، والحريص عليها، والشحيح بها؛ بفقر لاغنى بعده، وشغل لافراغَ منه، وهمّ لا فرح معه**»(١).

وروى عن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه أشرف على أهل حمص، فقال: ألا تستحون، تبنون مالا تسكنون، وتأملون مالا تدركون، وتجمعون مالا تأكلون، إن الذين كانوا قبلكم بنوا شديداً، وجمعوا كثيراً، وأمّلوا بعيداً، فأصبحت مساكنهم قبوراً، وآمالهم غروراً، وجمعهم بوراً.

وروى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال لعمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ: إذا أردت أن تلقى صاحبيك؛ فارقع قميصك، واخصف نعليك ،وأقصر أملك، وكُلْ دون الشبع.

وروى عن أبى عثمان النهدى أنه قال: رأيتُ على عمر قميصاً فيه اثنتا عشرة رقعةً، وهو على المنبر يخطب.

وروى عن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه دخل السوق، وعليه ثياب غليظة غير مغسولة، فقيل: ياأمير المؤمنين؛ لو لبستَ ألين من هذا. قال: هذا أخشع للقلب، وأشبه بشعار الصالحين، وأحسن للمؤمن أن يُقتدى به.

وروى عن أبى ذر رضى الله تعالى عنه،أنه قال: إنّى لأعرفُ بالناس من البيطار بالدواب، أما خيارهم فالزّاهدون، وأما شِرارهم فمن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه.

وقال بعض الحكماء: أمهاتُ الخطايا ثلاثة أشياء: الحسد، والحرص، والكبر. أما الكبر فكان أصله من إبليس حين تكبّر وأبى أن يسجد فلُعن. وأما الحرص فكان أصله من آدم ـ عليه السلام ـ حيث قيل له: الجنة كلها مباح لك ألا هذه الشجرة، فحمله الحرص على آكلها حتى سقط منها. والحسد أصله من قابيل بن آدم حين قتل أخاه هابيل، فصار كافراً ومأواه النار أبداً.

وذُكر فى الخبر آن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أوصى ابنه شيثاً ـ عليه الصلاة والسلام ـ بخمسة أشياء، وأمره أن يوصى بها أولاده من بعده:

---

(١) لم أقف على إسناده.

أولها: قال له: قُل لأولادك: لا تطمئنوا بالدنيا، فإنّى اطمأننتُ بالجنة الباقية، فلم يرضَ الله منى، وأخرجنى منها.

والثانى: قل لهم: لا تعملوا بهوى نسائكم، فإنّى عملتُ بهوى امرأتى، وأكلتُ من الشجرة فلحقتنى الندامة.

والثالث: قُل لهم: كلّ عمل تريدونه فانظروا عاقبته، فإنى لو نظرتُ عاقبة الأمر لم يصبنى ما أصابنى .

والرابع: إذا اضطربت قلوبُكم بشىء فاجتنبوه، فإنّى حين أكلتُ من الشجرة اضطرب قلبى، فلم أرجعْ فلحقنى الندم.

والخامس: استشيروا فى الأمور، فإنى لو شاورتُ الملائكة لم يصبنى ما أصابنى.

وروى عن شقيق البلخى ـ رحمه الله ـ أنه قال: أخرجت من علمى أربعة آلاف حديث، وأخرجتُ أربعمئة من أربعة آلاف، وأخرجتُ من الأربعمئة أربعين، وأخرجتُ من الأربعين حديثاً أربعة أحاديث:

أولها: ٢٨١/م « لا تعقدْ قلبَك مع المرأة، فإنّها اليوم لك، وغداً لغيرك، فإن أطعتها أدخلتك النار».

والثانى:« لا تعقد قلبك مع المال، فإنّ المالَ عارية، اليوم لك، وغداً لغيرك فلا تتعبْ نفسك بما لغيرك، فإن المهنأ لغيرك والوزر عليك، وإنّك إذا عقدت قلبك بالمال منعته من حقّ الله تعالى، ودخل فيك خشية الفقر، وأطعت الشيطان».

والثالث:« اتركْ ماحاكَ فى صدرك، فإنّ قلبَ المؤمن بمنزلة الشاهد، يضطرب عند الشبهة، ويهرب من الحرام، ويسكن عند الحلال».

والرابع:« لا تعملْ شيئاً حتى تحكمَ الإجابة».

٢٨٢ ـ وروى مجاهد، عن عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**كُنْ فى الدنيا كأنّك غريبٌ، أو عابر سبيل، وعدّ نفسَك من أهل القبور** »[1].

وقال مجاهد : قال لى عبدُ الله بن عمر: إذا أصبحتَ فلا تحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تحدِّث نفسَك بالصباح، وخُذْ من حياتك قبل موتك، ومن صحتك قبل سقمك؛ فإنك لا تدرى ما اسمك غداً.

---

(١) **صحيح*** البخارى(١١/٦٤١٦) وغيره.

قال الفقيه: مَن قصر أمله أكرمه الله تعالى بأربع كرامات:

إحداها: أن يقوّيه على طاعته؛ لأنّ العبدَ إذا علم أنه يموتُ عن قريب، لا يهتمّ بما يستقبله من المكروه، ويجتهد فى الطاعات، فيكثر عمله.

والثانية: يقلّ همومه؛ لأنه إذا علم أنه يموتُ عن قريب، لايهتمّ بما يستقبله من المكروه.

والثالثة: يجعله راضياً بالقليل؛ لأنه إذا علمَ أنه يموتُ عن قريب، فإنه لا يطلبُ الكثرة، وإنما يكون همّه همّ آخرته.

والرابعة: أن ينوّر قلبه؛ لأنه يقال: نورُ القلب من أربعة أشياء: أولها بطن جائع. والثانى: صاحب صالح. والثالث: حِفْظ الذنب القديم. والرابع: قصر الأمل.

فإن من طال أملُه عاقبه الله تعالى بأربعة أشياء: أولها: أن يتكاسل عن الطاعات والثانى: أن تكثر همومه فى الدنيا. والثالث: أن يصيرَ حريصاً على جمع المال والرابع: أن يقسو قلبه.

لأنه يقال: قسوة القلب من أربعة أشياء: أولها: بطن ممتلىء. والثانى: صحبة صاحب السوء، والثالث: نسيان الذّنب الماضى. والرابع: طول الأمل.

فينبغى للمسلم أن يقصر أمله، فإنه لا يدرى فى أىّ نَفَسٍ يموت، وفى أىّ قدم يموت. قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤] قال بعضُ المفسرين: بأى قدم يموت.

وفى آية أخرى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَيِّتُونَ﴾[الزمر: ٣٠] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[النحل: ٦١].

فينبغى للمسلم أن يكثرَ ذِكْر الموت، فإنه لا غنيةَ للمؤمن من ست خصال:

أولاها: علم يدلّه على الآخرة.

والثانية: رفيق يعينه على طاعة الله تعالى، ويمنعه عن معصيته.

والثالثة: معرفة عدوّه والحذر منه.

والرابعة: عبرة يعتبرُ بها فى آيات الله تعالى، وفى اختلاف الليل والنهار.

والخامسة: إنصاف الخلق؛ كيلا يكونوا له يوم القيامة خصماء.

والسادسة: الاستعداد للموت قبل نزوله؛ لكيلا يكون مفتضحاً يوم القيامة.

٢٨٣ ـ قال: وحدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن الحسن البصرى أن النبى ﷺ قال لأصحابه: «أيريد كلكم أن يدخلَ الجنة؟» قالوا: نعم، جعلنا الله تعالى فداءك يارسول الله؟ . قال: « قصّروا الأمل، واستحوا من الله حق الحياء» قالوا: يا رسول الله، كلّنا نستحى من الله تعالى. قال :« ليس ذلك بالحياء، ولكن الحياء من الله تعالى: أن تذكروا المقابر والبلى، وتحفظوا الجوف وما وعى، والرأس وما حوى»(١) .

ومن يشتهى كرامة الآخرة يدع زينة الدنيا، فهنالك يستحى العبد من الله تعالى حق الحياء، وبها يصيب ولاية الله تعالى.

٢٨٤ ـ وروى حميد الطويل عن مورق العجلى قال: قرأ رسول الله ﷺ ﴿أَلْهَاكُم التَّكَاثُر. حَتَّى زُرْتُم المقابر﴾ [التكاثر: ١ ـ ٢] فقال: « يقول ابن آدم: مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلتَ فأفنيت، أو لبستَ فأبليت، أو تصدَّقتَ فأبقيت»(٢) .

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ: مكتوبٌ فى التوراة خمسة أحرف: الغنية فى القناعة، والسلامة فى العزلة، والحرية فى رَفْض الشهوات، والمحبة فى ترك الرغبة، والتمتّع فى أيام طويلة بالصّبر فى أيام قليلة.

٢٨٥ ـ وروى عن عروة بن الزبير، عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أن النبى ﷺ قال: « ياعائشة، إن أردت اللحوقَ بى، فليكفك من الدّنيا كزاد الراكب، وإيّاك ومجالسةَ الأغنياء، ولا تستخلفى ثوباً حتى تُرقّعيه»(٣) .

٢٨٦ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اللهم مَن أحبّنى فارزقه العفافَ والكفافَ، ومَن أبغضنى فأكثرْ ماله وولده»(٤) .

٢٨٧ ـ قال: وحدثنى الفقيه بإسناده عن الحسين بن على قال: قال رسول الله ﷺ: «الرغبةُ فى الدنيا تكثر الهمّ والحزن، والزُّهد فى الدنيا يريحُ القلب والبدن»(٥)، «وما الفقرَ أخافُ عليكم، ولكننى أخافُ عليكم الغنى أن تبسطَ لكم

---

(١) حسن * أحمد(١/ ٣٨٧) والترمذى (٢٤٥٨) والحاكم(٤/ ٣٢٣) والبيهقى فى«الشعب» (٧٧٣٠) والبغوى فى «شرح السنة» (٣٩٢٨) عن ابن مسعود . انظر المشكاة (١٦٠٨) .

(٢) صحيح * وصله مسلم (٤/ ٢٩٥٨) وغيره عن عبد الله بن الشخير

(٣) ضعيف جداً * الترمذى (١٧٨) والحاكم (٤/ ٣١٢) وابن عدى فى «الكامل» (٤/ ٥٢) والبيهقى فى «الشعب» (٦١٨١) والبغوى فى « شرح السنة» (٦/ ٩ ٣٠) . انظر الضعيفة (١٢٩٤).

(٤) ضعيف جداً * البيهقى فى « التعب» (١٤٧٥) والأصبهانى فى «الترغيب» (٢٣٥٠) من طريق عبد الله بن سعيد بن أبى سعيد المقبرى (متروك الحديث) عن جده عن أبى هريرة.

(٥) ضعيف * أحمد فى «الزهد» (ص ١٦) والبيهقى فى «الشعب»(١٠٥٣٦) عن طاووس مرسلاً. ووصل البيهقى (١٠٥٣٨) بعضه عن أبى هريرة وفيه (على بن زيد) ضعيف.

الدنيا كما بُسِطَتْ لمن كان قبلكم،فتنافسوها كما تنافسوا،فتهلككم كما أهلكتهم»(١).

٢٨٨ ـ وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**صلاحُ أوّل هذه الأمة بالزهد واليقين، وهلاكُ آخر هذه الأمة بالبخل والأمل** »(٢).

***

باب فضائل الفقراء

٢٨٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا أبى ـ رحمه الله ـ، حدثنا أبوالحسين أحمد بن الفراء الفقيه السمرقندى، حدثنا أبو بكر الجوزجانى، حدثنا أحمد ابن عبد الله، عن مسلم بن سالم، عن خارجة بن مصعب، عن زيد بن أسلم، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: بعث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولاً، فقال: يارسول الله، إنى رسول الفقراء إليك، فقال: « مرحباً بك، وبمن جئت من عندهم. جئتَ من عند قوم أحبهم الله».

قال: يارسول الله، يقول الفقراء: إن الأغنياء قد ذهبوا بالخير كله هم يحجون ولانقدر عليه، ويتصدقون ولانقدر عليه، وإذا مرضوا بعثوا بفضل أموالهم ذخراً.

فقال رسول الله ﷺ: «بلّغ عنى الفقراء أن من صبر منكم، واحتسب، فله ثلاث خصال ليس للأغنياء منها شىء.

أما الخصلة الواحدة: أنّ فى الجنة غرفة من ياقوتة حمراء ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهلُ الدنيا إلى النجوم، لايدخلها إلا نبى فقير، أو شهيد فقير، أو مؤمن فقير.

والثانى: يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم، وهو مقدار خمسمئة عام، يتمتعون فيها حيث شاؤوا ويدخل سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ الجنة بعد دخول الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ بأربعين عاماً بسبب الملك الذى أعطاه الله.

والخصلة الثالثة: إذا قال الفقير: سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مخلصاً، ويقول الغنى مثل ذلك مخلصاً، لم يلحق الغنى الفقير، وإن أنفق الغنى معها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كله. فرجع إليهم الرسول فأخبرهم بذلك

---

(١) صحيح* البخارى (١١/ ٦٤٢٥) ومسلم (٤/ ٢٩٦١) والترمذى (٢٤٦٢) وابن ماجة (٣٩٩٧)

(٢) حسن* أحمد فى « الزهد» (ص ١٦) والبيهقى فى « الشعب» (١٠٨٤٥) عن ابن عمرو وفى سنده (محمد ابن مسلم الطائفى) صدوق يخطىء وتابعه ابن لهيعه: رواه ابن أبى الدنيا فى « اليقين» (٣) والبيهقى فى «الشعب» (١٠٨٤٤) والأصبهانى فى « الترغيب» (١٦٥).

فقالوا: رضينا يارب، رضينا يارب»[1].

٢٩٠ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنى يحيى بن سليمان، عن عمران بن مسلم قال: بلغنى أن أبا ذَرّ قال:

«أوصانى خليلى ﷺ بسبع لم أتركهن، ولا أتركهن، أوصانى: بحب المساكين، والدّنو منهم، وأن أنظرَ إلى مَن هو أسفل منى ولا أنظر إلى من هو فوقى، وأن أصلَ رحمى وإن أدبرتْ وقطعتْ، وإن أستكثرَ من قول: لاحول ولا قوة إلا بالله، فإنّها من كنوز الجنة، وأن لاأسألَ الناس شيئاً، وأن لا أخافَ فى الله لومةَ لائم، وأن أقولَ الحقَ وإن كان مراً»[2].

وكان أبو ذرّ ـ رضى الله تعالى عنه ـ إذا سقط من يده سوطه يكره أن يقول لأحدٍ ناولنيه.

وبهذا الإسناد قال: حدثنا إبراهيم، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن خيثمة قال: تقول الملائكة: يارب، عبدك الكافر بسطّت له فى الدنيا، وتزوى عنه البلاء، فيقول للملائكة: اكشفوا عن عقابه، فإذا رأوه قالوا: يارب، لا ينفعه ما أصابَ منَ الدُّنيا وتقول: يارب، عبدك المؤمن، تزوى عنه الدنيا، وتعرضه للبلاء، فيقول للملائكة: اكشفوا عن ثوابه، فإذا رأوه، قالوا: يارب، ما يضرّه ما أصابه من الدنيا.

٢٩١ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبى ذرّ الغفارى أن النبى ﷺ قال: «**المكثرون هم الأسفلون يوم القيامة؛ إلا من قال بالمال هكذا وهكذا ـ أربع مرات ـ وقليلٌ ماهم**»[3].

قال الفقيه: معنى قول النبى ﷺ : «**المكثرون هم الأسفلون**» يعنى إذا كان الغنى من أهل الجنة فهو أسفل درجة من الفقير، وإن كان من أهل النار فهو فى الدرك الأسفل من النار. « **إلا من قال بالمال هكذا وهكذا**» يعنى يتصدق عن يمينه ويساره ومن خلفه، ومن بين يديه « **وقليل ماهم**» يعنى قلّما يوجد مثل هذا فى الأغنياء؛ لأنّ الشيطانَ يزيّن لهم أموالهم فى الدنيا .

٢٩٢ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ الشيطانَ يقول: لن ينجوَ الغنى من**

---

(١) **ضعيف جداً*** (مسلم بن سالم) ليس بشئ و(خارجة بن مصعب) متروك الحديث.

(٢) **حسن صحيح*** الطبرانى فى الكبير والأوسط (٧٥٨ ـ الروص) وأبو نعيم فى « الحلية» (٢/ ٣٥٧) والبيهقى فى « السنن» (١٠/ ٩١) وفى « الشعب» (٣٤٢٩، ٣٤٣، ٧٥٨٣) . وانظر: المجمع(٧/ ٢٦٥).

(٣) **صحيح*** أحمد (٥/ ١٥٧) والطيالسى (٤٤٦) وابن ماجة (٤١٣٠). انظر : صحيح الجامع (٦٧٢٤).

إحدى ثلاث: إما أن أزيّنه فى عينه فيمنعه من حقِّه، وإما أن أسهّل عليه سبيله فينفقه فى غير حقِّه، وإما أن أحبّبه فى قلبه فيكسبه بغير حقه»[1].

وروى عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: بعث النبى ﷺ وأنا تاجر، فأردتُ أن تجتمعَ لى التجارةُ مع العبادة، فلم تجتمعا، فرفضتُ التجارة، وأقبلتُ على العبادة، فوالذى نفسى بيده؛ ما أحبّ أن لى حانوتاً على باب المسجد، لا تخطئنى فيه صلاةٌ، فأربح كلّ يوم أربعين ديناراً، فأتصدّق بها فى سبيل الله. قيل: يا أبا الدّرداء ما تكره ذلك؟ قال: لسوء الحساب.

٢٩٣ ـ وروى عن أبى هُرَيْره ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: **«اللّهم مَن أحبّنى فارزقه العفافَ والكَفافَ، ومن أبغضنى فأكثر ماله وولده»**[2].

٢٩٤ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: **«الفقر مشقة فى الدنيا مسرّة فى الآخرة، والغنى مسرّة فى الدنيا مشقّة فى الآخرة»**[3].

٢٩٥ ـ وروى أن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال **«إنّ لكل أحد حرفة، وحرفتى اثنتان: الفقر والجهاد، فمن أحبّهما فقد أحبنى، ومن أبغضهما فقد أبغضنى»**[4].

قال الفقيه: ينبغى للمسلم أن يحب الفقر، ويحبّ الفقراء وإن كان غنياً؛ لأنّ فى حبّ الفقراء حبّ الرسول ﷺ وقد أمر الله تعالى رسوله بحبّ الفقراء، والدنوّ منهم، وهو قوله تعالى: ﴿**وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ**﴾ [الكهف: ٢٨] الآية، يعنى أحبس نفسك مع الفقراء الذين حبسوا أنفسهم للعبادة.

وكان سببُ نزول هذه الآية[5]: أنّ عُيينة بن حصن الفزارى ـ وكان رئيس قومه ـ دخل على رسول الله ﷺ وعنده سلمان الفارسى، وصهيب بن سنان الرومى، وبلال ابن حمامة الحبشى وغيرهم من ضعفاء الصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ وعليهم

---

(١) لم أقف على إسناده.

(٢) **ضعيف جداً*** سبق تحقيقه برقم (٢٨٦).

(٣) **ضعيف*** أحمد (٥/ ٣٤٢) وعنه الحاكم (٤/ ٣١٠) والبيهقى فى «الشعب» (١٠٣٣٦) عن أبى مالك الأشعرى بلفظ «حلوه الدنيا مرة الآخرة...». انظر. الصحيحة (١٨١٧). قلت: فيه انقطاع بين شريح وأبى مالك. التهذيب (٤/ ٣٢٨).

(٤) **ضعيف*** رواه الديلمى فى «فردوس الأخبار» (٥٠٥٩).

(٥) رواه الواحدى فى «أسباب النزول» (٦٢١) فى سنده (سليمان بن عطاء الحرانى) تالف.

ثياب خلق، قد عرقوا فيها. فقال عيينة: إنّ لنا شرفاً، فإذا دخلنا عليك فأخرج هؤلاء، فإنهم يؤذننا بريحهم، أو اجعل لنا فجلسا، فنهاه الله تعالى عن إخراجهم، فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ يعنى بصلون الصلوات الخمس ويطلبون رضاه، ﴿وَلاَ تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُم تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يعنى لا تتجاوزهم، ولا تحتقرهم طلب زينة الحياة الدنيا.

وقال: ﴿وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ يعنى لا تطعْ مَن أعرضنا قلبه عن ذكرنا، عن القرآن، واتبع هواه يعنى اتبع وغى نفسه فى بغض الفقراء ﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً﴾ [الكهف: ٢٨] يعنى أمره كان ضائعاً باطلاً.

فقد أمر الله تعالى نبيّه ﷺ بمجالسة الفقراء، والقرب منهم، وهذا الأمر لجميع الفقراء المسلمين إلى يوم القيامة فينبغي للمسلم أن يحبّ الفقراء، ويبرهم. ويتّخذ عندهم الأيادى، فإنهم قوّاد الله يوم القيامة، وتُرجى شفاعتهم.

٢٩٦ ـ وري الحسن رحمه الله تعالى عن النبى ﷺقال: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيعتذر الله تعالى إليه، كما يعتذرُ الرجلُ إلى الرجل فى الدنيا، فيقول جلّ سلطانه، وعظم شأنه: وعزتى وجلالى مازويتُ الدّنيا عنك لهوانك علىّ، ولكن لما أعددتُ لك من الكرامة والفضيلة، اخرج ياعبدى إلى هذه الصفوف، وانظر مَن أطعمك فىّ، أو كساك فىّ، يريد بذلك وجهى، فخذ بيده فهو لك، والناسُ يومئذ قد ألجمهم العرق، فيتخلّل الصفوف وينظر من فعل ذلك به،فيأخذ بيده، فيدخله الجنة**»(١).

٢٩٧ ـ وروى الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**أكثروا معرفة الفقراء، واتّخذوا عندهم الأيادى. فإنّ لهم دولة**» قالوا: يارسول الله، وما دولتهم؟ قال: «**إذا كان يوم القيامة، قيل: انظروا مَن أطعمكم كسرة، وسقاكم شربة وكساكم ثوباً، فخذوا بيده، ثم امضُوا به إلى الجنة**»(٢).

قال الفقيه: اعلمْ أنّ للفقير خمس كرامات:

إحداها: أنّ ثوابَ عمله أكثر من ثواب عمل الغنى فى الصلاة والصدقة وغير ذلك.

---

(١) ورد بنحوه فى سياق بعض طرق الحديث التالى عدا« مازويت الديا عنك ...» فرواه أبو الشيخ فى «الثواب» وعنه الديلمى (٨١٣٧) وفى سنده (صالح المرى) صعيف.

(٢) موضوع* ابن عدى فى « الكامل» (٣٤٧/٦) عن ابن عباس، وأنكره وقال الذهبى فى «الميزان» (٢١٩/٤): هذا موضوع وانظر. الضعيفة (١٦١٣) وضعيف الجامع (٩٤).

والثانية: أنه إذا اشتهى شيئاً، ولم يجده، يكتبُ له الأجر.

والثالثة: أنهم سابقون إلى الجنة.

والرابعة: أنّ حسابهم فى الآخرة أقلّ.

والخامسة: أنّ ندامتهم أقلّ؛ لأنّ الأغنياءَ يتمنون فى الآخرة أن لو كانوا فقراء، ولايتمنّى الفقراء أن لو كانوا أغنياء، وفى كلّ هذا قد جاءتِ الآثارُ.

٢٩٨ ـ وروى زيد بن أسلم رضى الله تعالى عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**درهم مِن الصدقة أفضلُ من مئة ألف**» قيل: وكيف ذلك يارسول الله؟ قال: «أخرج رجلٌ من عرض ماله مئة ألف، وتصدّق بها، وأخرج رجل درهماً من درهمين لم يملك غيرهما، طيبة عن نفسه، فصار صاحبُ الدرهم أفضل من صاحب المئة ألف»[1].

٢٩٩ ـ وروى الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبي ﷺ أنه سأله بعض أصحابه: إذا رأينا أشياءَ نشتهيها لانقدُر عليها، فهل لنا فيها أجرٌ؟ قال: «**فَبِمَ تُؤجرون إن لم تُؤْجَرُوا فيها؟!**»[2].

وقال الضحاك: مَن دخل السُّوقَ، فرأى شيئاً يشتهيه، فصبر، فاحتسب، كان خيراً له من مئة ألف دينار ينفقها كلّها فى سبيل الله تعالى.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: والدليلُ على فضل الفقراء قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾[النور: ٥٦] يعنى أقيموا الصلاة إلىّ، وأدّوا الزكاة إلى الفقراء، فَقَرَنَ حقّ الفقراء بحقّ نفسه.

ويقال: الفقيرُ طبيبُ الغنى، وقَصَّاره، ورسوله، وحارسه، وشفيعه. وإنما طبيبه؛ لأنَّ الغنى إذا مرضَ يتصدّق على الفقراء، فيبرأ من مرضه.

وإنما هو قصّاره؛ لأنّ الغنى إذا تصدّق عليه، يدعو له الفقير، فيطهر الغنى من ذنوبه، ويطهر ماله.

وإنما قيل هو رسوله؛ لأنّ الغنى إذا تصدّق عن والديه، أو عن أحدٍ من أقربائه، فيصلُ ذلك إلى الموتى، فصار الفقيرُ رسوله إلى الموتى. وإنما قيل هو حارسه؛ لأن الغنى إذا تصدق، فدعا له الفقير، تحصّن مال الغنى بدعاء الفقير.

(١) حسن* النسائى (٥/ ٥٩) وابن حبان (٨٣٨) والحاكم (١/ ٤١٦) . انظر: صحيح الجامع (٣٦٠٦)
(٢) مرسل* (من أقسام الضعيف): أرسله الحسن. وكان يدلّس.

٣٠٠ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: « **ألاَ أخبركم عن ملوك الجنة؟**» فقالوا: نعم قال:« **هم الضعفاءُ المظلومون الذين لا يزوّجون المتنعّمات، ولا تفتح لهم أبواب السُّدُد، يموت أحدهم وحاجته تتلجلجُ فى صدره، ولو أقسم على الله لأبره**»(١).

وقال ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنه ـ: ملعونٌ من أكرم بالغِنى، وأهان بالفَقْر.

وعن أبى الدرداء: ما أنْصَفْنَا إخواننا الأغنياء؛ لأنّهم يأكلون ونحن نأكل، ويشربون ونحن نشرب، ويلبسون ونحن نلبس، ولهم فضولُ أموالهم ينظرون إليها، ونحن ننظرُ إليها معهم، وهم يحاسبون ونحن براء منها.

وعن شقيق الزاهد، أنه قال: اختار الفقراء ثلاثة أشياء، والأغنياء ثلاثة أشياء؛ اختار الفقراء: راحة النفس، وفراغ القلب، وخفّه الحساب، واختار الأغنياء: تعب النفس، وشغل القلب، وشدّة الحساب .

ورُوى عن حاتم الزاهد أنه قال: مَن ادّعى أربعاً من غير أربع، فهو مُكَذَّبٌ: مَن ادّعى حبّ مولاه من غير ورع عن محارمه، ومن ادّعى حبّ الجنة من غير إنفاق ماله فى طاعة الله تعالى، ومن ادّعى حبّ رسول الله ﷺ من غير اتباع سنته، ومَن ادّعى حبّ الدّرجات من غير صُحبة الفقراء والمساكين.

وقال بعض الحكماء: أربع من كُنّ فيه فهو محرومٌ منَ الخير كله؛ المتطاول على مَن تحته، والعاقّ لوالديه، ومن يحقر الفقير، ومن يعيّر المساكين لمسكنتهم .

٣٠١ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما أوحى الله تعالى إلىّ أن أجمعَ المال، وأكون من التاجرين، ولكنْ أوحى إلىَّ أن سبّح بحمد ربك، وكنْ من الساجدين، واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**»(٢).

٣٠٢ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر بإسناده، عن أبى سعيد الخُدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: يا أيها الناس، لا تحملنك العسرة والفاقة على أن تطلبوا الرزق من غير حلّه، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم توفّنى إليك فقيراً، ولا تتوفّنى غنياً، واحشرنى فى زُمرة المساكين يوم القيامة، فإنّ أشقى الأشقياء مَن اجتمع عليه فقر الدنيا، وعذاب الآخرة**» (٣).

---

(١) أورد الهيثمى فى«المجمع»(١٠/ ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦)عدة روايات لهذا الحديث، وعزاها إلى أحمد والطبرانى.

(٢) فيه ضعف* ابن عدى فى « الكامل» (٥/ ٢٥٧) وابن مردويه بسند فيه لين عن ابن مسعود، وأحمد فى «الزهد» (ص٤٦٨) وأبو نعيم فى « الحلية» (٢/ ١٣١) مرسلاً .

(٣) حسن لغيره* ابن عدى فى « الكامل»(٣/ ١٢) والبيهقى فى « الشعب» (٥٤٩٩، ١٠٥٠٦) بلفظه وفيه (خالد بن مزيد الدمشقى) ضعيف . وانظر: الإرواء (٨٦١).

وروى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه أُتى بغنائم من غنائم القادسية، فجعل يتصفّحها وينظر إليها ويبكى، فقال له عبد الرحمن بن عوف: هذا يوم السرور والفرح، وأنت تبكى يا أمير المؤمنين! قال: أجل، ولكن ما أوتى هذا قومٌ إلا أوقع بينهم العداوة والبغضاء.

٣٠٣ ـ وروى عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال: **«لكلّ أمة فتنةٌ، وإنّ فتنة أُمتى: المال»**[١].

٣٠٤ ـ وروى عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « إنّ أحبّ الخلق إلى الله الفقراء»[٢]؛ لأنه كان أحبّ الخلق إلى الله الأنبياء، فابتلاهم بالفقر.

قال: حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو الحسين الفراء بإسناده عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه قال: أوحى الله تعالى إلى موسى بن عمران: أنه يموتُ رجلٌ مِن أحبّ عبادى إلىَّ، وأحب أهل الأرض، فأته، وكفّنه، وغسّله، وقُمْ على قبره. فطلبه فى العمران فلم يجده، ثم طلبه فى الخراب فلم يقدر عليه، ثم رأى قوماً من الطيانين، فقال: هل رأيتم مريضاً هاهنا بالأمس، أو ميتاً اليوم؟ فقال بعضُهم: رأيتُ مريضاً فى الخربة، فلعلك تريده؟ قال: نعم. فذهب، فإذا هو بمريض طريح، وتحت رأسه لبنة، فلما أن عالجَ نفسه، سقط رأسه عن اللَّبنة، قال: فقام موسى فبكى، فقال: يارب، قلت: إن هذا من أحبّ عبادك إليك، فلا أرى عنده من كان يمرضه، فأوحى الله تعالى إليه: أن ياموسى، إنى إذا أحببتُ عبدى زويتُ عنه الدُّنيا كلها.

وروى عباد بن كثير، عن الحسن أنه قال: أخذ إبليسُ أول دينار ضُرِب، فوضعه على عينيه، وقال: مَن أحبّك فهو عبدى.

وروى عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب بن منبه أنه قال: وصل إبليس إلى سليمان بن داود ـ عليهما الصلاة السلام ـ على صورة شيخ، فقال له سليمان: أخبرنى بما أنتَ صانع بأمة روح الله تعالى، يعنى عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ فقال: لأدعنّهم يتّخذون إلهين من دون الله تعالى. قال: فما أنتَ صانعٌ بأُمة محمَّد ﷺ ؟ فقال: لأدعنّهم بالدينار والدرهم، حتى يكونَ ذلك أشهى عندهم

---

(١) **صحيح** * الترمذى (٢٣٣٦) والبخارى فى « الكبير» (٧/ ٢٢٢) وابن حبان (٢٤٧٠) والحاكم (٤/ ٣١٨) وأحمد (٤/ ١٦٠) والقضاعى (١٠٢٢) . انظر: الصحيحة (٥٩٢) .

(٢) **انظر** * الترغيب والترهيب للمنذرى (٤/ ٨٤ ومابعدها).

من لا إله إلا الله. قال سليمان: أعوذ بالله منك، فنظر فإذا هو قد ذَهَبَ.

قال الفقيه: الواجبُ على الفقير أن يعرفَ مِنّةَ الله تعالى، ويعلم أنه قد صرف عنه الدنيا لكرامته عليه، وأكرمه بما أكرم به الأنبياء والأولياء ـ عليهم السلام ـ ويحمد الله تعالى، ولا يجزع فى ذلك، ويصبر على مايصيبه من ضيق العيش، ويعلم أن ما وعد الله فى الآخرة خير له مما صرف عنه فى الدنيا، ولو لم يكن للفقر فضيلة سوى أنه حرفة رسول الله ﷺ واقتداء به لكان عظيماً.

٣٠٥ ـ قال الفقيه: حدثنا الثقة بإسناده، عن طاووس، عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: بينما رسول الله ﷺ جالس، وقد نزل ملك ومعه جبريل ـ عليه السلام ـ، قال جبريل: هذا ملك قد نزل من السماء، لم ينزل قط، استأذن ربه فى زيارتك، فلم يمكثْ إلا قليلاً حتى جاء الملك، فقال: السلام عليك يارسول الله. فقال: «وعليك السلام». قال الملك: فإن الله تعالى يخبرك أنه يعطيك خزائنَ كلّ شىء، ومفاتيح كلّ شىء، لم يعطه أحداً قبلك، ولا يعطيه أحداً بعدك، من غير أن ينقصك مما ادّخر لك شيئاً، أو يجمعها لك يوم القيامة. فقال النبى ﷺ: «**بل يجمعها لى يوم القيامة**»[1].

٣٠٦ ـ وعن صفوان بن سُليم، عن عبد الوهاب بن نجيد أن النبى ﷺ قال: «**عُرِض علىّ بطحاءُ مكة ذهباً، قلت: يارب، أشبع يوماً، وأجوع يوماً، فأحمدك إذا شبعت وأتضرّعُ إليكَ إذا جعتُ**»[2].

***

باب رفض الدّنيا

٣٠٧ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا محمَّد بن عقيل، حدثنا محمد بن إسماعيل الصائغ، حدثنا الحجاج، حدثنا شعبة، عن عمر بن سليمان، عن عبد الرحمن بن أبان، عن أبيه، عن زيد بن ثابت ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال:

«**من كانت نيته الآخرة جَمَعَ الله شمله، وجعل غناه فى قلبه، وأتته الدنيا وهى**

(١) عزاه المنذرى فى «الترغيب» (٤/ ١١٢) بنحوه إلى الطبرانى بإسناد حسن، والبيهقى فى «الزهد».

(٢) ضعيف جداً: ابن المبارك فى «الزهد» (١٩٦ زوائد) وعنه أحمد (٥/ ٢٥٤) والترمذى (٢٣٤٧) والبيهقى فى «الشعب» (١٤٦٧، ١٠٤١٠) عن أبى أمامة. انظر: ضعيف الجامع (٣٧٠٤).

راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرّق الله أمره، وجَعَل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ماكتب الله له»[1].

٣٠٨ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا محمد بن عقيل، حدثنا محمد بن على، حدثنا أبو عثمان النهدى، حدثنا عمر بن زياد الأرجانى، عن الأسود بن قيس، قال: سمعتُ جندباً قال: دخل عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ على النبى ﷺ وهو على حصير، وقد أثر بجنبيه الشريط، فبكى عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقال النبى ﷺ « **ما يبكيك ياعمر؟** » قال: ذكرتُ كسرى وقيصر وماكانا فيه من الدنيا، وأنت رسول الله ﷺ فقد أثّر بجنبك الشريط، فقال النبى ﷺ: «**أولئك عُجِّلَتْ لهم طيباتُهم فى حياتهم الدنيا، ونحن قوم أُخِّرتْ لنا طيباتُنا فى الآخرة**»[2].

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا على بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يعلى، حدثنا إسماعيل، عن ذر، عن وليد، قال: قال علي ـ رضى الله تعالى عنه ـ: إنما أخشى عليكم اثنتين: طول الأمل، واتباع الهوى فإنَّ طولَ الأمل ينسى الآخرة، واتباع الهوى يضلّ عن الحق. وإنّ الدّنيا قد ارتحلّت مدبرة، والآخرة قد أطلّتْ مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عمل ولا حساب، وإنَّ غدا حساب ولا عمل، يعنى أكثروا من العمل فى هذا اليوم، فإنكم لاتقدرون غداً على العمل.

٣٠٩ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا الثقة بإسناده عن الحسن البصرى، قال: طلبت خطبة النبى ﷺ التى كان يخطب بها كل جمعة أربع سنوات، فلم أقدْر عليها، حتى بلغنى أنها عند رجل من الأنصار فأتيتُه، فإذا هو جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ فقلت له: أنت سمعتَ خطبةَ النبى ﷺ التى كان يخطب بها كل جمعة؟ قال: نعم. سمعته يقول ﷺ:

«أيها الناس إنّ لكم معالمَ فانتهوا إلى مغالمكم، وإنّ لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، وإنّ العبدَ المؤمن بين مخافتين: بين أجَل قد مضى لايدرى ما الله صانع به، وبين أجَلٍ قد بقى لا يدرى ما الله قاض فيه، فليتزود العبدُ من نفسه لنفسه، ومن حياته لموتهّ، ومن شبابه لكبره، ومن دنياه لآخرته، فإنّ الدّنيا خُلَقَتْ لكم وأنتم خُلُقْتم للآخرة فوالذى نفسى بيده ما بعدَ الموت من مستعتب، ولا بَعد الدنيا دار إلا الجنة

(١) صحيح * ابن ماجه (٤١٠٥) وابن أبى الدنيا فى « دم الدنيا» (٣٥٢) انظر: صحيح الجامع (٦٥١٦).
(٢) متفق عليه * البخارى (٨/ ٤٩١٣) ومسلم (٢/ ١٤٧٩ ـ ٣١) بنحوه عن ابن عباس.

أو النار، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم»[1].

وذكر عن سَهْل بن عبد الله التُّسْتَرى: أنه كان ينفق ماله فى طاعة الله تعالى، فجاءت أمّه وإخوته إلى عبد الله بن المبارك يشكونه، وقالوا: إنّ هذا لا يمسك شيئاً، ونخشى عليه الفقر، فأراد عبدُ الله أن يعينهم عليه، فقال له سهل: يا أبا عبدالرحمن، أرأيت لو أنّ رجلاً من أهل المدينة اشترى ضيعة برستاق، وهو يريد أن يتحوّل من المدينة إليها أيخلّف بالمدينة شيئاً، وهو يسكن الرستاق؟ قال عبد الله: خَصَمَكُم. يعنى أنه إذا أراد أن يتحوّل إلى الرستاق لا يترك فى المدينة شيئاً، فالذى يريد أن يتحوّل من الدنيا إلى الآخرة كيف يترك فى الدنيا شيئاً؟

قال الفقيه: من كان عاقلاً فإنه يرضى بالقوت من الدنيا، ولا يشتغل بالجمع ويشتغل بعمل الآخرة؛ لأنّ الآخرةَ هى دارُ القرار ودار النعيم، والدّنيا دار فناء وهى غدارة منتنة.

وروى جويبر عن الضحاك قال[2]: لما أهبط الله آدمَ وحواء إلى الأرض، ووجدا ريحَ الدنيا، وفقدا رائحة الجنَّة، غشى عليهما أربعين صباحاً من نتن الدنيا.

٣١٠ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ياعجباً كلّ العجب للمصدّق بدار الخلود وهو يعمل لدار الغرور**»[3].

٣١١ ـ وروى محمَّد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: ـ شهدت مجلساً من مجالس رسول الله ﷺ، إذ أتاه رجل أبيض الوجه، حسن الشعر واللون، عليه ثياب بيض، فقال: السلام عليكم يارسول الله فقال النبى ﷺ: « **وعليك السلام ورحمة الله**» فقال: يارسول الله، ما الدنيا؟ قال: «**حلم المنام، وأهلها مجازون ومعاقبون**» قال: يارسول الله، وما الآخرة؟ قال «**الأبد، فريق فى الجنة وفريق فى السعير**» فقال: يارسول الله، وما الجنة؟ قال: « **بذل الدنيا لتاركها بنعيمها أبداً**» قال: فما جهنم؟ قال: « **بذل الدنيا لطالبها لا يفارقها أهلها أبداً**» قال: فمنْ خير هذه الأمة؟ قال: «**الذى يعمل فيها بطاعة الله تعالى**». قال: فكيف يكون الرجل فيها؟ قال: « **مشمراً كطالب القافلة**» قال. : فكم القرار بها؟

---

(١) البيهقى فى « الشعب» (١٠٥٨١). والحسن لم يسمع من جابر . المراسيل (٣٩) .

(٢) ضعيف جداً * فيه (جويبر بن سعيد الأزدى) ضعيف جداً . « التقريب » .

(٣) موضوع* ابن أبى الدنيا فى « ذم الدنيا» (١٤) والقضاعى فى « مسند الشهاب » (٥٩٥) عن عبد الله بن المسور الكذاب .انظر : الضعيفة (١٠٧٨).

قال: « **كقدر المتخلّف عن القافلة**». قال: فكم ما بين الدنيا والآخرة؟ قال: «**كغمضة عين**» قال : فذهب الرجل فلم يُرَ. فقال رسولُ الله ﷺ : « **هذا جبريلٌ أتاكم ليزهّدكم فى الدنيا، ويرغّبكم فى الآخرة**»(١).

وذُكر أن إبراهيم خليل الرحمن ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قيل له: بأى شىء اتخذك الله خليلاً ؟ قال: بثلاثة أشياء.

أولها: ماخيّرتُ بين أمرين إلا اخترت الذى لله على غيره .

والثانى: ما اهتممتُ فيما تكفلّ الله لى فى أمر رزقى .

والثالث: ماتغدّيت وما تعشّيت إلا مع الضعيف.

قال بعضُ الحكماء: حياة القلب فى أربعة أشياء: العلم، والرضا ، والقناعة، والزهد. فالعلم يرضيه، وبالرضا يبلغ هذه الدرجة، فإذا بلغ درجة الرضا وصل إلى القناعة، توصله القناعة إلى الزهد، وهو التهاون بالدنيا.

قال: والزهد ثلاثة أشياء:

أولها: معرفة الدنيا، ثم الترك لها.

والثانى: خدمة المولى، ثم الأدب فيها.

والثالث: الشّوق إلى الآخرة، ثم الطلب لها.

وعن يحيى بن معاذ الرازى قال: الحكمةُ تهوى من السماء إلى القلوب، فلا تسكن فى قلب فيه أربع خصال: الركون إلى الدنيا، وهَمّ غد، وحسد أخ،وحبّ شرف.

وذُكر أيضاً عن يحيى ـ قدّس الله تعالى روحه ـ، قال: العاقلُ المصيبُ مَن عمل ثلاثاً: تَرَكَ الدُّنيا قبل أن تتركه، وبنى قبراً قبل أن يدخل فيه، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه.

ورُوى عن علّى بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: مَن جَمَعَ ستّ خصال لم يدع للجنة مطلباً، ولا عن النار مهرباً، يعنى لم يترك الجهد فى طلب الجنة، والهرب من النار، وهى: عرف الله تعالى فأطاعه، وعرفَ الشيطان فعصاه، وعرفَ الحقّ فاتبعه، وعرفَ الباطل فاتّقاه، وعرف الدّنيا فرفضها، وعرف الآخرةَ فطلبها.

---

(٢) **لا أصل*** قاله الحافظ العراقى فى « تخريج الإحياء» (٣/ ٢١٠)

٣١٢ ـ وروى جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **ياعلى أربعة خصال من الشقاء: جمود العين، وقساوة القلب، وحبّ الدنيا، وبُعْد الأمل** »(١).

٣١٣ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال قال: « لو كانت الدُّنيا تزنُ عند الله جناحَ بعوضة ماسقى كافراً منها شربة ماء»(٢).

٣١٤ ـ وروى عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن عثمان قال: بينما رسول الله ﷺ أدلج ليلةً من اليالى، وصلَّى صلاة الصبح فى دمنه الحى، يعنى مزبلة القبيلة، فرأى سخلةً تنفّس فى سلاها ـ يعنى تتحرك الدودة فى جلدها ـ فنظر إليها رسول الله ﷺ فأمسك ناقته حتى قام القوم فقال: « **أترون أهل هذه الدمنة أغنياء عن سخلتهم هذه، وقد هانت عليهم؟** » فقالوا: بلى يارسول الله. قال: «**والذى نفس محمد بيده للدنيا أهون على الله من هذه السخلة على أهلها**» (٣).

٣١٥ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **الدّنيا سجنُ المؤمن، والقبرُ حصنه، والجنة مأواه. والدُّنيا جنّة الكافر، والقبرُ سجنه، والنار مأواه**»(٤).

قال الفقيه: معنى قوله ﷺ « **الدنيا سجن المؤمن** » أن المؤمن، وإن كان فى النعمة والسعة، فهو بجنب ما أنعم الله تعالى عليه فى الجنة كأنه فى السجن، لأن المؤمن إذا حضرته الوفاة عرضت عليه الجنة، فإذا نظر إلى ما أعدّ الله له من الكرامة عرف أنه كان فى السجن. وأما الكافر إذا حضرته الوفاة عرضت عليه النار، فإذا نظر إلى ما أعدّ الله له من العقوبة عرف أنه كان فى الجنة.

فمن كان عاقلاً لا يكونُ مسروراً فى السّجن، ولا يطلبُ الراحةَ. فينبغى للعاقل أن ينظرَ إلى الدنيا، ويتفكّر فيما ضرب للدنيا من الأمثال؛ لأن الله تعالى ضرب للدنيا مثلاً، والنبى ﷺ ضرب لها مثلاً، والحكماء ضربوا لها أمثالاً، والأشياء تصيرُ واضحةً بالأمثال.

---

(١) منكر* فيه إنقطاع، ورواه ابن عدى فى « الكامل» (٣/ ٢٤٨) وأبو نعيم فى « الحلية» (٦/ ١٧٥) وفى «أخبار أصبهان» (١/ ٢٤٦) والبزار (٣٢٣ ـ كشف) وأورده ابن الجوزى فى «الموصاعات» (٣/ ١٢٥) والذهبى فى «الميزان» (٤/ ٢٩١ وقال: منكر) من طرق عن أنس. انظر: تنزيه الشريعة (٢/ ٣٠١) والضعيفة (١٥٢٢).

(٢) صحيح* الخطيب فى «التاريخ» (٤/ ٩٢) والقضاعى فى « الشهاب» (١٤٣٩) عن ابن عمر، وله شواهد عن سهل بن سعد وابن عباس وغيرهما انظر . الصحيحة (٦٨٦، ٩٤٣).

(٣) صحيح لغيره* له شاهد عن جابر. أخرجه مسلم (٤/ ٢٩٥٧).

(٤) صحيح* بلفظ « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» أخرجه مسلم (٤/ ٢٩٥٦) وغيره.

قال الله تعالى عز من قائل: ﴿إنما مَثَلُ الحَيَاة الدُّنْيَا﴾ يعنى مثل الدنيا فى فنائها وزوالها ﴿ كَمَاء﴾ يعنى كمطر ﴿ أَنْزَلْنَاهُ منَ السَّمَاء﴾ يعنى أنزل الله تعالى من السماء ماء﴿ فَاخْتَلَطَ بهِ نَبَاتُ الأَرْضِ﴾ يعنى اختلط الماء بنبات الأرض؛ يعنى أنّ الماء يدخلُ فى الأرض فينبت النبات ﴿ممَّا يأكُلُ النَّاسُ﴾ من الحبوب ﴿ وَالأنْعَام﴾ يعني مما يأكل الأنعام من الكلأ والحشيش﴿حَتَّى إذَا أَخَذَت الأَرْض زُخْرُفَهَا﴾ يعنى زينتها وحُسْنَها ﴿وَازَّيَّنتْ﴾ يعنى تزيّنت الأرضُ بنباتها وحَسنت بألوان من النبات ﴿وَظَنَّ أَهْلُهَا﴾ يعنى حسب أهل الزرع والنبات ﴿أَنَّهُمْ قَادرُونَ عَلَيْهَا﴾ يعنى على غلاتها وأنها ستتم لهم ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ يعنى عذاب الله﴿لَيْلاً أَوْ نَهَاراً﴾ يعنى بالليل أو بالنهار ﴿فَجَعَلْنَاهَا حَصيداً﴾ يعنى مستأصلاً ﴿كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بَالأَمْسِ﴾ يعني صارت كأن لم تكن. فكذلك الدنيا وما فيها لا تبقى كما لا يبقى الزرع﴿كَذَلكَ نُفَصِّلُ الآيات﴾ يعنى الأمثال﴿لقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤] فى أمر الدنيا والآخرة أنّ الدنيا تفنى والآخرة تبقى.

٣١٦ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قدم عليه من أرض الشام، فسأله عن أرضهم، فأخبره عن سعة أرضهم وكثرة النعيم فيها. فقال رسول الله ﷺ: «**كيف تفعلون؟**» قال: إنا نتّخذُ ألوانا من الطعام ونأكلها قال: «**ثم تصير إلى ماذا؟**» قال: إلى ماتعلمُ يارسول الله، يعنى تصير بولاً وغائطاً، فقال النبى ﷺ: « فكذلك مثل الدنيا»(١).

وروى عن يحيى بن معاذ الرازى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: الدنيا مزرعة ربِّ العالمين، والناس فيها زرعه، والموت منجله، وملك الموت حاصده، والمقبرة مدراسه، والجنة والنار بيت أهوائه، فريقٌ فى الجنة وفريقٌ فى السعير.

وذُكر عن لقمان الحكيم أنه قال لابنه: يابنى إنّ الدنيا بحرٌ عميق قد غرق فيها كثيرٌ من الناس، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى. قال بعضهم:

ففى هذه الأعمال الصالحة بضاعتك التى تحمل فيها، والحرص عليها ربحك، والأيامَ مَوْجها، والتوكل ظلّها، وكتاب الله دليلها، وردّ النفس عن الهوى حبالها، والموت ساحلها، والقيامة أرضُ المتجر التى تخرجُ إليها، والله مالكها.

وروى عن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: بلغنا أنّه يُجاء بالدنيا يوم القيامة تتبختر فى زينتها وبهجتها، فتقول: يارب اجعلنى لأحسن عبادك داراً،

(١) حسن* أنظر صحيح الجامع (٢١٩٥) والصحيحة (٣٨٢)

فيقول الله عز وجل: لا أرضاك داراً لهم ، أنت لا شيء، كونى هباءً منثوراً، فتصيرُ هباءً منثوراً.

وذُكِر عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: يؤتى بالدنيا يوم القيامة على صورة عجوز شمطاءَ رزقاءَ بادية أنيابُها مشوّهة خَلْقُها، لا يراها أحدٌ إلا كرهها، فتشرف على الخلائق، فيقال لهم: أتعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفتها فيقال: هذه الدنيا التى تفاخرتم بها، وتقاتلتم عليها.

قال الفقيه: لا يكون لها عذاب، لأنه لا ذنبَ لها، ولكنها تُلقى فى النار لكى يراها أهلها فيرون هوانها، كما أنّ الأوثان جُعلت فى النار وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ الله حَصَبُ جَهَنَّم أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] ولا يكون للأوثان عقوبةً، ولكن لزيادة العقوبة والحسرة لأهلها، وكذلك الدُّنيا جُعِلت فى النار لزيادة العقوبة والحسرة لأهلها؛ لتكونَ لهم زيادة الحسرة.

فينبغى للمؤمن أن يعملَ للآخرة، ولا يشتغل بالدنيا إلا مقدار مالابد له منها من غير أن يتعلّق قلبه بها.

وروى عن عيسى ابن مريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ أنه قال: عجباً لكم! تعملون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بغير عمل، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا تُرزقون فيها بغير عمل.

٣١٧ ـ وروى أبو عبيدة الأسدى عن رسول الله ﷺ أنه قال **«من أُشرب قلبه حبّ الدنيا التاط قلبه منها بثلاثة: شغل لا ينفكّ عناؤة، وأمل لا يبلغ منتهاه، وحرص لا يدرك عَناه. والدُّنيا طالبة ومطلوبة، والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلبَ الآخرة طلبته الدُّنيا حتى يستوفى منها رزقه، ومَن طلبَ الدنيا طلبته الآخرة حتى يأتيه الموت، فيأخذه بغتة»**(١).

وروى إبراهيم بن يوسف، عن كنانة، قال: بلغنى عن أبى حازم أنه قال: وجدتُ الدُّنيا شيئين؛ شيئاً منها هو لى لا يفوتنى، وشيئاً منها لغيرى فلا أدركه، لأنّه منعَ الذى لى من غيرى كما منعَ الذى لغيرى منى، ففى أى هذين أفنى عمرى؟

ووجدتُ ماأعطيت من الدنيا شيئين: شيئاً منها يأتى أجله قبل أجلى فأغلب عليه،

(١) حسن * أبو نعيم فى « الحلية» (٨/ ١٢٠) والطبرانى عن ابن مسعود حسَّنه العراقى فى « تخريج الإحياء» (٢١٨/٤) . وانظر : المجمع (٢٤٩/١٠).

وشيئاً منها يأتى أجلى قبل أجله فأموت وأتركه لغيرى، ففى أى هذين أعصى ربى؟

٣١٨ ـ وروى الأعمش، عن أبى سفيان بإسناده، عن أشياخه قال: دخل سعد بن أبى وقاص على سلمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ يعوده وهو مريض، فبكى سلمان، فقال له سعد: ما يبكيكَ يا أبا عبد الله؟ توفى رسولُ الله ﷺ وهو عنك راضٍ، فقال سلمان: أمَا إنّى لا أبكى جزعاً من الموت، ولا حرصاً على الدنيا، ولكنّ رسولَ الله ﷺ عهد إلينا عهدا، فقال: «**ليكن بلغة أحدكم فى الدنيا مثل زاد الراكب**» وحولى هذه الأساود. قال: وإنما كان حوله إجانة وجفتة ومطهرة، فقال سعد: يا أبا عبدالله. اعهد إلينا عهداً فنأخذه بعدك، فقال: ياسعد اذكر الله تعالى عند همّك إذا هممت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند برّك إذا أقسمت(١).

٣١٩ ـ وروى جويبر عن الضحاك عن رسول الله ﷺ أنه قيل له: يارسول الله، من أزهد الناس؟ قال: «**من لم ينس المقابر والبلى، وترك فضول زينة الدنيا، وآثر مايبقى على مايفنى، ولم يعدّ من أيامه غداً، وعد نفسه من الموتى**»(٢).

قال الحكيم حاتم اللفاف: أربعة طلبناها فأخطأنا طرقها: طلبنا الغنى فى المال؛ فإذا هو فى القناعة، وطلبنا الرّاحةَ فى الكثرة؛ فإذا هى فى القلّة، وطلبنا الكرامةَ فى الخلق؛ فإذا هى فى التقوى، وطلبنا النعمة فى الطعام واللباس؛ فإذا هى فى الستر والإسلام، يعنى فيما يستر الله من العيوب.

٣٢٠ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَن أصبح والدُّنيا أكبر همّه يلزم الله تعالى قلبه ثلاث خصال: همّ لا ينقطع عنه أبداً، وشغل لا يتفرغ منه أبداً، وفقر لا يبلغٌ منتهاه أبداً**»(٣).

وروى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: ما أحدٌ أصبح اليوم فى الناس إلا وهو ضيف وماله عارية، فالضّيف مرتحل، والعارية مؤداة.

قال الفُضيل بن عياض رحمه الله تعالى: جُعِل الشرُّ كلُّه فى بيت واحد، وجُعل مفتاحه حبّ الدنيا وجعل الخيرُ كلّه فى بيت واحد، وجُعِل مفتاحه الزهد فى الدنيا.

---

(١) **صحيح*** أحمد (٥/٤٣٨) وابن ماجة (٤١٠٤) وابن المبارك(٩٦٦، ٩٦٧) والحاكم (٣١٧/٤) وابن حبان (٢٤٨٠) وأبو نعيم (١/ ١٩٥ ـ ١٩٧) والبيهقى فى «الشعب» (١٠٣٩٥، ١٠٣٩٦) من طرق.

(٢) **ضعيف*** فيه علتان: ضعف جويبر، وإرسال الضحاك. وانظر: الضعيفة. (١٢٩٢)

(٣) **منكر*** الديلمى فى «الفردوس» (٦٢٢٧) عن ابن عمر فى سنده (شقيق بن إبراهيم البلخى) منكر الحديث كما فى «الميزان» ٢/ ٢٧٩ و(عبد العزيز بن أبى رواد). صدوق عابد، ربماوهم.

٣٢١ ـ وروى ثابت عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «قال الله تعالى: يفرحُ عبدى المؤمن إذا بسطتُ له شيئاً من الدنيا، وذلك أبعدُ له منى، ويحزن إذا قتّرتُ عليه الدنيا، وذلك أقرب له منى»، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ. نُسَارِعُ لَهُمْ فِى الْخَيْرَاتِ بَلْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾[المؤمنون: ٥٥ ، ٥٦](١) أى لا يعلمون أن ذلك فتنة لهم.

٣٢٢ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: خرج رسولُ الله ﷺ يوماً وهو آخذٌ بيد أبى ذر فقال: « **يا أبا ذر إنّ بين يديك عقبة كؤداً، لا يصعدها إلا المخفّفون**» قال: يارسول الله، أنا من المخففين أو من المثقلين؟ قال: «**أعندك طعام يومك؟**» قال: نعم. قال: « **وطعام غدك؟**» قال: نعم. قال: «**وطعام بعد غد؟**» قال: لا. قال: « **فلو كان عندك طعام ثلاثة أيام كنت من المثقلين** » (٢).

***

باب الصّبر على البلاء والشّدّة

٣٢٣ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبوجعفر، حدثنا محمد بن عقيل، حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا ابن لهيعة، عن قيس بن الحجاج، عن حنش الصنعانى، عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « **ياغلام أو ياغليم ألاَ أُعلِّمك كلمات ينفعك الله بهن؟**».

قلت: بلى يارسول الله.

قال: «**احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده أمامك، تعرّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدةَ، إذا سألت فاسأل اللهَ، وإذا استعنتَ فاستعنْ بالله، قد جفّ القلمُ بما هو كائن. فلو أنّ الخلق كلهم أرادوا أن ينفعوك بشىء لم يقدّره الله لك، لم يقدروا عليه. وإن أرادوا أن يضرّوك بشىء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه. اعمل لله بالشكر واليقين، واعلمْ أنّ فى الصبر على ماتكره خيراً كثيراً، وأنّ النّصر مع الصبر، وأن الفرجَ مع الكرب، وأن مع العسر يسراً**»(٣).

---

(١) عزاه السيوطى فى « الدر المنثور» (٦/ ١٠٤) إلى ابن أبى حاتم موقوفاً على يزيد بن ميسرة.

(٢) **صحيح لغيره*** ابن المبارك فى « الزهد» (١٠٦٤) والبيهقى فى «الشعب» (١٠٤٠٧) فى سنده (الحارث بن النعمان الليثى) ضعيف. وله شاهد عن أبى الدرداء. انظر صحيح الجامع (٢٠٠١).

(٣) **حسن صحيح** * أحمد (١/ ٢٩٣، ٣٠٧) والترمذى (٢٥١٦) وابن أبى عاصم فى « السنة» (٣١٦، ٣١٨).

قال: حدثنا أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو النصر بن محمد بن نصرويه، حدثنا أبو شهاب معمر بن محمد، حدثنا مكى بن إبراهيم، حدثنا بشر بن الزيات، عن الأعمش وخطاب وعنبسة ونحو من خمسين شيخاً، كلّهم يسندون هذا الحديث إلى أمير المؤمنين على ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: أيها الناس احفظوا عنى خمساً: احفظوا عنى اثنتين، وواحدة؛ ألا لا يخافنَّ أحد منكم إلا ذنبه، ولا يرجُ إلا ربه، ولا يستحِ منكم آحدٌ إذا لم يعلمْ أن يتعلّم، ولا يستح أحدٌ منكم إن سُئِل وهو لا يعلم ؛ أن يقولَ لا أعلم. واعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأسُ الجسدَ فَسَدَ الجسدُ، وإذا فارق الصبرُ الأمورَ فسدتِ الأمورُ.

ثم قال رضى الله تعالى عنه: ألاَ أدلّكم على الفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلى يا أمير المؤمنين. قال: من لم يؤيس الناس من روح الله، ومن لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى، ومن لم يؤمن الناس من مكر الله، ومن لم يزيّن للناس معاصى الله. ولا ينزل العارفين الموحّدين الجنة، ولا ينزل العاصين المذنبين النار حتى يكون الرب هو الذى يقضى بينهم، ولا يأمنن خير هذه الأمة من عذاب الله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ الله إلاَّ الْقَوْمُ الخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] ولا ييأس شر هذه الأمة من روح الله، الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّه لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ الله إلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا الحكم بن يعقوب، عن عيسى بن المسيب، عن يزيد الرقاشى، قال: إذا أُدْخِلَ الرجلُ القبرَ قامت الصلاة عن يمينه، والزكاة عن شماله، والبرّ يظلّ عليه، والصبر يحاجّ عنه، يقول: دونكم صاحبكم، فإن حججتم؛ وإلا فأنا من ورائه. يعنى إن استطعتم أن تدفعوا عنه العذاب، وإلا أنا أكفيكم ذلك، وأدفع عنه العذاب[1].

ففى هذه الأخبار دليلٌ على أنّ الصبّرَ أفضلُ الأعمال، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يُوَفّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[الزمر: ١٠].

٣٢٤ ـ وروى ابن أبى روّاد، عن محمد بن مسلم يرفعه إلى النبى ﷺ أن رجلاً قال: يارسول الله، ذهبَ مالى، وسقم جسمى فقال النبى ﷺ: « **لاخيرَ فى عبد لا يذهبُ ماله، ولا يسقم جسمه: إنّ الله إذا أحبّ عبداً ابتلاه، وإذا ابتلاه صبّره**»[2].

---

(١) **ضعيف مقطوع*** عيسى بن المسيب.يزيد الرقاشى: كلاهما ضعيف.

(٢) مرسل (**من أقسام الضعيف**)* وعزاه العراقى فى « تخريج الإحياء» (١٢٨/٤) إلى ابن أبى الدنيا فى «المرض والكفارات» عن أبى سعيد الخدرى وقال: بإسناد فيه لين.

وعن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: أيّما رجل حبسه السلطان ظلماً؛ فمات فى حبسه فهوشهيد، فإن ضربه فمات فهو شهيد.

٣٢٥ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ الرجلَ لتكون له الدرجة عند الله لا يبلغها بعمله؛ حتى يُبتلى ببلاء فى جسمه، فيبلغها بذلك**»(١).

٣٢٦ ـ وروى فى الخبر أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء: ١٢٣] قال أبو بكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ: يارسول الله؛ كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله ﷺ: «**غَفَرَ الله لك يا أبا بكر ألست تمرض؟ أليس يصيبك الأذى؟ أليس تنصب؟ أليس تحزن؟ فهذا ماتجزون به**»(٢) يعنى أن جميع ما يصيبك يكون كفارة لذنوبك.

٣٢٧ ـ وروى عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال: لما نزلت هذه الآية خرج علينا رسول الله ﷺ وقال: «**قد أنزلت علىّ آيةٌ، هى خيرٌ لأمتى من الدنيا ومافيها**» ثم قرأ هذه الآية: ﴿**مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ**﴾ [النساء: ١٢٣] ثم قال: «**إن العبد إذا أذنب ذنباً، فتصيبه شدة أوبلاء فى الدنيا، فالله أكرم من أن يعذّبه ثانياً**»(٣).

قال الفقيه: اعلم أنّ العبدَ لايدرك منزلة الأخيار إلا بالصبر على الشدة والأذى، وقد أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالصبر، فقال: ﴿**فَاصْبِرْ كَمَا صبر أُوْلُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ**﴾ [الأحقاف: ٣٥].

٣٢٨ ـ وروى عن خباب بن الأرت ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: أتينا رسول الله ﷺ وهو متوسّد بردائه فى ظلّ الكعبة، فشكونا إليه. فقلنا: يارسول الله ألا تدعو الله؟ ألا تستنصر الله لنا؟ فجلس محمراً لونه، ثم قال: «**إنّ مَنْ كان قبلكم كان يُؤتى بالرجل؛ فيحفر له فى الأرض حفرة، ويُجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه، فيجعل فرقتين؛ مايصرفه ذلك عن دينه**»(٤).

---

(١) **حسن لغيره*** أبو يعلى، ابن حبان (٦٩٣) والحاكم(١/ ٣٤٤) وعنه البيهقى فى «الشعب»(٩٨٥٥) عن أبى هريرة. وانظر: الإحياء (٤/ ١٢٨) والمجمع (٢/ ٢٩٢) وصحيح الجامع (١٦٢٥).

(٢) **ضعيف*** أحمد (١/ ١١) وابن حبان (١٧٣٤، ١٧٣٥) والحاكم (٣/ ٧٤) والطبرى (٥/ ١٨٨) والبيهقى فى «السنن» (٣/ ٣٧٣)وفى «الشعب»(٩٨٠٥) وذكره ابن أبى حاتم (٢/ ٩٦) والدارقطنى (١/ ٢٨٤) كلاهما فى «العلل» وفيها إنقطاع وخولف فى إسناده. وانظر: الإحياء(٤/ ١٢٩).

(٣) **ضعيف*** الترمذى (٢٦٢٦) وابن ماجة (٢٦٠٤) والحاكم (٢/ ٤٤٥،٤/ ٢٦٢) بنحوه. انظر: ضعيف الجامع (٥٤٢٣).

(٤) **صحيح*** البخارى (٦/ ٣٦١٢وأطرافه) وأبو داود (٢٦٤٩) وأحمد (٥/ ١٠٩).

٣٢٩ ـ وروى عن حميد عن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «**يؤتى يوم القيامة بأنعم أهل الأرض، فيغمس فى النار غمسةً فيخرج أسودَ محترقاً، فيقال له: هل مرّ بك نعيمٌ قط إذ كنتَ فيها؟ فيقول: لا، لم أزل فى هذا البلاء منذ خلقتنى. ويُؤتى بأشد أهل الدنيا بلاء فيغمس فى الجنة غمسةً، يعنى يدخل فيها ساعة، فيخرج كأنه القمر ليلة البدر. فيقال: هل مرّبك شدّة قط؟ فيقول: لا. لم أزل فى هذا النعيم منذ خلقتنى**»(١).

وروى سعيد بن جبير عن ابن عباسٍ رضى الله تعالى عنهما،عن النبى ﷺ أنه قال: «**أول من يُدعى إلى الجنة الحمَّادون لله،الذين يحمدون الله على السرّاء والضرّاء**»(٢).

فالواجب على العبد أن يصبرَ على مايصيبه من الشدّة، ويعلم أن مادفعَ الله عنه من البلاء أكثر مما أصابه، ويحمد الله تعالى على ذلك، وينبغى للعبد أن يقتدى بنبيه ﷺ، وينظر إلى صبره على أذى المشركين.

٣٣٠ ـ وروى عمرو بن ميمون عن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلّى عند البيت، وأبو جهل وأصحابه جلوس، وقد نحرت جزورٌ بالأمس، فقال أبو جهل لعنة الله عليه: أيكم يقوم إلى سلا الجزور، فيلقيه على كتف محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه، فلما سجد النبى ﷺ وضعهِ بين كتفيه فاستضحكوا، وأنا قائمٌ أنظر. قلتُ: لو كان لى منعةٌ لطرحته عن ظهر رسول الله ﷺ والنبى ﷺ ساجد مايرفع رأسه؛ حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة ـ رضى الله تعالى عنها ـ وجاءت، وهى جويرية، فطرحته ثم أقبلت عليهم تشتمهم .

فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته رفع صوته، فدعا عليهم، فقال: «**اللهم عليك بقريش**»ثلاث مرات،فلما سمعوا صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك،وخافوا دعوته، فقال: « **اللهم عليك بأبى جهل، وعقبة، وعتبة، وشيبة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف**».

قال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ : والذى بعث محمداً بالحق، لقد رأيت الذين سمّاهم صرعى يوم بدر(٣).

---

(١) **صحيح*** أحمد (٣/٢٠٣) وابن ماجه (٤٣٢١) والأصبهانى (١٠٢٦) بلفظه ومسلم (٢٨٠٧/٤) بنحوه.

(٢) **ضعيف*** الطبرانى(٢٨٨ ـ الروض) وابن أبى الدنيا فى «الصبر» والحاكم (٥٠٢/١) والبيهقى فى « الشعب» (٤٣٧٣، ٤٣٧٤، ٤٤٨٣، ٤٤٨٤). انظر: الضعيفة (٦٣٢).

(٣)**متفق عليه*** البخارى (٥٢٠) ومسلم (١٧٩٤/٣).

وروى عبد الله بن الحرث عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: شكا نبى من الأنبياء إلى ربه، فقال: يارب، العبد المؤمن يطيعك ويجتنب معاصيك تزوى عنه الدنيا وتعرض له البلاد، ويكون العبد الكافر لا يطيعك ويجترىء على معاصيك تزوى عنه البلاد وتبسط له الدنيا! فأوحى الله تعالى إليه: إنّ العباد لى، والبلاء لى، وكل يسبح بحمدى، فيكون المؤمن عليه من الذّنوب، فأزوى عنه الدنيا، وأعرض له البلاء، فيكون كفّارة لذنوبه حتى يلقانى، فأجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له فى الرزق، فأزوى عنه البلاء حتى يلقانى فأجزيه بسيئاته.

٣٣١ ـ قال: حدثنا أبو أحمد عبد الوهاب بن محمد الفضلانى بسمرقند بإسناده عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ. **« إذا أراد الله بعبد خيراً، أو أراد أن يصافيه صبّ عليه البلاء صباً، وثجّه عليه ثجّاً، وإذا دعاه قالت الملائكة: يارب صوتٌ معروف. فإذا دعاه الثانية فقال: يا ربّ. قال الله تعالى: لبيك عبدى وسعديك، لا تسألنى شيئاً إلا أعطيتك أو دفعتُ عنك ماهو شر، وادخرت عندى لك ماهو أفضل منه»** .

فإذا كان يوم القيامة جيء بأهل الأعمال فوفوا أعمالهم بالميزان، أهل الصلاة والصيام والصدقة والحجّ، ثم يؤتى بأهل البلاء، فلا ينصبُ لهم الميزان، ولاينشر لهم الديوان، ويُصبّ عليهم الأجر صباً، فيودّ أهلُ العافية فى الدنيا لو أنهم كانت تُقرض أجسامهم بالمقاريض؛ لما يرون مما يذهبُ به أهل البلاء من الثواب، فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّما يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠][1].

وذُكر فى الخبر أنّ مؤمناً وكافراً فى الزمن الأول انطلقا يصيدان السمك، فأخذ الكافر يذكر آلهته، فتدفق شبكته حتى أخذ سمكاً كثيراً، وجعل المؤمن يذكر الله فلا يجىء شىء، ثم أصاب سمكة عند الغروب واضطربت فوقعت فى الماء، فرجع المؤمن وليس معه شىء، ورجع الكافر وقد امتلأت شبكته، فأسف ملك المؤمن الموكل به، فلما صعد إلى السماء أراه الله مسكن المؤمن فى الجنة، فقال: والله ما يضرّه ما أصابه بعد أن يصيرَ إلىَ هذا، وأراه مسكنَ الكافر فى النار، فقال: والله ما يغنى عنه ما أصاب من الدنيا بعد أن يصير إلى هذا .

ويُقال: إن الله تعالى يحتج يوم القيامة بأربعة أنبياء على أربعة أجناس: يحتج

---

(١) **ضعيف** ابن أبى الدنيا فى « المرض» من رواية بكر بن خنيس ويزيد الرقاشى وكلاهما ضعيف. وأدخل الأصبهانى (٥٦١) بينهما ضرار بن عمرو، وهو ضعيف أيضاً : انظر: الإحياء: (٤/ ١٢٩).

على الأغنياء بسليمان بن داود عليهما السلام، فإذا قال الغنى: الغِنى شغلنى عن عبادتك، يحتجّ عليه بسليمان، ويقول له : لم تكن أغنى من سليمان، فلم يمنعه غناه عن عبادتى .

ويحتجّ على العبيد بيوسف عليه الصلاة والسلام، فيقول العبد: كنت عبداً والرقُّ منعنى عن عبادتك، فيقول له: إن يوسف عليه السلام لم يمنعه رقه عن عبادتى.

وعلى الفقراء بعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فيقول الفقير : إنّ حاجتى منعتنى عن عبادتك، فيقول: أنت كنت أحوج أو عيسى؟وعيسى لم يمنعه فقره عن عبادتى .

وعلى المرضى بأيوب عليه الصلاة والسلام فيقول المريض: منعنى المرض عن عبادتك. فيقول: مرضك كان أشد أم مرض أيوب عليه السلام؟ فلم يمنعه مرضه عن عبادتى.

فلا يكون لأحدٍ عند الله عذر يوم القيامة.

وكان الصالحون ـ رحمهم الله تعالى ـ يفرحون بالمرض والشدّة لأجل أنّ فيه كفّارة للذنوب .

وذُكر عن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: الناس يكرهون الفقرَ وأنا أحبّه، ويكرهون الموتَ وأنا أحبه، ويكرهون السقم وأنا أحبّ السقم تكفيراً لخطاياى، وأحبّ الفقر تواضعاً لربى، وأحبُّ الموتَ اشتياقاً إلى ربى .

٣٣٢ـ وروي عن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال:« **ثلاث من رُزقهن فقد زُرِق خير الدنيا والآخرة؛ الرضا بالقضاء، والصبر على البلاء، والدعاء عند الرخاء**»(١).

٣٣٣ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر بإسناده عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ وهو مستلق، فقال: من أىّ شىء تشتكى؟ فقال: «الخمص»، يعنى الجوع، فبكى الرجل، ثم ذَهب يعمل، فاستقى لرجل دلاء كل دلو بتمرة، ثم جاء إلى النبى ﷺ بشىء من تمر، فقال: «ما أراك فعلتَ هذا إلا وأنت تحبنى» قال: أى والله إنى لأحبّك. قال: «إن كنتَ صادقاً فأعدَّ للبلاء جلباباً، فوالله للبلاء أسرعُ إلى مَن يحبنى من السيل من أعلى الجبل إلى الحضيض »(٢).

(١) ضعيف * أبو الشيخ فى « الثواب» عن عمران بن حصين بنحوه . انظر ضعيف الجامع (٢٥٧٠)

(٢) ضعيف جداً* البيهقى فى«الشعب» (١٤٧٥) فى سنده(عبد الله بن سعيد المقبرى) متروك.

٣٣٤ ـ وعن عقبة بن عامر ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا رأيتم الرجل يعطيه الله تعالى مايحبُّه وهو مقيمٌ على معصيته، فاعلموا أن ذلك استدراج**»[(١)] ثم قرأ قوله عز وجل: ﴿**فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِّرُوا به فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ**﴾ يعنى لما تركوا ماأُمروا به فتحنا عليهم أبواب الخَيَر ﴿**حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا**﴾ يعنى بما أعطوا من الخير ﴿**أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً**﴾ يعنى فجأة ﴿**فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ**﴾ [الأنعام: ٤٤] يعنى آيسين من كل خير.

٣٣٥ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه سئل أى الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل فالأمثل**»[(٢)].

ويقال: ثلاثةٌ من كُنوز البِرّ: كتمان الصدقة، وكتمان الوجع، وكتمان المصيبة.

وذُكر عن وهب بن منبه أنه قال: كتبتُ من كتاب رجل من الحواريين: إذا سُلك بك سبيل البلاء فَقَرّ عيناً، فإنه يُسلك بك سبيل الأنبياء والصالحين، وإذا سُلك بك سبيل الرخاء فابك على نفسك، فقد خُولِف بك عن سبيلهم.

وذُكر أنّ الله تعالى أوحى إلى موسى بن عمران ـ عليه السلام ـ نحو هذا.

وذُكِر عن فتح الموصلى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه أصابته خصاصةٌ فى أهله، فقال: إلهى ليتنى علمت بأى عمل أكرمتنى بهذا حتى أزداد من ذلك.

٣٣٦ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**من قلّ ماله، وكثر عياله، وحسنت صلاتُه، ولم يغتبِ المسلمين، جاء معى يوم القيامة هكذا**» وجمع بين أصبعيه[(٣)].

٣٣٧ ـ وروى عن مجاهد عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: والذى لا إله إلا هو إنى كنت لأعتمدُ بكبدى على الأرض من الجوع، وإنى كنتُ لأشدّ الحجر على بطنى من الجوع، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذى يخرجون منه، فمرّ أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله تعالى ما سألته عنها، إلا ليستتبعنى، يعنى لكى يذهب بى إلى منزله، فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ بى عمر، فسألته عن آية، ما سألته عنها

---

(١) **صحيح*** أحمد (٤/ ١٤٥) وابن أبى الدنيا فى «الشكر» (ص٩) وابن جرير فى «تفسيره» (٧/ ١٢٤) والدولابى فى «الكنى» (١/ ١١١) من طرق. انظر الصحيحة (٤١٣)

(٢) **صحيح*** علقه الترمذى إثر حديث (٢٣٩٨) والحديث صحيح عن سعد بن أبى وقاص وعن أبى سعيد الخدرى وعن فاطمة. انظر. الصحيحة(١٤٣ ـ ١٤٥).

(٣) **ضعيف جداً*** رواه أبو يعلى وعنه الديلمى (٦٠٧٢)، والخطيب فى «تاريخه» (١١/ ٢٥٩) وعنه ابن الجوزى فى «العلل المتناهية» (١٣٤٤) وقال: لا يصح. قلت: فيه (مسلمة بن على) متروك. و(عبدالرحمن ابن يزيد) ضعيف.

إلا ليستتبعنى، فمرّ ولم يفعل، ثم مرّ النبى ﷺ فتبسم حين رآنى وعرف مافى نفسى.

ثم قال: « **يا أبا هريرة** » قلت: لبيك يارسول الله قال: « **الحق بى** »، ومضى فاتبعته واستأذنتُ فأذن لى فدخلت فوجدت لبناً فى قدح، فقال: « **من أين هذا؟** » قالوا: أهداه لك فلان أو فلانة. قال: « **يا أبا هريرة** » قلت: لبيك، قال: « **إلحق بأهل الصفّة وادعهم إلى** »، فساءنى ذلك، فقلت: وما هذا اللبن فى أهل الصفة! كنت أحقّ أن أصيبَ من هذا اللبن شربة أتقوّى بها، ولكن لم يكن بُدّ من طاعة الله وطاعة رسوله، فانتهيت فدعوتهم فأقبلوا حتى استأذنوا، فأذن لهم، فأخذوا مجالسهم فقال: « **يا أباهريرة خُذْ وأعطهم** »، فأخذتُ القدح، فجعلت أعطى الرجل فيشرب حتى يروى ثم يردّ علىّ القدح، حتى انتهيت إلى رسول الله ﷺ وقد روى القوم كلّهم، فأخذ القدح ووضعه على يديه، فقال: « **يا أبا هريرة** » قلت: لبيك يا رسول الله. ال: « **بقيت أنا وأنت** » قلت: صدقت يارسول الله. قال: « **اقعد واشرب** » فقعدت وشربت، قال: « **اشرب** » فشربت، فما زال يقول: « **اشرب** » فأشرب حتى قلت: والذى بعثك بالحق نبياً ما أجد مسلكاً، فأعطيته القدح فحمد الله وشرب النبى ﷺ(1).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ : كان أصحابُ رسول الله ﷺ فى شدّة من أذى الكفار ومن الجوع، فصبروا على ذلك حتى فرّج الله عنهم، وكلّ مَن صبرٍ فرج الله عنه؛ فإنّ الفرجَ مع الصبر، وإنّ مع العسر يُسْراً.

وكان الصالحون ـ رحمهم الله ـ يفرحون بالشدّة لما يرجون من ثوابها.

وروى عثمان بن عبد الحميد بن لاحق، عن أبيه، عن جده، عن مسلم بن يسار، قال: قدمتُ البحرين فأضافتنى امرأةٌ لها بنون ورقيق ومال ويسار، فكنت أراها محزونة، فلما خرجت من عندها قلت لها: ألك حاجة؟ قالت: نعم. إن أنت قدمت بلدتنا هذه أن تنزل علىّ، فغبت عنها كذا وكذا سنة ثم أتيتها، فلم أرَببابها إنسياً، فاستأذنت عليها فإذا هى ضاحكةٌ مسرورة. قلتُ لها: ما شأنك؟ قالت: إنك لما غبتَ عنّا لم نرسل فى البحر شيئاً إلا غرق، ولا فى البر شيئاً إلا عطب، وذهب الرقيق، ومات البنون. فقلت لها: يرحمك الله رأيتك محزونة فى ذلك اليوم، ومسرورة فى هذا اليوم. فقالت: نعم، إنى لما كنت فيه من سعة الدنيا خشيتُ أن يكون الله قد عجل حسناتى فى الدنيا، فلما ذهب مالى وولدى ورقيقى رجوتُ أن يكون الله قد ادّخر لى عنده خيراً ففرحت.

(1) صحيح: البخارى (١١/٦٤٥٢) والترمذى (٢٤٧٧) وأحمد (١/٤٠٨، ٤٢٥).

٣٣٨ ـ وروى الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ أنّ رجلاً من الصحابة رأى امرأةً كان يعرفها فى الجاهلية، فكلّمها، ثم تركها فجعل الرجلُ يلتفت وهى تمشى، فصدمه حائط فأثّر فى وجهه، فأتى النبى ـ ﷺ ـ فأخبره، فقال النبى ـ ﷺ ـ : «**إذا أراد الله بعبدٍ خيراً عجّل عقوبة ذنبه فى الدنيا**» (١).

وعن على بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: ألا أخبركم بأرجى آية فى كتاب الله تعالى؟ قالوا: بلى، فقرأ عليهم: ﴿**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠].

فالمصائبُ فى الدنيا بكسب الأوزار، فإذا عاقبه الله فى الدنيا فالله أكرمُ من أن يعذّبه ثانياً، وإذا عفا عنه فى الدنيا فهو أكرمُ من أن يعذّبه يوم القيامة.

٣٣٩ ـ وروت عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «**ما يصيب المؤمن من مصيبة حتى شوكة فما فوقها إلا حطّ الله عنه بها خطيئة**»(٢).

***

باب الصّبر على المصيبة

٣٤٠ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن عبد الرحمن القارئ، حدثنا إبراهيم بن إسحاق القاضى بالكوفة، حدثنا محمد بن عاصم صاحب الحكايات، حدثنا سليمان بن عمرون، عن مهاجر أبى الحسن، عن عبد الرحمن بن غنم، عن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: مات ابن لى فكتب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ:

«من محمد رسول الله إلى معاذ بن جبل، السلام عليك، فإنى أحمدُ الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد:

فعظّم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر. ثم إن نفوسَنا وأموالنا وأهالينا وأولادنا من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المستودعة، نتمتّع بها إلى أَجَل معدود، ويقبضها لوقت معلوم، ثم افترض الله علينا الشكر إذا أعطى، والصّبر إذا ابتلى.

---

(٢) **صحيح*** وصله ابن حبان(٢٤٥٥)وأبو نعيم فى «أخبار أصبهان »(٢/ ٢٧٤) والبيهقى فى«الأسماء والصفات» (ص ١٥٣) عن عبد الله بن مغفل لكن عنعنه الحسن وانظر : الصحيحة (١٢٢٠).

(١) **صحيح*** مسلم (٤/ ٢٥٧٣) وغيره .

وكان ابنك هذا من مواهب الله الهنيئة وعواريه المستودعة، متّعك الله به في غبطة وسرور، وقبضه بأجر كبير إن صبرتَ واحتسبتَ، فلا تجمعن عليك يامعاذ أن يُحبط جزعك أجرك، فتندم على مافاتك، فلو قدمتَ على ثواب مصيبتك عرفتَ أنّ المصيبة قد قصرت عنه، واعلمْ أنّ الجزعَ لا يردُّ ميتاً، ولا يدفعُ حزناً، فَلْيَذْهبْ عنك أسفك بما هو نازل بك، فكأن قد . والسلام»[1].

قال الفقيه: معنى قوله: « فليذهب عنك أسفك بما هو نازل بك»؛ يعنى تفكّر فى الموت الذى هو نازل بك حتى يذهب حزنك. « فكأن قد»: يعنى كأنه قد جاء الموت؛ لأنّ الرجلَ إذا تفكّر فى موت نفسه، وعلم أنه يموت عن قريب فإنه لا يحزن بموت غيره، ولا يجزع له؛ لأنّ الجزعَ لا يرد ميتا، ويبطل ثواب المصيبة؛ لأن اذى يجزع على المصيبة إنما يشكر ربه، ويريد ردّ قضائه.

٣٤١ ـ وأخبرنى أبو حميد عبد الوهاب العسقلانى بسمرقند، حدثنا محمد بن على، حدثنا الخزاعى، حدثنا إبراهيم بن سليمان المصرى، عن على بن معبد، عن وهب بن راشد، عن مالك بن دينار، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالىٰ عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ :

« مَن أصبح حزيناً على الدنيا أصبح ساخطاً على ربه، ومن أصبح يشكو مصيبةً نزلتْ به فإنما يشكو الله تعالى، ومن تضعضع لغنى لينال ما فى يده أحبط الله ثلثى عمله، ومَن أُعطى القرآنَ فدخل النار أبعده الله من رحمته»[2].

يعنى مَن أعطاه الله القرآن، ولم يعمل بما فيه،وتهاون حتى دخل النار؛ أبعده الله من رحمته؛ لأنه هو الذى فعل برضاء نفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن.

وقال وهب بن منبه ـ رضى الله تعالى عنه ـ: وجدتُ فى التوراة أربعة أسطر متوالية.

أحدها: مَن قرأ كتاب الله تعالى، فظنّ أنه لم يُغْفَرْ له فهو من المستهزئين بآيات الله تعالى .

والثانى: من شكا مِن مصيبة نزلتْ به فإنما يشكو ربّه .

---

(١)موضوع# أبو نعيم فى « الحلية» (١/ ٢٤٣) وغيره، انظر. الموضوعات(٣/ ٢٤٢)وتنزيه الشريعة (٢/ ٣٦٨) والمجمع (٣/ ٣). قال ابن الجوزى: كانت وفاة ابن معاذ فى سنة الطاعون سنة ١٨هـ

(٢) ضعيف جداً# الطبرانى فى « الصغير» (٧٢٦) والبيهقى فى « الشعب»(١٠٠٤٤) وفيه (وهب بن راشد) متروك. ورواه البيهقى (١٠٠٤٥) وابن الجوزى فى « الموضوعات (٣/ ١٣٣) عن ابن مسعود: وأعلاّه

والثالث: مَن حزن على مافاته فقد سخطَ على قضاء ربّه.

والرابع: من تضعضع لغنى ذهب ثلثا دينه، يعنى نقصَ من يقينه.

٣٤٢ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «**من مات له ثلاثةُ أولاد لم يلج النّارَ إلا تحلّة القسم**»(١) يعنى أن الله تبارك وتعالى قال: ﴿**وإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا**﴾ [مريم: ٧١] الآية.

٣٤٣ ـ وروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **مامن مسلم يُصابُ بمصيبة، وإن قدم عهدُها فأحدثَ لها استرجاعاً إلاَّ أحدثَ الله له مثله**» (٢) يعنى مثل أجره. والله أعلم وأعطاه مثل ذلك الأجر الذى أعطاه يوم أصيب بها.

وذُكر عن عثمان بن عفان ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه كان إذا ولد له ولد أخذه يوم السابع، فَسُئل عن ذلك، فقال: إنى أحبّ أن يقعَ له فى قلبى شىء من المحبة، فإن مات كان أعظم لأجرى.

٣٤٤ ـ وروى عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنّ رجلاً كان يجىءُ بصبى له معه إلى رسول الله ـ ﷺ ـ، ثم إنّ الغلام توفى، فاحتبس والده، فلما فقده رسول الله ـ ﷺ ـ سأل عنه، فقالوا: يارسول الله، مات صبيه الذى رأيته قال: «فهلا آذنتمونى به» يعنى أخبرتمونى « قوموا إلى أخينا نُعَزّه»، فلما دخل عليه النبى ـ ﷺ ـ إذا الرجل حزين، وبه كآبة. فقال: يارسول الله، إنى كنت أرجوه لكبر سنّى وضعفى. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ: « **أما يسرك أن تأتى يوم القيامة، فيقال له: ادخل الجنة، فيقول: يارب وأبواى؟! فيقال له: ادخل الجنة ثلاث مرات، فلا يزال يشفعُ حتى يشفّعه الله تعالى ويدخلكم الجنة جميعاً**» فذهب الحزن عن الرجل(٣).

ففى هذا الخبر دليل على أنّ التعزية سنة إذا أصاب الرجل مصيبة ينبغى لإخوانه أن يعزّوه.

قال الفقيه: حدثنى أبى ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ قال: سأل موسى ـ عليه السلام ـ ربه عز وجل فقال: أى رب ما لعائد

(١) **متفق عليه** * البخارى (٣/ ١٢٥١) ومسلم (٤/ ٢٦٣٢).

(٢) **ضعيف جداً** * ابن ماجه (١٦٠٠) فى سنده (هشام بن رياد) متروك.

(٣) **صحيح** * أحمد (٣/ ٤٣٦، ٥/ ٣٤، ٣٥) والنسائى(٤/ ٢٢) وصححه ابن حبان (٧٢٥) والحاكم (١/ ٣٨٤) من طرق عن معاوية بن قرة عن أبيه بنحوه أما حديث أنس (ضعيف جداً) رواه سعيد بن منصور وغيره : فى سنده (يوسف بن عطية الصفار) متروك

المريض من الأجر؟ قال: أُخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه. قال: أى ربّ فما لمشيع الموتى من الأجر؟ قال: أبعثُ عند موته ملائكةً يشيّعونه إلى قبره برايات، ثم إلى المحشر. قال: أي ربّ، مالمعزّى الثكلى من الأجر؟ قال: أظلّه فى ظلّى يوم لا ظلّ إلا ظلّى. يعنى ظل العرش.

٣٤٥ ـ وروى أبان بن صالح بن عمير، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: « ماتجرّع عبدٌ قطّ جرعتين أحبّ إلى الله من جرعة غضب ردّها بحلم، وجرعة مصيبة يصبُر الرجل عليها ولا قطرت قطرتان أحبّ إلى الله من قطرة دم فى سبيل الله، وقطرة دمع فى سواد الليل وهو ساجد، لا يراه إلا الله تعالى وما خطا عبدٌ خطوتين أحبّ إلى الله من خطوة إلى الصلاة المفروضة وخطوة إلى صلة الرّحم»(١).

وعن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: توفى ابن لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، فوجد عليه وجداً شديداً، فأتاه ملكان فجلسا بين يديه بزى الخصوم، فقال أحدهما: بذرت بذراً ولم أستحصده فمرّ به هذا فأفسده، فقال للآخر: ماتقول؟ قال: أخذت الجادة فأتيت على زرع فرميت يميناً وشمالاً، فإذا الطريق عليه، فقال سليمان: ولم بذرت على الطريق؟ أما علمت أن لا بُدّ للناس من الطريق. فقال له الملك: ولم يتحزن على ولدك؟ أما علمتَ أنّ الموتَ سبيلُ الآخرة؟

وذُكِر فى الخبر أنّ سليمان ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ تاب إلى ربّه، ولم يجزع على ولده بعد ذلك.

وذُكِر عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه نُعى إليه ابنة له وهو فى السفر، فاسترجع ثم قال: عورة سترها الله، ومؤونة كفاها الله، وأجْر قد ساقه الله إلىّ، ثم نزل فصلىّ ركعتين، ثم قال: قد صنعنا ما أمرنا الله تعالى به قال: ﴿**اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ والصَّلاةِ**﴾ [البقرة: ١٥٣].

٣٤٦ ـ وعن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**ليسترجع أحدُكم فى شسع نعله إذا انقطع؛ فإنها من المصائب**»(٢).

٣٤٧ ـ قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان، حدثنا أحمد بن الحرث، حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك، عن ربيعة، عن أبى عبد الرحمن، عن أم سلمة ـ

(١) رواه البيهقى فى« التعب» (٨٣٠٨) عن الحسن مرسلاً وفى سند المصنف إنقطاع

(٢) **ضعيف جداً*** ابن السنى فى « اليوم والليلة» (٣٥٢) فيه (يحيى بن عبيد الله بن موهب» متروك

رضى الله تعالى عنها ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: « من أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ، اللَّهُم اؤجرنى فى مصيبتى، وأعقبنى خيراً منها، فعل الله ذلك به» فقالت أم سلمة ـ رضى الله تعالى عنها ـ: لما توفى أبو سلمة؛ قلته، ثم قلت: ومن لى مثل أبى سلمة؟! فأعقبها الله تعالى برسوله ـ ﷺ ـ فتزوجها [1].

٣٤٨ ـ وروى صالح بن محمد بإسناده عن أنس بن مالك، عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: « الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبطُ الأجر، والصبر عند الصدمة الأولى [يعظم الأجر]، وعظم الأجر على قدر عظم المصيبة، ومن استرجع بعد المصيبة جدّد الله له أجرها كيوم أصيب بها[2].

قال الفقيه: ينبغى للعاقل أن يتفكر فى ثواب المصيبة، فتسهل عليه المصيبة، فإن ثواب المصيبة إذا استقبله يوم القيامة يودّ أن يكون جميع أقاربه وجميع أولاده ماتوا قبله؛ لينال الأجر وثواب المصيبة. وقد وعد الله تعالى فى المصيبة ثواباً عظيماً إذا صبر واحتسب وهو قول الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ يعنى لنختبركم، والاختبار من الله تعالى إظهار ما يعلم منه به الغيب ﴿بِشَىْءٍ مِنَ الخَوْفِ﴾ يعنى مخافة قتال العدو ﴿وَالجُوعِ﴾ يعنى المجاعة ﴿ونَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ﴾ يعنى ذهاب أموالهم ﴿وَالأَنْفُسِ﴾ يعنى الأوجاع والأمراض والقتل والموت ﴿والثَّمَرَاتِ﴾ يعنى لا تخرج الثمرات كما كانت تخرج ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ على الرزايا والمصائب.

ثم نعتهم فقال: ﴿الَّذِينَ إذا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لله وإِنَّا إِلَيْه رَاجِعُونَ﴾ ﴿إنا لله﴾ يعنى نحن عبيد الله وفى ملكه وفى قبضته إن عشنا فعليه أرزاقنا، وإن متنا فإليه مآلنا ومردنا، ﴿وإنا إليه راجعون﴾ يعنى بعد الموت فالواجب علينا أن نرضى بحكمه، فإن لم نرضَ بحكمه فلا يرضى عنا إذا رجعنا إليه ﴿أُولئِكَ﴾ يعنى أهل الصفة ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوات مِنْ رَبِّهِمْ﴾ الصلوات جمع الصلاة.

والصلاة من الله تعالى على ثلاثة أوجه: توفيق الطاعة، والعصمة من الذنوب، والمغفرة. فهذا تفسير الصلاة الواحدة، وأما الصلوات فلايعرف منتهاها إلا الله تعالى.

ثم قال: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ يعنى ورحمة من الله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ المُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧] إلى الاسترجاع، يعنى وفقهم الله لذلك.

---

(١) صحيح: مسلم (٢/ ٩١٩) وأبو داود (٣١١٩) والترمذى (٩٧٧) والنسائى (٤/ ٤) وابن ماجه(١٤٤٧).

(٢) ضعيف: عزاه المنبجى فى « تسلية أهل المصائب» (ص ١٨١، ١٨٢) إلى سعيد بن منصور فى « سننه» عن يحيى بن جابر بنحوه مرسلاً.

وروى عن سعيد بن جبير أنه قال: لم يكن الاسترجاع إلا لهذه الأمة، ولو أعطى لأحد لأعطى يعقوب، ألا ترى أنه قال: ﴿ يَاأَسَفَا عَلَى يُوسُفَ﴾[يوسف: ٨٤].

وروى سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: نعم العدْلان ونعم العلاوة﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ فهذان العدلان ﴿وأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧] فهذه العلاوة.

٣٤٩ ـ وروى أنه لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ بكى رسول الله ﷺ وذرفت عيناه، فقال له عبد الرحمن: يارسول الله، تبكى! أو لم تنه عن البكاء؟ قال: «لا، ولكن نهيت عن النوح والغناء، عن صوتين أحمقين فاجرين، وعن خَمْش الوجوه، وشقّ الجيوب، ورنّة الشيطان، وعن صوت الغناء، فإنّه لعبٌ ولهو ومزامير الشيطان، ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى فى قلوب الرحماء، ومن لا يَرحم لا يُرحم ثم قال: القلبُ يحزنُ والعين تدمعُ، ولا نقولُ ما يسخط الربَّ تعالى وتقدس»(١).

وروى عن الحسن البصرى أنه قال: إن الله تعالى رفع عنكم الخطأ والنسيان، وما أكْرِهْتُم عليه وما لا تطيقون، وأحلّ لكم في حال الضرورة أشياء مما حرم عليكم وأعطاكم خمساً: أعطاكم الدنيا فضلاً، وسألكموها قرضاً، فما أعطيتموه منها طيبة بها أنفسكم. جعل لكم به التّضعيف من عشرة إلى سبعمئة إلى مالا يحصيه غيره.

والثانى؛ أخذ منكم كرهاً، فاحتسبتم وصبرتم، ثم جعل لكم به الصلاة والرحمة لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٥٧] .

والثالث: ﴿ لئن شكرتم لأزيدّنكم﴾.

والرابع: لو أساء مسيئكم حتى تبلغ ذنوبه الكفر، ثم تاب فإنه يتوب عليه ويحبه، حيث قال: ﴿إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

والخامس: لو أعطى جبريل وميكائيل ما أعطاكم لكان قد أجزل لهما، فقال: ﴿ادْعُونى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

٣٥٠ ـ وروى عن يحيى بن جابر الطائى أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**ما قدّم رجل شيئاً بين يديه أحبّ إليه ولا هو فيه أعظم أجراً من ولد قدمه بين يديه ابن اثنتى**

---

(١) حسن* الترمذى (١٠٠٥) وحسنه والطيالسى (١٦٨٣) والبيهقى (٤/ ٦٩) عن جابر، ورواه الحاكم (٤/ ٤٠) والبزار (١/ ٨٠٥ـ كشف) والبيهقى (٤/ ٦٩) عن عبد الرحمن بن عوف

عشرة سنة»(1).

ويقال: « الصّبر عند الصّدمة الأولى» (2) لأنه إذا مضى عليه وقت فإنه يصبر إن شاء أو أبى، فالعاقل مَن صبر بأول مرة.

وروى عن ابن المبارك - رحمه الله تعالى - أنه مات له ابنٌ، فمرّ به مجوسي يعزيه، فقا له: ينبغى للعاقل أن يفعلَ اليوم مايفعله الجاهل بعد خمسة أيام، فقال ابنُ المبارك: اكتبوا هذا منه.

٣٥١ - وروى عن النبى ﷺ أنه قال: « **مَن عزّى مُصاباً كان له مثل أجره**»(3).

٣٥٢ - وروى عنه - ﷺ - أنه قال: « الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة، وصبر على المصيبة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له [ثلاثمئة درجة، ومن صبر على الطاعة كتب الله له] ستمئة درجة، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمئة درجة، مابين الدرجتين كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش مرتين»(4).

وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: أول شىء كتبه الله تعالى فى اللوح المحفوظ: إنى أنا الله لاإله أنا، ومحمَّد رسولى، من استسلم لقضائى، وصبر على بلائى، وشكر لى نعمائي، كتبته صديقاً، وبعثته يوم القيامة مع الصدّيقين، ومن لم يستسلم لقضائى، ولم يصبر على بلائى، ولم يشكر لنعمائى فليتخذ إلهاً سوائى(5).

قال ابن المبارك: المصيبة واحدة، فإذا جزع صاحبها صارت اثنتين، يعنى صارت المصيبة اثنتين: إحدهما: المصيبة. والثانية: ذهاب أجر المصيبة، وهو أعظم من المصيبة.

٣٥٣ - وروى عن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **مَن أصابته مصيبةٌ فليذكر مصيبته بى فإنها من أعظم المصائب**»(6).

٣٥٤ - وروى عنه أيضاً - كرم الله وجهه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «**مَن**

---

(1) **ضعيف*** لأنه مرسل من قبل يحيى بن جابر الطائى.

(2) **متفق عليه*** البخارى (١٢٨٣، ١٣٠٢، ٧١٥٤) ومسلم (٢/٩٢٦) عن أنس.

(3) **ضعيف*** الترمذى (١٠٧٣) وابن ماجه (١٦٠٢) وانظر: الإرواء(٧٦٤).

(4) **ضعيف*** ابن أبى الدنيا فى « الصبر» وأبو الشيخ فى « الثواب » عن على. انظر: ضعيف الجامع (٣٥٣٢).

(5) موضوع * انظر: تنزيه الشريعة (١/٢١٢).

(6) **ضعيف*** ابن عدى فى « الكامل» (٦/٣٦ عن ابن عباس)، (٧/١٦٨) وابن السنى فى «اليوم والليلة» (٥٨٢) عن بريدة، والدارمى (٨٤ - ٨٦) مرسلاً ولا تخلو طرقه من علة.

اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات، ومَن أشفقَ من النّار لَهَا عن الشهوات، ومن ترقب الموت تركَ اللذات، ومَن زهد فى الدنيا هانتْ عليه المصيبات »[1].

وذُكِر أن فى بعض الكتب مكتوباً ستة أسطر: فى السطر الأول: من أصبح حريصاً على الدنيا أصبح ساخطاً على الله، وفى الثانى: من شكا مصيبة نزلت به فإنما يشكو ربه. وفى الثالث: من لا يبالى من أى باب أتاه رزقه لا يبالى الله من أى أبواب النار أدخله. وفى الرابع: من أتى خطيئة وهو يضحك دخل النار وهو يبكى. وفى الخامس: من كان أكبر همّه الشهوات نزع الله خوف الآخرة من قلبه. وفى السادس: مَن تواضع لغنى لأجل دنياه أصبح والفقر بين عينيه .

***

باب فضل الوضوء

٣٥٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن عبد الرحمن القارئ، حدثنا أبو العباس الفضل ابن الحكم النيسابورى، حدثنا يزيد بن عبد الله، حدثنا عكرمة بن عمّار، حدثنا شداد ابن عبد الله الدمشقى، حدثنا أبو أمامة الباهلى، قال: قلت لعمرو بن عَبَسة لأىّ شىء تُدعى رابعَ الإسلام؟ قال : إنى كنتُ أرى الناس على الضّلالة ولا أرى الأوثان شيئاً، ثم سمعتُ رجلاً يخبر أخباراً بمكة، فركبتُ راحلتى حتى قدمتُ مكة، فإذا رسول الله ـ ﷺ ـ مستَخْفٍ، وإذا قومه عليه جُرْءَاءُ فتلطفتُ له، فدخلت عليه، فقلت: من أنت؟فقال :«أنا نَبى» فقلتُ: وما النبى؟ قال:« رسول الله» فقلت: الله أرسلك؟ قال:« نعم» فقلت: بأى شىء أرسلك؟ قال:« بأن نوحّد الله ولا نشرك به شيئاً، وكسر الأوثان، وصلة الرحم» فقلت له: ومن معك على هذا الأمر؟ قال: «حر وعبد». وإذا معه أبو بكر وبلال قلت: فإنى أتبعك قال:« إنك لن تستطيع ذلك يومك هذا، ولكن ارجع إلى أهلك فإذا سمعتَ بأنى قد ظهرتُ فالحقْ بى»، قال: فرجعتُ إلى أهلى وقد أسلمت.

قال عمرو بن عَبَسة: وقد رأيتنى فى ذلك اليوم وأنا رابع الإسلام، يعني لم يكن فى ذلك الوقت من المسلمين إلا أربعة فخرج رسول الله ﷺ مهاجراً إلى المدينة، فركبتُ راحلتى حتى قدمتُ على المدينة فدخلت عليه، فقلت: يارسول الله أتعرفنى؟

---

(١) ضعيف* ابن عدى (٣٥٨/٣) والبيهقى فى « الشعب»(١٠٦١٨) فى الأول انقطاع بين الحسن وعلى وفى الثانى (الحارث الأعور) فى حديثه ضعف .

قال: «نعم، ألست الذى أتيتنى بمكة؟» قلت: يارسول الله علّمنى مما علّمك الله تعالى. قال: « إذا صليتَ الصبحَ فاقصرْ عن الصلاة حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت فلا تصلّ حتى ترتفع، فإنها تطلعُ بين قرنى الشيطان، وحينئذ يسجدُ لها الكفّار، فإذا ارتفعت قدر رمح أو رمحين فصلّ، فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقلّ الرمح للظلّ، ثم أقصر عن الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم، فإذا فاء الفئ فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى تصلى العصر، فإذا صليتَ العصر فاقصرْ عن الصلاة حتى تغرب الشمس، فإنها تغرب بين قرنى الشيطان، وحينئذ يسجد لها الكفار».

قال: قلت: يانبى الله، أخبرنى عن الوضوء، قال: « مامنكم من رجل يقرب وضوءه، ثم يتمضمض، ثم يستنشق ويستنثر؛ إلا خرجت خطايا فيه وخياشيمه مع الماء حتى يستنثر، ثم يغسل وجهه كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطايا وجهه مع الماء، ثم يغسل يديه إلى المرفقين كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطايا يديه من أطراف أنامله مع الماء، ثم يمسح رأسه كما أمره الله تعالى إلا خرجتْ خطايا رأسه من أطراف شعره مع الماء، ثم يغسل قدميه إلي الكعبين كما أمره الله تعالى إلا خرجت خطايا قدميه من أطراف أصابعه مع الماء، ثم يقوم فيحمد الله ويثنى عليه بالذى هوله أهل، ثم يركع ركعتين إلا انصرف من ذنوبه كيوم ولدته أمه» (١).

٣٥٦ ـ قال الفقيه: حدثنا محمَّد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**ألا أدلّكم على مايمحو الله تعالى به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلى يارسول الله. قال: «**إسباغ الوضوء فى السبرات، والصّبر على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط** »(٢) يعنى الحصن من العدو، ويقال: يعنى فضل الرباط الذى يرابط فى سبيل الله تعالى.

قال الفقيه: حدثنى أبى ـ رحمه الله ـ بإسناده عن عبد الله بن سلام، قال: وجدتُ فى بعض ما أنزل الله عز وجل أن من توضأ من كل حدث، ولم يكنْ دخّالاً على النساء فى البيوت، ولم يكسبْ مالاً بغير حقّ، رزق من الدنيا بغير حساب.

٣٥٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**من بات طاهراً فى شعار طاهر، بات ومعه ملك فى شعاره، فلا يستيقظ ساعة من الليل**

---

(١) صحيح# مسلم (١/ ٨٣٢) وأحمد (٤/ ١١١، ١١٢، ١١٣، ٣٨٥) وغيرهما .

(٢) صحيح# مسلم (٢٥١) والترمذى (٥١) والنسائى (١/ ٨٩) وابن ماجه(٤٢٧).

إلا قال الملك: اللهم اغفر لعبدك فلان، فإنه بات طاهراً»[1].

٣٥٨ ـ وعن حُمران بن أبان قال: رأيتُ عثمان بن عفان توضّأ، فأفرغَ الماء على يديه ثلاثاً فغسلهما، ثم تمضمض واستنشق ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يده اليُمنى إلى المرفقين ثلاثاً، ثم اليُسرى ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ثم غسل قدميه ثلاثا، ثم قال: رأيتُ رسول الله ـ ﷺ ـ توضأ نحو وضوئى هذا ثم قال: « من توضّأ نحو وضوئى هذا، ثم صلّى ركعتين لا يحدّث نفسه فيهما بشىء من أمر الدنيا، غُفِر له ماتقدّم من ذنبه وما تأخّر»[2].

٣٥٩ ـ وروى ثوبان عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: « **استقيموا ولن تُحْصُوا، واعلموا أنّ خيرَ أعمالكم الصلاة، ولا يُحافِظ على الوضوء إلا مؤمن** »[3].

قال: معنى قوله ـ ﷺ ـ : «**لن تحصوا**»؛ يعنى لن تقدروا على ذلك، إلا بالجهد، ويقال: معناة لن تقدروا أن تعدوا ثواب من استقام، يعنى استقام على الإيمان والطاعة ومعنى قوله: « لا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»؛ يعنى الدوام على الوضوء من أخلاق المؤمنين فينبغى للمؤمن أن يكون النهار كلّه على الوضوء، وينام بالليل على الوضوء، فإنه إذا فعل ذلك يحبّه الله ويحبّه الحفظة، ويكون فى أمان الله عزّ وجلّ.

قال الفقيه: سمعت أبى ـ رحمه الله ـ يحكى بإسناده، يقول: بلغنى أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ وجّه رجلاً من أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ إلى مصر لكسوة الكعبة، فنزل الرجلُ بعض أرض الشام إلى جانب صومعة حَبْر من الأحبار، ولم يكن حبر أعلم منه، فأحبّ رسولُ عمر أن يلقاه؛ فيسمعه منه علمه، فأتاه يستفتح بابَ داره، فلم يفتح له طويلاً، ثم دخل على الحَبْر، فسأله ليسمع منه فأعجبه، فشكا إليه حبسه على بابه، فقال له الحبر: إنا كنا رأيناك حين عدلت إلينا، فرأينك على هيبة السلطان، فتخوّفناك، وإنما حبسناك على الباب؛ لأن الله تبارك تعالى قال لموسى: ياموسى إذا تخوّفت سلطاناً فتوضأ، وأمر أهلك بالوضوء، فإن من توضأ كان في أمان مما يتخوف، فأغلقنا دونك الباب حتى توضأت، وتوضأ جميعُ مَن فى الدار وصلّينا فأمناك لذلك؛ ثم فتحنا لك الباب.

---

(١) **حسن بشواهده**: ابن المبارك فى«الزهد» (١٢٤٤) ومن طريقه ابن عدى فى « الكامل» (٢/٣١٧)، وفى الباب عن ابن عمر انظر: الداء والدواء ـ(ص١٤١ بتحقيقى)

(٢) **متفق عليه**: البخارى (١٦٤) ومسلم (٢٢٦).

(٣) **صحيح**: أحمد (٥/ ٢٧٦، ٢٨٢) وابن ماجه(٢٧٧) والحاكم (١/ ١٣) انظر: الإرواء (٤١٢)

قال الفقيه: ينبغى للذى يتوضأ أن يكون وضوؤه مع التعظيم، ويعلم أنه يريد به زيارة ربه عز وجل، فينبغى أن يتوبَ مِن جميع ذنوبه؛ لأنّ الله تبارك وتعالى جعل الغسل بالماء علامة لغسله من الذنوب، فينبغى أن يبدأ بذِكْر اسم الله تعالى، وإذا تمضمض واستنشق يغسل فاه من الغيبة والكذب كما غسله بالماء، وإذا غسل وجهه يغسله من النظر إلى الحرام وكذلك فى سائر الأعضاء، فإذا فرغ من وضوئه يدعو الله تعالى ويسبحه.

٣٦٠ ـ وقد روى فى الخبر: «**إن العبدَ المؤمن إذا فرغ من وضوئه ثم قال: سبحانك الله وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، يختم بخاتم خير، ثم يُوضَع تحت العرش، فلم يُكْسَرْ حتى يدفع إليه يوم القيامة**»(١).

٣٦١ ـ وروى عقبة بن عامر عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «**إذا فرغ أحدُكم من وضوئه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، فتحت له ثمانية أبواب الجنة، يدخل من أيها شاء**»(٢).

٣٦٢ ـ قال: حدثنى أبى ـ رحمه الله ـ حدثنا إبراهيم بن نصر، حدثنا محمد بن مسعدة المروزى، عن عبيد الله بن عبد المجيد، عن عمران القطان، عن قتادة، عن خليد العصرى، عن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«خمس من جاء بهن يوم القيامة مع الإيمان دخل الجنة: مَن حافظ على الصلوات الخمس فى مواقيتهن ووضوئهن وركوعهن وسجودهن، ومَن أدى الزكاة من ماله طيبة بها نفسه، ثم قال: وأيم الله، لا يفعلُ ذلك إلا مؤمن، ومن صام رمضان، وحجّ البيت إن استطاع إليه سبيلاً، وأدّى الأمانة».

قالوا: ياأبا الدرداء وما الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة، فإن الله تعالى لم يأتمن ابن آدم على شىء من دينه غيره(٣).

٣٦٣ ـ وروى عثمان بن عفان ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَن

---

(١) **صحيح*** النسائى فى «اليوم والليلة» (٨١ ـ ٨٣) والحاكم (١/ ٥٦٤) وقال النسائى: الصواب موقوفاً قال الحافظ فى «النكت الظراف» (٣/ ٤٤٧) مثله لا يقال من قبل الرأى، فله حكم المرفوع .. أ هـ انظر الصحيحة(٢٣٣٣)

(٢) **صحيح*** مسلم (٢٣٤) وأبو داود (١٦٩، ١٧٠) والترمذى (٥٥) وابن ماجه(٤٧٠).

(٣) **حسن*** أبو داود (٤٢٩) والطبرانى فى «الكبير» و«الصغير» (٧٧٢ ـ الروص) وأبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٢٣٤) والاصبهانى فى «الترغيب» (٢٣٥)

أتمّ الوضوء كما أمر الله، والصلاة كما أمر الله، كانت كفارة لما بينهما » (١)

٣٦٤ ـ قال: حدثني أبي ـ رحمه الله ـ، حدثنا أبو الحسين محمد بن جم الفقيه بسمرقند، حدثنا محمد بن إسماعيل المكي، حدثنا أبو أسامة، حدثنا أبو زمان، عن أبي الفضائل التيمي، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ لبلال عند صلاة الفجر: « حدّثني بأزكى عمل عملته في الإسلام، فإني سمعت الليلة خشف نعليك في الجنة، فقال: ماعملت عملاً في الإسلام بأرجى عندي من أني لم أتطهّر طهوراً في ساعة ليل أو نهار، إلا صليت لربي أدنى ما قدر لي» وفي نسخة: أزكى ماكتب لي وفي خبر آخر: «ما أحدثت إلا وجدّدتُ الطهارة، وما تطهرت إلا صليت ركعتين» (٢).

***

باب الصّلوات الخمس

٣٦٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا يزيد بن زريع، عن يونس، عن الحسن أن النبي ـ ﷺ ـ قال: «**مثل الخمس صلوات كمثل نهر جارٍ على باب أحدكم كثير الماء يغتسل فيه كل يوم خمس مرات، فهل يبقى عليه منَ الدرن شيء**»(٣).

يعني أن الصلوات الخمس تطهّره مِن الذنوب، ولا يبقين عليه شيئاً من الذنوب فيما دون الكبائر، وهذا إذا صلى الصلاةَ على التعظيم، ويتمّ ركوعها وسجودها؛ فإذا لم يتمّ ركوعها ولا سجودها فهي مردودةٌ عليه.

٣٦٦ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو الوليد هشام بن عبد الملك، عن همام بن يحيى، عن إسحاق بن عبد الله، عن يحيى بن خلاد، عن أبيه، عن عمه رفاعة بن رافع بن خالد، قال: بينما نحن جلوس حول رسول الله ـ ﷺ ـ إذ دخل رجل، فاستقبل القبلة، فصلى فلما قضى صلاته، جاء فسلم على النبي ـ ﷺ ـ وعلى القوم، فقال

---

(١) **صحيح*** مسلم (٢٣١) والنسائي (١/ ٩١) وأحمد (١/ ٥٧، ٦٦، ٦٩) .

(٢) **متفق عليه*** البخاري (١١٤٩) ومسلم (٤/ ٢٤٥٨).

(٣) **صحيح*** مسلم(٦٦٨)وغيره عن جابر(واتفق عليه) البخاري(٢/ ٥٢٨) ومسلم(٦٦٧) عن أبي هريرة بنحوه

له رسول الله ﷺ: « **ارجع فصلّ فإنك لم تصلّ**»فرجع الرجل وصلّى، فلما رجع قال: «**ارجع وصلّ فإنك لم تصل** » أمره بذلك مرتين أو ثلاثاً.

فقال الرجل: ما ألوت جهدى، فلا أدرى ماعبتَ عليّ من صلاتى .

فقال النبى ـ ﷺ ـ :«إنه لاتتم صلاةُ أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله تعالى فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، ويمسح برأسه، ويغسل رجليه إلى الكعبين، ثم يكبِّر الله ويحمده، ثم يقرأ من القرآن ما أذن له فيه، ثم يكبّر ويركع فيضع كفيه على ركبتيه حتىٰ تطمئن مفاصله، ويسترخى ثم يرفع رأسه ويقول: سمع الله لمن حمده فيستوى قائماً حتى يقيم صلبه ويأخذ كل عضو مأخذه، ثم يكبر فيسجد فيمكِّن وجهه من الأرض حتى تطمئن مفاصله، ويسترخى، ثم يكبر فيستوى قاعداً على مقعده، ويقيم صلبه»، فوصف صلاته هكذا أربع ركعات حتى فرغ، ثم قال: «**لاتتم صلاة أحدكم حتى يفعل ذلك**»(١).

فقد أمر النبى ـ ﷺ ـ بإتمام الركوع والسجود، وأخبر أن الصلاة لا تقبل إلا هكذا، فينبغى للعبد أن يجتهد فى إتمام الصلاة؛ لتكون صلاته كفارة لما فعل قبلها من الزلل والخطايا دون الكبائر.

٣٦٧ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو عبد الرحمن المقبرى، عن حيوة بن شريح، عن أبى عقيل، عن الحارث مولى عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: جلس عثمان يوماً، وجلسنا معه، فجاء المؤذّن فدعا عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ بماء، فتوضأ، ثم قال: رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ توضأ وضوئى هذا ، وسمعته يقول:

« **من توضأ وضوئى هذا، ثم قام فصلَّى صلاة الظهر، غفر الله له ما كان بينها وبين صلاة الصبح، ثم صلى العصر غفر الله له ما بينها وبين صلاة الظهر، ثم صلى المغرب غفر الله له مابينها وبين صلاة العصر، ثم صلى العشاء غفر الله له، بينها وبين المغرب، ثم بعده يبيت ويتمرغ ليلته، ثم إذا قام وتوضأ، وصَلَّى الصبح غفر الله له ما بينها وبين العشاء الآخرة، وهن الحسنات يذهبن السيئات**» قالوا: هذه الحسنات، فما الباقيات الصالحات؟ قال :« **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم**»(٢).

---

(١) **صحيح*** البخارى (٢/ ٧٥٧ وأطرافه) وغيره بنحوه عن أبى هريرة. ما آلوت: ما قصرت .

(٢) **صحيح*** أحمد (١/ ٧١) والبزار (٣٠٧٦ كشف) بلفظه (**واتفق عليه**) البخارى (١/ ١٥٩ وأطرافه) ومسلم (٢٢٧) مختصراً

٣٦٨ ـ وقال: ورُوى عن عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال: من سرّه أن يلقى الله غداً مسلماً، فليحافظ على هؤلاء الصلوات المفروضات حيث يُنادى بهن، فإن الله تعالى شرع لنبيكم سنن الهدى، وإنّهنّ من سنن الهدى فلعمرى لو صليتم فى بيوتكم كما يصلى هذا المتخلف فى بيته، لتركتم سنة نبيكم، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد أتى علينا زمان وما يتخلف عنهن إلا منافق ملعون معلن نفاقه.

ولقد رأينا الرجل يتهادى بين اثنين حتى يقام فى الصف وما من رجل يتطهر فيحسن طهوره، ثم يعمد إلى مسجد من المساجد، فيصلى فيه إلا كتب الله له بكل خطوة حسنة، ويرفع له بها درجة، ويحط عنه بها خطيئة، حتّى إنّا كنّا لنقارب بين الخطى، وإن صلاة الرجل فى الجماعة تزيد على صلاة الرجل وحده خمساً وعشرين درجة[(١)].

٣٦٩ ـ وعن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: أردنا النقلة إلى المسجد والبقاع حول المسجد لنا خالية، فبلغ النبىﷺ فأتانا فى ديارنا فقال: «يابنى سلمة بلغنى أنكم تريدون النقلة إلى المسجد» قلنا: يارسول الله بعد عنا المسجد، والبقاع حوله خولية فقال: «يابنى سلمة دياركم فإنها تكتب آثاركم».

قال: فما وددنا حضرة المسجد لما قال النبى ـ ﷺ ـ الذى قاله [(٢)].

٣٧٠ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**مَن صلّى فى الجماعة أربعين يوماً لم تفته ركعة، كتب الله له براءتين: براءة من النار، وبراءة من النفاق**»[(٣)].

٣٧١ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن عبادة بن الصامت أن النبى ﷺ قال: «**من توضأ فأسبغ الوضوء، ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت الصلاة: حفظك الله كما حفظتنى، ثم يصعد بها إلى السماء، ولها ضوء ونور، فتفتح لها أبواب السماء حتى يُنتهى بها إلى الله تبارك وتعالى، فتشفعُ لصاحبها؛ فإذا ضيع ركوعها وسجودها والقراءة فيها، قالت الصلاة: ضيعكَ الله كما ضيعتنى ثم يُصعد بها، ولها ظلمةٌ، حتى يُنتهى بها إلى السماء، فتغلقُ أبوابُ السماء دونها، ثم تلفّ كما يلفّ الثوب الخِلق فيضرب بها وجه صاحبها**»[(٤)].

---

(١) صحيح* مسلم (٦٥٤) وأبو داود (٥٥٠) والنسائى (٢/ ١٠٨) وابن ماجه (٧٧٧) موقوفاً.

(٢) صحيح* مسلم (٦٦٥) وأحمد (٣/ ٣٣٣، ٣٧١، ٣٩٠) والبيهقى (٣/ ٦٤) وأبو عوانة (١/ ٣٨٨)

(٣) حسن* الترمذى (٢٤١). انظر: الصحيحة (١٩٧٩).

(٤) ضعيف* الطيالسى (٥٨٥) والأصبهانى فى «الترغيب» (١٩١٢) عن الأحوص بن حكيم ـ ضعيف الحفظ عنه.

٣٧٢ ـ وعن الحسن أن النبى ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة؟**» قالوا: من هو يارسول الله؟ قال: «**الذى يسرق من صلاته**». قالوا: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «**لايتمّ ركوعها ولا سجودها**»(١).

وعن سلمان الفارسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: الصلاة مكيال، فمن وفى مكياله وفى له، ومن طفّف فقد علمتم ما قال الله تعالى فى المطففين(٢).

٣٧٣ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «أثقل الصلاة على المنافقين صلاة العشاء الآخرة والفجر، ولو يعلمون مافيهما من الأجر لأتوهما ولوحبواً»(٣).

٣٧٤ ـ وعن بُريدة الأسلمى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**بَشِّرِ المشّائين فى ظُلَم الليل إلى المساجد بالنّور التّام يوم القيامة**»(٤).

٣٧٥ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**لقد هممتُ أن آمرَ بالصّلاة، فتقام، ثم أخرج بفتيان معهم حزم من الحطب، فأحرق على قوم ديارهم يسمعون النداء، ثم لا يأتون الصلاة**»(٥).

٣٧٦ ـ وروى عن عبادة بن الصامت ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**خمس صلوات افترض الله تعالى على عباده، فمن جاء بهّن تامات ولم ينقصهن استخفافاً بحقّهنّ؛ كان له عند الله عهدٌ أن يدخله الجنة، ومن تركهن استخفافاً بحقّهن لم يكن له عند الله عهد، إن شاء رحمه وإن شاء عذّبه**»(٦).

وروى عن عطاء ـ رحمه الله ـ فى قول الله تعالى: ﴿**رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ**﴾ [النور: ٣٧] قال: شهود الصلاة المكتوبة. وفى قوله تعالى: ﴿**تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ**﴾ [السجدة: ١٦] قال: صلاة العتمة.

قال الفقيه: حدثنى أبى ـ رحمه الله ـ: حدثنا أحمد بن يحيى، حدثنا أحمدبن

---

(١) صحيح* أحمد (٥/ ٣١٠) والحاكم (١/ ٢٢٩) عن أبى قتادة انظر: صحيح الجامع (٩٦٦، ٩٨٦).

(٢) قال الله تعالى ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١].

(٣) صحيح* البخارى (٦٥٧، ٦١٥ وأطرافه) ومسلم (٤٣٧) بنحوه.

(٤) صحيح* أبو داود (٥٦١) والترمذى (٢٢٣) وانظر. صحيح الجامع (٢٨٢٣).

(٥) صحيح* مسلم (٦٥١) وأبو داود (٥٤٩) والترمذى (٢١٧) وابن ماجه (٧٩١).

(٦) صحيح* مالك فى «الموطأ» (١/ ١٢٣) وأحمد (٥/ ٣١٥، ٣١٩، ٣٢٢) وأبو داود (١٤٢٠) والنسائى (١/ ٢٣٠) وابن ماجه (١٤٠١) وابن حبان (٢٥٢، ٢٥٣) وانظر صحيح الجامع (٣٢٤٣).

منصور، حدثنا هَوْذَةُ بن خليفة، عن عوف بن أبى جميلة، عن أبى المنهال، عن شهر ابن حوشب، عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: إذا كان يوم القيامة وجمع الخلائق فى صعيد واحد جنهم وأنسهم، والأمم جثياً صفوفاً، نادى مناد: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الحمادون لله على كل حال، فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادى ثانية: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم، ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فيقومون فيسرحون إلى الجنة، ثم ينادى ثالثة: ستعلمون اليوم من أصحاب الكرم: ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فيقومون فيسرحون إلى الجنة، فإذا أخذ هؤلاء الثلاثة منازلهم يخرج عنق من النار، فأشرف على الخلائق، له عينان بصيرتان، ولسان فصيح، فيقول: إنى وكلت بثلاثة، إنى وكلت بكل جبار عنيد، فيلقطهم من الصفوف كلقط الطير حبّ السمسم، فيخنس بهم فى جهنم، ثم يخرج الثانية، فيقول: إنى وكلت بمن آذى الله ورسوله فيلفظهم من الصفوف فيخنس بهم فى جهنم، ثم يخرج الثالثة (١).

قال أبو المنهال: حسبت أنه قال: إنى وكّلتُ بأصحاب التصاوير، فليقطهم من الصفوف، فيخنس بهم فى جهنم، فإذا أخذ من هؤلاء الثلاثة ومن هؤلاء الثلاثة نشرت الصحف، ووضع الميزان، ودعيت الخلائق للحساب.

وذُكر أنّ إبليس لعنه الله كان يُرى فى الزمن الأول، فقال له رجل: يا أبا مرة، كيف أصنع حتى أكون مثلك؟ قال: ويحك لم يطلب منى أحد مثل هذا، فكيف تطلب أنت؟ فقال الرجل: إنّى أحبّ ذلك. فقال له إبليس: أما إن أردت أن تكون مثلى، فتهاون بالصلاة، ولاتبال من الحلف صادقاً كان أو كاذباً، فقال له الرجل: لقد عاهدت الله أن لا أدع الصلاةَ، ولا أحلف يميناً أبداً. فقال له إبليس: ماتعلم أحد منى بالاحتيال غيرك، وأنا عهدت الله أن لا أنصح آدمياً قط.

وروى عن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: أكرمُ عباد الله على الله الذين يراعون الشمس والقمر. قالوا: يا أبا الدرداء مَن هُمْ؟ قال: المؤذنون، وكل من يراعى وقتَ الصلاة من المسلمين.

٣٧٧ ـ قال: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن أحمد الخطيب النيسابورى، حدثنا أبو عمرو أحمد بن خالد الحرانى، عن يعقوب بن يوسف، عن محمد بن

---

(١) **ضعيف** * فى سنده (هوذة بن خليفة) وُثِّق وفيه ضعف (وشهر بن حوشب) فى حديثه ضعف.

معن، عن يوسف بن محمد بن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جدّه ـ رضى الله تعالى عنه ـ : قال: قال رسول الله ﷺ: **«الصلاة مرضاة للرب تبارك وتعالى، وحبّ الملائكة، وسُنّة الأنبياء، ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وإجابة الدعاء، وقبول الأعمال، وبركة فى الرزق، وراحة للأبدان، وسلاحٌ على الأعداء، وكراهية للشيطان، وشفيعٌ بين صاحبها وبين ملك الموت، وسراج فى قبره، وفراش تحت جنبه، وجواب من منكر ونكير، ومؤنس وزائر فى قبره إلى يوم القيامة.**

فإذا كانت القيامة، صارت الصلاة ظلاً فوقه، وتاجاً على رأسه، ولباساً على بدنه، ونوراً يسعى بين يديه، وستراً بيه وبين النار، وحُجّة للمؤمنين بين يدى الرب تبارك وتعالى، وثقلاً فى الموازين، وجوازاً على الصراط ومفتاحاً للجنة، لأن الصلاةَ تسبيحٌ وتحميدٌ وتمجيد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء، وأنّ أفضل الأعمال كلّها الصلاة لوقتها»[1].

٣٧٨ ـ وعن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال **«أولُ مايُحاسَبُ به العبدُ يوم القيامة الصلاة، فإن كان قد أتمّها هوّن عليه الحساب، وإن كان قد انتقص منها شيئاً قال الله تعالى لملائكته: هل لعبدى من تطوع؟ فأتموا الفريضة من التطوع، فإن تم جزى جميع الأعمال على حساب ذلك»**[2].

ويُقال: من داوم على الصلوات الخمس فى الجماعة أعطاه الله تعالى خمس خصال: أولها: يرفع عنه ضيق العيش، ويرفع عنه عذاب القبر، ويعطى كتابه بيمينه، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف، ويدخل الجنة بغير حساب.

ومن تهاون بالصلوات الخمس فى الجماعة، عاقبة الله تعالى باثنتى عشرة خصلة: ثلاث فى الدنيا، وثلاث عند الموت، وثلاث فى القبر، وثلاث يوم القيامة.

أما الثلاث التى فى الحياة الدنيا: فإنه ترفع البركة من كسبه ورزقه؛ ولا يقبل منه سائر عمله، وينزع سيما الخير عن وجهه، ويكون بغيضاً فى قلوب الناس.

وأما التى عند الموت : فتقبض روحه عطشان؛ جائعاً، ويشتدّ نزعه.

وأما التى فى القبر: فمسألة منكر ونكير، وظلمة القبر، وضيقه .

---

(١) ضعيف* فيه انقطاع .

(٢) صحيح* أحمد (٢/ ٢٩٠، ٤٢٥) وأبو داود (٨٦٤) والنسائى (١/ ٢٣٣، ٢٣٤) وابن ماجه (١٤٢٥) والحاكم (١/ ٢٦٢) عن أبى هريرة ، وانظر : صحيح الجامع (٢٥٧١ ـ ٢٥٧٤) .

وأما التى فى القيامة: فشدّة حسابه، وغضب الرب عليه، وعقوبة الله تعالى له فى النار[١].

وقد رُوى عن أبى الدرداء، نحو هذا. وعن أبى ذر عن النبى - ﷺ - .

وروى عن مجاهد أن رجلاً جاء إلى ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - فقال: يابن عباس، ماتقول فى رجلٍ يقوم الليل، ويصوم النهار، ولا يشهد جمعة، ولايصلّى فى الجماعة، فمات على ذلك، فأين هو؟ فقال: هو فى النار فاختلف إليه شهراً يسأله عن ذلك، وهو يقول: هو فى النار[٢].

قال: حدّثنى أبى - رحمه الله تعالى - بإسناده، عن على بن أبى طالب - كرّم الله وجهه - أنه قال: يأتى على الناس زمانٌ لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، ومساجدهم يومئذ عامرة، وهى من الهدى خراب، علماؤهم يومئذ شرّ علماء؛ تحت أديم السماء، من عندهم تخرج الفتنةُ، وفيهم تعود[٣].

قال وهب بن منبه: إن الحوائج لم تطلب إلى الله بمثل الصلاة، وكانت الكرب العظام تُكشف عن الأولين بالصلاة، فلما نزل بأحد منهم كربةٌ إلا كان مفزعُهُ إلى الصلاة.

وقال عز وجل فى قصة يونس - عليه الصلاة والسلام -: **﴿فَلَوْلاَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ. لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾** [الصافات: ١٤٣، ١٤٤] قال ابن عباس: كان من المصلّين.

قال الحسن البصرى - رحمة الله عليه - إنَّ التضرُّعَ فى الرخاء استعاذةٌ من نزول البلاء، ويجد صاحبه متكأ إذا نزل به.

٣٧٨/م - قال النبى ﷺ: «ما أُعطى عبدٌ خيراً من أن يؤذن له فى ركعتين يصليهما»[٤].

قال محمد بن سيرين - رحمه الله تعالى -: لو خيّرت بين ركعتين وبين الجنة لاخترتُ الركعتين على الجنة؛ لأنّ فى الركعتين رضا الله تعالى، وفى الجنة رضائى.

---

(١) موضوع* عزاه السيوطى فى « ذيل الموضوعات» وعنه ابن عراق فى « تنزيه الشريعة» (٢/ ١١٤) إلى ابن النجار عن أبى هريرة ، وانظر : الميزان(٣/ ٦٥٣) واللسان (٥/ ٣٣٤).

(٢) ضعيف * الترمذى (٢١٨) . انظر: الكبائر (٧٤ بتحقيقى) .

(٣) ضعيف جداً* انظر: الداء والدواء (ص٦١ بتحقيقى.) .

(٤) ضعيف* ابن المبارك فى « الزهد» (١٥٤) وعنه القضاعى فى « الشهاب» (١٢٩٤) عن ضمرة بن حبيب مرسلا بنحوه انظر الضعيفة (١٧٩٢)

ويقال: إنّ الله تعالى لما خلق سبع سماوات حشاها بالملائكة، وتعبّدهم بالصلاة، فلا يفترون ساعة، فجعل لكل أهل سماء نوعاً من العبادة: فأهل سماء قيام على أرجلهم إلى نفخة الصور، وأهل سماء ركّع، وأهل سماء سجّد، وأهل سماء مرخية الأجنحة من هيبته، وأهل عليين وأهل العرش وقوف يطوفون حول العرش، يسبّحون بحمد ربّهم، ويستغفرون لمن في الأرض. فجمع الله ذلك كلّه في صلاة واحدة كرامة للمؤمنين حتى يكون لهم حظّ من عبادة أهل كل سماء، وزادهم القرآن، يتلونه فيها فطلب منهم شكرها، وشكرها إقامتها بشرائطها وحدودها.

قال الله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ [البقرة: ٣] وقال: ﴿**أَقِيمُوا الصَّلاَةَ**﴾[البقرة:٤٣] وقال: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاَةَ**﴾ [هود: ١١٤] وقال: ﴿**وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ**﴾ [النساء: ١٦٢] فلم نجد ذكرَ الصلاة في موضع من التنزيلَ إلا مع ذكرِ إقامتها.

فلما بلغ ذكر المنافقين قال: ﴿**فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ**﴾ [الماعون: ٤ ، ٥] فسماهم المصلين، وسمى المؤمنين المقيمين الصلاة، وذلك ليعلم أن المصلين كثير والمقيمين للصلاة قليل، فأهل الغفلة يعملون الأعمال على الترويج ولا يذكرون يوم تعرض على الله فتقبل أم تردّ.

٣٧٩ ـ وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**إنّ منكم مَن يُصلِّي صلاته، فلا يُكتب له من صلاته إلا ثلثها، أو ربعها، أو خمسها، أو سدسها، حتى ذكر عشرها**»(١) يعنى أنه لا يكتب له من صلاته ماسها عنه.

٣٨٠ ـ وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**مَن صلّى ركعتين مُقبلاً على الله بقلبه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه** »(٢).

وإنما عظم شأن صلاة العبد بإقبال العبد على الله، فإذا لم يقبل ولها عنها بحديث النفس كان بمنزلة وافدٍ وفد إلى باب ملك معتذراً من خطيئته وزلته، فلما وصل إلى باب الملك قام بين يديه، وأقبل عليه الملك، فجعل الوافدُ يلتفت يميناً وشمالاً؛ فإنّ الملك لا يقضى حاجته وإنما يقبل الملك عليه على قدر عنايته.

---

(١) **حسن*** أحمد (٣/٤٢٧) من حديث أبى اليسر.

(٢) **صحيح*** مسلم (٢٣٤) وأبو داود (٩٠٦) والنسائى (٩٥) وابن ماجه (٤٧٠) من حديث عقبة بن عامر بلفظ « مامن أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلى ركعتين .. الحديث»..

فكذلك الصلاة، إذا قام العبدُ فيها وسها فيها لا تقبل منه.

واعلم: أنّ مثل الصلاة كمثل ملك اتّخذ عرساً، فاتخذ وليمة، وهيّأ فيها ألواناً من الأطعمة والأشربة، لكلّ لون لذّة، وفى كلّ لون منفعة، فكذلك الصلاة؛ دعاهم الربّ إليها، وهيّأ لهم فيها أفعالاً مختلفة وأذكاراً، فتعبّدهم بها ليلذّهم بكل لون من العبودية، فالأفعال كالأطعمة، والأذكار كالأشربة.

وقد قيل: إنّ في الصلاة اثنى عشر ألف خصلة، ثم جمعت هذه الاثنا عشر ألفاً فى اثنتى عشرة خصلة، فمن أراد أن يصلّى فلا بُدّ أن يتعاهدَ هذه الاثنتى عشرة خصلة؛ لتتم صلاته، فستة قبل الدخول فى الصلاة، وستة بعدها.

أولها: العلم؛ **٣٨١** ـ لأن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**عملٌ قليل فى علم، خيرٌ من عمل كثير فى جهل**» (١).

والثانى: الوضوء؛ **٣٨٢** ـ لقوله ـ ﷺ ـ : «**لا صلاة إلا بطهور**»(٢).

والثالث: اللباس؛ لقوله تعالى: ﴿**خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ**﴾ [الأعراف: ٣١] يعنى البسوا ثيابكم عند كل صلاة.

والرابع: حفظ الوقت؛ لقوله عزّ وجل: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى المؤمنينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً**﴾ [النساء: ١٠٣]يعنى فرضاً مؤقتاً.

والخامس: استقبال القبلة؛ لقوله عز وجل: ﴿**فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ المَسْجِدِ الحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وَجوهَكُمْ شَطْرَهُ**﴾[البقرة: ١٥٠] يعنى نحوه.

والسادس: النية **٣٨٣** ـ لقولهﷺ: «**إنّما الأعمالُ بالنّيات، وإنّما لكلّ امرىء مانوى**»(٣).

والسابع: التكبير؛ **٣٨٤**ـ لقوله ﷺ: «**تحريمها التكبير، وتحليلها التسليم**»(٤).

الثامن: القيام لقوله تعالى: ﴿**وقوموا لله قانتين**﴾[البقرة: ٢٣٨]صلوا لله قائمين.

والتاسع: القراءة؛ لقوله تعالى: ﴿ **فَاقْرَؤُوا ماتيَسَّر مِنَ القُرآنَ**﴾ [المزمل: ٢٠].

---

(١) **موضوع**؛ ابن عبد البر فى « جامع بيان العلم» (١/ ٤٥) وانظر: الضعيفة (٣٦٩).

(٢) **صحيح**؛ مسلم (٢٢٤) وأحمد (٢/ ٤١٨) وأبو داود (١٠١) وابن ماجه (٣٩٩) عن أبى هريرة بنحوه.

(٣) **متفق عليه**؛ البخارى (الحديث الأول) ومسلم (٣/ ١٩٠٧) عن عمر.

(٤) **صحيح**؛ أبو داود (٦١) والترمذى (٣) وابن ماجه (٢٧٥).

والعاشر: الركوع؛ لقوله عز وجل: ﴿**واركَعُوا**﴾ [البقرة: ٤٣].

والحادي عشر: السجود؛ لقوله عز وجل: ﴿**واسْجُدُوا**﴾ [الحج: ٧٧].

والثاني عشر: القعدة الأخيرة؛ **٣٨٥** ـ لقوله ـ ﷺ ـ :« إذا رفع الرجلُ رأسَه من آخر السّجدة وقعد قدر التشهد فقد تمّت صلاته»(١).

فإذا وُجدت هذه الاثنتا عشرة يحتاجُ إلى الختم وهو الإخلاص لتتمّ هذه الأشياء؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿**فَادْعُوا الله مُخْلصينَ له الدِّينَ**﴾ [غافر: ١٤].

فأما العلم فعلى ثلاثة أوجه:

أولها: أن يعرف الفريضةَ مِن السُّنّة؛ لأنّ الصلاةَ لا تجوزُ إلا به .

والثانى: أن يعرف مافى الوضوء من الفريضة والسُّنّة؛ فإنّ ذلك من تمام الصلاة.

والثالث: أن يعرفَ كيدَ الشيطان فيأخذ فى محاربته بالجهد.

وأما الوضوء فتمامه فى ثلاثة أشياء:

أولها: أن تطهّر قلبك من الغلّ والحسد والغشّ.

والثانى: أن تطهّر البدنَ من الذنوب.

والثالث: أن تغسلَ الأعضاء غسلاً سابغاً بغير إسراف.

أما اللباس فتمامه بثلاثة أشياء:

أولها: أن يكونَ أصلُه من الحلال.

والثانى: أن يكونَ طاهراً من النّجاسات.

والثالث: أن يكونَ موافقاً لِلسُّنّة، ولا يكون لبسه على وجه الفخر والخيلاء.

وأما حفظ الوقت ففى ثلاثة أشياء:

أولها: أن يكونَ بصرُك إلى الشمس والقمر والنجوم تتعاهدُ به حضورَ الوقت.

والثانى: أن يكونَ سمعُك إلى الأذان.

والثالث: أنْ يكونَ قلبُك متفكّراً متعاهداً للوقت.

وأما استقبال القبلة فتمامه فى ثلاثة أشياء:

أولها: أن تسقبلَ القبلةَ بوجهك .

---

(١) **ضعيف** ✽ آبو داود (٦١٧) والترمذى (٤٠٨) فيه (الإفريقى وعبد الرحمن بن رافع) كلاهما ضعيف.

والثانى: أن تُقبل على الله بقلبك.

والثالث: أن تكون خاشعاً ذليلاً.

وأما النية فتمامها فى ثلاثة أشياء:

أولها: أن تعلمَ أىّ صلاة تصلّى.

والثانى: أن تعلمَ أنك تقومُ بين يدى الله تعالى وهو يراك، فتقوم بالهيبة.

والثالث: أن تعلمَ أنه يعلمُ مافى قلبك؛ فتفرغ قلبك من أشغال الدنيا.

وأما التكبير فتمامه فى ثلاثة أشياء:

أولها: أن تكبّر تكبيراً صحيحاً جزماً.

والثانى: أن ترفعَ يديك حذاء أذنيك.

والثالث: أن يكونَ قلبُك حاضراً فتكبّر مع التعظيم.

وأما تمام القيام ففى ثلاثة أشياء:

أولها: أن تجعلَ بصرك فى موضع سجودك.

والثانى: أن تجعلَ قلبكَ إلى الله.

والثالث: أن لاتلتفتَ يميناً ولا شمالاً.

وأما تمام القراءة ففى ثلاثة أشياء:

أولها: أن تقرأ فاتحةَ الكتاب قراءةً صحيحةً بالترتيل بغير لحن.

والثانى: أن تقرأ بالتفكّر وتتعاهد معانيها.

والثالث: أن تعملَ بما تقرأ.

وأما تمام الركوع ففى ثلاثة أشياء:

أولها: أن تبسطَ ظهرك ولاتنكسه ولاترفعه.

والثانى: أن تضعَ يديك على ركبتيك، وتفرج بين أصابعك.

والثالث: أن تطمئن راكعاً، وتسبّح التسبيحات مع التعظيم والوقار.

وأما تمام السجود ففى ثلاثة أشياء:

أولها: أن تضعَ يديك بحذاء أذنيك.

والثانى: أن لا تبسطَ ذراعيك.

والثالث: أن تطمئن فيها ساجداً، وتسبح مع التعظيم.

وأما تمام الجلوس ففى ثلاثة:

أولها: أن تقعدَ على رجلك اليُسرى، وتنصبَ اليُمنى نصباً.

والثانى: أن تتشهّدَ بالتعظيم، وتدعو لنفسك وللمؤمنين .

والثالث: أن تسلّمَ على التمام.

وأما تمام السلام؛ فأن تكونَ مع النية الصادقة من قلبك، أن سلامك على مَن كان عن يمينك من الحفظة والرجال والنساء، وكذلك عن يسارك، ولا يتجاوز بصرك عن منكبيك.

وأما تمام الإخلاص ففى ثلاثة أشياء:

أولها: آن تطلبَ بصلاتك رضا الله تعالى، ولا تطلبَ رضا الناس.

والثانى: أن ترى التّوفيقَ مِنَ الله تعالى.

والثالث: أن تحفظَها حتى تذهب بها مع نفسك يوم القيامة؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ**﴾[الأنعام: ١٦٠] ولم يقل من عمل الحسنة.

وينبغى للمصلّى أن يعلمَ ماذا يفعل ويعرف قدره؛ ليحمدَ الله تعالى على ما وفّقه، فإنّ الصلاةَ قد جمعت فيها أنواع الخير من الأفعال والأذكار، فإذا قام العبدُ إلى الصلاة، وقال: الله أكبر، ومعناه الله أعظم، يقول الله تعالى: قد علم عبدى أنّى أكبرُ من كل شىء، وقد أقبل علىّ فإذا كبر رفع يديه إلى أذنيه ومعنى رفع اليدين هو التبرئة من كل معبود سوى الله تعالى.

ثم يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، وتعلم فى قلبك معنى هذا القول «سبحانك اللهم» يعنى تنزيهاً لله عن كل سوء ونقص، «وبحمدك» يعنى أن لك الحمد. «وتبارك اسمك» يعنى جعلت البركة فى اسمك أى فيما ذكر عليه اسمك، ثم يقول: «وتعالى جدّك» يعنى ارتفع قدرك وعظمتك، « ولا إله غيرك» يعنى لا خالق ولا رازق ولا معبود غيرك، لم يكن فيما مضى، ولا يكون فيما بقى.

تم يقول: « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» يعنى أسألك أن تعيذنى وتمنعنى من

فتنة الشيطان الملعون. « إن الله هو السميع العليم» يعنى السميع لدعائى، العليم بضعفى وحاجتى« بسم الله الرَّحمن الرَّحيم» فمعنى قوله: بسم الله: يعنى الأول فلا شيء قبله ولا شيء بعده، الرحمن: العاطف على جميع خلقه بالرزق، الرحيم: البارّ بالمؤمنين خاصة.

ثم تقرأ فاتحة الكتاب إلى آخرها، يعنى الحمد لله الذى لم يجعلنى من المغضوب عليهم وهم اليهود، ولا الضالين وهم النصارى، ولكنّه جعلنى على طريق أنبيائه.

وإذا ركعت فتفكّر فى نفسك، فكأنّك تقول: يارب إنى خضعتُ بين يديك، وجئتُ بهذه النفس العاصية إليك، وانقادتْ نفسى لعظمتك لعلك تعفو عنى وترحمنى.

ثم تقول: «سبحان ربى العظيم»، ومعناه: تضرّعا إلى رب عظيم ومولى كريم، ثم ترفع رأسك وتقول: « سمع الله لمن حمده»، ومعناه غفر الله لمن وَحَّدَهُ وأطاعه، ثم تقول: « ربنا لك الحمد». ومعناه لك الحمد إذ وفقتنا لهذا.

ثم تسجد، ومعنى السجود الميل بالذل والاستسلام والتواضع. ومعناه: يارب إنك صوّرتَ وجهى على أحسن الصور، وجعلتَ فيه البصر والسمع واللسان، فهذه الأشياء أحبّ إلىّ وأنفع، فقد جئتُ بهذه الأشياء ووضعتها بين يديك لعلك ترحمنى.

ثم تقول: «سبحان ربى الأعلى» ومعناه: تنزّه ربى الأعلى الذى لا شيء فوقه، وإذا جلستَ للتشهد، وقرأت التحيات فتقول: «التحيات لله» يعنى الملك لله والحمد والثناء.

وروى عن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: كان فى الجاهلية أصنام، فكانوا يقولون لأصنامهم: لك الحياة الباقية، فأمر الله تعالى أهل الصلاة أن يجعلوا التحيات لله تكذيباً لهم، يعنى البقاء والملك الدائم لله تعالى.

ثم تقول: «والصلوات» يعنى الصلوات الخمس لله عز وجل لاينبغى أن تصلى إلا لله. «والطيبات» يعنى شهادة أن لا إله إلا الله هى لله تعالى يعنى الوحدانية. تعالى.

ثم تقول: «السلام عليك أيها النبى» يعنى يامحمد عليك السلام كما بلغت رسالة ربك، ونصحت لأمتك. «ورحمة الله » يعنى رضوان الله لك واجب «وبركاته»: يعنى عليك البركة وعلى أهل بيتك. «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» يعنى مغفرة الله تعالى لنا، وعلينا، وعلى جميع من مضى من النبيين والصديقين، ومن سلك طريقهم إلى يوم القيامة. « أشهد أن لا إله إلا الله» يعنى لا معبود فى السماء والأرض

غيره«وأشهد أن محمداً عبده ورسوله»، خاتم أنبيائه وصفيه وخيرته من جميع خلقه.

ثم تصلّى على النبى ﷺ، ثم تدعو لنفسك وللمؤمنين والمؤمنات، ثم تسلّم عن يمينك وشمالك.

ومعنى التسليم عن اليمين وعن اليسار، يعنى: أنتم معاشر إخوانى من المؤمنين سالمون آمنون من شرّى وخيانتى إذا خرجتُ من المسجد.

٣٨٦ ـ وروى عن الحسن البصرى ـ رحمة الله عليه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: **«للمصلى ثلاثُ كرامات: يتناثر البرّ على رأسه من عنان السماء إلى مفرق رأسه، والملائكة محفوفة به من قدميه إلى عنان السماء، وملك ينادى لو يعلم العبدُ مَن يناجى ما انفتل من صلاته، فهذه الكرامات كلّها للمصلى»**(١).

فينبغى للمصلى أن يعرفَ قدر صلاته، ويحمد الله تعالى على مامَنّ عليه ووفقه لذلك.

وروى سعيد عن قتادة أن دانيال ـ عليه السلام ـ نعت أمة محمد ـ ﷺ ـ فقال: يصلّون صلاةً لو صلاّها قوم نوح ما أغرقوا، ولو صلاّها قومُ عاد ما أرسلتْ عليهم الريحُ العقيم، ولو صلاها قومُ ثمود ما أخذتهم الصّيحةُ ثم قال قتادة: عليكم بالصلاة فإنّها خُلُقٌ للمؤمنين حَسَنٌ.

٣٨٧ ـ وروى خلف بن خليفة، عن ليث رفعه إلى النبى ﷺ أنه قال: **«أمتى أمة مرحومة، وإنما يدفعُ الله عنهم البلاء بإخلاصهم ودعائهم وصلاتهم وضعفائهم»**(٢).

***

باب فضل الأذان والإقامة

٣٨٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا على بن يونس العابد، عن أبى عون البصرى، عن سلمة بن ضرار عن رجل من أهل الشام قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: أخبرنى بعمل أدخل به الجنة. قال: **«كن مؤذّن قومك**

---

(١) ضعيف* محمد بن نصر فى « تعظيم قدر الصلاة» عن الحسن مرسلاً. انظر. ضعيف الجامع (٤٧٥٢)

(٢) ضعيف* فيه ثلاث علل: الأولى والثانية(خلف بن خليفة وليث بن أبى سليم) كلاهما ضعيف لاختلاطهما والثالثة: الانقطاع.

يجمعوا بك صلاتهم». قال: يارسول الله إن لم أطق؟ قال: «**كنْ إمامَ قومك يقيموا بك صلاتهم**» قال: فإن لم أطق؟ قال: «**فعليك بالصّفّ الأول**»[1].

وروى وكيع؟ عن عبيد الله بن الوليد، عن محمد بن نافع، عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت: نزلت هذه الآية فى المؤذنين ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ**﴾ [فصلت: ٣٣] يعنى دعا الخلق إلى صلاة، وصلّى بين الأذان والإقامة.

٣٨٩ ـ وروى القاسم عن أبى أمامة الباهلى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**يُغفر للمؤذن مدّ صوته، وله مثل أجر مَن صلّى معه من غير أن ينقص من أجورهم شىء**»[2].

٣٩٠ ـ وعن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن خولة بنت حكيم السلمية قالت: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**المريضُ ضيفُ الله مادام فى مرضه، يُرفع له كل يوم عمل سبعين شهيداً، فإن عافاه من مرضه خرجَ من ذنوبه كيوم ولدته أمه، فإن قضى عليه بالموت أدخله الجنة بغير حساب.**

والمؤذن هو حاجبُ الله تعالى، يعطيه بكل أذان ثوابَ ألف نبى والإمامُ وزيرُ الله يعطيه بكل صلاة ثواب ألف صديق. والعالمُ وكيلُ الله تعالى؛ يعطيه بكل حديث نوراً يوم القيامة، وكتب الله له بكل حديث عبادة ألف سنة والمتعلّمون من الرجال والنساءهم خدمُ الله، فما جزاؤهم إلا الجنة»[3].

قال الفقيه: قوله: «حاجب الله» على وجه المثل، يعنى يعلم الناس وقت الدخول على ربهم كالحاجب للملك، يأذن للناس بالدخول وقت الإذن، وكذلك قوله: «وزير الله»، يعنى أن الناس يقتدون به فى صلاته، وصلاتهم تتمّ بصلاته.

٣٩١ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**مَن أذّن سبع سنين أعتقه الله من سبع دركات من النار، بعد أن يحسن نيته**»[4].

---

(١) ضعيف: البخارى فى «التاريخ الكبير» (١/ ٣٧) وابن عدى فى «الكامل» (٦/ ١٢٠) والعقيلى (١٥٧٦) عن ابن عباس. فيه (محمد بن إسماعيل الضبى) منكر الحديث فى سند المصنف جهالة.

(٢) ضعيف الإسناد: عزاه الهيثمى فى «المجمع» (١/ ٣٢٦) إلى الطبرانى فى «الكبير» وضعفه.

(٣) لم أقف على إسناده لكن لوائح الوضع لائحة عليه، ففيه ثواب عظيم على فعل يسير.

(٤) ضعيف جداً: الترمذى (٢٠٦) وابن ماجه (٧٢٧) وانظر: الضعيفة (٨٥٠).

٣٩٢ ـ وعن عطاء بن يسار أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**يغفر للمؤذّن مدّ صوته ويصدّقه كل ما سمعه من رطب ويابس**» (١).

٣٩٣ ـ وعن أبى سعيد الخُدرى رضىَ الله تعالى عنه قال: إذا كنتَ فى هذه البوادى، فأذّنت فارفعْ صوتك؛ فإنى سمعت النبى ﷺ يقول: «**لا يسمع مدى صوت المؤذّن شجر ولا حجر ولا مدر ولا إنس ولا جان، إلا شهد له يوم القيامة عند الله تعالى** »(٢).

٣٩٤ ـ قال: وحدثنى محمد بن الفضل بإسناده عن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبىﷺ قال: «**يبعث الله يوم القيامة بلالاً على ناقة من نوق الجنة يؤذّن على ظهرها، فإذا قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، نظر الناسُ بعضهم إلى بعض، فقالوا: نشهد على مثل ما تشهد؛ حتى يوافى المحشر فإذا وافى المحشر؛ يؤتى بحلل من حلل الجنة، فأول مَن يكسى بلال وصالحو المؤذنين**»(٣).

٣٩٥ ـ قال قتادة: ذكر لنا أن أبا هريرة رضى الله تعالى عنه كان يقول: «**المؤذنون أطول الناس أعناقاً قوم القيامة**»(٤) «**وإن أول من يقضى له يوم القيامة الشهداء والمؤذنون بعد الأنبياء، فيدعى مؤذنُ الكعبة ومؤذن بيت المقدس ثم يتتابع المؤذنون**»(٥).

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: لو كنت مؤذناً لما باليت أن لا أغزو.

وعن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: لو كنتُ مؤذناً لما باليتُ أن لا أجاهدَ.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: لو كنتُ مؤذناً لما باليتُ أن لا أحجّ ولا أعتمر بعد حجة الإسلام.

وعن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: ما أتأسّفُ على شىء إلا أنى وددتُ أنى كنت سألت النبى ـ ﷺ ـ الأذان للحسن والحسين.

---

(١) صحيح* أبو داود (٥١٥) وابن ماجه (٧٢٤) وأحمد (٢/ ٤٦١) عن أبى هريرة.
وأحمد (٤/ ٢٨٤) والنسائى (٢/ ١٣) عن البراء ورواه الطبرانى عن عطاء مرسلاً(الكنز ٢٠٩٢٧).

(٢) صحيح* البخارى (٢/ ٦٠٩وأطرافه) وأحمد (٣/ ٣٥, ٤٣) والنسائى (٢/ ١٢) وابن ماجه (٧٢٣).

(٣) موضوع* انظر الموضوعات (٣/ ٢٤٤، ٢٤٥) والعلل المتناهية (٦٥٣) لابن الجوزى.

(٤) صحيح* مسلم (٣٨٧) وأحمد (٤/ ٩٥، ٩٨) عن معاوية ، وابن حبان (٢٩٣) عن أبى هريرة.

(٥) منكر* ابن حبان فى « المجروحين» (٢/ ٢٥٧) وابن عدى فى « الكامل» (٦/ ٢٤٥) والعقيلى (١٦٧٢) وابن الجوزى فى « العلل » (٦٥٦، ٦٥٧) عن حابر أنكره البخارى فى « تاريخه» (١/ ٢٠٤).

٣٩٦ ـ وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: « **ما من مدينة يكثر المؤذّنون فيها إلا قلّ بردها**»(١).

٣٩٧ ـ وعن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**إذا نادى المؤذّنون بالأذان هرب الشيطان حتى يكونَ بالروحاء**» وهى ستة وثلاثون ميلاً من المدينة(٢).

قال الفقيه: يحتاج المؤذّنُ إلى عشر خصال حتى ينال فضل المؤذنين:

أولها: أن يعرف ميقات الصلاة ويحفظها.

والثانى: أن يحفظ حلقه، فلا يؤخر الأذان لأجل حلقه.

والثالث: إذا كان غائباً لا يسخطُ على مَن أذّن فى مسجده.

والرابع: أن يحسنَ الأذان.

والخامس: أن يطلبَ ثوابه من الله تعالى ولا يمنّ على الناس.

والسادس: أن يأمرَ بالمعروفَ وينهى عن المنكر، ويقول الحقّ للغنى والفقير سواء.

والسابع: أن ينتظَر الإمام بقدر ما لا يشق على القوم.

والثامن: أن لا يغضبَ على مَن أخذ مكانه فى المسجد.

والتاسع: أن لا يطوّل الصلاة بين الأذان والإقامة.

والعاشر: أن يتعاهد مسجده فيطهّره من القذر، ويجنّب الصبيان عنه.

ويحتاج الإمامُ إلي عشر خصال حتى تتمّ صلاته وصلاة من خلفه:

أولها: أن يكونَ قارئاً لكتاب الله تعالى، ولا يكون لحاناً.

والثانى: أن تكونَ تكبيراتُه جزماً صحيحاً .

والثالث: أن يتمّ ركوعه وسجوده.

والرابع: أن يحفظَ نفسه من الحرام والشبهة.

والخامس: أن يحفظ ثيابه وبدنه عن الأذى .

والسادس: أن لا يطوّل القراءةَ إلا برضا القوم.

والسابع: أن لا يُعجب بنفسه.

(١) **موضوع*** ابن عدى(٥/ ١١٢) والعقيلى (١٢٧٠) وابن الجورى فى« الموضوعات» (٢/ ٩١) آفتة (عمرو بن جميع) كذبه ابن معين وقال النسائى والدارقطنى. متروك .

(٢) **صحيح*** مسلم (٣٨٨) وأحمد (٣/ ٣٣٦).

والثامن: أن لا يدخلَ فى الصلاة حتى يستغفرَ الله من جميع ذنوبه؛ لأنه شفيعٌ لمن خلفه .

والتاسع: إذا سلّم لا يخصّ نفسه بالدُّعاء فيخون القوم .

والعاشر: إذا نَزل فى مسجده غريبٌ يسأله عما يحتاجُ إليه .

٣٩٨ ـ وروى أبو سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «خمسة أضمن **لهم الجنة: المرأة الصالحة المطيعة لزوجها، والولد المطيع لأبويه، والمتوفّى فى طريق مكة، وصاحب الخُلُق الحسن، ومن أذّن فى مسجدٍ من المساجد إيماناً واحتسابا**»[١] .

٣٩٩ ـ وروى عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**الإمامُ ضامن، والمؤذّنُ مُؤْتَمَنٌ، اللهم ارشدْ الأئمة واغفرْ للمؤذنين**»[٢] .

قال الفقيه: سُمِّى المؤذن مؤتمناً لأنّ الناس ائتمنوه فى أمر صلاتهم وصومهم، فمن حقّ المسلمين على المؤذن أن لا يؤذّن لصلاة الفجر حتى يطلع الفجر؛ كيلا يشتبه عليهم أمرُ صلاتهم وسحورهم، ولا يؤذّن لصلاة المغرب حتى تغربَ الشمس؛ لكيلا يشتبه عليهم أمر فطرهم، فمن هذا الوجه يكون مؤتمناً والإمام ضامن، لأنه قد ضمن صلاة القوم فتفسد صلاتهم بصلاته، وتصحّ صلاتهم بصلاته.

٤٠٠ ـ قال: وأخبرنى عبد الوهاب بن محمد الفضلانى بسمرقند بإسناده عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ثلاثة يقومون يوم القيامة على كثبان المسك لا يهولهم الحساب، ولا يحزنهم الفزع الأكبر: رجل أمّ قوماً وهم له راضوَن، ورجل أذّن الخمس ابتغاء وجه الله، وعبد أطاع ربه وسيده**»[٣] .

٤٠١ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا يحلّ لمسلم أن ينظر فى بيت مسلم إلا بإذنه، فإن نظر فقد دمر، ومن دمر فقد نقض العهد. ولا يحلّ لمسلم أن يصلى وهو حاقن حتى يخفف ولا يحلّ لمسلم أن يؤمّ قوماً إلا بإذنهم، فإن فعل قبلتْ صلاتُهم ورُدّتْ صلاته. ولا يخصّ الإمام نفسه بالدعاء، فإن فعل ذلك فقد خانهم** »[٤] .

---

(١) لم أقف على إسناده .

(٢) **صحيح*** أحمد (٢/ ٢٣٢ وغيره) وأبو داود (٥١٧) والترمذى (٢٠٧).

(٣) **ضعيف** * أحمد (٢/ ٢٦) والترمذى (١٩٨٦، ٢٥٦٦) عن ابن عمر انظر: ضعيف الترمذى (٣٣٩) .

(٤) **صحيح(إلا جملة الدعوة)*** أبو داود (٩١) والأصبهانى فى « الترغيب» (٢٥٧). ضعيف أبو داود (١٦) .

٤٠٢ـ وعن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه، قال رسول الله ﷺ: «**لو يعلم الناسُ مافى النداء والصّفّ الأول لاستَهَمُوا عليهما، ولو يعلمون ما فى التّهجير لاستبقوا إليه. ولو يعلمون مافى شهود العتَمة والصبح لأتوهما ولو حبواً**»(١).

٤٠٣ ـ وروى جويبر عن الضحاك قال: لما رأى عبد الله بن زيد الأذان فى المنام وعلّمه بلالاً، فأمر النبى ـ ﷺ ـ بلالاً أن يصعدَ السطح ويؤذّن، فلما افتتح الأذان سمعوا هدة بالمدينة، فقال النبى ـ ﷺ ـ: «**أتدرون ماهذه الهدة؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إنّ ربّكم أمر بأبواب السماء ففتحت إلى العرش لأذان بلال**»، فقال أبوبكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ: هذا لبَلال خاصة أم للمؤمنين عامة؟ قال: «**بل للمؤمنين عامة، وإن أرواح المؤذنين مع أرواح الشهداء فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين المؤذنون؟ فيقومون على كثبان المسك والكافور**»(٢).

٤٠٤ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال: «**خمسة ليس لهم صلاة: المرأة الساخطة على زوجها، والعبد الآبق من سيده حتى يرجع، والمصارم لا يكلّم أخاه فوق ثلاثة أيام، ومدمن الخمر، وإمام قوم يصلى بهم وهم له كارهون**» (٣).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ : كراهيةُ القوم على وجهين: إن كانت كراهيتهم لفساد فيه، أو كان لحاناً بالقراءة وهم يجدون غيره، أو كان فى الجماعة من هو أعلم منه، فهذا الذى يكره، وكره له أن يؤمّهم، وإن كانت كراهيتهم لأنه يأمر بالمعروف فيبغضونه أو للحسد وليس فى الجماعة من هو أعلم منه، فكراهيتهم باطلة، وله أن يؤمّهم وإن رغم أنفهم.

٤٠٥ ـ وروى جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال: «المؤذّنون المحتسبون يخرجون يوم القيامة من قبورهم وهم يؤذنون، فالمؤذن المحتسب يشهد له كل شىء يسمع صوته من حجر أو شجر أو مدر أو بشر أو رطب أو يابس، ويغفر الله له مدّ صوته، ويكتب له من الأجر بعدد من يصلى بأذانه، ويعطيه الله ما يسأل بين الأذان والإقامة، إما أن يعجله فى الدنيا، أو يدخره فى الآخرة، وإما أن يصرف عنه السوء.

---

(١) متفق عليه * (البخارى(٦١٥) ومسلم (٤٣٧) الاستهام. الاقتراع. التهجير: التبكير إلى الصلاة.

(٢) ضعيف جداً* فيه علتان الأولى(جويبر) متروك، الثانية: الانقطاع بين الصحاك بن مزاحم وعبد الله بن زيد

(٣) رواه الديلمى فى « الفردوس » (٢٨٠٤) بنحوه وله شواهد صحيحة متفرقاً

وأول مَن يُكسى يوم القيامة من كسوة الجنة إبراهيم، ثم محمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، وفى رواية: محمد ثم إبراهيم، ثم يُكسى الرسل والأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ثم المؤذنون المحتسبون، وتتلقاهم الملائكة بنجائب من ياقوت أحمر، ثم يشيّع كلّ رجل منهم سبعون ألف ملك من قبره إلى المحشر»[١].

قال ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: ثلاثة يعصمهم الله تعالى من عذاب القبر، المؤذن، والشهيد والمتوفى يوم الجمعة، أو فى ليلة الجمعة.

وعن عبد الأعلى التيمى أنه قال: ثلاثة على كثبان المسك حتى يفرغَ الناس من الحساب، إمام قوم يلتمس به وجهَ الله تعالى .

ورجل قرأ القرآن يلتمس به وجه الله تعالى، ومؤذن ينادى بالصلاة يلتمس به وجه الله تعالى .

٤٠٦ ـ وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**من قال مثل مايقول المؤذن كان له مثل أجره**» [٢].

٤٠٧ ـ ورُوى فى خبر آخر أن النبى ـ ﷺ ـ كان إذا قال المؤذن الله أكبر يقول معه، وكذلك فى الشهادتين، وإذا قال حيّ على الصلاة، حيّ على الفلاح قال: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم[٣].

قال الفقيه: ينبغى للرجل إذا سمع الأذان أن يستمع ويعظم ويقول مثل ما يقول المؤذن، فإذا انتهى إلى قوله حيّ على الصلاة يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، وإذا قال حيّ على الفلاح يقول: ماشاء الله كان، وينبغى أن يعرفَ تفسيرَ الأذان ومعناه، فإنّ لكلّ كلمة منه ظهراً أو بطناً، فإذا قال المؤذّن: الله أكبر الله أكبر، تفسيره فى الظاهر الله أعظم، ثم الله أعظم وأجلّ، ومعناه الله أعظم، وعمله أوجب، فاشتغلوا بعمله واتركوا أشغال الدنيا.

وإذا قال أشهد أن لا إله إلا الله فتفسيره :أشهد أنه واحد لا شريك له، ومعناه أن الله قد أمركم بأمر فاتبعوا أمره، فإنه لا ينفعكم أحد إلا الله، ولا ينجيكم أحد من عذابه إن لم تؤدوا أمره.

---

(١) موضوع* ابن الجوزى فى«الموضوعات»(٢/ ٨٨، ٨٩) وأعله بعباد بن كثير وسلام الطويل: كلاهما متروك كذاب

(٢) ضعيف * عزاه الهيثمى فى « المجمع» (١/ ٣٣١) إلى الطبرانى فى « الكبير» وأعله .

(٣) صحيح* مسلم (٣٨٥) وأبو داود (٥٢٧) وابن خزيمة (٤١٧) عن عمر بن الخطاب

وإذا قال أشهد أن محمَّداً رسول الله فتفسيره: وأشهد أن محمَّدًا رسول الله، أى الله أرسله إليكم؛ لتؤمنوا به وتصدقوه، ومعناه أنه قد أمركم بإقامة الجماعة، فاتبعوا ما أمركم به.

فإذا قال حيّ على الصلاة تفسيره: أسرعوا إلى أداء الصلاة، ومعناه حان وقت الصلاة فأقيموها، ولا تؤخروها عن وقتها وصلوها بالجماعة.

وإذا قال حَيّ على الفلاح، فتفسيره: أسرعوا إلى النجاة والسعادة، ومعناه أن الله تعالى جعل الصلاة سبباً لنجاتكم وسعادتكم فأقيموها تنجوا من عذابه.

وإذا قال الله أكبر الله أكبر، فتفسيره: أن الله تعالى أعظم وأجلّ، ومعناه أن عمله أوجب، فلا تؤخروا عمله.

وإذا قال لا إله إلا الله تفسيره: اعلموا أنه واحد لا شريك له، ومعناه: أخلصوا صلاتكم لوجه الله تعالى.

***

باب الطّهارة والنّظافة

٤٠٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو جعفر، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن أبى سهل القاضى، حدثنا إبراهيم بن خنيس عن أبيه، عن إسماعيل بن أبى زياد، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «عليكم بالسواك فإنّ فيه عشر خصال: مطهرة للفم، ومرضاة للرب، ومفرحة للملائكة، ومجلاة للبصر، ويبيض الأسنان، ويشد اللثة، ويذهب بالبخر، ويهضم الطعام، ويقطع البلغم، وتضاعف به الصلوات، ويطيب النكهة، وهو طريق القرآن».(١)

٤٠٩ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا وكيع، عن الأوزاعى، عن حسان بن عطية رفعه إلى النبى ﷺ قال: **«الوضوء شطر الإيمان، والسواك شطر الوضوء، ولولا أن أشقّ على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة وركعتان يَسْتاك فيهما العبدُ أفضل من سبعين ركعة لا يَسْتاك فيها»**(٢).

---

(١) **ضعيف جداً** * فيه ثلاث علل. الأولى والثانية (إسماعيل بن أبى زياد وجويبر) كلاهما متروك وقد كذّبا. الثالثة. الانقطاع بين الضحاك وابن عباس وانظر. العلل المتناهية (٥٤٨).

(٢) **ضعيف** * ابن أبى شيبة فى « المصنف» (١/ ١٧٠) عن حسان بن عطية مرسلاً.

٤١٠ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن حمدان، حدثنا الحسين بن على الطوسى، حدثنا محمد بن شوكة، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبى، عن أبى إسحاق، عن محمد بن إبراهيم التيمى، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ، عن النبى ﷺ أنه قال: « **خمس من الفطرة: قص الشارب، وتقليم الأظفار، وحلق العانة، ونتف الإبط، والسواك**»[1].

قال ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ : السواك بعد الطعام أفضل من أن تعتق وصيفتين.

٤١١ ـ وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: « **لا يزال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**[2]**ولا يزال يوصينى بالمماليك حتى ظننت أنه يجعل لعتقهم وقتاً ولا يزال يوصينى بالسواك حتى ظننت أنه يدردنى ـ يعنى يذهب اللثة**[3]**ـ، ولا يزال يوصينى بالنساء حتى ظننت أنه يحرم الطلاق، ولا يزال يوصينى بصلاة الليل حتى ظننت أن خيار أمتى لا ينامون بالليل**» [4].

٤١٢ ـ وروى عن الأعمش، عن مجاهد قال: أبطأ جبريل على النبى ـ ﷺ ـ ثم أتاه فقال: « **ما حبسك ياجبريل؟**» قال: وكيف نأتيكم وأنتم لا تقلمون أظفاركم، ولا تأخذون من شواربكم، ولاتنقون براجمكم، ولا تستاكون! ثم قال: ﴿**وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلاَّ بِأَمْرِ رَبِّكَ**﴾ [مريم: ٦٤][5].

٤١٣ ـ وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**حقّ على كلّ مسلم الغسل يوم الجمعة، والسواك، والطيب** »[6].

وعن حميد بن عبد الرحمن، قال: من قصّ أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه الداء، وأدخل فيه الشفاء [7].

٤١٤ ـ وروى ابن شهاب عن النبى ﷺ أنه قال: «**مَن قلّم أظفاره يوم الجمعة كان له أماناً من الجذام**»[8].

---

(١) متفق عليه * البخارى (١٠/ ٥٨٨٩، وأطرافه) ومسلم (٢٥٧) عن أبى هريرة.

(٢) متفق عليه * البخارى (١٠/ ٦٠١٤، ٦٠١٥) ومسلم (٤/ ٢٦٢٤, ٢٦٢٥) عن عائشة وابن عمر.

(٣) ضعيف* البيهقى (٧/ ٤٩) والبزار كما فى « المجمع» (٢/ ٩٩) وضعّفه.

(٤) الديلمى فى « فردوس الأخبار» (٦٣٠٦).

(٥) ضعيف* إسناده (مرسل أو معضل). وعنعنه الأعمش وكان يدلس .

(٦) صحيح * مسلم (٨٤٦) بنحوه عن أبى سعيد الخدرى .

(٧) ضعيف* عبد الرزاق فى « المصنف» (٥٣١٠) بإسناد مرسل وفيه جهالة .

(٨) موضوع* ابن الجوزى فى « الموضوعات» (٣/ ٥٣) مطولاً عن أبى هريرة وأعلّه .
انظر « اللآلىء المصنوعة (٢/ ٢٦٧) وتنزيه الشريعة (٢/ ٢٦٩).

٤١٥ ـ وروى فى بعض الأخبار أن النبى ـ ﷺ ـ وقّت فى كلّ أربعين يوماً حلق العانة، وفى كل جمعة قصّ الأظفار(١).

٤١٦ ـ وعن النبىﷺ أنه قال: « **طيّبوا أفواهكم بالسواك فإن أفواهكم طرق القرآن**»(٢).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: السواك على ثلاثة أوجه: إما أن يريد به وجه الله تعالى وإقامة السنة، وإما أن يريد به نفع نفسه، وإما أن يريد به وجه الناس. فإن أراد به وجه الله تعالى وإقامة السنة فهو مأجور، وكلّ صلاة تعدل سبعين، كما جاء فى الخبر، وإن أراد به منفعة نفسه فلا أجر له وهو محاسب به، وإن أراد به الرياء فهو محاسب آثم.

وعن طاووس عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ فى قوله تعالى: ﴿**وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً**﴾ [البقرة: ١٢٤]. قال: ابتلاه بطهارة خمس فى الرأس وخمس فى الجسد، فأمّا التى فى الرأس: فقصّ الشارب، والمضمضة، والاستنشاق، والسواك، وفرق الرأس. وفى الجسد: تقليم الأظفار، والختان، ونتف الإبط، وحلق العانة، والاستنجاء بالماء.

***

باب فضل الجمعة

٤١٧ـ قال الفقيه أبوالليث السمرقندى: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا الحسين بن على الجعفى، عن عبد الرحمن بن يزيد، عن أبى الأشعث الصنعانى، عن أوس بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ أفضلَ أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خُلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة فأكثروا فيه علىّ من الصلاة،فإن صلاتكم معروضة علىّ**» قالوا: يارسول الله وكيف تُعرض صلاتُنا عليك وقد بليت؟ قال: «**أتقولون قد بليت؟ أمَا علمتم أنّ الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام**»(٣).

---

(١) **صحيح*** مسلم (٢٦٨) وأبو داود (٤٢٠٠) والترمذى (٢٧٥٩) عن أنس دون ذكر الجمعة.

(٢) **صحيح لغيره*** البيهقى فى « الشعب» (٢١١٩) عن سمرة وأعلّه بغياث بن كلوب قال: مجهول. له شاهد (صحيح) عن على: رواه البيهقى فى « السنن» (٣٨/١) وفى « الشعب» (٢١١٦).
انظر: الصحيحة (١٢١٣) وصحيح الجامع (٣٩٣٩).

(٣) **صحيح*** أحمد (٨/٤) وأبو داود (١٠٤٧) والنسائى (٩١/٣) وابن ماجه(١٠٨٥/١٦٣٦).

٤١٨ ـ قال الفقيه: حدثنا عبد الرحمن بن محمد، حدثنا أبو القاسم، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا الحسين بن على الجعفى، عن عبدالرحمن بن يزيد، عن أبى الأشعث، عن أوس قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ وذكر الجمعة، فقال: « **من غسل واغتسل، وبكّر وابتكر، ودنا فأنصت ولم يلغ، كان له من الأجر بكل خطوة كأجر سنة صيامها وقيامها**»[(١)].

قال محمد بن الفضل: سألتُ يزيد بن هارون عن قوله « غسل واغتسل»، قال: غسل مواضع الوضوء، واغتسل يعنى غسل جسده، وسألت عن « بكر وابتكر » قال: يعنى بكر على غسله، وابتكر إلى الجمعة.

٤١٩ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال:

« **لم تطلع الشمسُ ولم تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة فى الأرض إلا وهى تفزعُ ليوم الجمعة إلا الثقلين ـ الجن والإنس ـ وعلى كلّ باب من أبواب المسجد ملكان يكتبان الناس الأول فالأول، كرجل قرّب بدنة، وكرجل قرّب شاة، وكرجل قرّب طيراً، وكرجل قرّب بيضة، فإذا قعد الإمامُ طُويت الصُّحف**»[(٢)].

٤٢٠ ـ وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: «**مَن توضّأ يوم الجمعة، فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع، ودنا فأنصت، غُفر له ما بينه وبين الجمعة، وزيادة ثلاثة أيام؛ ومَنْ مسّ الحصى فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له** »[(٣)] .

٤٢١ ـ وروى أبو سلمة عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: « **إنّ خيرَ يوم طلعت فيه الشمسُ يوم الجمعة، فيه خَلَقَ الله آدم، وفيه أدخله الله الجنة، وفيه أهبط منها، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمنٌ يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه إيّاه**» [(٤)].

---

(١) صحيح* أحمد(٤/ ٩، ١٠٤) وأبو داود (٣٤٥) والترمذى (٤٩٦) والنسائى (٣/ ٩٧) وابن ماجه (١٠٨٧) وابن حبان (٥٥٩) والحاكم (١/ ٢٨٢). وصححه ولم يتعقبه الذهبى .

(٢) صحيح * أحمد (٢/ ٤٠١، ٤١٨ ، ٤٨٦ وغيره) وأبو داود (١٠٤٦) وابن حبان (١٠٢٤) .

(٣) صحيح* مسلم (٢/ ٨٥٧) وأبو داود (١٠٥٠) والترمذى (٤٩٨) وابن ماجه (١٠٩٠)

(٤) صحيح* مسلم (٢/ ٨٥٤) وأبو داود (١٠٤٦) والترمذى (٤٨٨) والنسائى (٣/ ٨٩).

قال أبو سلمة: قال عبد الله بن سلام: قد عرفت تلك الساعة، وهى آخر ساعات النهار، وهى الساعة التى خُلق فيها آدم - عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿خُلِقَ الإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

وقال سعيد بن المسيب: لأن أشهدَ الجمعة أحبّ إلىّ من حجّة تطوع.

وعن كعب الأحبار: لأن أشربَ قدحاً من نار أحب إلىّ من أن أشرب قدحا من خمر، ولأن أشرب قدحاً من خمر أحب إلىّ من أن أتخلّف عن الجمعة، ولأن أتخلّف عن الجمعة أحب إلّى من أن أتخطّى رقابَ الناس.

٤٢٢ - وعن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: تلا رسول الله - ﷺ - على المنبر آية، فقال ابن مسعود لأبىّ بن كعب: متى أنزلت هذه الآية؟، فغمزه، فلما انصرف، قال له أبىّ: إنما فات حظك من صلاتك مالغوت، فدخل عبد الله على رسول الله - ﷺ - فسأله عن ذلك، فقال: «صدق أبىّ»، ثم قال: «**ما من عبد يغتسل يوم الجمعة ويلبس أحسن ماعنده، ويمسّ من دهنه ماكان، ثم يأتى الجمعة فلا يؤذى أحداً ولا يتخطّى رقابَ الناس، فيصلى ماقضى الله تعالى له، فإذا خرج الإمامُ جلس وأنصت إلا غفر الله له ما بين الجمعتين**»[(١)].

٤٢٣ - وروى عبد الرحمن بن يزيد عن أبى لبابة بن عبد المنذر قال: قال رسول الله - ﷺ -: «**يومُ الجمعة سيّد الأيام وأعظمها عند الله، وهو أعظمُ عند الله من يوم الفطر، ومن يوم النّحر، وفيه خمس خصال: فيه خَلَقَ الله آدم، وفيه أهبط الله تعالى آدم إلى الأرض،، وفيه توفى آدم، وفيه ساعةٌ لا يسأل الله فيها شيئاً إلا أعطاه الله إياه ما لم يسأل حراماً، وفيه تقوم الساعة، وما من ملك مقرّب عند ربه ولا فى سماء ولا فى أرض إلا وهو يشفق من يوم الجمعة**»[(٢)].

٤٢٤ - وعن علىّ بن أبى طالب - كرّم الله وجهه - أنه قال: «إذا كان يوم الجمعة خرج الشيطان مع أعوانه يُرِّيثون للناس أسواقهم، ومعهم الرايات، وتقعد الملائكة على أبواب المسجد، فيكتبون الناس على قدر منازلهم حتى يخرج الإمام، فمن دنا من الإمام فأنصت، واستمع ولم يلغ، كان له كفلان من الأجر، ومن تباعد فاستمع وأنصت، ولم يلغ، كان له كفل من الأجر، ومن دنا من الإمام فلغا، ولم يستمع كان له

---

(١) **صحيح لغيره*** أحمد(٥/ ١٤٣) وابن ماجه (١١١١) وابن خزيمة (١٨٠٧) والبيهقى (٣/ ٢٢٠).

(٢) حسن* أحمد (٣/ ٤٣٠) وابن ماجه (١٠٨٤) والطبرانى فى «الكبير» (٥/ ٢٣) والبيهقى فى «الشعب» (٢٩٧٣) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٣٦٦).

كفلان من الوزر، ومن قال مه فقد تكلم، ومن تكلّم فقد لغا، ومن لغا فلا جمعة له». ثم قال عليّ ـ رضى الله تعالى عنه ـ: هكذا سمعتُ نبيّكم ﷺ[١].

قال الفقيه رحمه الله تعالى: سمعت أبى قال: بلغنا أنّ صالحاً المرّى[٢] أقبل ليلة الجمعة يريد مسجد الجامع ليصلى فيه صلاة الفجر، فمر بمقبرة، فقال: لو أقمت حتى يطلع الفجر، فدخل المقبرة فصلى ركعتين، واتكأ على قبر فغلبته عيناه، فرأى فى المنام كأن أهل القبور قد خرجوا من قبورهم، فقعدوا حلقاً حلقاً يتحدثون، فإذا شاب عليه ثياب دنسة، فقعد فى جانب مغموماً، فلم يمكثوا إذ أقبلت أطباق عليها ألطاف مغطاة بمناديل، فكلما جاء واحداً منهم طبق أخذه، ودخل فى قبره حتى بقى الفتى فى آخر القوم لم يأته شىء فقام حزيناً ليدخل فى قبره، فقلت له: ياعبد الله ما لى أراك حزيناً؟ وما الذى رأيت؟ قال: ياصالح المرى، هل رأيت الأطباق؟ قال: قلت نعم. فما هى؟ قال: تلك ألطاف الأحياء لموتاهم، كلما تصدقوا عنهم، أو دعوا لهم أتاهم ذلك فى ليلة الجمعة، وإنى رجلٌ من أهل السند، أقبلت بوالدتى نريد الحج، فلما صرت بالبصرة، توفيت بها، وتزوّجت والدتى بعدى، ولم تذكر لزوجها أنه كان لها ولد، وقد ألهتها الدنيا فما تذكرنى بشفة ولا لسان، فحق لى الحزن، إذ ليس لى من يذكرنى من بعدى.

قال صالح: وأين منزل أمك؟ فوصف لى الموضع، قال: فلما أصبحت وقضيت صلاتى أقبلتُ فسألت عن منزلها، فأرشدت إليه، فجئت، فاستأذنت عليها، فقلت: إنى صالح المرى بالباب، فأذنت لى فدخلت وقلت: أحب أن لايسمع كلامى وكلامك أحد، فدنوت حتى ماكان بينى وبينها إلا ستر، فقلت: يرحمك الله هل لك من ولد؟ قالت: لا، قلت: فهل كان لك ولد؟ فتنفست الصعداء، ثم قالت: قد كان لى ولد شاب فمات، فقصصت عليها القصة، قال: فبكت حتى تحدرت دموعها على خديها.

ثم قالت: ياصالح ذاك ولدى من منزل كبدى والحشا، مَن كان بطنى له وعاء، وثديى له سقاء، وحجرى له حواء، ثم دفعت إلىّ ألف درهم، وقال: تصدق بها عن حبيب وقرّة عينى، ولا أنساه بالدعاء والصدقة فيما بقى من عمرى.

قال: فانطلقت فتصدّقت بالألف، فلما كان فى الجمعة الأخرى أقبلت أريد الجمعة فأتيت المقبرة وصليت ركعتين واستندت إلى قبر فخفقتُ برأسى، فإذا أنا

---

(١) ضعيف* أحمد (١/ ٩٣) وأبو داود (١٠٥١) انظر: صعيف الجامع (٦٥٧).

(٢) هو (صالح بن بشير المرى) قال البخارى (١٦٥) منكر الحديث. وقال النسائى (٣٠) متروك. وقال الحافظ فى «التقريب»: صعيف.

بالقوم قد خرجوا وإذا أنا بالفتى عليه ثياب بيض فرحاً مسروراً، ثم أقبل حتى دنا منى، ثم قال: ياصالح المرى جزاك الله خيراً عنى، وقد وصلت إلينا الهدية، فقلت له: أنتم تعرفون الجمعة؟ قال: نعم، وإن الطيور فى الهواء يعرفونها، ويقولون: سلام ليوم صالح، يعنى يوم الجمعة.

٤٢٥ ـ قال الفقيه: وحدثنى الثقة بإسناده عن آنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: « جاء جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى رسول الله ﷺ وفى كفه كالمرآة البيضاء، وفى وسطها كالنكتة السوداء. قال: ماهذا ياجبريل؟ قال: هذا يوم الجمعة، يعرضها الله عليك؛ لتكون لك عيداً ولأمتك من بعدك، ولكم فيها خير، من دعا فيها بخير هو له قسمٌ أعطاه الله إياه، وإن لم يكن له قسم ادخر له ما هو أفضل منه، وهو عندنا يوم المزيد ونحن ندعوه سيد الأيام.

قال: ولم ذلك؟ قال: لأن ربك اتخذ في الجنة وادياً أفيح، فيه كثيب من مسك أبيض. فإذا كان يوم الجمعة جاء النبيون وجلسوا على منابر من نور مكللة بالجواهر، ثم حفّ وراء تلك المنابر بكراسى من نور فجاء الصدّيقون والشهداء فجلسوا عليها، ثم يأتى أهل جنة عدن فيجلسون على ذلك الكثيب الأبيض فيقول لهم الرب تعالى: أنا الذى صدقتكم وعدى، وأتممت عليكم نعمتى، وهذا محل كرامتى، فسلونى.

فيقولون: ربنا نسألك رضوانك والجنة، فيقول: رضوانى أحلكم دارى وأنالكم كرامتى، فيسألونه الرضا فيهديهم الرضا ويعطيهم فوق رغبتهم وأمنيتهم، وذلك قدر منصرف إمامكم من الجمعة، ويفتح لهم عند ذلك مالا يخطر على قلب بشر، ولم تره عين.

ثم يرجع النّبيون والصدّيقون والشهداء، ويرجع أهلُ الغرف إلى غرفهم، فليسوا إلى شىء أحوج منهم إلى يوم الجمعة؛ ليزدادوا فيه كرامة، فلذلك سُمّى يوم المزيد، وفيه تقوم الساعة» (١).

٤٢٦ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: « **الصلوات فى الجماعة، والجمعة إلى الجمعة، كفّارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**» (٢).

***

(١) سبق تخريجه برقم (٦٤).
(٢) **صحيح** * آبو نعيم فى الحلية (٩/ ٢٥٠) عن آنس، فيه (عبد الحكم بن عبد الله) متروك. ورواه مسلم (٢٣٣) والترمذى (٢١٤)، وآحمد (٢/ ٣٥٩، ٤١٤، ٤٨٤) عن أبى هريرة.

باب حرمة المساجد

٤٢٧ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا على السردرى الحاكم، حدثنا عبيدة بن محمد السرخسى، حدثنا صالح بن كَيْسَان، حدثنا ابن أبى فديك، عن كثير بن زيد، عن المطلب بن عبد الله، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**إذا دخل أحدُكم المسجدَ فلا يجلسنَّ حتى يصلّى ركعتين**» [(١)].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا كان فى وقت مباح. فأما إذا دخل فى المسجد بعدما صلّى العصر وبعدما صلى الفجر لا ينبغى أن يصلى؛ لأنه نهى أن لا يصلّى فى ذلك الوقت ولكنه يسبّح ويهلّل، ويصلّى على النبى ـ ﷺ ـ؛ فينال فضل الصلاة، وأدّى حقّ المسجد.

٤٢٨ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربى، عن ليث بن أبى سليم عن بعض أشياخه قال: بلغ أبا الدرداء آن سلمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ اشترى خادماً، فكتب إليه يعاتبه فى ذلك فكان فى كتابه ـ يا أخى تفرّغ للعبادة قبل أن ينزل بك من البلاء مالا تستطيعُ فيه العبادة، واغتنمْ دعوةَ المؤمن المبتلى، وارحم اليتيمَ، وامسحْ برأسه، وأطعمه من طعامك يلنْ قلبك وتدرك حاجتك؛ فإنى شهدته يوماً، يعنى النبى ـ ﷺ ـ وأتاه رجل يشكو إليه قساوة قلبه. فقال: «أتحبّ أن يلينَ قلبك وتدرك حاجتك؟» قال: نعم قال: « ارحم اليتيم، وامسح برأسه، وأطعمه من طعامك، يلنْ قلبك وتدرك حاجتك» [(٢)].

يا أخى؛ ليكن المسجد بيتك، فأنّى سمعتُ رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «**المساجد بيوت المتقين، وقد ضمن الله تعالى لمن كانت بيوتهم المساجد بالروح والراحة، والجواز على الصراط، والنّجاة من النار إلى رضوان الرب تبارك وتعالى** » [(٣)].

---

(١) **متفق عليه (عن أبى قتادة)*** البخارى(٤٤٤) ومسلم (٧١٤) أما طرق حديث (أبى هريرة) لاتخلو من علة

(٢) **حسن بطرقه*** به انقطاع ورواه البيهقى فى « الشعب» (١٠٦٥٧ بطوله) والقضاعى (٧٢) وسنده جيد لولا الانقطاع أيضاً بين محمد بن واسع وليس الربيع كما فى « الصحيحة» ـ وأبى الدرداء، وله طرق متصلة يتقوى بها . انظر : الصحيحة (٨٥٤) والكبائر (١٨٥ بتحقيقى)

(٣) **حسن*** الطرانى فى « الكبير والأوسط» (٦٥/ ٢ مجمع البحرين) والبزار (٤٣٤) وقال البزار: إسناده حسن. انظر : المجمع (٢/ ٢٢) ومسند الشهاب (٧٣) والصحيحة (٧١٦).

قال الحكيم بن عمير صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ: كونوا فى الدنيا أضيافاً، واتخذوا المساجد بيوتاً، وعوّدوا قلوبكم الرقة، وأكثروا التفكّر والبكاء، لا تختلفن بكم الأهواء.

قال قتادة ـ رضى الله تعالى عنه ـ: ما كان للمؤمن أن يُرى إلا فى ثلاثةمواطن: مسجد يعمره، وبيت يستره، وحاجة لابأس بها.

وقال النزّال بن سَبْرة: المنافق فى المسجد كالطير فى القفص.

وعن خلف بن أيوب أنه كان جالساً فى المسجد فأتاه غلامه يسأله عن شىء، فقام وخرج من المسجد ثم أجابه، فقيل له فى ذلك، فقال: ماتكلمت فى المسجد بكلام الدنيا منذ كذا سنة فكرهت أن أتكلم اليوم.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: إنّما يصيرُ للعبد منزلة عند الله تعالى إذا عَظّم أوامره، وعظم بيوته وعباده، والمساجد بيوت الله، فينبغى للمؤمن أن يعظّمها؛ فإن فى تعظيم المساجد تعظيم الله تعالى.

ورُوى عن بعض الزهاد أنه قال: ما استندتُ فى المسجد إلى شىء، ولا طوّلت قدمى فيها، ولا تكلّمت بكلام الدنيا وإنما قال ذلك ليُقتدى به .

وعن الأوزاعى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: خمس كان عليها أصحاب رسول الله ـ ﷺ ـ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد فى سبيل الله تعالى.

وروى عن الحسن بن على ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: ثلاثة فى جوار الله تعالى: رجل دخل المسجد لا يدخله إلا لله، فهو ضيف الله تعالى حتى يرجع، ورجل زار أخاه المسلم لا يزوره إلا لله فهو من زوار الله تعالى حتى يرجع من عنده، ورجل خرج حاجاً أو معتمراً لا يخرج إلا لله تعالى فهو من وفد الله تعالى حتى يرجع إلى أهله.

ويقال: حصون المؤمن ثلاثة: المسجد، وذكر الله، وتلاوة القرآن. والمؤمن إذا [لم يكن] فى واحد من ذلك، فهو فى حصن من الشيطان.

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ. مهور الحور فى الجنة كنس المساجد وعمارتها.

٤٢٩ ـ قال أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ: « من أسرج فى المسجد سراجاً؛ لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام ذلك فى المسجد » (١).

٤٣٠ ـ وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ: « المساجدُ بيوتُ الله فى الأرض، والمصلّى فيها زائر الله، وحقّ على المزور أن يكرم زائره» (٢).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: يقال حرمة المساجد خمس عشرة خصلة:

أولها: أن يسلّم وقت الدخول إذا كان القوم جلوساً؛ وإن لم يكن أحد فيها، أو كانوا فى الصلاة يقول: السلام علينا مِن ربنا وعلى عباد الله الصالحين.

والثانى: أن يصلّى ركعتين قبل أن يجلس.

٤٣١ ـ لما روى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**لكل شىء تحية، وتحية المسجد ركعتان** » (٣).

والثالث: أن لا يشترى فيه ولا يبيع.

والرابع: أن لا يسلّ فيه السيف.

والخامس: أن لا ينشدَ فيه الضالة.

والسادس: أن لا يرفعَ فيه الصوت فى غير ذكر الله تعالى.

والسابع: أن لا يتكلّم فيه بشىء من أحاديث الدنيا.

والثامن: أن لا يتخطّى رقاب الناس.

والتاسع: أن لا ينازع فى المكان.

والعاشر: أن لا يضيّق على أحد فى الصف.

والحادى عشر: أن لا يمرّ بين يدى المصلى.

والثانى عشر: أن لا يبزقَ فيه.

والثالث عشر: أن لا يفرقعَ أصابعه فيه .

---

(١) ضعيف* الحارث بن أبى أسامة وأبو الشيخ بسند ضعيف انظر · كشف الخفاء (٢٣٧١) والمقاصد (١٠٥٩) والفوائد للكرمى (٩٧).

(٢) رواه الحاكم فى « تاريخه» عن اس عباس. (كنز العمال ٢٠٣٤٧).

(٣) انظر الحديث(٤٢٧)

والرابع عشر: أن ينزّهه عن النجاسات والمجانين والصبيان وإقامة الحدود.

والخامس عشر: أن يُكْثِرَ فيه ذكر الله تعالى ولا يغفل عنه.

٤٣٢ - وروى عن الحسن أن النبى - ﷺ - قال: «**يأتى على أمتى زمانٌ يكون حديثهم فى مساجدهم لأمر دنياهم ليس لله فيهم حاجة، فلا تجالسوهم**»(١).

٤٣٣ - وروى عن الزهرى عن أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ - «**يكون الغرباءُ فى الدُّنيا أربعة: قرآن فى جوف ظالم، ومسجد فى نادى قوم لا يصلّون فيه، ومصحف فى بيت لا يقرأ فيه، ورجل صالح مع قوم سوء**»(٢).

٤٣٤ - وعن أنس - رضى الله تعالى عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «**يحشر الله المساجد كأنها بخت بيض؛ قوائمها من العنبر، وأعناقها من الزعفران، ورؤوسها من المسك الأذفر، وأزمتها من الزبرجد الأخضر، وقوّادها المؤذنون يقودونها، والأئمة يسوقونها، فيعبرون بها فى عرصات القيامة كالبرق الخاطف، فيقول أهل القيامة: هؤلاء الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون؟ فينادونهم ياأهل القيامة ماهؤلاء الملائكة المقربون والأنبياء والمرسلون؟ قالوا؟ هم من أمة محمد ﷺ الذين كانوا يحفظون صلاة الجماعة**»(٣).

وعن وهب بن منبه - رحمه الله تعالى - قال: يؤتى بالمساجد يوم القيامة كأمثال السفن مُكلّلة بالدرّ والياقوت؛ فتشفعُ لأهلها.

وعن على بن أبى طالب - كرّم الله وجهه - قال: يأتى على الناس زمانٌ لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رَسْمه، يعمرون مساجدهم؛ وهى خراب من ذكر الله تعالى، شرّ أهل ذلك الزمان علماؤهم، ومنهم تخرج الفتن، وإليهم تعود(٤).

***

(١) ضعيف* لأنه مرسل. أرسله الحسن، وكان يدلّس.

(٢) موضوع* انظر: ضعيف الجامع (٣٩٢٤).

(٣) لم أقف على إسناده.

(٤) ضعيف جداً* ابن عدى فى «الكامل» (٤/٢٢٨) وعنه البيهقى فى «الشعب» (١٩٠٩) انظر. تكميل النفع (٢٥) والداء والدواء (٦١ بتحقيقى).

باب فضل الصّدقة

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إبراهيم بن إدريس، عن ليث بن أبى سليم، عن ميمون بن مهران، عن أبى ذر الغفارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: الصلاة عماد الإسلام، والجهاد سنام العمل، والصدقة شيء عجيب، والصدقة شيء عجيب، والصدقة شيء عجيب.

وسُئل عن الصوم فقال: الصوم جُنّة، وقال: قربة، وليس هناك فضل. قيل: فأىّ الصدقة أفضل؟ قال: أكثرها وأكبرها، ثم قرأ: ﴿**لَنْ تَنَالُوا البِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ**﴾[آل عمران: ٩٢] قيل: فمن لم يكن عنده [مال] قال: فعفو مالَ، يعنى يتصدّق بفضل مال. قيل: فمن لم يكن عنده مال؟ قال: فعفو طعام. قيل: فمن لم يكن عنده؟ قال: يعين بقوته. قيل: فمن لم يفعل؟ قال: يتقى النار ولو بشق تمرة.

قيل: فمن لم يفعل؟ قال: يكفّ نفسه، يعنى لا يظلم الناس.

وذُكر فى رواية أخرى أنه روى هذا عن رسول الله ـ ﷺ ـ (١).

٤٣٥ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا يزيد بن زريع، عن هشام الدستوائي، عن قتادة، عن خليد بن عبد الله العَصَرى، عن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال:

« ما طلعت شمسٌ إلا بُعث بجنبتيها ملكان يناديان، وإنهما يسمعان أهل الأرض إلا الثقلين: أيها الناس، هلمّوا إلى ربكم، فإن ما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى، وملكان يناديان: اللهم عجّل المنفق ماله خلفاً، وعجّل لممسك ماله تلفاً»(٢).

٤٣٦ ـ قال: أخبرنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا محمد بن موسى، حدثنا سلمة بن شيب، حدثنا إبراهيم بن يسار، عن زرعة بن أيوب، عن جويبر، عن الضحاك، عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: مرّ النبى ـ ﷺ ـ برجل

---

(١) **ضعيف** * فيه (ليث بن أبى سليم) ضعيف لاختلاطه. ورواه البزار (٩٤١ ـ كشف) مرفوعاً وفيه: العوام بن جويرية. ضعيف. كما فى « المجمع» (٣/١٠٩)

(٢) **صحيح** * أحمد (٥/١٩٧) والطيالسى (٩٧٩) وابن حبان (٨١٤) والبيهقى فى « الشعب» (٣٤١٢) وله شاهد من حديث أبى هريرة، انظر . الصحيحة (٤٤٣، ٩٢).

متعلق بأستار الكعبة، وهو يقول: أسألك بحرمة هذا البيت أن تغفر لى. فقال له رسول الله - ﷺ - : « **ياعبد الله سَلْ بحرمتك؛ فإنَّ حُرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمة هذا البيت**»، فقال: يارسول الله، إنّ لى ذنباً عظيماً، قال: « **وما ذنبك؟** » قال: إنّ لى مالاً كثيراً، وإنّ ماشيتى كثيرة، وإنّ خيلى كثيرة، ولكنّ الرجل إذا سألنى شيئاً من مالى فكأن شعلة من نار تخرج من وجهى.

فقال رسول الله - ﷺ -: «**تنحَّ عنى يافاسق لا تحرقنى بنارك، والذى نفسى بيده لوصُمْتَ ألف عام، وصلَّيتَ ألف عام، ثم مُتَّ لئيماً لأكبّك الله فى النار، أما علمتَ أنّ اللؤمَ من الكفر، والكفرَ في النار، والسخاوة من الإيمان، والإيمان فى الجنة**»؟![1].

٤٣٧ - وروت عائشة - رضى الله تعالى عنها - عن النبى - ﷺ - أنه قال: «**السخاوة شجرة أصلها فى الجنة وأغصانها متدلية فى الدنيا، فمن تعلّق بغصن منها مده إلى الجنة. والبخل شجرة أصلها فى النار، وأغصانها متدلية فى الدنيا، فمن تعلّق بغصنٍ منها مدّه إلى النار**»[2].

٤٣٨ - وعن النبى - ﷺ - أنه قال: «**البخيلُ بعيدٌ من الله، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار. والسخىّ قريبٌ من الله، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار** » [3].

٤٣٩ - وعن النبى - ﷺ - أنه قال: « **حصّنوا أموالكم بالزكاة، وداووا مرضاكم بالصّدقة، واستقبلوا أنواع البلاء بالدعاء** »[4].

٤٤٠ - وعن عبد الرحمن السلمانى مولى عمر - رضى الله تعالى عنه - عن رسول الله - ﷺ - أنه قال: «**إذا سأل سائل فلا تقطعوا عليه مسألته حتى يفرغ منها، ثم ردوا عليه بوقار ولين أو ببذل يسير أو بردّ جميل[5]، فإنه قد يأتيكم من ليس بإنس ولا جان، ينظرون كيف صنيعكم فيما خولكم الله**»[6].

---

(١) **ضعيف جداً*** فى سنده (جويبر بن سعيد) ضعيف جداً كما فى « التقريب»

(٢) **ضعيف*** انظر : صعيف الجامع (٣٣٤).

(٣) **ضعيف جداً*** الترمذى (١٩٦١) وابن عدى (٣/ ٤٠٢) والعقيلى (١٥٤) انظر: الضعيفة (١٥٤)

(٤) **ضعيف*** أبو داود فى « المراسيل» (١٠٥) عن الحسن مرسلاً، والبيهقى فى « الشعب» (٣٥٥٦ - ٣٥٥٨) عن ابن عمر وأبى أمامة، وسمرة وأعلّها . وانظر . ضعيف الجامع (٢٧٢٣، ٢٧٢٤)

(٥) **باطل*** الديلمى فى « الفردوس » (١٢٧٨) ومن طريقه ابن عراق فى « تنزيه الشريعة» (٢/ ١٤٣).

(٦) **لا أصل له*** العقيلى فى « الضعفاء» (٢٦٠) وعنه ابن الجورى مى « المتناهية» (٨٣٢).

٤٤١ ـ وروى سعد بن مسعود الكندى قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من رجل يتصدّق فى يوم وليلة إلا حُفِظ من أن يموتَ من لدغة أو هدمة أو موت بغتة**»(١).

٤٤٢ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**ما نقص مالٌ من صدقة قط، ولا عفا رجلٌ عن مظلمة إلا زاده الله بها عزاً، وماتواضع رجل لله إلا رفعه الله تعالى**» (٢).

وروى عكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: اثنان من الشيطان، واثنان من الله تعالى، ثم قرأ هذه الآية: ﴿**الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً**﴾ يعنى يأمركم بالطاعة والصدقة لتنالوا مغفرته وفضله ﴿**وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٨]، يعنى واسع الفضل عليم بثواب من يتصدّق.

٤٤٣ ـ وروى ابن بُريدة، عن أبيه، عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**ما نقض قومٌ العهدَ إلا ابتلاهم الله تعالى بالقتل، ولا ظهرت فاحشة فى قوم إلا سلط الله عليهم الموت فجأة، ولا منع قوم الزكاة إلا حبس الله عنهم القطر**» (٣).

وروى الضحاك عن النزال بن سبرة قال: مكتوب على باب الجنة ثلاثة أسطر:

أولها: لا إله إلا الله محمّد رسول الله.

والثانى: أمة مذنبة وربٌّ غفور.

والثالث: وجدنا ماعملنا، ربحنا ماقدمنا، خسرنا ما خلفنا.

ويقال: من منع خمساً منع الله منه خمساً:

أولها: من منع الزكاة، منع الله منه حفظ المال.

والثانى: من منع الصدقة، منع الله منه العافية.

والثالث: من منع العشر، منع الله منه بركة أرضه.

والرابع: من منع الدعاء، منع الله منه الإجابة.

الخامس: من تهاون بالصلاة، منع منه عند الموت قول لا إله إلا الله.

---

(١) **به انقطاع*** انظر ترجمة (سعد) فى «التاريخ الكبير» (٤/ ٤٩) والجرح والتعديل (٤/ ٩٤).

(٢) **صحيح*** مسلم (٤/ ٢٥٨٨) والترمذى (٢٠٢٩) وأحمد (٢/ ٢٣٥، ٣٨٦، ٤٣٨).

(٣) **حسن*** الحاكم (٢/ ١٢٦) والبيهقى (٣/ ٣٤٦، ٩/ ٢٣١) صحّحه الحاكم ولم يتعقبه الذهبى. قلت: فيه (بشير بن المهاجر) لين الحديث، لكن له شاهد عن ابن عباس وابن عمر انظر: الصحيحة (١٠٦، ١٠٧).

وروى عن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: درهم ينفقه أحدكم فى صحته وشحه أفضل من مائة يوصى بها عند الموت.

قال الفقيه: سمعت أبى ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كان فى زمن عيسى ـ عليه السلام ـ رجل يسمّى ملعوناً من بخله، فجاءه رجل ذات يوم يريد الغزو. فقال: يا ملعون أعطنى شيئاً من السلاح أستقين به فى غزوى وتنجو به من النار فأعرض عنه ولم يعطه شيئاً، فرجع الرجل، فندم الملعون فناداه، فأعطاه سيفه، فرجع الرجل، واستقبله عيسى ـ عليه السلام ـ مع عابد قد عبد الله سبعين سنة، فقال له عيسى: من أين جئت بهذا السيف؟ فقال: أعطانيه الملعون. ففرح عيسى بصدقته، فكان الملعون قاعدا على بابه، فلما مر به عيسى ـ عليه السلام ـ مع العابد، قال الملعون فى نفسه: أقوم وأنظر إلى وجه عيسى وإلى وجه العابد، فلما قام ونظر إليهما قال العابد: أنا أفرّ وأعدو من هذا الملعون قبل أن يحرقنى بناره، فأوحى الله عز وجل إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أن أفر لعبدى هذا المذنب، إنى قد غفرت له بصدقته بالسيف، وبحبه إياك، وقل للعابد إنه رفيقك فى الجنة، فقال العابد: والله ما أريد الجنة معه ولا أريد رفيقاً مثله، فأوحى الله عز وجل إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أن قل لعبدى إنك لم ترض بقضائى، وحقرت عبدى، فإنى قد جَعَلْتُكَ ملعوناً من أهل النار، وبدلت منازلك فى الجنة بالذى له فى النار، وأعطيت منازلك فى الجنة لعبدى، ومنازله فى النار لك.

٤٤٤ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبىﷺ أنه قال: «**إنّ ملكاً ينادي من أبواب السماء يقول: من يقرض اليوم يجز غداً، وملك آخر ينادي: يا معشر بني آدم لدوا للموت وابنوا للخراب**»(١).

٤٤٥ ـ وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه سئل فقيل: يارسول الله إذا خرجتَ من الدنيا فظَهْر الأرض خير لنا أم بطنها؟ قال أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ: قال النبى ـ ﷺ ـ: «**إذا كان أمراؤكم خياركم، وأغنياؤكم أسخياءكم، وأموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها، وإذا كان أمراؤكم شراركم، وأغنياؤكم بخلاءكم، وأموركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها**»(٢).

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إن استطعت أن تجعل كنزك حيث لا يأكله السوس، ولا تناله اللصوص فافعل بالصدقة.

---

(١) رواه ابن حبان (٥/ ١٤٠) أوله بحوه، وله شاهد صحيح انظر: رقم ٤٣٥.

(٢) ضعيف؛ الترمذى (٢٢٦٦) واستعربه . فيه (صالح بن بشير المرى) ضعيف

٤٤٦ـ وروى عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «**من أدّى الزكاة، وقرى الضيف، وأدى الأمانة، فقد وقى شحّ نفسه** »(١) يعنى دفع البخل عن نفسه.

قال الفقيه: عليك بالصدقة بما قلّ أو كثر، فإنّ فى الصدقة عشر خصال محمودة، خمس فى الدنيا، وخمس فى الآخرة، فأما الخمس التى فى الدنيا:

فأولها: أنّ فيها تطهيراً للمال.

٤٤٧ ـ كما قال النبى ﷺ: «**ألاَ إنَّ البيعَ يحضره اللغو والحلف والكذب، فشوبوه بالصدقة**» (٢).

والثانى: أن فيها تطهير البدن من الذنوب كما قال الله عز وجل: ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا**﴾ [التوبة: ١٠٣].

والثالث: أن فيها دفع البلاء والأمراض.

٤٤٨ ـ كما قال النبى ـ ﷺ ـ «**داووا مرضاكم بالصّدقة**»(٣).

والرابع: أن فيها إدخال السرور على المساكين، وأفضل الأعمال إدخال السرور على المؤمنين.

والخامس: أن فيها بركة فى المال وسعة فى الرزق كما قال الله تعالى: ﴿**وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ [سبأ: ٣٩].

وأما الخمس التى فى الآخرة:

فأولها: أن تكون الصدقة ظلاًّ لصاحبها فى شدّة الحر.

والثانى: أن فيها خفة الحساب.

والثالث: أنها تثقل الميزان.

والرابع: جواز على الصراط.

والخامس: زيادة الدّرجات فى الجنة.

ولو لم يكن فى الصدقة فضيلة سوى دعاء المساكين؛ لكان الواجب على العاقل

---

(١) **ضعيف*** انظر: الضعيفة (١٩٥٢) بنحوه.

(٢) **صحيح** * أحمد (٤/٦، ٢٨٠) وأبو داود (٣٣٢٦) والترمذى (١٢٠٨) وقال: حسن صحيح، والنسائى (٧/١٤، ١٥) وابن ماجه (٢١٤٥).

(٣) **حسن** * أبو الشيخ فى « الثواب» عن أبى أمامة. انظر: صحيح الجامع (٣٣٥٨).

أن يرغب فيها، فكيف وفيها رضا الله تعالى ورغم الشيطان لأنه روى فى الخبر .

٤٤٩ ـ «إن الرجل لا يستطيع أن يتصدّق مالم يفكّ لحى سبعين شيطاناً» (١)وفيها الاقتداء بالصالحين لأنّ الصالحين كانت نهمتهم فى الصدقة.

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده، عن محمد بن المنكدر، عن أم ذرّ، وكانت تدخل على عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت: بعث عبد الله بن الزبير إلى عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ بمال فى غرارتين فيهما ثمانون ومائة ألف درهم وهى صائمة، فجعلت تقسم بين الناس، فأمست وماعندها من ذلك درهم، فلما أمست قالت: ياجارية هلمى فطورى، فجاءتها بخبز وزيت، فقالت لها: أما استطعت فيما قسمت هذا اليوم أن تشترى لنا لحماً بدرهم. قالت: لاتعنفينى، لوكنت ذكرتنى لفعلت.

وعن عروة بن الزبير قال: لقد رأيتُ عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ تصدّقت بسبعين ألف درهم، وإنها لترقع جانب درعها.

وذكر أن عبد الملك بن الحسن ورث خمسين ألف درهم، فبعث إلى إخوانه صرراً وقال: كنت أسأل لإخوانى الجنة، فكيف أبخل عليهم بالدنيا.

وذكر فى الخبر أن امرأة جاءت إلى حسان بن أبى سنان فسألته شيئاً فجعل ينظر إليها، فإذا هى امرأة جميلة فقال: ياغلام : أعطها أربعمئة. فقيل له: ياعبد الله، سائلة تسألك درهماً، فأعطيتها أربعمئة درهم. فقال: لما نظرت إلى جمالها؛ خشيت أن تعسر فتقع فى المعصية، فأحببت أن أغنيها فعسى أن يرغبَ فيها أحد فيتزوجها.

وذكر فى الخبر أن رجلاً من أصحاب النبى ـ ﷺ ـ أهدى إليه برأس شاة، فقال: أخى فلان أحوج منى، فبعث إليه، فقال الذى بعث إليه: إن فلاناً أحوج منى فبعث إليه، فلم يزل يبعث به واحد واحد حتى تداولت سبعة أبيات. ثم رجع إلى الأول فنزل قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ويقال: إنّ نزولَ هذه الآية كان فى شأن رجل من الأنصار، وذلك ما رواه الحسن: أن رجلاً أصبح على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ صائماً فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه إلا الماء فشرب، ثم أصبح صائما فلما أمسى لم يجد ما يفطر عليه إلا الماء، فشرب، ثم أصبح صائماً فلما كان اليوم الثالث أجهده الجوع، ففطن ربه رجل من الأنصار، فلما أمسى أتى به منزله، فقال لأهله قد نزل بنا الليلة ضيف، فهل

(١) صحيح* أحمد(٥/ ٣٥) وصححه الحاكم (١/ ٤١٧) ولم يتعقبه الذهبى.

عندنا طعام؟ فقالت: إن عندنا من الطعام مايشبع الواحد، وكانا صائمين ولهما صبى. فقال لها: إنا نطعم ذلك ضيفنا، ونصبر الليلة، فنوّمى الصبى قبل وقت العشاء، وإذا قَرَّبْت الطعام فأطفئى السراج حتى يرى الضيف أنّ نأكل معه، حتى يشبع فجاءت بثريدة، فوضَعتْها، ثم دنت من السراج كأنها تصلحه فأطفأته، فجعل الأنصارى يضع يده فى القصعة بين يديه ولا يأكل شيئاً؛ فأكل الضيف حتى أتى على ما فى القصعة فلما أصبح الأنصارى صلى مع رسول الله ﷺ الفجر فلما سلّم النبى ﷺ أقبل على الأنصاري وقال: «لقد عجب الله تعالى من صنيعكما» يعنى رضى به، وتلا هذه الآية: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشرة: ٩][(١)].

يعني يؤثرون بما عندهم لغيرهم، ويمنعون أنفسهم وإن كان بهم مجاعة ﴿وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ يعنى من يدفع البخل عن نفسه، فأولئك هم الناجون من عذابه.

وذكر عن حامد اللفاف ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إنى لأرضى منكم بأربعة، وإن كان السلف على خلاف ذلك:

أحدها: أن تهتموا لتقصير الفريضة كما كانوا يهتمون لتكثير الفضيلة.

والثانى: أن تخافوا الله فى ذنوبكم أن لا تغفر كما كانوا يخافون على الطاعة أن لا تقبل.

والثالث: أنْ تزهدوا فى الحرام كما كانوا يزهدون فى الحلال.

والرابع: أن تؤثروا الشفقة والمعروف إلى إخوانكم وأصدقائكم كما كانوا يؤثرونهما إلى أعدائهم.

***

باب ماتدفع الصّدقة عن صاحبها

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبى، حدثنا عبدالله بن حيان البخارى، حدثنا أبو جعفر المنادى البغدادى، حدثنا إبراهيم بن محمد، عن أشعث الحرانى، عن أبى الفرج الأزدى: أن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ مر بقرية وفى تلك القرية قَصّار، فقال أهل القرية: ياعيسى؛ إنّ القصار يمزّق علينا ثيابنا، ويحبسها فادع الله أن لا يرده برزمته فقال عيسى ـ عليه السلام ـ: اللهم

(١) متفق عليه * البخارى (٧/ ٣٧٩٨) ومسلم (٣/ ٢٠٥٤) عن أبى هريرة

لا ترده برزمته.

قال: فذهب القصار ليغسل الثياب، ومعه ثلاثة أرغفة، فجاءه عابد كان يتعبد في تلك الجبال وسلم على القصار، وقال: هل عندك خبز تطعمني، أو تريني حتى أنظر إليه، أو أشم ريحه، فإني لم آكل الخبز منذ كذا وكذا. فأطعمه رغيفاً، فقال: يا قصار غفر الله لك ذنبك، وطهر قلبك فأعطاه الثاني، فقال: ياقصار غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر. قال: فأطعمه الثالث، فقال: ياقصار؛ بنى الله لك قصراً في الجنة.

فرجع القصار من العشى سالماً، فقال أهل القرية: ياعيسى هذا القصار قد رجع! فقال: ادعوه، فلما أتاه قال: ياقصار، أخبرني بما علمت اليوم فقال: أتاني سيار من سيارى تلك الجبال فاستطعمني، فأطعمته ثلاثة أرغفة فبكل رغيف أطعمته دعا لي بدعوات، فقال عيسى عليه الصلاة والسلام: هات رزمتك حتى أنظر إليها، فأعطاه ففتحها فإذا فيها حية سوداء ملجمة بلجام من حديد، فقال عيسى - عليه السلام -: «ياأسود: قال: لبيك يانبي الله. قال: ألست قد بعثت إلي هذا؟ قال: نعم، ولكن جاءه سيار من تلك الجبال فاستطعمه، فبكل رغيف أطعمه دعا له بدعوة، وملك قائم يقول آمين، فبعث الله تعالى إليّ ملكاً من الملائكة، فألجمني بلجام من حديد. فقال عيسى - عليه السلام -: ياقصار استأنف العمل فقد غفر لك ببركة صدقتك عليه.

حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن سالم بن أبي الجعد. قال: خرجت امرأة ومعها صبي لها، فجاء ذئبٌ فاختلس منها الصبي، فخرجت في أثره وكان معها رغيف، فعرض لها سائل فأعطته، فجاء الذئب بصبيها حتى ردّه عليها، فهتف هاتفٌ: هذه لقمة بلقمة.

وبهذا الإسناد عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن مغيث بن سمي، قال: تعبّد راهبٌ من بني إسرائيل في صومعة ستين سنة، فنظر يوماً في غبّ سماء؛ فأعجبته الأرض فقال: لو نزلت إلى الأرض فمشيت فيها ونظرت إليها، فنزل إليها وأنزل معه رغيفاً، فعرضت له امرأة فكشفت له فافتتن بها فلم يملك نفسه أن واقعها، فأدركه الموت على تلك الحال، وجاءه السائل فأعطاه الرغيف، فمات فجيء بعمل الستين سنة فوضع في كفة الميزان وجيء بخطيئته ووضعت في الكفة الأخرى فرجحت خطيئته بعمل ستين سنة حتى جيء بالرغيف فوضع مع عمله فرجح بخطيئته. وقيل:

إن الصدقة تدفع سبعين باباً من الشر [1].

وعن أبى ذر الغفارى رضى الله تعالى عنه: ماعلى الأرض صدقة تخرج حتى يفكّ عنا لحى سبعين شيطاناً، كلّهم ينهاه عنها.

٤٥٠ ـ وعن قتادة قال: ذكر لنا «إنّ الصّدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار»[2].

وروى عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنها كانت جالسة ذات يوم إذ جاءتها امرأة وقد سترت يدها فى كمّها، فقالت لها عائشة: مالك لا تخرجين يدك من كمّك؟ قالت: لا تسألى يا أم المؤمنين. قالت عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ: لابُدَّ لك أن تخبرينى. فقالت: يا أم المؤمنين، إنه كان لى أبوان فكان أبى يحبّ الصدقة،وأما أمى فكانت تبغض الصدقة، فلم أرها تصدّقت بشىء إلا قطعة شحم وثوباً خَلِقاً، فلما ماتا رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ورأيت أمى قائمة بين الخلق. والثوب الخلق موضوع على عورتها، ورأيت الشحم بيديها وهى تلحسه وتنادى: واعطشاه، ورأيتُ أبى على شفير الحوض وهو يسقى الماء، ولم يكن عند أبى أى صدقة أحب إليه من سقيه الماء، فأخذتُ قدحاً من ماء فسقيت أمى فنودى من فوق ألا مَنْ سقاها شلت يده، فاستيقظت وقد شلّت يدى.

وذُكر أن مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ كان جالساً ذات يوم فجاءه سائل وسأله شيئاً، وكان عنده سلّة تر، فقال لامرأته: ائتنى بها، فجاءت به، فأخذها مالك فأعطى نصفها إلى السائل، ورد نصفها إلى امرأته فقالت له امرأته: مثلك يسمى زاهداً! هل رأيتَ أحداً يبعث إلى الملك هدية مكسرة، فدعا مالك بالسائل وأعطاه البقية. ثم أقبل على امرأته فقال لها: ياهذه اجتهدى ثم اجتهدى، فإن الله تعالى قال: ﴿**خُذُوهُ فَغُلُّوهُ. ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ. ثُمَّ فى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ**﴾ فيقال: من أين هذه الشدة قال: ﴿**إِنَّه كَانَ لاَ يُؤْمِنُ بالله العَظِيم وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ**﴾ [الحاقة: ٣٠ ـ ٣٤] اعلمى أيتها المرأة قد طرحنا من أعناقنا نصفه بالإيمان، فينبغى لنا أن نطرح النصف الآخر بالصدقة.

قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن رجل من أهل البصرة قال: كان

---

(١) هذه الآثار الثلاث من الإسرائيليات التى يقف حيالها المرء غير مصدّق أو مكذّب.

(٢) صحيح* انظر الحديث رقم (٢٧٧).

أعرابىّ صاحبَ ماشية، وكان قليلَ الصدقة، فتصدّق بغريض من غنمه، يعنى بسخلة مهزولة، فرأى فيما يرى النائم كأنها أقبلت عليه غنمه تنطحه، فجعل الغريض يحامى عنه فلما انتبه قال: والله لئن استطعت لأجعلن أتباعك كثير، قال: وكان بعد ذلك يعطى ويقسم.

٤٥١ ـ وروى الأعمش، عن خيثمة، عن عدى بن حاتم ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**مامنكم من أحد إلا سيكلّمه ربّه، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر أشأم منه فلا يرى إلا شيئاً قدمه، ثم ينظر أمامه فلا يرى شيئاً إلا النار فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»(١).

قال الفقيه: يقال عشر خصال تُبلغ العبدَ منزلة الأخيار، ويَنال بها الدرجات:

أولها: كثرة الصدقة .

والثانى: كثرة تلاوة القرآن.

والثالث: الجلوس مع من يذكرّه بالآخرة ويزهّده فى الدنيا.

والرابع: صلة الرحم.

والخامس: عياده المريض.

والسادس: قلّة مخالطة الأغنياء الذين شغلهم غناهم عن الآخرة.

والسابع: كثرة التفكّر فيما هو صائر إليه غداً.

والثامن: قصر الأمل وكثرة ذِكْر الموت.

والتاسع: لزوم الصّمت وقلّة الكلام.

والعاشر: التّواضع، ولبس الدّون، وحبّ الفقراء والمخالطة معهم وقرب اليتامى، والمساكين؛ ومسح رؤوسهم.

ويقال: سبع خصال تربى الصدقة وتعظمها:

أولها: إخراجها من حلال؛ لأن الله تعالى قال: ﴿**أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَاكَسَبْتُمْ**﴾ [البقرة: ٢٦٧].

والثانى: إعطاؤها من جهد مقل، يعنى يعطى من مال قليل.

---

(١) متفق عليه: البخارى (١١/ ٦٥٣٩) ومسلم (٢/ ١٠١٦ ـ ٦٧).

والثالث: تعجيلها مخافة الفوت .

والرابع: تصفيتها مخافة البخل، يعنى يعطيها من أحسن أمواله، ولا يعطيها من الردىء، لأن الله تعالى قال: ﴿وَلاَ تَيَمَّمُوا الخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلاَّ أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧] **﴿ولستم بآخذيه﴾**، يعنى لا تأخذونه، يعنى الردىء إذا كان على الآخر لكم قرضاً، **﴿إلا أن تغمضوا فيه﴾**: أى تسامحوا وتساهلوا فيه .

والخامس: يعطيها فى السّر مخافة الرياء.

والسادس: بُعْد المنّ عنها مخافة إبطال الأجر.

والسابع : كف الأذى عن صاحبها مخافة الإثم؛ لأن الله تعالى قال: ﴿لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ [البقرة: ٢٦٤].

***

باب فضل شهر رمضان

٤٥٢ ـ قال أبو الليث السمرقندى: حدثنى أبى ـ رحمه الله ـ قال: حدثنا أبو جعفر الإسكاف، عن محمد بن موسى، حدثنا الفضل بن عصام، حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا القاسم بن الحكم العرنى، عن هشام بن أبى الوليد، عن حماد بن سليمان السدوسى، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه سمع النبى ﷺ يقول:

«إنَّ الجنة لَتُنَجَّد وتزيّن من الحول إلى الحول؛ لدخول شهر رمضان، فإذا كان أول ليلة من رمضان هبّتْ ريحٌ من تحت العرش يقال لها المثيرة، فتصفق ورق أشجار الجنة وحلق المصاريع، فيسمع لذَلك طنينٌ لم يسمع السامعون أحسن منه، فتبرز الحور العين حتى يقمن على شرف الجنة فينادين: هل من خاطب إلى الله تعالى فيزوجه الله سبحانه وتعالى منا؟ ثم يقلن: يارضوان، ماهذه الليلة؟ فيجيبهن بالتلبية، فيقول: ياخيرات حسان، هذه أول ليلة من شهر رمضان، ويقول الله: يارضوان، افتح أبواب الجنان للصائمين من أمة محمد ﷺ ويقول الله : يا مالك أغلق أبواب الجحيم عن الصائمين من أمة محمد ﷺ ، ويقول: ياجبريل اهبط إلى الأرض فصفّد مردة الشياطين، وغلّهم بالأغلال، ثم اقذفهم فى لجج البحار، حتى لا يفسدوا على أمة

حبيبى محمد صيامهم، فيقول الله تعالى فى كل ليلة من شهر رمضان ثلاثا مرات: هل من سائل فأعطيه سؤله؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ ثم ينادى منادٍ: من يقرض المليء غير المعدم، الوفى غير الظلوم.

وإن لله تعالى فى كل يوم من شهر رمضان عند الإفطار ألف عتيق من النار كلّهم قد استوجبوا العذاب. فإذا كان يوم الجمعة وليلة الجمعة أعتق فى كلّ ساعة منها ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا العذاب، فإذا كان فى آخر يوم من شهر رمضان أعتق فى ذلك اليوم بعدد من أعتق من أول الشهر إلى آخره، فإذا كانت ليلة القدر يأمر الله تعالى جبريل فيهبط فى كَبْكَبَة من الملائكة إلى الأرض، ومعه لواء أخضر فيركزه على ظهر الكعبة، وله ستمئة جناًح منها جناحان لا ينشرهما إلا فى ليلة القدر، فينشرهما تلك الليلة فيجاوزان المشرق والمغرب، فيبعث جبريل الملائكة فى هذه الأمة، فيسلّمون على كل قائم وقاعد ومصلّ وذاكر، ويصافحونهم ويؤمّنون على دعائهم حتى يطلع الفجر.

فإذا طلع الفجرُ نادى جبريل ـ عليه السلام ـ: يامعشر الملائكة؛ الرحيل، فيقولون: ياجبريل ماصنع الله فى حوائج المؤمنين من أمة محمد؟ ﷺ فيقول: إن الله تعالى نظر إليهم وعفا عنهم وغفر لهم، إلا أربعة، فقالوا: ومن هؤلاء الأربعة؟ قال: مدمن خمر، وعاق لوالديه، وقاطع الرحم، ومشاحن. قيل: يارسول الله، ومن المشاحن؟ قال: هو المصارم، يعنى الذى لا يكلّم أخاه فوق ثلاثة أيام.

فإذا كانت ليلة الفطر سميت تلك الليلة ليلة الجائزة، فإذا كانت غداة الفطر بعث الله الملائكة فى كل البلاد فيهبطون إلى الأرض، فيقومون على أفواه السكك فينادون بصوت يسمعه جميع ماخلق الله تعالى إلا الجن والإنس، فيقولون: يا أمة محمد، اخرجوا إلى ربّ كريم، يعطى الجزيل، ويغفر الذنبَ العظيم.

فإذا برزوا إلى مصلاهم، يقول الله جل جلاله لملائكته: يا ملائكتى ماجزاء الأجير إذا عمل عمله؟ فتقول الملائكة: إلهنا وسيدنا، جزاؤه أن توفيه أجره. فيقول الله تعالى: فإنى أشهدكم ياملائكتى أنى قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضائى ومغفرتى، فيقول الله تعالى: ياعبادى سلونى، فوعزتى وجلالى لا تسألوننى اليوم شيئاً لدينكم ودنياكم إلا أعطيتكم إياه» (١).

---

(١) ضعيف جدا؛ البيهقى فى «الشعب» (٣٦٩٥)، والأصبهانى (١٧٦٨)، وابن الجوزى فى «المتناهية» (٨٨٠) فيه ثلاث علل: الأولى (القاسم بن الحكم العرنى) صدوق فيه لين. الثانية (العلاء بن عمرو الحنفى) متروك الثالثة: الإنقطاع بين الصحاك وابن عباس. قلت: وفى سند المصنف (هشام بن أبى الوليد أبو المقدام) متروك أيضاً.

٤٥٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ : حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن أبى هشام، عن محمد بن محمد بن الأسود، عن أبى سلمة، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «**أعطيت أمتى فى شهر رمضان خمس خصال لم تُعْطَ أمةٌ قبلها: لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا، وتصفّد فيه مردةُ الشياطين؛ فلا يخلصون فيه إلى ماكانوا يخلصون في غيره، ويزّين الله كلّ يوم جنته ويقول لها: يوشك عبادى الصالحون أن تكفى عنهم المؤنة والأذى ويصيروا إليك، ويغفر لهم فى آخر ليلة. قيل: يارسول الله أهى ليلة القدر؟ قال: لا ولكن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله**» (١) .

٤٥٤ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبى قلابة، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يبشّر أصحابه ويقول: «**قد جاءكم شهر رمضان، شهر مبارك قد افترض الله عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب الجنة، وتُغلق فيه أبوابُ الجحيم، وتُغلل فيه مردةُ الشياطين: وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر**»(٢) .

٤٥٥ ـ وروى عن الأعمش عن خيثمة قال: كانوا يقولون: «**من رمضان إلى رمضان، والحج إلى الحج، والجمعة إلى الجمعة، والصلاة إلى الصلاة كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر**»(٣) .

وروى عن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه كان يقول إذا دخل شهر رمضان: مرحباً بمطهّرنا، رمضان خير كله، صيام نهاره، وقيام ليله، والنفقة فيه كالنفقة فى سبيل الله .

٤٥٦ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**مَن صام رمضان وقامه إيماناً واحتسابا غُفِر له ما تقدم من ذنبه**»(٤) .

---

(١) ضعيف جداً؛ أحمد (٢/٢٩٢) والبزار (١/٤٥٨ كشف)، والبيهقى فى «التعب» (٣٦٠٢)، والأصبهانى (١٧٥٧) فى سنده (هشام بن أبى هشام أبو المقدام) متروك.

(٢) صحيح لغيره؛ أحمد (٢/ ٢٣٠، ٣٨٥، ٤٢٥)، والنسائى (٤/١٢٩)، والبيهقى فى « الشعب» (٣٦٠٠) أنظر. تمام المنة (ص ٣٩٥).

(٣) صحيح؛ أنظر تخريج الحديث (٤٢٦) دون دكر الحج.

(٤) متفق عليه؛ البخارى(٤/ ١٩٠١) ، ومسلم (٧٥٩).

٤٥٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « **قال الله تعالى: كلّ حسنة يعملها ابن آدم تضاعف له من عشرة إلى سبعمئة ضعف إلا الصوم، فإنه لى وأنا أجزى به، يَدَعُ شهوته وطعامه وشرابه من أجلى، والصوم جُنّة، وللصائم فرحتان: فرحة الإفطار، وفرحة عند يوم القيامة**»(١).

٤٥٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ:حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، حدثنا فارس، حدثنا محمد بن الفضل. قال:حدثنا أبو وهب عبد الله بن بكر،حدثنا إياس، عن على بن زيد، عن سعيد بن المسيّب، عن سلمان الفارسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ آخر يوم من شعبان فقال:

« **أيها الناس إنه قد أظلّكم شهر عظيم مبارك، شهر فيه ليلة القدر وهى خير من ألف شهر، شهر فَرَضَ الله صيامه، وجَعَل قيام ليله تطوّعاً؛ فمن تطوّع فيه بخصلة من الخير كان كمن أدّى فريضة فيما سواه، ومن أدّى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه، وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة، وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه رزق المؤمن، من فطر فيه صائماً كان له عتق رقبة ومغفرة لذنوبه**».

قلنا : يارسول الله ليس كلنا يجد مايفطر به الصائم؟ قال:«**يعطى الله هذا الثوابَ لمن يفطّر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة ماء، ومن أشبع صائماً كان له مغفرة لذنوبه، وسقاه ربّه من حوضى شربة لا يظمأ بعدها حتى يدخل الجنة، وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء، وهو شهر أوله رحمة، وأوسطهمغفرة، وآخره عتق من النار، ومن خفف عن مملوكة فيه أعتقه الله من النار**»(٢).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو الحسين الفراء بإسناده عن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: مامن عبد صام رمضان فى إنصات وسكوت، وذكر الله تعالى وأحلّ حلاله وحرامه، ولم يرتكبْ فيه فاحشةً إلا انسلخ من رمضان يوم ينسلخ إلا وقد غُفرت له ذنوبه كلها، ويبنى له بكلّ تسبيحة وتهليلة بيت فى الجنة من زمردة خضراء، فى جوفها ياقوته حمراء، فى جوف تلك الياقوتة خيمة من درّة مجوفة فيها زوجة من الحور العين عليها سواران من ذهب، موشح بياقوته حمراء تضيء لها الأرض كلّها (٣).

---

(١) صحيح* مسلم (٢/١١٥١ ـ ١٦٤)

(٢) منكر* ابن خزيمة (١٨٨٧) وقال: إن صح، والأصبهانى (١٧٥٣)، والبيهقى فى « التعب» (٣٦٠٨). انظر. الضعيفة (٨٧١).

(٣) منكر * انظر مابعده.

٤٥٩ ـ وبهذا الإسناد عن أبي مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال وقد دنا شهر رمضان: « **لو يعلمُ العبادُ مافى رمضان لتمنت أمتى أن يكون رمضان سنة** »، فقال رجل من خزاعة: حدثنا يارسول الله بما فيه قال:

« **إن الجنة لتزيّن لرمضان من الحول إلى الحول، فإذا كان أول ليلة من رمضان هبّتْ ريحٌ من تحت العرش، فصفقت ورق أشجار الجنة فتنظر الحور إلى ذلك، ويقلن: يارب اجعل لنا فى هذا الشهر من عبادك أزواجاً تقرّ أعيننا بهم، وتقر أعينهم بنا، فما من عبد صام رمضان إلاّ زوج زوجتين من الحور العين فى خيمة من درة مجوفة مما نعت الله تعالى فى كتابه:﴿حُورٌ مَقْصوراَت فى الخيَام﴾ [الرحمن:٧٢] وعلى كل امرأة منهن سبعون حلّة ليسَ فيها حلج على لون الأخرى، ويُعطى سبعين لوناً من الطيب؛ وكل امرأة منهن على سرير من ياقوتة حمراء، منسوجة بالدر، على كلّ سرير سبعون فراشاً بطائنها من إستبرق، لكل امرأة سبعون وصيفة، هذا لكل يوم صامه من رمضان سوى ماعمل من الحسنات** » (١).

٤٦٠ ـ وعن النبى ﷺ: «**رجب شهر أمتى، وفضله على سائر الشهور كفضل أمتى على سائر الأمم. وشعبان شهرى وفضله على سائر الشهور كفضلى على سائر الأنبياء. ورمضان شهر الله وفضله على سائر الشهور كفضل الله على خلقه**»(٢).

٤٦١ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن الحسن أن النبى ﷺ خرج وإذا الناس يتلاحون، فقال النبى ﷺ: « **جئتُ وأنا أريد أن أخبركم بليلة القدر، غير أني خشيتُ أن تتكلوا عليها، وعسى أن يكون خيراً.**

فاطلبوها فى العشر الأواخر، فى تسع بقين، وفى سبع بقين، وفى خمس بقين، وفى ثلاث بقين، وفى آخر ليلة تبقى. ومن أماراتها: أنها ليلة بلجة سمحة لا حارة ولا باردة، حتى تطلع الشمس فى صبيحتها ليس لها شعاع، ومن قامها إيماناً واحتساباً غفر الله له ما كان قبل ذلك من ذنب » (٣).

---

(١) منكر* ابن خزيمة (١٨٨٦) وعنه البيهقى فى « التشعب» (٣٦٣٤)، ورواه الأصبهانى (١٧٦٥). فى إسناده (جرير بن أيوب البجلى) قال البخارى: (٥٠) منكر الحديث، واتهمه أبو نعيم، وقال النسائى: (١٠٢) متروك الحديث.

(٢) كذب* قال الحافظ فى « تبين العجب» رواه السلفى وإسناده ثقات إلا هبة الله السقطى فهو الآفة. انظر: تنزيه الشريعة. (٢/ ١٦٠، ١٦١).

(٣) **فيه ضعف*** المصنف مرسلاً ورواه أحمد (٥/ ٣٢٤) وفيه: إنقطاع بين خالد بن معدان وعبادة بن الصامت، والبيهقى من طريق ثان (٣٦٩٣، ٣٦٩٤) وضعفه صدره عند البخارى (٤٩ واطرافه) من طريق أخرى عن عبادة وانظر. الصحيحة (١٤٧١).

قال الفقيه: قد اشترط النبى ﷺ فى قيام الليل وصيام النهار الإيمان والاحتساب والإيمان: هو التصديق بما وعد الله له من الثواب والإحتساب، أن يكونَ مُقبلاً عليه خاشعاً لله تعالى فإذا أراد العبدُ أن ينالَ الثواب والفضائل التى ذكرها النبى ﷺ فينبغى أن يعرفَ حرمة الشهر، ويحفظ فيه لسانه عن الكذب والغيبة والفضول، ويحفظ جوارحه عن الخطايا والزلل، ويحفظ قلبه عن الحسد وعداوة المسلمين، فإذا فعل ذلك فينبغى أن يكونَ خائفاً أن الله يقبل منه أو لا يقبل.

وقد ذُكِر عن بعض الحكماء أنه كانَ يقول: إلهى قد ضمنت لصاحب المصيبة فى الدنيا الأجرَ، وفى الآخرة الثواب، إلهى إن رددتَ علينا هذا الصوم فلا تحرمنا أجر المصيبة يامعروفاً بالمعروف.

٤٦٢ ـ وروى أبو ذر الغفارى ـ رضى الله تعالى عنه قال: «صمنا مع رسول الله ﷺ فلما كان ليلة الثالث والعشرين قام وصلى بنا حتى مضى ثلث الليل، ثم لما كانت ليلة الرابع والعشرين لم يخرج إلينا، فلما كانت ليلة الخامس والعشرين خرج إلينا، وصلى بنا حتى مضى شطر الليل فقلنا لو نفلتنا ليلتنا هذه فقال: « **إنه من خرج، وقام مع الإمام حتى ينصرف، كتب له قيام ليلة**»، ثم لم يصلّ بنا فى الليلة السادسة والعشرين فلما كانت ليلة السابع والعشرين قام وجمع أهله، وصلّى بنا حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح، قلنا: وما الفلاح؟ قال: السحور »[1].

٤٦٣ ـ وعن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أن النبى ﷺ خرج فى أول جوف الليل فى رمضان، وصلى فى المسجد وصلّى الناس بصلاته، فأصبح الناس يتحدثون بذلك، وكثر الناسُ فى الليلة الثانية، فصلى وصلوا بصلاته. فلما كانت الليلة الثالثة كثر الناس حتى عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاته، فلما صلى الفجر أقبل على الناس وقال: « **إنه لم يخف علىّ شأنكم الليلة، ولكنى خشيتُ أن يفرضَ عليكم صلاة الليل فتعجزوا عن ذلك** »[2].

٤٦٤ ـ قالت عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ: وكان النبى ﷺ يرغبهم فى قيام رمضان من غير أن يأمرهم بعزيمة، فتوفى رسول الله ﷺ والأمر على ذلك فى خلافة أبى بكر، وصدر من خلافة عمر؛ حتى جمعهم عمر بن الخطاب على أبى بن كعب

(١) **صحيح*** أبو داود (١٣٧٥) ، والترمذى(٨٠٦) ، والنسائي (٣/ ٨٣) ، وابن ماجه (١٣٢٧).
(٢) **متفق عليه*** البخارى (٢/ ٧٢٩ وأطرافه) ومسلم (٧٦١).

رضى الله تعالى عنهما [١].

٤٦٥ ـ قال الفقيه: حدثنى أبى بإسناده عن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنما أخذ عمر بن الخطاب هذه التراويح من حديث سمعه منى، قالوا: وما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول«**إنّ لله تعالى حول العرش موضعاً يسمى حظيرة القدس، وهو من النور، فيها ملائكة لا يحصى عددهم إلا الله تعالى، يعبدون الله عز وجل عبادة لايفترون ساعة، فإذا كان ليالى شهر رمضان استأذنوا ربهم أن ينزلوا إلى الأرض فيصلون مع بنى آدم، فينزلون كل ليلة الأرض، فكل من مسهم أو مسوه سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً**» فقال عمر رضى الله تعالى عنه، عند ذلك: نحن أحقّ بهذا، فجمع الناس للتراويح ونصبها إلى أبىّ ابن كعب»[٢].

وروى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه خرج فى أول ليلة من شهر رمضان، فسمع القراءة فى المساجد، ورأى القناديل تزهر فى المساجد، فقال نوّر الله قبر عمر، كما نوّر مساجدنا بالقرآن.

وروى عن عثمان بن عفان ـ رضى الله تعالى عنه ـ هكذا، رضى الله تعالى عنهم أجمعين.

***

باب فضل أيّام العشر

٤٦٦ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا عبد الله بن نمير، عن الأعمش، عن مسلم البطين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن النبى ﷺ قال: «**ما من أيام العملُ الصّالحُ فيها أحبّ إلى الله من هذه الأيام**» يعنى أيام العشر، قالوا: ولا الجهاد فى سبيل الله تعالى؟ قال: «**ولا الجهاد فى سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله، فلم يرجعْ من ذلك بشىء**»[٣].

---

(١) **صحيح*** البخارى (٤/ ٢٠١٠) عن عبد الرحمن بن عبد القارى، ومسلم (٧٥٩ ـ ١٧٤) عن أبى هريرة كلاهما بنحوه

(٢) **ضعيف جداً*** البيهقى فى «الشعب» (٣٦٩٦، ٣٦٩٧) مسلسل يعلل أربع: الأولى (عبيد ين إسحاق العطار) منكر الحديث الثانية (سيف بن عمر) ضعيف فى الحديث. الثالثة والرابعة (سعد بن طريف وأصبغ بن نباته) كلاهما متروك.

(٣) **صحيح*** البخارى(٢ / ٩٦٩) وأبو داود ،(٢٤٣٨) ،والترمذى (٧٥٧) ،وابن ماجه (١٧٢٧) .

٤٦٧ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا محمد بن عقيل، حدثنا محمد بن مخلد بن خالد، حدثنا يحيى بن أبى كثير، حدثنا عبد السلام بن سليمان، عن مرزوق، عن أبى الزبير، عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مامن أيام أحبّ إلى الله وأفضل من أيام العشر**». قيل: ولا مثلهن فى سبيل الله؟ قال: « **ولا مثلهن فى سبيل الله، إلا رجل عقر، جواده، وعفّر وجهه**» وفى رواية أخرى « **عقر جواده وأهريق دمه**»(١).

٤٦٨ ـ قال الفقيه: [حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ] حدثنا محمد بن غالب بإسناده، عن عطاء، عن أم المؤمنين عائشة، رضى الله تعالى عنها ـ أن شاباً كان صاحب سماع، وكان إذا أهلّ هلال ذى الحجة أصبح صائما، فارتفع الحديث إلى النبى ﷺ فأرسل إليه فدعاه، فقال: « **ما يحملك على صيام هذه الأيام،؟**» قال: بأبى أنت وأمى يارسول الله، إنها أيام المشاعر، وأيام الحج عسى الله أن يشركنى فى دعائهم. قال « **فإن بكلّ يوم تصومه عدل مئة رقبة، ومئة بدنة، ومئة فرس،تحمل عليها فى الله، فإذا كان يوم التروية فلك فيها عدل ألف رقبة وألف بدنة وألف فرس، تحمل عليها فى سبيل الله، فإذا كان يوم عرفة فلك بها عدل ألفى رقبة وألفى بدنة وألفى فرس تحمل عليها فى سبيل الله، وهو صيام سنتين سنة قبلها وسنة بعدها**»(٢).

٤٦٩ ـ وروى فى رواية أخرى أنه قال ﷺ: «**يعدل صوم يوم عرفة بصوم سنتين ويعدل صوم عاشوراء بصوم سنة**» (٣).

وقال أهل التفسير فى قوله تعالى: ﴿**وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**﴾ [الأعراف: ١٤٢] إنها عشر من أول ذى الحجة، وكلم الله موسى تكليماً، وقربه نجياً فى أيام العشر، وكتب له الألواح فى أيام العشر.

٤٧٠ ـ وروى عن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: عليكم بصوم أيام العشر، وإكثار الدعاء والاستغفار والصدقة فيها، فإنى سمعتُ نبيكم محمداً ﷺ

---

(١) حسن* ابن حبان. (٦٠ ١ موارد) والبزار (١١٢٨ كشف) انظر. المجمع (٤/ ١٧).

(٢) منكر* ابن عدى فى«الكامل»(٦/ ١٤٢ ، ١٤٣) فيه ثلاث علل. الأولى. عنعنة عطاء بن أبى رباح عن عائشة فلا يحتج بروايته الثانية (محمد المحرم) صعفه ابن معين (٢/ ٥٢٣) ،وقال البخارى فى «الكبير» (١/ ٢٤٨) منكر الحديث. وقال النسائى (٥٢٢) متروك الثالثة (مصور بن المهاجر) مستور.

(١) صحيح* مسلم (٢/ ١١٦٢) وأبو داود (٢٤٢٥، ٢٤٢٦) وغيرهما عن أبى قتادة مطولاً بلفظ « يكفِّر» أنظر. الإرواء (٩٥٢).

يقول: « **الويل لمن حُرِم خيرَ أيام العشر، عليكم بصوم التاسع خاصة فإن فيه من الخيرات أكثر من أن يحصيها العادون**».

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنى أبى ـ رحمة الله عليه ـ حدثنا أبو عبد الرحمن بن أبى الليث، حدثنا أحمد بن جعفر البغدادى، حدثنا أبو النضر هاشم بن القاسم، عن محمد بن الفضل بن عطية، عن أبيه، عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثى، قال: بلغنا أن الله تعالى أهدى إلى موسى بن عمران خمس دعوات جاء بهن جبريل ـ عليه السلام ـ فى أيام العشر:

أولهن: لاإله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حى لا يموت، بيده الخير وهو كل شىء قدير.

والثانية: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً أحداً صَمَداً لم يتّخذْ له صاحبه ولا ولداً.

والثالثة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحداً صمداً، لم يلد ولم يولد، ولو يكن له كفواً أحد.

والرابعة: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حيّ لا يموت، بيده الخير، وهو على كلّ شىء قدير.

والخامسة: حسبى الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله منتهى.

وذُكر أنّ هذه الكلمات أنزلت فى الإنجيل، وأن الحواريين سألوا عيسى ـ عليه السلام ـ عن فضل هذه الدعوات، فذكر لهم من الثواب والفضيلة لمن قرأها فى أيام العشر مالا يقدرعلى وصفه أحد.

قال أبو النضر هاشم بن القاسم: حدثنى رجل أنه دعا بهذه الدعوات فى أيام العشر، فرأى فى منامه كأن فى بيته خمس طبقات من نور بعضها فوق بعض.

٤٧١ ـ وروى مجاهد عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: أن النبى ﷺ قال: « **مامن أيام أعظم عند الله ولا أحبّ إليه فيهن العمل من هذه الأيام العشر، فأكثروا فيها التكبير والتحميد والتهليل**»[١].

(١) إسناده ضعيف# أحمد (٢/ ٧٥, ١٣١)، والبيهقى فى «الشعب» (٣٧٥٠، ٣٧٥١) فى سنده (يزيد بن أبى زياد الهاشمى) ضعيف، كبر فتغير صاريتلقن وفى سماعه من مجاهد نظر

وروى نافع عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه كان يكبّر فى جميع أيام العشر على فراشه ومجلسه. وكان عطاء بن أبى رباح يكبّر فى العشر فى الطريق وفى الأسواق.

وروى جرير عن يزيد بن أبى زياد قال: كان سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن أبى ليلى ومَن رأينا من فقهاء المسلمين يوم العيد وأيام التشريق يقولون: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد.

وقال جعفر بن سليمان: رأيت ثابتاً البنانى يقطع حديثه فى أيام العشر. يعنى فى مجلس الذكر، ثم يقول: الله أكبر، الله كبر لا إله إلا الله. والله أكبر الله أكبر، ولله الحمد، وقال: إنها أيام الذكر. هكذا كان الناس يصنعون. فقال جعفر: رأيت مالك بن دينار يفعل هكذا.

وروى المغيرة بن شعبة عن أبى معشر قال: سألت إبراهيم النخعى عن التكبير فى الطريق أيام العشر، فقال: إنما يفعل ذلك الحواكون.

وعن ليث بن أبى سُليم قال: سألتُ مجاهداً عن التّكبير فى الطريق أيام العشر، فقال: إنما يفعلْ ذلك الحاكة.

قال الفقيه: مَن كبّر في هذه الأيام فى نفسه كان أفضل، ولو أنه كبّر ورفّع صوته، وأراد به إظهار الشريعة، وأن يذكر الناس فلا بأس به، وقد جاء الأثر فى ذلك.

٤٧٢ - وروى عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «إن الله تعالى قد اختار من الأيام أربعة، ومن الشهور أربعة، ومن النساء أربعة، وأربعة يسبقون إلى الجنة، وأربعة اشتاقت إليهم الجنة، أما الأيام:

فأولها: يوم الجمعة، فيه ساعةٌ لا يوافقها عبدٌ مسلم يسأل الله تعالى شيئاً من أمر الدنيا والآخر إلا أعطاه الله إياه.

والثانى: يوم عرفة، فإذا كان يومُ عرفة يباهى الله تعالى ملائكته فيقول: يا ملائكتى، انظروا إلى عبادى، جاؤواشعثاً غبراً، قد أنفقوا الأموال، وأتعبوا الأبدان، اشهدوا أنى قد غفرتُ لهم.

والثالث: يوم النّحر، فإذا كان يوم النحر، وقرّب العبدُ قربانه، فأول قطرة قطرت من القربان تكون كفّارةً لكلّ ذنبٍ عمله العبدُ.

والرابع: يوم الفطر، فإذا صاموا شهر رمضان وخرجوا إلى عيدهم، يقول الله

تبارك وتعالى لملائكته: ياملائكتى إنّ كلّ عامل يطلبُ أجره، وعبادى صاموا شهرهم، وخرجوا إلى عيدهم، يطلبون أجرهم، أشهدكم أنى غفرت لهم وينادى المنادى: يا أمة محمد، ارجعوا فقد بدّلتُ سيئاتكم حسنات .

وأما الشهور: فشهر الله الأصم رجب، وثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم.

وأما النساء: فمريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد سابقة نساء العالمين إلى الإيمان بالله ورسوله، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، وفاطمة بنت محمد سيدة نساء أهل الجنة.

وأما السابقون فلكل قوم سابق إلى الجنة، فمحمد ﷺ سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة.

وأما الأربعة التى اشتاقت إليهم الجنة: فأمير المؤمنين على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ، وسلمان، وعمار بن ياسر، والمقداد بن الأسود ـ رضى الله تعالى عنهم»(١).

٤٧٣ ـ وروى عن سالم بن أبى الجعد أن النبى ﷺ قال لفاطمة ـ رضى الله تعالى عنها ـ: «**قومى إلى أضحيتك، فاشهديها، فإن الله تعالى يرفعُ عنك ذنوبك عند أول دفعة من دمها**» يعنى أول قطرة. قال عمران بن الحصين: أخاصّة لكَ يارسول الله ولأهل بيتك أم لعامة المسلمين؟ **قال**: « **بل لعامة المسلمين** »(٢).

٤٧٤ ـ وعن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ضحُّوا وطيْبُوا بها نفساً، فإنه مَن أخذ أضحيته يوم محلها، فاستقبل بها القبلة، كان قرنها وفرثَها ودمها وشعرها وصوفها ووبرها محضورات له يوم القيامة، إن الدم إذا وقع فى التراب فإنما يقع فى حرز الله، أنفقوا يسيراً تؤجروا كثيراً**»(٣)

***

(١) منكر بمرّه* ابن عساكر عن أبى هريرة، وقال: منكر بمره وفيه (العباس بن أسجور وأبو محمد المراغى) مجهولان. انظر: تنزيه الشريعة (٢/ ٦٤، ٦٥).

(٢) ضعيف* الطبرانى فى « الكبير» (١٨/ ٢٣٩)، والحاكم (٤/ ٢٢٢)، والبيهقى فى « الشعب»(٧٣٣٨) فيه(ثابت بن أبى صفية أبو حمزة الثمالى) ضعيف.

(٣) ضعيف* عبد الرزاق فى « المصنف» (٤/ ٣٨٨) والديلمى (٣٦٨٨)

باب فضل يوم عاشوراء

٤٧٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الحاكم أبو الحسن على بن الحسين السردرى، حدثنا أبو جعفر أحمد بن حاتم، حدثنا يعقوب بن جندب، عن حامد بن آدم، عن حبيب أبومحمد، عن أبيه، عن إبراهيم الصائغ، عن ميمون بن مهران، عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ :

«من صام يوم عاشوراء من المحرم، أعطاه الله تعالى ثواب عشرة آلاف ملك ومئة شهيد، ومن صام يوم عاشوراء من المحرم أُعطى ثواب عشرة آلاف حاج ومعتمر، وعشرة آلاف شهيد، ومن مسح يده على رأس يتيم يوم عاشوراء رفع الله تعالى له بكلّ شعرة درجة، ومن فطّر مؤمناً ليلة عاشوراء، فكأنما أفطر عنده جميع أمة محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأشبع بطونهم». قالوا: يارسول الله لقد فضل الله يوم عاشوراء على سائر الأيام.

قال: « نعم خلق الله تعالى السموات والأرضين يوم عاشوراء، وخلق الجبال يوم عاشوراء، وخلق النجوم يوم عاشوراء، وخلق اللوح والقلم يوم عاشوراء، وخلق آدم يوم عاشوراء، وخلق حواء يوم عاشوراء، وخلق الجنّة وأدخلهم الجَنّة يوم عاشوراء، وولد إبراهيم يوم عاشوراء، ونجّاه الله من النار يوم عاشوراء، وقد أمر بالذبح يوم عاشوراء، وفدى ولده من الذبح يوم عاشوراء، وأغرق فرعون يوم عاشوراء، وكشف البلاء عن أيوب يوم عاشوراء، وتاب الله على آدم يوم عاشوراء، وغفر ذنب داود يوم عاشوراء، ورد ملك سليمان يوم عاشوراء، وولد عيسى فى يوم عاشوراء، ورفع الله عيسى فى يوم عاشوراء، وولد النبى ﷺ فى يوم عاشوراء، ويوم القيامة فى يوم عاشوراء»[(١)] .

قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا المسيب بن أبى بكر، عن عكرمة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: يوم عاشوراء هو اليوم الذى تِيبَ فيه على آدم، وهو اليوم الذى أهبط فيه نوح من السفينة، فصامه شكراً، وهو اليوم الذى أُغْرِقَ فيه فرعون، وفلق البحر لبنى

(١) موضوع* فى سنده (حبيب بن أبى حبيب أبو محمد) متروك، كذبه أبو داود وجماعة كما فى « التقريب» وانظر: اللآلىء المصنوعة (١٠٨/٢) ، وتنزيه الشريعة (١٤٩/٢٠)

إسرائيل فصاموه، فإن استطعت أن لا يفوتك صومه فافعل.

٤٧٦ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان، عن إبراهيم، عن محمد بن ميسرة قال: بلغنا عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه « **مَن وسّع على عياله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر السنة**» [١] قال سفيان: جربناه فوجدناه كذلك.

٤٧٧ ـ وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: قدم النبى ـ ﷺ ـ المدينة، فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك، فقالوا: إن هذا اليوم أظهر الله فيه موسى وبنى إسرائيل على قوم فرعون، فنحن نصومه تعظيماً له. فقال النبى ﷺ «**نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه**»[٢].

قال الفقيه ـ رضى الله تعالى عنه ـ: قد اختلفوا فى تفسير هذا اليوم، قال بعضهم : إنما سمى عاشوراء لأنه عاشر يوم من المحرم.

وقال بعضهم: لأنّ الله تعالى أكرم فيه عشرة من الأنبياء بعشر كرامات: تاب الله على آدم يوم عاشوراء، ورفع الله تعالى إدريس مكاناً علياً فى يوم عاشوراء، واستوت سفينة نوح على الجودى يوم عاشوراء، وولد إبراهيم ـ عليه السلام ـ فى يوم عاشوراء، واتخذه خليلاً وأنجاه من النار كذلك، وتاب الله على داود يوم عاشوراء، ورفع الله عيسى يوم عاشوراء، وأنجى الله موسى من البحر، وأغرق فرعون يوم عاشوراء، وأخرج يونس من بطن الحوت يوم عاشوراء، ورد ملك سليمان يوم عاشوراء، وولد النبى ﷺ يوم عاشوراء.

قال بعضُهم: إنما سُمِّى عاشوراء لأنه عاشر عشر كرامات أكرم الله بها هذه الأمة

أولها: شهر رجب، وهو شهر الله الأصمّ، وإنما جعله كرامة لهذه الأمة، وفضله على سائر كفضل هذه الأمة على سائر الأمم.

والثانى: شهر شعبان، وفضله على سائر الشهور كفضل النبى ـ ﷺ ـ على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

والثالث: شهر رمضان، وفضله على سائر الشهور كفضل الله تعالى على خلقه.

---

(١) **مختلف فيه*** انظر: المقاصد(١١٩٣)، وكشف الخفاء (٢/ ٢٨٣)، وفيض القدير (٦/ ٢٣٥)، وتنزيه الشريعة (٢/ ١٥٧) ، وأسنى المطالب (١٥٢٢) ، وضعيف الجامع (٥٨٧٣) وغيرهما

(٢) **متفق عليه*** البخارى (٤/ ٢٠٠٤ وأطرافه) ومسلم (٢/ ١١٣٠).

والرابع: ليلة القدر، وهى خير من ألف شهر.

والخامس: يوم الفطر، وهو يوم الجزاء.

والسادس: أيام العشر، وهى أيام ذكر الله تعالى .

والسابع: يوم عرفة، وصومه كفّارة سنتين.

والثامن: يوم النحر، وهو يوم القربان.

والتاسع:يوم الجمعة، وهو سيّد الأيام.

والعاشر: يوم عاشوراء، وصومه كفّارة سنة، فلكلّ وقت من هذه الأوقات كرامات، جعلها الله تعالى لهذه الأمة لتكفير ذنوبهم، وتطهير خطاياهم.

٤٧٨ ـ وعن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت: كان يوم عاشوراء يوماً تصومه قريش فى الجاهلية، وكان يصومه رسول الله ـ ﷺ ـ بمكة، فلما قدم المدينة فرض صيام شهر رمضان. فقال النبى ـ ﷺ ـ : «**إنّى كنتُ أمرتُ يوم عاشوراء، فمن شاء صام ومن شاء ترك**»(١).

وروى عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت: يوم عاشوراء يوم التاسع وقال بعضهم: يوم الحادى عشر، وأكثرهم على أنه يوم العاشر(٢) والله تعالى أعلم.

***

باب فضل صوم التطوّع
وصوم أيام البيض، وصوم رجب

٤٧٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا ابن وهب، عن عمر بن محمد العمرى: أن زيد بن أسلم حدثه وقال: لا أعلم إلا أنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **الأعمال سبعة: فعمل بمثله، وعمل بمثليه، وعمل موجب، وعمل بعشرة وعمل بسبعمئة، وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله.**

(١) متفق عليه* البخارى (٤/ ١٠٢، ٢٠٠٢ ـ ٨/ ٤٥٠٢، ٤٥٠٤) ومسلم (٢/ ١١٢٥)

(٢) ويقوى هذا الاحتمال مارواه مسلم (٢/ ١١٣٤) من وجه عن ابن عباس أن النبى ﷺ قال: « **لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع** » قلت: أى مع العاشر فمات قبل أن يفعله . انظر. الفتح (٤/ ٢٨٨ط الريان)

فأما العمل الذى بمثله: فالرجل يعمل سيئة تُكتب عليه واحدة ورجل يهمّ بحسنة ولم يعملها فتُكتب له حسنة. وأمّا العمل الذى بمثليه فهو الرجل يعمل حسنة فتكتب أضعافاً والعمل الموجب: من لقى الله لا يعبد إلا هو وجبت له الجنة، ومن لقى الله يعبد غيره وجبت له النار والعمل الذى بعشرة من عمل حسنة فيكتب له عشرة، والعمل الذى بسبعمئة: من عمل فى سبيل الله تعالى أو ينفق فى ذلك، فيكتب له سبعمئة. والعمل الذى لا يعرف ثواب عامله إلا الله فهو الصوم »(١).

٤٨٠ ـ قال الفقيه رحمه الله تعاليحدثنا الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى حدثنا على بن أحمد، حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا ابن وهب، حدثنا أبو صدقة اليمانى قال: دخل بلال رضى الله تعالى عنه، على رسول الله ﷺ وهو يأكل الطعام فقال: «**يابلال الطعام الطعام**»، فقال: يارسول الله إنى صائم، فقال رسول الله ﷺ: «**نأكل أرزاقنا، ورزق بلال فى الجنة، إن الصائم إذا كان عند قوم يأكلون تسبح أعضاؤه وتصلى عليه الملائكة، وتقول: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه مادام فى مجلسه**»(٢).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن حسان، عن واصل مولى أبى عيينة. قال: أخبرنى لقيط، عن أبى بردة، عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: ركبنا البحر، فبينما نحن نسير فى لجة البحر وقد رفعنا الشراع، ولانرى جزيرة ولا شيئاً إذا نحن بمناد ينادى يا أهل السفينة، قفوا أخبركم قال: فانصرفنا، فلم نر شيئاً، فنادى سبعاً، قال أبو موسى: فلما كانت السابعة، قمت فقلت: ياهذا قد ترى ما نحن فيه، ولسنا نستطيع أن نحتبسَ عليك، فأخبرنا ما تريد أن تخبرنا به، فقال: ألا أخبركم بقضاء قضى الله تعالى على نفسه. قلنا: أخبرنا قال: فإن الله تعالى قضى على نفسه أنه ما من عبد أظمأ نفسه فى يوم حار إلا أرواه الله تعالى يوم القيامة(٣).

وذكر عن ابن المبارك، عن واصل مولى أبى عيينة، عن لقيط، عن أبى بردة، عن أبى موسى الأشعرى نحوه، وزاد فيه: وكان أبو موسى يتتبع اليوم الحارّ الشّديد

---

(١) به إنقطاع* البيهقي فى «الشعب» (٣٥٨٨) وقال: هكذا رواه منقطعاً وذكره (٣٥٨٩) عن ابن عمر وفى سنده (يحيى بن المتوكل أبو عقيل) ضعيف.

(٢) موضوع* البيهقى فى « الشعب » (٣٥٨٦) عن بريدة. فى سنده (محمد بن عبد الرحمن شيخ بقية) كذبوه وذكره الذهبى فى « الميزان» (٤/ ٤٦٧) فى ترجمة (يوسف بن السَّفْر) كذاب وضاع.

(٣) حسن* البزار (١٠٣٩ كشف) قال الهيثمى فى « المجمع» (٣/ ١٨٣) رجاله موثقون.

فيصومه.

٤٨١ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا أبو عتاب البغدادى، قال: حدثنا يحيى بن جعفر بن الزبير، قال: حدثنا الحارث بن منصور، حدثنا يحيى السقاء، عن يحيى بن أبى كثير، عن زيد بن سلام، عن أبى مالك الأشعرى، عن رسول الله ﷺ قال: «**ست خصال من الخير : مجاهدة عدو الله بالسيف، والصّوم فى الصيف، وحسن الصّبر عند المصيبة، وترك المراء وإن كان محقاً، والتّبكير بالصلاة فى يوم الغيم ـ أو قال فى يوم الصّيف ـ وحسن الوضوء فى أيام الشتاء**»[١].

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا نصير بن يحيى، حدثنا أبو مطيع، عن بكر بن خنيس يرفعه إلى أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: لولا ثلاث ماباليت أن أموت:

أحدّها: تعفير وجهى فى التراب لله ساجداً.

والثانى: صوم يوم بعيد ما بين طرفيه، أتلوّىٰ فيه من الجوع والظمأ.

والثالث: جلوس مع قوم يتخيّرون أطيبَ الكلام كما يتخيّرون أطيبَ التمر.

٤٨٢ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا ابن عبد الله الطنافسى، عن العوام بن حوشب، عن سليمان بن أبى سليمان مولى هاشم، أنه سمع أبا هريرة ـ رضى الله عنه ـ يقول: «**علمنى رسول الله ﷺ ثلاث خصال لا أدعهن حتى أموت: أن لا أنام إلا على وضوء، وأن أصوم من كل شهر ثلاثة أيام، وأن لا أدع صلاة الضحى**»[٢].

٤٨٣ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن عبد الله الطنافسى، عن العوام بن حوشب، حدثنا محمد بن سلمة، حدثنا ابن أبى شيبة، حدثنا هشام بن القاسم، حدثنا أبو إسحاق الأشجعى، عن عمر بن قيس، عن الحسن بن الصباح، عن هنيدة بن خالد الخزاعى، عن حفصة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت: أربع لم يدعهن النبى ﷺ: صيام يوم عاشوراء، وصوم أيام العشر، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتان قبل الغداة[٣].

---

(١) **ضعيف** ✲ فيه علتان. الأولى(يحيى بن كثير السقاء)قال البيهقى. ضعيف الثانية(الحارث بن منصور الواسطى) قال ابن عدى (٢/ ١٩٥) فى حديثه إضطراب انظر. فيض القدير(٤/ ٩٣) وضعيف الجامع (٣٢٤٣)

(٢) **متفق عليه** ✲ البخارى (٣/ ١١٧٨)، ومسلم (٧٢١).

(٣) **ضعيف** ✲ أحمد (٦/ ٢٨٧)، والنسائى (٤/ ٢٢١)، انظر. الإرواء (٩٥٤).

٤٨٤ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن على، حدثنا يحيى بن محمد بن كامل بن طلحة، عن حماد بن سلمة، عن الحجاج بن أبى إسحاق، عن الحارث عن على ـ كرم الله وجهه، أن النبى ﷺ قال: « **صوموا شهر الصبر، يعنى شهر رمضان، وثلاثة أيام من كل شهر، فهو بمنزلة صوم الدهر، ويذهب وَحَرَ الصدر** »[1]؛ يعنى غله وغشه .

حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الأعمش، عن رجل، عن عبد الله بن شقيق العقيلى قال: أتيت المدينه، فإذا أبو ذر الغفارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ، فقلت: لأنظرن على أى حال هو اليوم، فقلت له: أصائم أنت؟ قال: نعم. وهم ينتظرون الإذن على عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ فلما دخلوا أتينا بقصاع فأكل أبو ذر فحركته بيدى أذكره، فقال: إنى لم أنس ماقلت لك أخبرتك أنى صائم، فإنى أصوم من كل شهر ثلاثة أيام فأنا أبداً صائم[2] .

٤٨٥ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا محمد بن سلمة، حدثنا ابن أبى شيبة، حدثنا محمد بن الفضل الضبى، عن حصين، عن مجاهد، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: كنت رجلاً مجتهداً، فزوّجنى أبى امرأةً، فدخل يوماً منزلى فلم يَرَنى، فقال للمرأة: كيف تجدين بعلك؟ فقالت: نعم الرجل، هو رجلٌ لا ينام ولا يفطر، فوقع فى أبى، فقال: زوّجتك امرأةً من المسلمين، فعطّلتها، فلم أبال بما قال لى أبى؛ مما أجد من القوة والإجتهاد إلى أن بلغ ذلك إلى رسول الله ﷺ فدعانى فقال لى:

« **لكنى أنام وأصلى وأصوم وأفطر، فصل ونم وصم من كل شهر ثلاثة أيام**»، فقلت: يارسول الله أنا أقوى من ذلك قال: « **صم يوماً، وأفطر يوماً وهو صوم داود ـ عليه السلام ـ**» وقال لى: « فى كم تقرأ القرآن؟» قلت: فى يومين وليلتين. قال«**اقرأه فى خمسة عشر يوماً**» قال: قلت يارسول الله أنا أقوى من ذلك. قال: « **فاقرأه فى سبع** » ثم قال: « **إن لكل عمل شرة، ولكل شرة حرص فترة، فمن كانت فترته إلى سنتى فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك**».

فقال عبد الله بن عمرو ـ رضى الله عنهما ـ: لإن أكون قبلت رخصة رسول الله

---

(١) صحيح* أنظر: صحيح الجامع (٣٨٠٤) . وفى إسناد المصنف ضعف .

(٢) ضعيف * فيه رجل لم يسم ، وععنة الأعمش .

ﷺ أحب إلىّ من أن يكون لى مثل أهلى ومالى، وأنا اليوم شيخ قد كبرتُ وضعفتُ، وأكره أن أترك ما أمرنى به رسول الله ﷺ (٢).

ورُوى عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلاً جاء إليه فسأله عن الصيام فقال: ألا أحدّثك بحديث كان عندى من التّحف المخزونة، إن كنت تريد صوم داود عليه السلام فإنه كان يصوم يوماً ويفطر يوما؛ وإن كنت تريد صوم ابنه سليمان عليه السلام فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من أول كل شهر، وثلاثة من أوسطة وثلاثة من آخره، وإن كنت تريد صوم ابن العذراء البتول، يعنى عيسى ابن مريم عليهما السلام ـ فإنه كان يصوم الدهر كله، ويأكل الشعير، ويلبس الشعر الخشن، وكان حيثما أدركه الليل صف قدميه يصلى حتى يرى علامة الفجر قد طلعت، وكان لا يقوم مقاماً إلا صلّى ركعتين فيه، وإن كنت تريد صَوم أمه فإنها كانت تصوم يومين وتفطر يومين، وإن كنت تريد صوم خير البشر النبى العربى القرشى أبى القاسم محمد ﷺ فإنه كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر؛ يعنى صوم أيام البيض، الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر، ويقول :٤٨٦ ـ « **هن صيام الدهر** » (١).

٤٨٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**من صام شهر رمضان، ثم أتبعه بستّ من شوال، فكأنّما صام الدهر كله**» قال أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ: حتى أحسب لكم، فصوم رمضان يكون ثلثمائة يوم وستة أيام ستين يوماً لأن الله تعالى قال: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾ [الأنعام: ١٦٠] وكل يوم يقوم مقام عشرة أيام(٢).

قال الفقيه: وقد كره بعض الناس صيام السبت (٣) وقال : فيه تشبه بالنصارى.

وروى عن إبراهيم النخعى أنه سئل عن صيام السبت فقال: هو صوم الحيض.

وقال بعضهم: ينبغى أن يصوم متفرقاً حتى لا يكون تشبهاً بالنصارى، وعندى أنه لا بأس به متتابعاً أو متفرقاً لأن الفطر صار فاصلاً بينهما.

***

---

(١) متفق عليه * البخارى(٤/ ١٩٧٥) ، ومسلم (٢/ ١١٩٥).

(٢) حسن* النسائى (٤/ ٢٢١) ، والبيهقى فى « التعب» (٣٨٥٢) . انظر . صحيح الجامع (٣٨٤٩)

(٣) **صحيح*** البزار (١٠٦٠ ، ١٠٦١) قال الهيثمى فى « المجمع» (٣/ ١٨٣). رواه البرار، وله طرق رجال بعضها رجال الصحيح.

باب النّفقة على العيال

٤٨٨ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد ابن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا ابن علية، عن أيوب قال: نبئت أن أصحاب النبى ﷺ كانوا فى منزل لهم، فأشرف عليهم رجل، فأعجبهم شبابه وقوته، فقالوا: لو أن هذا جعل شبابه وقوته فى سبيل الله تعالى، فسمع بذلك النبى ﷺ فقال:

« أو ما فى سبيل الله إلا كلّ من قاتل أو غزا، من سعى على نفسه ليعفّها فهو فى سبيل الله، ومن سعى على والديه ليعفهما فهو فى سبيل الله، ومن سعى على عياله ليعفّهم فهو فى سبيل الله، ومن سعى مُكاثراً فهو فى سبيل الشيطان»(١).

٤٨٩ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا حماد بن زيد، عن زيد، عن أيوب، عن أبى قلابة، عن أسماء، عن ثوبان ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: **« أفضل الدينار: دينار ينفقه الرجل على دابته فى سبيل الله، ودينار ينفقه على أصحابه فى سبيل الله»**(٢).

قال أبو قلابة: بدأ بالعيال، وأى رجل أعظم أجراً من رجل يسعى على عياله الصغار.

٤٩٠ ـ وعن أبى سلمة عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: **«إنّما الصّدقة عن ظهر غِنى، واليد العليا خيرٌ من اليد السفلى، ابدأ بمن تعول»**(٣).

قوله **« عن ظهر غنى»**: أى مافضل عن العيال. و**«اليد العليا»**: اليد المنفقة. و**«اليد السفلى»**: اليد السائلة. **« وابدأ بمن تعول»** بالصدقة لمن هو صاحب عيال.

٤٩١ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: سمعت أبى رحمه الله تعالى قال: كان ثابت البنانى عند أنس بن مالك رضى الله تعالى عنهما، فذكر أنه سمع رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح* الطبرانى فى « الكبير» (١٩/ ١٢٩)، والأوسط والصغير(٩٤٠ ـ الروض) عن كعب بن عجرة قال المنذرى (٣/ ٨١) ، والهيتمى (٤/ ٣٢٥). رجال الكبير رجال الصحيح.

(٢) صحيح* مسلم (٢/ ٩٩٤) ، والترمذى (١٩٦٦) ، وابن ماجه (٢٧٦٠).

(٣) صحيح* أحمد (٢/ ١ ٥)، والأصبهانى فى « الترغيب» (١٦٣٨) بلفظه. ورواه البخارى (٣/ ١٤٢٦ واطرافه) وأحمد (٢/ ٤٠٢) وغيرهما بنحوه من طرق أخرى . انظر : الإرواء (٨٣٤).

يقول: «**إنّ الله عز وجل قد ضمنَ دين العبد إذا استدان فى ثلاثة: أحدها من قِبَل النكاح مخافة الفجور، ثم لم يقدر على قضائها حتى مات، فقد ضمن الله دينه أن يُقضى عنه يوم القيامة. والثانى دينه لإعانة المسلمين ليخرج إلى الغزو. والثالث: إذا استدان لكفن الميت، فإن الله تعالى يرضى خصماءه يوم القيامة**».

فدخل ثابت البنانى رحمه الله تعالى على الحسن البصرى رحمه الله تعالى فذكر له ماسمع من أنس رضى الله تعالى عنه، فقال الحسن البصرى: قد كبرأنس وضعف، ونسى ماهو الأفضل من ذلك، بل ضمن الله تعالى مع هؤلاء رجلاً استدان لينفق على عياله، واجتهد على قضائه فلم يبلغ حتى مات لم يكن بين خصمائه وبينه خصومة(١).

٤٩٢ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ فى السماء ملكين مالهما عمل إلا يقول أحدهما: اللهم أعطِ لمنفق خلفاً، ويقول الآخر: اللهم عجّل لممسك تلفاً**»(٢).

٤٩٣ ـ وروى مكحول عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**من طلب الدُّنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة، وسَعْياً على عياله، وتعطّفاً على جاره، جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر، ومن طلب الدنيا حلالاً، مكاثراً مفاخراً مرائياً، لقى الله يوم القيامةوهو عليه غضبان**»(٣).

٤٩٤ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنى أبى ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا محمد بن جناح، حدثنا أبو حفص، عن على بن إسحاق، عن أبى معاوية، عن سعيد بن أبى عروبة، عن قتادة، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قلت: يارسول الله، رغيف أتصدّق به أحبّ إليك أم مئة ركعة تطوعاً؟ قال: «**رغيف تتصدّق به أحبّ إلى من مئتى ركعة تطوعاً**». قلت: يارسول الله، قضاء حاجة المسلم أحبّ إليك أم مئتا ركعة تطوّعا؟ قال: «**قضاء حاجة المسلم أحبّ إلىّ من ألف ركعة تطوعاً**». قال: قلت: ترك لقمة من الحرام أحب إليك أم ألف ركعة تطوعاً؟ قال: «**ترك لقمة من حرام أحب إلىّ من ألفى ركعة تطوعاً**».

قال: قلت: يارسول الله ترك الغيبة أحبّ إليك أم ألفا ركعة تطوعاً؟ قال: «**ترك**

---

(١) لم أقف على إسناده. وإستدراك الحسن البصرى غير مقبول.

(٢) **صحيح**: البخارى (٣/١٤٤٢)، وأحمد (٢/ ٥، ٣٤٧،٣) بنحوه

(٣) **ضعيف**: عبد بن حميد (١٤٣٣)، وأبو نعيم فى «الحلية» ٣٠/ ٨،١١٠/ ٢١٥)، والبيهقى فى «الشعب» (١٠٣٧٤)فيه علتان. الأولى: (الحجاج بن فرافصة) سيء الحفظ. الثانية: الإنقطاع بين مكحول وأبى هريرة.

الغيبة أحب إلىّ من عشرة آلاف ركعة تطوعاً». قال: قلت يارسول الله قضاء حاجة الأرملة أحبّ إليك أم عشرة آلاف ركعة تطوعاً؟ قال: «**قضاء حاجة الأرملة أحبّ إلىّ من ثلاثين ألف ركعة تطوعاً**».

قال: قلت يارسول الله الجلوس مع العيال أفضل أم الجلوس فى المسجد؟ قال: «**الجلوس ساعة عند العيال أحب إلى من الإعتكاف فى مسجدى هذا**». قال: قلت: يارسول الله النفقة على العيال أحبّ إليك أم النفقة فى سبيل الله؟ قال: «**درهم ينفقه الرجل على العيال أحب إلى من ألف دينار ينفقه فى سبيل الله**».

قال: قلت يارسول الله برّ الوالدين أحب إليك أم عبادة ألف سنة؟ قال: «يا أنس، ﴿**جاء الحقّ وزهق الباطل، إنّ الباطل كان زهوقاً**﴾ [الإسراء: ٨١] «**فبرّ الوالدين أحبّ إلى من عبادة ألفى ألف سنة**»(١).

٤٩٥ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا ابن معاذ، حدثنا الحسين المروزى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن سالم بن أبى الجعد، عن أبى كبشة، قال: ضرب لنا رسول الله ﷺ:

«**مثل الدنيا مثل أربعة رجال، رجل آتاه الله علماً وآتاه مالاً فهو يعمل بعلمه فى ماله، ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً، فيقول: لو أنّ الله تعالى آتانى مثل ما آتى فلاناً لفعلت فيه مثل ما يفعل، فهما فى الأجر سواء ورجل آتاه الله مالاً، ولم يؤته علماً، فهو يمنعه من حقه، وينفقه فى الباطل. ورجل لم يؤته مالاً ولم يؤته علماً.**

فيقول: لو أنّ الله تعالى آتانى مثل ما آتى فلاناً لفعلت فيه مثل مايفعل فهما فى الوزر سواء»(٢).

٤٩٦ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القارىء، حدثنا أبو عيسى موسى بن هارون الطوسى ببغداد، حدثنا أبو معاوية، عن عمرو، وحدثنا طعمة بن عمرو، عن أبى إسماعيل، عن أبى رجاء، عن رجل من أهل البصرة، عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنّ فى الجنة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها**». قيل: ومن سكانها يارسول الله؟ قال: «**الذين يطعمون الطعام، ويطيبون الكلام، ويديمون الصيام، ويفشون السلام، ويصلون بالليل والناس نيام**».

---

(١) فيه ضعف* لعنعنه ابن أبى عروبة وقتادة، وأولهما اختلط . ولم أقف على حال محمد بن جناح .

(٢) صحيح* أحمد (٤/ ٢٣١) ، والترمذى (٢٣٢٥) بنحوه ، وابن ماجه (٤٢٢٨) واللفظ له.

قالوا: يارسول الله، إن هؤلاء أهل لذلك. ومن يطيق ذلك؟ قال: « فمن قال: **سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. فقد أطاب الكلام، ومن أطعم أهله فقد أطعم الطعام ومن صام رمضان فقد أدام الصيام، ومن لقى أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام، ومن صلى العشاء الآخرة والفجر فقد صلى بالليل والناس نيام »**(١).

يعنى اليهود والنصارى والمجوس ـ لعنهم الله ـ.

٤٩٧ ـ وعن سالم، عن أبيه قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **المؤمن حبيبُ الله، وولده تحفةُ الله، فمن رزقه الله ولداً فى الإسلام فليكثر قُبلته؛ فإنه يُكتب له بكل قُبلة ثواب شهيد، وبكل قُبلة بيتاً فى الجنة**»(٢).

٤٩٨ ـ وعن ثابت، عن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحبّ المؤمن، ويحب أهله وولده، وأحبّ شىء إلى الله تعالى أن يرى الرجل مع امرأته وولده على مائدة يأكلون، فإذا اجتمعوا عليها نظر إليهم بالرحمة لهم، فيغفر لهم قبل أن يتفرّقوا من موضعهم**».

٤٩٩ ـ وعن الأعرج، عن أبى هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أيّما مؤمن يحبّ الأكل مع الأولاد ناداه مَلَكٌ من تحت العرش: ياعبد الله استأنف العمل؛ فقد غفر الله لك الذنوب كلها**».

٥٠٠ ـ وعن عبد الرحمن اليمانى، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : « **إذا أكل المؤمن مع أولاده كُتِب له بكل لقمة ثواب عتق رقبة، ورُفع له مدينة، وأعطاه الله كتابه بيمينه**».

٥٠١ ـ وعن سفيان الثورى، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جابر ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ : «**حبُّ الأولاد سِترٌ من النار، والأكل معهم براءة من النار، وكرامتهم جواز على الصراط**».

والله أعلم.

---

(١) حسن لغيره* فيه جهالة وله (شاهد حسن) من حديث على أخرجه الترمذى (٢٥٢٧)، وابن أبى شيبة (٨/ ٤٣٧)، وعبد الله فى « زوائد المسند» (١/ ١٥٦)، وفى «زوائد الزهد» (١٨، ١٩)، وأبو يعلى (٤٢٨، ٤٣٨) وشاهد آخر من حديث ابن عمر أخرجه أحمد (٢/ ١٧٣)، والحاكم (١/ ٨). وانظر: صحيح الجامع (٢١٢٣)

(٢) الأحاديث(٤٩٧ ـ ٥٠١) زيادة فى إحدى النسخ: ولم أقف لها على إسناد.

باب الرّعاية على ملك اليمين

٥٠٢ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن شريك بن أبي نَمِر، عن عطاء بن يسار، أنّ أبا ذرّ ـ رضى الله تعالى عنه ـ ضَرَبَ وجهَ غلام له، فاستعدى عليه النبى ﷺ فقال النبى ﷺ: «**لا تضربوا وجوهَ المصلّين من مماليككم، وأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، فإن رابوكم فبيعوهم**»(١).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا الأسباط، عن مطرف، عن عامر الشعبى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: استسقى رجل من أصحاب النبىﷺ من أهل بيت، فدعت المرأة خادمتها، فأبطأت عليها فقذفتها. فقال: «**أما إنك ستحدّين يوم القيامة لها، أو تقيمين أربعة يشهدون أنها كما قلت**»، فأعتقتها. فقال لها: «**عسى أن يكفّر هذا عنك**».

٥٠٣ ـ وروى أبو ذرّ ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «**إخوانكم خَولكم جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ويلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم فوق طاقتهم مايغلبهم، فإن كلّفتوهم فأعينوهم**» (٢).

٥٠٤ ـ وروى أبو بكر الصديق ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «**لا يدخل الجنة سّيىء الملكة، أكرموهم إكرامكم أولادكم، وأطعموهم مما تأكلون**».

قلت: يارسول الله ما ينفعنا من الدنيا؟ قال: «**فرس تربطة تقاتل عليه فى سبيل الله، ومملوك يكفيك، وإذا صلى فهو أخوك**»(٣).

٥٠٥ ـ وروى عن النبى ﷺأن رجلاً سأله فقال: كم نعفو عن الخادم؟ قال: «**كلّ يوم سبعين مرة**»(٤).

٥٠٦ ـ وعن قتادة ـ رضى الله تعالى عنه قال ـ كان من آخر كلام النبى ﷺ عند

---

(١) **صحيح لغيره*** فى سنده (سريك) صدوق يخطىء، ورواه أبو داود (٥١٦١)، وأحمد (٥/١٦٨، ١٧٣)، والبيهقى (٨/٧) من طريق آخرى بنحوه.

(٢) **متفق عليه*** البخارى (١٠/ ٦٠٥٠)، ومسلم (٣/١٦٦١).

(٣) **ضعيف*** أحمد (١/١٢) ، وابن ماجه(٣٦٩١) . فيه (فرقد السبخى) ضعيف .

(٤) **صحيح*** أبو داود (٥١٦٤) ، والترمذى(١٩٤٩) انظر: الصحيحة (٤٨٨) .

موته: «**الصلاة، وما ملكتْ أيمانُكم**» يعنى عليكم بمحافظة الصلوات، وتعاهد ماملكت إيمانكم[١].

٥٠٧ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: « **دخلت امرأةٌ النَّارَ فى هرّة لها ربطتها فى البيت، لم تطعمها ولم تسقها، ولم ترسلْها فتأكل من خَشَاش الأرض حتى ماتت**»[٢].

٥٠٨ ـ وعن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ قال: مرّ النبى ﷺ ببعير معقول صدر النهار، فقضى حاجته ثم رجع والبعير على حاله، فقال لصاحبه: «**أما علفت البعير هذا اليوم؟**» قال: لا. قال: « **أما إنه ليحاجك يوم القيامة**»[٣] يعنى يخاصمك إلى الله تعالى يوم القيامة.

٥٠٩ ـ وروى عن عبد خير، عن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ عن النبى ﷺ أنه قال فى خطبته: « **أيها الناس، الله الله، فيما ملكت أيمانكم أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم مالا يطيقون، فإنهم لحم ودم، وخلق أمثالكم، ألا من ظلمهم فأنا خصمهم يوم القيامة، والله حاكمهم**»[٤].

وروى عن عون بن عبد الله أنه كان يقول لغلامه إذا عصاه: ما أشبهك بسيّدك.

٥١٠ ـ وروى عنهﷺ: « **أرقّاءكم أرقاءكم، أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، فإذا جاؤوا بذنبٍ ولم تريدوا أن تغفروا لهم، فبيعوهم، ولا تعذّبوا خَلْق الله تعالى** »[٥].

قول: «**أرقاءكم**»: يعنى راعوا وتعاهدوا أرقاءكم.

٥١١ ـ وقالﷺ«**إذا ضرب أحدُكم خادمه فذكر الله تعالى، فارفعوا أيديكم**»[٦]

٥١٢ ـ وقال: « **حُسْن الملكة يمن، وعُسْر الملكة شؤم**»[٧].

---

(١) **صحيح*** عن أنس وأم سلمة وابن عمر. انظر: صحيح الجامع (٣٨٧٣)، والإرواء (٢١٧٨).

(٢) **متفق عليه*** البخارى (٦/٣٣١٨) ومسلم (٤/٢٦١٩).

(٣) عزاه الهيثمى فى « المجمع» (٨/١٩٦) إلى الطبرانى عن ابن عمرو. وقال. إسناده جيد.

(٤) **أوله صحيح*** أحمد (١/٧٨)، وأبو داود (٥١٥٦)، وابن ماجه (٢٦٩٨)، والبيهقى (٨/١١) انظر. الإرواء (٢١٧٨).

(٥) **ضعيف*** أحمد(٤/٣٦) فيه (عاصم بن عبيد الله) ضعيف. وانظر: الضعيفة(١٦٤١).

(٦) **ضعيف جداً*** الترمذى (١٩٥) وعبد بن حميد فى « المنتخب» (٩٤٨، ٩٥٣)، والبغوى (٢٤٠٦) عن أبى سعيد فيه (أبو هارون العبدى) متروك. انظر: الضعيفة (١٤٤١).

(٧) **ضعيف*** أحمد (٣/٥٠٢)، وأبو داود (٥١٦٢, ٥١٦٣) عن رافع بن مكيث انظر الضعيفة (٧٩٤).

ورُوى أنَّ علياً رضى الله عنه ـ دعا غلاما له مرة ومرتين وثلاثاً، فلم يجبه، فقام إليه وقال: ألم تسمع ياغلام؟ قال: نعم فقال: مامنعك عن جوابى؟ قال: آمنت من عقوبتك فتكاسلتُ، فقال: امضِ، فأنت حرّ لوجه الله تعالى.

ورُوى أنّ عثمان ـ رضى الله عنه ـ عَرَكَ أُذنَ خادمه لذنب، ثم ندم على ذلك، فقال لخادمه: قم فخذْ أُذنى فاعركها بكل قوّة لك؛ لعلّ الله تعال يعفو عنى قال له الغلام: يامولاى، أنا أيضاً أخافُ من مالك يوم الدِّين كما تخاف؛ فعفوتُ عنك لعلّ الله يعفو عنى بفضله .

٥١٢ ـ م ـ وروى أبو بردة عن أبى موسى، عن النبى ﷺ أنه قال: «**ثلاثة كلهم لهم أجران: رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران ورجل كان من أهل الكتاب يؤمن بنبيه فأدرك النبى ﷺ فآمن به فله أجران. ورجل مملوك أدَّى حق الله تعالى وحق مواليه فله أجران**» (١).

وروى عن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه سُئل عن المملوك يرسله مولاه فى الحاجة، وتحضره صلاة الجماعة بأى ذلك يبدأ؟ قال: بحاجة مولاه.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: يعنى إذا كان معه من الوقت سعة ولا يخاف فوت الوقت، وأما إذا خاف ذهاب الوقت؛ فلا يجوز له أن يؤخرها عن وقتها،

٥١٣ ـ « **لأن النبى ﷺ قال: لا طاعةَ لمخلوق فى معصية الخالق** » (٢).

ويستحب للرجل أن يتعاهدَ ما ملكت يمينه، ولا يكلفّه من العمل مالا يطيق؛ لأن الله تعالى لم يكلّف عباده مالا يطيقون وينبغى أن يحسنَ المعاشرة؛ فإنَّ حُسْنَ المعاشرة من أخلاق المؤمنين .

٥١٤ ـ وروى عن عبد الله بن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه رأى كسرة خبز فقال لغلامه: ارفع، وأمط عنها الأذى، فلما أمسى وأراد أن يفطرَ قال لغلامه: ما فعلتَ بالكسرة؟ قال: أكلتُها قال: اذهب فأنت حرّ، سمعتُ النبىﷺ يقول: «**من وجد كسرةً فرفعها وأكلها لم تصلْ إلى جوفه حتى يغفر الله له**»(٣) فإنى أكره أن أستعبدَ مَن قد غُفِر له .

---

(١) عزاه صاحب« كنز العمال» (٤٣٣٠٦) إلى عبد الرزاق فى « الجامع».

(٢) **صحيح*** أحمد (٤/٤٢٦، ٤٣٢، ٤٣٦و٥/٦٦)، والطيالسى (٨٥٦)، والبزار (١٦١٣ ـ ١٦١٦) من طرق عن عمران بن الحصين. انظر. الصحيحة (١٧٩ ـ ١٨٠) وله شاهد (**متفق عليه**) عن على. .

(٣) **موضوع** * عزاه ابن عراق فى « تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٦٥) بنحوه إلى الديلمى عن ابن مسعود. وفيه (يوسف بن السَّفْر) فى عداد من يضع الحديث كما فى « الميزان» (٤/ ٤٦٦).

باب الإحسان إلى اليتيم

٥١٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنى أبى ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو عبد الله الطالقانى بسمرقند، حدثنا أحمد بن عمرو، عن أبيه، عن عيسى بن يونس، عن أبى الورقاء، قالت: سمعت عبد الله بن أبى أوفى يقول: قال رسول الله ﷺ: **«من مسح على رأس يتيم رحمةً كتب الله له بكل شعرة مرت عليها يدُه حسنة، ومحت عنه بكل شعرةٍ سيئة، ورفع له بكلّ شعرة درجة»**(١).

٥١٦ ـ وفى رواية: **« مَن مَسَحَ رأسَ يتيم، لا يمسحه إلاالله، كان له بكل شعرة تمرّ عليها يده حسنات ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنتُ أنا وهو فى الجنة كهاتين»** وقَرَنَ بين أصبعيه(٢).

٥١٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن عاصم، عن أبى على الرحبى، عن عكرمة، عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«من ضمّ يتيماً من بين يتامى المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى؛ أوجب الله تعالى له الجنة البتة، إلا أن يعمل عملاً لا يغفره الله له، ومن أذهب الله كريمته فصبر واحتسب أوجب الله له الجنة؛ البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفره الله له». قيل: وما كريمته؟ قال: **«عينه»**. **«ومن كان له ثلاث بنات، أو مثلهن من الأخوات فأدّبهن، وأنفق عليهن حتى يمتن، أويبنى بهن أوجب الله له الجنة البتة إلا أن يعمل عملاً لا يغفره الله له»**. قال: فناداه رجل من الأعراب فقال: يارسول الله أو اثنتين؟ قال: **« أو اثنتين»** (٣).

قال: وكان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إذا حدّث بهذا الحديث قال: هذا والله من غرائب الحديث.

٥١٨ ـ وعن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ

(١) **ضعيف جدا*** فيه (أبو الورقاء فائد بن عبد الرحمن العطار) متروك، اتهموه.

(٢) **ضعيف جداً*** أحمد (٥/ ٢٥٠، ٢٦٥) وابن المبارك فى « الزهد» (٦٥٥)، والبيهقى فى «الشعب» (١١٠٣٦)، وأبو نعيم فى « الحلية» (٨/ ١٧٩) عن أبى أمامة وسنده مسلسل (بعبيد الله زحر عن على بن يزيد الألهانى عن القاسم) من الضعفاء . وانظر : الكبائر (١٨٤ـ بتحقيقى)

(٣) **ضعيف جداً*** فيه (أبو على الرحبى حسين بن قيس لقبه حنش) متروك انظر . الكبائر (١٨٣)

فشكا إليه قسوة القلب، فقال له النبى ﷺ: «**إنْ سرّك أن يلينَ قلبُك فامسحْ برأس اليتيم وأطعمه**» (١).

٥١٩ ـ وقال ﷺ: «**خير بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يُحسن إليه، وشرّ بيت فى المسلمين بيت فيه يتيم يُسيؤون إليه**» (٢).

٥٢٠ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه سُئِل عن الكبائر، قال: «هى تسع: الشرك بالله، وقتل المؤمن متعمداً، والفرار من الزحف، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، وعقوق الوالدين والسحر، واستحلال البيت الحرام» (٣).

وعن مجاهد عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: ستّ موبقات ليس فيهن توبة: أكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والسحر، والشرك بالله، وقتل نبى من الأنبياء.

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ فى قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فى بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً** ﴾ [النساء: ١٠] يعنى سيدخلون فى الآخرة النار.

ويقال: طُوبى للبيت الذى فيه اليتيم، وويل للبيت الذى فيه اليتيم. يعنى ويل لأهل البيت الذين لم يعرفوا حقّ اليتيم، وطوبى لهم إذا عرفوا حقّه.

٥٢١ ـ ورُوى أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فقال: عندى يتيم فمم أضربه؟ قال: «**مما تضرب به ولدك**»(٤). يعنى لا بأس أن تضربه للتأديب ضرباً غير مبرح، مثل مايضرب الوالد ولده.

وروى عن فضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: ربّ لطمة أنفع ليتيم من أكلة خبيص.

---

(١) **حسن بشواهده*** أحمد (٢/٢٦٣) والبيهقى فى « الشعب» (١١٠٣٤) فيه رحل لم يسم. الصحيحة (٨٥٤)

(٢) **ضعيف** * ابن المبارك فى « الزهد» (٦٥٤)، وعنه ابن ماجه (٣٦٧٩)، والبخارى فى «الأدب المفرد» (١٣٧) فيه(يحيى بن أبى سليمان) لين الحديث. وانظر. الضعيفة (١٦٣٧). والكبائر (١٨٦ بتحقيقى)

(٣) **فيه ضعف** * الحاكم (١/٥٩) والبيهقى (١٠/١٨٦) عن عمير بن قتادة وفيه علتان. الأولى: تدليس بن أبى كثير . الثانية (عبد الحميد بن سنان) مجهول.

(٤) **فيه ضعف*** الطبرانى فى « الصغير» (٢٤٤ ـ الروض)، والبيهقى فى « الشعب»(٥٢٦٣) عن جابر فيه علتان. الأولى (أبو عامر الخزاز) صدوق كثير الخطأ . الثانية. (معلى بن مهدى) فيه ضعف.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: إن كان يقدر أن يؤدبه بغير ضرب ينبغى له أن يفعل ذلك، ولا يضربه، فإنَّ ضَرْبَ اليتيم أمرٌ شديد.

٥٢٢ ـ بدليل ماحدثنا به الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى، حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن عمر، حدثنا محمد بن على، وهو والد أبى ترخان، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عمرو بن سفيان القطعى، حدثنا الحسن بن أبى جعفر، عن على بن زيد، عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنّ اليتيمَ إذا ضُرِب اهتزٌ عرشُ الرحمن لبكائه، فيقول الله تعالى: ياملاكتى من أبكى الذى غيّبتُ أباه في التراب؟وهو أعلم به، قال: تقول الملائكة: ربّنا لاعلم لنا، قال: فإنى أشهدكم أنّ مَن أرضاه فى فأرضيه من عندى يوم القيامة**»[١].

قال: وكان رسول الله ﷺ يمسح رؤوسهم، ويلطف بهم، وكان عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ يفعل ذلك.

وعن عبد الرحمن بن أبزى قال: قال الله تعالى لداود النبى ﷺ: كُنْ لليتيم كالأب الرحيم، واعلم أنك كما تزرعُ كذلك تحصد، واعلمْ أنّ المرأةَ الصالحة لزوجها كالملك المتوّج بالذهب كلما رآها قرّت عينه، والمرأة السوء لبعلها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير[٢].

٥٢٣ ـ وعن زيد بن أسلم ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ـ ﷺ ـ قال: « **وأنا وكافل اليتيم المسلم كهاتين فى الجنة** » وجمع بين أصبعيه[٣].

وعن أبى عمران الجونى، عن أبى الخليل، قال: قرأت فى مسألة داود ـ عليه السلام ـ قال: إلهى، ماجزاء من أحسن إلى اليتيم والأرملة ابتغاء مرضاتك؟ قال: جزاؤه أن أظلّه فى ظلّى يوم لا ظلّ إلا ظلّى[*].

٥٢٤ ـ وعن عوف بن مالك الأشجعى أن النبى ﷺ قال: «**ما من مسلم يكون له ثلاث بنات فينفق عليهن حتى يَبِنَّ أو يمتن؛ إلا كُنَّ له حجاباً من النار**»، فقالت امرأة: يارسول الله أو ثنتان ؟ قال: « **أَوَ ثنتان** »[٤].

---

(١) **ضعيف*** ابن عدى فى « الكامل » (٢/ ٣٠٨) فيه (الحسن بن أبى جعفر وعلى بن زيد) من الضعفاء.

(٢) **صحيح موقوف*** أخرجه البيهقى فى«الشعب»(١١٠٣٩)وابن أبى الدنيا فى«كتاب العيال»(٦٢٢)الكبائر(١٨٧)

(٣) **متفق عليه*** البخارى (١٠/ ٥٠٠ ٦) ، ومسلم (٤/ ٢٩٨٣) عن سهل بن سعد بنحوه

(*) رواه عبد الله بن الإمام أحمد فى «زوائد الزهد» (٨٩) عن الجعد .

(٤) **ضعيف*** عزاه الهيثمى (٨/ ١٥٧) إلى الطبرانى وقال: فيه النهاس بن قهم وهو ضعيف.

٥٢٥ ـ وقال النبى ﷺ : «**أنا وامرأة سفعاء الخدّين فى الجنة كهاتين**» وأشار بأصبعيه[١] امرأة مات زوجها فحبست نفسها على بناتها حتى يبنّ أو يمتن .

٥٢٦ ـ وروى يزيد الرقاشى، عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺأنه قال: «**من حمل من السوق طرفةً إلى ولده، كان كمن حمل صدقةً حتى يضعها فى فيهم،وليبدأ بالإناث؛فإنّ الله تعالى يرقّ للإناث،ومن رقّ للأنثى كان كمن بكى من خشية الله، ومن بكى من خشية الله غفر له، ومن فرّح أنثى فرّحه الله يوم الحزن**»[٢] .

٥٢٧ ـ وقال النبى ﷺ: «**يا على، إذا بكي اليتيم اهتزّ العرش، فيقول الله تعالى: ياجبريل وسّع فى النار موضعاً لمن أبكاه فإنى مبكيه، ووسّع فى الجنة لمن أضحكه؛ فإنى أضحكه**»[٣] .

***

باب الزنا

٥٢٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا أبو الحسين أحمد بن حمدان، حدثنا ابن الحرث، حدثنا قتيبة بن سعيد البَغْلانى، حدثنا مالك بن أنس، عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبى هريرة وزيد بن خالد ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنهما أخبرا: أن رجلين اختصما إلى رسول الله ﷺ فقال أحدهما: يارسول الله، اقض بيننا بكتاب الله تعالى، وقال الآخر ـ وهو أفقههما ـ: أجل يارسول الله، اقض بيننا بكتاب الله، واذنْ لى أن أتكلّم، قال: «**تكلم**»، قال: إنّ ابنى كان عَسيفاً لهذا الرجل، يعنى كان أجيراً عنده، فزنى بامرأته، فأخبرونى أنّ على ابنى الرجم، فافتديت منه بمئة شاة وجارية لى، ثم سألتُ أهلَ العلم فأخبرونى أنَّ على ابنى مئة جلدة وتغريب عام، وإنما الرجم على المرأة. فقال رسول الله ﷺ«**أما والذى نفسى بيده، لأقضيّن بينكما بكتاب الله تعالى. أما غنمك وجاريتك فردّ عليك، وأما الذى على ابنك فجلد مئة، وتغريب عام**»فجلد ابنه مئة، وغرّبه عاماً، وأمر أنيساً الأسلمى أن يأتى المرأة، وقال: «**اُغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها**»فاعترفت فرجمها»[٤] .

---

(١) ضعيف * أحمد (٦/ ٢٩) ، وأبو داود (٥١٤٩) علته (النهاس بن قهم) أيضاً.

(٢) ضعيف* علته (يزيد بن آبان الرقاشى) صعيف.

(٣) ضعيف* انظر : الحديث رقم (٥٢٢).

(٤) متفق عليه * البخارى (١٢/ ٦٨٢٧ ، ٦٨٢٨) ، ومسلم (٣/ ١٦٩٧ ، ١٦٩٨) .

فقد بيّن النبيّ ﷺ حكم الزنا، وأن الزانى، وكذا الزانية، إذا لم يكن محصناً يعنى إذا لم يكن له امرأة يجب عليه مئة جلدة. كما قال الله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ﴾ من النساء ﴿وَالزَّانِي﴾ من الرجال ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ﴾ يعنى مئة سوط ﴿وَلاَ تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ﴾ يعنى لا تأخذكم الرأفة والرحمة فى حد الله تعالى: ومعناه ولا تحملكم الشفقة على إبطال الحد؛ فإن الله تعالى أرحم بعباده منكم، وأمر بحد الزانيين فى الدنيا، فمن لم يقم حده فى الدنيا، فإنما يضرب يوم القيامة بسياط من نار على مشهد الخلائق.

ثم قال: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾ يعنى إن كنتم تصدقون بتوحيد الله وبيوم القيامة، فلا تعطلوا الحد. ثم قال: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢] يعنى وليحضر عند إقامة الحد جماعة من المؤمنين.

وإنما يحضر عندهما جماعة لزيادة العقوبة؛ لأنهما يخجلان إذا كان بمحضر من القوم، ويكون ذلك زجراً لهما عن الزنا، فهذا حدّ مَن لم يكن محصناً.

فأما إذا كان محصناً فهو الرجل إذا كانت له امرأة وقد دخل بها، أو زنت امرأة وكان لا زوج وقد دخل بها، فحدّهما الرجم.

٥٢٩ ـ كما روى عن النبى ﷺ: «**أنه رجم ماعز بن مالك**»[(١)].

٥٣٠ ـ وروى عن النبى ﷺ أن امرأة جاءت إليه فأقرت بالزنا وهى حامل، فأمرها أن ترجع حتى تضع حملها، فلما وضعت حملها أتته، فأمر بها فرجمت[(٢)].

[اعلم أنّ حدّ الزنا كان فى أوّل الإسلام هو التعيير والضّرب بالنعال، وهو قوله تعالى: ﴿ **واللذان يأتيانها منكُم**﴾ أي الفاحشة وهى الزنا ﴿**فآذُوهما فإنْ تابا وأَصْلَحا فأَعْرِضُوا عنهما**﴾ فلا تؤذوهما ﴿ **إنّ الله كان تواباً رحيماً**﴾ [النساء: ١٦].

وإن كانت المرأة محصنة والرجل غير محصن فحدّه الضرب والتغريب كما قلنا، وحدّها الحبس فى بيت، ثم لا تخرج حتى تموت، وهو قوله تعالى: ﴿**واللاتي يأتينَ الفاحشة من نسائكُم فاستَشْهِدُوا عليهنّ أربعةً منكم فإن شَهِدُوا فأَمْسِكُوهُنّ فى البيوتِ حتى يتوفّاهُنَّ الموتُ أو يجعلُ الله لهنّ سبيلاً**﴾ [النساء: ١٥].

وهذا كان فى أول الإسلام قبل نزول الحدود، ثم نُسخ ٥٣١ ـ بقوله ﷺ: «**خذوا**

---

(١) **متفق عليه** * البخارى (١٢/ ٦٨٢٥، ٦٨٢٦)، ومسلم(٣/ ١٦٩٢، ١٦٩١ ـ ١٦)من حديثى جابر وأبوهريرة.

(٢) **صحيح*** مسلم (٣/ ١٦٩٥، ١٦٩٦) من حديثى سليمان بن بريدة وعمران بن حصين.

عنى، خذوا عنى، قد جعل الله لهنّ سبيلاً؛ البكر بالبكر جلد مئة وتغريب عام، والثيب بالثيب جلد مئة والرجم» [1].

فهذه الاثنان مسنونة بالسنة لا بالكتاب، وكنّى بذكر النساء عن ذكر النساء والرجال، كما كنّى فى آية أخرى بذكر الرجال عن ذكر الرجال، والنساء، ثم نُسخ تغريب العام فى حق البكر، والجلد فى حق الثيب، يعنى المحصن، فنُسِخ التغريب بقوله تعالى: ﴿**الزانية والزانى فاجلدوا كلَّ واحد منهما مئةَ جلدة**﴾ [النور: ٢] ونُسِخ الجلد فى حق الثيب بحديث ماعز، وحديث المرأة الحامل الغامدية، وحديث الرجل الذى أقرَّ بالزنا.

وقد قيل عن أصحابنا إن أرادوا بالتغريب هو النفى عن الأرض، فهو منسوخ بالآية، وإن أرادوا بالتغريب هو الحبس والإمساك فى الحبس، فهو محكم؛ لأنّ المرادَ هو قَطْعُ الشر، ولا يقطع شرّه عن الخلائق بالنفى، والأول أبلغ،

فهذا حدّ الزنا فى الدنيا، فإنْ أُقيم عليهما الحد فى الدنيا وإلا أقيم عليهما فى الآخرة، وعذاب الآخرة أشدّ وأبقى، فاحذروا الزنا فإنه معصية عظيمة.

قال الله تعالى: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّه كَانَ فَاحِشَةً**﴾ يعنى لا تزنوا واجتنبوا الزنا، فإن الزنا معصية ومقت، يعنى يوجب لصاحبه المقَت والسخط من الله تعالى: ﴿**وَسَاءَ سَبِيلاً**﴾[الإسراء: ٣٢] بئس المسلك وبئس الطريق لأهل الزنا، يعنى قد أخذ طريقاً يجرّه إلي النار.

وقال الله تعالى فى آية أخرى: ﴿**وَلاَ تَقْرَبُوا الفَوَاحِشَ مَاظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾ [الأنعام: ١٥١] ﴿**ماظهر**﴾: يعنى ماكبر وهو الزنا، ﴿**وماَ بطن**﴾ يعنىَ القُبلة واللمس كله زنا.

٥٣٢ ـ كما جاء فى الخبر: « **اليدان تزنيان والعينان تزنيان** »[2].

قال الله تعالى: ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنينَ يَغضُّوا منْ أَبْصَارِهمْ ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ. وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ويَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ**﴾ [النور: ٣٠ ، ٣١].

---

(١) **صحيح*** مسلم (٣/ ١٦٩٠) ،وأبو داود (٤٤١٥)، والترمذى (١٤٣٤)، وابن ماجه (٢٥٥٠) عن عبادة.
(٢) **صحيح*** أحمد (١/ ٤١٢) عن ابن مسعود و(٢/ ٢٧٦ ، ٣١٧) وغير ماموضع عن أبى هريرة.

فقد أمر الله تعالى الرجال والنساء بغضّ البصر عن الحرام، وبحفظ الفروج عن الحرام، فقد حرّم الله تعالى الزنا فى آيات كثيرة من التوراةوالإنجيل والزبور والفرقان، وهو ذنب عظيم، وأى ذنب أعظم من هتك ستر حرمة المسلمين، واختلاط الأنساب!

وروى عن جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه كان لا يزنى فى الجاهلية، وكان يقول: لا يعجبنى لو هتّكَ أحدٌ حرمتى، فأنا لا أهتكُ حرمةَ أحد.

ورُوى عن بعض الصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ أنه قال: إيّاكم والزنا، فإن فيه ست خصال: ثلاث فى الدنيا، وثلاث فى الآخرة:

فأما التى في الدنيا: فنقصان الرزق، يعنى تذهب البركة من رزقه، ويصير محروماً من الخيرات، ويصير بغيضاً فى قلوب الناس.

وأما التى فى الآخرة: فغضب الرب، وشدّة الحساب، والدخول فى النار، وهى التى سمّاها الله تعالى النار الكبرى .

٥٣٣ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: « **إنّ ناركم هذه جزءٌ من سبعين جزءاً من نار جهنم** »(١).

٥٣٤ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال لجبريل ـ عليه السلام ـ: «**صف لى النار**». فقال: يامحمد، سوداء مظلمة، لو أنّ مثل خرق إبرة برز من النار؛ لأحرق ما على وجه الأرض. ولو أن ثوباً من ثيابها علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه. ولو أن قطرة من الزقوم طرحت إلى الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم. ولو أن ملكاً من التسعة عشر الذين ذكرهم الله تعالى فى كتابه برز إلى أهل الأرض لمات أهل الأرض من تشويهه، واختلاف خلقه، ولو أنّ حلقةً من السلسلة التى ذكرها الله تعالى فى كتابه طرحت إلى الأرض لهدمتها إلى الأرض السفلى ثم لم تستقر.

فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **حسبى ياجبريل** »، فبكى رسول الله ـ ﷺ ـ وبكى جبريل. فقال رسول الله ﷺ « **ياجبريل أنت تبكى وأنت من الله بالمكان الذى أنت منه!** » فقال جبريل ـ عليه السلام ـ: يامحمد، مايئمننى على أن أكون عند الله على غير ما أنا عليه، أو أُبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت وإبليس الملعون(٢).

فهذا جبريل مع كرامته على ربّه كان يبكى، فكيف لا يبكى من هو عاص؟! فلا تغتر بحياتك وصحتك؛ فإنّ الدنيا زائلةٌ والعذاب طويل واحذر الزنا؛ فإنه يوجب

---

(١) **متفق عليه**: البخارى (٦/ ٣٢٦٥) ، ومسلم (٤/ ٢٨٤٣ ـ ٣٠) عن أبى هريرة بنحوه .

(٢) سبق تخريجه برقم (٥٨).

الغضب والسّخط والعذاب الأليم.

وأشدّ الزنّا ما هو مصرّ عليه، وهو الرجل الذى يطلّق امرأته وهو مقيمٌ معها بالحرام، ولا يقرّ عند الناس مخافةَ أن يفتضح، فكيف لا يخاف فضيحة الآخرة يوم تبلى السرائر، يعنى تظهر الأسرار. فاحذر فضيحة ذلك اليوم، واجتنب الزنا، ولاتصرّ عليه، فإنه لا طاقة لك على عذاب الله، وتب إلى الله تعالى، فإنّ الله تعالى يقبل التوبة عن عباده، وأنت إذا مت لا ينفعك الندم والتوبة وإنما تنفعك التوبة والندامة ما دمت فى الحياة.

وقد مدح الله المؤمنين بحفظ فروجهم، وبشّرهم بالفلاح والنجاة فقال الله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ. إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُم فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ. فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ**﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧].

أى عن الحرام والزنا بالفرج أعم، إذ يجمع سواه، فالرجل والمرأة وحفظ الفرج يعنى التعفف عن الحرام ﴿ **إلا على أزواجهم**﴾ أى إلاّ من أزواجهم. «على» بمعنى من. ﴿**أو ماملكت أيمانهم**﴾ «ما» فى محل الخفض، بمعنى أو مما ملكت أيمانهم.

والآية فى الرجال خاصة بدليل قوله: ﴿**أو مما ملكت أيمانهم**﴾ والمرأة لا يجوز لها أن تتمتّع بفرج مملوكها.

﴿**فإنهم غيز ملومين**﴾ يعنى بحفظ فرجه إلا من امرأته، أو أمته. قال: لا يلام على ذلك، وإنما يُلام فيها إذا كان على وجه الشرع دون الإتيان فى غير المأتى، وفى حال الحيض والنفاس؛ فإنّه محظور، وإنه على فعله ملوم.

﴿**فمن ابتغى وراء ذلك**﴾ أى التمس وطلب سوى الأزواج والولاية المملوكة ﴿**فأولئك هم العادون**﴾ الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام. وفيه دليل على أن الاستمناء باليد حرام، وهو قول العلماء. قال جريج: سألت عطاء عنه، فقال: مكروه، وسمعتُ أنّ قوماً يُحشرون وأيديهم حبالى، فأظن أنهم هؤلاء.

وعن سعيد بن جبير قال: عذّب الله أمةً يعبثون بمذاكيرهم.

وقال فى آية أخرى: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم**﴾ حرّم الوطء إلا بنكاح أو ملك يمين فى الاثنين. ثم شرائط النكاح وعدد المنكوحات مذكورٌ فى غير هذا الموضع، وكذلك مُلْكُ اليمين.

ويدل الاثنان على تحريم وطء الذكران، واستدلّوا بالاثنين على تحريم الاستمناء وغيره.

ودخول « على » بمعنى «من» فإنهم لايلامون إلا على سوى أزواجهم ومملوكهم.

﴿**فمن ابتغى وراء ذلك**﴾ أي وراء ما ذكرنا، كقوله: ﴿**لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك**﴾ [البقرة: ٦٨].

وقيل: فمن ابتغى وراء حفظ الفرج على سوى هذين شيئا فأولئك هم العادون المتجاوزون حدّ الله، الظالمون، يعنى هم العاصون. فالواجب على كل مسلم أن يتوب من الزنا، وينهى الناس عن ذلك، فإن كل موضع ظهر فيه الزنا ابتلاهم الله تعالى بالطاعون.

قال الفقيه رحمه الله: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العطار، حدثنا أبو محمد بن صالح الترمذى، حدثنا سويد بن نصر، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرمة قال: سمعت كعباً يقول لابن عباس رضى الله تعالى عنهما: إذا رأيتم السيوف قد أُعريت، والدماء قد أُهريقت، فاعلموا أن حكم الله قد ضيع فيهم، فانتقم الله ببعضهم من بعض، وإذا رأيتم المطر قد منع، فاعلموا أن الناس قد منعوا الزكاة، فمنع الله ماعنده، وإذا رأيتم الوباء قد فشا، فاعلموا أن الزنا قد فشا.

٥٣٥ ـ وفى الخبر عن جابر قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن أخوف ماأخاف على أمتى عمل قوم لوط**»(١).

٥٣٦ ـ وعن ابن عباس: « **من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به، ومن أتى بهيمة فاقتلوه واقتلوها معه**»(٢).

ويُقال: إنّ العرش يهتز، ويغضب الربُّ تعالى لأربعة أعمال: قتل النفس بغير حق، ومدح الإنسان لإنسان فاسق، وركوب الأنثى الأنثى، وإتيان الذكور الذكور.

٥٣٧ ـ وفى خبر: « لو اغتسل اللوطى بالبحار، لم يطهر إلا بالتوبة» (٣).

فوطء غير الأزواج والمملوكات ودواعى الوطء حرام.

٥٣٨ ـ وقال ﷺ: « **ما آمن بالقرآن من استحلّ محارمه**»(٤).

---

(١) **صحيح*** أحمد (٣/ ٣٨٢)، والترمذى (١٤٥٧)، وابن ماجه (٢٥٦٣)، وصححه الحاكم ٤٠/ ٣٥٧) ولم يتعقبه الذهبى. وانظر. صحيح الجامع (١٥٥٢).

(٢) **صحيح*** أبو داود (٤٤٦٢، ٤٤٦٤) ، والترمذى (١٤٥٦) وأحمد (١/ ٣٠٠). الكبائر(١٤٣ بتحقيقى)

(٣) **موضوع*** ابن الجوزى فى « الموضوعات»(٣/ ١١٢) عن أنس وفى الباب عن ابن مسعود وأبو هريرة. قال السخاوى فى « المقاصد» (٨٨٧): باطل وكذا كل مافى معناه باطل. وانظر: تنزيه الشريعة (٢/ ٢٢٠)

(٤) **ضعيف*** الترمذى (٢٩١٨) عن صهيب، وقال. ليس إسناده بالقوى

باب أكل الرّبا

٥٣٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا مؤمل، عن حماد بن سلمة، عن على بن زيد، عن أبى الصلت، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال:

«ليلة أُسرى سمعتُ في السماء السابعة فوق رأسي رعداً وصواعق، ورأيت برقاً، ورأيت رجالاً بطونهم بين أيديهم كالبيوت، فيها حيَّات ترى من ظاهر بطونهم، فقلت: ياجبريل: من هؤلاء؟ قال: هؤلاء أكلة الربا»(١).

وروى عن عطاء الخراسانى أن عبد الله بن سلام قال: الربا اثنان وسبعون حوباً، يعنى إثماً، وأصغرها حوباً، كمن أتى أمه فى الإسلام، ودرهم من الربا شر من بضع وثلاثين زنية. قال: ويأذن الله تعالى بالقيام للبر والفاجر يوم القيامة إلا آكل الربا، فإنه لايقوم إلاكما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المسّ، يعنى كالمجنون كلما قام سقط(٢).

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أنه قال: آخر مانزل من القرآن آية الربا، فتوفى رسول الله ﷺ ولم يفسرها لنا، فدعوا الربا والربية يعنى الكبيرة والصغيرة.

٥٤٠ ـ وعن الحارث، عن على ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: «لعن رسول الله ﷺ « **آكل الربا، وموكله وشاهديه، وكاتبه، والواشمة والمستوشمة، والمحلّل والمحلّل له، ومانع الصدقة** »(٣).

«الأكل»: هو الأخذ، وهو رب المال. و« الموكل» هو معطيه، وهو المديون لأنه راضٍ به، وكذا شاهديه وكاتبه؛ لأنهم معينون عليه، و« الواشمة» المرأة التى تنقش وتشم بَدَنَ غيرها؛ بأن تنقر وتجعل فى موضع النقر شيئاً من النيل والوشمة ونحوهما. و« المستوشمة» التى تأمر غيرها بذلك، وهى الملتمسة بأن يُفعل بها ذلك.

٥٤١ ـ وفى رواية أبى جحيفة أن النبى ﷺ **لعن آكل الربا وموكله، والواشمة**

---

(١) **ضعيف*** أحمد (٢/ ٣٥٣، ٣٦٣)، وابن ماجه (٢٢٧٣)، والأصبهانى فى «الترغيب» (٦٧٤) علته (على ابن ريد بن جدعان) يضعّف فى الحديث.

(٢) **صحيح موقوف*** البيهقى فى « الشعب» (٤/ ٥٥)، والبغوى فى « شرح السنة» (٢٠٤٧م) به إنقطاع وله طريق أخرى صحيحة فى «الشعب» (٥٥١٥) . وانظر: الترغيب للمنذرى (٣/ ٥٠).

(٣)**صحيح*** (وفيه ضعف) أحمد (١/ ٨٣، ٨٧وغيرها)، والنسائى (٨/ ١٤٧). فيه (الحارث بن عبد الله الأعور) فيه ضعف . وله شاهد من أحاديث جابر وابن مسعود وجحيفة.

والمستوشمة والمصوّر.[1]

٥٤٢ ـ وروى عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « مايكسب العبدُ مالاً من الحرام، فيتصدّق به، فلا يؤجر عليه، ولا ينفق منه فلا يبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار، « **إنّ الله لا يمحو السيء بالسيء، ولكن يمحو السيء بالحسن. إن الخبيث لا يمحو الخبيث**»[2] قال تعالى: ﴿ **أنفقُوا من طيِّبات مَاكَسَبْتُم وممّا أخرَجْنَا لكُم**﴾ [البقرة: ٢٦٧].

٥٤٣ ـ وقد قال رسولُ الله ﷺ : « **ما أكل أحدٌ طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يديه، وإن نبيَّ الله داود كان يأكل من عمل يديه**». [3] «**وإنّ الله طيب لا يقبل إلا الطيب. وإنّ الله أَمَر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال:﴿يا أيها الرسُلُ كُلُوا من الطَّيِّبات﴾** [المؤمنون: ٥١] **وقال:﴿ يا أيها الذين آمَنوا كُلُوا من طَيِّبات ما رَزَقْنَاكُم﴾** [البقرة: ١٧٢]. **ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمدُّ يديه إلى السماء: يارب يارب، ومطعمه حرام، وشرابه حرام، وملبسه حرام، ونومه حرام، وغدوّه حرام، ومجيئه حرام، فأنّى يُستجاب لذلك**» [4] «**ويأتى زمان لا يُبالى المرءُ ما أخذ منه من الحلال أم من الحرام**»[5].

قوله: « **إن الله طيب**»: قد يُوصف الرب بالطيب، يوُراد به: مُنزّه عن النقائص، مقدّس عن العيوب والآفات. وإذا وُصف العبدُ يراد به تعرّيه عن رذائل الخلائق وقبائح الأعمال، المتحلّى بأضداد ذلك وإذا وُصفت الأموال به يُراد به حلال من خيار المال.

ومعنى الحديث ـ والله أعلم ـ أنّه مُنزّه عن العيوب. فلا يقبل العيوب، ولا ينبغى أن يتقرّب إليه إلا بما يليق به؛ فى كونه طيباً، كما قال: ﴿**لن تنالوا البِرَّ حتى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبون**﴾[آل عمران: ٩٢].

قوله: «**ثم ذكر الرجل الذى يطيل السفر أشعث أغبر**»: يعنى ذكر النبىﷺ الرجل الحاج الذى أثّر فيه السفر، وأصابه الشعث والغبرة والصعوبةوالجوع والعطش والسهر؛ حتى بلغ بيت الله، فإن طاف يدعو الله فى هذه الحالة؛ ظانّاً بالإجابة وقبول الحجّة

(١) **صحيح*** البخارى (٢٠٨٦/٤ وأطرافه) وأحمد (٣٠٨/٤ ـ ٩ ٣).

(٢) **ضعيف*** أحمد (٣٨٧/١)، والبيهقى فى «الشعب» (٥٥٢٤)، وأبو نعيم فى « الحلية» (١٦٦/٤) فيه (الصباح بن محمد الأحمسى) ضعيف، أفرط فيه ابن حبان

(٣) **صحيح*** البخارى (٢٠٧٢/٤ـ وأطرافه) عن المقدام بن معدى كرب ، وأحمد (١٣١/٤٠، ١٣٢)

(٤) **صحيح*** مسلم (١٠١٥/٢). عن أبى هريرة .

(٥) **صحيح*** النسائى (٢٤٣/٧) عن أبى هريرة. ولم أقف عليه بهذا التمام

والطاعة، ولايُستجاب له، ولايُقبل بصرف نفقته من الحرام. ومَن تصدَّق من الحرام، واستحلّ واستحسن، أوطمع بالثواب، فقد كفر بالله تعالى، وقد ذكرناه فى باب الصدقة.

٥٤٤ ـ وعن أبى رافع قال: بعتُ خلخال فضة من أبى بكر الصديق ـ رضى الله تعالى عنه ـ فوضع الخلخال فى كفة، والدراهم فى كفّة، فكان الخلخال أثقل منها يسيراً، فأخذ مقراضاً ليقطعة فقلت: الزيادة لك ياخليفة رسول الله ﷺ قال: لا، سمعت رسول الله ﷺ قول: «**الزائد والمستزيد فى النار**»(١).

٥٤٥ ـ وروى أبو سعيد الخدرى، وعبادة بن الصامت، وأبو هريرة وغيرهم عن النبى ﷺ أنه قال: «**الفضة بالفضة مثلاً بمثل والفضل ربا، والحنطة بالحنطة مثلا بمثل والفضل ربا، وذكر الشعير والتمر والملح**»، ثم قال: «**فمن زاد أو استزاد فقد أربى**»(٢).

وعن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الربا.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ هكذا، ويقال: ماظهر الزنا وأكل الربا فى بلد إلا خَرِبت.

وعن السلف من أئمتنا كأبى حنيفة، وسفيان الثورى، وفضيل بن عياض، وداود الطائى، والشافعى وغيره؛ أنهم قالوا: طَلَبُ علم البيع والشراء والنكاح والطلاق والحيض والكسب وغيرذلك؛ ممّا لا بُدّ له منه، وشرع فيه فريضةٌ بعد طلب علم الإيمان والصلاة والزكاة والحج والصوم وغسل الجنابة والوضوء.

٥٤٦ ـ وهو المرادُ بقوله ﷺ: «**طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة**»(٣). فكل عمل عليه فريضة، أو شرع فيه، فعلمه عليه فرض.

وقد روى عن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: من أتجر قبل أن يتفقه فى الدين، فقد ارتطم فى الربا، ثم ارتطم ثم ارتطم، يعنى غرق فيه.

وروى العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه عن جدّه. قال: قال عمر بن الخطاب ـ

---

(١) ذكره السيوطى فى «الدر المنثور» (١/٣٦٨). انظر: الكبائر (١٧٦ بتحقيقى).

(٢) **صحيح** البخارى (٤/٢١٧٧)، ومسلم (٣/١٥٨٤) عن أبى سعيد وأخرجه مسلم (١٥٨٥ ـ ١٥٨٨) من أحاديث عثمان وعمر وعبادة وأبو هريرة.

(٣) **صحيح** انظر. صحيح الجامع(٣٩١٣) دون لفظ «ومسلمة» ولايعنى هذا أن طلب العلم غير مفروض على النساء يدخلن فى مفهوم الحديث لقوله ﷺ «إنما النساء شقائق الرجال» انظر: صحيح الجامع (٢٣٣٣).

رضى الله تعالى عنه ـ: لا يبيعن فى أسواقنا هذه قوم لم يتفقهوا فى الدين، ولم يوفوا الكيل والميزان.

وعن ليث، عن عبد الرحمن بن سابط، قال: إنما يؤذن فى هلاك القرى إذا استحلوا أربعاً: إذا نقصوا الميزان، وبخسوا المكيال، وأظهروا الزنا، وأكلوا الربا؛ لأنهم إذا أظهروا الزنا أصابهم الوباء، وإذا أنقصوا الميزان وبخسوا المكيال منعوا القطر، وإذا أكلوا الربا جرد فيهم السيف.

وروى عن عبيد المحاربى قال: كنت أمشى خلف على بن أبى طالب كرم الله وجهه، فى السوق، ومعه الدرة، فإن رأى رجلاً لا يوفى الكيل ضربه، وقال: أوفِ الكيل.

وعن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: يامعشر الأعاجم إنكم وليتم أمرين، بهما أهلك من كان قبلكم من القرون الماضية: المكيال والميزان.

٥٤٧ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **يأتى على الناس زمان لايبقى أحد إلا أكل الربا** »، قيل: يارسول الله، أو كلهم يأكلو الربا؟ قال: « **من لم يأكلْ منه يصبه من غباره** » [١] يعنى يصيبه من إثمه لأنه يعين على ذلك، فيكون شاهداً أو كاتباً أو راضياً بفعله أو قابلاً لهديته، أو آكلاً لدعوته فله حظ من الوزر.

كما قال أبو بكر الصديق ـ رضى الله تعالى عنه ـ: الزائد والمستزيد فى النار.

٥٤٨ ـ وفى رواية أبى هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: « **ليأتينّ على الناس زمانٌ لا يبقى أحد إلا أكل الربا، فإن لم يأكله أصابه من غباره** » [٢].

والمعنى: أنّ الربا يكثر، وتظهر الحيل والشبهات فى البيعات والأقراض، فتختلط أموال الناس بالربا والشبهات والحرام؛ حتى لا يمكن الفرق والفصل بين الأموال، فيأكلون من غير قصد، ويتعدّى أثره وضرره إلى كلّ واحد، ويصل إليه من أثر الحرام، مع أنه لا يكون مُؤكِلاً ولا متوسّطاً ولا شاهداً، ولا مكاتباً ولا معاملاً مع آكل الربا والحرام، ولا من معامله، ولا مع مَن خالط ماله بماله.

فينبغى للتاجر أن يتعلم من العمل مقدار ما يحتاج إليه لتجارته لكيلا يأكل

---

(١) **ضعيف** أحمد (٢/ ٤٩٤)، وأبو داود (٣٣٣١)، والنسائى (٧/ ٢٤٣)، وابن ماجه (٢٢٧٨)، والحاكم (٢/ ١١). به انقطاع بين الحسن وأبى هريرة

(٢) **ضعيف** انظرماقبله .

الربا، ويفرق بين الحلال والحرام، ولا يختلط الحرام بماله، ولا يأكله. والفرق بين الحلال والحرام، والشبهة والخاصة، والصدق والكذب، والشك واليقين، والسنّة والبدعة، والكفر والإيمان. لا يمكن إلا بالعلم.

٥٤٩ ـ كما روى الحسن ـ رضى الله عنه ـ الحديث المشهور قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ أنه قال غير مرة ولا مرتين: « **دع ما يريبك إلى مالا يريبك؛ فإن اليقين والصدق طمأنينة، وإن الشك والكذب ريبة**»[(١)].

وأكثر مسائل أصحابنا مبنيّة على هذا الحديث؛ لأنهم تركوا كلّ مافيه ريبة، وعملوا باليقين.

وينبغى أن يجتهد فى الكيل والوزن؛ لأنّ الله تعالى شدد فى أمر الكيل والوزن، وأوعد الوعيد الشديد فقال تعالى: ﴿**وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ**﴾ يعنى الشدة من العذاب، ويقال: ويل وادٍ فى جهنم للذين ينقصون الكيل، ويبخسون الوزن، ﴿**الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ**﴾ يعنى يكتالون من الناس﴿ **يَسْتَوْفُونَ**﴾ يعنى حقهم تامّاً ﴿**وَإِذَا كَالُوهُمْ**﴾ يعنى إذا كالوا للناس ﴿ **أَوْ وَزَنُوهُمْ**﴾ يعنى لهم﴿**يُخْسِرُونَ**﴾ يعنى ينقصون ثم قال تعالى: ﴿**أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ**﴾يعنى ألا يعلم هؤلاء الذين يخونون فى الكيل والوزن أنهم مبعوثون ليوم القيامة﴿**لِيَوْمٍ عَظِيمٍ**﴾[المطففين١ ـ ٥]يعنى هَوْلُه عظيم.

قال: ﴿**على الناس**﴾ يعنى من الناس؛ لأنه حق عليه.

٥٥٠ ـ ويقال: لم قدم رسولُ الله ﷺ المدينة، وأهل المدينة أسوأ الناس كيلاً، وكان لهم كيلان وميزانان، وكان الرجل إذا اشترى بالكيل الزائد باع بالكيل الناقص، فقال لهم: « **ويل لكم ماتصنعون**»؟! [(٢)] فأنزل الله تعالى هذه الآيات ببركة قدوم رسول الله ﷺ على العدل والإنصاف، بما فيه مصالح العالم، وأمر الناس بالحق والصدق؛ لأنه عليه مدار العدل والإنصاف، وهو الميزان والمكيال.

ثم قال: ﴿ **ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون**﴾ يعنى ألا أيقن أولئك أنهم مبعوثون يوم القيامة، ويحاسبون بكل ذرة، ويُجازون بكل مايعملون، ويُؤخَذُون بكلّ ما يُخْسِرُون على الناس؛ حيث لا مال ولا دينار ولا درهم.

---

(١) **صحيح*** أحمد (١/ ٢٠٠) ، والنسائى (٨/ ٣٢٧) ، والترمذى (٢٥١٨) وقال: حسن صحيح

(٢) **حسن*** ابن ماجه (٢٢٢٣)، وابن حبان (١٧٧٠)، والبيهقى فى «السنن» (٦/ ٣٢)، وفى «الشعب» (٥٢٨٦) انظر: مصباح الزجاجة (٢/ ١٨١).

﴿ليوم عظيم﴾ هوله عظيم.

فاعتبريا بن آدم؛ فإن اليوم الذى سماه الله عظيماً كيف يكون حاله، وأى يوم يكون، وأى هيبة، وأى خوف أعظم منه ﴿ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ العْالَمِينَ﴾ [المطففين:٦] يعنى يقفون بين يدى الله تعالى، ويسألهم عن كلّ قليل وكثير، ويقرأ فى كتابه كل ماعملوا، كما قال الله تعالى: ﴿ووُضِعَ الكتابُ فترى المجرمين مُشْفقين ممّا فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادرُصغيرة ولا كبيرة إلا أحصَاها ووَجَدُوا ما عَمِلُوا حَاضِراً ولاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾ [الكهف:٤٩] فطوبى لمن عدل فى الدنيا من حقوق الناس، وويل لمن لم يعدل فى حقوق الناس.

٥٥١ ـ وروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إنّ العدلَ ميزانُ الله تعالى فى الأرض، فمن أخذه قاده إلى الجنة، ومن تركه ساقه إلى النار**»[١].

واعلم أنّ العدلَ يكون من السلطان فى رعيته، ويكون من الرعية فيما بينهم. فعليكم بالعدل لتنجوا من العذاب الأليم.

***

باب ماجاء فى الذّنوب

٥٥٢ ـ حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القارىء، حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن أبى العوام الرياحى، حدثنا أبى، حدثنا يحيى بن سابق، عن خيثمة بن خليفة، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن، عن أبى جعفر محمد بن الحسين. عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« كان فيما أعطى الله لموسى بن عمران ـ عليه الصلاة والسلام ـ فى الألواح عشرة أبواب، فأول ماكتب فى اللوح الأول ياموسى لا تشركن بى شيئاً، فقد حقّ القول منى لتلفحن وجوه المشركين النار، واشكر لى ولوالديك أقك المتالف؛ أعنى أحفظك من المهالك، وأنسىء لك فى عمرك، وأحيك حياة طيبة، وأنقلك وأقلبك إلى خير منها، ولا تقتل النفس التى حرمتها، فتضيق عليك الأرض برحبها والسماء بأقطارها، وتبوء بسخطى فى النار.

لا تحلف باسمى كاذباً ولا آثماً، فإنى لا أطهّر ولا أزكّى من لم ينزّهنى، ومن لم

---

(١) لم أقف على إسناده

يعظّم أسمائي، ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلي، فإن الحاسد عدوّ لنعمتي، رادّ لقضائي، ساخط لقسمتي التي قسمت بين عبادي، ومن لم يكن كذلك فلست منه، وليس مني.

لا تشهد بمالا يعيه سمعك، ويحفظه عقلك، ويعقد عليه قلبك، فإني واقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة، أسألهم عنها سؤالاً حثيثاً، ولا تسرق، ولا تزن بحليلة جارك، فأحجب عنك وجهي وأغلق عليك أبواب السماء، وأحب للناس ما تحب لنفسك.

ولا تذبحن لغيري، فإني ما أقبل من القربان إلا ما ذكر عليه اسمي، وكان خالصاً لوجهي، وتفرغ لي يوم السبت، وفرغ جميع أهل بيتك»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله تعالى جعل السبت لموسى عيداً، واختار الجمعة فجعلها لنا عيداً**»(٢).

٥٥٣ ـ قال الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى حدثنا أبو القاسم، حدثنا محمد ابن الحسن، حدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا أبي، عن عبيد الله بن عبد الرحمن ابن موهب، عن محمد بن كعب القرظي. قال: قام رسول الله ﷺ على المنبر فقبض كفه اليمنى. ثم قال: «كتاباً كتب الله تعالى فيه أهل الجنة بأسمائهم وأنسابهم، ولا يزاد فيهم ولا ينقص»، ثم قبض كفّه اليسرى فقال: «كتاباً كتب الله، فيه أهل النار بأسمائهم وأنسابهم، لايُزاد فيه ولا ينقص. وليعلمن أهل السعادة بعمل أهل الشقاء حتى يقال بأنهم منهم بل هم، ثم يستنقذهم الله تعالى بقضائه من الشقاء إلى السعادة قبل الموت، ولو بفراق ناقة. وليعملن أهل الشقاء بعمل أهل السعادة حتى الموت ولو بفواق ناقة السعيد من سعد بقضاء الله تعالى، والشقي من شقي بقضاء الله، والأعمال بالخواتيم»(٣).

٥٥٤ ـ وروى عن فضالة بن عبيد، عن رسول الله ﷺ أنه قال في حجة الوداع: «**ألا أخبركم بالمؤمن والمسلم والمجاهد والمهاجر. المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله تعالى، والمهاجر من هجر الذنوب والخطايا**»(٤).

---

(١) **ضعيف جداً*** فيه (يحيى بن سابق) قال أبو حاتم. ليس بقوي. واتهمه ابن حبان وأبو نعيم. وقال الدارقطني: متروك و(خيثمة بن خليفة) ضعفه أبو الفتح جداً. انظر: اللسان (٣/ ٢٠٥، ٦/ ٣١٥).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥٥١) إلى ابن مردويه، وأبو نعيم في «الحلية»، وابن لال في «مكارم الأخلاق».

(٣) **ضعيف*** (سفيان بن وكيع) ساقط الحديث و (ابن موهب) ليس بالقوي. وفيه انقطاع.

(٤) **صحيح*** أحمد (٦/ ٢١) وابن حبان (٢٥) والحاكم (١/ ١١) والبيهقي في «الشعب» (١١١٢٣) فيه(حميد أبي هانيء الخولاني) لا بأس به وله شواهد صحيحه.

قال أبو الدرداء ـ رضي الله تعالى عنه ـ : اعبدوا الله عز وجل كأنكم ترونه، وعدوا أنفسكم من الموتى، واعلموا أن قليلاً يغنيكم خير من كثير يلهيكم، واعلموا أن البِرَّ لا يبلى، وأن الإثمَ لايُنسى.

٥٥٥ ـ وروى ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «البرُّ لا يبلى، والإثم لا ينسى، والديان لا يفنى، وكُنْ كما شئت؛ يعنى كما تدين تُدَان»[١].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: معنى قوله: «كما تدين تدان»: يعن أنك لو عملت خيراً تجد ثواب الخير، وإن عملت شراً تجز به يوم القيامةجزاء الشر.

وهذا كقوله عز وجل: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧] يعنى أن الله تعالى لا يظلم أحداً ولا ينقص من ثواب حسناته شيئاً، ولا يزيد على سيئاته شيئاً، ولا يعاقبه بغير ذنب، وقد بيّن الله تعالى الطريق، وبعث رسولاً كريماً ناصحاً لأمته، وقد بين طريق الجنة وطريق النار.

٥٥٦ ـ وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مثلي ومثلكم كمثل رجلٍ أوقد ناراً فجاء الفراش بتهافتن فيها، فأنا أمنعكم من أن تقعوا فى النار »[٢] يعنى أنهاكم عن الذنوب والعصيان فإن الذنوب تلقى صاحبها فى النار.

ويقال: قُبلت توبة آدم عليه الصلاة والسلام لخمس خصال، ولم تُقبل توبة إبليس لعنه الله لخمس خصال؛ فآدم أقرّ على نفسه بالذنب، وندم عليه، ولام نفسه، وأسرع بالتوبة، ولم يقنط من رحمة الله تعالى. وإبليس لعنه الله لم يقرّ على نفسه بالذنب، ولم يندم عليه، ولم يلم نفسه، ولم يسرع فى التوبة، وقنط من رحمة الله تعالى، فمن كان حاله مثل حال آدم قُبلت توبته، ومن كان حاله مثل حال إبليس لم تُقبل توبته.

وروى عن إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: لأن أدخلَ النار وقد أطعت الله أحبّ إلىّ من أن أدخل الجنة وقد عصيت الله تعالى.

معناه لو دخلَ الجنة وقد عصى الله تعالى فالحياء من الله تعالى لأجل ذنوبه باق ينغّص عليه الجنّة، ولو دخل النار وقد أطاع الله تعالى لا يكون له الخجل والحياء ويرجى خروجه منها.

---

(١) ضعيف: أبو نعيم، والديلمى فى« الفردوس» (٢٠٢٤)فيه(محمد بن عبد الملك الأنصارى) واه وورد عن أبى الدرداء موقوفاً منقطع . انظر: الضعيفة (١٥٧٦).

(٢) متفق عليه: البخارى (٦/ ٣٤٢٦) ومسلم (٣/ ٢٢٨٤)

وقد روى عن مالك بن دينار ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه مرّ بُعْتَبة الغُلام فى برد شديد، وعلى عُتْبَة قميص خلق، وهو قائم يتفكّر، وهو يترشّح عرقاً، فقال له مالك: ما الذى أوقفك فى هذا الموضع؟ قال: يامعلّمى هذا موضع عصيتُ الله تعالى فيه، يعنى آنه كان يتفكّر فى ذنبه وهو يسيل منه العرق حياء من الله تعالى.

وقال مكحول الشامى: من أوى إلى فراشه، ثم تفكر فيما صنع فى يومه، فإن عمل خيراً حمد الله، وإن أذنب استغفر ربه عر وجل، وإن لم يفعل كان كمثل التاجر الذى ينفق ولا يحسب حتى يفلس ولا يشعر.

ويُقال: إنّ الله تعالى قال فى بعض الكتب: عبدى أنا ملك لا أزول، فأطعنى فيما أمرتك به، وانته عما نهيتك عنه، حتى أجعلك حياًلا لا تموت عبدى أنا الذى إذا أقول للشىء كن فيكون.

وعن محمد بن محيريز قال: إن استطعت أن لا تسىء إلى من تحبّه فافعل. قيل له: وهل يسىء أحد إلى من يحبه؟ قال: نفسك أحبّ الأنفس، وأعزّها إليك، فإذا عصيت فقد أسأت إليها.

وقيل لبعض الحكماء: أوصنى بشى قال: لا تَجْفُ ربَّك، ولا تَجْفُ الخلق، ولا تجف نفسك؛ أما الجفاء بربك فأن تشتغل بخدمة غيره من المخلوقين. وأما الحفاء مع الخلق فأن تذكرهم عند الناس بسوء، وأما الجفاء مع النفس فأن تتهاون بفرائض الله.

وروى عن كَهْمس بن الحسن، أبو الحسن البصرى، أنه قال: أذنبت ذنباً وأنا أبكى عليه منذ أربعين سنة قيل: ماهو ياعبد الله؟ قال: زارنى أخٌ لى، فاشتريتُ له سمكاً، فأكل ثم قمت إلى حائط جارى، فأخذت منه قطعة طين، فغسلت بها يدى.

٥٥٧ ـ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: « **أعظم الذُّنوب عند الله تعالى أصغرها عند الناس، وأصغر الذنوب عند الله تعالى أعظمها عند الناس** »(١).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: يعنى أعظمها عند المذنب إذا عظمه وخافه فإنها أصغر الله تعالى فيغفر له. وأما إذا كان صغيراً فى عين المذنب فهو عظيم عند الله تعالى؛ لأن أعظم الذنوب، ماكان مصراً عليه وهكذا.

كما روى عن بعض الصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ أنه قال: لا صغيرةَ مع الإصرار ولا كبيرةَ مع الاستغفار.

---

(١) لم أقف على إسناده .

وروى عنْ عوام بن حوشب أنه قال: أربع بعد الذنب شر من الذنب: الاستصغار، والاغترارو رالاستبشار، والإصرار.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: لا تغرنك هذه الآية ﴿ مَنْ جَاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠] لأنه قد اشترط فى الحَسَنة المَجىء بها يومَ القيامة، والعمل سهل على العامل، ولكن المجىء به يوم القيامة شديد، وإن السيئة واحدة؛ ولكن لها عشر من العيوب:

أولها: أن العبد إذا عمل سيئة فقد أسخط خالقه على نفسه، وهو قادر عليه فى كل وقت.

والثانى: أنه أدنى من هو أبغض إليه، وهو إبليس عدو الله وعدوه.

والثالث: يتباعد من أحسن المواضع، وهو الجنة.

والرابع: تقرّبه إلى شر المواضع، وهو جهنم.

والخامس: أنه جفا من أحبّ إليه، وهى نفسه.

والسادس: نجّس نفسه، وقد خلقها الله طاهرة.

والسابع: آذى أصحابه الذين لا يؤذونه، وهم الحفظة.

والثامن: أحزن النبى ﷺ فى قبره.

والتاسع: أشهد على نفسه الأرض والليل والنهار، وآذاهم بذلك وأحزنهم .

والعاشر: أنه خان جميع الخلائق من الآدميين وغيرهم فأما خيانته للآدميين، لو كان لأحد عنده شهادة، فإنه لا تقبل شهادته لأجل ذنبه، فيبطل حقّ صاحبه لأجل ذنبه. وأما الخيانة لجميع الخلائق: فإنه يقلّ المطر إذا أذنب، فكان فى ذلك خيانة لجميع الخلائق. فإياك والذنب، فإن فى الذنب هذه العيوب، وفى ذلك كلّه ظُلْم نفسه بمعصيته .

وقيل: أبخل الناس من بخل على نفسه بما فيه سعادة. وأظلم الناس من ظلم نفسه بمعصية الله تعالى؛ لأنّ مَن عمل المعصية فقد أهلك نفسه.

وقال بعض الحكماء: إياك والذّنب فإنَّ الذّنب شؤم فيصير شؤمه حجر المنجنيق، فيضرب على جائط الطاعة، فيكسر الحائط، ويدخل ريح الهواء، ويطفىء سراج المعرفة.

وقيل لبعض الحكماء: مالنا نسمع العلم ولا ننتفع به؟ فقال لهم: لخمس خصال:

أولها: قد أنعم الله عليكم فلم تشكروه.

والثانى: إذا أذنبتم فلم تستغفروه.

والثالث: لم تعملوا بما علمتم من العلم.

والرابع: صحبتم الأخيار ولم تقتدوا بهم.

والخامس: دفنتم الأموات فلم تعتبروا بهم.

٥٥٨ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى سمعت أبى يقول: روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من يوم إلا وينزل من السماء خمسة من الملائكة: أحدهم بمكة، والثانى بالمدينة، والثالث ببيت المقدس، والرابع بمقابر المسلمين، والخامس بأسواق المسلمين.

فأما الذى ينزل بمكة فينادى: ألا مَن ترك فرائض الله تعالى فقد خرج من رحمة الله تعالى، وأما الذى ينزل بالمدينة فينادى: ألا من ترك سنن النبى ﷺ فقد خرج من شفاعته، وأما الذى ينزل بيت المقدس فينادى: ألا من اكتسب مالاً حراماً لم يقبل الله تعالى سائر عمله، وأما الذى ينزل بمقابر المسلمين فينادى: يا أهل المقابر، بماذا تغتبطون وعلى ماذا تندمون؟ فيقولون: ندامتنا على مافات من أعمارنا ونغتبط بأهل الجماعات؛ لقراءتهم كلام الله تعالى، وتذاكرهم بالعلم، وصلواتهم على النبى ﷺ واستغفارهم لذنوبهم ونحن لا نقدر على شىء من ذلك.

وأما الذى ينزل فى الأسواق فينادى ويقول: يامعشر الناس مهلاً مهلاً، فإن لله تعالى سطوات ونقمات، فمن خشى سطواته ونقماته فليداو جراحته، حتى يتوب من ذنوبه، شوّقناكم فلم تشتاقوا، خوّفناكم فلم تخافوا، لولا رجال خشّع، وصبيان رضّع، وبهائم رتّع، وشيوخ ركّع، لصبّ عليكم العذاب صبّاً»[(١)].

٥٥٩ ـ وروى عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال لها: **«ياعائشة إياك ومحقّرات الذّنوب، فإنّ لها من الله تعالى طالباً»**[(٢)].

---

(١) كذب* ذكر الذهبى أوله من حديث ابن مسعود بنحوه، من طريق أحمد بن رجاء بن عبيدة ـ لا يعرف ـ عن محمد بن محمد بن إسحاق البصرى ـ أتى بخبر كذب. انظر. الميزان (١/ ٩٨، ٤/ ٢٥)

* أما آخره فرواه أبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ١٠٠) عن حدير بن كريب. وفيه انقطاع

(٢) **صحيح*** أحمد (٦/ ٧٠، ١٥١)، وابن ماجه (٤٢٤٣)، وابن حبان (٢٤٩٧). وانظر: الداء والدواء (ص ٤٥ بتحقيقى).

ويقال: مثل الذنوب الصغار كمثل من جمع خشبات صغاراً، فيوقد منها ناراً باجتماعها.

ويقال: مكتوب فى التوراة: من يزرع البرّ يحصد السلامة، وفى الإنجيل مكتوب: من يزرع السوء يحصد الندامة، وهذا فى القرآن وهو قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣].

وروى القاسم بن محمد، عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه سُئل عن رجل كثير الذنوب، كثير العمل أعجب إليك، أم رجل قليل الذنوب قليل العمل؟ قال: ما أعدل بالسلامة شيئاً؛ يعنى قليل الذنوب أعجب إلىّ.

قال بعض العلماء: كل سفلة يعمل بالطاعة، ولكن الكريم من يترك المعصية.

قال الفقيه رحمه الله تعالى: فى كتاب الله دليلٌ على أنّ ترك المعصية أفضل من أعمال الطاعة؛ لأنّ الله تعالى قد اشترط فى الحسنة المجيء بها إلى الآخرة، وفى ترك الذنوب لم يشترط شيئاً سوى الترك. وقال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]. وقال تعالى: ﴿ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى . فَإِنَّ الجَنَّةَ هِىَ المَأْوَى﴾ [النازعات: ٤٠ ـ ٤١].

والهوى أصل كل ذنب. وقد اشترط فى الطاعات والشرائط الكثيرة والأوقات وغيرها، ثم بعد ذلك إن شاء قبل وأدخله الجنة برحمته وفضله، وإن شاء ردّ ولم يشترط فى ترك الذنوب إلا الترك، وواعده دخول الجنة، فقال: ﴿ إن تجتنبوا كبائرَ ما تُنْهَوْنَ عنه نُكَفِّرْ عنكُم سيِّئاتكُم ونُدْخلْكُم مُدخَلاً كريماً﴾ [النساء: ٣١] وهو الجنة.

٥٦٠ ـ وقد قال رسولُ الله ﷺ: « **ترك ذرّة ممّا نهى الله عنه خير من عبادة الثقلين**»(١) .

قال قائل:

أرضيت أن تبكى ودمعك مساء	كلا ودموع المذنبين دماء
خلّ المدامع، والدماء فجدّ بها	فالذنب داء، والبكاء دواء
واحذرْ هواك تجد رضاه	فإنما أصل الضلالة كلّها الأهواء

***

(١) لم أقف على إسناده

باب ماجاء فى المظالم

٥٦١ ـ قال الفقيه: حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان، حدثنا الحسن بن على الطوسى، حدثنا محمد بن هشام، حدثنا أبو معاوية، عن زهير بن زيد بن أبى بردة، عن أبيه، عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ الله تعالى يُمْلي للظالم، فإذا أخذه لم يفلته**» يعنى لاينجو منه الأخذ، ثم قرأ: ﴿**وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ**﴾[هود: ١٠٢][(١)].

٥٦٢ ـ حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا ابن منيع، حدثنا على بن الجعد، حدثنا ابن أبى ذئب، عن المقبرى، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال، فليتحلّله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر عمل مظلمته، وإن لم يكن له عمل أخذ من سيئاته فحملت عليه، ثم يلقى فى النار**»[(٢)].

٥٦٣ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا خزيمة، حدثنا على بن أحمد، حدثنا إسماعيل، حدثنا يعلى، عن أبيه، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**أتدرون من المفلس فى أمتى؟**» قالوا له: المفلس من لا درهم له ولا دينار ولامتاع، قال: «**فإنّ المفلسَ من أمتى: الذى يأتى يوم القيامة بصلاته وزكاته وصيامه، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعْطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه، أخذ من خطاياهم وطُرحت عليه، ثم طُرح فى النار**»[(٣)].

وذُكر عن أبى ميسرة قال: أتى بسوط إلي رجل فى قبره بعدما دفن فجاءاه، يعنى منكراً ونكيراً، فقالا له: إنا ضارباك مئة سوط، فقال الميت: إنى كنتُ كذا كذا فتشفع حتى حطا عنه عشراً، ولم يزل بهم حتى حطّا عنه تسعة وتسعين ضربة ثم لم يزل بهما حتى صار إلى ضربة واحدة، فقالا: إنا ضارباك ضربة، فضرباه واحدة، فالتهب القبر ناراً، فقال: لِمَ ضربتمانى؟ فقالا: مررت برجل مظلوم، فاستغاث بك، فلم تغثه، فهذا حال الذى لم يغث المظلوم، فكيف يكون حال الظالم؟

---

(١) **متفق عليه*** البخارى (٨/٤٦٨٦)، ومسلم (٤/٢٥٨٣).

(٢) **صحيح*** البخارى (٥/٢٤٤٩، ١١/٦٥٣٤)، وأحمد (٢/٤٣٥، ٥٠٦) وغيرهما.

(٣) **صحيح*** مسلم (٤/٢٥٨١) وأحمد (٢/٣٠٣، ٣٣٤، ٣٧١) وغيرهما.

قال ميمون بن مهران: إن الرجل يقرأ القرآن، وهو يلعن نفسه. قيل له: وكيف يلعن نفسه: قال: يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم، وقد مرّ ذكر الظالم فى باب التوبة قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ : ليس شىء من الذنوب أعظم من الظلم؛ لأن الذنب إذا كان بينك وبين الله تعالى فإن الله تعالى كريم يتجاوز عنك، فإذا كان الذنب بينك وبين العباد فلا حيلة لك سوى رضا الخصم، فينبغى للظالم أن يتوب من الظلم، ويتحلل من المظلوم فى الدنيا،فإذا لم يقدر عليه، فينبغى أن يستغفر له، ويدعو له فإنه يرجى أن يحلله بذلك.

قال ميمون بن مهران: إن الرجل إذا ظلم إنساناً فأراد أن يتحلل منه مظلمته، ففاته ولم يقدر عليه، فاستغفر الله تعالى له فى دبُر صلاته خرج من مظلمته.

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: مَن أعان ظالماً على ظلمة، أو لقّنه حجّة يدحض بها حقّ امرىء مسلم، فقد باء بغضب من الله تعالى، وعليه وزرها.

وعن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال للأحنف بن قيس: من أجهل الناس؟ قال الأحنف: من باع آخرته بدنياه.

وقال عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ: ألا أنبئك بأجهل من هذا قال: بلى يا أمير المؤمنين. قال : من باع آخرته بدنيا غيره.

٥٦٤ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ « **انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»، قلت: يارسول الله، أنصره مظلوماً، فكيف أنصره ظالماً؟ قال: « **تمنعه من الظلم، فذلك نصرُك إيّاه**»(١).

وعن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ: ما أحسنت إلى أحد، ولا أسأت إلى أحد قط؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**﴾ [فصلت: ٤٦] يعنى إن أحسنتُ إلى أحد فقد أحسنتُ إلى نفسى، وإن أسأت إلى أحدٍ فقد أسأتُ إلى نفسى.

٥٦٥ ـ وقال رسول الله ﷺ:«**لردّ دانقٍ من حرام أفضل عند الله من سبعين حجّة مبرورة**»(٢).

---

(١) **صحيح*** البخارى (٥/٢٤٤٣، ٤٤٤ ، ١٢/٦٩٥٢) والترمذى (٢٢٥٥) وأحمد (٣/٢٠١)

(٢) **باطل*** ابن عدى فى « الكامل» (١/ ٣٤٤) من حديث ابن عمر، وفيه (إسحاق بن وهب الطهرمسى) متهم كذاب وانظر. لسان الميزان (١/ ٤٢١) ، وتنزيه الشريعة (٢/ ٢٩٨)

والحج المبرور: هو الذى لا يخالطه من الرياء شىء والبيع المبرور الذى لا يخالطه شىء من الخيانة والتجارة المبرورة التى لا يخالطها شىء من الربا.

٥٦٦ ـ وعن أبى موسى الأشعرى قال: قال رسولُ ﷺ: «**ملعون من سأل بوجه الله تعالى ملعون من يُسأل بوجه الله تعالى فيمنع سائله؛ مالم يسأل هجراً**»[(١)]. «**معلون مَن ضرّ أخاه المسلم أو ماكره**» [(٢)] «ملعون من كذب ملعون مال لا يزكّى كل عام ملعون بدن لا يُبتلى فى كل عام ليلة من البلاء والعثرة والنكبة والمرضة والخدشة واختلاج العين فما فوق ذلك».

٥٦٧ ـ وعن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أوحى الله إلى عيسى ـ عليه السلام ـ أن قل للملأ من بنى إسرائيل: أنا ملك الملوك، أملك قلوبهم بيدى، فإن أطاعنى عبادى جعلتهم رحمةً عليهم، وإن عصونى جعلتهم نقمة عليهم، فلا تشتغلوا بالدعاء عليهم، ولكن توبوا إلىّ أعطفهم عليكم**» [(٣)].

٥٦٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبى سعيد الخُدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: كان رجل من المهاجرين له حاجة إلى رسول الله ﷺ فأراد أن يلقاه على خلاء فيبدي له حاجته، وكان رسول الله ﷺ فى معسكر بالبطحاء، وكان يجيء في الليل فيطوف، حتى إذا كان في وجه الصبح رجع فصلى صلاة الغداة، قال: فحبسه الطواف ذات ليلة حتى أصبح، فلما استوى على راحلته عرض له الرجل فأخذ بخطام ناقته فقال: يارسول الله، لى إليك حاجة. قال: « دعني فإنك ستدرك حاجتك»، فأبى، فلما خشى أن يحبسه خفقه بالسوط، خفقة.

ثم مضى فصلى صلاة الغداة، فلما انفتل أقبل بوجهه على القوم، واجتمع القوم حوله فقال: « أين الذي جلدته آنفاً؟» فأعادها: إن كان في القوم فليقم، فجعل الرجل يقول: أعوذ بالله تعالى ثم برسوله، وجعل رسول الله ﷺ يقول: « ادنُ، ادنُ مني»، حتى دنا منه، فجلس رسول الله ﷺ بين يديه وناوله السوط، وقال: «خذ بجلدتك واقتص مني»، فقال: أعوذ بالله أن أجلد نبيه. قال: « خذ بجلدتك فاقتص،

---

(١) حسن# ابن عساكر (٨/٣٩٧/ ٢)، والطبرانى فى « الكبير» انظر: الصحيحة (٢٢٩٠).

(٢) ضعيف# الترمذى (١٩٤١)، وابن عدى (٦/ ٢٧) فيه (فرقد السبخى وغيره) من الضعفاء، انظر: الضعيفة (١٩٠٣).

(٣) ضعيف جداً# رواه الطبرانى وعنه أبو نعيم (٢/ ٣٨٩) وتمام فى فوائده » (٦/ ٧٧/ ١) وفيه ثلاثه علل الأولى والثانية (المقدام بن داود ووهب بن راشد الرقى» كلاهما متروك والثالثة: الانقطاع بين خلاس وأبي الدرداء. وانظر. : الضعيفة (٦٠٢). وصح موقوفاً على مالك بن دينار تبييض الصحيفة (٥٩) .

لا بأس»، فقال: أعوذ بالله أن أجلد نبيّه قال :« إما أن تعفو أو تقتصّ» فألقى السوط. وقال: قد عفوت يارسول الله، ثم قال رسول الله ﷺ:« يا أيها الناس، اتقوا ربكم، ولا يظلم أحد منكم مؤمناً إلا انتقم الله منه يوم القيامة»(١).

٥٦٩ ـ وقال رسولُ الله ﷺ:«**والله لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يؤخذ للشاة الجمّاء من الشاة القرناء**»(٢).

٥٧٠ ـ وعنه أيضاً: « إنّ المظلومين هم المفلحون يوم القيامة» (٣).

وعن سفيان الثورى ـ رحمة الله عليه ـ أنه قال: إنْ لقيتْ الله تعالى بسبعين ذنباً فيما بينك وبين الله، أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد.

وعن إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله عليه ـ أنه قال: لا ينبغى للرجل إذا كان عليه دين أن يصطبغ بالزيت أو بأقلّ منه مالم يقضِ دينه.

وروى عن فضيل بن عياض قال: قراءة آية من كتاب الله تعالى والعمل بها أحب إلىّ من أن أختم القرآن ألف، وإدخال السرور على المؤمن وقضاء حاجته أحب إلىّ من عبادة العمر كلّه، وترك الدنيا ورفضها أحب إلى من أن أعبد الله بعبادة أهل السماوات والأرض وترك دانق من حرام أحب إلىّ من مئة حجة من مال حلال.

وذكر عن أبى بكر الوراق أنه قال: أكثر ما ينزع من القلب الإيمان، إنّما ينزع عند الموت قال: فنظرنا فى الذنوب. فلم نجد ذنباً أسرع لنزع الإيمان منِ ظلم العباد.

وسُئل أبو القاسم الحكيم : هل من ذنب ينزع الإيمان من العبد؟ قال: نعم. ثلاثة أشياء تنزع الإيمان من العبد.

أولها: ترك الشكر على الإسلام.

والثانى: ترك الخوف على ذهاب الإسلام.

والثالث: الظلم على أهل الإسلام.

٥٧١ ـ وروى حميد عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أوصى النّبى ﷺ رجلاً بثلاث فقال له: « أكثر ذكر الموت يشغلك عما سواه، وعليك بالشكر فإنه زيادة فى النعمة،

---

(١) لم أقف على إسناده وله شاهد عند الدارمى (٧٢) فيه رجل مبهم

(٢) **صحيح*** مسلم (٤/ ٢٥٨٢) ، والترمذى (٢٤٢٠) ، وأحمد (٢/ ٢٣٥، ٣٠١، ٣٧٢).

(٣) **ضعيف*** ابن أبى الدنيا فى « ذم الغضب» ورسته فى « الإيمان» عن أبى صالح الحنفى مرسلاً انظر ضعيف الجامع (١٧٨٤).

وعليك بالدعاء فإنك لا تدرى متى يستجاب لك. وأنهاك عن ثلاث: لا تنقض عهداً، ولا تعن على نقضه. وإياك والبغى؛ فإن مَن بُغى عليه لينصرنه الله وإياك والمكر، فإنه لا يحيقُ المكر السيء إلا بأهله»(١).

وروى منصور، عن مجاهد، عن زيد بن سمرة قال: إن لجهنم جباباً؛ يعنى مواضع كساحل البحر، فيها حيات كالبخاتى وعقارب كالبغال الدّهم، فإذا استغاث أهل جهنم أن يخفّف عنهم، قيل لهم: اخرجوا إلى الساحل، فيخرجون، فتأخذ الحيّات بشفاههم ووجوههم وما شاء الله تعالى منهم، فتكشطهن فيستغيثون فراراً منها إلى النار، فيسلّط عليهم الجرب، فيحكّ أحدهم جلده حتى يبدو العظم؛ فيقال: يا فلان، هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم فيقال: ذلك بما كنت تؤذى المؤمنين، وهو قوله تعالى: ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨].

وروى عن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنّه قال: كفى بالمؤمن من الغىّ ثلاث: يعيب على الناس بما يأتى به، ويبصر من عيوبهم مالا يبصر من عيوب نفسه، ويؤذى جليسه فيما لا يعنيه.

٥٧٢ ـ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة: يا أمة محمد، وما كان لى قبلكم من التبعات فقد وهبّته لكم، وبقيت التبعات التى فيما بينكم فتواهبواها، وادخلوا الجنة برحمتى** »(٢).

حدثنا القاضى الإمام أبو جعفر، عن الشيخ الزاهد أبى عبد الله الرّقى ببخارى قال: كنتُ بين النائم واليقظان، وهاتف ينشد أن الفضائل كلها إن جمعت رجعت بجملتها إلى شيئين: تعظيم أمره جل ثناؤه، والسعى فى إصلاح ذات البين.

وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُم﴾ [الأنفال: ١] والله تعالى بالصواب.

***

(١) ضعيف* ابن أبى الدنيا فى « ذكر الموت» عن سفيان عن شريح مرسلاً انظر: ضعيف الجامع (١٠٩٩).
(٢) سبق تخريجه برقم (٨٤).

باب الرّحمة والشّفقة

٥٧٣ ـ قال الفقيه: حدثنا أبو الحسين أحمد بن حمدان، حدثنا أحمد بن الحارث، حدثنا قتيبة بن سعيد البغلانى، عن مالك، عن سُمَىّ مولى أبى بكر، عن أبى صالح السمّان، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

« **بينما رجل يمشى في الطريق اشتد عليه العطش فوجد بئراً فنزل بها، فشرب، ثم خرج، فإذا كلبٌ يلهثُ، وهو يأكل الثّرى من العطش، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى، فنزل البئر، فملأ خفه ماء، ثم أمسكه بفيه حتى رقى، فسقى الكلب ورواه، فشكر الله تعالى له فغفر له**». قالوا: يارسول الله، إن لنا فى البهائم لأجراً؟ قال: « **فى كل ذات كبد رطبة أجر** »(١).

٥٧٤ ـ حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا النضر بن الأشعث، عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: « **لا يدخل الجنة إلا رحيم**» قالوا: يارسول الله كلنا رحيم قال: « **ليس رحمة أحدكم خويصية، يعنى خاصة نفسه، ولكن حتى يرحم الناس عامة، ولا يرحمهم إلا لله تعالى** »(٢).

حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا معاوية، عن الأعمش، عن حسان بن الأشرس، عن أبى عبيدة، عن عبد الله قال: إذا رأيتم أخاكم قد أصابه جزاء فلا تلعنوه ولا تعينوا عليه الشيطان، ولكن قولوا: اللهم ارحمه، اللهم تُبْ عليه (٣).

٥٧٥ ـ وعن الشعبى قال: صعد النعمان بن بشير المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ينبغى للمسلمين أن يكونوا بينهم بنصيحة بعضهم بعضاً، وتراحمهم فيما بينهم كمثل العضو من الجسد إذا اشتكى بعضه تداعى الجسد كله بالسهر حتى يذهب الألم من ذلك العضو** » (٤).

وعن أنس بن مالك قال: بينما عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ يعسّ ذات ليلة إذ

---

(١) **متفق عليه** ٭ البخارى (٥/ ٢٣٦٣، ٢٤٦٦) ، ومسلم (٣/ ٢٤٤)

(٢) **فيه ضعف**: مرسل وله شاهد عن أنس: أخرجه البيهقى فى «الشعب» (١١٠٥٩، ١١٠٦٠). وانظر. ضعيف الجامع (٦٣٣٨).

(٣) **فيه انقطاع**٭ بين أبى عبيدة وأبيه عبد الله بن مسعود لم يسمع منه وعنعنه الأعمش وكان يدلس .

(٤) **متفق عليه** ٭ البخارى (١٠/ ٦٠١١ بنحوه) ومسلم (٤/ ٢٥٨٦)

مرّ برفقة قد نزلت، فخشى عليهم السرقة، فأتى عبد الرحمن بن عوف ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقال: ما الذى جاء بك فى هذه الساعة يا أمير المؤمنين؟ قال: مررتُ برفقة قد نزلت فحدثنى نفسى أنهم إذا باتوا ناموا، فخشيت عليهم السرقة، فانطلق بنا نحرسهم. قال: فانطلقا، فقعدا قريباً من الرفقة يحرسان؛ حتى إذا رأيا الصبح نادى عمر ـ رضي الله عنهُ ـ: ياأهل الرفقة؛ الصلاة؛ مراراً حتى رآهم تحرّكوا، قاما فرجعا.

قال الفقيه رحمه الله تعالي: عليك أن تقتدى بالذين قبلك، فإن قد مدح أصحاب النبى ﷺ بالتراحم فيما بينهم قال الله تعالى: ﴿ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح: ٢٩] وكانوا رحماء على المسلمين وعلى جميع الخلق، وكانوا يرحمون أهل الذّمّة، فكيف بالمسلمين؟

وروى عن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه رأى رجلاً من أهل الذمة يسأل على أبواب الناس، وهو شيخ كبير، فقال له عمر رضى الله تعالي عنه: ما أنصفناك، أخذنا منك الجزية ما دمت شاباً، ثم ضيعناك اليوم. وأمر بأن يُجرى عليه قوتُه من بيت مال المسلمين.

وروى عن علي بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: رأيت عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ وعلى كتفه قَتَب وهو يعدو به بالأبطح، فقلت له: يا أمير المؤمنين أين تصير؟ فقال: بعير ندّ من الصدقة، فأنا أطلبه، فقلت له: لقد أذللت الخلفاء من بعدك. فقال: لا تلمني ياأبا الحسن، فوالذى بعث محمّداً ﷺ بالحق، لو أن عناقاً ذهب بشاطىء الفرات لأوخذ بها عمر يوم القيامة؛ لأنه لا حرمة لوالٍ ضيّع المسلمين، ولا لفاسق روّع المؤمنين.

٥٧٦ـ وعن الحسن، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**بدلاء أمّتي لا يدخلون الجنة بكثرة صلاة ولا صيام، ولكن برحمة القلوب وسلامة الصدور وسخاوة النفس والرحمة لجميع المسلمين** »(٢).

٥٧٧ ـ وروى عبد الوهاب بن محمد العسقلانى بسمرقند بإسناده عن حميد، عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أربع من حقّ المسلمين عليك: أن تعينَ محسنهم، وأن تستغفرَ لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم، وأن تحبّ تائبهم**»(٣).

٥٧٨ ـ حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا

---

(١) متفق عليه* البخارى (١٠/ ٦٠١١ بنحوه) ومسلم (٤/ ٢٥٨٦)

(٢) فيه ضعف* أرسله الحسن. وكان يدلّس.

(٣) فيه ضعف* فيه (حميد الطويل) ثقة مدلس قال حماد بن سلمة عامة ما يرويه عن أنس لم يسمعه منه، إنما سمعه من ثابت. انظر. الميزان (١/ ٦١٠) والضعفاء للعقيلى (١/ ٢٦٦)

محمد بن الفضل، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا عبد الرحمن بن زياد، عن أبيه، عن أبى أيوب ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**للمسلم على أخيه ست خصال واجبة، إن ترك منها واحدة فقد ترك حقاً واجباً: إذا دعاه أن يجيبه، وإذا مرض أن يعوده، وإذا مات أن يحضره، وإذا لقيه أن يسلّم عليه، وإذا استنصحه أن ينصحه، وإذا عطس أن يشمّته**»(1).

٥٧٩ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما من نبى إلا وقد رعى**». قالوا: يارسول الله، وأنت قد رعيت؟ قال: : «**نعم رعيت**» (2).

قال الفقيه رحمه الله تعالى: الحكمة فى رعى الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه؛ أنّ الله تعالى ابتلاهم على البهائم أولاً حتى تظهر شفقتهم على خلقه، وهو أعلم بهم، وإذا وجدهم مشفقين على البهائم جعلهم أنبياء، وجعلهم مسلّطين على بنى آدم فى أمر دينهم.

وروى أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: ياربّ بأى شىء اتّخذتنى صفياً؟ قال: برحمتك على خلقى، فإنك كنت ترعى غنم شعيب ـ عليه الصلاة والسلام ـ فندّت شاة من غنمك، فاتبعتها، فأصابك الجهد فى طلبها حتى أدركتها، فلما أخذتها ضممتها إلى حجرك، وقلت لها: يامسكينة لِمَ أتبعتنى؟! وأتعبت نفسك فبرحمتك على خلقى اصطفيتُك، وأكرمتُك بالنبوة.

٨٥٠ ـ وروى عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من ستر أخاه المسلم فى الدنيا ستره الله في الدنيا والآخرة. ومن نفّس عن أخيه كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربةً مِن كرب يوم القيامة والله تعالى فى عون العبد ما دام العبد فى عون أخيه المسلم**»(3).

٥٨١ ـ وروى قتادة عن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبىﷺ أنه قال: «**والذى نفس محمد بيده، لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه من الخير**»(4).

وروى الشعبى عن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: إن الله تعالى لا يرحم من

---

(١) ضعيف* فيه (عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقى) ضعيف فى حفظه .

(٢) صحيح* البخارى (٤/ ٢٢٦٢) عن أبى هريرة ، ومالك فى« الموطأ» (٢/ ٩٧١) بلاغاً .

(٣) صحيح* مسلم (٤/ ٢٦٩٩)، وأبو داود (٤٩٤٦)، والترمذى (٢٩٤٥)، ابن ماجه (٢٢٥)، وأحمد (٢/ ٢٥٢) وابن الجارود (٨٠٢).

(٤) متفق عليه * البخارى (١٣) ، ومسلم (٤٥).

لا يرحم، ولا يغفر لمن لا يغفر، ولا يتوب على من لا يتوب.

٥٨٢- وروى عن بعض الصحابة رضى الله عنهم، أنه قال: «**الرّاحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن فى الأرض يرحمكم مَن فى السماء**»(١).

٥٨٣ - وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَن لا يرحم الناس لا يرحمه الله تعالى**»(٢).

وعن قتادة أنه قال: ذكر لنا أن فى الإنجيل مكتوباً: ابن آدم، كما ترحم فكذلك ترحم، وكيف ترجو أن يرحمك الله وأنت لا ترحم عباده؟!

وعن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه كان يتبع الصبيان فيشترى منهم العصافير، فيرسلها ويقول: اذهبى فعيشى. وقال شقيق الزاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: «إذا ذكرتَ الرجل بالسوء، فلم تهتم له ترحّماً، فأنت أسوأ حالاً منه، وإذا ذكرتَ الرجل الصالح فلم تجدْ فى قلبك حلاوة طاعة ربك، فأنت رجل سوء.

وقال مالك بن أنس رضى الله تعالى عنه: بلغنى أن عيسى ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ قال لا تكثروا الكلام فى غير ذكر الله؛ فتقسو قلوبكم، والقلب القاسى بعيد من الله تعالى، ولكن لا تعلمون، ولا تنظروا فى عيوب الناس كأنكم أرباب وانظروا إليها كأنكم عبيد، وإنما الناس رجلان: مبتلى ومعافى فارحموا صاحب البلاء، واحمدوا الله على العافية(٣).

وروى عن أبى عبد الله الشامى قال: استأذنت على طاووس، فخرج شيخ، فقلت: أنت طاووس؟ فقال: لا، أنا ابنه، فقلتُ له: أن كنت ابنه فإنه لخرف فقال: إن العالِم لا يخرف، فدخلت عليه فقال لى: سَلْ وأوجز. فقلت له: إن أوجزت لى أوجزتَ لك. فقال: إن شئت جمعت لك التوراة والإنجيل والفرقان فى ثلاث كلمات؟ فقلت: وددت ذلك. فقال: خَفِ الله خوفاً لا يكون أحد أخوف عندك منه، وارجه رجاءً هو أشد من خوفك إياه، وأَحِبّ لغيرك ما تحبّ لنفسك،

وعن عمّار بن ياسر ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: ثلاث من جمعهن جمع الإيمان كله: الإنفاق فى الإقتار، والإنصاف من نفسه، وإفشاء السلام على الخلائق.

وروى عمر بن عبد العزير ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: أحبّ الأمور إلى

---

(١) **صحيح*** أحمد (٢/ ١٦٠)، وأبو داود (٤٩٤١)، والترمذى (١٩٢٤) عن ابن عمرو.
(٢) **متفق عليه** * البخارى (١٠/ ٦٠١٣)، ومسلم (٤/ ٢٣١٩) من حديث جرير بن عبد الله.
(٣) مرسل * ذكره مالك فى «الموطأ» (٢/ ٩٨٦).

الله تعالى ثلاثة: العفو عند المقدرة، والقصد في الحدّة، والرفق بعباد الله تعالى، وما رفق أحدٌ بعباد الله إلا رفق به.

وروى هشام عن الحسن قال: أوحى الله تعالى إلى آدم: يا آدم أربع هن جماع لك ولولدك، يعني جماع الخير، واحدة لي وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين الناس فأما التي لي فأن تعبدني، ولاتشرك بي شيئاً وأما التي لك، فعملك أجزيك به حين أنت أفقر ماتكون إليه. وأما التي بيني وبينك فمنك الدعاء وعليَّ الإجابة. وأما التي بينك وبين الناس فاصحبهم بالذي تحبّ أن يصحبوك به. والله أعلم.

***

باب خوف الله تعالى

٥٨٤ ـ حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا إسحاق بن عبد الرحمن القارىء، حدثنا الحارث بن أبي أسامة، حدثنا داود بن المحبّر، عن ميسره، عن محمد بن زيد، عن سعيد بن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: يارسول الله من أعلم الناس؟ قال: «العاقل». قالوا: يارسول الله من أعبد الناس؟ قال: «العاقل»، قالوا: يارسول الله، من أفضل الناس:؟ قال: «العاقل» قالوا: يارسول الله أليس العاقل مَن تمّت مروءته، وظهرت فصاحته، وجادت كفّه، وعظمت منزلته؟ فقال رسول الله ﷺ: **﴿وَإِنْ كُلُّ ذلكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا والآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾** [الزخرف: ٣٥] العاقلَ: المتّقي وإن كان في الدُّنيا خسيساً دنيئاً»(١) يعنيَ بالمتَقي الَذي يتقي الله عز وجل ويتّقي معاصيه.

وروى مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إذا عرف الرجل من نفسه علامة الخوف وعلامه الرجاء، فقد تمسّك بالأمر الوثيق. أما علامة الخوف فاجتناب ما نهى الله عنه. وأما علامة الرجاء: فالعمل بما أمر الله به. وقيل: للرجاء والخوف علامتان فعلامة الرجاء: عملك لله بما يرضى. وعلامة الخوف اجتنابك مانهى الله عنه.

قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن الشعبي ـ رضي الله تعالى عنه ـ عن عبد الله بن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ أنه قال لعمر ـ رضي الله تعالى عنه ـ حين، طُعن: يا أمير المؤمنين أسلمتَ حين كفر الناس، وجاهدتَ مع رسول الله ﷺ حين خذله الناس، وتوفي رسول الله ﷺ وهو عنك راضٍ، ولم يختلفْ

(١) موضوع* فيه (داود بن المحبر) متروك وأكثر كتاب العقل الذي صنفه موضوعات. و (ميسرة بن عبد ربه) وضاع كذاب. انظر: الميزان (٤/٢٣).

عليك اثنان، وقُتلْتَ شهيداً. فقال عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ: المغرور مَن غرّرتموه، والله لو أنّ لى ماطلعتْ عليه الشمسُ لافتديتُ به من هول المطلع.

٥٨٥ ـ وعن الحسن البصرى، عن جابر رضى الله تعالى عنه،عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**المؤمن بين مخافتين، بين أجَلٍ قد مضى لايدرى ما الله صانع به،وبين أجَلٍ قد بقى لايدرى ما الله قاضٍ فيه،فليتزوّد العبدُ من نفسه لنفسه،ومن دنياه لآخرته. فوالذى نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعتبٍ، وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار**»[١].

٥٨٦ ـ وعن النبى ﷺأنه قال: «**قال الله عزَّ وجلَّ: وعزّتى وجلالى إنى لا أجمعُ على عبدى خوفين، ولا أمنين، مَن خافنى فى الدنيا أمنته فى الآخرة، ومَن أمننى فى الدنيا أخفته يوم القيامة**»[٢].

٥٨٧ ـ وروى عن عمار بن منصور ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: كنت تحت منبر عدى بن أرطأة، فقال: ألا أحدثكم حديثاً مابينى وبين رسول الله ﷺ إلا رجل واحد؟ قالوا: نعم. قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنّ لله ملائكةً فى السماء السابعة سجوداً منذ خلقهم الله إلى يوم القيامة، ترعد فرائصُهم من مخافة الله، فإذا كان يوم القيامة رفعوا رؤوسهم وقالوا: سبحانك ماعبدناك حقّ عبادتك**»[٣].

وروى عن أبى ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه قال: ليت أمى لم تلدنى.

فقالت له امرأته: يا أبا ميسرة، أليس الله قد أحسن إليك، وهداك إلى الإسلام؟ قال: أجل، ولكن الله قد بيّن لنا أنا واردون النار، ولم يبيّن لنا أنا صادرون عنها.

وعن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إنى لا أغبطُ ملكاً مقرّباً، ولانبيّاً مرسلاً، أليس هؤلاء يعاتَبُونَ يوم القيامة؟ إنما أغبط مَن لم يخلق.

وقال حكيم من الحكماء: الحزن يمنع الطعام، والخوف يمنع الذنوب، والرجاء يُقوِّى على الطاعة، وذِكْر الموت يزهِّدُ فى الفضول.

٥٨٨ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إذا اقشعرّ قلبُ المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها**»[٤].

---

(١) ضعيف* فيه انقطاع بين الحسن وجابر لم يسمع منه ورواه ابن المبارك فى«الزهد»(٣٠٤) بلاغاً، ورواه البيهقى فى «الشعب»(١٠٥٨١) عن الحسن مرسلاً، وأبو نعيم (١٥٨/٢) من قول الحسن.

(٢) حسن* أبو نعيم فى « الحلية» (٩٨/٦) عن شداد بن أوس، وابن المبارك فى « الزهد» (١٥٣) عن الحسن مرسلاً. وانظر: مجمع الزوائد (٣٠٨/١٠)، والصحيحة (٧٤٢).

(٣) ضعيف* عدى بن أرطأة الفزارى: مقبول من الرابعة..

(٤)ضعيف* رواه البزار (٤/ ٧٤ كشف)، والبيهقى فى « الشعب» (٨٠٣) من حديث العباس. فيه (أم كلثوم بنت العباس) قال الهيثمى (١/ ٣١٠) لم أعرفها. وانظر: ضعيف الجامع (٣٩١).

٥٨٩ ـ وسئل رسول الله ﷺ مَن آلك يارسول الله؟ قال: «آلى كلّ مؤمن تقى إلى يوم القيامة، ألا إن أوليائى هم المتقون، ولا فضل لأحدكم منكم على أحد إلا بتقوى الله عز وجل»[(١)].

٥٩٠ ـ وروى الربيع، عن الحسن، عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ثلاث منجيات وثلاث مهلكات، فأما المهلكات: فشحّ مُطاع، وهوى مُتّبع، وإعجابُ المرء بنفسه. وأما المنجيات: فالعدلُ فى الرّضا والغضب، والاقتصاد فى الفاقة والغنى، وخشية الله عزّ وجل فى السّر والعلانية»[(٢)].

وذُكِر عن الربيع بن خُثيم أنه كان لا يزال باكياً خائفاً ساهراً بالليل، فلما رأت أمّه ما به من الجهد، نادته: أقتلت قتيلاً؟ قال: نعم. قالت: فمن هو حتى نطلب العفو من أوليائه، فوالله لو يعلمون ماتلقاه لرحموك هم. قال: يا أماه، قتلتُ نفسى.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: علامة خوف الله تتبيّن فى سبعة أشياء:

أولها: تتبيّن فى لسانه، فيمتنع لسانه من الكذب والغيبة وكلام الفضول، ويجعل لسانه مشغولاً بذكر الله وتلاوة القرآن ومذاكرة العلم.

والثانى: أن يخافَ فى أمر بطنه، فلا يدخل بطنه إلا طيباً حلالاً، ويأكل من الحلال مقدار حاجته.

والثالث: أن يخافَ فى أمر بصره، فلا ينظر إلى الحرام. ولا إلى الدنيا بعين الرغبة، وإنما يكون نظره على وجه العبرة.

والرابع: أن يخافَ فى أمر يده، فلا يمدن يده إلى الحرام، وإنما يمد يده إلى مافيه طاعة الله عز وجل .

والخامس: أن يخافَ فى أمر قدميه فلا يمشى فى معصية الله.

والسادس: أن يخافَ فى أمر قلبه، فيخرج منه العداوة والبغضاء وحسد الإخوان، ويدخل فيه النصيحة والشفقة للمسلمين.

والسابع: أن يكونَ خائفاً فى أمر طاعته فيجعل طاعته خالصة لوجه الله، ويخاف الرياء والنفاق، فإذا فعل ذلك فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ

---

(١) ضعيف جداً* ابن عدى فى « الكامل» (٧/ ٤٠) وغيره عن أس . انظر: الضعيفة (١٣٠٤).

(٢) حسن* ورد عن جماعة من الصحابة وإن كانت طرقه لا تخلو مس علة فلا يقل عن درجة الحسن إن شاء الله وبه جزم المنذرى فى «ترغيبه». وانظر: الصحيحة (١٨٠٢)

لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف : ٣٥] وقال: ﴿ إِنَّ المتَّقِينَ فِى جنات ونَعِيم﴾ [الطور:١٧] وَقد مَدح الله المتقين في كتابه فى مواضع كثيرة، وأخبر أنهمْ ينجون من النار، وقال تعالى: ﴿ وَإِن مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُها كان عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِياً ثُمَّ نُنَجِي الَّذِينَ اتَّقُوا ونَذَرُ الظَّالِمينَ فِيهَا جِثِياً﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

قال الفقيه: حدثنا محمد بن محمد بن مندوسة، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا على بن عاصم، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا الجريرى، عن أبى السائل، عن غنيم، عن ابن قيس، عن أبى العوام قال: قال كعب الأحبار: أتدرون مامعنى قوله: ﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا﴾ ؟ قالوا: ماكنا نرى ورودها إلا دخولها. قال: لا . ولكن ورودها أن يجاء بجهنم كأنها نتن إهالة، وهو الودك، حتى إذا استوت عليها أقدام الخلائق، برّهم وفاجرهم، نادى مناد: خذى أصحابك، وذرى أصحابى. فتخسف بكل ولى لها، وهى أعلم بهم من الوالدبولده، وينجو المؤمنون نديّة ثيابهم، وإن الخازنَ من خزنة جهنم معه عمود من حديد له شعبتان شعبة يدفع به الدفعة، فيكبّ فى النار سبعمئة ألف، أو كما قال.

٥٩١ ـ وروى عن الحسن، عن عمران بن حصين قال: كنا مع رسول الله ﷺ فى مسيره، فنزلت هذه الآية: ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَة شَىْءٌ عَظِيمٌ﴾ [الحج: ١] ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: « أتدرون أىّ يوم ذلك؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: « ذلك اليوم الذى يقول الله لآدم: قم فابعث بَعْثَ النار وبَعْثَ الجنة، فيقول آدم: أى ربّ فما بَعْثُ النار وما بَعْثُ الجنة؟ فيقول الله تعالى: من كل ألف تسعمئة وتسعة وتسعون إلى النار، وواحد فى الجنة».

فأنشأ القوم يبكون، فقال رسول الله ﷺ : « **لم يكن نبىّ إلا كانت قبله جاهلية، فيؤخذ العدد من الجاهلية، فإن لم يكمل العدد من الجاهلية فيؤخذ من المنافقين. وما مثلكم فى الأمم إلا كمثل الرقمة فى ذراع الدابة، أو كالشامة فى جنب البعير**» ثم قال: « **إنى لأرجو أن تكونوا ثلثى أهل الجنة فكبروا**». ثم قال: « **إن معكم لخليقتين ماكانتا فى شىء إلا كثّرتاه يأجوج ومأجوج، ومن مات من كفرة الجن والإنس** »(١).

وعن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لا يغرنك قول من يقول: المرء مع مَن أحبّ، فإنك لن تلحقَ الأبرار إلا بأعمالهم، فإنّ اليهودَ والنصارى وأهل البدعة يحبّون أنبياءهم وليسوا معهم.

---

(١) صحيح* أحمد (٤/ ٤٣٢، ٤٣٥) ، والترمذى (٣١٦٨) وله شاهد متفق عليه عن أبى سعيد.

٥٩٢ ـ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: « **من استوى يوماه فهو مغبون، ومن كان غدُه شراً من يومِه فهو ملعون، ومن لم يكن فى الزيادة فهو فى النقصان، ومن كان فى النقصان فالموتُ خير له** » (١).

وروى عن كعب الأحبار رضى الله تعالى عنه، أنه قال: إنّ لله تعالى داراً من زمردة أو من لؤلؤة فوقها لؤلؤة، فيها سبعون ألف دار، وفى كل دار سبعون ألف بيت، لا ينزلها إلا نبى، أو صديق، أو شهيد، أو إمام عادل، أو رجل حكم فى نفسه. قيل: وما الحكم فى نفسه؟ قال: الذى يعرض له الحرام فيتركه مخافة الله عز وجل.

٥٩٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: سمعتُ أبى ـ رحمه الله ـ يقول: كان رجلٌ على عهد رسول الله ﷺ يقال له حنظلة، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا موعظة رقّت لها القلوب، وذرفت منها العيون، وعرفتنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلى فدنت منى المرأة، وجرى بيننا من حديث الدنيا، فنسيت ماكنا عليه عند رسول الله ﷺ وأخذنا فى حديث الدنيا، ثم تذكّرت ما كنت فيه، فقلت فى نفسى: قد نافقتُ حين تحوّل عنى ماكنت فيه من الخوف والرقة، فخرَجت، فجعلتُ أنادى: نافق حنظلة، فاستقبلنى أبو بكر فقال: كلا. لم تنافق ياحنظلة، فدخلت على النبى ﷺ وأنا أقول: نافق حنظلة، نافق حنظلة. فقال: « **كلا لم تنافق يا حنظلة** ». فقلت: يارسول الله، كنّا عندك، فوعظتنا موعظة وجلتْ منها القلوب، وذرفت منها العيون، وعرفتنا أنفسنا، فرجعت إلى أهلى، فأخذنا فى حديث الدنيا، ونسيت ما كنا عندك عليه فقال:

« **ياحنظلة إنكم لو كنتم على تلك الحالة لصافحتكم الملائكة فى الطريق، ولزارتكم فى دوركم وعلى فُرشكم. ولكن ياحنظلة ساعة فساعة** »(٢).

٥٩٤ ـ وروى عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أنها قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] الآية أَهُم الذين يعملون بالمعاصى ويخافون؟ قال: « **لا، ولكن هَم الذين يعملون بالطاعة ويخافون أن لا تقبلَ منهم** »(٣).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: منَ عمل الحسنة يحتاج إلى خوف أربعة أشياء،

---

(١) رواه البيهقى فى « الزهد الكبير » (٩٨٧) قال العراقى فى تخريج « الإحياء » (٣٢٦/٤): لا أعلم هذا إلا فى منام لعبد العزيز بن أبى رواد.

(٢) **صحيح** مسلم (٤/ ٢٧٥٠)، وأحمد (١٧٨/٤، ٣٤٦)) وفى الباب عن أبى هريرة وأنس.

(٣) **صحيح** أحمد (١٥٩/٦، ٢٠٥)، والترمذى (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨)، وصححه الحاكم (٣٩٣/٢، ٣٩٤) ولم يتعقبه الذهبى

فما ظنك بمن يعمل السيئة؟

أولها: خوف عدم القبول لأن الله تعالي قال: ﴿**إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ الله مِنَ الْمُتَّقِينَ**﴾ [المائدة: ٢٧].

والثانى: خوف الرياء، لأن الله تعالى قال: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إلاليعْبُدُوا الله مُخْلصين لَهُ الدِّينَ**﴾ [البينة: ٥] الآية.

والثالث: خوف التسليم والحفظ، لأن الله تعالى قال: ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا**﴾[الأنعام: ١٦٠] فاشترط المجيء بها إلى دار الآخرة.

والرابع: خوف الخذلان لطاعة أخرى، لأنه لا يدرى أنه هل يوفق لها أم لا لقول الله تعالى: ﴿**وَمَا تَوْفِيقِى إِلاَّ بِالله عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**﴾[هود: ٨٨].

***

باب ماجاء فى ذكر الله تعالى

٥٩٥ ـ قال الفقيه أبو الليث رحمه الله تعالى: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو أسامة، عن عبد الحميد، بن جعفر، حدثنا صالح بن أبى كريب، عن كثير بن مرة قال: سمعت أبا الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ يقول:

ألا أخبركم بخير أعمالكم، وأحبّها إلى مليككم، وإنماها ثواباً، وخير من أن تغزوا عدوّكم، فتضربوا رقابهم، ويضربوا رقابهم، وخير من إعطاء الدراهم والدنانير؟ قالوا: وماهو يا أبا الدرداء؟ قال: ذكر الله، وذكر الله أكبر(١).

٥٩٦ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا أبو معاوية، عن الحجاج، عن أبى جعفر، أن رسول الله ﷺ قال: «**أشدّ الأعمال ثلاثة: إنصاف الرجل من نفسه، ومواساة الأخ فى المال، وذكر الله تعالى على كلّ حال**»(٢).

وروى عن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: ماعمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله تعالى من ذكر الله عز وجل. قيل: ولا الجهاد فى سبيل الله؟

(١) صحيح* أحمد (٥/ ١٩٥, ٦/ ٤٤٧) ، والترمذى (٣٣٧٧)، وابن ماجه (٣٧٩٠).

(٢) إسناده ضعيف* ابن المبارك فى « الزهد» (٧٤٤) فيه علتان: الأولى (حجاج بن أرطاه) صدوق كثير الخطأ والتدليس وقد عنعنه الثانية. الإنقطاع..

قال: ولا الجهاد فى سبيل الله؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ﴾[العنكبوت: ٤٥].

٥٩٧ ـ وعن الحسن البصرى. قال: قيل: يارسول الله أى العمل أفضل؟ قال: «**أن تموتَ ولسانُك رطبٌ بذكر الله**»(١).

وقال مالك بن دينار ـ رحمه الله تعالى ـ: من لم يأنسْ بحديث الله عز وجل عن حديث المخلوقين؛ فقد قلّ عمله، وعمى قلبه، وضيّع عمره.

٥٩٨ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ذِكْرُ الله علم الإيمان، وبراءةٌ من النفاق، وحصنٌ من الشيطان، وحِرْزٌ من النار**»(٢).

٥٩٩ ـ وروى وهب بن منبه، عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه قال: «لما بعث الله يحيى بن زكرياء عليهما السلام إلى بنى إسرائيل أمره بأن يأمرهم بخمس خصال، ويضرب لهم بكل خصلة مثلاً: أمرهم أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً، وضرب لهم مثلاً، فقال: مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله، ثم أسكنه داراً وزوجه جارية له، ودفع إليه مالاً، وأمره أن يتّجر فيه، ويأكل منه ما يكفيه، ويؤدّى إليه فضل الربح، فعمد العبد إلى فضل ربحه فجعل يعطيه لعدو سيده، ويعطى لسيده منه شيئاً يسيراً، فأيكم يرضى بمثل هذا العبد؟ وأمرهم بالصلاة، وضرب لهم مثلاً فقال: مثل الصلاة كمثل رجل استأذن على ملك من الملوك، فأذن له فدخل عليه، فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته، ويقضى حاجته، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً ولم يهتمّ لقضاء حاجته، فأعرض عنه الملك ولم يقض حاجته.

وأمرهم بالصيام، وضرب لهم مثلاً فقال: مثل الصائم كمثل رجل لبس جبّة للقتال، وأخذ سلاحه، فلم يصل إليه عدوه، ولم يعمل فيه سلاح عدوه.

وأمرهم بالصدقة، وضرب لهم مثلاً فقال: مثل الصدقة كمثل رجل أسره العدو، فاشترى منهم نفسه بثمن معلوم، فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى إليهم من كسبه من القليل والكثير حتى فدى نفسه منهم، فعتق وفكّ منهم رقبته.

وأمرهم بذكر الله، وضرب لهم مثلاً فقال: مثل الذكر كمثل قوم لهم حصن، ويقربهم عدوّ، فجاءهم عدوّهم فدخلوا حصنهم وأغلقوا عليهم بابه، فحصنوا أنفسهم من العدو».

ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «**و أنا آمركم بهذه الخصال الخمس التى أمر الله تعالى**

---

(١) حسن * الأصبهانى فى «الترغيب والترهيب» (١٣٥٢) عن عبد الله بن بسر المازنى.
(٢) لم أقف على إسناده.

بهن يحيى ـ عليه الصلاة والسلام، وآمركم بخمس خصال أخرى أمرنى الله تعالى بهن: عليكم بالجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد، ومن دعا بدعاء الجاهلية فهو فى جُثا جهنم »(١)

٦٠٠ ـ وعن عبيد الله بن عمير قال: من قال الحمد لله تفتح له أبواب السماء، والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض، والتسبيح لله تعالى لا ينتهى إلى ثوابه علم أحد دون الله تعالى. قال الله تعالى: « **إذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرتُه فى نفسى، وإذا ذكرنى وحده ذكرتُه وحدى، وإذا ذكرنى فى ملأ ذكرتُه فى ملأ أحسن منه وأكرم**»(٢).

وقال: ما من عبد يضع جنبه على الفراش، فيذكر الله تعالى، فيدركه النوم وهو كذلك، إلا كتب ذاكراً إلى أن يستيقظ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: الذكر من الله عز وجل العفو والمغفرة، فإذا ذكر العبد الله تعالى ذكره الله تعالى بالمغفرة.

وذكر عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه، أنه قال: الذكر بين الذكرين، والإسلام بين السيفين، والذنب بين الفرضيْن.

وإنما أراد بقوله « الذكر بين الذكرين»؛ يعنى أن العبد لا يقدر على ذكر الله تعالى مالم يذكره الله تعالى بالتوفيق، وإذا ذكر الله تعالى ذكره الله تعالى بالمغفرة. ومعنى قوله: « الإسلام بين السيفين»؛ يعنى يقاتل حتى يسلم، ثم إذا رجع عن الإسلام يقتل. ومعنى قوله: « الذنب بين الفرضين»؛ يعنى فرض عليه أن لا يذنب فإذا أذنب فرض عليه أن يتوب.

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ فى قوله تعالى: ﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾ [الناس: ٤] قال: هو الشيطان جاثم على القلب، فإذا ذَكر الله تعالى خَنَس، فإذا غَفل وَسْوس.

٦٠١ ـ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لكل شىء صقال، وصقال القلب ذكر الله تعالى** »(٣).

وعن إبراهيم النَّخَعى أنه قال: إذا دخل الرجل بيته فسلّم، قال الشيطان: لا مقيل؛ يعنى لم يبق لى ههنا موضع قرار، وإذا أُتى بطعام فذكر الله تعالى، قال

(١) صحيح* أحمد (٤/ ١٣٠، ٢٠٢)، والترمذى (٢٨٦٣) وقال. حسن صحيح غريب. وصححه الحاكم (١/ ٢٣٦) ولم يتعقبه الذهبى. جميعاً عن الحارث الأشعرى .

(٢) متفق عليه* البخارى (١٣/ ٧٤٠٥) ومسلم (٤/ ٢٧٧٥).

(٣)ضعيف جداً* البيهقى فى « الشعب» (٥٢٢) عن ابن عمر. فيه (سعيد بن سنان الحمصى) متروك، ورماه الدارقطنى وغيره بالوضع كما فى « التقريب» .

الشيطان: لامقيل ولا مطعم، فإذا أتى بشراب؛ فسمّى الله تعالى، قال الشيطان: لا مقيل ولا مطعم، ولا مشرب؛ فيخرج خائباً.

٦٠٢ ـ وعن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: « **إذا أكل أحدُكم طعاماً فليقل: بسم الله، فإن نسى فى أوله فليقل فى آخره: بسم الله فى أوّله وآخره**»(١).

وعن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا أكل أحدكم طعاماً ولم يقل بسم الله أكل الشيطان معه، وإذا ذكر اسم الله تعالى مع الشيطان من بقية طعامه وتقايا ما أكل واستأنف طعاماً جديداً.

قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر قال: حدثنا أحمد بن محمد، قال: حدثنا نصر بن يحيى، قال: حدثنا أبو مطيع، عن الربيع بن بدر، عن أبى محمد، وكان أبو محمد رجلاً من أصحاب أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال إبليس لربه: أى رب، جعلت لبنى آدم بيوتاً يذكرونك فيها، فما بيتى؟ قال: الحمام. قال: فجعلت لهم مجالس فما مجلسى؟ قال: السوق قال: فجعلت لهم قراءة فما قراءتى؟ قال: الشعر قال: فجعلت لهم حديثاً فما حديثى؟ قال: الكذب. قال: فجعلت لهم أذاناً فما أذانى؟ قال: المزمار قال: فجعلت لهم رسلاً فما رسلى؟ قال: الكهنة. قال: فجعلت لهم كتاباً فما كتابى؟ قال: الوشم. قال: فجعلت لهم مصائد فما مصائدى؟ قال: النساء. قال: فجعلت لهم طعاماً فما طعامى؟ قال: مالم يذكر عليه اسمى. قال: فجعلت لهم شراباً فما شرابى؟ قال: كلّ مسكر (٢).

وعن الفضيل بن عياض ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: جاء رجل فقال: أوصنى بشىء. فقال له فضيل: احفظ عنى خمساً:

أولها: أنّ ماأصابك من شىء فقل ذلك بقضاء الله تعالى حتى ترفع الملامة عن الخلق.

والثانى: احفظْ لسانك لينجو كل الخلق منك، وأنت تنجو من عذاب الله تعالى.

والثالث: صدق ربك بما وعدك من الرزق حتى تكونَ مؤمناً.

والرابع: أستعدّ للموت حتى لا تموت غافلاً.

والخامس: اذكرِ الله كثيراً حيثما كنت حتى تكونَ محصناً من جميع السيئات.

---

(١) **صحيح*** أحمد (٦/٢٠٨)، وأبو داود (٣٧٦٧)، والترمذى (١٨٥٨).

(٢) **ضعيف جداً*** (أبو مطيع) مقبول. و(الربيع بن بدر) متروك؛ وأبيه: مجهول

وذُكر عن إبراهيم بن أدهم أنه رأى رجلاً يحدث بشيء من كلام الدنيا، فوقف عليه وقال: أهذا كلام ترجو فيه الثواب؟ فقال الرجل: لا. قال: أفتأمن فيه من العقاب؟ قال: لا. قال: فما تصنع بكلام لا ترجو فيه ثواباً، ولا تأمن فيه عقاباً؟ عليك بذكر الله تعالى.

٦٠٣ ـ وقال كعب الأحبار ـ رضى الله تعالى عنه ـ: إنا نجد فى كتاب الله تعالى المنزل على أنبيائه. إن الله تعالى يقول: «**من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته فوق ما أعطى السائلين**»(١).

وقال فضيل بن عياض ـ رضى الله تعالى عنه ـ: إنَّ البيتَ الذى يُذكر فيه اسم الله تعالى ـ يضىء لأهل السماء كما يضىء المصباح لأهل البيت المظلم، وإنّ البيتَ الذى لا يُذكر فيه اسم الله تعالى يظلم على أهله.

وروى فى الخبرأن موسى ـ عليه السلام ـ قال: يارب كيف لى أن أعلمَ مَن أحببتَ ممن أبغضتَ؟ قال: ياموسى إنى إذا أحببتُ عبداً جعلتُ فيه علامتين، قال: يارب وماهما؟ قال: ألهمه ذكرى لكى أذكره فى ملكوت السماوات والأرض، وأعصمه من محارمى وسخطى كى لا يحلّ عليه عذابى ونقمتى. ياموسى وإنى إذا أبغضت عبداً جعلت فيه علامتين قال: يارب وما هما؟ قال: أنسيه ذكرى، وأخلى بينه وبين نفسه لكى يقعَ فى محارمى بسخطى؛ فيحلّ عليه عذابى ونقمتى.

٦٠٤ ـ وروى أبو المليح عن أبيه أنّ رجلاً من أصحاب النبى ﷺ كان رديفه على دابة، فعثرت بهما الدابة، فقال الرجل: تعس الشيطان. فقال النبى ـ ﷺ ـ: «**لا تقل تعس الشيطان، فإنه عند ذلك يتعاظمُ حتى يكونَ ملء البيت ولكن قُل بسم الله فإنه يصغر عند ذلك حتى يكون مثل الذباب**»(٢).

٦٠٥ ـ وروى داود بن قيس ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن نافع بن جبير أن النبى ﷺ قال: «**كفّارة المجلس إذا أراد أحدكم أن يقوم من مجلسه أن يقول: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوبُ إليك فإن كان مجلس ذكر كان كالطابع عليه إلى يوم القيامة، وإن كان مجلس لغو كان كفارة لما قبله**»(٣).

---

(١) حسن* البخارى فى «التاريخ الكبير» (٢/ ١١٥) وفى «خلق أفعال العباد» (٤٢٧)، والبيهقى فى «الشعب» (٥٧٢) عن عمر. وله شواهد عن أبى سعيد وجابر وحديفة لكن لا تخلو من علّة.

(٢) صحيح* أحمد(٥/ ٥٩، ٧١، ٣٦٥)، وأبو داود (٤٩٨٢)، والنسائى فى «اليوم والليلة» (٥٥٥)، وابن السنى(٥١٠)، وصححه الحاكم (٤/ ٢٩٢) ولم يتعقبه الذهبى.

(٣) صحيح* أحمد (٢/ ٣٦٩)، والترمذى(٣٤٣٣)، وأبو داود(٤٨٥٨) عن أبى هريرة وله شواهد أخرى.

٦٠٦ ـ قال : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بإسناده، عن محمد بن واسع قال: قدمتُ من مكة، فلقيت أخا سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه، عن جدّه عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال:

« من دخلَ السوق، فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يُحيى ويُميت، وهو حىّ لا يموت، بيده الخير وهو على كل شىء قدير؛ كتب الله له ألف ألف حسنة، محا عنه ألف ألف سيئة، ورفع له ألف ألف درجة».

قال: فقدمت خراسان، فأتيت قتيبة بن مسلم فقلت: قد أتيتك بهدية، فحدثته بالحديث، فكان قتيبة يركبُ فى موكبه حتى يأتى السوق فيقول بهذه الكلمات، ثم ينصرف[1].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: اعلم أن ذكر الله تعالى أفضل العبادات؛ لأنّ الله تعالى جعل لسائر العبادات مقداراً، وجعل لها أوقاتاً، ولم يجعل لذكر الله تعالى مقداراً ولا وقتاً، وأمر بالكثرة بغير مقدار، وهو قوله تعالى: ﴿**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً**﴾ [الأحزاب: ٤١] يعنى اذكروه فى جميع الأحوال.

وتفسير الذكر فى الأحوال كلها: أن العبد لا يخلو من أربعة أحوال: أن يكون فى الطاعة، أو فى المعصية، أو فى النعمة، أو فى الشدة. فإن كان فى الطاعة فينبغى أن يذكر الله تعالى بالتوفيق، ويسأله القبول، وإن كان فى المعصية فينبغى أن يدعو الله بالامتناع، ويسأله النوبة، وإن كان فى النعمة يذكره بالشكر، وإن كان فى الشدة يذكره بالصبر.

واعلم أنّ فى ذكر الله تعالى خمس خصال محمودة:

أولها: أن فيه رضا الله تعالى.

والثانى: أنه يزيد فى الحرص على الطاعات.

والثالث: أن فيه حِرْزاً من الشيطان إذا كان ذاكراً لله تعالى .

والرابع: أن فيه رقّة القلب.

والخامس: أن يمنعه من المعاصى.

***

(١) حسن: أحمد (١/٤٧) ، والترمذى (٣٤٢٨) ، وابن ماجه (٢٢٣٥) ، والحاكم (١/٥٣٨).

باب الدّعاء

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبى قال: حدثنا أبو بكر إبراهيم قال: حدثنا سالم بن أبى مقاتل القاضى، عن أبى معشر، عن محمد بن كعب، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال: من رزق خمساً لم يحرم خمساً:(١)

من رزق الشكر لم يحرم الزيادة، لقوله تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

ومن رزق الصبر لم يحرم الثواب لقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُون أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ومن رزق التوبة لم يحرم القبول لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى: ٢٥].

ومن رزق الاستغفار لم يحرم المغفرة لقوله تعالى: ﴿ استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ﴾ [نوع: ١٠] .

ومن رزق الدعاء لم يحرم الإجابة لقوله تعالى: ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

وقد روى السادس: من رزق الإنفاق لم يحرم الخلف لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقد روى السابع: ومن أعطى الجهد لا يُحرم التوفيق، لقوله تعالى: ﴿والذين جَاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

٦٠٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل. قال: حدثنا محمد بن جعفر. قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن ليث، عن زيادة بن المغيرة، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: « **ما من مسلم يدعو بدعاء إلا استجيب له، فإما أن يعجل له فى الدنيا، وإما أن يدّخر له فى الآخرة، وإما أن يكفّر عنه من ذنوبه بقدر ما دعا مالم يَدْعُ بإثم أو قطيعة رحم**»(٢).

---

(١) ضعيف * فيه (أبو مشعر نجيح بن عبد الرحمن) ضعيف، زسنَّ واختلط.

(٢) فيه ضعف * فيه (ليث بن أبى سليم) صعِّف لإختلاطه وانظر الحديث (٦٠٩) .

وعن يزيد الرقاشى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا كان يوم القيامة عرض الله تعالى كلّ دعوة دعا بها العبد فى الدنيا فلم يجبْ بها، فيقول له: عبدى دعوتنى يوم كذا فأمسكت عليك دعوتك ، فهذا الثواب مكان ذلك الدعاء، فلا يزال العبدُ يُعطى من الثواب حتى يتمنّى أنه لم يكن أجابه فى الدنيا دعوةً قط.

٦٠٨ ـ وروى النعمان بن بشير ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « **الدعاء هو العبادة**» ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ**﴾ [غافر: ٦٠] (١).

وقال أبو ذر الغفارى: يكفى من الدعاء، مع البرّ؛ مثل مايكفى الطعام من الملح.

٦٠٩ ـ وعن الحسن البصرى، عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا يزال العبد بخير مالم يستعجل**». قالوا: وكيف يستعجل يارسول الله؟ قال: « **يقول دعوتُ الله ودعوتُ فلم يستجب لى** »(٢).

وعن الحسن أنه دخل على أبى عثمان النهدى يعوده وهو مريض، فقال لأبى عثمان: يا أبا عثمان، ادعُ الله بدعوات فقد بلغك فى دعاء المريض ما قيل فيه، قال: فحمد الله وأثنى عليه، وتلا آيات من كتاب الله تعالى ، وصلى على النبى ـ ﷺ ـ، ثم رفع يده، ورفعنا أيدينا، فدعاً فلما وضعنا أيدينا قال: أبشروا، فوالله لقد استجاب الله لكم فقال الحسن: أتأتلى على الله؟ قال: نعم ياحسن، لو حدثتنى بحديث لصدقتك، فكيف لا أصدّقه وهو يقول: ﴿ **ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠] فلما خرجوا قال الحسن: إنه لأفقه منى.

وذكر أن موسى ـ عليه السلام ـ سأل ربه، فقال: أىّ ساعة أدعوك ياربّ فتستجيب لى فيها؟فقال: أنت عبدى، وأنا ربّك، فمتى دعوتنى أستجب، فعاوده مراراً، فقال له ربّه: ادعنى فى كبد الليل فإنى أستجيبُ، وإن دعانى فيها عشّار(٣).

وذكر أن رابعة العدوية خرجت إلى المقبرة، فاستقبلها رجلٌ فقال: لها: ادعى الله لى. فقالت: يرحمك الله، أطع الله، وادْعُه فإنه يجيبُ المضطر إذا دعاه.

٦١٠ ـ وروى الأعمش عن مالك بن الحارث قال: « يقول الله تعالى: من شغله

---

(١) **صحيح*** أحمد (٤/ ٢٦٧، ٢٧١) ، وأبو داود (١٤٧٩) ، والترمذى (٣٣٧٢) ، وابن ماجه (٣٨٢٨).

(٢) **متفق عليه*** البخارى(١١/ ١٣٤٠) ، ومسلم (٤/ ٢٧٣٥) من حديث أبى هريرة.

(٣) **العشار*** هو الذى يقرض المال نظير العشر.

ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين»[1].

وعن جعفر بن بُرْقان، عن صالح بن مسمار، قال: يقول الله تعالى: تدعوننى وقلوبكم معرضة عنى فباطل ماتذهبون .

وقيل لبعض الحكماء: إنا لندعو فلا يستجاب لنا، وقد قال الله تعالى: ﴿ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠] قال: لأن فيكم سبع خصال تمنع دعاءكم من السماء قيل: وما هن؟ قال:

أولها: أنكم أسخطتم ربكم ولم تطلبوا رضاه، يعنى أنكم تعملون أعمالاً توجب عليكم السّخط من الله بها ولم ترجعوا عن ذلك، ولم تندموا على مافعلتم.

والثانى: أنكم تقولون نحن عبيد الله، ولا تعملون عمل العبيد. يعنى أنّ العبدَ يعمل بما أمره سيده ولا يخرج عن أمره.

والثالث: أنكم تقرؤون القرآن ولم تتعاهدوا حروفه، يعنى لا تقرؤون بالتفكّر والتّعظيم ولا تعملون بما أمر الله فيه .

والرابع: أنكم تقولون نحن أمة محمد ﷺ ولم تعملوا بسنته يعنى أنكم تعملون بالرسم ـ العادة ـ ولا تعملون بالسنّة.

والخامس: أنكم تقولون إن الدنيا عارية، وقد اطمأننتم إليها.

والسادس: أنكم تأكلون الحرام والشبهة، ولا ترجعون عنهما .

والسابع: أنكم تقولون: إنّ الآخرة خير من الدنيا، ولا تجتهدون فى طلبها وتختارون الدنيا على الآخرة.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: ينبغى لمن دعا الله أن يكونَ بطنه طاهراً من الحرام فإن الحرام يمنع الإجابة.

٦١١ ـ وقد روى عن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: يا رسول الله، أدعو الله فلا يستجيب لى دعائى، فقال النبى ـ ﷺ ـ: « **ياسعد، اجتنب الحرام، فإنّ كلّ بطن دخل فيه لقمة من حرام لا يستجاب دعاؤه أربعين يوماً** »[2].

---

(١) تقدم تخريجه (٦٠٣) بإسناد حسن: وفي هذا الطريق (الأعمش) مع ثقته كان يدلس.

(٢) ضعيف# قال الهيثمى فى « المجمع» (١٠/ ٢٩١)، رواه الطبرانى فى الصغير، وفيه من لم أعرفهم.

وينبغى لمن دعا أن لا يستعجل؛ لأنّ الداعى إذا دعا الرب تبارك وتعالى أجابه الرب عز وجل البتة، وربما تتبيّن الإجابة من ساعتة، وربما تتبيّن فى وقت آخر، وربما تتبيّن فى الآخرة ولا تتبيّن فى الدنيا.

وذكر فى الخبر أن موسى ـ عليه السلام ـ دعا على فرعون وقومه بالهلاك وأمّن هارون ـ عليه السلام ـ فأوحى الله تبارك وتعالى إليهما ﴿**قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا**﴾ [يونس: ٨٩] قال ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: كان بين الدعاء والإجَابة أربعون سنة.

٦١٢ ـ وروى يزيد الرقاشى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا أحبّ الله عبداً ضرب وجهه بالبلاء كما تضرب الغريبة من الإبل عن حياض الماء، فيكون مرحوماً فى أهل السماء وما من دعوة يدعو بها إلا أعطاه الله تعالى إحدى خصال ثلاث**»(١) وقد ذكرناها.

وقال بعض الحكماء: أربعة لا سعادة فيهم:

أحدهم: الذى يبخل بالصلاة والسلام على النبى ﷺ.

والثانى: الذى لا يجيبُ المؤذن.

والثالث: من استعان به إنسانٌ بخير فلا يعينه.

والرابع: الذى يعجزُ أن يدعو لنفسه وللمؤمنين دُبرِ صلواته.

وقال عبد الله الأنطاكى ـ رضى الله تعالى عنه ـ: دواء القلب خمسة أشياء: مجالسة الصالحين، وقراءة القرآن، وإخلاء البطن من الحرام، وقيام الليل، والتضرع عند الصبح.

٦١٣ ـ وروى ابن عباس، عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها، وامسحوا بها وجوهكم**»(٢)

***

---

(١) **ضعيف** * فيه علتان. الأولى (يزيد الرقاشى) ضعيف. الثانية: الانقطاع

(٢) **ضعيف بتمامه*** أبو داود (١٤٨٥) وضعف طرقه ورواه برقم (١٤٨٦) عن مالك بن يسار السكوانى دون الجملة الأخيرة ـ بإسناد صحيح.

باب ماجاء في التّسبيح

٦١٤ ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا محمد بن الفضل الضبى، عن عمارة بن القعقاع، عن أبى زرعة، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم وبحمده**» (١).

٦١٥ـ قال: وحدثنى الثقة بإسناده عن خالد بن عمران أن النبى ﷺ خرج على قومه فقال: « خذوا جُنّتكم» فقالوا: يارسول الله، أمن عدو حضر؟ قال: « **لا، بل من النار**»، قالوا: وما جنتنا من النار؟ قال: « **سبحان الله، والحمد لله ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات ومجنبات ومعقبات، وهن الباقيات الصالحات**»(٢).

ومعنى قوله ﷺ « **مقدمات**» يعنى يقدمن صاحبهن إلى الجنة. و«**مجنبات**» يعنى يجنبن صاحبهن النار و« **معقبات**» يعنى حافظات.

٦١٦ ـ قال: وحدثنى الثقة بإسناده عن الضحاك عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: جاء إسرافيل ـ عليه السلام ـ إلى النبى ﷺ وقال:

«قل يامحمد: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم. عدد ما علم الله تعالى، وزنة ماعلم الله تعالى، وملء ما علم الله تعالى، فمن قالها مرة كتب الله له خمس خصال؛ كتب من الذاكرين الله كثيراً وكان أفضل من ذكره بالليل والنهار، وكأن له غرساً فى الجنة، وتحاتت عنه ذنوبه كما يتحاتّ ورق الشّجر اليابس، ونظر الله إليه، ومن نظر إليه لم يعذبه»(٣).

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: إن الله تعالى لما خلق العرش أمر الحملة بحمله، فثقل عليهم فقال الله تعالى: قولوا: سبحان الله، فقالت الملائكة سبحان الله، فتيسر عليهم حمله، وجعلوا يقولون طول الدهر: سبحان الله

---

(١) **متفق عليه*** البخارى (١١/ ٦٤١٠، ٦٦٨٢، ١٣/٧٥٦٣)، ومسلم (٤/ ٢٦٩٤).

(٢) **صحيح*** النسائى فى « اليوم والليلة» (٨٤٨)، والبيهقى فى « الشعب» (٦٠٦)، وصححه الحاكم (١/ ٥٤١) ولم يتعقبه الذهبى. جميعاً عن أبى هريرة.

(٣) **فيه ضعف*** فيه (الضحاك بن مزاحم) لم يلق ابن عباس . كما فى « مراسيل ابن أبى حاتم » (١٤٩).

إلى أن خلق الله آدم عليه السلام، فلما عطس آدم ـ عليه السلام ـ ألهمه الله تعالى قول الحمد لله، فقال الله تعالى: يرحمك ربك. ولهذا خلقتك،. فقالت الملائكة: كلمة ثانية جليلة شريفة، لا ينبغى لنا أن نتغافل عنها، فضمتها إلى هذه.

فقالوا على طول الدهر: سبحان الله والحمد لله إلى أن بعث الله نوحاً ـ عليه السلام ـ وكان أول من اتخذ الأصنام قوم نوح، فأوحى الله تعالى إلى نوح أن يأمر قومه أن يقولوا لا إله إلا الله، فيرضى عنهم. فقالت الملائكة: هذه كلمة ثالثة جليلة شريفة لا ينبغى لنا أن نتغافل عنها فضمتها إلى هاتين، فجعلوا يقولون على طول الدهر سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله، إلى أن بعث الله إبراهيم ـ عليه السلام ـ فأمره بالقربان، ثم فداه بكبش، فلما رأى الكبش قال: الله أكبر فرحاً بذلك. فقالت الملائكة: هذه كلمة رابعة جليلة شريفة فضمتها إلى هذه الكلمات، فجعلوا يقولون: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

فلما حدث جبريل ـ عليه السلام ـ بهذا الحديث النبى ﷺ قال تعجباً: «لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»، فقال جبريل ـ عليه السلام ـ: اضمم هذه الكلمة إلى هؤلاء الكلمات »(١).

٦١٧ ـ وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، إن الله يعطى المال من يحب ومن لا يحب، ولايعطى الإيمان إلا من يحب. فإذا أحب الله عبداً أعطاه الإيمان فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فيكثر من قوله: لا إله إلا الله، والله أكبر وسبحان الله والحمد لله»(٢).

٦١٨ ـ وروى أبو هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺأنه قال: «**لأن أقولَ: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، أحبّ إلىّ مما طلعت عليه الشمسُ**»(٣).

٦١٩ ـ وروى سمرة بن جندب عن النبى ﷺ أنه قال: «**أفضل الكلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، لا يضرك بأيهن بدأت**» (٤).

وروى عن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه كان إذا سمع سائلاً يسأل

---

(١) لم أقف على إسناده.

(٢) **حسن*** الحاكم (١/ ٣٣، ٣٤)، والبيهقى فى « الشعب» (٦٠٧) بإسناد حسن. وله طريق أخرى ضعيفة رواها أحمد (١/ ٣٨٧)، والحاكم (٢/ ٤٤٧، ٤/ ١٦٥)، والبيهقى(٥٥٢٤) فيه (الصباح بن محمد) ضعيف

(٣) **صحيح** *مسلم (٤/ ٢٦٩٥) ، والترمذى (٣٥٩٧).

(٤) **صحيح*** مسلم (٣/ ٢١٣٧) ، وابن ماجه (٣٨١١) ، وأحمد (٥/ ٢١)

شيئاً ويقول: ﴿مَنْ ذَا الَّذِى يُقْرِضُ الله قَرْضاً حَسَناً﴾ [البقرة: ٢٤٥] فيقول عبد الله ابن مسعود: سبحان اللهَ والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر. وقال: هذا هو القرض الحسن.

قال الفقيه: يعني إذا كان الرجل معسراً، ولم يكن معه شيء يتصدّق به، فليقلْ هذه الكلمات، فينال فضلَ الصدقة.

٦٢٠ - وروى في الخبر أن النبى ﷺ حثّ أصحابه على الصدقة فجعل الناس يتصدقون، وأبو أمامة الباهلى جالس بين يدى النبى ﷺ وهو يحرّك شفتيه، فقال له رسول الله ﷺ: «**إنك تحرك شفتيك، فماذا تقول عند ذلك؟**» فقال أبو أمامة الباهلى: يارسول الله، أرى الناس يتصدّقون، وليس لى شيء أتصدق به، فأقول فى نفسى: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله ، والله أكبر. فقال النبى ﷺ: «**يا أبا أمامة هذه الكلمات خير لك من مدّ ذهب تتصدّق به على المساكين**»(١).

***

باب فضل الصّلاة على النّبى ﷺ

٦٢١ - قال الفقيه: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا ابن أبى فديك، عن يحيى بن عبد الرحمن - رضىَ الله تعالى عنهما - عن جدّه محمد بن عبد الرحمن، أنّ النبى ﷺ قال: «**ما منكم من أحد سلّم علىّ إذا مت إلا جاءنى جبريل، فقال جبريل: يا محمد هذا فلان بن فلانَ يقرئك السلام، فأقول: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته**»(٢).

٦٢٢ - قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن سعيد بن المسيب - رضى الله تعالى عنه - قال: عمر : بلغنى أن الدعاء [موقوف] بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء، حتى تصلّى على نبيك عليه السلام»(٣).

٦٢٣ - قال: حدثنا الفقيه أو جعفر - رضى الله تعالى عنه -، حدثنا أبو بكر بن أبى يزيد، قال: حدثنا أبو جعفر محمد بن سلمة عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فقال: «**آمين**» ثم صعد،

---

(١) صحيح* أحمد (٥/ ٢٤٩)، والنسائى فى « اليوم والليلة» (١٦٦)، وابن حبان (٢٣٣١)، وصححه الحاكم (١/ ٥١٣) ولم يتعقبه الذهبى.

(٢) حسن* أحمد(٥/ ٥٢٧)، وأبوداود(٢٠٤١)، والبيهقى(٥/ ٢٤٥)انظر: الصحيحة(٢٢٦٦)عن أبى هريرة بنحوه.

(٣) حسن* الترمذى (٤٨٦) وغيره. انظر: الصحيحة (٢٠٣٥).

فقال: «آمين»، ثم صعد، فقال: «آمين» ثم استوى فجلس، فقال له معاذ بن جبل: صعدت فأمّنت ثلاثاً قال: «**أتانى جبريل، فقال: يامحمد من أدرك رمضان فلم يغفر له فمات فدخل النار فأبعده الله، قلت: آمين، وقال: من أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله، قلت آمين، وقال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله، قلت آمين**»[1].

٦٢٤ ـ وروى عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال: «**من صلّى علىّ فى اليوم مئة مرة، قضى الله له مئة حاجة، سبعين منها فى الآخرة، وثلاثين فى الدنيا**» [2].

٦٢٥ ـ وعن سعيد بن عمير الأنصارى وكان بدريا، أى قاتل يوم بدر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من صلّى علىّ من أمتى مُخلصاً من قلبه صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات ورفع له عشر درجات، ومحا عنه عَشر سيئات**»[3].

قال: وسمعت أبى يحكى قال: كان سفيان الثورى بينما هو يطوف إذ رأى رجلاً لا يرفع قدماً، ولا يضع قدماً إلا وهو يصلى على النبى ﷺ قال: قلت له: ياهذا، إنك قد تركت التسبيح والتهليل وأقبلت على الصلاة على النبى ﷺ هل عندك فى هذا شيء؟ قال: مَن أنت عافاك الله؟ فقلت: أنا سفيان الثورى. قال: لولا أنك غريب فى أهل زمانك، ما أخبرتك عن حالى، ولا أطلعتك على سرى.

ثم قال لى: خرجت أنا ووالدى حاجين إلى بيت الله الحرام، حتى إذا كنت فى بعض المنازل، مرض والدى، فقمتُ لأعالجه، فبينما أنا ذات ليلة عند رأسه إذا مات والدى، واسودّ وجهه فقلت: إنا لله وإنا إليه راجعون، فجذبت الإزار على وجهه فغطيته، فغلبتنى عينى فنمت، فإذا أنا برجل لم أر أحسن منه وجهاً، ولا أنظف منه ثوباً، ولا أطيب منه ريحاً، يرفع قدماً ويضع أخرى حتى دنا من والدى، فكشف الإزار عن وجه فأمرّ يده على وجهه، فابيضّ، ثم ولّى راجعاً، فتعلقت بثوبه، فقلت: يا عبد الله، من أنت الذى منّ الله على والدى بك فى أرض الغربة؟ فقال: أو ما تعرفنى، أنا محمد بن عبد الله صاحبِ القرآن، أما إنّ وادك كان مسرفاً على

---

(١) فيه (حميد بن أبى حميد الطويل) مع ثقته كان يدلس عن آنس كما فى «التهذيب»(٣/ ٣٤) وله شاهد (صحيح) عن جابر بن سمرة . انظر. صحيح الجامع (٧٥) والقول البديع(١٣٦ ـ ١٣٩)

(٢) رواه ابن منده ـ قال أبو موسى المدينى. غريب حسن. كما فى « القول البديع » (١٢٣).

(٣) **صحيح*** النسائى فى«اليوم والليلة»(٦٤)، والأصبهانى فى«الترغيب»(١٦٧٣) وانظر: المجمع (١٠/ ١٦٢)

نفسه، ولكن كان يكثر الصلاة عليّ، فلما نزل به مانزل، استغاث بى وأنا غياث لمن أكثر الصلاة عليّ، فانتبهت فإذا وجه أبى أبيض[1].

٦٢٦ - وروى عن عمرو بن دينار، عن أبى جعفر، أن النبى ﷺ قال: «**من نسى الصلاة عليّ، فقد أخطأ طريقَ الجنة**»[2].

٦٦٧ - وعن ابن بريدة، عن أبيه، عن النبى ﷺ أنه قال: « أربع من الجفاء: أن يبول الرجل وهوَ قائم، وأن يمسحَ جبهتَه قبل أن يفرغَ من الصلاة، وأن يسمعَ النداء فلا يشهد مثل ما يشهد المؤذن، وأن أُذكر عنده فلا يصلّى عليّ»[3].

٦٢٨ - وروى أبو هريرة رضى الله تعالى عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «**صلّوا عليّ، فإنّ الصَّلاةَ عليّ زكاةٌ لكم، واسألوا الله لى الوسيلة**» قالوا: وما الوسيلة يارسول الله؟ قال: «**أعلى درجة فى الجنة، لا ينالها إلا رجلٌ واحد، وأنا أرجو أن أكون أنا هو**»[4].

قال الفقيه - رحمه الله تعالى -: معنى قوله ﷺ «**زكاة لكم**»؛ يعنى طهارة لكم ومغفرة لذنوبكم، فلو لم يكن للصلاة على النبى ﷺ ثواب سوى أنه يُرجى بذلك شفاعته لكان الواجب على العاقل أن لا يغفل عنها، فكيف وفيها مغفرة الذنوب، وفيها الصلاة من الله تعالى.

٦٢٩ - وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «**من صلّى عليّ صلاةً واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحطّ عنه عشر خطيئات**»[5].

وإذا أردتَ أن تعرفَ أنَّ الصَّلاةَ على النبى ﷺ أفضل من سائر العبادات فانظر وتفكر فى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ الله وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً**﴾ [الأحزاب: ٥٦] ففى سائر العبادات أمر الله تعالى عباده، بها، وأما الصلاة على النبى ﷺ فقد صلّى عليه بنفسه أولاً، وأمر ملائكته بالصلاة عليه، ثم أمر المؤمنين بأن يصلّوا عليه، فثبت بهذا أن الصلاة على

---

(١) فى سنده جهالة.

(٢) صحيح* ابن ماجة (٩٠٨) عن ابن عباس. وله شواهد. انظر: صحيح الجامع (٦٥٦٨)

(٣) ضعيف مرفوع* ابن عدى (١٢٥/٧)، والبيهقى (٢٨٦/٢) عن أبى هريرة. فيه (هارون ابن هارون) ضعيف. وانظر: الإرواء (٥٩).

(٤) ضعيف* أحمد (٣٦٥/٢)، والأصبهانى فى« الترغيب» (١٦٦٨). فيه (ليث بن أبى سليم) مختلط.

(٥) صحيح* النسائى فى « الصغرى » (٣/ ٥٠) وفى « اليوم والليلة» (٦٢)، وابن حبان (٢٣٩٠)، والحاكم (١/ ٥٥٠) وصححه ولم يتعقبه الذهبى.

النبى ﷺ أفضل العبادات.

٦٣٠ ـ وروى عن عبد الرحمن بن أبى ليلى، عن كعب بن عجرة قال، قلنا: يا رسول الله كيف نصلّى عليك؟ قال: « **قولوا: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(١).

وقال بعضهم: الصلاة على النبى ﷺ: أن يقول: اللهم صليتُ كما صليتَ أنتَ وملائكتك على محمد.

وقال بعضهم: الصلاة عليه أن يقول: اللهم إنّى أشهدك وأشهد ملائكتك أنّى أصلى على محمد.

وقال بعضهم: أن يقول: اللهم صلّ على محمد، وعلى آل النبى الأمى وعلى آله.

***

باب ماجاء فى فضل لا إله إلا الله

٦٣١ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يعلى بن عبيد، حدثنا الإفريقى، عن أبى عبد الرحمن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: قال رسول الله ﷺ. « **يؤتى بالرّجل يوم القيامة إلى الميزان، فيخرج له تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مدّ البصر، فيها خطاياه وذنوبه، فيوضع فى كفة الميزان، ثم يخرج قرطاس مثل أنملة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيوضع فى الكفة الأخرى فيرجح عن خطاياه** »(٢).

٦٣٢ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو مولى المطلب، عن المطلب بن حنطب، أن النبى ﷺ قال: « **أفضل ماقلت أنا والنبيون من قبل لا إله إلا الله** »(٣).

٦٣٣ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا عبد الله بن حبان، حدثنا أبو جعفر، عن محمد بن عبد الله المنادى البغدادى، حدثنا

---

(١) **متفق عليه*** البخارى (١١/٦٣٥٧) ومسلم (٤٠٦).

(٢) **صحيح** * أحمد(٢/٢١٣)، والترمذى (٢٦٣٩)، وابن ماجه(٤٣٠٠)، وفى سند المصنف(الإفريقى) ضعيف

(٣) **حسن*** الترمذى (٣٥٨٥) مطولاً من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.

إبراهيم بن هدبة، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: قال رسول الله ـ ﷺ . « نزل عليّ جبريل ـ عليه السلام ـ وهو يتلو هذه الآية: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ والسَّمَوات وَبَرَزُوا لله الوَاحِد القَهَّار﴾ [إبراهيم: ٤٨] قال النبى ﷺ : «يا جبريل كيف يكون الناس يوم القيَامَة»؟ قال: يامحمد، يكونون على أرض بيضاء، لم يعمل عليها ذنب قط، فإذا زفرت جهنم زفرة تتعلّق الملائكة بالعرش، ويقولُ كلّ ملك: يارب لا أسألك إلا نفسى، وتكون الجبال كالعهن المنفوش.

قال: « ياجبريل وما العهن المنفوش»؟ قال: يعنى الصوف المندوف وتذوب الجبال من مخافة جهنم يامحمد، فيُجاء بجهنم يوم القيامة، وهى تزفر زفرةً عليها سبعون ألف زمام، على كل زمام سبعون ألف ملك؛ حتى تُوقف بين يدى الله عز وجل، فيقول لها: ياجهنم، تكلّمى، فتقول: لا إله إلا الله، وعزّتك وعصمتك لأنتقمن لك اليوم ممن أكل رزقك، وعبد غيرك، لا يجاوزنى إلا من عنده جواز.

قال النبى: « ياجبريل، وما الجواز يوم القيامة »؟ قال: أَبْشرْ يا محمد، فإن أمتك يوم القيامة على الجواز، ألا من شهد أنه لا إله إلا الله فقد جاز من جسر جهنم. فقال النبى ﷺ : « الحمد لله الذى ألهم أمتى شهادة أن لا إله إلا الله»(١).

وروى عن عطاء بن أبى رباح، قال: سألت ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن قول الله عز وجل: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التوب شديد العقاب﴾ [غافر: ٣] لمن قال لا إله إلا الله، وقابل التوبَ لمن قَال لاَ إلَه إلا الله، وشديد العقاب لمن لا يقول لا إله إلا الله.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: الواجب على كل إنسان أن يكثر من قول لا إله إلا الله، ويسأل الله تعالى فى آناء الليل وأطراف النهار أن لا ينزع منه الإيمان وهذا القول منه. ويحفظ نفسه من المعاصى، فإنّ كثيراً من الناس يقولون هذا القول، ثم ينزع منهم فى آخر عمرهم بسبب أعمالهم الخبيثة، ويخرجون من الدنيا على الكفر نعوذ بالله، وأى مصيبة أعظم من هذا؟

إن الرجل كان اسمه من المسلمين فى جميع عمره، فيبعث يوم القيامة واسمه من الكافرين، فهذا هو الحسرة كل الحسرة، وليست الحسرة بالذى يخرج من الكنيسة أو من بيت النار فيدخل جهنم، ولكن الحسرة بالذى يخرج من المسجد، فيطرح فى النار، وذلك كله بسبب أعماله الخبيثة وارتكابه المحرمات فى السراء، فرب رجل وقع فى يده

(١) ضعيف جداً: فيه (إبراهيم بن هدبة) متروك الحديث. الميزان (١/ ٧١).

شيء من أموال الناس، فيقول: أنفقها ثم أردها، أو أستحل منهم فيموت قبل أن يرضى خصمه، ورب إنسان وقع بينه وبين امرأته حرمة. فيقول: كيف أدعها وبيننا أولاد، فيصر على ذلك فيأتيه الموت وهو على الحرام، وربما ينزع منه الإيمان بسبب ذلك.

فانظرْ يا أخي، واجتهدْ في إصلاح أمرك قبل أن يأتيك الموت، فإنك لا تدرى متى يأتيك الموت واعلم أن العمر قليل، والحسرة طويلة وعليك أن تكثر من قول لا إله إلا الله، وأن تعمل ما هو شكر لهذه النعمة العظيمة، فإنّ النّعمةَ تبقى مع الكشر.

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ: لا إله إلا الله ثمن الجنة.

٦٣٤ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قيل له: يارسول الله هل للجنة ثمن؟ قال: « **نعم. لا إله إلا الله**»(١).

٦٣٥ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قلت : يارسول الله من أسبق الناس إلى شفاعتك؟ قال: « **من قال لا إله إلا الله خالصاً من نفسه**»(٢).

وعن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿**رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ**﴾ [الحجر: ٢]، قال: إذا أخرج من النار من قال لا إله إلا الله، قال المشركون: ياليتنا كنّا مسلمين .

وعن عطاء فى قوله تعالى: ﴿**مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا**﴾ [النمل: ٨٩] يعنى من قال: لا إله إلا الله، فله الجنة، ﴿**وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى النَّارِ**﴾ [النمل: ٩٠] يعنى من جاء بالشرك.

وعن الحسن البصرى فى قوله تعالى: ﴿**هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ**﴾ [الرحمن: ٦٠] قال: جزاء من قال لا إله إلا الله إلا الجنة.

٦٣٦ ـ وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن جبريل ـ عليه السلام ـ جاء إلى النبى ﷺ يوماً فقال: «يامحمد، إنّ الربّ يقرئك السلام، وهو يقول مالى أراك مغموماً حزيناً؟ ـ وهو أعلم به ـ فقال: ياجبريل، قد طال تفكّرى فى أمر أمتى يوم القيامة قال: يامحمد فى أمر أهل الكفر أم فى أمر أهل الإسلام ؟ قال: ياجبريل لا بل فى أمر أهل لا إله إلا الله، قال: فأخذ بيده حتى أقامه على مقبرة بنى سلمة، فضرب

---

(١) **ضعيف جداً** * أبو نعيم فى « صفة الجنة» (٥١) وفيه (أسيد بن زيد) ضعيف و(أبان بن أبى عياش) متروك ورواه ابن عدى (٦/٣٤٨) وفيه (موسى بن إبراهيم) مجهول وفيه (حميد الطويل).

(٢) **صحيح** * البخارى (٩٩)

بجناحه الأيمن على قبر ميت، فقال: قم بإذن الله، فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله، الحمد لله رب العالمين، فقال له جبريل: عُدْ، فعاد كما كان، ثم ضرب بجناحه الأيسر على قبر ميت، فقال: قم بإذن الله، فخرج رجل مسود الوجه أزرق العينين، وهو يقول: واحسرتاه واندامتاه واسوأتاه فقال له: عُد فعاد كما كان، ثم قال جبريل: هكذا يبعثون يوم القيامة على ماماتوا عليه»(١).

٦٣٧ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: « **لقّنوا موتاكم لا إله إلا الله، فإنها تهدم الذنوب، هدماً**»، قالوا : يارسول الله، فإن قالها فى حياته قال: «**هى أهدم وأهدم**»(٢).

٦٣٨ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**احضروا موتاكم فلقّنوهم لا إله إلا الله، وبشّروهم بالجنة، فإن الحكيم العليم من الرجال والنساء يحار عند ذلك المصرع، وإن إبليسَ عدوّ الله أقرب ما يكون من العبد فى ذلك الموطن؛عند فراق الدنيا وترك الأحبة، ولا تقنطوهم، فإنّ الكربَ شديدٌ والأمر عظيم، والذى نفس محمد بيده لمعالجةٌ ملك الموت أشدّ من ألف ضربة بالسيف**»(٣)

وروى فى الخبر أن رجلاً كان فى بنى إسرائيل من أعبد الناس، وكان فى زمنه رجل آخر من أفجر الناس، فمات العابد، فقيل لموسى عليه السلام: إنه من أهل الجنة. قال موسى ـ عليه السلام ـ لامرأة العابد ـ: ما كان عمله؟ قالت: كان من أعبد الناس وما يخفى عليكم. فقال: وما كان عمله أيضاً؟ قالت: كان إذا أوى إلى فراشه، قال: طوبى لنا إن كان ماجاء به موسى حقاً. وقال لامرأة الفاجر: ما كان عمله؟ قالت: كان من أفجر الناس، وما يخفى عليكم. فقال: وما كان عمله أيضاً؟ قالت: كان إذا أوى إلى فراشه، قال: لا إله إلا الله، والحمد لله على ماجاء به موسى عليه السلام.

٦٣٩ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**ومن قال لاإله إلاالله خرج من فيه طير أخضر، له جناحان أبيضان مكللان بالدر والياقوت، فعرج إلى السماء، فيسمع له دوى تحت العرش كدوى النحل، فيقال له: اسكن. فيقول: لا، حتى يغفر لصاحبى، فيغفر لقائلها، ثم يجعل بعدها لذلك الطائر سبعون لساناً يستغفر لصاحبه إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة جاء ذلك الطائر فأخذ بيد صاحبه حتى يكون قائده ودليله إلى الجنة**»(٤).

---

(١) لم أقف على إسناده وفى القلب منه شىء.

(٢) **أوله صحيح*** مسلم (٢/٩١٦)، وأبو داود (٣١١٧) ، والترمذى (٩٧٦)، والنسائى (٤/ ٥)، وابن ماجه (١٤٤٥)، وأحمد (٣/٣) عن أبى سعيد الخدرى.

(٣) **ضعيف*** أبو نعيم فى « الحلية» (٥/١٨٦) عن واثله واستغربه . قلت: هو من رواية إسماعيل بن عياش عن غير الشامين ـ ضعيفة ـ ومكحول مختلف فى سماعه عن واثلة .

(٤) ذكر ابن الجوزى صدره بنحوه فى « الموضوعات» (١/ ٤٦).

وروى فى الخبر أن الله تعالى لما أغرق فرعون، وأنجى موسى عليه السلام، قال موسى: يارب دلنى على عمل أعمله يكون شكراً لما أنعمت عليّ. قال: يا موسى، قل لا إله إلا الله، وكان موسى يطلب الزيادة، فقال: ياموسى ، لو وضعت سبع سماوات وسبع أرضين فى كفة الميزان ووضعت لا إله إلا الله فى الكفة الآخرى؛ لرجح لا إله إلا الله.

وعن مجاهد قال: ثلاث لا يحجبهن عن الله شيء: شهادة أن لا إله إلا الله؛ يدعوه موقن بالإجابة، . ودعوة الوالد لولده، ودعوة المظلوم على الظالم.

٦٤٠ ـ وروى عن بعض الصحابة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: من قال لا إله إلا الله من قلبه خالصاً، ومدّها بالتعظيم، كفّر الله عنه آربعة آلاف ذنب من الكبائر قيل: إن لم يكن له أربعة آلاف ذنب، قال: يغفر من ذنوب أهله وجيرانه[١].

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: يقال من حفظ سبع كلمات فهو عند الله شريف، وعند الملائكة شريف، وغفر الله له ذنوبه، وإن كانت مثل زبد البحر، ويجد حلاوة الطاعة، وتكون حياته ومماته خيراً له.

أولها: أن يقول عند ابتداء كل شيء: بسم الله.

والثانى: أن يقول بعد الفراغ من كل شيء: الحمد لله.

والثالث: إذا جرى على لسانه لغو أو عمل سوء قلّ أو كثر يقول بعده: أستغفر الله.

والرابع: إذا أراد أن يقول: أفعل غداً كذا، فيقول على أثره: إن شاء الله.

والخامس: إذا استقبله مكروه يقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

والسادس: إذا أصابته مصيبة فى النفس أو فى المال قلّ أو كثر يقول: إنّا لله وإنا إليه راجعون.

والسابع: لا يزال يجرى على لسانه فى آناء الليل وأطراف النهار: لا إله إلا الله.

٦٤١ ـ وروى عن عمرو بن دينار عن جابر بن عبد الله قال: حدثنا من سمع معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه لما حضرته الوفاة يقول: اكشفوا عنى، فإنى سمعت من رسول الله ﷺ حديثاً لم يمنعنى أن أحدّثكم به إلا أن تتكلّموا به سمعت

---

(١) باطل* الديلمى (٥٥١١) عن أنس فيه (محمد بن رزام) متهم بالوصع .و(عباد بن كثير) متروك.

النبى ﷺ يقول: « **من قال لا إله إلا الله مخلصاً موقناً دخل الجنة**»(١).

٦٤٢ - وروى عن النبى ﷺ أنه قال: « **من لُقِّن عند الموت لا إله إلا الله دخل الجنة**»(٢).

٦٤٣ - وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة** »(٣).

٦٤٤ - قال الفقيه - رحمه الله تعالى - بإسناده عن زيد بن أسلم - عن عمرو بن دينار، عن جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنهم - عن النبى ﷺ أنه قال: «ألا أخبركم بشىء أمر به نوح - عليه السلام - ابنه ؟! قال: يابنى آمرك بأمرين، وأنهاك عن أمرين. آمرك أن تقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له، فإن السماء والأرض لو جعلتا فى كفّه، ولا إله إلا الله فى كفّة أخرى لوزنتهما، وآمرك أن تقول سبحان الله وبحمده فإنها صلاة الملائكة ودعاء الخلق وبها يرزق الخلق، وأنهاك أن تشرك بالله شيئاً، فإن من يشرك بالله شيئاً فقد حرم الله عليه الجنة، وأنهاك عن الكبر، فإنه لا أحد يدخل الجنة وفى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر» (٤).

٦٤٥- وروى فى الخبر: « **من قال لا إله إلا الله، مخلصاً دخل الجنة**»(٥).

فقد اشترط فى هذا القول الإخلاص، ولا يكون الإخلاص إلا أن يمنعه ذلك القول من الذنوب، فإن كان القول لا يمنعه من الذنوب فليس بمخلص، ويخاف أن يكون ذلك القول عنده عارية والعارية تستردّ منه.

قال الفقيه - رحمه الله تعالى -: الناس فى إيمانهم على ضربين : منهم من يكون إيمانه له عطاء، ومنهم من يكون إيمانه له رعاية، فالعلامة فى ذلك: أن الذى يكون إيمانه عطاء يمنعه إيمانه من الذنوب، ويرغبه فى الطاعات، والذى هو عارية لا يمنعه من الذنوب ولا يرغبه فى الطاعات، لأنه لا تدبير له فى مكان هو فيه عارية.

٦٤٦ - وروى أنس بن مالك - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «لا

---

(١) **صحيح*** أحمد (٥/ ٢٣٦) ، وابن حبان (٤، ٧) ، وأبو نعيم (٧/ ٣١٢) . انظر: الصحيحة (٢٣٥٥)
(٢) الخرائطى - بنحوه - عن على - (كنز العمال ٤٢١٩٩).
(٣) **حسن*** أحمد (٥/ ٢٣٣، ٢٤٧) ، وأبو داود (٣١١٦) ، والحاكم (١/ ٣٥١) . انظر: الإرواء (٦٨٧).
(٤) **ضعيف*** عبد بن حميد فى « المنتخب» (١١٥١) فيه علتان الأولى: (موسى بن عبيدة) ضعيف. الثانية: الانقطاع بين زيد بن أسلم وجابر، لم يسمع منه وآخره (**صحيح**) مسلم (١٤٧) عن ابن مسعود .
(٥) **صحيح*** انظر الحديث رقم (٦٤١) ، والصحيحة (٢٣٥٥).

إله إلا الله ثمن الجنة» [1] وفي خبر آخر: «**مفتاح الجنة**» [2].

ويقال: لا إله إلا الله مفتاح الجنة، ولكن المفتاح لابُدَّ له من الأسنان حتى يفتح الباب، ومن أسنانه لسان ذاكر طاهر من الذنوب والغيبة، وقلب خاشع طاهر من الحسد والخيانة، وبطن طاهر من الحرام والشبهة، وجوارح مشغولة بالخدمة طاهرة من المعاصي.

٦٤٧ ـ وعن أبي ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قلت يارسول الله، علمني عملاً يقربني إلى الجنة، ويباعدني من النار. قال: «**إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة، فإنها بعشر أمثالها**»، فقلت: يارسول الله لا إله إلا الله من الحسنات؟ قال: «هي من أحسن الحسنات» [3].

وروى سلمة بن زيد عن حذيفة بن اليمان ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: يدرس الإسلام حتى لا يدري أحد ما الصلاة وما الصيام، حتى أن الرجل ليقول كان من قبلنا من يقول لا إله إلا الله، فنحن نقول لا إله إلا الله، قيل له: فما يغني عنهم لا إله إلا الله؟ قال: ينجون بها من النار، ويدخلون بها الجنة قالها ثلاثا [4].

***

باب ماجاء في فضل القرآن

٦٤٨ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش، عن المعلى، عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنهم ـ أنه قال: «**القرآن شافع مشفّع، ماحل مصدّق، فمن جعله إمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار**» [5].

قال الفقيه رضي الله تعالى عنه: معنى قوله «**شافع مشفع**»، يعني يطلب الشفاعة

---

(١) **ضعيف*** سبق تخريجه برقم (٦٣٤)

(٢) **ضعيف*** أحمد (٥/ ٢٤٢) والبزار (٢ ـ كشف الأستار) فيه علتان. الأولى. الإنقطاع بين شهر ومعاد الثانية. إسماعيل بن عياش ضعيف عن غير الشاميين، وهذه منها

(٣) **فيه ضعف*** أحمد (٥/ ١٦٩) لم يسم (شمر بن عطية) أشياخه ودلّسه الأعمش فعنعنه

(٤) **صحيح مرفوع*** ابن ماجه (٤٠٤٩)، وصححه الحاكم (٤/ ٤٧٣) ولم يتعقبه الذهبي انظر: الصحيحة (٨٧)

(٥) **صحيح بشاهده*** الطبراني في «الكبير» (٣/ ٧٨/ ٢)، وابن عدي (٣/ ١٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٨ ١) وله شاهد عن جابر انظر: الصحيحة (٢٠١٩)

لصاحبه، وتعطى له الشفاعة. «**والماحل**»: الساعى؛ يعنى يسعى لصاحبه إنه لم يقرأه، ولم يعمل به، فيصدق قوله. «**فمن جعله إمامه**» يعنى يقرأه ويعمل به قادة إلى الجنة «**ومن جعله خلفه**»، يعنى جفاه فلم يقرأه، ولم يعمل به ساقه إلى النار يوم القيامة.

٦٤٩ ـ وبهذا الإسناد عن الأعمش، عن حبيب بن أبى ثابت، عن نافع بن عبد الحرث، وكان عامل عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ على مكة، فخرج يتلقى عمر فى بعض حجاته، فقال له عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ: من استعملت على مكة ؟ قال: عبد الرحمن بن أبى أبزى، قال له عمر ـ رضى الله عنه ـ تستعل رجلا من الموالى على قريش؟ قال: يا أمير المؤمنين، إنى لم أَدَعْ خلفى أحداً أقرأ للقرآن منه، قال له ـ رضى الله تعالى عنه ـ :نعم، إنّ الله تعالى رفع بالقرآن رجالاً، ووضع رجالاً، وإن عبد الرحمن بن أبى أبزى ممن رفعه الله بالقرآن»[١].

٦٥٠ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، قال: حدثنا محمود بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا المسيب، عن محمد بن عمرو، عن أبى إسحاق، عن أبى الأحوص، عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: إن هذا القرآن مأدبة الله، فتعلّموا مأدبة الله تعالى ما استطعتم، إن هذا القرآن حبل الله المتين، ونور مبين، وشفاء نافع، وعصمة لمن تمسك به، ومنجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب، ولاتنقضى عجائبه، ولايخلق عن كثرة الترداد، اتلوه فإن الله تعالى يأجركم على تلاوته بكل حرف عشر حسنات، أما إنى لا أقول(ألم) عشرة، ولكن الألف عشرة، واللام عشرة، والميم عشرة»[٢].

٦٥١ ـ وروى الأعمش، عن أبى صالح، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**من نفّس عن أخيه المؤمن كُربةً من كرب الدنيا، نفّس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن يسّر على معسر يسّر الله عليه فى الدنيا والآخرة والله فى عون العبد مادام فى عون أخيه المسلم. ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله لهُ طريقاً إلي الجنة وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله تعالى، ويتدارسونه فيما بينهم؛ إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده**»[٣].

---

(١) **صحيح*** مسلم (٨١٧)، وابن ماجه(٢١٨)، وأحمد (٢/٣٣٨).

(٢) **إسناده لابأس به*** ابن نصر فى «قيام الليل» (٧٠)، والحاكم (١/ ٥٥٥، ٥٥٦). انظر: الصحيحة (٦٦٠).

(٣) سبق تحريجه برقم (٥٨٠).

٦٥٢ ـ وروى يزيد بن أبى حبيب عن النبى ﷺ أنه قال: «**من استظهر القرآن، خفّف الله تبارك وتعالى على أبويه العذاب وإن كانا كافرين**» (١).

٦٥٣ ـ وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: من قرأ القرآن فكأنما أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى إليه، ومن قرأ القرآن؛ فرأى أحداً من خلق الله تعالى أعطى أفضل مما أعطى، فقد حقّر ما عظّم الله تعالى (٢).

وليس ينبغى لحامل القرآن أن يجهل فيمن يجهل وأن يحدّ فيمن يحدّ، ولكن يعفو ويصفح .

وقال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ: ينبغى لحامل القرآن أن يعرفَ بليله إذ الناس نائمون، وبنهاره يصوم إذ الناس مفطرون، وبحزنه إذ الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبخشوعه إذ الناس يختالون .

ينبغى لحامل القرآن أن يكون باكياً حزيناً حليماً سكيناً ليناً، ولا ينبغى لحامل القرآن آن يكونَ جافياً ولا غافلاً ولا صيّاحا ولا حديداً.

٦٥٤ ـ وروى معاذ بن جبل ـ رضى الله عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**ثلاثةٌ هم الغُرَباء فى الدنيا: القرآن فى جوف الظالم، والرّجل الصّالح فى قوم سوء، والمصحف فى بيتٍ لا يُقرأ فيه**» (٣).

وقال محمد بن كعب القرظى: من قرأ القرآن فكأنما رأى النبى ﷺ ثم قرأ هذه الآيات: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩].

٦٥٥ ـ وروى فى الخبر أن عدد درج الجنة على عدد آى القرآن، فيقال للقارىء يوم القيامة: اقرأ وارقَ، فإن كان معه نصف القرآن يقال له: لو كان عندك زيادة لزدناك»(٤).

---

(١) موضوع* ابن حبان فى « المجروحين» (٢/ ٣١١) عن محمد بن المهاجر البغدادى ـ وضاع ـ بإسناده عن ابن عمر. وانظر : تنزيه الشريعة (١/ ٢٩٣) .

(٢) حسن مرفوع* البيهقى فى «الشعب» (٢٥٩٠ موقوفا، ٢٥٩١)، وصححه الحاكم (١/ ٥٥٢) مرفوعاً ولم يتعقبه الذهبى أما الموقوف: فيه انقطاع .

(٣) موضوع* الديلمى فى « الفردوس» .انظر الصعيفة (٣٩٢٤).

(٤) صحيح* أحمد (٢/ ١٩٢) أوآبو داود (١٤٦٤)، والترمذى (٢٩١٤) عن ابن عمرو.

مرفوعاً « يقال لصاحب القرآن· اقرآ ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»، ورواه ابن ماجة (٣٧٨٠) وأحمد (٣/ ٤٠) عن آبى سعيد بنحوه .

٦٥٦ ـ وروى خالد بن بشير، عن الحسين بن على، عن النبى ﷺ أنه قال: «من قرأ القرآن فى الصلاة وهو قائم فله بكلّ حرف مئة حسنة، ومن قرأ القرآن فى الصلاة قاعداً كتب الله له بكل حرف خمسين حسنة، ومن قرأ القرآن فى غير الصلاة فله بكل حرف عشر حسنات، ومن استمع إلى شيء من كتاب الله وهو يريد الأجر كتب له بكل حرف حسنة، ومن قرأ القرآن حتى يختمه كانت له عند الله دعوة مستجابة، إما معجّلة وإما مؤجلة» [١].

٦٥٧ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: « ثلاثة لا يستخفّ بحقّهنّ إلا منافق: إمام مُقْسِط، وذو شيبة فى الإسلام، وحامل القرآن»[٢].

٦٥٨ ـ وعن أبى أمامة ـ رضى الله عنه قال: حرّضنا رسول الله ﷺ على تعلم القرآن، ثم أخبرنا عن فضله وقال: « إنّ القرانَ يأتى أهله يوم أحوج مايكون إليه، قال: فيقدم على صاحبه بأحسن صورة له، فيقول: أتعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا الذى كنت تحبّه وتكرمه وكنت تسهر ليلك بى، وتدأب نهارك، يعنى من عادتك أن تقرأ نهارك. قال: فيقول: لعلّك القرآن، ثم يقدم على الله فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله، ويُوضع تاجُ الملك على رأسه، ويلبس والده المسلمان حُلّتين مايقوم بهما الدنيا وأضعافها فيقولان: من أين لنا هذا ولم تبلغه أعمالنا؟ فيقال لهما: بفضل ولدكما بقراءة القرآن أعطيتما ذلك».

وقال رسول الله ﷺ : «تعلموا الزهراوين، يعنى البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان أهلهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غَيَابتان أو فِرْقان من طير صوافَ بأجنحتها، ويحاجان عن أهليهما».

ثم قال: « تعلّموا البقرة. فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة، يعني السحرة» ثم قال: «هذا لمن تعلّمه ولم يلغ فيه، ويعمل به، ولم يجفُ عنه، ولم يستأكل به»[٣].

وعن سعد بن أبى وقاص ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: مَن ختم القرآن نهاراً صلّتْ عليه الملائكة حتى يمسى، ومن ختمه ليلاً صلّتْ عليه الملائكةُ حتى يصبح وكانوا يستحبّون أن يختموا نهاراً.

(١) رواه الديلمى عن أنس. (كنز العمال ٢٤٢٧).

(٢) ضعيف* الطبرانى فى « الكبير» فيه (عبيد الله بن زحر وعلى بن يزيد) كلاهما ضعيف. انظر: المجمع (١٢٧/٧) وضعيف الجامع (٢٦٠٠، ٢٦٠١) .

(٣) صحيح* ابن الضريس بأكمله فى « فضائل القرآن» (٩٢)، وأحمد (٣٤٨/٥)، والدارمى (٣٣٩١) عن بريدة بإسناد حسن، ومسلم (٨٠٤) عن أبى أمامة نحوه.

قال عبد الله بن المبارك: كانوا يستحبّون أن يختمَ فى أيام الصيف فى أول النهار، وفى أيام الشتاء فى أول الليل حتى تكونَ الصلاةُ عليهم أكثر .

٦٥٩ ـ وروى قتادة عن أنس بن مالك، عن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله تعالى عنهم ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**مثل المؤمن الذى يقرأ القرآنَ كمثل الأُتْرجّة، ريحها طيب وطعمها طيّب. ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآنَ كمثل التمر طعمه طيب ولا ريح له. ومثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الرَّيْحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحَنْظَلة طعمها مر ولا ريحَ لها**»(١) .

٦٦٠ ـ وروى عقبة بن عامر عن النبىﷺأنه قال: «**المسّر بالقرآن كالمسرّ بالصدقة، والجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة** »(٢) .

يعنى إن جهر بالقراءة فنعمّا هى، وإن أسرّ فهو أفضل.

٦٦١ ـ وعن الوليد بن عبد الله أن النبى ﷺ قال: « **عُرِضَتْ علىّ الذُّنوب، فلم أرَ فيها شيئاً أعظم من حامل القرآن وتاركه**» (٣) .

٦٦٢ ـ وعن طلق بن حبيب أن النبى ﷺ قال: « **من تعلّم القرآنُ ثم نسيه من غير عذر حطّ له بكل آية درجة، وجاء يوم القيامة القيامة محضوماً** »(٤) .

٦٦٣ ـ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من تعلّم القرآنَ ثم نسيه من غير عذر جاء يوم القيامة أجذم**» (٥) أى مقطوع اليد.

وعن الضحاك قال: ما تعلم القرآن رجل ثم نسيه إلا جاء يوم القيامة وهو مصاب بذنب يضيبه، ثم قرأ﴿ **وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**﴾ [الشورى: ٣٠] وأىّ مصيبة أعظم من نسيانَ القرآن.

٦٦٤ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ : سمعت أبا جعفر ـ رحمه الله تعالى . قال: حدثنا ابن أحمد، حدثنا شاذان بن إبراهيم، حدثنا على بن الحسين الحكمى، قال: سمعت الحسن بن زياد يقول: سمعت أبا حنيفة ـ رضى الله تعالى عنه ـ يقول: من قرأ القرآن فى السنة مرتين، فقد أدى حقّه؛ لأن النبى ﷺ عرضه فى كلّ سنة على جبريل ـ عليه الصلاة والسلام ـ مرة، وفى السنة التى توفى فيها مرتين(٦) .

---

(١) **متفق عليه** * البخارى (٨/ ٥٠٢٠)، ومسلم (٧٩٧).

(٢) **حسن** * أحمد (٤/ ١٥١، ١٥٨)، وأبو داود (١٣٣٣) ، والترمذى (٢٩١٩) .

(٣) **ضعيف** * أبو داود (٤٦١) ، والترمذى (٢٩١٦) أرسله المطلب بن حنطب ـ مدلس ـ عن أنس

(٤) **موضوع** * ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣/ ١٨١) من حديث أبى هريرة مطولاً

(٥) **ضعيف** * أحمد (٥/ ٢٨٤) ؟وأبو داود (١٤٧٤) انظر. الضعيفه(١٣٥٤)

(٦) **صحيح** * انظر . صحيح البخارى (٨/ ٤٩٩٨).

باب فضل طلب العلم

٦٦٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبوجعفر، حدثنا أبو الحسن على بن محمد الوراق، حدثنا خشنام بن إسماعيل بن أبى بكر الصوفى، حدثنا القاسم بن محمد المهلبى، عن عبد الله بن داود، عن عاصم بن رجاء، عن داود بن جميل، عن كثير بن قيس قال: كنت جالساً مع أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى مسجد دمشق، فأتاه رجل، فقال: يا أبا الدرداء، جئتك من مدينة رسول الله ﷺ فى حديث بلغنى أنك حدثته عن رسول الله ﷺ فقال له: ماجئت لتجارة ولا لحاجة ولا جئت إلا لهذا؟ قال: ماجئت إلا لهذا. قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من سلك طريقاً يطلب به علماً سهّل الله له طريقاً من طرق الجنة. وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم يستغفر له كلّ مَن فى السماوات ومن فى الأرض والحيتان فى جوف الماء وإنّ فَضْلَ العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإنّ العلماءَ ورثةُ الأنبياء وإنّ الأنبياءَ لم يورّثوا درهماً ولا ديناراً وإنما ورّثوا العلم؛ فمن أخذه فقد أخذ بحظّ وافر** » (١).

٦٦٦ ـ قال: حدثنا أبو جعفر، حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن شريك، حدثنا إبراهيم بن عبد الله، عن جعفر بن عوف، عن أبى العميس، عن القاسم قال: قال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ: منهومان لا يشبعان: طالب العلم وطالب الدنيا، وهما لا يستويان أما طالب العلم فيزداد رضا من الرحمن، وأما طالب الدنيا فيزداد فى الطغيان، ثم قرأ: ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى الله مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ** ﴾ [فاطر: ٢٨] وقرأ: ﴿ **كَلاَّ إِنَّ الإنسانَ لَيَطْغَى. أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى** ﴾ [العلق: ٦، ٧](٢).

قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن محمد الوراق، حدثنا الفضيل بن محمد، حدثنا عبد الله بن صالح المصرى، عن معاوية بن صالح، عن أبى عبيد، عن محمد بن سيرين، قال: دخلت مسجد البصرة والأسود بن سريع يقصّ على الناس، وقد اجتمع عليه أهل المسجد وخلفه من أهل الفقه جلوس فى ناحية أخرى يتحدثون الفقه، ويتذاكرون، فركعت بين الحلقة والذكر، فلما فرغت قلت: لو أتيت إلى الأسود، فعسى أن تصيبهم إجابة ورحمة تصيبنى معهم، ثم قلت: لو أتيت حلقة

---

(١) **صحيح** أحمد (٥/ ١٩٦) أوأبو داود (٣٦٤١، ٣٦٤٢) ، والترمذى (٢٦٨٢)، وابن ماجه (٢٢٣).
(٢) **صحيح بشواهده** انظر. مجمع الزوائد (١/ ١٣٥)، وصحيح الجامع (٦٦٢٤) .

الفقه لعلى أسمع كلمةً لم أسمعها فأعمل بها، فلم أزل أخير نفسى فى ذلك حتى جاوزتهم، فلم أقعد مع أحد منهم، فلما كانت تلك الليلة، أتانى آتٍ فى المنام، فقال: أما إنك لو آتيت الحلقة التى كان يذكر فيها الفقه لوجدت جبريل عليه السلام معهم جالساً.

٦٦٧ ـ قال: حدثنى أبى ـ رحمه الله تعالى ـ قال: حدثنا عبدالرحمن بن يحيى، حدثنا محمد بن الربيع، حدثنا داود بن سليمان، عن جعفر بن محمد، عمّن حدثه، عن ثابت، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

« مَن أحبّ أن ينظر إلى عتقاء الله من النار فلينظر إلى المتعلّمين، فوالذى نفس محمد بيده ما من متعلّم يختلف إلى باب العالم إلا كتب الله له بكل حرف وبكل قدم عبادة سنة، وبنى له بكل قدم مدينة فى الجنة، ويمشى على الأرض تستغفر له، ويمسى ويصبح مغفوراً له، وشهدت له الملائكة ويقولون هؤلاء عتقاء الله من النار»(١).

٦٦٨ ـ قال: سمعت الفقيه أبا جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر بإسناده أن النبى ﷺ دخل المسجد، فرأى مجلسين: أحدهما يذكرون الله، والآخر يتعلّمون الفقه ويدعون الله ويرغبون إليه فقال ﷺ: **« كلا المجلسين على خير، وأحدُهما أفضل من الآخر. أمّا هؤلاء فيدعون الله فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وأما هؤلاء فيتعلّمون ويعلّمون الجاهل، وإنما بُعثْتُ معلماً، فهؤلاء أفضل»** ثم جلس معهم (٢).

وعن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: لأن أتعلّم مسألة أحبّ إلىّ من قيام ليلة.

وعن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: أنتم فى زمن العمل فيه خير من العلم، وسيأتى زمنٌ العلم فيه خير من العمل.

٦٦٩ ـ وروى سعيد بن المسيب، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«أفضلُ الأعمال على ظهر الأرض ثلاثة: طلب العلم، والجهاد، والكسب، لأنّ طالب العلم حبيب الله، والغازى ولى الله، والكاسب صديق الله »**(٣).

٦٧٠ ـ وروى أبان عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن النبى ﷺ

---

(١) كذب موضوع* قاله ابن حجر نقلاً عن السيوطى (كشف الخفاء ٢٣٥٥).

(٢) ضعيف * ابن ماجه (٢٢٩)، وابن المبارك فى«الزهد» (١٣٨٨)، والطيالسى(٢٢٥١)، والدارمى (٣٤٩) انظر. الضعيفة (١١).

(٣) لم أقف على إسناده .

أنه قال: «**من طلبَ العلمَ لغير الله لم يخرجْ من الدنيا حتى يأتى عليه العلم فيكون لله. ومن طلب العلم لله فهو كالصائم نهاره والقائم ليله. وإن باباً من العلم يتعلمه الرجل خير من أن يكون له أبو قبيس ذهباً، فأنفقه فى سبيل الله تعالى** »[1].

وقيل لعبد الله بن المبارك: إلى متى يحسن للمرء أن يتعلّم؟ قال: مادام يقبح عليه الجهل يحسن له التعلّم.

وحكى عن ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ أنه كان فى حال الموت، ورجل عنده يكتب له العلم، فقيل له: فى هذه الحالة تكتب العلم! فقال: لعلّ الكلمة التى تنفعنى لم تبلغنى إلى الآن.

٦٧١ ـ وعن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: تعلّموا العلم، فإن تعلّمه لله خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقه، وبذله لأهله قُربة، لأنّ العلم سبيل منازل أهل الجنة وهو المؤنس فى الوحشة، والصاحب فى الغربة، والمحدث فى الخلوة، والدليل على السراء، والمعين على الضراء، والزين عند الأخلاء، والسلاح على الأعداء، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادة أئمة، تقتفى آثارهم، ويقتدى بأفعالهم، وترغيب الملائكة فى خُلّتهم، وبأجنحتها تمسحهم ويصلى عليهم كل رطب ويابس وحيتان البحر وهوامّ الأرض وسباع البر والبحر والأنعام؛ لأن العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلمة، وقوة الأبدان من الضعف، ويبلغ بالعبد منازل الأخيار والأبرار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة، والتفكر فيه بالصيام، ومذاكرته تعدل بالقيام، وبه توصل الأرحام، وبه يعرف الحلال من الحرام، وهو إمام والعمل تابعه، ويلهمه السعداء، ويُحرمه الأشقياء [2].

قال الفقيه: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بإسناده عن الحسن البصرى ـ رحمهم الله ـ قال: ما أعلم شيئاً أفضل من الجهاد فى سبيل الله إلا أن يكون طلب العلم، فإنه أفضل من الجهاد فى سبيل الله، ومن خرج من بيته فى طلب باب من العلم حفته الملائكة بأجنحتها، وصلت عليه الطيور فى جو السماء، والسباع فى البر، والحيتان فى البحر وآتاه الله أجر اثنين وسبعين صديقاً. ألا فاطلبوا العلم واطلبوا للعلم السكينة والحلم والوقار، وتواضعوا لمن تتعلمون منه ولمن تعلمونه، ولا تباهوا

---

(١) **ضعيف جداً**: فيه (آبان بن أبى عياش) متروك كما فى « التقريب»

(٢) **ضعيف جداً**: ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» (١/ ٥٤، ٥٥). وانظر: تنزيه الشريعة (١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢).

به العلماء، ولا تماروا به السفهاء، ولاتختلفوا به إلى الأمراء، ولاتطاولوا به على عباد الله فتكونوا من جبابرة العلماء الذين أدركهم سخط الله فكبهم على مناخرهم فى نار جهنم، اطلبوا علماً لا يضركم فى عبادة الله، واعبدوا الله عبادة لا تضركم فى طلب العلم، فإنه لا ينتفع بهذا إلا هذا، ولا تكونوا كأقوام تركوا طلب العلم وأقبلوا على العبادة، حتى إذا نحلت جلودهم على أجسادهم خرجوا على الناس بأسيافهم، ولو أنهم طلبوا العلم لكان العلم يحجزهم عما صنعوا وإن العامل بغيرعلم كالحائد عن الطريق، فهو لا يزداد اجتهاداً إلا ازداد بعداً، وكان ما يفسده أكثر مما يصلحه قيل له: عمن هذا يا أبا سعيد؟ قال: لقيت فيه سبعين بدرياً واغتربت فى طلبه أربعين عاماً.

وعن أبى الدرداء رضى اللهتعالى عنه قال: أيها الناس، مالى أرى علماءكم يذهبون وجهالكم لا يتعلمون؟! تعلّموا فبل أن يرفع العلم، فإنَّ رَفْعَ العلمِ ذهابُ العلماء.

٦٧٢ ـ وروى عبد اللهبن عمرو بن العاص رضى اللهتعالى عنهما، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنّ الله لا يرفعُ العلمَ بقبض يقبضه، ولكن بقبض العلماء بعلمهم، حتى إذا لم يبقَ عالم اتّخذ الناسُ رؤساءَ جهّالاً فَيُسْألون فيحدّثون، فَضَلُّوا وأَضَلُّوا**»[١].

وعن ابن المبارك ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قيل له: لو أوحى الله إليك أنك ميت العشية ما أنت صانع اليوم؟ قال: أطلب فيه العلم.

وعن إبراهيم النَّخَعى قال: لا يزال الفقيه فى الصلاة. قيل: وكيف ذلك؟ قال: لأنك لا تلقاه إلا وذكر الله تعالى على لسانه، يحلّ حلالاً ويحرّم حراماً.

ويقال: العلماءُ سِراجُ الأزمنة، فكلُّ عالم مصباح زمانه يستضيءُ به أهلُ عصره.

وروى عن سالم بن أبى الجعد أنه قال: اشترانى مولاى بثلثمئة درهم، فأعتقنى، فقلت فى نفسى بأى الحرف أحترف، فاخترت العلم على كل الحرف فلم يمض كثير مدة، حتى إنه أتانى الخليفة زائراً فلم آذن له.

وذكر عن صالح المرّى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه دخل على أمير المؤمنين فأجلسه على وسادته فقال صالح: قال الحسن وصدق الحسن. فقال له أمير المؤمنين: وأىّ شىء قال الحسن؟ قال: قال الحسن: إن العلمَ يزيدُ الشريفَ شرفاً، ويبلغ بالعبد منازل الأحرار، وإلا فمن صالح المرى حتى يجلس على وسادة أمير المؤمنين لولا العلم؟!

٦٧٣ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: اطلبوا العلم ولو

---

(١) متفق عليه: البخارى (١٠٠)، ومسلم (٤/ ٢٦٧٣)

بالصين، فإنّ طلبَ العلم فريضةٌ على كلّ مسلم(١).

وروى المسيب، عن أبى بكر، عن عون بن عبد الله؛ قال: جاء رجل إلى أبى ذر الغفارى - رضى الله تعالى عنه - فقال: إنى أُريدُ أن أتعلّم، وأخاف أن أضيعه ولا أعمل به، قال: أما إنك إن توسّدت العلم خير لك من أن تتوسّد الجهل. ثم ذهب إلى أبى الدرداء - رضى الله عنه - وقال له مثل ذلك. فقال أبو الدرداء: إن الناس يبعثون على ما ماتوا عليه، يبعث العالم عالماً، والجاهل جاهلاً، ثم ذهب إلى أبى هريرة - رضى الله تعالى عنه - وقال له مثل ذلك. فقال له أبو هريرة - رضى الله تعالى عنه -: ما أنت بواجد شيئاً أضيع له من تركه.

٦٧٤ - وروى أبو هريرة - رضى الله تعالى عنه - عن النبىﷺ أنه قال: «**ما عُبِد الله بشىء أفضل من فقه فى الدين، ولفقيهٌ واحدٌ أشدّ على الشيطان من ألف عابد، وإن لكل شىء عمَاداً، وعِماد الدين الفقيه**»(٢).

وذُكر فى الخبر أنَّ أهلَ البصرة اختلفوا، فقال بعضهم: العلم أفضل من المال وقال بعضهم: المال أفضل من العلم، فبعثوا رسولاً إلى ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - فسأله عن ذلك. فقال ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما -: العلم أفضل. فقال الرسول: إن سألونى عن الحجة ماذا أقول لهم؟ قال: **قل لهم: إنّ العلمَ ميراثُ الأنبياء، والمال ميراث الفراعنة، ولأنّ العلم يحرسك وأنت تحرسُ المال، ولأن العلمَ لا يعطيه الله إلا من يحبه، والمال يعطيه الله لمن أحبه ومن لا يحبه، بل يعطى لمن لا يحبه أكثر، ألا ترى إلي قول الله عز وجل: ﴿وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفاً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾** [الزخرف: ٣٣] الآية.

ولأن العلم لا ينقص بالبذل والنفقة، والمال ينقص بالبذل والنفقة، ولأن صاحب المال إذا مات انقطع ذكره، وصاحب العلم إذا مات فذكره باقٍ، ولأنّ صاحبَ المال ميت، وصاحب العلم لا يموت، ولأنّ صاحب المال يُسأل عن كلّ درهم من أين اكتسبه، وأين أنفقه؟ وصاحب العلم له بكلّ حديث درجة فى الجنة.

وروى عن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - أنه قال: الناس ثلاثة: عالم

---

(١) موضوع* انظر: الضعيفة (٤١٦) وشطره الثانى (صحيح) بطرقه التى بلغت الستين. انظر: صحيح الجامع (٣٩١٣).

(٢) موضوع* الدارقطنى فى «سننه» (٣/٧٩) والبيهقى فى «التعب»(١٧١٢) والطبرانى فى «الأوسط» كما فى «المجمع» (١/١٢١) فيه (يزيد بن عياض) كذبه مالك وغيره.

ربّانى، ومتعلّم على سبيل النجاة، وسائر الناس همج رعاع أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح.

وقال: العلم خير من المال، العلم يحرسك وأنت تحرس المال، والعلم يزكو على النفقة، والمال تنقصه النّفقة، والعلماء باقون ما بقى الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم فى القلوب موجودة.

وعن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: العالم والمتعلّم فى الأجر سواء، وإنما الناس رجلان: عالم ومتعلّم، ولا خير فيما سوى ذلك[1].

***

باب العمل بالعلم

٦٧٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا الحاكم أبو الحسن على بن الحسين، حدثنا الحسين بن إسماعيل القاضى، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا إبراهيم بن رستم، حدثنا حفص الأثرى، عن إسماعيل بن سميع، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: « **العلماءُ أمناءُ الرسل على عباد الله مالم يخالطوا السلطان، ويدخلوا فى الدنيا؛ فإذا دخلوا فى الدنيا، فقد خانوا الرسل، فاعتزلوهم واحذروهم** »[2].

قال: حدثنا بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا عبد الله بن نمير، عن جعفر بن بُرقان، عن الفرات بن سليمان قال: قال أبو الدرداء رضى الله تعالى عنه: لا يكون عالماً حتى يكون متعلّماً، ولا يكون عالماً حتى يكون بالعلم عاملاً.

وعن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: ويلٌ للذى لا يعلم مرّة، وويل للذى يعلم ولا يعمل سبع مرات.

وعنه أيضاً ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنى لا أخافُ أن يُقالَ لى يوم القيامة: ياعويمر، ماذا علمت؟ لكن أخاف أن يقال لى يوم القيامة: ياعويمر ماذا عملتَ فيما علمت؟

وعن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ أنه قال: من علم وعمل وعلّم فذلك

---

(١) رواه الدارمى (٣٢٧) بنحوه. وابن عبد البر فى « جامع بيان العلم » (١/٢٨).

(٢) ضعيف* انظر. الموضوعات (١/٢٦٣)، وضعيف الجامع (٣٨٨٣).

الذى يُدعى فى ملكوت السماوات عظيماً.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال لعبد الله بن سلام ـ رضى الله تعالى عنه ـ: من أرباب العلم؟ قال: الذين يعملون به. قال: فما ينفى العلم من صدور الرجال؟ قال: الطمع.

وعن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ: ماذا يغنى عن الأعمى؛ حمل السراج ويستضىء به غيره؟ وماذا يغنى عن البيت المظلم أن يكون السراج على ظهره؟ وماذا يغنى عنكم أن تتكلموا بالحكمة وما تعملون بها؟

وعنه أيضاً عليه السلام قال: ما أكثر الأشجار، وليس كلها بمثمر! وما أكثر العلماء وليس كلهم بمرشد! وما أكثر الثمار وليس كلها بطيب! وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع!.

وعن الأوزاعى قال: مَن عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم.

٦٧٦ـ وقال سهل بن عبدالله: الناس كلهم موتى إلا العلماء، والعلماء كلهم سكرى إلا العاملون بالعلم، والعاملون مغرورون إلا المخلصون، والمخلصون فى الخطر(١).

٦٧٧ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: « **لا تجلسوا عند كلّ عالم إلا الذى يدعوكم من الخمس إلى الخمس: من الشك إلى اليقين، ومن التكبّر إلى التواضع، ومن العداوة إلى النصيحة، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الرغبة إلى الزهد** » (٢).

وروى عن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: إذا لم يعمل العالم بعلمه استنكف الجاهل أن يتعلم منه؛ لأنَّ العالمَ إذا لم يعمل بالعلم لا ينفع العلم إياه ولا غيره، وإن جمع العلم بالأوقار؛ لأنّه بلغنا أن رجلاً فى بنى إسرائيل جمع ثمانين تابوتاً من العلم، فأوحى الله تعالى إلى نبى من الأنبياء أن قُلْ لهذا الحكيم: لو جمعت مثله معه لا ينتفع به إلا أن تعمل بهذه الثلاثة أشياء:

أولها: أن لا تحبّ الدّنيا؛ فإنها ليست بدار المؤمنين.

والثانى: أن لا تصاحبَ الشيطان؛ فإنه ليس برفيق المؤمنين.

---

(١) موضوع* الصغانى فى « الموضوعات» (٣٨) وكذا البيروتى فى « أسنى المطالب» (١٦٣١) وانظر: كشف الخفاء(٢٧٩٦)

(٢)رواه أبو نعيم فى « الحلية» (٨/ ٧٢) وقال: كان شقيق كثيراً ما يعظ به أصحابه والناس، فوهم فيه الرواه فرفعوه وأسندوه، وذكره ابن الجوزى فى«الموضوعات» (١/ ٢٥٧) وقال: هذا ليس من كلام رسول الله ﷺ.

والثالث: أن لا تؤذى المؤمنين؛ فإنه ليس بحرفة المؤمنين.

قال سفيان بن عُيينه ـ رضى الله تعالى عنه ـ: ليس يحسن على الناس الجهل. من عمل بما يعلم فهو من أعلم الناس، ومن ترك العمل بما يعلم فهو الجاهل. قال: وقد كان يقال: يغفر للجاهل سبعون ذنباً مالا يغفر للعالم واحدة.

وذكر فى الخبر: أن الملائكة تتعجّب من ثلاثة: عالم فاسق يحدّث الناس بما لا يعمل به، وقبر الفاجر يبنى بالجصّ والآجر، والنقش على جنازة الفاجر.

ويقال: أشدّ الحسرة يوم القيامة ثلاثة: رجل له مملوك صالح يدخل الجنة ومولاه يدخل النار، ورجل جمع المال ومنع منه حقوق الله تعالى فيموت فينفق منه ورثته فى طاعة الله تعالى فينجون به والذى جمعه فى النار، ورجل عالم سوء يحدث الناس ينجو الناس بعلمه وهو يصير إلى النار.

وقال رجل للحسن البصرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ: إنّ فقهاءنا يقولون كذا، فقال الحسن: وهل رأيت فقيهاً قط؟ إنما الفقيه: الزاهد فى الدنيا، الراغب فى الآخرة، البصير بدينه، المدارم على عبادة ربه.

ويقال: إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال صار العوام أكلة الشبهة، وإذا صار العلماء أكلة الشبهة صار العوام أكلة الحرام، وإذا صار العلماء أكلة الحرام صار العوام كفاراً.

قال الفقيه: لأن العلماء إذا جمعوا الحلال فالعوام يقتدون بهم فى الجمع، ولا يحسنون العلم فيقعون فى الشبهة وأما إذا أخذ العلماء من الشبهة وتحرزوا عن الحرام فيقتدى بهم الجهال، ولا يميزون بين الشبهة والحرام فيقعون فى الحرام، وأما إذا أخذ العلماء من الحرام فيقتدى بهم الجهال، ويظنون أنه حلال فيكفرون إذ استحلوا الحرام.

ويقال: إذا كان يوم القيامة تعلّق الجهّال بالعلماء يقولون: أنتم قد علمتم فلم تدلونا، ولم تنهونا، حتى وقعنا فيما وقعنا.

٦٧٨ ـ وعن النبى ﷺ أنه سئل أى الناس شر؟ قال: «**العالم إذا فسد**»[١].

ويقال: إذا فسد العالِم فسد لفساده العالَم.

وروى عن بشر بن الحارث أنه كان يقول لأصحاب الحديث: أدوا زكاة هذه الأحاديث، قالوا: كيف نؤدّى زكاتها؟ قال: اعملوا من كل مئتى حديث بخمسة أحاديث.

---

(١) الدارمى (٣٧٠) سحوه بإسناد ضعيف.

وقال بعض الحكماء: تعلم العلم فى زماننا تهمة، والاستماع مؤانسة، والقول بشهوة شهوة، والعمل به نزع النفس.

٦٧٩ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: « **من تعلّم العلم لأربع دخل النار: ليباهى به العلماء، أو يمارى به السفهاء، أو يقبل به وجوه الناس إليه، أو يأخذ به من الأمراء المال والحرمة والجاه والمنزلة**»(١).

وقال سفيان الثورى: أول العلم الصمت، والثانى: الاستماع، والثالث: الحفظ، والرابع: العمل به، والخامس: نشره.

وقال أبو الدرداء: كن عالماً أو متعلماً أو مستمعاً ولا تكن الرابع فتهلك(٢)، يعنى ممن لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحبّ.

ويقال العلماء ثلاثة:

أولها: عالم بالله، وعالم بأمر الله.

والثانى: عالم بالله وليس عالماً بأمر الله.

والثالث: عالم بأمر الله وليس بعالم بالله.

فأما العالم بالله وبأمر الله فالذى يخشى الله، ويعلم الحدود والفرائض، وأما العلم بالله وليس بعالم بأمر الله، فالذى يخشى الله ولا يعلم الحدود والفرائض. وأما العالم بأمر الله وليس بعالم بالله، فالذى يعلم الحدود والفرائض ولا يخشى الله.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى: ـ سمعت أبى ـ رحمه الله ـ قال: سمعت محمد بن جناح قال: قال أبو حفص يزداد للعالم عشرة أشياء: الخشية، والنصيحة، والشفقة، والاحتمال، والصبر والحلم، والتواضع، والعفة فى أموال الناس، والدوام على النظر فى الكتب، وقلة الحجاب، وأن يكون بابه مفتوحاً للوضيع والشريف فإنه بلغنا أن داود النبى ﷺ إنما ابتلى من شدّة الحجاب.

قال أبو حفص: عشرة أشياء قبيحة فى عشرة أصناف من الناس: الحدة فى السلطان، والبخل فى الأغنياء، والطمع فى العلماء، والحرص فى الفقراء، وقلة الحياء فى ذوى الأحساب، والفتوة فى الشيوخ، وتشبه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال، وإتيان الزهاد أبواب أهل الدنيا، والجهل فى العباد.

---

(١) حسن بشواهده * رواه الدارمى (٣٦٧) عن ابن مسعود بإسناد منقطع. وله شواهد عن أبى هريرة وكعب بن مالك وجابر وابن عمر. انظر: المشكاة (٢٢٥).

(٢) رواه ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» (١/ ٢٨، ٢٩) وفيه انقطاع.

قال فضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا كان العالم راغباً فى الدنيا حريصاً عليها فإن مجالسته تزيد الجاهل جهلاً، والفاجر فجوراً وتقسى قلب المؤمن.

وقال بعض الحكماء: كلامٌ الحكماء لهو السفهاء، وكلام السفهاء عبرة الحكماء.

قال الفقيه: يعنى أن السفهاء إذا سمعوا كلام الحكماء يستظرفون كلامهم فيكون بمنزلة اللهو لهم، وأما الحكماء إذا سمعوا كلام السفهاء فيرون قبح ذلك الكلام فيعتبرون به ويحترزون عن مثل ذلك.

ويقال: همّة السفهاء الاستماع، وهمّة العلماء الرواية، وهمّة الزهاد الرعاية يعنى يعاهدون بما فيه، ويعملون به.

***

باب فضل مجالس أهل العلم

٦٨٠ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا أبو القاسم بن محمد بن روزبة، حدثنا أبو موسى، عيسى بن خشنام، حدثنا سويد، عن مالك، عن إسحاق بن عبدالله، عن أبى طلحة، عن أبى مرّة، عن أبى واقد الليثى أن رسول الله ﷺ بينما هو جالس والناس معه ـ إذ أقبل ثلاثة نفر. فأمّا أحدهم فرأى فرجة فى الحلقة فجلس إليها، وأما الآخر فجلس خلفهم، وأما الثالث فأدبر ذاهباً، فلما فرغ رسول الله ﷺ من كلامه قال: « **ألا أخبركم عن النّفر الثلاثة؟ فأما الأول فآوى إلى الله فآواه الله، وأما الثانى فاستحى من الله أن يؤذى الناس فاستحى الله منه، وأما الثالث فأعرض، فأعرض الله عنه**»(١).

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان، عن داود بن شابور، عن شهر بن حوشب قال: قال لقمان لابنه: يابنى إذا رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإنك إن تك عالماً ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً علّموك، ولعل الله تعالى يّطلع عليهم برحمته فتصيبك معهم. وإذا رأيتَ قوماً لا يذكرون الله تعالى فلا تجلس معهم فإنك إن تك عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يزدك غيّاً، ولعل الله يّطلع عليهم بسخطه فيصيبك معهم(٢).

٦٨١ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل بإسناده عن أبى صالح، عن أبى هريرة، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أن النبى ﷺ قال: « **إنّ لله تعالى ملائكة**

---

(١) متفق عليه: البخارى (٦٦)، ومسلم (٣/ ٢١٧٦).

(٢) رواه ابن عبد البر فى «جامع بيان العلم» (١/ ١٠٦، ١٠٧).

سيّاحين في الأرض، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادوا وقالوا: هلّموا إلى بغيتكم، فيجيئون فيحفون بهم، فإذا صعدوا إلى السماء فيقول الله تعالى: على أي شيء تركتم عبادي يصنعون ؟ وهو أعلم بهم، قالوا: تركناهم يحمدونك، ويسبحونك، ويذكرونك. فيقول: فأي شيء يطلبون؟ فيقولون: الجنة. فيقول الله عز وجل: هل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول: كيفَ لو رأوها؟ فيقولون: لو رأوها لكانوا أشدّ لها طَلَباً، وأشد عليها حرصاً.

فيقول: من أي شيء يتعوّذون؟ فيقولون: يتعوّذون من النار. فيقول الله تعالى: هل رأوها؟ فيقولون: لا. فيقول: لو رأوها لكانوا أشدّ منها هَرَباً، وأشدَ منها خوفاً.

فيقول: إنّي أشهدكم ياملائكتي أني قد غفرت لهم. فيقولون: إن فيهم فلاناً الخاطيء،لم يُرِدْهُم،«إنما جاءهم لحاجة. فيقول: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم»[1].

وروى عبد الله بن مسعود ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: مثل الجليس الصالح كمثل حامل المسك، إن لم يعطك منه أصابك من ريحه. ومثل جليس السوء كمثل القين إن لم يحرق ثيابك أصابك من ريح دخانه[2].

وعن كعب الأحبار ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: إن الله عز وجل كتب كلمتين ووضعهما تحت العرش قبل أن يخلقَ الخَلْقَ، ولم يعلم الملائكة عن علمهما، وأنا أعلم بهما. قيل: ياأبا إسحاق وماهما؟ قال: إحداهما كتب: لو كان رجل يعمل عَمَلَ جميع الصالحين بعد أن تكون صحبته مع الفجّار، فأنا الذي أجعل عمله إثماً وأحشره يوم القيامة مع الفجار. والأخرى: لو كان رجل يعمل عمل جميع الأشرار بعد أن تكون صحبته مع الصّالحين والأبرار، ويحبّهم فأنا الذي أجعل آثامه حسنات وأحشره يوم القيامة مع الأبرار.

قال الفقيه: يقال: من انتهى إلى العالم وجلس معه، ولايقدر على أن يحفظَ العلم فله سبع كرامات:

أولها: ينال فضل المتعلّمين.

والثاني: مادام جالساً عنده كان محبوساً عن الذنوب والخطايا.

والثالث: إذا خرجَ من منزله تنزل عليه الرحمة.

---

(١) متفق عليه* البخاري(١١/٨/٦٤٠٨) ، ومسلم (٤/٢٦٨٩) .

(٢) متفق عليه * البخاري (٤/٢١٠١) ، ومسلم (٤/٢٦٢٨) من حديث أبي موسى.

والرابع: جلس عنده فتنزل عليهم الرحمةُ فتصيبه ببركتهم.

والخامس: مادام مستمعاً تكتب له الحسنة.

والسادس: تحفّ عليهم الملائكة بأجنحتها رضاً وهو فيهم.

والسابع: كل قدم يرفعه ويضعه يكون كفّارة للذنوب ورفعاً للدرجات له وزيادة في الحسنات.

ثم يكرمه الله تعالى بست كرامات أخرى:

أولها: يكرمه بحبّ شهود مجلس العلماء.

والثاني: كلّ يقتدى به فله مثل أجورهم من غير أن ينقصَ من أجورهم شيء.

والثالث: لو غفر لواحد منهم يشفع لهم.

والرابع: يبرد قلبه من مجلس الفساق.

والخامس: يدخل في طريق المتعلّمين والصّالحين.

والسادس: يقيم أمر الله تعالى؛ لأن الله تعالى قال: ﴿ **كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ** ﴾ [آل عمران: ٧٩] يعني العلماء والفقهاء. هذا لمن لم يحفظ شيئاً، وأما الذي يحفظ فله أضعاف مضاعفة.

وقال بعض الحكماء: إنّ لله تعالى جنّة في الدنيا، من دخلها طاب عيشه. قيل: ماهي؟ قال: مجالس الذكر.

٦٨٢ ـ وعن النبي ﷺ أنه قال: «**المجلس الصّالح يكفّر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء**»[١].

وعن عمر بن الخطاب ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: إنّ الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة، فإذا سمع العلم خاف واسترجع عن ذنوبه فانصرف إلى منزله وليس عليه ذنب، فلا تفارقوا مجالسَ العلماء، فإنّ الله تعالى لم يخلقْ على وجه الأرض بقعة أكرم على الله من مجالس العلماء.

٦٨٣ ـ وروى حميد عن أنس بن مالك ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: متى قيام الساعة؟ فقال: « **ما أعددتَ لها؟** » ما أعددتُ لها كثيراً

---

(١) ضعيف * الديلمي في « الفردوس» مرسلاً عن أسد بن وداعة قال العراقي في « تخريج الإحياء» (١/ ٢٩٧) ولم يخرجه ولده، وكذلك لم أجد له إسناداً.

من الصلاة ولا صيام، إلا أنّى أحبّ الله ورسوله، فقال النبى ﷺ : « **المرء مع من أحبّ، وأنتَ مع من أحببت**» .

قال أنس: وما رأيت المسلمين فرحوا بشىء كفرحهم بذلك[1] .

وعن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: ثلاثة أقولهن حقاً، لا يتولى الله عبداً فى الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة، وليس منْ له سهم فى الإسلام كمن لا سهم له، والمرء مع من أحبّ، والرابعة لو حلفتُ عليها لبررت، لا يستر الله على عبد فى الدنيا إلا ستر الله عليه فى الآخرة.

وروى عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه دخل السوق فقال: أنتم ههنا وميراث محمد ﷺ يقسم فى المسجد، فذهب الناس إلى المسجد، وتركوا السوق فرجعوا . وقالوا: يا أباهريرة ما رأينا ميراثاً يقسم فقال لهم: ما رأيتم؟ قالوا: رأينا قوماً يذكرون الله تعالى ويقرؤون القرآن قال: فذلك ميراث محمد ﷺ .

وعن علقمة بن قيس قال: لأن أغدوَ على قوم أسألهم عن الله تعالى، أو يسألوننى عنه أحب إلىّ من أن أحمل على فرس فى سبيل الله تعالى.

٦٨٤ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما جلس قومٌ يذكرون الله تعالى إلا ناداهم مناد من السماء: قوموا فقد بدّلت سيئاتكم حسنات، وغفرت لكم جميعاً، وما قعدْت عدةٌ من أهل الأرض يذكرون الله تعالى إلا قعدتْ معهم عدتهم من الملائكة**»[2] .

قال شقيق الزاهد رحمه الله تعالى: الناس يقومون من مجلس على ثلاثة آصناف: كافر محض، ومنافق محض، ومؤمن محض، قال: لأنى أفسّر القرآن فأقول عن الله تعالى وعن رسوله، فمن لم يصدّقنى فهو كافر محض، ومن كان يضيق قلبه بهذا فهو منافق محض، ومن ندم على ماصنع ونوى أن لا يذنب بعد هذا فهو مؤمن محض.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: يقال: مَن جلس مع ثمانية أصناف من الناس زاده الله ثمانية أشياء:

من جلس مع الأغنياء زاده الله حب الدنيا والرغبة فيها.

ومن جلس مع الفقراء زاده الله الشكر والرضا بقسمة الله تعالى.

ومن جلس مع السلطان زاده الله الكبر وقساوة القلب.

---

(١) **متفق عليه**: البخارى (١٠/ ٦١٧١)، ومسلم (٤/ ٢٦٣٩)

(٢) **حسن**: أحمد(٣/ ١٤٢)، والطبرانى فى «الأوسط» (٤٣٤). انظر: الصحيحة (٢٢١٠).

ومن جلس مع النساء زاده الله الجهل والشهوة.

ومن جلس مع الصبيان زاده الله اللهو والمزاح.

ومن جلس مع الفسّاق زاده الله الجرأة على الذنوب والمعاصى، والإقدام عليها والتسويف فى التوبة.

ومن جلس مع الصالحين زاده الله الرغبة فى الطاعات.

ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع.

ويقال: ثلاثة من النوم يبغضها الله تعالى، وثلاثة من الضحك يبغضها الله تعالى النوم عند مجلس الذكر، والنوم بعد صلاة الفجر وقبل العشاء الآخرة، والنوم فى صلاة الفريضة، والضحك خلف الجنازة، والضحك فى مجلس الذكر، والضحك عند المقابر.

وقال أبو يحيى الوراق: المصائب أربعة: فوت التكبيرة الأولى، وفوت مجلس الذكر، وفوت مواقعة العدو، وفوت الوقوف بعرفات؛ يعنى إذا خرج إلى الحج وفاته الحج.

ويقال: مجالسة العلماء مرمة للدين، وزين للبدن، ومجالسة الفساق جراحة للدين، وشين للبدن.

٦٨٥ - وروى عن النبى ﷺ أنه قال: « **النظر فى وجه الوالد عبادة، والنظر فى الكعبة عبادة، والنّظر فى المصحف عبادة**[١]**، والنظر فى وجه العالم عبادة**»[٢].

قال الفقيه: « لو لم يكن لحضور مجلس العلم منفعة سوى النظر إلى وجه العالم لكان الواجب على العاقل أن يرغب فيه، فكيف وقد أقام النبى ﷺ العالم مقام نفسه فقال: ٦٨٥/ م - «**من زار عالماً فكأنما زارنى، ومن صافح عالماً فكأنما صافحنى، ومن جالس عالماً فكأنما جالسنى، ومن جالسنى فى الدنيا أجلسه الله معى يوم القيامة فى الجنة**»[٣].

وروى عن الحسن البصرى - رحمه الله تعالى - أنه قال: مثل العلماء مثل النجوم إذا بدت اهتدوا بها، وإذا أظلمت تحيروا، وموت العالِم ثُلمة فى الإسلام لا يسدها شىء ما اختلفت الليالى والأيام.

---

(١) ضعيف* الديلمى فى « الفردوس» (٧١١٦) من حديث عائشة. انظر: كشف الخفاء (٢٨٥٨)، وضعيف الجامع (٥٩٩٠٠).

(٢) لايصح* أورده الديلمى(٧١١٩) بلا سند عن أنس. انظر: المقاصد (١٢٥١).

(٣) كذب* رواه ابن النجار من حديث أنس فى قصة بيِّنة الكذب، وأبو نعيم من حديث ابن عباس وفى إسناده كذاب. انظر. تنزيه الشريعة (٢٧٣،٢٧٢/١).

باب ماجاء فى الشّكر

٦٨٦ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، حدثنا محمد بن سلمة، حدثنا محمد بن أبى شيبة، حدثنا أبو أسامة، عن زكريا بن أبى زائدة، عن سعيد بن أبى بردة، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ الله تعالى ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة أو يشرب الشربة فيحمده عليها** »[(١)].

٦٨٧ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا محمد بن عقيل، حدثنا عياش الدوري، حدثنا عمرو بن حفص، حدثنا أبى، عن عبد الرحمن ابن إسحاق، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يجىء مناد فينادى بصوت يسمعه الخلائق: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، ليقم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقومون وهم قليل، ثم ينادى: ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون وهم قليل، ثم ينادى: ليقم الذين كانوا يحمدون الله تعالى فى السراء والضراء، فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب سائر الناس**»[(٢)].

قال: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر الكرابيسى، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا محمد بن عبيد، عن يوسف بن ميمون، عن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ قال: قال موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ لربه : يارب كيف استطاع آدم آن يؤدى شكر ما صنعت إليه، خلقته بيدك، ونفخت فيه من روحك، وأسكنته جنتك، وأمرت الملائكة فسجدوا له، قال ياموسى: علم آدم أن ذلك منى فحمدنى عليه، فكان ذلك شكراً لما صنعت إليه.

٦٨٨ ـ وروى عن سعيد عن قتادة أن النبىﷺقال: «**أربع من أعطيهن فقد أعطى خيرى الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مؤمنة صالحة**»[(٣)].

ويقال: كان من دعاء داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ: اللهم إنى أسألك أربعة،

---

(١) **صحيح*** مسلم (٤/ ٢٧٢٤) ، والترمذى(١٨١٦) ، وأحمد (٣/ ١٠٠ ، ١١٧).

(٢) **إسناده ضعيف*** ابن أبى الدنيا فى « الأهوال» (١٧٥). فيه (عبد الرحمن بن إسحاق أبو شيبة) ضعيف. وفيه غيره. وانظر: المطالب العالية (٤/ ٣٧٣) .

(٣) **ضعيف** * الطبرانى فى « الكبير»(٣/ ١١٦/ ١)، وفى الأوسط» (٧٣٥١)، وابن أبى الدنيا فى «الشكر»(٣٤)، والبيهقى فى «التشعب» (٤٤٢٩) من حديث ابن عباس .انظر: الضعيفة (١٠٦٦).

وأعوذ بك من أربعة. أما اللواتى أسألك: فلسانا ذاكراً، وقلباً شاكراً، وبدناً صابراً، وزوجة تعيننى فى دنياى وآخرتى، وأما اللواتى أعوذ بك منهن: فأعوذ بك من ولد يكون علىَّ سيداً، ومن امرأة تشيبّنى قبل وقت المشيب، ومال يكون عذاباً لى، ومن جار لو رآى منى حسنةً كتمها، ولو رآى منى سيئةَ أفشاها.

وروى عن معاوية بن أبى سفيان أنه قال لجلسائه: ماالعافية فيك؟ فقال كل واحد منهم شيئاً. فقال معاوية: العافية للرجل أربعة أشياء: بيت يؤويه، وعيش يكفيه، وزوجة ترضيه، ونحن لانعرفه فنؤذيه، يعنى لايعرفه السلطان فيؤذيه، لأنه كان خليفة وسلطاناً.

وعن سفيان الثورى ـ رحمه الله تعالى ـ قال: نعمتان إن رزقك الله تعالى إياهما فاحمد الله عليهما واشكره: اجتنابك من باب السلطان، واجتنابك من باب الطبيب.

وعن بكر بن عبد الله المزنى قال: من كان مسلماً وبدنه فى عافية، فقد اجتمع عليه سيد نعيم الدنيا، وسيد نعيم الآخرة، لأن سيد نعيم الدنيا هو الافية وسيد نعيم الآخرة هو الإسلام.

٦٨٩ ـ وعن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصّحّة، والفراغ»**(١).

وروى عن بعض التابعين ـ رضى الله تعالى عنهم ـ أنه قال: من تظاهرتْ عليه النّعم فليكثر ذكر الحمد لله، ومن كثرت همومه فعليه بالاستغفار، ومن ألحّ عليه الفقر فليكثر: لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

٦٩٠ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: **« إذا كان فى الطعام أربعة فقد كمل شأنه كلّه: إذا كان من حلال، وإذا أكل ذكر اسم الله عليه، ثم تكثر عليه الأيدى، وإذا فرغ منه حمد الله»**(٢).

٦٩١ ـ وروى الحسن عن النبى ﷺ أنه قال: **«ما أنعم الله على عبد من نعمة، صغرت أو كبرت، فقال الحمد لله إلا كان قد أعطى أفضل مما أخذ»** (٣).

٦٩٢ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: **«عجبتُ لأمر المؤمن، أمره كله خير له، إن**

---

(١) **صحيح*** البخارى (١١/ ٦٤١٢) ، والترمذى (٢٣٠٤)، وابن ماجه (٤١٧).

(٢) **ضعيف جداً مرفوع*** أبو عبد الرحمن السلمى فى « سننه» من حديث ابن عباس وفيه (عمرو بن جميع) متروك، وذكره البيهقى فى « الشعب» (٥٨٣٧) عن الأوزاعى قال. بلغنى أنه لايتم الطعام حتى ثم ذكره بنحوه .وانظر. تنزيه الشريعة (٢/ ٢٦٥)

(٣) حسن* البيهقى فى « الشعب » (٤٤٠٥) وفيه رجل لم يسم و(٤٤٠٦) من قوله الحسن. وفى الباب عن أبى أمامة وأنس وغيرهما. انظر. صحيح الجامع (٥٥٦٢, ٥٥٦٣)

أصابه خير فشكر كان خيراً له، وإن أصابه شر فصبر كان خيراً له »[1].

وعن مكحول ـ رحمه الله تعالى ـ أنه سُئل عن قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]قال: بارد الشراب، وظلّ المساكن، وشبع البطون، واعتدالَ الخَلق، ولذّة النوم.

وذكر عن عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه خرج ذات يوم إلى أصحابه، وعليه مدْرَعة من صوف، وكساء من صوف وتبّان من صوف، مجزوز الرأس والشاربين، باكياً متغير اللون من الجوع، يابس الشفتين من الظمأ، طويل شعر الصدر والذراعين، فقال: السلام عليكم، أنا الذى أنزلت الدنيا منزلتها بإذن الله، ولا عجب ولا فخر يابنى إسرائيل، تهاونوا بالدنيا تهن عليكم، وأهينوا الدنيا تكرم لكم الآخرة، ولا تهينوا الآخرة فتكرم عليكم الدنيا، فإن الدنيا ليست بأهل كرامة، هى تدعو كل يوم إلى الفتنة والخسارة. ثم قال: إن كنتم جلسائى وأصحابى فوطنوا أنفسكم على العداوة والبغضاء من الدنيا، فإن لم تفعلوا فلستم بأصحابى ولا بإخوانى. يابنى إسرائيل اتخذوا المساجد بيوتاً، والقبور دوراً، كونوا كأمثال الأضياف، ألا ترون إلى طيور السماء لا يزرعون ولا يحصدون، والله فى السماء يرزقهم. يابنى إسرائيل، كلوا من خير الشعير، ومن بقول الأرض، واعلموا أنكم لم تؤدّوا شكر ذلك، فكيف مافوق ذلك؟

وروى أن سعيد بن جبير قال: أول من يدخل الجنة من يحمد الله فى السرّاء والضرّاء.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: اعلم أن الحمد والشكر عبادة الأولين والآخرين، وعبادة الملائكة، وعبادة الأنبياء عليهم السلام، وعبادة أهل الأرض، وعبادة أهل الجنة، فأما عبادة الأنبياء عليهم السلام فهو أن آدم عليه السلام لما عطس قال: الحمد لله، وأن نوحاً عليه الصلاة والسلام لما أغرق الله قومه وأنجاه ومن معه من المؤمنين أمره الله تعالى بأن يحمده فقال له: ﴿ فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لله الَّذِى نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

وقال إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام: ﴿ الْحَمْدُ لله الَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِى لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[إبراهيم: ٣٩].

---

(١) صحيح* مسلم (٤/٢٩٩٩) ،وأحمد (١/١٧٣ ، ١٧٧ ، ١٨٣) عن سعيد بن أبى وقاص .

وقال داود وسليمان ـ عليهما الصلاة والسلام ـ: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذى فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[النمل:١٥]وإن أهل الجنة يحمدون الله تعالى فى ستة مواضع:

أحدها: عند قوله تعالى: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾[يس: ٥٩]فإذا امتازوا يقولون: ﴿ الحمْدُ لله الذى نجّانا مِنَ القَومِ الظالمين﴾ [المؤمنون: ٢٨].

والثانى: حين جاوزوا الصراط قالوا: ﴿الحَمْدُ لله الَّذى أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤].

والثالث: لما اغتسلوا بماء الحياة نظروا إلى الجنة فقالوا: ﴿ الْحَمْدُ لله الَّذى هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلاَ أَنْ هَدَانَا الله﴾ [الأعراف: ٤٣].

والرابع: حين دخلوها قالوا: ﴿ الْحَمْدُ لله الَّذى صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرض﴾ [الزمر: ٧٤].

والخامس: حين استقروا فى منازلهم قالوا: ﴿الْحَمْدُ لله الَّذى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُور شَكُور الَّذى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَة مِنْ فَضْلِه﴾ [فاطر: ٣٤ ، ٣٥] الآية.

والسادس: حين فرغوا من الطعام قالوا: ﴿ الْحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ﴾[الفاتحة: ٢].

وقال بعض الحكماء: اشتغلت بشكر أربعة أشياء:

أولها: أن الله تعالى خلق ألف صنف من الخلق، ورأيت بنى آدم أكرم الخلق، فجعلنى من بنى آدم.

والثانى: فضل الرجال على النساء، فجعلنى من الرجال.

والثالث: رأيت الإسلام أفضل الأديان وأحبّها إلى الله تعالى، فجعلنى مسلماً.

والرابع: رأيت أمة محمد ﷺ أفضل الأمم، فجعلنى من أمة محمد ﷺ.

٦٩٣ ـ وروى عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن النبىﷺقال: «**إنّ الله تعالى خلق الخَلْق حين خلقهم،وهم أربعة أصناف: الملائكة،والجن، والإنس، والشياطين، وجعلهم عشرة أجزاء، تسعة منهم الملائكة،وجزء واحد الجن والإنس والشياطين**»(١).

ويقال: الخلق عشرة أجزاء: تسعة منها الشياطين والجن، وواحد منها الإنس، ثم جعل الإنس مئة وخمسة وعشرين صنفاً، فالمئة منها يأجوج ومأجوج، وخمسة

(١) انظر: «كتاب العظمة» لأبى الشيخ (٩٤٨ ـ ٩٤٩)

وعشرون سائر الخلق، فاثنا عشر من ذلك الروم والخزر والسقلاب ونحوها، وستة فى المغرب: الزلط والحبش والزنج ونحوها، وستة بالمشرق الترك، والخاقان، وغز، وتغر، وخلنج، وكيماك، ويمك، فهؤلاء كلهم كفار، ومصيرهم فى النار، إلا من أسلم، ويبقى صنف واحد من المسلمين من مئة وخمسة وعشرين صنفاً، فالواجب على كل من كان مؤمناً أن يحمد الله تعالى على هذا، ويعرف نعمته، ويعلم أن الله تعالى قد اختاره من جملة الخلق وجعله من صنف المؤمنين، ثم جعل الصنف الواحد من المسلمين على ثلاثة وسبعين صنفاً: إثنان وسبعون من ذلك فى أهواء مختلفة كلهم على الضلالة وواحد على سبيل السنة.

ويقال: الشكر على وجهين: شكر العام، وشكر الخاص. فأما الشّكر العام: فهو الحمد باللسان، وأن يعترفَ بالنّعمة من الله تعالى. وأما الشّكر الخاص: فالحمد باللسان، والمعرفة بالقلب، والخدمة بالأركان، وحفظ اللسان وسائر الجوارح عما لايحلّ.

وعن محمد بن كعب أنه قال: الشكر: العمل لقوله تعالى: ﴿ **اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا** ﴾ [سبأ: ١٣] يعنى اعملوا عملاً تؤدّون به شكراً.

٦٩٤ ـ وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه، عن النبى ﷺ أنه قال: «**خصلتان مَن كانتا فيه كتبه الله عنده شاكراً صابراً إحداهما: أن ينظر فى دينه إلى مَن هو فوقه، فيقتدى به، وينظر فى دنياه إلى من هو دونه فيحمد الله**»(١).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: تمام الشكر فى ثلاثة أشياء:

أولها: إذا أعطاك الله شيئاً، فتنظر من الذى أعطاك، فتحمده عليه.

والثانى: أن ترضى بما أعطاك.

والثالث: مادام منفعة ذلك الشىء معك وقوته فى جسدك لا تعصه.

وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ إن الله تعالى من خلقه صفوة، إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أُنعموا شكروا، وإذا بتلوا صبروا.

وروى عن محمد بن كعب القرظى قال: ركب سليمان بن داود ـ عليهما السلام ـ مركباً، فجاء أناس من قومه، فقالوا: يارسول الله، أعطيت شيئاً ما أعطى

---

(١) **ضعيف*** ابن المبارك فى « الزهد» (١٨٠) وعنه الترمذى (٢٥١٢)، والبعوى فى « شرح السنة» (٣٩٩٧)، وابن السنى فى « عمل اليوم والليلة» (٣٠٤) . انظر. الصعيفة (١٩٢٤).

أحد قبلك؟ قال سليمان ـ عليه السلام ـ : أربع خصال من كُنّ فيه فقد أُعطى خيرا مما أُعطى آل داود من الدنيا: خشية الله فى السرّ والعلانية، والقصد فى الغِنى والفقر، والعدل فى الغضب والرضا، وحمد الله فى السراء والضراء.

وروى عن أبى ذر الغفارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قيل له: أىّ الناس أنعم؟ قال: جسد فى التراب، آمن من العذاب، منتظر الثواب.

****

باب فضل الكسب

٦٩٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا قبيصة، عن سفيان، عن الحجاج بن فرافصة، عن مكحول، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

«من طلب الدنيا حلالاً استعفافاً عن المسألة، وسعياً على أهله، وتعطّفاً على جاره بعثه الله يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر. ومن طلب الدنيا حلالاً مُكاثراً مفاخراً مُرائياً لقى الله تعالى يوم القيامة وهو عليه غضبان»(١).

قال: حدثنا القاسم بن حمزة بن محمد، حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، عن نصير بن يحيى قال: حدثنا بعض أصحابنا أن داود النبى ـ صلوات الله تعالى عليه وسلامه ـ كان يخرج متنكّراً فيسأل عن سيرته من يراه من أهل مملكته، فتعرّض له جبريل ـ عليه السلام ـ على صورة آدمى فقال له داود عليه السلام: يافتى، ماتقول فى داود؟ فقال: نعم العبد هو غير أن فيه خصلة قال : وما هى؟ قال: يأكل من بيت مال المسلمين، ومافى العباد أحبّ إلى الله من عبد يأكل من كدّ يده، فعاد إلى محرابه باكياً متضرعاً يقول: يارب علمنى صنعة أعملها بيدى تغنينى بها عن مال المسلمين، فعلّمه الله تعالى صنعة الدروع وألان له الحديد ،حتى كان فى يده بمنزلة العجين، وكان إذا تفرغ من القضاء وحوائج أهله، عمل درعاً، فباعها وعاش هو وعياله بثمنها. وذلك قوله تعالى: ﴿**وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**﴾[سبأ: ١٠] وقوله: ﴿**وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ**﴾[الأنبياء: ٨٠] يعنى لتحفظكم من حربكم.

---

(١) ضعيف* أبو نعيم فى « الحلية» (٣/ ١١٠ ، ٨/ ٢١٥)، والبيهقى فى « الشعب» (١٠٣٧٤) فيه علتان.
الأولى: (الحجاج بن فرافصه) ضعيف لسوء حفظه.
الثانية: الانقطاع بين مكحول وأبى هريرة. انظر : الضعيفة (١٠٣٢).

قال: حدثنا حمزة بن محمد، حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، حدثنا ابن يحيى، حدثنا مكى بن إبراهيم، عن شيخ بن أشجع، عن ثابت البنانى - رضى الله تعالى عنه - قال: بلغنى أن العافية عشرة أجزاء: تسعة فى السكوت، وواحدة فى الفرار من الناس، والعبادة عشرة أجزاء: تسعة فى طلب المعيشة، وواحدة فى العبادة.

٦٩٦ - وروى جابر بن عبد الله - رضى الله تعالى عنهما - عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ما فتح الرّجلُ على نفسه بابَ مسألة إلا فتح الله عليه باب الفقر. ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغن يغنه الله لأن يأخذ أحدكم حبلاً فيعمد إلى هذا الوادى، فيحتطب فيه، ثم يأتى سوقكم هذا فيبيعه بمد من تمر، لكان خيراً له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه**»(١).

٦٩٧ - وعن النبى ﷺ أنه قال: «**عليكم بالبزّ، فإنّ أباكم إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان بزّازاً**»(٢).

٦٩٨ - وروى أبو هريرة - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ: «**إنّ زكريا عليه الصلاة والسلام كان نجاراً**»(٣).

وروى هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضى الله تعالى عنها، أنها قالت: كان سليمان بن داود - عليهما السلام - يخطب الناس على المنبر، وإن فى يده لَخَوْصاً يعمل به القفة، أو بعض ما يعمل، فإذا فرغ ناوله إنساناً، وقال: اذهب به وبِعْه.

وقال شقيق بن إبراهيم فى قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ بَسَطَ الله الرّزقَ لعبَاده لَبَغْوا فى الأرْضِ**﴾ [الشورى :٢٧] : إن الله تعالى عز وجل لو رزق العبادَ من غير كسب لتفرّغوا فتفاسدوا، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرّغوا للفساد.

وقال سعيد بن المسيب: لا خيرَ فيمن لا يجمع المال من حله، فيخرج منه حقّه، ويصون به عرضه.

وعن عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - أنه قال: يامعشر الفقراء، ارفعوا رؤوسكم، واتّجزوا فقد وضح الطريق، ولا تكونوا عيالاً على الناس.

وروى العوام بن حوشب، عن أبى صالح مولى عمر - رضى الله تعالى عنهم - أنه قال: كان كان عمر يأمرنا أن نشترك ثلاثة: فيجلب واحد، ويبيع الآخر، ويغزو الثالث فى سبيل الله تعالى.

---

(١) **حسن*** أحمد (٢/ ٤١٨) عن أبى هريرة بنحوه، والبيهقى فى «الشعب» (٣٤١٣) بأوله.

(٢) لم أقف على إسناده. (٣) **صحيح** * مسلم (٣/ ٢٣٧٩).

قال العوام: فحدّثنى أبو صالح، ورأيته مرابطاً بالساحل، قال: نحن ثلاثة شركاء، وهذه نوبتى فى الغزو.

قال: وسمعت الفقيه أبا جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ قال: روى عن أبى المبارك أنه قال: من ترك السوق ذهبت مروءته، وساء خلقه.

وعن إبراهيم بن يوسف ـ رحمه الله تعالى ـ قال لمحمد بن سلمة: عليك بالسوق، فإنه أعزّ لصاحبه.

٦٩٩ ـ وعن جابر بن عبد الله رضى الله تعالى عنهما، أن النبى ﷺ قال: «**من غَرس غرساً أو زرع زرعاً، فأكل منه إنسان أو دابة أو طير أو سبع فهو له صدقة**»(١).

٧٠٠ ـ وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺأنه قال: «**لو قامت القيامة وفى يد أحدكم فسيلة، فإن استطاعَ أن لا يقومَ حتى يغرسها فليفعل**»(٢).

٧٠١ ـ وعن مكحول ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إيّاكم أن تكونوا غيّابين أو مداحين أو طعّانين أو متماوتين.**» (٣) يعنى أن يجعل نفسه كالميت لا يشتغل بالكسب .

٧٠٢ ـ وعن الأعمش، عن أبى المخارق قال: كان رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ مرّ عليهم أعرابى شاب جلد، فقال أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ : ويحه لو كان شبابه وقوته فى سبيل الله كان أعظم لأجره، فقال رسول الله ﷺ:

« **إن كان يسعى على أبوين كبيرين ليعينهما فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى على أولاده الصغار فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه ليستغنى عن الناس فهو فى سبيل الله، وإن كان يسعى رياء وسمعة فهو فى سبيل الشيطان**»(٤).

٧٠٣ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ الله تعالى يحبّ كلّ مؤمن محترف أبا العيال، ولا يحبّ الفارغَ الصّحيح؛ لافى عملَ الدنيا ولا فى عمل الآخرة**» (٥).

---

(١) صحيح* مسلم (٣/ ١٥٥٢) ، وأحمد (٦/ ٤٢٠) .

(٢) قال الهيثمى فى « المجمع» (٤/ ٦٣): رواه البزار [١٢٥١ ـ كشف] ورجاله أثبات ثقات .

(٣) مرسل* (من أقسام الضعيف)٠ فيه (مكحول) كثير الإرسال.

(٤) رواه الطبرانى فى الثلاثة، الكبير (١٩/ ١٢٩)، والصغير(٩٤٠ ــ الروض) قال المنذرى فى «الترغيب» (٣/ ٨١)، والهيثمى فى « المجمع» (٤/ ٣٢٥): ورجال الكبير رجال الصحيح.

(٥) فيه ضعف* الطبرانى فى الكبير والآوسط، فيه (عاصم بن عبيد الله) ضعيف . انظر٠ المجمع (٤/ ٦٢).

٧٠٤ ـ وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، قال: كان النبى ﷺ يخرج إلى السوق ويشترى حوائج أهله فسئل عن ذلك فقال: « أخبرنى جبريل ـ عليه السلام ـ، فقال: من سعى على عياله؛ ليكفّهم عن الناس؛ فهو فى سبيل الله»(١).

٧٠٥ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ: أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فسأل منه حاجة، فقال له رسول الله ﷺ: « **أو ما فى بيتك شيء؟**» قال: بلى يارسول الله، حِلْسٌ قد تخرّق بعضه، ونحن نجلس عليه. وننام فيه، ونجعل بعضه تحتنا وبعضه فوقنا، وقصعة نأكل فيها ونشرب فيها ونغسل فيها رؤوسنا. فقال رسول الله ﷺ : « **ائتنى بهما جميعاً**».

فأتاه بهما فأخذهما رسول الله ﷺ بيده وقال: «**من يشترى هذين؟**» فقال رجل: أنا آخذهما بدرهم، فقال: «ألا من يزيد على درهم» مرتين، فقال رجل آخر: أنا آخذهما بدرهمين، فأعطاهما إياه وقبض الدرهمين، ودفعهما إلى الرجل، وقال له: «**اشتر بأحدهما طعاماً واحمله إلى منزلك، واشتر بالآخر قدوماً وائتنى به**»، فأتاه فشدّ لهَ رسول الله ﷺ عوداً بيده، ثم قال: «**انطلق واحتطب، وبع، ولا أراك خمسة عشر يوماً**» فذهب واكتسب عشرة دراهم فاشترى ببعضها طعاماً، وببعضها ثوباً فقال رسول الله : « **أليس هذا خير لك من أن تجيءَ يوم القيامة، ومسألتك فى وجهك نكتة سوداء لا يمحوها إلا النار**»(٢).

وقال بعضُ الحكماء: لا ينبغى للعاقل أن ينزلَ بلداً ليس فيها خمسة: سلطان قاهر، وقاضٍ عادل، وسوق قائم، ونهر جارٍ، وطبيب حاذق.

وقيل لبعض الحكماء: ماخير المكاسب؟ قال: أما خير مكاسب الدنيا: فطلب الحلال لزوال الحاجة، والأخذ منه لعدة العبادة، وتقديم فضل زاد يوم القيامة. وأما خير مكسب الآخرة: فعلم معمول به نشرته، وعمل صالح قدمته، وسُنّة حسنة أحييتها.

قيل : وما شرّ المكاسب؟ قال: أما شرّ مكاسب الدنيا فحرام جمعته، وفى المعصية أنفقته، ولمن لا يطيع ربه خلفته، وأما شرّ مكاسب الآخرة: فحقّ أنكرته حسداً، ومعصية قدمتها إصراراً، وسنة سيئة أحييتها عدواناً؛ أى ظلماً.

---

(١) إسناده ضعيف* به انقطاع ورواه الطبرانى فى « الأوسط» من حديث أبى هريرة. قال العراقى فى « تخريج الإحياء» (٢/ ٩٠) إسناده ضعيف.

(٢) ضعيف * أبو داود (١٦٤١) وابن ماجه (٢١٩٨) . فيه(عبد الله أبو بكر الحنفى) لا يعرف حاله. وقال البخارى. لا يصح حديثه التهذيب (٦/ ٨)

باب آفة الكسب والحذر عن الحرام

٧٠٦ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد ابن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو حفص، عن سعيد، عن قتادة رضى الله تعالى عنه قال: ذكر لنا أن النبى ﷺ قال: «**إن شئتم لأحلفن أنّ التاجر فاجر**»[١].

٧٠٧ ـ قال قتادة: وكان يقول ﷺ: « **عجبتُ للتاجر أن يتخلّص يحلف بالنهار ويحسب بالليل** »[٢].

وقال: حدثنا حمزة بن محمد، وحدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، عن نَصر بن يحيى قال: بلغنا عن أهل العلم أنه قال: لا يقوم الدين والدنيا إلا بأربعة: العلماء، والأمراء، والغزاة، وأهل الكسب.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعتُ بعض الزهاد يفسّر هذا الكلام فقال: أما الأمراء فهم الرعاة يرعون الخلق، وأما العلماء فهم ورثة الأنبياء وهم يدلّون الخلق إلى الآخرة، والناس يقتدون بهم، وأما الغزاة فهم جند الله على الأرض لقمع الكفار ولأمن المسلمين، وأما أهل الكسب فهم أمناء الله تعالى لمصلحة الخلق. ثم قال: الرعاة إذا صاروا ذئاباً فمن يحفظ الغنم؟ والعلماء إذا تركوا العلم واشتغلوا بالدّنيا فبمن يقتدى الخَلْق: والغزاة إذا ركبوا للفخر والخيلاء وخرجوا للطمع فمتى يظفروا بالعدو؟ وأما أهل الكسب إذا خانوا الناس فكيف يأمن بهم الناس؟

قال بعض الحكماء: إذا لم يكن فى التاجر ثلاث خصال افتقر فى الدارين جميعاً:

أولها: لسان تقى من ثلاثة: الكذب، واللغو، والحلف.

والثانى: قلب صاف من ثلاث: من الغش، والخيانة والحسد.

والثالث: نفس محافظة لثلاث: الجمعة والجامعة، وطلب العلم فى بعض الساعات، وإيثار مرضاة الله تعالى على غيره.

وعن على بن أبى طالب ـ كرّم الله وجهه ـ أنه قال: التاجر إذا لم يكن فقيهاً ارتطم فى الربا؛ يعنى غرق فى الربا، ثم ارتطم، ثم ارتطم.

---

(١) إسناده **ضعيف*** به انقطاع. وقتادة مع ثقته كان يدلّس

(٢) **ضعيف جدا*** رواه العقيلى من حديث أنس (تنزيه الشريعة ٢/١٩٧) من طريق(بشر بن الحسين) متروك، وذكره الذهبى فى ترجمته فى « الميزان». (١/٣١٦) .

وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: من لم يتفقَّه فى الدِّين فلا يتّجرن فى أسواقنا.

وقال سفيان الثورى ـ رضى الله تعالى عنه ـ: لا تنظرن إلى زى أهل السوق، فإن تحت ثيابهم ذئاباً.

وقال سفيان أيضاً: إياكم وجيران الأغنياء، وقراء الأسواق، وعلماء الأمراء.

وعن محمد بن أبى الشمال [(١)] ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه دخل السوق فقال: يا أهل السوق سوقكم كاسد، وبيعكم فاسد، وجاركم حاسد، ومأواكم النار.

وعن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: كسبُ الحلال أشدّ من نقل الجبل إلى الجبل.

وعن يونس بن عبيد ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: ما أعلم اليوم شيئاً أقل من درهم طيب ينفق، وأخٍ يسكن إليه فى الإسلام، وعامل يعمل على السنة وما يزدادون إلا قلة، ولو وجدنا درهماِ من الحلال لا ستشفينا به مرضانا.

٧٠٨ ـ وقال معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه: «**ما من عبد إلا ويُعرض على الله يوم القيامة، فلا تزول قدماه حتى يسأل عن أربع خصال: عن جسده، فيم أبلاه وعن عمره فيم أفناه، وعن علمه كيف عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وأين أنفقه؟**» [(٢)].

وقال بعض الحكماء: المنافق ما أخذ من الدنيا يأخذ من الحرص، ويمنع بالشك، وينفق بالرياء، والمؤمن البصير يأخذ بالخوف، ويمسك بالشكر، وينفق خالصاً لوجه الله تعالى.

وقال يحيى بن معاذ الرازى ـ رحمه الله تعالى ـ: الطاعة مخزونة فى خزائن الله تعالى، ومفتاحها الدعاء، وأسنانها لقمة الحلال.

وعن ابن شبرمة ـ رحمه الله تعالى ـ قال: العجب ممن يحتمى من حلال مخافة الداء، فكيف لا يحتمى بالحرام مخافة النار؟.

٧٠٩ ـ وروى ابن الزبير عن جابر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: « **يا أيها الناس إن أحدكم لن يموت حتّى يستكملَ رزقة، فلا تستبطئوا**

---

(١) قال البخارى* لا يتابع على حديثه. (ميزان الإعتدال ٣/ ٥٨٠)

(٢) **صحيح لغيره*** الخطيب فى « تاريخه» (١١/ ٤٤١) وفى إقتضاء العلم العمل» (٢) فيه ضعف. لكن له شواهد من حديث ابن مسعود وأبى برزة . انظر: الصحيحة (٩٤٦).

الرزق، فاتّقوا الله وأَجْمِلُوا فى الطلب، فَخُذُوا ما حلّ لكم، وذروا ما حرّم الله»(١).

وقال الحكيم: الناس فى الكسب على خمس مراتب: منهم من يرى الرزق من الله تعالى، ومنهم من يرى الرزق من الكسب، فهو كافر. ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ومن الكسب، فهو مشرك، ولا يدرى أيعطيه أم لا، فهو منافق شاكّ ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويعصى لأجل الكسب ولايؤدى حقه، فهو فاسق. ومنهم من يرى الرزق من الله تعالى ويرى الكسب سبباً، ويخرج حقه ولا يعصى الله تعالى لأجل الكسب فهو مؤمن مخلص.

٧١٠ ـ وروى عن زيد بن أرقم ـ رضَي الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان لأبى بكر الصديق ـ رضى الله تعالى عنه ـ غلام يزتيه كل ليلة بغلته طعاما يأكله، وكان أبو بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ لا يأكله حتى يسأله من أين اكتسبه، ومن أين أصابه.

قال: فجاء ذات ليلة بطعام، فضرب يده إليه، فأكل لقمة من غير أن يسأله. فقال الغلام: قد كنت تسألنى كل ليلة غير هذه الليلة فإنك لم تسألنى، قال: ويحك، الجوع جملنى، ويحك، أخبرنى من أين جئت به؟ قال: كنت رقيت لأناس فى الجاهلية، فوعدونى عليه عدة، فرأيت عندهم وليمة، فذكرتهم وعدهم الذى وعدونى، فأعطونى هذا الطعام. فاسترجع أبو بكر ـ رضى الله عنه ـ عند ذلك، ثم أخذ يتقيأ، فكابد وجاهد نفسه أن ينزع اللقمة من بطنه فلم يقدر حتى اخضر واسود من الجهد، فلم يقدر فلما رأوا ما يلقى من المعالجة. قالوا: لو شربت عليه قدحاً من ماء، فأتى بعس من ماء، فشرب ثم تقيأ، فما زال يعالج نفسه حتى نبذها. فقالوا: هذا من أجل هذه اللقمة؟ قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنّ الله تعالى حرّم الجنة على كلّ جسد تغذّى أو غذى بحرام»**(٢).

قال الفقيه: رحمه الله تعالى ـ: من أراد أن يكون كسبه طيباً، فعليه أن يحفظ خمسة أشياء:

أولها: أن لايؤخّر شيئاً من فرائض الله تعالى لأجل الكسب، ولايدخل النقص فيها.

والثانى: لا يؤذى أحداً من خَلْق الله تعالى لأجل الكسب.

والثالث: أن يقصد بكسبه استعفافاً لنفسه ولعياله، ولا يقصد به الجمع والكثرة.

---

(١) **صحيح بشواهده** * ابن ماجه (٢١٤٤) وغيره وله شواهد . انظر. الداء والدواء (١١١ بتحقيقى).

(٢) **ضعيف جداً*** البيهقى فى «الشعب» (٥٧٦٠ مختصراً القصة). ورواه (٥٧٥٩) وعبد بن حميد فى «المنتخب» (٣) ، وابن عدى (٥/ ٢٩٨) بدون القصة. . فيه (عبد الواحد بن زيد) تركوه

والرابع: أن لا يجهدَ نفسه فى الكسب جداً.

والخامس: أن لايرى رزقه من الكسب ويرى الرزق من الله تعالى والكسب سبباً.

٧١١ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: « **من اكتسب مالاً من مأثم، فتصدّق به أو وصل به رحماً، أو أنفقه فى سبيل الله جُمِع ذلك كلّه وأُلقى فى النار**»[١].

وروى عن عمران بن الحصين ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: لا يقبل الله حج رجل ولا عمرته ولا جهاده ولا صدقته ولا إعتاقه ولا نفقته من ربا أو رشوة أو خيانة أو غلول أو سرقة. ثم قال: الخمس بالخمس.

٧١٢ ـ وعن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: قال النبى ﷺ: « **لا يكسب عبدٌ مالاً حراماً فيتصدّق به، فيؤجر عليه، ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره، إلا كان زاده إلى النار وإن الله تعالى لا يمحو السىء بالسىء، ولكن يمحو السىء بالحسن**»[٢].

٧١٣ ـ وعن الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ أن النبى ﷺ قال: « **إنما المالُ مال جالب، وشرّ تجاركم المقيمون بين أظهركم الذين يمارونكم وتمارونهم، وتخالفونهم ويخالفونكم**»[٣].

٧١٤ ـ وسئل النبى ﷺ عن أطيب الكسب قال: « **عملُ الرّجل بيده، وكلّ بيع مبرور**» [٤] الذى لا شبهة فيه ولا خيانة.

٧١٥ ـ وعن قتادة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان يقال: التّاجر الصّدوق تحت ظلّ العرش يوم القيامة»[٥].

***

---

(١) **حسن لغيره*** أبو داود في « المراسيل» (١٣١) من حديث القاسم بن فخير. وانظر مابعده.

(٢) **حسن*** الحاكم (١/ ٣٣، ٣٤)، والبيهقى فى « الشعب» (٦٠٧) . وانظر: الحيث رقم (٦١٧)

(٣) **ضعيف*** أرسله الحسن البصرى وهو كثير التدليس.

(٤) **صحيح*** أحمد (٤/ ١٤١)، والحاكم (٢/ ١٠)، البيهقى فى «الشعب» (١٢٢٩)، وابن أبى الدنيا في «إصلاح المال» (٣٠٧) عن رافع بن خديج . انظر: صحيح الجامع (١٠٣٣).

(٥) **موضوع مرفوع*** الأصبهانى فى « الترغيب والترهيب» (٧٩٤). فيه (يحيى بن شبيب) كذاب، ورواه البيهقى (٩٠٢٩) عن قتادة عن سلمان موقوفاً وفيه انقطاع .

باب فضل إطعام الطّعام وحسن الخلق

٧١٦ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن عبد الوهاب بن محمد، حدثنا أحمد بن على، حدثنا أبو ثابت أحمد بن أبى وداعة، حدثنا أبو بكر بن عمرو بن سعيد بن على بن الأزهرى، عن جرير، عن الأعمش، عن عطية العوفى، قال: قال لى جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: ياعطية، احفظ وصيتى ما أراك مصاحبى غير سفرى هذا: أحب آل محمد وصحبه، وأحب محبى آل محمد، ولو وقعوا فى الذنوب والخطايا، وأبغض مبغضى آل محمد ﷺ ولو كان صواماً قواماً، وأطعم الطعام، وأفش السلام، وصلّ بالليل والناس نيام فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **ما اتّخذ الله إبراهيم خليلاً إلا لإطعامه الطعام، وإفشائه السلام، وصلاته بالليل والناس نيام**»(١).

٧١٧ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا محاصر بن مورع، عن الأعمش، عن أبى إسحاق، عن الغيران بن حريث قال: جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال: إن هؤلاء المهاجرين والأنصار يقولون: إنا لسنا على شىء، فقال: بلى. إذا أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وصمت، وحججت بيت الله، وقريت الضيف دخلت الجنة.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا يعلى بن عبيد، عن محمد بن إسحاق، عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى، عن أبى شريح الخزاعى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

« **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، جائزته يوم وليلة، والضيافة ثلاثة أيام، فما كان بعد ذلك فهو صدقة**»(٢).

وعن عطاء قال: كان إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه إذا أراد أن يتغدّى ولم يجدْ من يتغدّى معه سار الميل والميلين فى طَلَب من يتغدّى معه.

وعن عكرمة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: كان إبراهيم ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ يسمى أبا الضيفان، وكان لقصره أربعة أبواب، ينظر من أيّها مجىء المرء.

وعن أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرّم الله وجهه، أنه قال: لأن أجمع نفراً من

---

(١) فيه ضعف * لعنعنة الأعمش مع ثقته كان يدلّس . و (عطية العوفى) صدوق يخطئ كثيراً .

(٢) متفق عليه* البخارى (١٠/ ٦١٣٥) ومسلم (٤٨).

إخوانى على صاع أو صاعين أحب إلىّ من أن أخرج إلى سوقكم هذا فأعتق نسمة.

وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما، أنه كان إذا صنع طعاماً فمرّ به رجل ذو هيئة، لم يَدْعُه، وإذا مرّ به مسكين دعاه، وقال: أَتَدْعُون من لا يشتهى، وتَدَعُون من يشتهى؟

٧١٨ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه سُئل: ما أكثر ما يلجُ به الناس فى الجنة؟ قال: « **تقوى الله وحسن الخلق**» فقلت: ما أكثر ما يلجُ به الناس فى النار؟ قال: «**الاجوفان: الفم، والفرج، وسوء الخلق** »(١).

وعن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها وعن أبويها ـ قالت: إن حسن الخلق، وحسن الجوار، وصلة الرحم، يعمرن الديار، ويزدن فى الأعمار، وإن كان القوم فجاراً.

٧١٩ ـ وروى عن عطاء بن أبى رباح عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: كنت عاشر عشرة رهط فى مسجد رسول الله ﷺ أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وعبد الرحمن، وابن مسعود، ومعاذ، وحذيفة، وأبو سعيد الخدرى، وعبد الله ابن عمر ـ رضى الله عنهم ـ فجاء فتى من الأنصار، فسلّم على النبى ﷺ ثم جلس فقال: أى المؤمنين أفضل؟ قال: «**أحسنهم خلقاً**»، قال: فأى المؤمنين أكيس؟ قال: «**أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً قبل أن ينزل به، أولئك هم الأكياس**».

ثم سكت الفتى، وأقبل علينا النبى ﷺ وقال: «**يامعشر المهاجرين والأنصار، خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة فى قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التى لم تكن فيما مضى من أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين: شدة المؤونة، وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوهم من غيرهم، وماترك أئمتهم الحكم بكتاب الله تعالى إلا جعل بأسهم بينهم**»(٢).

٧٢٠ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، فليسعهم منكم بسط وجه، وحسن خُلُق** »(٣).

---

(١) حسن* أحمد (٢/ ٤٤٢)، والترمدى (٢٠٠٤)، وابن ماجه (٤٢٤٦).

(٢) حسن* ابن ماجه (٤٠١٩)، وأبو نعيم فى «الحلية» (٨/ ٣٣٣)، والحاكم (٤/ ٥٤٠) وانظر. مصباح الزجاجة (٣/ ٣٤٥) والصحيحة (١٠٦).

(٣ ضعيف جداً* أبو يعلى (٦٥٥٠)، والبزار(٢/ ٤٠٨، ٤٠٩ كشف)، وأبو نعيم (١٠/ ٢٥) والحاكم (١/ ١٢٤) والأصهانى فى « ترغيبه» (٧ ٢٤) فيه (عبد الله بن سعيد المقرى)· متروك.

٧٢١ ـ وعن عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه، عن نواس بن سمعان الأنصاري ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: سألت رسول الله ﷺ عن البرّ والإثم فقال: « **البرّ حُسْن الخلق، والإثم ماحاك فى صدرك، وكرهتَ أن يطلع عليه النَاس**»(١).

٧٢٢ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**كرم المرء دينه، ومروءته عقله، وحَسْبُهُ خُلُقه**» (٢).

٧٢٣ ـ وعن أبى ثعلبة الخشنى عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ من أحبّكم إلى وأدناكم منى مجلساً فى الآخرة أحسنكم أخلاقاً، وإن من أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلساً فى الآخرة أساوئكم أخلاقا**»(٣).

وعن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: إن حسن الخلق يذيب الخطايا كما تذيب الشمس الجليد، وإن الخلق السىء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل.

٧٢٤ ـ وروى يحيى بن سعيد، عن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: كان آخر ما أوصانى به رسول الله ﷺ حين جعلت رجلى فى الغرز فقال: « **حَسِّن خُلُقَكَ مع الناس يا معاذُ بن جبل**»(٤).

٧٢٥ ـ وروى جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**حُسْنُ الخُلُق زمامٌ من رحمة الله فى أنف صاحبه، والزّمام بيد الملك، والملك يجره، إلى الخير، والخير يجرّه إلي الجنة، وسُوء الخُلُق زمامٌ من عذاب الله فى أنف صاحبه، والزّمام بيد الشيطان، والشّيطان يجرّه إلي الشرّ، والشرّ يجرّه إلى النار**»(٥).

٧٢٦ ـ وروى جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال: « **إنّ هذا الدّين هو الذى ارتضيته لنفسى، ولا يصلحه إلا خصلتان: السّخاء وحُسْن الخُلُق، فأكرموه بهما ما صحبتموه** »(٦).

ويقال : إذا دعا الرجل أضيافاً يجب على صاحب البيت ثلاثة أشياء، ويجب على الضيف ثلاثة أشياء.

---

(١) صحيح* مسلم (٤/ ٢٥٥٣)، والترمذى (٢٣٨٩)، وأحمد (٤/ ١٨٢)

(٢) ضعيف * أحمد (٢/ ٣٦٥)، وابن حبان (١٩٢٨)، والحاكم (١/ ١٢٣)، والبيهقى (١٠/ ١٩٥) وفى «التعب» (٤٦٥٧) والقضاعى (١٩٠) فيه (مسلم بن خالد الزنجى)» ضعيف.

(٣) صحيح* أحمد (٤/ ١٩٣، ١٩٤) والبيهقى فى « الشعب» (٧٩٨٩) وانظر : الصحيحة (٧٩١)

(٤) صحيح* رواه مالك، فى « الموطأ» (٢/ ٩٠٢) وعنه البيهقى فى « التعب» (٨٠٢٩) .

(٥) البيهقى فى « الشعب» (٨٠٣٧) من حديث أبى موسى الأشعرى .

(٦) ضعيف* الطبرانى فى « الأوسط » والخرائطى فى « مكارم الأخلاق» (٧) . وانظر: المجمع (٨/ ٢٠).

فأما التى تجبُ على صاحب البيت:

فأولها: أن لا يتكلّف للضّيف ما لا يطيق، ولا يجاوز فيه السُّنَّة.

والثانى: أن لا يطعمه إلا من حلال.

والثالث: أن يحفظَ عليه وقت الصلاة.

وأما التى تجبُ على الضيف.

فأولها: أن يجلس.

والثانى: أن يرضى بما قدّم إليه.

والثالث: أن يدعوَ له عند خروجه بالبركة.

٧٢٧ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: « **مَن أدّى زكاة ماله، وقرى الضيف، وأعطى قومه فى النائبة، فقد وُقى شحّ نفسه**»[١].

***

باب التوكّل على الله

قال الفقيه أبو الليث السّمرقندى: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا عبد الرحمن بن محمد المازنى، عن شيخ بن أشجع، عن سالم بن أبى الجعد ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال عيسى ابن مريم ـ صلوات الله عليه وسلامه: لا تخبؤوا طعاماً لغد، فإن غداً يأتى ومعه رزقه، وانظروا إلى الذرّ ومن يرزقه، فإن قلتم بطون الذر صغار فانظروا إلى الطائر، فإن قلتم للطائر أجنحة، فانظروا إلى الوحوش ما أبدنها وأسمنها!.

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن سفيان، عن أبى السوداء، عن أبى مجلز قال: قال عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ: ما أبالى على أىّ حال أصبحت؛ على ما أحب أو على ما أكره؛ لأنى لا أدرى الخير فيما أحبّ أو فيما أكره.

٧٢٨ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن عمرو مولى المطلب، عن المطلب بن حنطب أن النبى ﷺ قال:

---

(١) رواه أبو يعلى، والطبرانى، وسعيد بن منصور، عن خالد بن حارثة الأنصارى (كنز العمال ١٥٧٨).

«ما تركتُ شيئاً مما أمركم الله به إلا وقد أمرتكم به، وما تركت شيئاً مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه، ألا وإن الروح الأمين جبريل ـ عليه السلام ـ قد ألقى فى روعى أنه لن تموت نفس حتى تستوعب كل الذى كتب لها، فمن أبطأ عنه شىء من ذلك فليجمل فى الطلب، فإنكم لا تدركون ما عند الله بمثل طاعته»[1].

٧٢٩ـ وروى عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما، عن النبى ﷺ أنه قال: «**من سرّه أن يكونَ أقوى الناس فليتوكّل على الله، ومن سرّه أن يكون أكرم الناس فليتّق الله، ومن سرّه أن يكون أغنى الناس فليكنْ بما فى يد الله أوثق منه ممّا فى يده**»[2].

وذكر عن داود ـ عليه السلام ـ أنه قال لابنه سليمان ـ عليه السلام ـ: يا بنى إنما يستدلّ على تقوى الرجل بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصّبر فيما قد فات.

وذكر عن أبى مطيع البلخى أنه قال لحاتم الأصم ـ رحمهما الله ـ: بلغنى أنك تجاوز المفاوز بالتوكل بغير زاد، قال: بل أجوزها بزاد، قال: وما زادك؟ قال: زادى فيها أربعة أشياء. قال: وما هى؟ قال: أرى الدنيا بحذافيرها مملكة لله، وأرى الخَلْقَ كلهم عيال الله، وأرى الأسباب والأرزاق كلها بيد الله، وأرى قضاء الله نافذاً فى جميع أرض الله. قال أبو مطيع: نعم الزاد زادك يا حاتم، وإنك لتجاوز به مفاوز الآخرة، فكيف مفاوز الدنيا.

وذكر أن رجلاً جاء إلى شقيق الزاهد ـ رحمه الله تعالى ـ فقال له: أوصنى، فقال له شقيق: احفظ ثلاثة أشياء: أعبد الله فإنه يثبتك، وحارب عدو الله فإنه ينصرك، وصَدِّقْهُ بالوعد فإنه يأتى به إليك.

٧٣٠ ـ وعن ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال: لو أن أهل العلم صانوا علمهم وبذلوه لأهله لسادوا به أهل زمانهم، ولكنهم بذلوه لأهل الدنيا لينالوا من دنياهم، فهانوا على أهلها. سمعت نبيكم ﷺ يقول: «**من جعلِ الهمومَ هماً واحداً؛ يعنى همّ آخرته، كفاه الله ما أهمّه من أمر دنياه، ومن شغلته همومُ أحوال الدنيا لم يبالِ الله تعالى**

---

(١) **صحيح بشواهده**: الشافعى فى «مسنده» (٢٣٣) وعند البيهقى فى «الشعب» (١١٨٥) مرسلاً وله شواهد. انظر: الداء والدواء (١١١ ـ بتحقيقى)

(٢) **ضعيف جداً**: أبو نعيم فى «الحلية» (٣/٣١٨) والحاكم (٤/ ٢٧٠) وفيه (آبو المقدام)متروك والحاكم أيضاً (٤/ ٢٦٩) وفيه (محمد بن معاوية) كذاب

في أي أودية النار أهلكه، وأي أودية النار عذّبه»[1].

ويقال: مكتوب في التوراة: يا بن آدم حرك يدك أبسط لك في رزقك، وأطعني فيما أمرتك، ولا تعلمني فيما يصلحك.

وروى عن علي بن أبي طالب ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: قوام الإسلام بأربعة أركان: اليقين، والعدل، والصبر، والجهاد.

والعلماء فسروا هذه الأربعة الأشياء، فقالوا: أما اليقين فهو على وجهين:

أحدهما: أن يعملَ لله خالصاً، ولا يطلب به عرض الدنيا، ولا رضا المخلوقين.

والثاني: أن يكونَ آمناً بوعد الله، وهو الرزق.

وأما العدل فهو على وجهين:

أحدهما: أنه لو كان عليه حقّ يؤدّيه قبل الطلب.

والثاني: إذا كان له على غيره حقّ يرفق بطلبه.

وأما الصبر فهو على وجهين:

أحدهما: أن يصبرَ على أداء فرائض الله تعالى.

والثاني: أن يصبر عما نهاه الله عنه.

وأما الجهاد فهو على وجهين:

أحدهما: أن لا تغفلَ عن عدوّك وهو الشيطان، فإنك إن غفلتَ عنه فإنه لم يغفلْ عنك، فهو كالذئب إذا وقع في الغنم، فكلّ شاة غفلت عنها أخذها.

والثاني: إن أكثر فتنة بني آدم لأجل المال، فارْضَ باليسير من المال لكيلا يغرّك.

وروى عن شقيق ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال لحاتم الأصم ـ رحمه الله تعالى ـ: منذ كم تختلف إليّ؟ قال: منذ ثلاثين سنة. فقال له شقيق: أي شيء تعلّمت في هذه الثلاثين سنة؟ قال: تعلّمتُ ستُ كلمات فلو عملت بها لرجوت أن تنجيني من فتنة الدنيا. فقال له شقيق: أخبرني عن ذلك، فلعلي أعمل بهن فأنجو بذلك.

فقال: أما الأولى: نظرت في قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ

---

(١) ضعيف* ابن ماجه (٢٥٧، ٤١٠٦) وأبو نعيم (٢/١٠٥) والبيهقي في الشعب (١٨٨٨) وفيه (نهشل بن سعيد) متروك. ورواه الحاكم (٢/٤٤٣، ٤/٣٢٩) من حديث ابن عمر، وفيه (أبو عقيل) ضعيف.

رزْقُهَا﴾ [هود:٦]، فرأيت نفسى من تلك الدواب التى رزقها الله تعالى، وعلمت أن ما هو لى فإنه يصل إلى، فإن الله تعالى يرزق الفيل مع عظمه، ولا ينسى البعوضة لصغرها، ففوضت أمرى إلى الله، فاشتغلت بالعبادة، ولا أهتم لغيرها. فقال له شقيق: نعم ما فهمت، فما الثانية؟

قال: نظرت فى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]فرأيت المؤمنين كلهم إخوة لى، والأخ ينبغى أن يكونَ مشفقاً على أخيه، ورأيت العداوة التى تقع بين الناس أصلها من الحسد، فاجتهدت حتى أخرجت الحسد من قلبى، حتى صار قلبى بحال لو أصاب المؤمن هم بالمشرق جعلت أهتم حتى كأنه أصابنى، ولو أصاب مسلماً خير فى المغرب أسر به حتى كأنه أصابنى. فقال له شقيق: نعم ما فهمت. فما الثالثة؟

قال: نظرت فوجدت لكلِّ إنسان حبيباً، ولابد للحبيب أن يظهر للحبيب محبته، فوجدت حبيبى طاعة الله تعالى، وما سوى ذلك من الأحباء كلهم ينقطعون عنى إلا طاعة الله، فإنها معى فى القبر وفى المحشر وعلى الصراط، فانقطعت عن جميع الأحبة، واتّخذت طاعة الله حبيباً. فقال له شقيق: نعم ما فهمت. فما الرابعة؟

قال: نظرت فوجدت لكل إنسان عدواً، ولابُدّ للعدو من عداوته والحذر منه، فرأيت عدوى الكافر والشيطان، فرأيت عداوة الكافر أيسر، لأنه إن قاتلنى فقتلنى كنت شهيداً، وإن قتلته كنت مأجوراً، فرأيت غداوة الشيطان أشد، لأنه يرانى من حيث لا أراه، فيريد أن يجعلنى مع نفسه فى النار، فاشتغلت بعداوته ما عشت وتركت عداوة غيره. فقال له شقيق: نعم ما فهمت. فما الخامسة؟

قال: نظرتُ فوجدت لكل إنسان بيتاً، ولابُدَّ للبيت من العمارة، فرأيت منزلى القبر، فاشتغلت بعمارته. فقال له شقيق: نعم ما فهمت. فما السادسة؟

قال: نظرتُ فوجدتُ لكلّ شيء طالباً، فرأيت طالبى ملك الموت، ولا أدرى متى يأتينى، فاستعددت له كالعروس تزفّ إلى منزل زوجها، فمتى جاءنى لا أطلب منه التأخير، فقال له شقيق: نعم ما فهمت إن عملتَ بها نجوت أنا وأنت.

٧٣١ـ عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا نبىّ الله، أخلى ناقتى وأتوكل، أو أعقلها وأتوكل؟ قال: «اعقلها وتوكّل على الله»[١].

---

(١) حسن* الترمذى (٢٥١٧) وابن أبى الدنيا فى «التوكل» (١٢) والبيهقى فى «الشعب» (١٢١٢) وأبو نعيم فى «الحلية» (٨/ ٣٩٠) من حديث أنس. وفيه (المغيرة بن أبى قرة) مستور. ورواه ابن حبان (٢٥٤٩) والبيهقى (١٢٠٩ ـ ١٢١١) والحاكم (٣/ ٦٢٣) عن عمرو بن أميّة. قال الذهبى: سنده جيد

وقال بعض الحكماء: صفة أولياء الله تعالى ثلاث خصال: الثقة بالله فى كلّ شيء، والفقر إلى الله فى كلّ شيء، والرجوع إلى الله فى كلّ شيء.

وقال فضيل بن عياض رحمه الله تعالى: أحبّ الناس إلى الناس من استغنى عن الناس، ولم يسألهم شيئاً، وأبغض الناس إليهم من احتاج إليهم، وأحبّ الناس إلى الله من احتاج إليه وسأله، وأبغض الناس إليه من استغنى عنه ولم يسأل منه شيئاً.

وذُكر أن لقمان الحكيم عليه السلام لما حضرته الوفاة، قال لابنه: يا بنيّ، كثيراً ما أوصيتكَ إلى هذه الغاية. وإنى لموصيك الآن بست خصال فيها عِلْم الأولين والآخرين:

أولها: أن لا تشغلَ نفسك بالدنيا إلا بقدر ما بقى من عمرك.

والثاني: اعبد ربّك بقدر حوائجك إليه.

والثالث: اعمل للآخرة بقدر ما تريدُ المقام بها.

والرابع: ليكنْ شغلك فى فكاك رقبتك من النار ما لم تظهر لك النّجاة منها.

والخامس: لتكن جرأتك على المعاصى بقدر صبرك على عذاب الله.

والسادس: إذا أردت أن تعصى الله فاطلبْ مكاناً لا يراك فيه الله وملائكته.

وقيل لبعض الحكماء: ما الفرق بين اليقين والتوكل؟ قال: أما اليقين، فهو أن تصدّق الله بجميع أسباب الآخرة، والتوكّل أن تصدّق الله بجميع أسباب الدنيا.

ويقال: التوكل توكلان:

أحدهما: فى الرزق فلا يجوز فيه إلا الأمن.

والثاني: في طلب ثواب العمل فيكون آمناً بوعد الله فى الثواب، ويكون خائفاً فى عمله أيقبل منه أم لا يقبل؟.

وروى عطاء بن السائب، عن يعلى بن مُرّة، قال: اجتمعنا مع نفر من أصحاب على ـ كرم الله وجهه ـ، فقلنا: لو حرسنا أمير المؤمنين فإنه محارب ولا نأمن عليه أن يُغتال. فبينما نحن عند باب حجرته حتى خرج للصلاة، فقال: ما شأنكم؟ فقلنا: حرسناك يا أمير المؤمنين؛ لأنك محارب، وخشينا أن تُغتال، فقال: أفمن أهل السماء حرستمونى أم من أهل الأرض؟ قالوا: بل من أهل الأرض، فكيف نستطيع أن نحرسك من أهل السماء؟ قال: فإنه لا يكون فى الأرض شيء حتى يقدّره الله فى السماء، وليس من أحد إلا وقد وكّل به ملكان يدفعان عنه حتى يجيء قدره، فإذا جاء قدره خلّيا بينه وبين قدره.

باب الورع

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو جعفر، عن سعيد، عن قتادة، قال: كان عبد الله بن مطرف يقول: إنك لتلقى الرجلين أحدهما أكثر صوماً وصلاة وصدقة، وأنّ الآخر أفضلُ منه ثواباً. قيل له: كيف يكون ذلك؟ قال: هو أشدّهما ورعاً.

٧٣٢ ـ قال: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا عبد العزيز بن أبان، عن أبى معشر، عن عمارة أنه قال: لما توجّه عبد الله بن رواحة نحو مؤتة، قال: يا رسول الله أوصنى. قال: «**إنك تقدم أرضاً السجود بها قليل، فاستكثْر من السجود بها**». قال: زدنى. قال: «**اذكر الله فإنه عونٌ لك على ما تطلب**». فولى ثم رجع إليه، فقال: يا رسول الله زدنى. قال: «اذكر الله تعالى، فإن الله تعالى وتر يحبّ الوتر» قال: زدني. قال: «**نعم، لاتعجزن، لا تعجزن، لا تعجزن، إن أسأتَ عشراً أن تحسنَ واحدة**»[1].

٧٣٣ ـ قال: حدثنا عبد الوهاب بن محمد بإسناده، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه وعنهم ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**تقبّلوا لى ستاً أتقبل لكم الجنة: إذا حدّثتم فلا تكذبوا، وإذا وعدتم فلا تخلفوا، وإذا ائتمنتم فلا تخونوا، وغضّوا أبصاركم، واحفظوا فروجكم، وكفّوا أيديكم وأرجلكم عن الحرام، تدخلُوا جَنّةَ ربكم**»[2].

٧٣٤ـ وعن الحسن، عن عمران بن الحصين ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «**قال الله تعالى: عبدى، أدِّما افترضت عليك تكنْ من أعبد الناس، وانته عما نهيتك تكن من أورع الناس، واقنعْ بما رزقتُك تكنْ من أغنى الناس**»[3].

وعن فضيل بن عياض ـ رحمه الله ـ أنه قال: خمس من علامات السعادة: اليقين فى القلب، والورع فى الدين، والزهد فى الدنيا، والحياء فى العينين، والخشية فى البدن. وخمس من علامات الشقاوة: القسوة فى القلب، والجمود فى العينين،

---

(١) إسناده موضوع* فيه (عبد العزيز بن أبان) متروك، وكذبه ابن معين وغيره. كما فى «التقريب»

(٢) صحيح (وإسناده حسن)* انظر الداء والدواء (١٩٥ بتحقيقى) والصحيحة (١٤٧٠).

(٣) حسن لغيره* البيهقى فى «الشعب» (٢٠١) عن ابن مسعود موقوفاً، وله شاهد (حسن) عن أبى هريرة مرفوعاً. انظر. الصحيحة (٩٣٠) وضعيف الجامع (٢٥٣)

وقلّة الحياء، والرغبة فى الدنيا، وطول الأمل.

وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: كنا ندع تسعة أعشار من الحلال مخافة أن نقع فى الشبهة أو فى الحرام.

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ نحو هذا.

وقال بعض الحكماء: أمر الدنيا كلها عجب، ولكنى أعجب من ابن آدم المغرور فى خمسة أشياء:

أولها: أتعجّب من صاحب فضول الدنيا كيف لا يقدم فضوله ليوم فقره، وحاجته إليه.

والثانى: أتعجّب من لسان ناطق، كيف يطاوع نفسه ويفتر عن ذكر الله تعالى وعن تلاوة القرآن.

والثالث: أتعجّب من صحيح فارغ إذا رأيته مفطراً أبداً كيف لايصوم من كلّ شهر ثلاثة أيام أو نحوه، وكيف لا يتفكّر فى عاقبة الصوم إذا استقبله.

والرابع: أتعجّب من الذى يمهد فراشه، وينام إلى الصبح، كيف لا يتفكر فى فضل صلاة ركعتين فى الليل، فيقوم ساعة من الليل.

والخامس: أتعجّب من الذى يجترئ على الله، ويرتكب ما نهاه عنه، وهو يعلم أنه يعرض عليه يوم القيامة، فكيف لا يتفكر فى عاقبة أمره لينزجر عنه.

وروى عن ابن المبارك ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: تَرْكُ فلس من حرام أفضلُ من مئة ألف فلس يُتصدّق بها.

وعنه أنه كان بالشام يكتب الحديث، فانكسر قلمه، فاستعار قلماً، فلما فرغ من الكتابة، نسى فجعل القلمَ فى مقلمته، فلما رجع إلى مرو ورأى القلم، عرفه، فتجهّز للخروج إلى الشام لردّ القلم .

٧٣٥ـ وعن الشعبى: أنه قال: سمعتُ النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتّقى الشُّبهات، فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع فى الشُّبهات وقع فى الحرام، كالراعى الذى يرعى الغنم حول الحمى يوشك أن يقع فيه، ألا وإنّ لكلّ ملك حِمى، وإنّ حِمى الله محارمه، ألا وإنّ فى الجسد مُضْغة، فإنْ صلحتْ صلحَ الجسدُ**

كلّه، وإن فسدتْ فسد الجسدُ كلّه ألا وهى القلب»[1].

وعن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: لكلّ شىء حدّ، وحدود الإسلام: الورع، والتواضع، والشكر، والصبر. فالورع ملاك الأمور، والتّواضع براءة من الكبر، والصّبر النّجاة من النار، والشّكر الفوز بالجنة.

٧٣٦ـ وعن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «لو صلّيتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، فما ينفعكم إلا بالورع»[2].

قال الفقيه رحمه الله تعالى: علامة الورع أن يرى عشرة أشياء فريضة على نفسه:

أولها:حفظ اللسان عن الغيبة؛ لقوله تعالى: ﴿وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾ [الحجرات: ١٢].

والثانى: الاجتناب عن سوء الظن؛ لقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

٧٣٧ـ ولقول النبى ﷺ: «إياكم والظن، فإنه أكذبُ الحديث»[3].

والثالث: الاجتناب عن السخرية؛ لقوله تعالى: ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ﴾ [الحجرات: ١١].

والرابع: غضّ البصر عن المحارم؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

والخامس: صدق اللسان؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] يعنى فاصدقوا.

والسادس: أن يعرفَ نعمة الله على نفسه، لكيلا يعجب بنفسه لقوله تعالى:

﴿بَلْ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ للإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

والسابع: أن ينفقَ ماله فى الحق، ولا ينفقه فى الباطل؛ لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ يعنى لم ينفقوا فى المعصية، ولم يمنعوا من الطّاعة ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ [الفرقان: ٦٧].

---

(١) متفق عليه.* البخارى (٥٢) ومسلم (٢/ ١٥٩٩).

(٢) باطل.* الديلمى فى «الفردوس» (٥١٦٥) وابن منده. انظر: «تنزيه الشريعة» (٢/ ٣١١)

(٣) متفق عليه.* البخارى (١١/ ٦٧٢٤) ومسلم (٤/ ٢٥٦٣) عن أبى هريرة.

والثامن: أن لا يطلب لنفسه العلو والكبر؛ لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِى الأَرْضِ وَلا فَسَاداً﴾ [القصص:٨٣].

والتاسع: المحافظة على الصلوات الخمس فى مواقيتها بركوعها وسجودها؛ لقوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لله قَانِتِينَ﴾ [البقرة:٢٣٨].

والعاشر: الاستقامة على السنة والجماعة؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِى مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣].

وقال محمد بن كعب القرظى: ثلاث خصال إن استطعت أن لا تترك شيئاً منها أبداً فافعل: لا تبغين على أحد، فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [يونس:٢٣]. ولا تمكرن على أحد مكراً؛ فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّئُ إِلا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر:٤٣]. ولا تنكثن عهداً أبداً، فإن الله تعالى يقول: ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ [الفتح:١٠].

وقال إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ: الزهد ثلاثة أصناف: زهد فرض، وزهد فضل، وزهد سلامة. فالزهد الفرض: هو الزهد فى الحرام. والزهد الفضل: هو الزهد فى الحلال، وزهد السلامة: هو الزهد فى الشبهات.

وقال أيضاً: الورع ورعان: ورع فرض، وورع حذر، فورع الفرض: الورع عن معاصى الله تعالى. وورع الحذر: الورع عن الشبهات. والحزن حزنان: حزن لك، وحزن عليك. فالحزن الذى هو لك: حزنك على الآخرة، والحزن الذى عليك: حزنك على الدنيا وزينتها.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: الورع الخالص أن يكفّ بصره عن الحرام، ويكف لسانه عن الكذب والغيبة، ويكف جميع أعضائه وجميع جوارحه عن الحرام.

وروى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه أُتى بزيت من الشّام، وكان الزيت فى الجفان، يعنى فى القصاع، وعمر يقسمه بين الناس بالأقداح، وعنده ابن له شعرانى، فكلما أفرغت جفنة مسح بقيتها برأسه، فقال له عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ: أرى شعرك شديد الرغبة على زيت المسلمين، ثم أخذ بيده، فانطلق إلى الحجّام، فحلق شعره، وقال: هذا أهون عليك.

وروى عن إبراهيم بن أدهم ـ رحمه الله تعالى ـ أنه استأجر دابة إلى عُمان، فبينما هو يسير إذا سقط سوطه، فنزل عن الدابة وربطها وذهب راجلاً فأخذ السَّوط فقيل له: لو حولت رأس دابتك، فأخذت السوط. فقال: إنما استأجرتها لتذهب ولم أستأجرها لترجع.

٧٣٨ـ وعن أبى رزين العقيلى عن معاذ ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: كنت مع النبى ﷺ وهو على حمار عليه برذعة فقال: «**يا معاذ، هل تدرى ما حقّ الله على العباد؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً**» ثم قال: «**وهل تدرى ما حقّ العباد على الله تعالى إذا فعلوا ذلك**». فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**أن يدخلهم الجنة**»(١).

***

باب الحياء

٧٣٩ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا محمد ابن معاذ، حدثنا نصر، عن الحجاج، عن مكحول، عن أبى أيوب الأنصارى ـ رضى الله تعالى عنهم ـ أن النبى ﷺ قال: «**أربع من سنن المرسلين: التعطر، والنكاح، والسواك، والحياء**»(٢).

٧٤٠ ـ قال الفقيه: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا الماسرجى، حدثنا جرير، عن منصور، عن ربعى بن حراش، عن عقبة بن عمرو ـ رضى الله عنهم ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فافعل ما شئت**»(٣).

٧٤١ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن، حدثنا إسحاق، حدثنا بكر بن منير، حدثنا محمد بن الهيثم، حدثنا أبو عثمان، عن هشام، عن سفيان، عن أبان بن إسحاق، عن الصباح بن محمد، عن مرة، عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**استحيوا من الله تعالى حقّ الحياء**». فقالوا: إنا نستحى من الله والحمد لله. قال: «**ليس ذلك من الحياء، ولكن من استحى من الله حقّ الحياء، فليحفظ الرأس وما حوى، والبطن وما وعى، وليذكر الموت والبلى، ومَن**

---

(١) متفق عليه.* البخارى (١٣/ ٧٣٧٣) ومسلم (٣٠).

(٢) ضعيف.* *أحمد (٥/ ٤٢١) والترمذى (١٠٨٠) وانظر الإرواء (٧٥).

(٣) صحيح* البخارى (٦/ ٣٤٨٤) وأبو داود (٤٧٩٧) وابن ماجه (٣/ ٤١٨) وأحمد (٥/ ٢٧٣)

أرادَ الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك؛ فقد استحى من الله حقّ الحياء»(١).

٧٤٢ـ وعن الحسن، عن النبى ﷺ ـ أنه قال: «**الحياء من الإيمان، والإيمان فى الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء فى النار**»(٢).

وعن سلمان الفارسى رضى الله تعالى عنه أنه قال: لأن أموت، ثم أحيا ثم أموت ثم أحياء، ثلاثاً أحب إلى من أن أنظر إلى عورة أحد، أو ينظر أحد إلى عورتى.

وعن على ـ كرم الله وجهه ـ أنه قال: لعن الله الناظر والمنظور إليه.

وعن النبى ﷺ أنه قال: «**لا يحلّ لأحدٍ أن يدخلَ الحمام إلا بمئزر**»(٣).

٧٤٣ـ وعن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: لا يصلحُ دخولُ الحمام إلا بإزارين: إزار للعورة، وإزارة للعين يعنى يغض بصره عن عورات الناس.

وعن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ أنه قال: إيّاكم والنّظرة، فإنها تزرعُ الشهوة فى القلب، وكفى بها فتنة لصاحبها.

وسُئِل حكيمٌ عن الفاسق قال: الذى لا يغضّ بصره عن أبواب الناس وعوراتهم.

٧٤٤ـ وعن عطاء أنه قال: مرّ النبىﷺبرجل يغتسل فقال: «**يا أيها الناس، إنّ الله حيىّ حليم ستير ويحب الحياء والسّتر، فإذا إغتسل أحدُكم فليتوار عن أعين الناس**»(٤).

٧٤٥ـ وعن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ كان إذا أراد قضاء الحاجة لم يرفْع ثوبه حتى يدنوَ من الأرض(٥).

قال الفقيه: الحياء على وجهين: حياء فيما بينك وبين الناس، وحياء فيما بينك وبين الله تعالى. أما الحياء الذى بينك وبين الناس: أن تغضّ بصرك عما لا يحل لك. وأما الحياء الذى بينك وبين الله تعالى: أن تعرفَ نعمته، فتستحى أن تعصيه.

٧٤٦ـ ورُوى عن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه دخل على النبى ﷺ فوجده يبكى، فقال: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: «**أخبرنى جبريل ـ عليه السلام ـ أن الله**

---

(٣) **فيه ضعف***. أحمد (١/ ٣٨٧) والترمذى (٢٤٥٨) والحاكم (٤/ ٣٢٣) والبيهقى فى «الشعب» (٧٧٣٠) وفيه (أبان بن إسحاق) فيه مقال. (الصباح بن محمد) ضعيف.

(٤) **صحيح**.* الترمذى (٢٠٠٩) وغيره عن أبى هريرة. انظر: صحيح الجامع (٣١٩٩).

(٤) حسن.* الترمذى (٢٨٠١) والحاكم (٤/ ٢٨٨). انظر: غاية المرام (١٩٠).

(٥) **صحيح***. أحمد (٤/ ٢٢٤) وأبو داود (٤٠١٢، ٤٠١٣) والنسائى(١/ ٢٠٠) والبيهقى (١/ ١٩٨) من حديث عطاء عن صفوان بن يعلى عن أبيه. انظر: الإرواء (٢٣٣٥).

تعالى يستحى من عبد يشيبُ فى الإسلام أن يعذّبه، أفلا يستحى الشيخُ من الله أن يذنب بعدما شاب فى الإسلام؟»[1].

٧٤٧- وروى بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده؛ قال: قلت: يا رسول الله عورتنا، ما نأتى منها وما نذر؟ قال: «**احفظْ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكتْ يمينُك**». قال: قلت: يا رسول الله أرأيت إن كان أحدنا خالياً؟ قال: «**فالله أحقّ أن يُستحى منه**»[2].

وقال بعض السلف لابنه: إذا دعتْكَ نفسُك إلى كبيرة فارم ببصرك إلى السماء، واستحِ ممن فيها، فإن لم تفعلْ فارمِ ببصرك إلى الأرض، واستح ممن فيها، فإن كنت لا ممن فى السماء تخاف، ولاممن فى الأرض تستحى، فأعدد نفسك فى عدد البهائم.

قال الفضيل بن عياض: تغلق بابك، وترخى سترك، وتستحى من الناس، ولا تستحى من القرآن الذى فى صدرك، ولاتستحى من الجليل الذى لايخفى عليه خافية.

وقال منصور بن عمار فى الحكمة: من أبصر عَيْبَ نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن تعرى عن لباس التقوى لم يستتر بشىء، ومن رضى برزق الله لم يحزن على ما فى يد غيره، ومن سل سيف البغى قطع به يده، ومن احتفر بئراً لأخيه وقع فيه، ومن هتك حجاب غيره انكشفت عورته، ومن نسى زلل نفسه استعظم زلة غيره، ومن كابد الأمور عطب، يعنى ارتكب الأمور العظام، ومن خاطر بنفسه هلك، ومن استغنى بعقله زل، ومن تكبّر على الناس ذلّ، ومن تعمق فى العمل مل، ومن فخر على الناس قصم، يعنى كسر، ومن سفه عليهم شتم، ومن صاحب الأرذال حقر، ومن جالس العلماء وقر، ومن دخل مدخل السوء اتهم، ومن تهاون بالدين ارتطم، ومن اغتنم أموال الناس افتقر، ومن انتظر العافية اصطبر، ومن جهل موضع قدميه مشت فى ندامة، ومن خشى الله فاز، ومن لم يجرب الأمور خدع، ومن صارع أهل الحق صرع، ومن احتمل ما لا يطيقه عجز، ومن عرف الجنة قصر أمله، ومن تعود طريق الجهل ترك طريق العدل.

***

(١) **باطل لا أصل له**.* قاله أبى حاتم. انظر. الموضوعات (١/ ١٧٨) لابن الجوزى

(٢) **حسن** * أحمد (٥/ ٣) وأبو داود (٤٠١٧) والترمذى (٢٧٦٩) وابن ماجه (١٩٢٠).

باب العمل بالنّيّة

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا إسماعيل بن عباس، عن صدقة بن عبد الله، عن المهاجر بن حبيب، عن زيد بن ميسرة قال: يقول الله تعالى: إنى لست أقبل كلام كلّ حكيم، ولكن أنظر إلى همّه وهواه، فإن كان همّه وهواه إياى جعلتُ صمته تفكّراً، وكلامه ذكراً، وإن لم يتكلّم.

قال: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم النخعى، قال: إن الرجل ليتكلّم بالكلام وعلى كلامه المقت ينوى فيه الخير، فيلقى الله له العذر فى قلوب الناس، حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا إلا الخير.

وإن الرجل ليتكلّم بكلام حسن لا ينوى فيه الخير، فيلقيه الله فى قلوب الناس حتى يقولوا ما أراد بكلامه هذا خيراً.

وعن عون بن عبد الله ـ رحمه الله ـ: كان أهلُ الخير يكتب بعضهم إلى بعض ثلاث كلمات: من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله فيما بينه وبين الناس.

وعن الحسن ـ رحمه الله ـ فى قوله عز وجل: ﴿**قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ**﴾ يعنى على نيته، يعنى صحة العمل بالنية.

٧٤٨ـ قال النبى ﷺ: «**نيةُ المؤمن خيرٌ من عمله**»(١).

قال بعض أهل العلم: إنما كان كذلك؛ لأنه قد يُثاب على نية الخير وإن لم يعملْ، ولا يُثاب على عمله بلا نّية.

وقال بعضهم: نية المؤمن خير من عمله؛ لطول نيته وقصر عمله؛ لأنه ينوى أن يعملَ الخير ما بقى، ولا يستطيع أن يعمل الخير ما بقى.

وقال بعضهم: لأن النية عمل القلب، والقلب معدن المعرفة، وما كان من معدن المعرفة كان أفضل من غيره.

---

(١) **ضعيف جداً** البيهقى فى «الشعب» (٦٨٥٩) والقضاعى فى «الشهاب» (١٤٧) عن أنس، وفيه (يوسف ابن عطية) متروك. وفى الباب عن النواس بن سمعان، وفيه متهم.

٧٤٩ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**يؤتى بالعبد يوم القيامة، ومعه من الحسنات أمثال الجبال الرواسي، فينادي مناد: من كان له على فلان مظلمة فليجيء وليأخذها، فيجيء أناس فيأخذون من حسناته حتى لا يبقى له من الحسنات شيء، ويبقى العبد حيران، فيقول له ربه: إن لك عندى كنزاً لم أطلع عليه ملائكتى، ولا أحداً من خلقى، فيقول: يارب ما هو؟ فيقول: نيتك التى كنت تنوى من الخير كتبتها لك سبعين ضعفاً**»(١).

وروى فى الخبر: أن عابداً من عباد بنى إسرائيل مرّ بكثيب من الرمل، فتمنى فى نفسه لو كان دقيقاً فأشبع به بنى إسرائيل فى مجاعة أصابتهم، فأوحى الله إلى نبىّ فيهم: قل لهذا العابد: إن الله تعالى يقول: إنى قد أوجبتُ لك من الأجر ما لو كان دقيقاً فتصدّقتَ به.

٧٥٠ـ وروى فى الخبر أنه: يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيعطى كتابه بيمينه، فيرى فيه الحج والعمرة والجهاد والزكاة والصدقة، فيقول العبد فى نفسه: ما علمتُ من هذا شيئاً، وليس هذا كتابى، فيقول الله تعالى: اقرأ، فإنه كتابك، عشت دهراً وأنت تقول لو كان لى مال لحججتُ، ولو كان لى مال لجاهدتُ، وعرفتُ من نيتك أنّك صادق، فأعطيتك ثوابَ ذلك كلّه(٢).

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: وإنما يظهر صدقُ نيته إذا لم يبخل بالقليل الذى عنده، فلو رأى حاجاً منقطعاً فيقول فى نفسه: لو كان لى مال لحججت، فلما لم يكن لى طاقة إلا هذين الدرهمين دفعتهما إلى هذا. وإذا رأى غازياً منقطعاً يقول: لو كان لى مال لغزوت، فلما لم يكن لى طاقة إلا هذه الدراهم دفعتها إلى هذا الغازى المحتاج، أو إلى مسكين بجواره.

وأما إذا بخل بالقليل الذى عنده فيعلم الله تعالى أنه لو كان عنده أكثر من ذلك لكان يبخل بالكثير كما يبخل بالقليل، فلا ثواب له فى نيته. وكذلك الذى يقول لو كنت حفظت القرآن لقرأته آناء الليل والنهار، فإذا كان يقرأ السورة التى يحفظها، فيعلم الله أنه لو كان يحفظ الباقى منه لكان يقرأ، فيعطيه الله فضل الذى يحفظ القرآن كله، وإن لم يقرأ ما عنده علم الله منه أن نيته غير خالصة.

٧٥١ـ وروى سهل بن سعد الساعدى، عن النبى ﷺ أنه قال: «**نية المؤمن خير**

---

(١) لم أقف على إسناده*. ولأوله بديل من حديثى [التحلل من المظالم] رواه البخارى (٢٤٤٩، ٦٥٣٤) و[المفلس] رواه مسلم (٢٥٨١).

(٢) لم أقف على إسناده.

من عمله، وعمل المنافق خير من نيته»(١).

٧٥٢ـ وروى محمد بن على، عن النبى ﷺ أنه قال: «**من أحبّ رجلاً فى الله لعدل ظهر منه، وهو فى علم الله من أهل النار، آجره الله على حبه إياه، كما لو أحبّ رجلاً من أهل الجنة. ومن أبغضَ رجلاً فى الله لجور ظهر منه، وهو فى علم الله من أهل الجنة، آجره الله على بغضه إياه كما لو كان يبغضُ رجلاً من أهل النار**»(٢).

وروى فى الخبر: أن الله تعالى قال لموسى عليه الصلاة والسلام: يا موسى هل عَمِلْتَ لى عملاً قطّ؟ قال: إلهى صليتُ لك، وصمتُ لك، وتصدّقت لك، وذكرتك. قالَ الله تبارك وتعالى: أما الصلاة فلك برهان، يعنى حجة لك، والصوم جنة، والصدقة ظل، والذكر نور، فأى عمل عملت لى؟ قال موسى عليه الصلاة والسلام: إلهى دلنى على العمل الذى هو لك؟ قال: يا موسى هل واليت لى ولياً أو عاديت لى عدواً؟ فعلم موسى أن أفضل الأعمال: الحب فى الله تعالى، والبغض فى الله تعالى.

٧٥٣ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ ـ أنه قال: «**إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أموالكم، ولا إلى أحوالكم، وإنما ينظر إلى أعمالكم وإلى قلوبكم**»(٣).

٧٥٤ـ وروت عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ عن النبىﷺ أنه قال: «**من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس**»(٤).

٧٥٥ـ وروى الأعمش عن أبى عمرو الشيبانى، عن أبى مسعود الأنصارى ـ رضى الله تعالى عنهم ـ أنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ وأراد الجهاد، فقال: احملنى يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**ائت فلاناً فإنه يحملك**» فأتاه فأعطاه بعيراً، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال رسَول الله ﷺ: «**مَن دلّ على خير فله مثل أجر فاعله**». وفى خبر آخر: «**الدّالّ على الخير كفاعله**»(١).

٧٥٦ـ وعن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قدم سائل على عهد رسول الله ﷺ فسأل، فسكت القوم، ثم إن رجلاً أعطاه، فأعطاه القوم، فقال رسول

---

(١) سبق تخريجه برقم (٧٤٨). (٢) لم أقف على إسناده.

(٣) **صحيح**.* مسلم (٤/ ٢٥٦٤) وابن ماجه (٤١٤٣).

(٤) **صحيح*** الترمذى (٢٤١٤) وعبد بن حميد فى «المنتخب» (١٥٢٤) وابن حبان (١٥٤١، ١٥٤٢) وأبو نعيم فى «الحلية» (٨/ ١٨٨)، وانظر: الصحيحة (٢٣١١).

(٥١) **صحيح*** مسلم (٣/ ١٨٩٣) وأبو داود (٥١٢٩) والترمذى (٢٦٧١).

الله ﷺ: «من استنّ خيراً أو استُنّ به، فله أجره ومثل أجور من تبعه من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن استن شراً واستُنّ به فعليه وزره ووزر من تبعه من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيئاً»(٢).

٧٥٧ـ وروى تميم الدارى، عن النبى ﷺ: أنه قال: «**خمس من جاء بهن يوم القيامة لم يضلّ عن الجنة: النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وللعامة**»(٣).

٧٥٨ـ وروى فى خبر آخر أنه ﷺ قال: «ألا إنّ الدين النصيحة» قيل: لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله ولكتابه ولجميع المسلمين»(٤).

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ: أمّا النّصيحة لله عز وجل: فأن تؤمن بالله، وتدعو الناس إلى ذلك، وتتمنى أن يكون جميع الناس مؤمنين.

وأما النصيحة لرسول الله ﷺ: فأن تصدّقه بما جاء به من عند الله، وتعمل بسنته، وتدل الناس على ذلك.

وأما النصيحة لكتابه: فهو أن تقرأه، وتعمل بما فيه، وتتمنى أن يقرأه جميع الناس، ويعملوا بما فيه.

وأما النصيحة لأئمة المسلمين: فأن تطيعهم فيما أمروه، وتنتهى عما نهوه، وتأمرهم بالمعروف، وتنهاهم عن المنكر، ولا تخرج عليهم بالسيف.

وأما النصيحة للمسلمين: فهو أن تحبّ لهم ما تحبّ لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وتتمنى أن تكونوا فيما بينهم على الألفة والمودة.

قال الفقيه: كم من نائم يكتب له أجر المصلين، وكم من مصل مستيقظ يكتب من النائمين، وذلك أن الرجل إذا كان من عادته أن يقوم وقت السحر، ويتوضأ، ويصلى حتى يطلع الفجر، فنام ليلة على تلك النية، فغلبه النوم حتى أصبح، فاستيقظ وحزن لذلك، واسترجع، فإنه يكتب مصلياً، ويبلغ ثواب القائمين بنيته. وأما إذا كان الرجل لم يكن يقوم بالليل، فظن أنه قد أصبح، فقام، وتوضأ ودخل المسجد فإذا هو لم يصبح، فجعل ينتظر الصبح ويقول فى نفسه لو علمت أنه لم يطلع الفجر لم أقْم من فراشى، فهذا الذى يكتب من النائمين وهو مستيقظ.

---

(١) صحيح* مسلم (١٠١٧) وأحمد (٥/ ٣٨٧).

(٢) رواه ابن النجار. كما فى «كنز العمال» (٢ ٧٢).

(٣) سبق تخريجة برقم (٢٢٥)

باب العُجْب

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا وكيع، عن المسعودى، عن زيد بن رفيع عن أبى عبيدة، قال: قال عبد الله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: النجاة فى اثنتين:

التقوى والنية. والهلاك فى اثنتين: القنوط، والإعجاب.

وعن وهب بن منبه ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: كان فيمن كان قبلكم رجل عبد الله سبعين سنة، يفطر من سبت إلى سبت، فطلب إلى الله حاجة فلم يعطها، فأقبل على نفسه، وقال: لو كان عندك خير لقُضيت حاجتك، وإنما أتيت من قبلك، فنزل عليه ملك من ساعته فقال: يا بن آدم، إن ساعتك التى ازدريت نفسك فيها خير من عبادتك التى قد مضت.

وقال الشعبى: كان رجلٌ إذا مشى أظلّته سحابة، فقال رجل: لأمشين فى ظله، فأعجب الرجل بنفسه، فقال: مثل هذا يمشى فى ظلّى، فلما افترقا ذهب الظل مع ذلك الرجل.

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنهقال: إنّ من صلاح توبتك أن تعرفَ ذنبك، وإن من صلاح عملك أن ترفض عجبك، وإن من صلاح شكرك أن تعرف تقصيرك.

وذكر عن عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله عنه ـ أنه كان إذا خطب فخاف العجب قطع، وإذا كتب فخاف العجب مزّق، وقال: اللهم إنّى أعوذُ بك من شرّ نفسى.

وعن مطرّف بن عبد الله قال: لأن أبيتَ نائماً وأصبح نادماً؛ أحبّ إلىَّ من أبيت قائماً وأصبح معجباً.

وعن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أنه سألها رجل، فقال: متى أعلم أنى محسن؟ قالت: إذا علمت أنك مسىء. قال: متى أعلم أنى مسىء؟ قالت: إذا علمت أنك محسن.

وذكر أن شاباً من بنى إسرائيل رفض دنياه، واعتزل عن الناس وجعل يتعبد فى بعض النواحى، فخرج إليه رجلان من مشايخ قومه ليرداه إلى منزله، فقالا له: يافتى، أخذت بأمر شديد لا تصبر عليه! فقال الشاب: قيام الناس بين يدى الله أشدّ من قيامى هذا. فقالا له: إن لك أقرباء، فعبادتك فيهم أفضل. فقال الشاب: إن ربى

إذا رضى عنى أرضى عنى كل قريب وصديق. فقالا له: أنت شاب لا تعلم، وإنا قد جرّبنا هذا الأمر، ونخاف عليك العجب، فقال الشاب: من عرف نفسه لم يضره العجب، فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقال: قم فإن الشاب قد وجد ريحَ الجنة، فلا يقبل قولنا.

وذُكِر فى الخبر: أن داود ـ صلوات الله عليه وسلامه ـ خرج إلى ساحل، فعبد ربه سنة، فلما تمت السنة، قال: يا رب، قد انحنى ظهرى، وكلّت عيناى، ونفدت الدموع، فلا أدرى إلى ماذا يصير أمرى، فأوحى الله تعالى إلى ضفدع أن أجيبى عبدى داود ـ عليه السلام ـ فقالت الضفدع: يا نبى الله، أتَمُنُّ على ربك فى عبادة سنة؟ والذى بعثك بالحق نبياً، إنى على ظهر بردية منذ ثلاثين أو ستين، أسبّحه وأحمده، وإن فرائصى ترعد من مخافة ربى، فبكى داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ عند ذلك.

وذُكر أن هذه القصة كانت لموسى ـ عليه السلام ـ بعدما قتل قتيلاً.

قال الفقيه: من أرادَ أن يكسرَ العجب، فعليه بأربعة أشياء:

أولها: أن يرى التّوفيقَ من الله تعالى، فإذا رأى التوفيقَ من الله تعالى، فإنه يشتغل بالشّكر، ولا يعجب بنفسه.

والثانى: أن ينظرَ إلى النّعماء التى أنعم الله بها عليه، فإذا نظر فى نعمائه اشتغل بالشكر عليها، واستقل عمله، ولا يعجب به.

والثالث: أن يخاف أن لا يتقبل منه، فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه.

والرابع: أن ينظرَ فى ذنوبه التى أذنب قبل ذلك، فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد كسر عجبه. وكيف يعجب المرء بعمله ولا يدرى ماذا يخرج من كتابه يوم القيامة. وإنما يتبين عجبه وسروره بعد قراءة الكتاب.

قال الفقيه ـ رحمه الله ـ بإسناده عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: كنت أسمع قول الله تعالى: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] ولم أدر لمن قالها، حتى دخل كعب ـ رحمه الله تعالى ـ على عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ ونحن عنده فقال: يا كعب، حدثنا، ولا تحدثنا إلا بحديث يشبه كتاب الله تعالى، فقال كعب ـ رحمه الله تعالى ـ:

إنّ الله يبعثُ الخلائقَ يوم القيامة فى قاع أفيح، يسمعهم الداعى وينفذهم البصر،

ثم يُدعى كلّ قوم بإمامهم؛ يعنى بعالمهم الذى يعلمهم الهدى أو الضلالة فيُدعى بإمام الهدى قبل أصحابه، فيتقدم فيعطى كتابه بيمينه، وقد أخفيت سيئاته فهو يقرؤه بينه وبين نفسه؛ لكيلا يقول بعملى دخلت الجنة، وقد بدت حسناته للناس فهم يقرؤونها، حتى إنهم يقولون: طوبى لفلان ما ظهر له من الخير فيقرأ سيئاته فى نفسه حتى يقول فى نفسه قد هلكت، فيجد فى آخره إنى قد غفرت لك، فيتوج بتاج من نور، يسطع ضوؤه، ثم يقال له: اذهب إلى أصحابك فبشّرهم بأنّ لكلّ منهم مثل ما لك، فإذا أقبل نظر إليه أهل الوادى، فليس واحد منهم إلا وهو يقول: اللهم اجعله منا، اللهم أئتنا به، ثم يأتى أصحابه فيقول: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩] قد غفر لى، فأبشروا، فإن لكل رجل منكم مثل ما لى.

وإذا كان إمام الضلالة دُعى به، فإذا قام أعطى كتابه، فإذا تناوله بيمينه غُلَّت يمينه إلى عنقه، فيتناوله بشماله، فَيُجْعَلُ شمالهُ من وراء ظهره، فيلوى عنقه، ويقرأ حسناته بينه وبين نفسه لكيلا يقول حُفظَتْ سيئاتى، ولم تُحْفَظْ حسناتى، فيقول عملت كذا فجازيتك بما عملت، وهكذا حتى يستوفى حسناته، وسيئاته ظاهرة للناس يقرؤونها حتى يقولوا: ويل لفلان ما ظهر له من الشر، حتى إذا فرغ من صحيفته، وجد فى آخرها: وإنه حقّ عليك كلمة العذاب، يعنى وجب عليك العذاب، فيسود وجهه كقطع الليل المظلم، فيتوّج بتاج من النار، يسطع دخانه، ثم يقال له: ائت أصحابك فبشرهم، فإن لكل واحد منهم مثل هذا. فإذا أقبل رآه أهل الوادى، فقال كل واحد منهم: اللهم لا تجعل هذا منا، اللهم لا تأتنا به، فلا يمرّ بقوم إلا لعنوه، ثم يأتى أصحابه فإذا رأوه لعنوه، وتبرؤوا منه، فلعنهم هو كما قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾. [العنكبوت: ٢٥] فيقول لهم: أبشروا، فإن لكل واحد منكم مثل هذا.

وعن مسروق ـ رحمه الله تعالى ـ قال: كفى بالمرء علماً أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله.

٧٥٩ ـ وعن مجاهد رحمه الله تعالى أنه قال: بعث سعيد بن العاص قوماً يثنون عليه عند عثمان رضى الله تعالى عنه، فقال المقداد، فحثا فى وجوههم التراب وقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إذا رأيتم المدّاحين فأحثوا التراب فى وجوههم**»(١).

***

(١) صحيح: مسلم (٤/ ٣٠٠٢) وأبو داود (٤ ٤٨) والترمذى (٢٣٩٣) وابن ماجه (٣٧٤٢).

باب فى فضل الحجّ

٧٦٠ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن داود، حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن زكريا بإسناده، حدثنا محمد بن عبدالله، حدثنا ابن على البغدادى، عن أبيه، عن ليث، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: كنا مع النبى ﷺ ـ بمنى إذ أقبلت طائفة من اليمن، فقالوا: فداك الأمهات والآباء، أخبرنا بفضائل الحج. قال:

بلى، أىّ رجل خرج من منزله حاجاً أو معتمراً، فكلما رفع قدماً ووضع قدماً تناثرت الذنوب من بدنه كما يتناثر الورق من الشجر، فإذا ورد المدينة وصافحنى بالسلام صافحته الملائكة بالسلام، فإذا ورد ذا الحليفة، واغتسل طهره الله من الذنوب، وإذا لبس ثوبين جديدين جدد الله له الحسنات، وإذا قال لبيك اللهم لبيك أجابه الرب عز وجل: بلبيك وسعديك، أسمع كلامك، وأنظر إليك، فإذا دخل مكة وطاف وسعى بين الصفا والمروة، وَصَّل الله له الخيرات.

فإذا وقفوا فى عرفات، وضجت الأصوات بالحاجات، باهى الله بهم ملائكة سبع سماوات، ويقول: ملائكتى وسكان سماواتى، أما ترون إلى عبادى، أتونى من كلّ فجّ عميق شُعثاً غبراً، قد أنفقوا الأموال، وأتعبوا الأبدان.

فوعزّتى وجلالى لأهبن مسيئهم بمحسنهم، ولأخرجنهم من الذنوب كيوم ولدتهم أمهاتهم، فإذا رموا الجمار، وحلقوا الرؤوس، وزاروا البيت، نادى منادٍ من بُطنان العرش: ارجعوا مغفوراً لكم، واستأنفوا العمل»[١].

٧٦١ـ قال: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن الصباح، حدثنا يزيد بن هارون، عن نصر بن حاجب، عن محمد بن كعب، عن على ـ كرم الله وجهه ـ قال: كنت طائفاً مع النبى ﷺ ـ ببيت الله الحرام، فقلت: فداك أبى وأمى ما هذا البيت؟ فقال لى: «**يا على؛ أسّس الله سبحانه وتعالى هذا البيت فى دار الدنيا كفّارة لذنوب أمتى**». فقلت: فداك أبى وأمى ما هذا الحجر الأسود؟ قال: «**تلك جوهرة كانت فى الجنة أهبطها الله إلى الدنيا لها شعاع كشعاع الشمس، واشتدّ سوادها وتغيّر لونها لما مستها أيدى المشركين**».[٢]

---

(١) فيه ضعف* فيه (ليث بن أبى سليم) صدوق، اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فترك.

(٢) فيه ضعف.* فيه (نصر بن حاجب) مختلف فى عدالته.

٧٦٢ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن فضل، حدثنا أبو الوليد، حدثنا عبد القاهر بن السرى، قال: حدثنا أبى عن كنانة، حدثنا العباس بن مرداس أن رسول الله ﷺ دعا عشية عرفة لأمته بالرحمة والمغفرة، فأكثر الدعاء، فأجابه ربه، بأنى قد فعلت إلا ظلم بعضهم بعضاً. قال: «أى ربّ، إنك قادر على أن تثيب هذا المظلوم خيراً من مظلمته، وتغفر لهذا الظالم».

فلم يجبه تلك العشية، فلما كان غداة المزدلفة أعاد الدعاء، فأجابة ربه بأنى قد غفرت لهم، ثم تبسّم رسول الله ـ ﷺ ـ فقال بعضُ أصحابه: يا رسول الله تبسّمت فى ساعة لم تكن تبتسم فيها، قال: «**تبسمت من عدو الله إبليس إنّه لما علم أن الله قد استجاب لى فى أمتى، أهوى يدعو بالويل والثبور، ويحثو التراب على رأسه**»[(١)].

٧٦٣ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**من حجّ البيت ولم يرفثْ ولم يفسقْ، رجعَ كيوم ولدته أمه**»[(٢)].

وعن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: مَن أتى هذا البيت لا يريد إلا إياه، فطافَ به طوافاً خرجَ من ذنوبه كيوم ولدته أمه.

٧٦٤ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**ما رؤى الشيطانُ يوماً قطّ هو فيه أضعف ولا أحقر ولا أغيظ من يوم عرفة؛ وما ذلك إلا لما رأى من نزول الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام، ولم ير قبل ذلك مثله إلا ما رؤى من يوم بدر**»[(٣)].

وعن عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: فيما أوحى الله تعالى إلى موسى ـ عليه السلام ـ ذكر بيت الله الحرام وفضيلته قال: إلهى ما الحجّ؟ قال: بيتى الذى اخترته على جميع البيوت، وحرمى الذى حرمه خليلى، ينتهون إليه من أطراف الأرض، يهللون بالتلبية كما يلبى العبد لسيده. قال موسى: إلهى فما ثوابهم؟ قال: ألحقهم المغفرة حتى أشفعهم فى جيرانهم وقرابتهم. فقال موسى: إلهى، منهم من ليس له نفقة طيبة ولا قلب زاك. قال: فإنى أهبُ المسىء منهم للمحسن.

٧٦٥ـ وعن أبى هارون العبدى، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله عنه ـ أنه قال: حججنا مع عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى أول خلافته، فدخل

---

(١) **ضعيف**. ابن ماجه (٣٠١٣) والبيهقى (١١٨/٥) وعبد الله بن أحمد فى «زوائد المسند» (١٤/٤). فيه (عبد الله بن كنانة) مجهول. كما فى «التقريب»

(٢) **متفق عليه**. البخارى (١٥٢١/٣) ومسلم (١٣٥٠/٢).

(٣) **مرسل صحيح** مالك فى «الموطأ» (٤٢٢/١) وعنه الأصبهانى فى «ترغيبه» (١٠٧٠).

المسجد حتى وقف على الحجر ثم قال: إنك حجر لا تضرّ ولا تنفع، ولولا أنى رأيتُ رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك. فقال على ـ كرم الله وجهه ـ: لا تقل مثل هذا يا أمير المؤمنين فإنه يضرّ وينفع بإذن الله تعالى، ولولا أنك قرأت القرآن وعلمت ما فيه ما أنكرت عليك. فقال له عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ: يا أبا الحسن، وما تأويله من كتاب الله عز وجل؟ قال: يقول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف:١٧٢] الآية فلما أقروا بالعبودية، كتب إقرارهم فى رقّ، ثم دعا هذا الحجر فألقمه ذلك الرق، فهو أمين الله على هذا المكان؛ يشهد لمن وافاه يوم القيامة. قال عمر: يا أبا الحسن، لقد جعل الله بين ظهرانيكم من العلم غير قليل(١).

وروى عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال بعدما كف بصره: ما ندمت على شىء مثل ما ندمت على أن لا أكون حججت ماشياً؛ لأنى سمعت أنّ الله تعالى يقول: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج:٢٧].

قال الفقيه: إذا كان الطريق قريباً فلا بأس أن يحجّ ما شياً، وهو أفضل. وأما إذا كان الطريق بعيداً فالراكب أفضل؛ لأن الماشى يتعب نفسه ويسوء خلقه، فإذا أمن من هذا المعنى فالمشى أفضل.

وروى عن الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه أنه قال: إنّ الملائكة يتلقّون الحاج، فيسلّمون على أصحاب الجمال، ويصافحون أصحابَ البغال والحمير، ويعانقون الرجالة.

٧٦٦ـ وروى الضحاك، عن النبى ﷺ أنه قال: **«أيّما مسلم خرج من بيته قاصداً فى سبيل الله فوقصته دابته قبل القتال، أو لدغته هامة، أو مات بأى حتف، مات وهو شهيد. وأيما مسلم خرج من بيته حاجاً إلى بيت الله الحرام، ثم نزل به الموت قبل بلوغه أوجب الله له الجنة»**(٢).

٧٦٧ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: **«اللهم اغفرْ للحاج ولمن استغفر له الحاج»**(٣).

٧٦٨ـ وروى عن عطاء، عن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه

---

(١) صحيح لغيره * البيهقى فى «الشعب» (٤٠٤) والحاكم (١/ ٤٥٧) وتعقبه الذهبى بقوله أبو هارون ساقط. قلت. روى مسلم (٢/ ١٢٧٠) أوله عن ابن عمر

(٢) فيه ضعف.* الضحاك بن مزاحم. صدوق، كثير الإرسال، كما فى «التقريب».

(٣) ضعيف.* الحاكم (١/ ٤٤١) والبيهقى فى «الشعب» (٤١١٢). انظر: ضعيف الجامع (١١٧٧).

قال: «صلاة فى مسجدى تعدلُ ألف صلاة فى غيره إلا المسجد الحرام»(١).

٧٦٩ـ وفى خبر آخر: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من عشرة آلاف فى غيره إلا المسجد الحرام، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مئة ألف صلاة فى غيره، وصلاة فى سبيل الله أفضل من مئتى ألف صلاة» ثم قال: «ألا أدلّكم على ما هو أفضل من ذلك، رجل قام فى سواد الليل، فأحسن الوضوء، وصلى ركعتين يريد بهما ما عند الله»(٢).

٧٧٠ـ وعن يزيد بن بشر، عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت»(٣).

٧٧١ـ وروى عن سعيد بن المسيب ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «إنّ الله تعالى ليدخل ثلاثة نفر فى الحجّة الواحدة الجنة، الموصى بها، والمنّفذ لها، والحاج عنه، والعمرة كذلك» (٤)والله أعلم.

***

باب فضل الغزو والجهاد

٧٧٢ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو نصر، حدثنا منصور بن جعفر الدبوسى بسمرقند، حدثنا أبو القاسم أحمد بن خيثم، حدثنا عيسى بن أحمد، حدثنا على بن عاصم، عن سهيل، عن صفوان بن أبى يزيد، عن القعقاع بن اللجلاج، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «لا يجتمعُ غبارٌ فى سبيل الله، ودخان جهنم فى جوف عبد أبداً، ولا يجتمعُ الشّحّ والإيمان فى قلب عبد أبداً»(٥).

٧٧٣ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عمار بن نصير، عن الحسن ـ رحمهم الله تعالى ـ أن النبى ﷺ قال: «لغدوةٌ أو روحةٌ فى سبيل الله أفضل من الأرض ومن

---

(١) صحيح*. مسلم (٢/ ١٣٩٥) والنسائى (٥/ ٢١٣) وابن ماجه (١٤٠٥).

(٢) قال العراقى فى «تخريج الإحياء» (١/ ٢٤٤): هذا حديث غريب، لم أجده بجملته هذه.

(٣) متفق عليه.* البخارى (٨) ومسلم (١٦).

(٤) ضعيف *. ابن عدى فى «الكامل» (١/ ٣٤٢) والبيهقى فى«السنن» (٥/ ١٨٠) وفى «الشعب»(٤١٢٣) انظر: الضعيفة (١٩٦٤).

(٥) صحيح.* أحمد (٢/ ٤٤١) والنسائى (٦/ ١٣)والحاكم (٢/ ٧٢) وابن حبان (١٥٩٩) والبيهقى (٩/ ١٦١).

عليها، ولموقف الرجل فى الصف أفضل من عبادة ستين سنة»(١).

٧٧٤ـ وبهذا الإسناد، عن أبى معاوية، عن الحجاج، عن مقسم، عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أن النبى ﷺ بعث عبد الله بن رواحة فى سرية، فوافق ذلك يوم الجمعة، فقال عبد الله: أصلّى الجمعة مع النبى ﷺ ثم ألحق بأصحابى، وقد غدا أصحابه، فلما صلى رآه النبى ﷺ قال: «مالك لم تغد مع أصحابك؟». فقال: أحببتُ أن أصلى معك الجمعة، ثم ألحق بأصحابى، فقال له: «لو أنفقتَ ما فى الأرض جميعاً ما أدركت فَضْل غدوتهم»(٢).

٧٧٥ـ وعن سلمان الفارسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: رباط ليلة على ساحل البحر خير من صيام رجل، وقيامه فى أهله شهراً. ومن مات فى سبيل الله مرابطاً أجاره الله من فتنة القبر، وأمنه من الفزع الأكبر، وأجرى عمله كلّ يوم وليلة إلى يوم القيامة(٣).

٧٧٦ـ وعن عبيد بن عمير عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ ماالإسلام؟ قال: «طيب الكلام، وإطعام الطعام، وإفشاء السلام». قيل: وأى الإسلام أفضل؟ قال: «من سَلم الناس من يده ولسانه». قيل: فأى الصلاة أفضل؟ قال: «طول القيام». قيل: فأى الصدقة أفضل؟ قال: «جهد المقل». قيل: فأى الإيمان أفضل؟ قال: «الصّبر والسّماحة». قيل: فأى الجهاد أفضل؟ قال: «من عقر جواده، وأهريق دمه». قيل: فأى الرقاب أفضل؟ قال: «أغلاها ثمناً»(٤).

٧٧٧ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «لا يجتمع غبارٌ فى سبيل الله تعالى ودخان جهنم فى منخرى عَبْد مسلم»(٥).

٧٧٨ـ وعن النبى ﷺأنه قال: «كلّ عين باكية يوم القيامة إلا ثلاث أعين: عين بكت من خشية الله تعالى،وعين غضت عن محارم الله تعالى، وعين حرست فى سبيل الله تعالى»(٦).

---

(١) **أوله فى الصحيح**. البخارى (٦/ ٢٧٩٢، ١١/ ٦٤١٥) ومسلم (٣/ ١٨٨٠، ١٨٨١) من حديثى أنس وسهل ابن سعد. وآخره فى «الشعب» (٤٢٣١) موصولاً.

(٢) رواه ابن أبى شيبة. كما فى «كنز العمال» (٣٠٢٤٥).

(٣) **صحيح**. مسلم (٣/ ١٩١٣) وأحمد (حـ٥/ ٤٤٠، ٤٤١) بنحوه.

(٤) **صحيح بشواهده**. أحمد (٤/ ١١٤، ٣٨٥) وفيه انقطاع بين شهر وعمرو بن عبسة، وله شاهد عن عبد الله ابن حبشى: رواه أبو داود (١٤٤٩) والنسائى (٥/ ٥٨).

(٥) **صحيح**. النسائى (٦/ ١٤) وابن ماجه (٢٧٧٤) وأحمد (٢/ ٢٥٦، ٥٠٥).

(٦) **ضعيف**. جداً: الأصبهانى فى «ترغيبه» (٤٩٧) وأبو نعيم فى «الحلية» (٣/ ١٦٣) وابن الجوزى فى «ذم الهوى» (١٤١). فيه (عمر بن صهبان) تركوه.

٧٧٩ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبىﷺ أنه قال: **«عرض علىّ أول ثلاثة من أمتى يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار. فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة: فالشهيد، والعبد المملوك لم يشغله رقّ الدّنيا عن طاعة الله تعالى، وفقير متعفّف ذو عيال، وأما أول ثلاثة يدخلون النار: فأمير مسلّط، وذو ثروة من مال لا يؤدّى حقّ الله تعالى من ماله، وفقير فخور»**(١).

٧٨٠ـ وعن النبى ـ ﷺ ـ أنه سئل أىّ الأعمال أفضل؟ قال: **«الصّلاة لوقتها، وبرّ الوالدين، والجهاد فى سبيل الله تعالى»**(٢).

وعن ميمون بن مهران، عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أنه قال: من أعطى قوساً فى سبيل الله كان له كأجر من جاهد فى سبيل الله تعالى بماله ونفسه، ومن أعطى سيفاً فى سبيل الله تعالى جاء يوم القيامة وله لسان ينادى يوم القيامة: أنا سيف فلان، لم أزل أجاهد له إلى يومى هذا.

ومن أعطى سهماً فى سبيل الله، ادّخر الله له ذلك ويربيه حتى يجىء يوم القيامة على رؤوس الخلائق،وهو أعظم من جبل أحد. ومن حمل مجاهداً فى سبيل الله جعله الله له علماً يوم القيامة، ومن أعطى ترساً فى سبيل الله جعل الله له جُنة يوم القيامة؛ يعنى من النار.

ومن طعن طعنة فى سبيل الله جعلها الله له نوراً بين يديه، وجاءت يوم القيامة ولها ريح كريح المسك، يجدها الخلائق. ومن سقى أخاه فى سبيل الله تعالى سقاه الله من الرحيق المختوم يوم القيامة.

ومن زار أخاه فى سبيل الله كتب الله له بكل خطوة حسنة ورفع له بها درجة، وحط عنه بها سيئة. ومن حبس فرساً فى سبيل الله كتب الله له بكلّ شعرة حسنة، وحطّ عنه سيئة، ومن حرس ليلة فى سبيل الله أمنه الله تعالى من الفزع الأكبر يوم القيامة.

وقال ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: إذا كنتَ فى سرية فى سبيل الله فكن خلفها، تسوق ضعيفها، وتؤمن خائفها، يكنْ لك مثل أجورهم، ولا ينقص من أجورهم شىء.

---

(١) ضعيف*. أحمد (٢/ ٤٢٥) وابن حبان (٣٨٧) والحاكم (١/ ٣٨٧) والطيالسى (٢٥٦٧) وعند البيهقى (٤/ ٨٢). فيه (عامر العقيلى وأبيه) كلاهما مقبول.

(٢) متفق عليه.* البخارى (٥٢٧) ومسلم (٨٥).

وعن بعض الصحابة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ أنه قال: السيوف مفاتيح الجنة. قال: وإذا التقى الصفان فى سبيل الله تزيّن الحور العين فاطّلعن، فإذا أقبل الرجل قلن: اللهم انصره اللهم ثبّته، اللهم. . . . ، فإذا أدبر احتجبن عنه، وقلن: اللهم اغفر له، وإذا قتل غفر الله له بأول قطرة تخرج من دمه كل ذنب هو له، وتنزل عليه اثنتان من الحور العين تمسحان الغبار عن وجهه.

٧٨١ـ وذكر أن رجلاً حبشياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أنا كما ترانى دميم الوجه منتن الريح غير زاكى الحسب، فأين أنا إن قاتلت حتى أقتل؟ قال: «**أنت فى الجنة**»، فأسلم؛ فقال: عندى غنم فكيف أصنع بها؟ قال: «**وجهها إلى المدينة، ثم صح بها، فإنها سترجع إلى أهلها**»، ففعل ذلك، ثم اقتحم القتال فاقتتلوا، فلما تحاجز القوم قال النبى ﷺ: «**تفقدوا إخوانكم**»، ففعلوا. فقالوا: يا رسول الله، ذلك الحبشى قتيل فى وادى كذا، فقام النبى ﷺ معهم، فلما أشرف النبى عليه قال: «**اليوم حسّن الله وجهك، وطيّب ريحك، وزكّى حسبك**». فبكى، فأعرض عنه، فقالوا: رأيناك أعرضت عنه! فقال: «**والذى نفسى بيده لقد رأيت أزواجه من الحور العين إبتدرن حتى بدت خلاخيلهن**»(١).

ويقال: الغزاة ثلاثة أصناف: صنف منهم يرعون دوابهم، وصنف منهم يخدمونهم، وصنف منهم يباشرون القتال، وكلهم فى الأجر سواء، وأفضلهم الذى يرعى دوابهم، ويقاتل إذا حضر القتال، ثم الذى يخدمهم ويقاتل إذا حضر القتال.

٧٨٢ـ وروى عن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال: «**ما من عبد يموتُ وله عند الله خير يتمنّى أن يرجع إلى الدنيا، وإن كانت له الدنيا وما فيها**» يعنى لا يتمنى الرجوع إلى الدنيا، وإن أعطى له جميع الدنيا لما يخاف من هول الموت «**إلا الشهيد لما يرى من فضل الشهادة، فإنه يتمنّى أن يرجعَ إلىَ الدنيا فيقتل مرة أخرى**»(٢).

وعن سعيد بن جبير ـ رضى الله تعالى عنه ـ فى قوله تعالى: ﴿**فَصَعِقَ مَنْ فى السَّمَوات وَمَنْ فِى الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللهُ**﴾ [الزمر: ٦٨] قال: هم الشهداء متقلدى السيوف حول العرش.

وعن قتادة أنه قال: إن الله تعالى أعطى المجاهدين ثلاث خصال: من قُتل منهم صار حياً مرزوقاً، ومن غُلب أعطاه الله أجراً عظيماً، ومن عاش يرزقه الله رزقاً حسناً.

---

(١) صححه الحاكم (٢/ ٩٣) ولم يتعقبه الذهبى.

(٢) متفق عليه.* البخارى (٥/ ٢٧٩٥) ومسلم (٣/ ١٨٧٧)

٧٨٣- وعن الحسن البصرى - رحمه الله - عن النبى ﷺ أنه قال: «**من سأل الله الشهادة فمات كان له أجر الشهيد**»(١).

وعن ابن مسعود - رضى الله عنه - فى قول الله عز وجل: ﴿**بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**﴾ [آل عمران: ١٦٩] قال: أرواحهم فى حواصل طير خضر، تسرح فى الجنة فى أيّها شاءت، ثم تأوى إلى قناديل معلّقة تحت العرش.

٧٨٤- وعن معاذ بن جبل - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة، فقد وجبت له الجنة، ومن سأل الله الشهادة من عند نفسه صادقاً ثم مات أو قتل فله أجر شهيد، ومن جرح فى سبيل الله جرحاً أو نكب نكبة فإنه يجىء يوم القيامة لونه كالزعفران وريحه كالمسك»(٢).

٧٨٥- وروى الحسن البصرى رضى الله تعالى عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «**كلّ عين باكية يوم القيامة إلا أربع أعين: عين فقئت فى سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين باتت ساهرة من خشية الله، وعين باتت تحرس سرية من وراء المسلمين**»(٣).

***

باب فضل الرّباط

٧٨٦- قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا أبى - رحمه الله - قال: حدثنا أبو عبد الرحمن بن عبد الله، حدثنا محمد بن حرب المدنى، حدثنا عمر بن منصور، عن النضر بن معبد، عن أبى قلابة، عن عثمان - رضى الله تعالى عنه - قال: كنت أُسرُّ واليوم أُعلن، وما كان يمنعنى أحد أن أحدثكم إلا الظن بكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم فى سبيل الله أفضل من صيام ألف يوم، وقيام ألف ليلة**»(٤).

٧٨٧- وقال: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا نصير بن يحيى، قال: حدثنا أبو سلمان، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن راشد، عن مكحول أن سليمان الفارسى - رضى الله تعالى عنه - مرّ بشُرْحَبيل بن السِّمط، وهو مرابط فى قلعة بأرض فارس، فقال: ألا أحدثكم بحديثٍ سمعته من رسول الله ﷺ

---

(١) **صحيح**.* مسلم (٣/١٩٠٩) والبغوى فى «شرح السنة» (٢٦٢٨) من حديث أنس.

(٢) **صحيح**.* أبو داود (٢٥٤١) والترمذى (١٦٥٧) والنسائى (٦/ ٢٥) وابن ماجه (٢٧٩٢).

(٣) مرسل (من أقسام الضعيف). أرسله الحسن

(٤) **ضعيف***. به انقطاع. ورواه أحمد (١/ ٦٦، ٧٥) والترمذى (١٦٦٧) والنسائى (٦/ ٤٠) والحاكم (٢/١٤٣)، انظر: ضعيف الجامع (٣٠٨٤).

يقول: «لرباط يوم فى سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه، ومن مات وهو مرابط أجير من فتنة القبر، ونما له كل عمل كأحسن ما كان يعمل إلى يوم القيامة»(١).

٧٨٨ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنى أبى بإسناده عن نافع عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «من كبّر تكبيرة فى سبيل الله، كانت كصخرة فى ميزانه يوم القيامة أثقل من السماوات والأرض وما فيهن، ومن قال فى سبيل الله لا إله إلا الله، والله أكبر رافعاً صوته بها كتب الله له بها رضوانة الأكبر، ومن يكتب له رضوانه الأكبر جمع الله بينه وبين محمد وإبراهيم وسائر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام»(٢).

قال الفقية ـ رحمه الله تعالى ـ: اختلفوا فى الرضوان الأكبر، قال بعضهم: هو رؤية الله تعالى. وقال بعضهم: الرضوان الأكبر الذى لا يسخط عليه بعده أبداً.

٧٨٩ـ وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف لى أن أنفق من مالى حتى أبلغ عمل المجاهد فى سبيل الله؟ قال: «وما لك؟» قال: ستة آلاف. قال: «لو تصدّقت بها كان عدل نومة الغازى فى سبيل الله»(٣).

وروى محمد بن مقاتل العبادانى، عن أبيه، قال: كان يقال: من حلق رأسه فى الرباط، ثم دفنه، كان له أجر المرابط ما دام ذلك الشعر مدفوناً، والشعر لا يبلى.

وروى عثمان بن عطاء، عن أبيه قال: دخل رجل مع عبد الرحمن بن عوف فى حائط له فأعتق ثلاثين رقبة، فجعل الرجل يتعجب من ذلك، فقال له عبد الرحمن: أفلا أخبرك بعمل أفضل منه؟ قال: نعم. قال: بينما رجل يسير فى سبيل الله تعالى على دابته وسوطه متعلق فى أصبعه، إذ نعس نعسة فسقط سوطه، فلروعته بسوطه أفضل مما رأيتنى صنعت.

٧٩٠ـ وذكر عبد الله بن المبارك بإسناده عن رسول الله ﷺ قال: «بعث الله يوم القيامة أقواماً يمرون على الصراط كهيئة الريح ليس عليهم حساب ولا عذاب».

قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «أقوام يدركهم موتهم فى الرباط»(٤).

---

(١) صحيح.* سبق تخريجة برقم (٧٧٥).

(٢) موضوع*. ابن عدى فى «الكامل» (٣/ ٢٤٩) وأعله، وقال أبو حاتم: لا أصل له وانظر: الموضوعات (٢/ ٢٢٨، ٢٢٩).

(٣) لم أقف على إسناده.

(٤) رواه ابن المبارك فى «كتاب الجهاد» (١٨).

٧٩١ـ وروى أبو أمامة الباهلى ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: **«أربعة تجرى عليهم أجورُهم بعد موتهم: من مات مرابطاً فى سبيل الله، ومن علّم علماً أجرى له أجر من عمل به، ومن تصدّق بصدقة جارية من ماله فأجرها يجرى له مادامت الصدقة، ورجل ترك ولداً صالحاً وهو يدعو له»**(١).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: سمعت الفقيه أبا جعفر يذكر عن أبى القاسم، عن نصير، عن أبى مطيع أنه قال: الرباط الذى جاء فيه الفضل هو الرباط الذى لا يكون وراءه إسلام.

وروى عن سفيان بن عيينة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا أغار العدو على موضع فذلك الموضع رباط إلى أربعين سنة، وإذا أغار مرتين فهو رباط إلى مئة وعشرين سنة، وإذا أغار ثلاث مرات فهو رباط إلى يوم القيامة.

***

باب فضل الرّمى والرّكوب

٧٩٢ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو يحيى الحمانى، عن الحسن بن عمارة، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن جابر بن زيد، قال: كنتُ أرامى رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ففقدنى يوماً، فقال لى: ما أبطأ بك؟ فأخبرته بعذرى، فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ يكون لك عوناً على الرمى؟ فقلت: بلى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إنّ الله تعالى يُدخل بسهم واحد ثلاثة نفر الجنة: الرامى، والمحتسب بصنعته، والمقوّى به»**.

قال النبى ﷺ: **«ارموا واركبوا، وأن ترموا خير لكم وأحب إلىّ من أن تركبوا، فإن كل لهو لها به المؤمن باطل إلا فى ثلاث: رميك من قوسك، وتأديبك فرسك، وملاعبتك مع أهلك، فإن ذلك من الحق»**(٢).

وعن مكحول: إن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ كتب إلى أهل الشام: علِّموا

---

(١) **حسن بشواهده.*** أحمد (٥/ ٢٦١، ٢٦٩). انظر. المجمع (١/ ١٦٧) وصحيح الجامع (٨٧٧).

(٢) **ضعيف** *. أحمد (٤/ ١٤٤ وغيره) وأبو داود (٢٥١٣) والنسائى (٦/ ٢٢٢) وابن ماجه (٢٨١١) عن عقبة. ابن عامر. انظر: ضعيف الجامع (١٧٣٢). والداء والدواء (٢٩٩ بتحقيقى).
لكن قوله «**كل ما يلهو.**» صحيح إلا «**فانهن من الحق**» ـ الصحيحة (٣١٥).

أولادكم السباحة والرماية والفروسية، ومروهم بالاختفاء بين الأغراض.

وعن مجاهد قال: رأيتُ ابنَ عمر رضى الله عنهما يشتدّ بين الهدفين فى قميص.

وعن حذيفة رضى الله تعالى عنه، أنه كان يشتدّ بين الهدفين فى قميصٍ واحد.

٧٩٣- وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال لسعد يوم أحد: «**ارم يا سعد، فداك أبى وأمى**»(١).

٧٩٤- قال الفقيه - رحمه الله تعالى -: فى هذا الخبر بيان فضل الرمى؛ لأن النبى -ﷺ- لم يقل لأحد فداك أبى وأمى إلا لسعد، لأجل أنه كان رامياً. ودعا النبى ﷺ لسعد فقال: «**اللهم سدّد رميته، وأجبْ دعوته**»(٢).

٧٩٥- وعن عمرو بن شرحبيل أن النبى ﷺ قال: «**الإبل عزّ لأهلها، والغنم بركة، والخيلُ معقودٌ فى نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»(٣).

٧٩٦- وفى خبر آخر: «**العزّ فى نواصى الخيل، والذّلّ فى أذناب البقر**»(٤) يعنى إذا اشتغل الناس بالجهاد كان فيه عز الإسلام، وإذا تركوا الجهاد واتبعوا أذناب البقر ذلوا.

٧٩٧- وعن عمرو بن عبسة عن النبى ﷺ أنه قال: «**من رمى سهماً فى سبيل الله فهو عدل محرر**»(٥) يعنى مثل عتق رقبة.

٧٩٨- وعن عقبة بن عامر أن النبى ﷺ قال: «**ستُفْتَحُ لكم الأرض، وتكفون المؤونة، فلا يعجزن أحدكم أن يلهو بأسهمه**»(٦).

وعن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه: المعراض روضة من رياض الجنة، والرامى على المعراض كالرامى على العدو، والذى يردّ السّهام له بكلّ قدم عتق رقبة.

٧٩٩- وعن عقبة بنِ عامر - رضى الله تعالى عنه - أن رسول الله ﷺ قرأ على المنبر هذه الآية: ﴿**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ**﴾ [الأنفال: ٦٠] ثم قال: «**ألا إنّ القوّة الرّمى**» قالها ثلاثاً(٧).

---

(١) **متفق عليه.*** البخارى (٧/ ٤٠٥٩) ومسلم (٤/ ٢٤١١) من حديث على بن أبى طالب.

(٢) رواه ابن عساكر وابن النجار من حديث أبى بكر. كنز العمال (٣٦٦٤٤)

(٣) **صحيح** * ابن ماجه (٢٣٠٥) عن عروة البارقى وانظر: الصحيحة (١٧٦٣).

(٤) لم أقف على إسناده.

(٥) **صحيح.*** أحمد (٤/ ١١٣، ٣٨٤، ٣٨٦) والترمذى (١٦٣٨) والنسائى (٦/ ٢٦).

(٦) **صحيح** * مسلم (٣/ ١٩١٨) وأحمد (٤/ ١٥٧).

(٧) **صحيح.*** مسلم (٣/ ١٩١٨) وأبو داود (٢٥١٤).

٨٠٠ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**من ترك الرمى بعدما علمه فقد ترك سنة**» وفى خبر آخر: «**نعمة تركها**»(١).

ويقال: لاينبغى للشريف أن يأنفَ من أربعة وإن كان أميراً: قيامه من مجلسه لوالديه، وخدمته لضيفه، وقيامه على فرسه، وخدمته لمؤدبه الذى يأخذ منه العلم.

٨٠١ـ ورُوى عن أنس بن مالك أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ ـ يقول: «**من شَرَف المرء بعدَ طلب العلم تعلُّم الرمى**»، فقلت: يا رسول الله، ما ثواب تعلُّم الرمىِ؟ قال: «**يا أنس، مَن رَمَى بِسهم يريد بذلك وجه الله وعزّ الإسلام، كان له بكلّ رمية جارية من حور العين، وبنُى له خيمة فى الجنة من درّة بيضاء، سعتها مدار الأرض، ومن رمى بسهمٍ فى سبيل الله زاده ذلك السهم حتى يجىء يوم القيامة وهو أثقل من جبل أحد**»(٢).

٨٠٢ـ وقال: «**من تعلّم الرمى أعطاه الله ثلاثة أشياء: الحشر مع المجاهدين والهيبة، والسعة فى الرزق. وفى الآخرة ثلاثة أشياء: الحشر مع المجاهدين، ويجوز على الصراط كالبرق اللامع، ويدخل الجنة بغير حساب**»(٣).

***

باب أدب الغزو

٨٠٣ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يعلى بن عبيد، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاثبتوا، وأكثروا ذكر الله**»(٤).

وعن عوف بن مالك الأشجعى أنه قال: من أراد أن يكون غازياً حقّاً مجاهداً فى سبيل الله بالسنة، فليحافظ على عشر خصال:

أولها: أن لا يخرجَ إلا برضا الوالدين.

---

(١) صحيح بشواهده.* انظر: الترغيب (٢/ ١٧٢) للمنذرى، وصحيح الجامع (٦١٤٢).

(٢، ٣) لم أقف على إسنادهما.

(٤) صحيح (وفيه ضعف).* ابن أبى شيبة فى «المصنف»(١٢/ ٤٦٢) وعبد الرزاق (٩٥١٨) والبيهقى (٩/ ١٥٣) فيه (عبد الرحمن بن زياد بن أنعم) ضعيف وله شاهد متفق عليه.

والثانى: أن يؤدّى أمانة الله التى فى عنقه من الصلاة والزكاة والحج والكفّارات، ثم يؤدّى أمانات الناس التى فى عنقه من المظالم والغيبة وقول الزور.

والثالث: أنْ يَدَعْ لأهله من النفقة ما يكفيهم قدر إقامته.

والرابع: أن تكون نفقته من كسب حلال، فإنّ الله تعالى لا يقبلُ إلا الطيب.

والخامس: أن يسمعَ ويطيع لأميره وإن كان عبداً حبشياً بعدما كان أميراً عليه،

والسادس: أن يؤدّى حقّ رفيقه، ويتبسّم فى وجهه كلّما لقيه، وينفق أكثر ممّا هو ينفق، ويمرضه ويقوم فى حوائجه.

والسابع: أن لا يؤذى فى طريقه مسلماً ولا معاهداً.

والثامن: أن لا يفرّ من الزحف.

والتاسع: أن لا يغلّ من الغنيمة شيئاً؛ لقوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران: ١٦١] الآية.

والعاشر: أن يريدَ بغزوه إعزاز الدِّين ونُصْرة المؤمنين.

ويقال: ينبغى للغازى أن يكون له عشر خصال فى الحرب: أن يكون فى قلب الأسد لا يجبن، وفى كبر النمر لا يتواضع لعدوه، وفى شجاعة الدبّ يقاتل بجميع جوارحه، وفى حملة الخنزير لايولى دبره إذا حمل عليه، وفى إغارة الذئب إذا أيس من وجه أغار من وجه آخر، وفى حمل الثقيل كالنملة تحمل أضعاف وزنها، وفى ثباته كالحجر لايزول عن مكانه، وفى صبره كالحمار إذا أثقله نصول السهام وضرب السيف، وفى وفاء الكلب لو دخل سيده النار لاتبع أثره، وفى التماس الفرصة كالديك.

***

باب فضل أمّة محمد ﷺ

٨٠٤ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو عبد الله محمد بن جناح، حدثنا أبو سعيد الإمام، حدثنا نصير، عن عباد بن كثير، عن مقاتل بن سليمان ـ رضى الله عنهم ـ أن موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: يا رب إنى أجد فى الألواح أمة هم الشافعون والمشفعون، فاجعلهم أمتى، قال: هم أمة محمد ﷺ قال: يارب، أجد فى الألواح أمة كفارة خطاياهم الصلوات الخمس، فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ، قال: يارب أجد فى الألواح أمة

يقتلون أهل الضلالة، حتى أنهم يقتلون الأعور الدجال، فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ.

قال: يا رب، أجد فى الألواح أمة طهارتهم بالماء والتراب، فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ قال: يارب، أجد فى الألواح أمة يأخذون الصدقات ويأكلونها، وكان الأولون يحرقونها بالنار، فأجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ.

قال: يارب، أجد فى الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة واحدة، وإذا عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف فصاعداً، وإذا هَمّ أحدهم بسيئة لم يكتب عليه شيء، وإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ(١).

وروى معمر عن قتادة نحو هذا، وزاد فيه قال: يارب، أجد فى الألواح أمة هم خير الأمم، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ قال: يارب، أجد فى الألواح أمة هم الآخرون، هم السابقون يوم القيامة، فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ، قال: يارب، أجد فى الألواح أمة أناجيلهم فى صدورهم، وكانوا يقرؤون نظراً، فاجعلهم أمتى. قال: هم أمة محمد ﷺ حتى كان موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ تمنّى أن يكون من أمة محمد ﷺ فأوحى الله تعالى إليه: ﴿يَا مُوسَى إِنِّى أصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ برِسَالاتِى وبكَلامِى فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ منَ الشَّاكرِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٤] ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وبه يَعْدلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩] فرضى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

٨٠٥ـ وروى مقاتل بن حيان أن النبى ﷺ قال: «لما أسرى بى إلى السماء، انطلق جبريل عليه السلام، حتى انتهى بى جبريل إلى الحجاب الأكبر عند سدرة المنتهى، قال جبريل عليه السلام: تقدم يا محمد، قلت: يا جبريل لا، بل تقدم أنت. قال: يا محمد، لا ينبغى لأحد غيرك أن يجاوز هذا المكان، وأنت أكرم على الله منى. قال: فتقدمت حتى انتهيت إلى سرير من ذهب، وعليه فراش من حرير الجنة.

فنادى جبريل عليه السلام من خلفى: يا محمد، إن الله تعالى يثنى عليك فأسمع وأطع، ولا يهولنّك كلامه، فبدأت بالثناء على الله تعالى، فقلت: التحيات لله والصلوات والطيبات. قال الله تعالى: السلام عليك أيها النبى ورحمة وبركاته، فقلت: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. وقال جبريل عليه السلام: أشهد أن لا إله إلا الله،

(١) إسناده موضوع. * فيه (مقاتل بن سليمان) كذبوه وهجروه. كما فى «التقريب».

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

قال الله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾. فقلت: بلى يارب آمنت بك ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾كما فرقت اليهود بين موسى وعيسى ـ عليهما السلام ـ، وفرقت النصارى بينهما، قال الله عز وجل: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلا وُسْعَهَا﴾ يعنى إلا طاقتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ يعنى لها ثواب ما كسبت من الخير ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر، ثم قال: سل تعط. فقلت: ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ يعنى اغفر ذنوبنا، فإنّ مرجعنا إليك يوم القيامة. قال الله تعالى: قد غفرت لك ولأمتك، ومَن وحّدنى وصدّق بك.

ثم قال: يا محمد سل تعط. فقلت: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال الله تعالى: لك ذلك، لا أُؤاخذكم بما نسيتم أو أخطأتم، أو بما استكرهتم عليه، ثم قال: سل تعط. فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ وذلك لأن بنى إسرائيل كانوا إذا أخطؤوا خطيئة حرم الله عليهم بذلك أطيب الطعام كما قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠] قال الله تعالى: لك ذلك.

ثم قال: سل تعط فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ فإن أمتى هم الضعفاء. قال الله تعالى: لك ذلك، سل تعط. فقلت: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٥ ، ٢٨٦] قال: لك ذلك ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥][(١)].

٨٠٦ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن السردرى، قال: حدثنا بكر بن حنيش، حدثنا هانئ بن النضير، حدثنا أحمد بن خالد، عن المسعودى، عن مزاحم بن زفر، عن مجاهد، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال:

«أعطيت خمساً لم يعطهن أحدٌ من الأنبياء قبلى: أُرسلتُ إلى الأحمر والأسود، وجُعلَتْ لى الأرض مسجداً وطهوراً، ونُصرْتُ بالرّعب مسيرة شهر، وأُحلّ لى المغنم، وأُعطيتُ الشّفاعة فادّخرتها لأمتى»[(٢)].

٨٠٧ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ:

---

(١) فيه ضعف. * فيه انقطاع.

(٢) صحيح *. رواه مسلم (٥٢٣) عن أبى هريرة. (ومتفق عليه) عن جابر: رواه البخارى (٣٣٥ وأطرافه) ومسلم (٥٢١).

يُحكى[1] أن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ كان له على يهودى حق، فلقيه عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقال: والذى اصطفى أبا القاسم على البشر، لا تفارقنى وأنا طالبك بشىء، فقال اليهودى: ما اصطفى الله أبا القاسم على البشر، فرفع عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ يده فلطم خدّه. فقال اليهودى: بينى وبينك أبو القاسم.

وأتيا النبى ﷺ فقال اليهودى: إن عمر زعم أن الله اصطفاك على البشر، وإنى زعمت أن الله لم يصطفك على البشر، فرفع يده فلطمنى. فقال النبى ﷺ ـ: «**أمّا أنت يا عمر فأرضه من لطمتك**». ثم قال: «**بلى يا يهودى، إن آدم صفىّ الله، وإبراهيم خليل الله، وموسى نبى الله، وعيسى روح الله، وأنا حبيب الله**».

بلى يا يهودى، اسمان من أسماء الله تعالى سمّى بهما أمتى، سمّى نفسه السلام، وسمّى أمتى المسلمين. وسمّى نفسه المؤمن، وسمّى أمتى المؤمنين.

بل يا يهودى، طلبتم يوماً أدخره لنا؛ يعنى يوم الجمعة، فاليوم لنا وغداً لكم. وبعد غد للنصارى.

بلى يا يهودى، أنتم الأولون، ونحن الآخرون السابقون يوم القيامة.

بلى يا يهودى، إنّ الجنة لمحرّمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا، وإنها لمحرمة على الأمم حتى تدخلها أمتى».

وقال كعب الأحبار ـ رضى الله تعالى عنه ـ: إنّ الله تعالى أكرم هذه الأمة بثلاثة أشياء، قد أكرم بها أنبياءه:

أحدهما: أنه جعل كل نبى شاهداً على قومه، وجعل هذه الأمة شهداء على الناس، وقال للرسل: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً**﴾ [المؤمنون: ٥١] وقال لهذه الأمة: ﴿**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾ [البقرة: ١٧٢] وقال لكل نبى: ادعونى أستجب لك، وقال لهذه الأمة: ﴿**ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ**﴾ [غافر: ٦٠].

ويقال: إنّ الله تعالى أكرم هذه الأمّة بخمس كرامات:

أولها: أنه خلقهم ضعفاء حتى لا يستكبّروا.

والثانى: خلقهم صغاراً فى أنفسهم حتى تكون مؤونة الطعام والشراب والثياب عليهم.

---

(١) لم أقف على إسناده .

والثالث: جعل عمرهم قصيراً حتى تكونَ ذنوبهم أقلّ.

والرابع: جعلهم فقراء حتى يكون حسابهم فى الآخرة أقلّ.

والخامس: جعلهم آخر الأمم حتى يكون بقاؤهم فى القبر أقلّ.

وذُكِر أن آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال: إنّ الله تعالى أعطى أمة محمد ﷺ أربع كرامات ما أعطانيها:

أحدها: أن قبول توبتى كان بمكة وأمة محمد ﷺ يتوبون فى كلّ مكان، فيتقبل الله توبتهم.

والثانى: إنى كنت لابساً فلما عصيت جعلنى عرياناً، وأمة محمد ﷺ يعصون عراة فيلبسهم الله.

والثالث: أنى لما عصيت فرّق بينى وبين امرأتى، وأمة محمد ﷺ يعصون ولا يفرق بينهم وبين أزواجهم.

والرابع: إنى عصيتُ فى الجنة فأخرجنى منها، وأمة محمد ﷺ يعصون خارج الجنة فيدخلونها بالتوبة.

٨٠٨ـ وروى عن على ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: بينما النبى ﷺ جالس مع المهاجرين والأنصار إذ أقبل إليه جماعة من اليهود، فقالوا: يا محمد، إنا نسألك عن كلمات أعطاهن الله تعالى لموسى بن عمران لا يعطيها إلا نبياً مرسلاً أو ملكاً مقرباً. فقال النبى ﷺ: «سلوا». فقالوا: يا محمد أخبرنا عن هذه الصلوات الخمس التى افترضها الله على أمتك. فقال النبى ﷺ:

«أما صلاة الظهر إذا زالت الشمسُ يسبح كلّ شىء لربه، وأما صلاة العصر، فإنها الساعة التى أكل فيها آدم ـ عليه السلام ـ من الشجرة، وأما صلاة المغرب فإنها الساعة التى تاب الله على آدم ـ عليه السلام ـ فيها، فما من مؤمن يصلى هذه الصلاة محتسباً، ثم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه، وأما صلاة العتمة فإنها الصلاة التى صلاها المرسلون قبلى، وأما صلاة الفجر فإن الشمس إذا طلعت تطلع بين قرنى الشيطان ويسجد لها كل كافر من دون الله».

قالوا له: صدقت يا محمد، فما ثواب من صلى؟ قال النبى ـ ﷺ:

«أما صلاة الظهر فإنها الساعة التى تسعر فيها جهنم، فما من مؤمن يصلى هذه الصلاة إلا حرم الله تعالى عليه لفحات جهنم يوم القيامة، وأما صلاة العصر فإنها

الساعة التى أكل آدم ـ عليه السلام ـ فيها من الشجرة، فما من مؤمن يصلى هذه الصلاة إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، ثم تلا قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاةِ الوُسْطَى﴾ [البقرة:٢٣٨] وأما صلاة المغرب فإنها الساعةَ التى تاب الله فيها على آدم عليه السلام، فما من مؤمن يصلى هذه الصلاة محتسباً، ثم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه إياه. وأما صلاة العتمة فإن القبر ظلمة، ويوم القيامة ظلمة، فما من مؤمن مشى فى ظلمة الليل إلى صلاة العتمة إلا حرم الله عليه وقود النار، ويعطيه نوراً يجوزه على الصراط. وأما صلاة الفجر فما من مؤمن يصلى الفجر أربعين يوماً فى الجماعة إلا أعطاه الله براءتين: براءة من النار، وبراءة من النفاق».

قالوا: صدقت يا محمد، ولم افترض الله على أمتك الصوم ثلاثين يوماً؟ قال: «إن آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة بقى فى بطنه مقدار ثلاثين يوماً، فافترض الله على ذريته الجوع ثلاثين يوماً، ويأكلون بالليل تفضلاً من الله تعالى على خلقه».

قالوا: صدقت يا محمد. فأخبرنا ما ثواب مَن صام مِن أمتك؟ قال: «ما من عبد يصومُ مِن شهر رمضان يوماً محتسباً إلا أعطاه الله تعالى سبع خصال: يذوب اللحم الحرام مَن جسده، ويقرب من رحمته، ويعطيه خير الأعمال، ويؤمنه من الجوع والعطش، ويهون عليه عذاب القبر، ويعطيه الله نوراً يوم القيامة حتى يجاوز به الصراط، ويعطيه الكرامات فى الجنة».

قالوا: صدقت يا محمد. فأخبرنا ما فضلك على النبيين؟ قال: «فما من نبى إلا دعا على قومه، وأنا أدخرت دعوتى لأمتى»؛ يعنى الشفاعة.

قالوا: صدقت يا محمد. نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله(١).

وعن كعب الأحبار ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قرأت فى بعض ماأُنزلَ على موسى عليه السلام: يا موسى ركعتان يصليهما أحمد وأمته، وهى صلاة الغداة، من يصليهما غفرت له ماأصاب من الذنوب من ليله ويومه، ويكون فى ذمتى. يا موسى، أربع ركعات يصليها أحمد وأمته وهى صلاة الظهر أعطيهم بأول ركعة فيه المغفرة، وبالثانية أثقل ميزانهم، وبالثالثة أوكل عليهم الملائكة؛ يسبحون ويستغفرون لهم، وبالرابعة أفتح لهم أبواب السماء، ويشرف عليهم الحور العين، يا موسى أربع ركعات يصليها أحمد وأمته وهى صلاة العصر فلا يبقى ملك فى السماوات والأرض إلا استغفر لهم، ومن استغفر له الملائكة لم أعذّبه.

---

(١) لم أقف على إسناده .

يا موسى، ثلاث ركعات يصليها أحمد وأمته حين تغرب الشمس أفتح لهم أبواب السماء، لا يسألون من حاجة إلا قضيتها لهم.

يا موسى، أربع ركعات يصليها أحمد وأمته حين يغيب الشفق، وهى خيرٌ لهم من الدنيا وما فيها، ويخرجون من ذنوبهم كيوم ولدتهم أمهاتهم.

يا موسى، يتوضأ أحمد وأمته كما أمرتهم، أعطيهم بكل قطرة تقطر من الماء جنة عرضها كعرض السماء والأرض.

يا موسى، يصوم أحمد وأمته شهراً فى كل سنة وهو شهر رمضان، أعطيهم بصيام كل يوم مدينة فى الجنة، وأعطيهم بكل خير يعملون فيه من التطوع أجر فريضة، وأجعل فيه ليلة القدر من استغفر منهم فيها مرة واحدة نادماً صادقاً من قلبه فإن مات من ليله أو شهره أعطيته أجر ثلاثين شهيداً.

يا موسى، إن فى أمة محمد رجالاً يقومون على كل شرف، يشهدون بشهادة أن لا إله إلا الله، فجزاؤهم بذلك جزاء الأنبياء ـ عليهم السلام ـ ورحمتى عليهم واجبة، وغضبى بعيد منهم، ولا أحجب باب التوبة عن واحد منهم، ما داموا يشهدون أن لا إله إلا الله(١).

٨٠٩ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «**إنَّ أول من يُدعى يوم القيامة نوح ـ عليه السلام ـ وأمته، ثم يقال له: هل بلغت ما أرسلت به؟ فيقول: نعم يارب. ثم يقال لقومه: هل بلغكم نوح رسالة الله، فيقولون: لا والله، ولئن كنت أرسلت إلينا رسولاً لنتبع آياتك، ونكون من المؤمنين، فما بلغنا ما أمرته به. فقال لنوح عليه السلام: إن هؤلاء يزعمون أنك لم تبلغهم، فهل لك عليهم من شهيد؟ فيقول: نعم. فيقال من هم؟ فيقال: هم أمة محمد عليه السلام، فيدعون ويسألون، فيقولون: نعم نشهد أن نوحاً عليه السلام قد بلغ قومه، فيقول قوم نوح: كيف تشهدون علينا، ونحن أول الأمم، وأنتم آخر الأمم؟ فيقولون: نشهد أن الله تعالى بعث إلينا رسولاً، وأنزل عليه الكتاب، وكان فيما أنزل عليه خبركم**».

قال أبو هريرة ـ رضى الله عنه ـ: «**نحن الآخرون ونحن الأولون يوم القيامة**» فذلك قوله تعالى ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُون الرسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً**﴾ [البقرة: ١٤٣](٢).

---

(١) لم أقف على إسناده

(٢) صحيح * البخارى (٨/ ٤٤٨٧) والترمذى ـ(٢٩٦١) وأحمد (٣/ ٣٢) عن أبى سعيد.

باب حق الزّوج على زوجته

٨١٠ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ:حدثنا عبد الوهاب ابن محمد، حدثنا محمد بن على، حدثنا محمد بن صالح، حدثنا عبد الرحمن الدورى، عن عبد العزيز بن الخطاب، عن حبان بن على العنزى، عن صالح بن حيان، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: إنى أسلمت، فأرنى شيئاً أزدد به يقيناً. قال: «**ما تريد؟**» قال: ادع تلك الشجرة فلتأتك. قال: «**اذهب فأدعها**» فذهب. فقال: أجيبى رسول الله. فمالت على جانب من جوانبها، فقطعت عروقها، ثم مالت على الجانب الآخر، ثم أقبلت، ثم أدبرت، فقطعت عروقها، ثم أقبلت تجر عروقها وفروعها حتى انتهت إلى النبى ﷺ وسلمت عليه. فقال الأعرابى: حسبى حسبى، فأمرها فرجعت، فدلّت عروقها فى ذلك الموضع ثم استوت. فقال الأعرابى: أئذن لى يا رسول الله، فأقبّل رأسك ورجليك، فأذن له، فقبّل رأسه ورجليه. فقال: أتأذن لى أن أسجد لك؟ قال:

«**لا تسجد لى، ولا يسجد أحد لأحد من الخلق، لو كنت آمراً أحداً بذلك لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها تعظيماً لحقّه**»[(١)].

٨١١ـ وروى عطاء عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: جاءت امرأة إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله، ما حق الزوج على المرأة؟ قال: «**أن لا تمنع نفسها ولو كانت على ظهر قتب، ولا تصوم يوماً إلا بإذنه إلا رمضان، فإن فعلت كان الأجر له والوزر عليها، ولا تخرج إلا بإذنه، فإن خرجت لنفسها لعنتها ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب حتى ترجع**»[(٢)].

وعن قتادة قال: ذكر لنا أن كعباً قال: أول ما تسأل المرأة عنه يوم القيامة عن صلاتها، ثم عن حق زوجها.

٨١٢ ـ وعن الحسن، عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا هربت المرأةُ من بيت زوجها لن تقبل لها صلاة حتى ترجع، وتضع يدها فى يده، وتقول: اصنع ما شئت، وإن المرأة إذا صلت ولم تَدْعُ لزوجها؛ رُدّتْ عليها صلاتها حتى تدعو لزوجها**»[(٣)].

---

(١) ضعيف.* فيه (حبان بن على العنزى وصالح بن حيان) كلاهما ضعيف.

(٢) ضعيف.* الطيالسى (١٩٥١) فيه (ليث بن آبى سليم) اختلط أخيراً، ولم يتميز حديثه فترك

(٣) ضعيف.* أرسله الحسن. وكان يدلّس

٨١٣ ـ وعن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال في خطبته وهو يومئذ بمنى: «**أيها الناس إنّ لكم على نسائكم حقاً، وإنّ لهنّ عليكم حقاً، وإنّ من حقّكم عليهن أن يحفظن فرشكم، ولا يأذنّ في بيوتكم لأحد تكرهونه، ولا يأتين بفاحشة مبينة، فإن هن فعلن ذلك، فقد أحلّ الله لكم أن تضربوهن ضرباً غير مبرح، وإنّ من حقّهن عليكم: الكسوة والنفقة بالمعروف**»(١).

٨١٤ ـ وروى عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ أنه قال: «**إنّ المرأة إذا صلّت خمسها، وصامت شهرها، وأحصنت فرجها، وأطاعت بعلها، فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت**»(٢).

٨١٥ـ وعنه أيضاً، عن النبى ﷺ أنه قال: «**لو أن الزوج سال من أحد منخريه دم، ومن الآخر صديد، فلحسته المرأة ما أدّت حقّ زوجها**»(٣).

***

باب حقّ المرأة على زوجها

٨١٦ ـ قال الفقية أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبى ـ رحمه الله ـ حدثنا أبو الحسين الفراء، حدثنا محمد بن غالب البغدادى، عن الحسن بن عطية، عن ابن عاتكة، قال أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ: سئل رسول الله ﷺ أى المؤمنين أكمل إيماناً؟ قال: «**أحسنهم خُلُقاً مع أهله**»(٤).

٨١٧ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن السردرى، قال: حدثنى أبو أحمد الحلوانى، حدثنا العباس بن محمد، حدثنا يحيى بن معين، حدثنا أبو حفص الأبار، عن حجادة، عن عطية العوفى، عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال:

«**كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيته، فالإمام الذى على الناس راعٍ وهو مسؤول عن رعيتّه، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسؤول عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسؤولة عن رعيتها، ألا كلّكم راعٍ، وكلّكم مسؤول عن رعيته**»(٥).

---

(١) صحيح.* أحمد (٤/ ٣٨١) وابن ماجه (١٨٥١).

(٢) حسن أو صحيح.* بطرقه وشواهده. انظر: صحيح الجامع (٦٦٠، ٦٦١).

(٣) ضعيف *البزار (١٤٦٦ ـ كشف) والحاكم(٤/ ١٧٢)وفيه (سليمان بن داود اليمامى) قال الذهبى: ضعفوه.

(٤) صحيح لغيره* فيه (أبو عاتكة طريف بن سليمان) ضعيف له شاهد من حديث أبى هريرة. انظر: الصحيحة (٢٨٤) وصحيح الجامع (١٢٣٠).

(٥) متفق عليه* البخارى (١٣/ ٧١٣٨) ومسلم (٣/ ١٨٢٩) من طريق أخرى

٨١٨ ـ قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان، حدثنا الحسن بن على، عن الفضل بن سهل، عن محمد بن عبد الله بن أبان، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَن تزوّج امرأةً بصداق مثلها، وهو ينوى أن لا يؤديه إليها، فهو زانٍ. ومن استدان ديناً وهو ينوى أن لا يقضيه فهو سارق»(١).

٨١٩ ـ قال: حدثنا أبو القاسم الشناباذى بإسناده، عن الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**استوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً، وإنما أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله تعالى**»(٢).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حقّ المرأة على الزوج خمسة أشياء:

أولها: أن يخدمها من وراء ستر، ولا يدعها تخرج من الستر، فإنها عورة، وخروجها إثم وترك للمروءة.

والثانى: أن يعلّمها ما تحتاج إليه من العلم، مما لابد لها من أحكام الوضوء والصلاة والصوم.

والثالث: أن يطعمها الحلال، فإن اللحم إذا نبت من الحرام يذوب بالنار.

والرابع: أن لا يظلمها فإنها أمانة عنده.

والخامس: إن تطاولت عليه يحتمل ذلك منها، نصيحة لها لكيلا تقع فى أمر هو أضرّ بها مما وقعت فيه.

وذُكر أنّ رجلاً جاء إلى عمر بن الخطاب يشكو إليه زوجته، فلما بلغ بابه سمع امرأته أمَ كلثوم، تطاولت عليه. فقال الرجل: إنى أردت أن أشكوا إليه زوجتى وبه من البلوى إليك مثل ما بى فرجع، فدعاه عمر ـ رضى الله عنه ـ، فسأله. فقال: إنى أردت أن أشكو إليك من زوجتى فلما سمعت من زوجتك ما سمعت، رجعت. فقال عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ: إنى أتجاوز عنها لحقوق لها علىّ:

أولها: إنها ستر بينى وبين النار، فيسكن بها قلبى عن الحرام.

والثانى: إنها خازنة لى إذا خرجت من منزلى، حافظة لى.

---

(١) **فيه ضعف*** فيه (محمد عبد الله بن أبان) ضعيف. انظر المجمع (٤/ ١٣١) والكشف (٢/ ١٦٣).

(٢) **صحيح*** مسلم (٢/ ١٢١٨) وأبو داود (١٩٠٥) والترمذى (١١٦٣) وابن ماجه (١٨٥١، ٣٠٧٤) من حديث جابر مطوّلا

والثالث: إنها قصارة لى، تغسل ثيابى.

والرابع: إنها ظئر لولدى.

والخامس: إنها خبازة وطباخة لى.

فقال الرجل: إن لى مثل ما لك فما تجاوزتَ عنها فأتجاوز عنها.

٨٢٠ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**أربع نفقات لا يحاسب العبد بهنّ يوم القيامة: نفقته على أبويه، ونفقته على إفطاره، ونفقته على سحوره، ونفقته على عياله**»(١).

٨٢١ ـ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الدّنانير أربعة: دينار تنفقه فى سبيل الله تعالى، ودينار تعطيه للمساكين، ودينار تعطيه فى رقبة، ودينار تنفقه على أهلك، وأعظمها أجراً الدينار الذى تنفقه على أهلك**»(٢).

***

باب إصلاح ذات البين والنهى عن المصارمة

٨٢٢ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو الحسن القاسم بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا عيسى بن خشنام، حدثنا سويد، عن مالك، عن ابن شهاب، عن عطاء بن يزيد، عن أبى أيوب الأنصارى ـ رضى الله عنهم ـ أن رسول الله ﷺ قال:

«**لا يحلّ لمسلم أن يهجَر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان، فيعرض هذا بوجهه وهذا بوجهه، وخيرهما الذى يبدأ بالسلام**»(٣).

٨٢٣ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا ابن علية، عن يونس، عن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَهجروا فإن كنتم مهتجرين لا محالة، فلا تهتجروا فوق ثلاثة أيام، وأيما مسلمين ماتا وهما مهتجران لا يجتمعان فى الجنة**»(٤).

---

(١) لم أقف على إسناده

(٢) **صحيح*** مسلم (٩٩٥) والبغوى فى «شرح السنة» (١٦٧٢) من حديث أبى هريرة.

(٣) **متفق عليه*** البخارى (/ ٦٢٣٧) ومسلم (٢٥٦٠).

(٤) أرسله الحسن* وله شواهد صحيحة. وانظر ما قبله

٨٢٤ ـ قال: حدثنا أبو الحسن أحمد بن حمدان، حدثنا الحسن بن على الطوسى، حدثنا عبد الله بن محمد، عن مالك بن سفيان، عن الأعمش، عن شمر ابن عطية، عن شهر بن حوشب، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عباداً يوضع لهم يوم القيامة منابر من نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء**»، فقالوا: من هم يا رسول الله؟ قال: «هم المتحابّون فى الله»(١).

٨٢٥ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «**تفتح أبوابُ الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر لكلّ عبد مسلم، لا يشرك بالله شيئاً إلا عبد كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنْظِرُوا هذين حتى يصطلحا، قال: فإذا رُفِعَ عَمَلُ المتصارمين فوق ثلاث ردّ**»(٢).

٨٢٦ ـ وعن أبى أمامة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ قال: «**إذا كانت ليلةُ النصف من شعبان، يهبط الله إلى سماء الدنيا، فيطّلع على أهل الأرض، فيغفر لأهل الأرض جميعاً إلا الكافر والمشاحن**»(٣).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: هبوطه هبوط أمره، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَتَاهُمُ اللهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: ٢] يعنى أتاهم أمره.

٨٢٧ ـ وروى عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**خمسة ليست لهم صلاة: المرأة السّاخط عليها زوجها، والعبد الآبق من سيده، والمصارم الذى لا يكلّم أخاه فوق ثلاثة أيام، ومدمن خمر، وإمام قوم يصلّى بهم وهم له كارهون**»(٤).

٨٢٨ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**ألا أنبئكم بصدقة يسيرة يحبّها الله تعالى؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**إصلاح ذات البين إذا تقاطعوا**»(٥).

٨٢٩ ـ وعن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟**» قالوا: بلى. قال: «**إصلاح ذات البين**

---

(١) ضعيف* لعنعنة (الأعمش) و (شهر) يضعّف فى الحديث.

(٢) صحيح* مسلم (٤/ ٢٥٦٥) وأبو داود (٤٩١٦) وغيرهما.

(٣) حسن* ابن حبان(١٩٨٠) والبيهقى فى«الشعب»(٣٨٣٣ وقواه،٦٦٢٨)والطبرانى، كما فى«المجمع»(٨/ ٦٥).

(٤) حسن صحيح* بفظ «ثلاثة...» الترمذى (٣٦٠) عن أبى أمامه بإسناد حسن. ورواه ابن ماجه (٩٧١) وابن حبان (٣٧٧) عن ابن عباس بإسناد صحيح وفى الباب عن جابر.

(٥) عزاه فى «كنز العمال» (٥٤٨٦) إلى أبى سعيد السمان فى مشيخته عن آنس.

إذا تقاطعوا»[1].

وروى عن بعض الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ أنه قال: من عجز عن ثمانية فعليه بثمانية أخرى لينال فضلها:

أولها: من أراد فَضْلَ صلاة الليل وهو نائم فلا يعص بالنهار.

والثانى: من أراد فَضْلَ صيام التطوّع وهو مفطر فليحفظْ لسانه.

والثالث: من أراد فضل العلماء فعليه بالتفكر.

والرابع: من أراد فضل المجاهدين والغزاة وهو قاعد فى بيته فليجاهد الشيطان.

والخامس: من أراد فَضْل الصدقة وهو عاجز فليُعلِّم الناسَ ما سمع من العلم.

والسادس: من أراد فضل الحج وهو عاجز فليلزم الجمعة.

والسابع: من أراد فضل العابدين فليصلح بين الناس، ولا يوقع بينهم العداوة والبغضاء.

والثامن: من أراد فَضْل الأبدال فليضع يده على صدره ويرضى لأخيه ما يرضى لنفسه.

٨٣٠ ـ وعن على بن الحسين ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: إذا جَمَعَ الله الأولين والآخرين نادى مناد: أين أهل الفضل؟ فيقوم عنق من الناس يريدون الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: أين تريدون؟ فيقولون: نريد الجنة. فتقول الملائكة: أَقَبْلَ الحساب؟ فيقولون: نعم، قبل الحساب. فيقولون: من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل. فيقولون: ما كان فضلكم فى الدنيا؟ قالوا: إنا كنا إذا جُهِل علينا حَلُمنا وإذا أسىء إلينا عفونا. فتقول الملائكة: ادخلوا الجنة. فنعم أجر العاملين.

ثم ينادى مناد: أين أهل الصبر؟ فيقوم عنقٌ من الناس يريدون الجنة، فتقول لهم الملائكة: أين تريدون؟ قالوا: نريد الجنة. فتقول الملائكة: أقبلَ الحساب؟ قالوا: نعم. فتقول الملائكة: من أنتم؟ قالوا: نحن أهل الصبر. فتقول: وما كان صبركم؟ فيقولون: صبَّرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبرناها عن معاصى الله. فتقول الملائكة: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين.

ثم ينادى مناد: أين جيران الله فى داره؟ فيقوم عنق من الناس يريدون الجنة، فتقول الملائكة: أين تريدون، فيقولون: نريد الجنة. فتقول الملائكة: أقبل الحساب؟

---

(١) صحيح: أحمد (٦/ ٤٤٤) وأبو داود (٤٩١٩) والترمذى (٢٦٤٠) وابن حبان (١٩٨٢).

فيقولون: نعم. فتقول الملائكة: من أنتم؟ فيقولون: نحن جيران الله فى أرضه، فيقولون: وما كان جواركم؟ فيقولون: كنا نتحاب فى الله، وكنا نتباذل فى الله، وكنا نتزاور فى الله، فتقول الملائكة: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين(١).

٨٣١ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ الله تعالى يقول يوم القيامة أين المتحابون فىّ؟ فوعزّتى وجلالى اليوم أظلّهم بظلّى يوم لا ظلّ إلا ظلّى**»(٢).

٨٣١/م ـ وعن أبى أمامة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: امش ميلاً، وعُدْ مريضاً. وامش ميلين وزر أخاك. وامش ثلاثة أميال وأصلح بين اثنين(٣).

٨٣٢ ـ وعن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: من أصلح بين اثنين أعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة(٤).

وقال أبو بكر الوراق ـ رضى الله تعالى عنه ـ: إن الله بعث نبيه ـ عليه السلام ـ ليدعو الخلق إلى الله تعالى، وإنما طلب منهم عمل أربعة أشياء: القلب، واللسان، والجوارح، والخُلق، وإنما طلب من كل واحد من هذه الأربعة شيئين. أما القلب فطلب منه تعظيم أمور الله تعالى، والشفقة على خلقه. وأما اللسان فطلب منه ذكر الله تعالى على الدوام، ومداراة الخلق. وأما الجوارح فطلب منها عبادة الله تعالى، وعون المسلمين. وأما الخُلق فطلب منه الرضا بقضاء الله تعالى، وحسن المعاشرة مع الخلق، واحتمال أذاهم.

٨٣٢/م ـ وروى سهل بن أبى صالح عن عطاء بن يزيد عن تميم الدارى ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**ألا إنما الدِّين النصيحة**» قالها ثلاثاً. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المؤمنين ولعامتهم**»(٥).

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: النصيحة لله تعالى: أن تؤمن بالله ولا تشرك به شيئاً، وتعمل بما أمر الله به، وتنتهى عما نهى عنه، وتدعو الناس إلى ذلك، وتدلهم عليه. وأما النصيحة لرسوله فأن تعمل بسنته، وتدعو الناس إليها. وأما النصيحة

---

(١) ضعيف جداً* ابن أبى الدنيا فى «الحلم» (٥٦) وعند البيهقى فى «الشعب» (٨٠٨٦) والأصبهانى فى «الترغيب» (٢٤٠١) عن ابن عمرو. وفيه (محمد بن عبيد الله العرزمى) متروك.

(٢) صحيح* مسلم (٤/٢٥٦٦) ومالك فى «الموطأ» (٢/٩٥٢) وأحمد (٢/٢٣٧، ٢٣٨ وغيرهما).

(٣) ضعيف* الأصبهانى فى «ترغيبه» (١٨٥) وفيه (الألهانى) يضعف فى الحديث ووهاه البعض. ورواه ابن أبى الدنيا فى «الإخوان» (١٠١) عن مكحول مرسلاً.

(٤) غريب جداً* الأصبهانى فى «ترغيبه» (١٨٦). انظر الترغيب (٣/٢٩٣) للمنذرى.

(٥) سبق تخريجه برقم (٢٥٥، ٧٥٨).

لكتابه فأن تؤمن به، وتتلوه، وتعمل بما فيه، وتدعو الناس إليه. وأمّا النصيحة للأئمة: فأن لا تخرج عليهم بالسيف، وتدعو لهم بالعدل والإنصاف، وتدل الناس عليه. وأما النصيحة للعامة؛ فهو أن تحب لهم ما تحبّ لنفسك، وأن تصلحَ بينهم ولا تهجرهم، وتدعو لهم بالصلاح.

وقال على بن أبى طالب ـ كرّم الله وجهه ـ: إنّ من موجبات المغفرة إدخال السّرور على أخيك المسلم.

٨٣٣ ـ وروى معمر عن الزهرى، عن حُمَيْد، عن أمه أم كلثوم بنت عقبة، عن النبى ﷺ أنه قال: «**ليس بالكاذب مَن أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمى خيراً**»(١).

وأما الإصلاح بين الناس فشعبة من شعب النبوة، والصرم بين الناس شعبة من شعب السحر.

٨٣٤ ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**أفضلُ الناس عند الله تعالى يوم القيامة ثواباً أنفعهم للناس فى الدنيا، وإن المقرّبين عند الله يوم القيامة المصلحون بين الناس**»(٢).

***

باب مخالطة السّلطان

٨٣٥ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الحاكم أبو الحسن السردرى، حدثنا الحسين بن إسماعيل القاضى، حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا إبراهيم بن رستم، حدثنا أبو حفص الأزدى، عن إسماعيل بن سميع، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«العلماء أمناء الرسل ما لم يخالطوا السلطان، ولم يدخلوا فى الدنيا، فإذا خالطوا السلطان ودخلوا فى الدنيا فقد خانوا الرسل، فاعتزلوهم واحذروهم»(١).

٨٣٦ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم ابن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الليث، عن الحسن بن مسلم، عن عبيد بن عمير أن النبى ﷺ قال: «**ما ازداد رجلٌ من السلطان قُرباً إلا ازداد من الله بعداً، ولا كثر**

---

(١) **متفق عليه*** البخارى (/٢٦٩٢) ومسلم (٤/ ٢٦٠٥)

(٢) **لم أقف على إسناده*** لكن شواهد عن أنس وابن مسعود انظر: المجمع (٨/ ١٩١).

(٣) **ضعيف جداً*** انظر. الفوائد المجموعة (ص٢٨٨) والموضوعات (١/ ٢٦٣).

أتباعه إلا كثرت شياطينه، ولا كثر ماله إلا اشتدّ حسابه»[1].

وقال حذيفة ـ رضى الله تعالى عنه ـ: إياكم ومواقف الفتن. قيل: وما مواقف الفتن؟ قال: أبواب الأمراء.

وقيل لابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: إنّا ندخل على السلطان فنتكلّم بالكلام فإذا خرجنا تكلّمنا بخلافه. قال: كنا نعدّ هذا من النفاق.

وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه قال: إنّ الرجل ليدخل على ذى سلطان ومعه دينه، فيخرج وما معه دينه. قيل: وكيف ذلك؟ قال: يرضيه بما يسخط الله.

وقال بعض المتقدمين: إذا رأيت القارئ يختلف إلى الأغنياء، فاعلم أنه مراء، وإذا رأيت عالماً يختلف إلى الأمراء فاعلم أنه لص.

وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: ليس شىء أضرّ بهذه الأمة من ثلاث: حبّ الدّينار والدّرهم، وحبّ الرياسة، وإتيان باب السلطان، وقد جعل الله منهن مخرجاً.

وعن مكحول ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: من تعلّم القرآن وتفقّه فى الدين، ثم أتى باب السلطان تملّقاً إليه، وطمعاً بما فى يديه؛ خاض فى نار جهنم بعد خطاه.

وعن ميمون بن مهران قال: فى صحبة السلطان خطر؛ إن أطعته خاطرت بدينك، وإن عصيته خاطرت بنفسك، والسلامة أن لا يعرفك.

وعن الفضيل بن عياض ـ رحمه الله تعالى ـ قال: لو أنّ رجلاً لا يخالط هؤلاء، يعنى السلاطين، ولا يزيد على الفرائض، فهو أفضل من رجل يخالط السلطان، ويصوم النهار، ويقوم الليل، ويحج، ويجاهد.

ويقال: ما أقبح بعالم يقال أين هو؟ فيقال: عند الأمير.

٨٣٧ ـ وروى الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ عن النبى ﷺ أنه قال: **«لا تزال يدُ الله على هذه الأمة ما لم يعظّمْ أبرارهم فجارهم، وما لم يرفقْ خيارهم بشرارهم، وما لم يملْ قراؤهم إلى أمرائهم، فإذا فعلوا ذلك رفع الله عنهم البركة، وسلط عليهم جبابرتهم، وقذف فى قلوبهم الرعب، وأنزل عليهم الفاقة»**[2].

وعن عيسى ابن مريم ـ صلوات الله وسلامه عليهما ـ أنه قال: يا معشر العلماء، كما أن الملوك تركوا الحكمة عندكم، فاتركوا ملكهم عليهم.

---

(١) **ضعيف** ❊ هناد فى «الزهد» مرسلاً انظر: ضعيف الجامع (٤٩٩٥).

(٢) **ضعيف** ❊ لإرساله، والحسن مدلّس.

٨٣٨ ـ وعن شقيق بن سلمة أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ولّى بشر ابن عاصم الثقفى على صدقات هوازن، فتخلّف، فلقيه عمر رضى الله تعالى عنه فقال: ماخلّفك، أما ترى لنا عليك سمعاً وطاعة؟ قال: بلى، ولكنى سمعتُ رسول الله ﷺ قال: «**من ولىَ أحداً من الناس أُتى به يوم القيامة حتى يُوقف به على جسر جهنم، فإن كان محسناً نجا، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر، فيهوى فيها سبعين خريفاً**».

فخرج عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ حزيناً كئيباً، فلقيه أبو ذرّ ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقال له: ما لى أراك حزيناً كئيباً؟ قال: وما يمنعنى وقد سمعت بشر بن عاصم يقول كذا وكذا. قال أبو ذر: أما سمعت ذلك؟. قال عمر: لا. قال أبو ذر: أشهد أنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من وُلّى أحداً من الناس أُتى به يوم القيامة حتى يوقف به على جسر جهنم، فإن كان محسناً نجا، وإن كان مسيئاً انخرق به الجسر، فيهوى فيها سبعين خريفاً، وهى سوداء مظلمة»(١).

٨٣٩ ـ وروت عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى ﷺ أنه قال: «**يجاء بقاضى العدل يوم القيامة، فيلقى من شدة الحساب ما يودّ أن لم يكن قضى بين إثنين قطّ**»(٢).

٨٤٠ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**من جُعِل على القضاء، فكأنما ذُبح بغير سكين**»(٣).

وعن أبى حنيفة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه دخل على أبى جعفر الدوانيقى فقال: يا أبا حنيفة، أعنّا على أمرنا. فقال أبو حنيفة: أنا لا أصلح لهذا الأمر. فقال له: سبحان الله، أعنّا على أمرنا. فقال: يا أمير المؤمنين، إن كنتُ صادقاً فقد أخبرتك، وإن كنتُ كاذباً فلا يحل لك أن توليني هذا الأمر.

٨٤١ ـ وعن أبى موسى الأشعرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: خرجت إلى رسول الله ﷺ فصحبنى رجلان، فلما دخلنا على رسول الله ﷺ قالا: يا رسول الله، استعملنا على بعض أعمالك، فقال النبى ﷺ: «**إنّا لا نستعمل على عملنا من أراده وطلبه**»(٤).

٨٤٢ـ وعن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال لكعب بن عجرة: «**يا كعب أعيذك بالله من إمارة السفهاء، ثلاث مرات، أمراء يكونون من بعدى، فمن صدقهم على كذبهم،**

---

(١) **ضعيف جداً** ✽ قال الهيثمى فى «المجمع» (٥/ ٢٠٦): رواه الطبرانى، وفيه (سويد بن عبد العزيز) متروك.
(٢) **ضعيف** ✽ ابن حبان (١٥٦٣) والعقيلى فى «الضعفاء» (٧٣٣). انظر: الكبائر (٢٠٤ بتحقيقى).
(٣) **حسن**✽ أحمد (٢/ ٢٣٠، ٣٦٥) وأبو داود (٣٥٧٢) والترمذى (١٣٢٥) وابن ماجه (٢٣٠٨).
(٤) **متفق عليه** ✽ البخارى (١٣/ ٧١٤٩) ومسلم (٣/ ١٧٣٣).

وأعانهم على ظلمهم، فأولئك منى برآء، وأنا منهم برىء. يا كعب بن عجرة كل لحم نبت من السحت فالنار أولى به. يا كعب بن عجرة الصوم جُنة، والصدقة تطفىء الخطيئة، والصلاة قُربان. يا كعب بن عجرة، الناس غاديان، فمبتاع نفسه فمعتقها، وبائع نفسه فموبقها»[1].

٨٤٣ ـ قال: حدثنا أبى ـ رحمه الله ـ بإسناده، قال: حدثنا أبو عبد الله الطالقانى بسمرقند قال: حدثنا زبير بن بكار الزبيرى، حدثنا عيسى بن يونس، عن موسى بن عبد الصمد، عن زاذان قال: كنا مع عبد الله بن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ على سطح له، وله من رسوله الله ﷺ صحبة، فرأى الناس يتحملون وينتقلون، فقال: ما بالهم؟ قيل: يفرون من الطاعون. فقال: يا طاعون خذنى، يا طاعون خذنى. فقيل له: لِمَ تدعو بالموت وأنت صاحب رسول الله، وقد سمعته ينهى عنه؟ فقال: أسأل الله الموتَ لخصال ست، رأيت رسول الله ﷺ يتخوفهن على أمته، قلنا: ما هن؟ قال:

«إمارة الصبيان، وكثرة الشّرط، والرشوة فى الحكم، وقطيعة الرحم، واستخفاف بالدم، ونَشْو يتخذون هذا القرآن مزامير، يقدّمون الرجل وما هو بأفضلهم ولا بأفقههم إلا ليغنيهم بالقرآن غناء»[2].

وعن الحسن البصرى ـ رحمه الله ـ أنه مرّ على باب ابن هُبَيْرة فرأى قوماً من القراء قال: ما ظنكم يا هؤلاء القراء؟ ليس هذا من مجالس الأتقياء.

٨٤٤ ـ وعن النبى ﷺ قال: **«إياكم وجيران الأغنياء، وعلماء الأمراء، وقراء الأسواق»**[3].

وعن الضحاك بن مزاحم قال: إنى لأتقلّب الليلة كلّها على فراش ألتمس كلمة أُرضى بها سلطانى، ولا أسخط بها خالقى، فلا أقدر عليها.

وذكر أن عيسى بن موسى لقى ابن شبرمة، فقال له: ما لك لا تأتينا؟ فقال: وما أصنع بإتيانك؟ إن قربتنى فتنتنى، وإن أبعدتنى آذيتنى، وما عندى ما أخافك، وما عندك ما أرجوك.

قال ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: اجتنبوا أبواب الملوك فإنكم لا تصيبون من دنياهم شيئاً إلا أصابوا من آخرتكم ما هو أفضل منه.

---

(١) **صحيح*** الترمذى (٦١٤، ٦١٥) عن كعب. ورواه أحمد (٣/ ٣٢١، ٣٩٩) والحاكم (٤/ ٤٢٢) عن جابر.
(٢) **صحيح بشواهده*** أحمد (٣/ ٤٩٤) وغيره، انظر. الصحيحة (٩٧٩).
(٣) لم آقف على إسناده

وقال بعض المتقدمين: دخولك على الملوك يدعوك إلى ثلاث: إيثارك رضاهم، وتعظيمك دنياهم، وتزكيتك عملهم الخبيث، فإن فعلت بهؤلاء فقد هلكت، لاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

***

باب فضل المرض وعيادة المريض

٨٤٥ ـ قال الفقيه ـ أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو الحسن القاسم بن محمد بن روزبه، حدثنا عيسى بن خشنام، حدثنا سويد بن مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين، فقال: انظروا ماذا يقول عبدى لعوّاده، فإن هو إذا جاؤوه حمد الله رَفَعَا ذلك إلى الله عز وجل، وهو أعلم. فيقول الله: قولا لعبدى إن أنا توفيته أدخله الجنة، وإن شفيته بدّلت له لحماً خيراً من لحمه، ودماً خيراً من دمه، وأكفّر عن سيئاته»[(١)].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن عمارة بن عمير، عن سعيد بن وهب قال: دخلت مع سلمان الفارسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ على صديق له، فقال سلمان: إن الله تعالى يبتلى عبده المؤمن بالبلاء، ثم يعافيه، فيكون كفارة لما مضى ومستعتباً لما بقى. وإن الله ليبتلى عبده الفاجر بالبلاء، ثم يعافيه فيكون كالبعير الذى عقله أهله ثم أطلقوه، لا يدرى فيم عقلوه ولا فيم أطلقوه.

٨٤٦ـ وبهذا الإسناد عن الأعمش، عن إبراهيم التيمى، عن الحرث بن سويد، عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنهم قال: دخلت على النبى ﷺوهو يوعك وعكاً شديداً، فمسستُه، فقلت: إنك لتوعك وعكاً شديداً؟ فقال: **«أجل إنى أوعك كما يوعك رجلان منكم»** فقلت: إنّ لك أجرين. قال: **«نعم، والذى نفسى بيده ما على الأرض مسلم يصيبه مرضٌ فما سواه إلا حطّ الله عنه خطاياه كما تحطّ الشجرة ورقها»**[(٢)].

٨٤٧ ـ قال: حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أحمد بن الفضل القاضى،

---

(١) **صحيح لغيره*** مالك فى «الموطأ» (٢/ ٩٤٠) وعنه البيهقى فى «الشعب» (٩٩٤١) مرسلاً، ووصله ابن عبدالبر فى «التمهيد» (٥/ ٤٧) وفيه ضعف. وله شواهد فى «الصحيحة» (٢٧٢).

(٢) **متفق عليه*** البخارى (١/ ٥٦٤٧) ومسلم (٤/ ٢٥٧١).

حدثنا جعفر بن محمد بن مصعب، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا أبو بلال الأشعرى، عن سليمان النهدى، عن أبى عثمان النهدى، عن سلمان الفارسى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ:

«**إذا جاءت الحمى للنفس المؤمنة، فتناديها الروح من جوف النفس، فتقول: أيتها الحمى ما تريدين من هذه النفس المؤمنة؟ فتجيبها الحمى فتقول: أيتها الروحُ الطيبة، إنّ نفسك هذه كانت طاهرة، فقذرتها الذنوب والخطايا، فأنا أطهرها، فتجيبها الروحُ: أدنى إذا ثلاث مرات فطهّريها**»[(١)].

وعن جعفر بن برقان، عن شيخ بن أشجع، عن رجل من المهاجرين أنه عاد مريضاً فقال: بلغنى أن للمريض فى مرضه أربع خصال: يرفع عنه القلم، ويجرى له من الأجر مثل الذى كان يعمل وهو صحيح، ويتبع كل خطيئة فى مفاصله فيستخرجها، فإن مات مات مغفوراً له، وإن عاش عاش مغفوراً له.

وعن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: إذا ابتلى الله العبد المؤمن بالسقم قال لصاحب الشمال: ارفع القلم عنه، وقال لصاحب اليمين: اكتب لعبدى أحسن ما كان يعمل وهو صحيح.

٨٤٨ ـ وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال: إن الحمى جاءت إلى رسول الله ﷺ تشبه امرأة سوداء، فقال لها: «**من أنت؟**» قالت: أنا أم ملدم. قال: «**وما تصنعين يا أم ملدم؟**» قالت: آكل اللحم، وأنشف الدم، وحَرّى من فيح جهنم، فعرف أنها الحمى. فقالت: يارسول الله، ابعثنى إلى أحب أهلك إليك. قال: فبعثها إلى الأنصار، فأخذتهم سبعة أيام، فبعثوا صريخهم إلى رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ فرفعها الله عنهم، فكان رسول الله ﷺ إذا رآهم قال: «**مرحباً بقوم طهرهم الله تطهيراً**»[(٢)].

٨٤٩ ـ وعن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**لا تُكْرِهُوا مرضاكم على الطعام والشراب، فإن الله تعالى يطعمهم ويسقيهم**»[(٣)].

---

(١) فيه ضعف* فى سنده (أبو بلال الأشعرى وسليمان النهرى) ضعفهما الدارقطنى. (الميزان ٢/ ٢٠٧، ٤/ ٥٠٧).

(٢) البيهقى فى «الشعب» (٩٩٦٩ عن أبى هريرة) وفى الباب عن جابر وسلمان.

(٣) **يحتمل التحسين*** العقيلى فى «الضعفاء» (٢٥٧) والدارقطنى فى «غرائب مالك» وله شواهد. انظر: الصحيحة (٧٢٧). والعلل المتناهية (١٤٥١ ـ ١٤٥٣)

٨٥٠ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**أنين المريض تسبيح، وصياحه تهليل، ونَفَسُه صدقة، ونومه عبادة، وتقلّبه من جانب إلى جانب جهاد فى سبيل الله، ويكتب له أحسن ما كان يعمل فى الصّحّة**»(١).

٨٥١ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**أربع يستأنفون العمل: المريض إذا برئ، والمشرك إذا أسلم، والمنصرف من الجمعة إيماناً واحتساباً، والحاج من كسب حلال**»(٢).

٨٥٢ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**ثلاثة من كنوز البرّ: كتمان المرض، وكتمان الصدقة، وكتمان المصيبة**»(٣).

٨٥٣ ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه دخل على سلمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ وهو مريض، فقال: «**إنّ لك فى مضجعك ثلاث خصال؛ أولها: تذكرة من ربك، والثانى: تمحيص وكفّارة لما سلف من ذنوبك، والثالث: أن دعاء المبتلى مستجاب فادْعُ الله ما استطعت**»(٤).

وعن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إنّ السّقيمَ لا يُكتب له أجر، إنما الأجرُ فى العمل، ولكن يكفّر به الخطايا.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: لا يكتب له بالمرض ولكنه يكتب له مثل عمله الذى كان يعمل إذا كان محسناً وعجز عن العمل، ويعلم الله تعالى أنه لو كان صحيحاً لكان يعمل مثل ما كان يعمله، فإنه يكتب له ثواب تلك الأعمال. ويكون المرض كفارة لذنوبه، يعنى إذا تاب من ذنوبه. وأما إذا لم يتب، وفى نيته أنه إذا برئ من مرضه، يعود إلى مثل أعماله الخبيثة، فإنه لا يكفر عنه.

٨٥٤ ـ وعن الحسن البصرى أن النبى ﷺ قال: «**الحمّى حظّ كلّ مؤمن من النار**»(٥).

---

(١) **باطل*** الخطيب فى «تاريخة» (١٩١/٢) من حديث أبى هريرة، وعنه ابن الجوزى فى «الواهية» (١٤٤٩). فيه (البلخى) مجهول. قال الذهبى فى الميزان (٥٤٧/١). لايعرف والخبر باطل .

(٢) رواه الديلمى فى «الفردوس» (١٥٠٧) من حديث على بن أبى طالب.

(٣) **ضعيف جداً*** الطرانى فى «الكبير» وعنه أبو نعيم فى «الحلية» (١١٧/٧) وابن الجوزى فى «الموضوعات» (١٩٩/٣) عن أنس. فيه (الجارود بن يزيد) كذبه أبو أسامة وقال النسائى (١٠) وغيره: متروك. وله شواهد عن ابن مسعود وابن عمر مخرجة فى «الضعيفة» (٦٩١ ـ ٦٩٣).

(٤) **فيه ضعف*** ابن أبى الدنيا فى «المرض والكفارات» وابن عساكر. فيه (سهل بن عامر البجلى) مدلس.

(٥) **صحيح بشواهده*** البزار (٧٦٥) عن عائشة. فيه مجهول ودلّسه هشيم، وله شواهد عن أبى أمامة وغيره انظر: الصحيحة (١٨٢١، ١٨٢٢).

٨٥٥ـ وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ قال: «قال ربكم: وعزّتى وجلالى لا أخرجُ عبداً من الدنيا، وأنا أريدُ أن أرحمه حتى أنقيه من كل خطيئة عملها بسقم فى جسده، أو ضيق فى معيشته، فإن بقى عليه منها شيء شددت عليه الموت حتى يجيء إلىّ كما ولدته أمه. ولا أخرج عبداً من الدنيا وأنا أريد أن أعذبه حتى أوفيه كل حسنة عملها بصحة فى جسده، أو سعة فى رزقه، فإن بقى منها شيء هوّنت عليه الموت، حتى يجيء إلىّ وليست له حسنة»(٢).

وعن عاصم الأحول، عن أبى العالية، قال: كنا نتحدث منذ خمسين سنة أن الرجل إذا مرض مرضاً يشرف منه على نفسه، كأنّه خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. ويقول الله تعالى: اكتبوا لعبدى ما كان يعملُ فى صحته، حتى أقبضه أو أخلى سبيله.

٨٥٦ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «من عاد مريضاً لم يزلْ يخوضُ فى الرحمة، فإذا جلس عنده أنغمس فيها»(٣).

٨٥٧ ـ وعن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «من عاد مريضاً فكأنما صام يوماً فى سبيل الله تعالى، اليوم بسبعمائة يوم، ومن تبع جنازة فكأنما صام يوماً فى سبيل الله، اليوم بسبعمائة يوم».

ورُوى أنّ رجلاً جاء إلى أم الدرداء ـ رضى الله تعالى عنها ـ، فشكا إليها القساوة من قلبه، قالت: هى أعظم الداء، ولكن عُدِ المريض، وشيِّعِ الجنازة، واطّلع فى القبور. ففعل فكأنه رأى من نفسه ما يسره، فرجع إليها فقال: جزاك الله خيراً.

❊ ❊ ❊

باب فضل صلاة التّطوّع

٨٥٨ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا المسيب بن شريك، عن عمر بن عبيد، عن الحسن البصرى ـ رحمة الله عليهم ـ أن رسول الله ﷺ قال: «للمصلّى ثلاث خصال: تحفّ به الملائكة من قدمه إلى عنان السماء، ويسقط عليه البرّ من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وملك ينادى: لو يعلم هذا المصلّى مَن يناجى

---

(١) عزاه المنذرى فى «الترغيب» (٤/١٥٣) إلى رزين مختصراً عن أنس، وقال: لم أره.

(٢) صحيح بطرقه: أحمد (٣/٣٠٤) والبخارى فى «الأدب المفرد» (٥٢٢) وصححه ابن حبان (٧١١) والحاكم (١/٣٥٠) ولم يتعقبه الذهبى، وانظر: الصحيحة (٤/٥٦٢)

ما انفتل»[1].

٨٥٩ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا إسماعيل بن أبى فديك، عن محمد بن أبى حميد، عن عبد الرحمن بن سالم، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنهم ـ عن النبى ﷺ أنه بعث سرية فعجلت الكرة، وأعظمت الغنيمة.

فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا سرية قط أعجل الرجوع كرة، ولا أعظم غنيمة من سريتك هذه. قال: «**أفلا أخبركم بأعجل كرة وأعظم غنيمة من سريتى هذه؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**أقوام يصلون الصبح، ثم يجلسون فى مجالسهم يذكرون الله تعالى؛ حتى تطلع الشمس، ثم يصلون ركعتين، ثم يرجعون إلى أهاليهم، فهؤلاء أعجل كرة، وأعظم غنيمة**»[2].

٨٦٠ ـ قال: حدثنا عبد الرحمن، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا يزيد بن هارون، عن هشام بن حسان، عن واصل، عن يحيى بن عقيل، عن يحيى بن يعمر، عن أبى ذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال:

«**يصبح على كلّ سُلاَمى من بنى آدم كل يوم صدقة**» ثم قال: «**أمرك بالمعروف صدقة، ونهيك عن المنكر صدقة، وذكرك الله تعالى صدقة، ومباضعتك أهلك صدقة**». قلنا: يا رسول الله أيقضى الرجل شهوته ويكون له صدقة؟ قال: «**أرأيت لو فعل ذلك فيما حرم الله عليه أليس كان عليه إثماً؟**» قالوا: بلى. قال: «**فإذا فعلها فيما أحل الله كانت له صدقة**». قال: «**ويجزئ عن ذلك كله ركعتا الضحى**»[3].

٨٦١ ـ قال: حدثنا الفقيه أبو جعفر رحمه الله تعالى قال: حدثنا على بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضيل، حدثنا زيد بن الحُبَاب، عن موسى بن عُبيدة، عن سعيد ابن أبى سعيد، عن أبى رافع، قال: قال رسول الله ﷺ للعباس رضى الله تعالى عنه:

«**يا عم، ألا أصلك، ألا أحبوك، ألا أنفعك؟**» قال: بلى فداك أبى وأمى. قال: «قم فصل أربع ركعات تقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة، فإذا انقضت القراءة قل سبحان الله، والحمد لله، ولا إلا الله، والله أكبر، خمس عشرة مرة، ثم اركع فقلها عشراً، ثم ارفع رأسك فقلها عشراً، ثم اسجد فقلها عشراً، ثم ارفع رأسك

---

(١) **ضعيف جداً*** أرسله الحسن، ويخشى تدليسه، وفيه (المسيب بن شريك) متروك الحديث.

(٢) **ضعيف*** الترمذى (٣٥٦١). فيه (محمد بن أبى حميد) ضعيف فى الحديث.

(٣) **صحيح** * مسلم (٧٢٠). و(متفق عليه) عن أبى هريرة. البخارى (٢٧٠٧ وأطرافه) ومسلم (٢/١٠٠٩).

فقلها عشراً، ثم اسجد فقلها عشراً، ثم ارفع رأسك فقلها عشراً قبل أن تقوم، فذلك خمس وسبعون فى كل ركعة وهى ثلاثمائة فى أربع ركعات، فلو كانت ذنوبك مثل «**رمل عالج، غفرها الله لك**». قال: ومن لم يستطع أن يفعلها فى كل يوم؟ قال: «**يفعلها فى كل شهر**» قال: فإن لم يستطع قال: «**يفعلها فى كلّ سنة**»(١).

وعن كعب الأحبار ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: لو أنّ أحدَكم رأى ثواب ركعتين من التَّطوّع، لرأى ذلك أعظم من الجبال الرواسى، فأما المكتوبة فهى أعظم من أن يقال فيها.

٨٦٢ ـ وعن زيد بن خالد الجهنى، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**صلّوا فى بيوتكم ولا تتّخذوها قبوراً**»(٢).

٨٦٣ ـ وعن ضمرة بن حبيب، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قال: «**تطوّع الرجل فى بيته يزيد على تطوعه عند الناس، كفضل صلاة الجماعة على صلاته وحده**»(٣).

٨٦٤ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**صلاة الرجل فى بيته تطوعاً نور؛ فنّوروا بيوتكم**»(٤).

٨٦٥ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**مَن صلى بين المغرب والعشاء عشرين ركعة، حفظ الله له أهله وماله ودينه ودنياه وآخرته، ومن صلى الغداة فقعد فى مصلاه حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين، جَعَلَ الله له حجاباً من النار يوم القيامة**»(٥).

٨٦٦ ـ وروى زيد بن أسلم، عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنها ـ قال: قلت لأبى ذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ: أوصنى يا عم. قال: سألت رسول الله ﷺ كما سألتنى، فقال: «**من صلّى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين، ومن صلاها أربعاً كتب من العابدين، ومن صلاها ستاً لم يتبعه يومئذ ذنب، ومن صلاها ثمانياً كتب من القانتين، ومن صلاّها عشراً بنى له بيت فى الجنة**»(٦).

---

(١) صحيح بشواهده * الترمذى (٤٨٢) وابن ماجه (١٣٨٦). وقد بسط الشيخ شاكر القول فى صحته فأجاد.
(٢) صحيح* أحمد (١٩٢/٥) عن زيد. ورواه مسلم (٧٧٧) وأحمد (٦/٢، ١٢٢) وغيرهما عن ابن عمر.
(٣) صحيح لغيره* ابن أبى شيبة (٢٥٦/٢) عن رجل. انظر: صحيح الجامع (٢٩٥٣)
(٤) ضعيف* أحمد (١٤/١) وابن ماجة (١٣٧٥). فى الأول. رجل لم يسم. وفى الثانى: مجهول.
(٥) موضوع* ابن ماجه (١٣٧٣). وانظر: «تنزيه الشريعة» (١٢٢/٢) والضعيفة (٤٦٧).
(٦) منكر* البزار(٦٩٤) وابن حبان فى «المجروحين» (٢٤٣/١) وقال: لايصح.

٨٦٧ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ للجنة باباً يقال له باب الضحى، فإذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين الذين كانوا يديمون على صلاة الضحى؟ هذا بابكم فادخلوه**»(١).

وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا كان الرجل فى صلاته فإنما يقرع باب الملك، ومن يدم على قرع باب الملك يوشك أن يفتح له.

ويقال: فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السرّ على صدقة العلانية.

٨٦٨ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما من بقعة يُصلّى فيها صلاةٌ أو ذكر الله عليها، إلا استبشرت بذلك إلى منتهاها إلى سبع أرضين، وفخرت على ما حولها من البقاع. وما من عبد يقوم بفلاة من الأرض يريد الصلاة إلا تزخرفت له الأرض**»(٢).

٨٦٩ ـ وعن خالد بن معدان ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: «بلغنى أن ربك يباهى الملائكة بثلاثة نفر: رجل يكون بأرض قفر فيؤذن، ويقيم الصلاة، ثم يصلى وحده، فيقول الله تعالى: انظروا إلى عبدى، يصلى وحده لا يراه أحد غيرى، لينزل سبعون ألف ملك، وليصلّوا وراءه. ورجل قام بالليل فيصلى وحده، فيسجد فينام وهو ساجد، فيقول انظروا إلى عبدى روحه عندى وجسده ساجد إلىّ، ورجل فى زحف غزو، فثبت حتى قتل»(٣).

٨٧٠ ـ وعن المعافى بن عمران ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: عزّ المؤمن استغناؤه عن الناس، وشرفه قيامه بالليل(٤).

***

---

(١) **ضعيف جدا*** الطبرانى فى «الأوسط» (١/ ٥٩/ ١) وغيره. انظر الضعيفة (٣٩٢).

(٢) **ضعيف*** أبو يعلى (٤١١٠) وأبو الشيخ فى «العظمة» (١١٨٧). وفيه (خالد بن يوسف وموسى بن عبيدة ويزيد الرقاشى) من الضعفاء. وفيه أيضاً (مروان بن معاوية) كان يدلس تدليس الشيوخ.

(٣) **صحيح لغيره*** أبو داود (١٢٠٣) والنسائى (٢/ ٢٠) عن عقبة بن عامر بنحوه.

(٤) **حسن بشواهده*** القضاعى فى «الشهاب» (١٥١، ٧٤٦) والحاكم (٤/ ٣٢٤) وغيرهما. انظر. الصحيحة (٨٣١، ١٩٠٣) وتنزيه الشريعه (٢/ ١٠٥).

باب إتمام الصلاة والخشوع فيها

قال الفقيه أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا وكيع، عن سفيان، عن أبى نضرة، عن سالم بن الجعد، عن سلمان الفارسي ـ رضى الله تعالى عنهم ـ أنه قال: الصّلاة مكيال، فمن وفى وفى له، ومن طفّف فقد علمتم ما قاله الله تعالى فى المطففين(١).

وعن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه رأى رجلاً يصلّى ولا يتم ركوعها ولا سجودها، فقال: لومت على هذا لمت على غير الفطرة.

٨٧١ ـ وعن الحسن البصرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**ألا أخبركم بأسوأ الناس سرقة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**الذى يسرق من صلاته**»، قيل: وكيف يسرق من صلاته؟ قال: «**لا يتم ركوعها ولا سجودها**»(٢).

وعن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: من لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر، لم يزدد بها من الله إلا بعداً، وقرأ هذه الآية: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وعن الحكم بن عُتيبة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: مَن تأمّل فى صلاته من عن يمينه وعن شماله فلا صلاةَ له.

وعن مسلم بن يسار ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه كان يقول لأهله: إنى إذا كنت فى الصلاة فحدّثوا، فإنى لست أسمع حديثكم.

وذكر عن يعقوب القارئ أنه كان فى الصلاة، فجاء طرار فاختلس رداءه، فذهب به إلى أصحابه، فعرفوا رداءه. فقيل له: ردّه إلى الرجل الصالح، فإنا نخاف دعاءه فجاءه فوضعه على كتفه واعتذر إليه من صنيعه، فلما فرغ من صلاته أخبر بذلك فقال: إنى لم أشعر من رفعه ولا من وضعه.

وذكر عن رابعة العدوية رحمها الله أنها كانت فى الصلاة، فسجدت على البوارى، فدخلت قطعة من قصب فى عينها، فلم تشعر بها حتى انصرفت من الصلاة.

وروى عن الحسن بن على ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه كان إذا أراد أن يتوضأ

---

(١) به **إنقطاع*** بين سالم بن الجعد وسلمان. وانظر الكبائر (٦٦ ـ بتحقيقى)

(٢) **صحيح*** أحمد (٥/ ٣١٠) وابن خزيمة (١/ ٣٣٢) والحاكم (١/ ٢٢٩) عن أبى قتادة مرفوعاً. (الكبائر ٦٠).

تغير لونه، فسئل عن ذلك، فقال: إنى أريد القيام بين يدى الملك الجبار. وكان إذا أتى باب المسجد، رفع رأسه ويقول: إلهى عبدك ببابك، يا محسن قد أتاك المسيء، وقد أمرتَ المحسن منا أن يتجاوز عن المسيء، فأنت المحسن وأنا المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندى بجميل ما عندك يا كريم. ثم دخل المسجد.

٨٧٢ - وعن النبى ﷺ أنه رأى رجلاً فى الصلاة وهو يعبث بلحيته فقال: «**لو خشع قلبُه لخشعت جوارحُه**»(١).

وعن على بن أبى طالب - كرم الله وجهه - أنه كان إذا حضر وقت الصلاة ارتعدت فرائصه، وتغيّر لونه، فَسُئِل عن ذلك، فقال: جاء وقت الأمانة التى عرضها الله على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها، وحملها الإنسان، فلا أدرى أأحسن أداء ما حملت أم لا.

وروى هذا أيضاً عن زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب - رضى الله عنهم -.

وعن سعيد بن جبير - رضى الله تعالى عنه - قال: كنا عند ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - فى المسجد بالطائف أنا وعكرمة، وميمون بن مهران، وأبو العالية وغيرهم - رضوان الله عليهم أجمعين - إذ صعد المؤذن فقال: الله أكبر الله أكبر، فبكى ابن عباس - رضى الله تعالى عنهما - حتى بَلَّ رداءَه، وانتفخَتْ أوداجه، واحمرت عيناه. فقال أبو العالية. يا بن عم رسول الله، ما هذا البكاء وما هذا الجزع؟ فإنا نسمع الأذان، ولا نبكى، فبكينا لبكائك. قال ابن عباس - رضى الله عنهما -: لو يعلم الناس ما يقول المؤذن ما أستراحوا، ولا ناموا، فقيل له: أخبرنا ما يقول المؤذن. قال: إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر. يقول: يا مشاغيل تفرغوا الآن، وأريحوا الأبدان، وتقدموا إلى خير عملكم.

وإذا قال المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله، يقول: يشهدوا جميع من فى السماوات ومن فى الأرض من الخلائق يشهدوا لى عند الله يوم القيامة أنى قد دعوتكم.

وإذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله. يقول: يشهد لى يوم القيامة الأنبياء كلهم، ومحمد صلى الله عليهم أجمعين أنى أخبركم فى كل يوم خمس مرات.

وإذا قال حى على الصلاة. يقول: إن الله تعالى قد أقام لكم هذا الدين فأقيموه.

(١) موضوع* ابن المبارك فى «الزهد» (١١٨٨) مقطوعاً وفيه جهالة، ورواه ابن أبى شيبة فى «المصنف» (٢/ ٢٨٩) والحكيم فى «النوادر» (ص٣١٧) عن أبى هريرة مرفوعاً، وفيه (سليمان بن عمرو) انظر: الإرواء (٣٧٣) والضعيفة (١١٠). وتكميل النفع (٢١)

وإذا قال حى على الفلاح .

يقول: خوضوا فى الرحمة وخذوا سهمكم من الهدى.

وإذا قال الله أكبر الله أكبر. يقول: حَرُمَت الأعمال قبل الصلاة.

وإذا قال: لا إله إلا الله يقول: أمانة سبع سماوات وسبع أرضين وضعت فى أعناقكم، فإن شئتم فتقدّموا، وإن شئتم فأدبروا.

٨٧٣ ـ وعن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ الرّجلين ليقومان فى الصّلاة، وركوعهما وسجودهما واحد، وإن ما بين صلاتهما كما بين السماء والأرض**»(١).

ويقال: إنما سُمِّى المحراب محراباً لأنه موضع الحرب، يعنى يحارب الشيطان حتى لا يشغل قلبه.

وذكر أنّ حاتماً الزاهد ـ رحمه الله تعالى ـ دخل على عصام بن يوسف، فقال له عصام: يا حاتم، هل تحسن أن تصلى؟فقال: نعم. فقال: كيف تصلى؟ قال: إذا تقارب وقت الصلاة أسبغت الوضوء، ثم أستوى فى الموضع الذى أصلى فيه حتى يستقر كل عضو منى، وأرى الكعبة بين حاجبى، والمقام بحيال صدرى، والله تعالى فوقى يعلم ما فى قلبى، وكأن قدمى على الصراط، والجنة عن يمينى والنار عن يسارى، وملك الموت من خلفى، وأظن أنها آخر صلاتى، ثم أكبر تكبيرة بإخبات، وأقرأ قراءة بالتفكر، وأركع ركوعاً بالتواضع، وأسجد سجوداً بالتضرع، ثم أجلس على التمام، وأتشهد على الرجاء والخوف، وأُسَلِّم على السنة، ثم أسلمها بإخلاص، وأقوم بين الرجاء والخوف، ثم أتعاهد على الصبر. قال عصام: يا حاتم هكذا صلاتك؟ قال: هكذا صلاتى. قال: منذ كم صلاتك على هذا الوصف؟ قال: منذ ثلاثين سنة. فبكى عصام، وقال: ما صليت صلاة من صلاتى مثل هذا قطّ.

وذُكِر أنّ حاتماً فاتته الجماعة مرة، فعزّاه بعض أصحابه فبكى، وقال: لو مات لى ابن واحد لعزانى نصف أهل بلخ، والآن قد فاتتنى جماعة، فما عزانى إلا بعض أصحابى، وإنه لو مات لى الأبناء جميعاً لكان أهون على من فوات هذه الجماعة.

وقال بعض الحكماء: الصلاة بمنزلة الضيافة، قد هيأ الله تعالى للموحدين فى كل يوم خمس مرات، كما أن الضيافة اجتمع فيها الألوان من الطعام، ولكل طعام لذة ولون، فكذلك الصلاة فيها أفعال وأذكار مختلفة، لكل فعل ثواب وتكفير للذنوب.

ويقال: المصلون كثير، ومقيمو الصلاة قليل، والله تعالى وصف المؤمنين بإقام

---

(١) موضوع* داود بن المحبر فى «العقل» من حديث أبى أيوب الأنصارى. (الإحياء ـ ١/ ١٤٨).

الصلاة فقال: ﴿وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةَ﴾ [الحج: ٣٥] ووصف المنافقين وسماهم مصلين، فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الذين هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥] وقال فى المؤمنين ﴿يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٣] وإقامتها إدامتها، ومحافظتها لوقتها، وتمام ركوعها وسجودها.

وقال بعض الحكماء: الناس فى حضور الصلاة صنفان: خاص، وعام. فأما الخاص: فيأتى بالصلاة مع الحرمة، ويقوم باليقين والهيبة، ويؤديها بالتعظيم ويرجع مع الخوف. وأما العام، فيجىء مع الغفل، ويقوم بالجهل، ويؤديها مع الوسوسة ويرجع مع الأمن.

وقال بعض الحكماء: بالفارسية: (كناه كترا كنده توبة يا ذكلدوايد ست حابغان وبماز حوق جوق أزين كونه نمازان سرين ذبرذجو كاجوك). يعنى إذا توضأ مع الوسوسة بغير تعظيم، ويصلى مع الوسوسة، ويتفكر فى أشغال الدنيا لا يتقبل منه.

وقال بعض الحكماء: أربعة أشياء قد انغمست فى أربعة مواضع، وأطلعت رأسها فى أربعة أماكن:

أولها: رضا الله تعالى قد انغمس فى الطاعات، وأطلع رأسه فى بيت الأسخياء.

والثانى: سخط الله تعالى قد أنغمس فى الخطايا، وأطلع رأسه فى بيت البخلاء.

والثالث: طيب العيش وسعة الرزق اختفى فى المثوبات، فأطلع رأسه فى بيوت المصلين.

والرابع: ضيق المعيشة انغمس فى العقوبات فأطلع رأسه فى بيوت المتهاونين بالصلاة.

وقال بعض الحكماء: إذا اشتغل الناس بستة أشياء فاشتغلوا أنتم بستة أخرى:

أولها: إذا اشتغل الناس بكثرة الأعمال فاشتغلوا أنتم بحسن الأعمال.

والثانى: إذا اشتغل الناس بالفضائل فاشتغلوا أنتم بإتمام الفرائض.

والثالث: إذا اشتغل الناس بصلاح العلانية فاشتغلوا أنتم بإصلاح السر.

والرابع: إذا اشتغل الناس بطلب عيوب الناس فاشتغلوا أنتم بعيوب أنفسكم.

والخامس: إذا اشتغل الناس بعمارة الدنيا فاشتغلوا أنتم بعمارة الآخرة.

والسادس: إذا اشتغل الناس بطلب رضا المخلوقين فاشتغلوا أنتم بطلب رضا الله تعالى.

***

باب الدّعوات والتّسبيحات

٨٧٤ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن الحجاج، عن إبراهيم بن عبد الرحمن، عن عبد الله بن أبى أوفى ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: أتى النبى ﷺ رجل من الأعراب، فقال: يا نبى الله، علمنى ما يجزينى من القرآن، فإنى لا أحفظ شيئاً من القرآن. فقال النبى ﷺ: «**قل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم**». فعدّها فى يده خمساً، فمضى هنيهة، ثم رجع فقال: يا رسول الله، هؤلاء لربى فما لى؟ قال: «**قل: اللهم اغفر لى، وارحمنى، واهدنى، وارزقنى، وعافنى**» فعدها بيده الأخرى خمساً، ثم أنطلق. فقال النبى ﷺ: «**لقد ملأ الأعرابى يديه من الخير إن هو وفّى بما قال**»[1].

قال الفقيه: معنى قوله علمنى ما يجزينى من القرآن، يعنى إذا علم من القرآن ما يقرأ فى الصلاة فلابد له من ذلك، فإن لم يعلم أكثر من ذلك واستعمل هذه الكلمات يرجى له أن ينال فضل من يقرأ القرآن.

٨٧٥ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبو الحسين القاسم بن محمد بن روزبه، حدثنا عيسى بن خشنام، حدثنا سويد، عن مالك، عن يزيد بن حفصة، عن عمرو بن عبد الله بن كعب، عن نافع، عن ابن جبير، عن عثمان بن أبى العاص، قال: أتانى رسول الله ﷺ وبى وجع كاد أن يهلكنى، فقال النبى ـ ﷺ ـ: «**امسحه بيمينك سبع مرات، وقل أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**». قال: ففعلت ذلك، فأذهب الله ما كان بى[2].

قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا ابن جعفر حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا هشام، عن ابن جريج، عن عطاء ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: من صلى اثنتى عشرة ركعة لا يتكلم فيها، ثم قرأ فى آخرها سبع مرات بفاتحة الكتاب وآية الكرسى سبع مرات، وقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد،

---

(١) **حسن*** أحمد (٤/ ٣٥٣، ٣٥٦، ٣٨٢) وأبو داود (٨٣٢) والنسائى (٢/ ١٤٣).

(٢) **صحيح*** مالك (٢/ ٩٤٢) وأبو داود (٣٨٩١) والترمذى (٢٠٨٠) وابن ماجه (٣٥٢٢).

وهو على كل شىء قدير عشر مرات، ثم سجد فقال: اللهم إنى أسألك بمعاقد العز من عرشك، ومنتهى الرحمة من كتابك، وباسمك الأعظم، وجدّك الأعلى، وكلماتك التامات، ثم دعا استجيب له.

٨٧٦ ـ وعن ميمونة بنت سعد، وكانت خادمة لرسول الله ﷺ، قالت: مرّ النبى ﷺ ـ بسلمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ وهو يدعو فى دبر الصلاة. فقال: «**يا سلمان ألك حاجة إلى ربك؟**» قال: نعم يا رسول الله. قال: «**فقدِّمْ بين يدى دعائك ثناءً على ربك، وصِفْه كما وصف نفسه، وسبّحه تسبيحاً وتحميداً وتهليلاً**». فقال سلمان: وكيف أقدمَ ثناء يا رسول الله؟ قال: «**تقرأ فاتحة الكتاب ثلاثاً فإنها ثناء الله تعالى**». قال: فكيف أصفه؟ قال: «**تقرأ سورة الصمد ثلاثاً فإنها صفة الله وصف بها نفسه**». قال: فكيف أسبح؟ قال: «**قل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ثم تسأل حاجتك**»(١).

٨٧٦/م ـ وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: من قال أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم، وأتوب إليه ثلاث مرات دبر صلاته غفر الله له ما أتى من سيئة، وإن كان مثل زبد البحر(٢) قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: إذا كان الاستغفار مع ندامة القلب.

وعن الحسن بن على ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: أنا ضامن لمن قرأ عشرين آية من شرّ كلّ شيطان مارد، وسلطان ظالم، ولص عاد، وسبعٍ ضارٍ ألا يضرّوه، وهى آية الكرسى وثلاث آيات من سورة الأعراف [٥٤ ـ ٥٦] ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ الله الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ**﴾ إلى قوله: ﴿**قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ وعشر آيات من أولَ سورة الصافات إلى قوله ﴿**شِهَابٌ ثَاقِبٌ**﴾ [الصافات: ١٠] وثلاث آيات من سورة الرحمن ﴿**يَا مَعْشَرَ الجِنِ والإِنْسِ**﴾ إلى قوله: ﴿**فَلا تَنْتَصِرَانِ**﴾ [الرحمن: ٣٣ ـ ٣٥] وثلاث آيات من آخر سورة الحشر ﴿**هُوَ الله الَّذِى لا إِلَهَ إِلاَ هُوَ**﴾ [الحشر: ٢٢] إلى آخر السورة.

٨٧٧ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رجلاً من بنى أسلم قال للنبى ـ عليه السلام ـ ما نمت هذه الليلة، فقال له رسول الله ﷺ: «**لم**»؟ قال:

---

(١) **فى سنده مجاهيل*** ذكره ابن عراق فى «تنزيه الشريعة» (٢/٨٨) من طريق ابن الجوزى مطولاً.

(٢) **ضعيف*** ابن السنى فى «عمل اليوم والليلة» (١٢٦) من حديث معاذ مرفوعاً.

لدغتنى عقرب، فقال له النبى ﷺ: «**أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق، لم يضرّك شىء إن شاء الله تعالى**»(١).

٨٧٨ ـ وعن سعيد بن المسيب، عن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن النبى ﷺ افتقده يوم الجمعة، فلما صلى أتاه معاذ فقال: «**ما لى لم أركَ؟**» قال: يا رسول الله كان لفلان اليهودى علىّ دين، فخشيت إن خرجت أن يحبسنى عنك فقال: «**يا معاذ ألا أعلمك دعاء تدعو به، لو كان عليك من الدين مثل كذا وكذا لأدّاه الله عنك؟**» قال: بلى. قال: «**فادع بعد أن تقرأ ﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَالكَ المُلْكِ﴾** إلى قوله: ﴿بغَيْرِ حسَابٍ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧] يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما، تعطى منهما من تشاء، وتمنع منهما من تشاء، فارحمنى رحمة تغنينى بها عن رحمة من سواك»(٢).

ويقال: هذا دعاء لو دعا به أسير لفكّ الله به أسره.

٨٧٩ ـ وعن أبى أمامة الباهلى ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من قال حين يصبح: اللهم لك الحمد، لا إله إلا أنت، أنت ربى خلقتنى وأنا عبدك، آمنت بك مخلصاً لك دينى، أصبحت على عهدك ووعدك ما استطعت، وأتوب إليك من سيئ عملى، وأستغفرك لذنوبى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فإن مات فى يومه وجبت له الجنة، وإن قالها حين يمسى فمات فى ليلته وجبت له الجنة، إلا أنه يقول: أمسيت**»(٣).

٨٨٠ـ وعن أبان بن عثمان، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من أصبح وقال بسم الله الذى لا يضرّ مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء، وهو السميع العليم، ثلاث مرات، لم يصبه بلاء حتى يمسى. وإن قالها حين يمسى لم يصبه بلاء حتى يصبح**»(٤).

ويقال: لما أصاب أبان الفالج ـ نعوذ بالله ـ قالوا له: أين كنت مما تحدثنا به،

---

(١) **صحيح*** مسلم (٤/ ٢٧٠٩) ومالك (٢/ ٩٥١) وأحمد (٢/ ٣٧٥)

(٢) **ضعيف*** أورد الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ١٨٦) لهذا الحديث عدة روايات، ولا تخلو من علة.

(٣) **ضعيف*** عزاه الهيثمى فى «المجمع» (١٠/ ١١٤) إلى الطبرانى فى الأوسط والكبير، وقال: فيه (على بن يزيد الألهانى) ضعيف. وله بديل (**صحيح**) رواه البخارى (١١/ ٦٣٠٦) عن شداد.

(٤) **صحيح*** أحمد (١/ ٦٢، ٦٣) وأبو داود (٥٠٨٨) والترمذى (٣٣٨٨) وابن ماجه (٣٨٦٩) وصححه الحاكم (١/ ٥١٤) ولم يتعقبه الذهبى

قال: أما والله ما كَذَبْتُ ولا كُذِبْتُ، ولكن الله لما أراد أن يبتليني بالذى ابتلانى به، أنسانى ذلك الدعاء.

٨٨١ ـ وعن نافع عن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: شهدت رسول الله ﷺ وقد أتاه رجل فقال: يا رسول الله، قلَّتْ ذات يدى، قال: «**فأين أنت من صلاة الملائكة، وتسبيح الخلائق وما به يرزقون؟**» قال: ما هو يا رسول الله؟ قال: «**سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، أستغفر الله مئة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلى صلاة الغداة، تأتيك الدنيا صاغرة راغمة**»(١).

٨٨٢ ـ وعن عروة، عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت: «كان النبى ﷺ إذا أراد أن ينام جمع كفيه ثم نفث فيهما وقرأ: قل هو الله أحد والمعوذتين، ثم مسح بهما وجهه ورأسه وسائر جسده»(٢).

وروى إبراهيم بن الحكم، عن أبيه، عن عكرمة ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: بينما رجل مسافر إذ مرّ برجل نائم، فرأى عنده شيطانين يقول أحدهما لصاحبه: اذهب فأفسد على هذا قلبه، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه، وقال: لقد نام على آية ما لنا إليه من سبيل. فذهب صاحبه إلى النائم فلما دنا منه رجع، وقال: صدقت، فذهبا، ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين، ثم قال: أخبرني على أى آية نمت؟ قال: ﴿**إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ**﴾ إلى قوله تعالى: ﴿**إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ**﴾ [الأعراف: ٥٤ـ ٥٦].

وعن عمران بن حُرَير، عن أبى مجلز، قال: من خاف أميراً ظالماً، فقال: رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ نبياً، وبالقرآن إماماً وحكماً؛ نجّاه الله منه.

٨٨٣ ـ وروى مالك، عن يحيى بن سعيد قال: بلغنى أن خالد بن الوليد قال: يا رسول الله إنى أروع فى منامى، فقال له رسول الله ﷺ: «**قل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون**»(٣).

---

(١) باطل* ابن حبان فى «المجروحين» (١/ ١٣٨) فى ترجمة (إسحاق بن إبراهيم الطبرى) وقال: باطل موضوع. وانظر: لسان الميزان (١/ ٣٨١) وتنزيه الشريعة (٢/ ٣١٨)

(٢) متفق عليه* البخارى (٨/ ٥٠١٧ وطرفيه) ومسلم (٤/ ٢١٩٢).

(٣) صحيح* رواه مالك فى «الموطأ» (٢/ ٩٥٠) والنسائى فى «عمل اليوم والليلة» (٧٦٦) بلاغاً، وصله أحمد (٤/ ٥٧، ٦/ ٦).

٨٨٤ ـ وعن النبى ﷺ أنه أخذ بيد معاذ ـ رضى الله تعالى عنه ـ وقال: «**أوصيك يا معاذ، لا تدعن فى دُبر كلّ صلاة أن تقول: اللهم أعنى على تلاوة ذكرك وشكرك وحسن عبادتك**»[١].

٨٨٥ ـ وعن حذيفة بن اليمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: كان النبى ﷺ إذا استيقظ من منامه قال: «**الحمد لله الذى أحيانى بعد ما أماتنى وإليه النشور**»[٢].

٨٨٦ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا حلم أحدكم حلماً يخافه فليبزقْ عن شماله ثلاث مرات، وليستعذْ بالله من شره ثلاثاً، فإنه لا يضرّه**»[٣].

٨٨٧ ـ وعن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال: يا نبيّ الله أى الدعاء أفضل؟ فقال: «**أن تسأل ربك العفو والعافية فى الدنيا والآخرة**». ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال: يا نبى الله أى الدعاء أفضل؟ فقال: «**أن تسأل العفو والعافية فى الدنيا والآخرة**». ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال: مثل ذلك، فقال النبى ـ ﷺ ـ: «**إذا أعطيت العفو والعافية فى الدنيا والآخرة فقد أفلحت**»[٤].

٨٨٨ ـ وروى عن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه كان إذا أراد السفر ركب دابته ثم يقول: سبحان الذى سخّر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل، اللهم أطو لنا الأرض، وهوّن علينا السفر، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر، والحور بعد الكور، وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد[٥].

٨٨٩ ـ وعن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: إذا بنيت بأهلك فمرها فلتصلّ ركعتين، ثم خُذْ برأسها، وقل: اللهم بارك لى فى أهلى، وبارك لأهلى فى وأرزقها منى، وأرزقنى منها، واجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرّق بيننا ما

---

(٢) **صحيح*** أحمد (٥/ ٢٤٥) وأبو داود (١٥٢٢) والنسائى فى «اليوم والليلة» (١٠٩) وصححه ابن حبان (٢٣٤٥) والحاكم (١/ ٢٧٣) ولم يتعقبه الذهبى.

(٢) **صحيح*** البخارى (١١/ ٦٣١٢) وأبو داود (٥٠٤٩) والترمذى (٣٤١٧) وابن ماجه (٣٨٨).

(٣) **متفق عليه*** البخارى (١٢/ ٦٩٨٦) ومسلم (٤/ ٢٢٦١).

(٤) **ضعيف*** أحمد (٣/ ١٢٧) والترمذى (٣٥١٢) وابن ماجه (٣٨٤٨). فيه (سلمة بن وردان) ضعيف.

(٥) **صحيح*** مسلم (٢/ ١٣٤٢) وأبو داود (٢٥٩٩) والترمذى (٣٤٤٧) وغيرهم عن ابن عمر.

فرقت بخير[1].

وعن جعفر بن محمد ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: عجبتُ ممن يُبتلى بأربع، كيف يغفل عن أربع، عجبت لمن يبتلى بالهم كيف لا يقول: ﴿**لا إِلَهَ إلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظَّالمين**﴾؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**فَاستَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِى المُؤْمنين**﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

وعجبتُ لمن خافَ شيئاً من السوء كيف لا يقول: حسبى الله ونعم الوكيل؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ الله وفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ الله وَالله ذُو فَضْلٍ عَظِيم**﴾ [آل عمران: ١٧٤].

وعجبت لمن يخاف مكر الناس كيف لا يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِى إِلى الله إِنَّ الله بَصِيرٌ بِالْعِبَاد﴾؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**فَوَقَاهُ الله سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ العَذَاب**﴾ [غافر: ٤٤، ٤٥].

وعجبت لمن يرغب فى الجنة كيف لا يقول: ﴿مَا شَاءَ الله لا قُوَّةَ إلا بالله﴾؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿**فَعَسى رَبِّى أَنْ يُؤْتِيَنَ خَيْراً مِنْ جَنَّتِك**﴾ [الكهف: ٣٩، ٤٠].

٨٩٠ ـ وقال قتادة: ذكر لنا أن رجلاً قال على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ اللهم ماكنت تعاقبنى فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا، فمرض الرجل فأضنى حتى صار كأنه هامة، فأخبر به رسول الله ﷺ فأتاه، فرفع رأسه وليس به حراك، فقيل: يا رسول الله، إنه كان يدعو بكذا وكذا، فقال رسول الله ﷺ: «**يا بن آدم، إنك لا تستطيع أن تقوم لعقوبة الله، ولكن قل: اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**» فدعا بها الرجل فبرئ[2].

وذكر أنه لما مات عتبة الغلام، رآه رجل فى المنام، فسأله: **ما فعل بك ربُّك؟** قال: غفر لى ربى بدعوات كنت أدعو بها، وهى مكتوبة على الحائط، فاستيقظ الرجل، فنظر فى الحائط فإذا هو مكتوب بخط عتبة الغلام ـ رحمه الله تعالى ـ: اللهم ياهادى المصلّين، ويا راحم المذنبين، ويامقيل عثرات العاثرين، ارحم عبدك من هذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين، واجعلنا من الأخيار المرزوقين، مع الذين أنعمت

---

(١) **صحيح*** ابن أبى شيبة وعبد الرزاق (١٠٤٦٠، ١٠٤٦١) والطبرانى (٣/ ٢١/ ٢) بأسانيد صحيحة. انظر. آداب الزفاف (٩٤ ـ ٩٨) للشيخ الألبانى

(٢) **صحيح*** مسلم (٤/ ٢٦٨٨) والترمذى (٣٤٨٧) وأحمد (٣/ ١٠٧، ٢٨٨) من حديث أنس.

عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقاً، برحمتك يا ارحم الراحمين.

ويقال: مَن دعا بهذه الخمس كلمات دُبُر كلّ صلاة كُتب من الأبدال، اللهم أصلح أمة محمد، اللهم أرحم أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد، اللهم اغفر لأمة محمد ولجميع من آمن بك.

٨٩١ ـ وروى أبان، عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ، أنّ الحجَّاج بن يوسف غضب عليه، وقال: لولا كتاب عبد الملك بن مروان لفعلت بك كذا وكذا. فقال أنس: لا تستطيع ذلك، قال: وما يمنعنى من ذلك، قال: دعوات علمنيها رسول الله ﷺ أدعو بها كل صباح ومساء، فقال: علمنيها، فأبى، فألح عليه، فأبى. قال أبان: فسألته عن ذلك حين مرض، فقال:

«قل: ثلاث مرات بسم الله على نفسى ودينى، بسم الله على أهلى ومالى وولدى، بسم الله على كل ما أعطانى ربى، الله الله ربى لا أشرك به شيئاً، الله الله ربى، لا أشرك به شيئاً، الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر وأعزّ وأجلّ مما أخاف وأحاذر، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى، ومن شر كل شيطان رجيم، ومن شر كل جبار عنيد، عزّ جارك، وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك، **﴿فَإِنْ تَوَلَّوا فَقُلْ حَسْبِى الله لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْه تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾** [التوبة: ١٢٩](١).

***

باب ما جاء فى الرّفق

٨٩٢ ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنى الخليل بن أحمد، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا عبد الله بن سعيد، حدثنا سفيان، عن الزهرى، عن عروة، عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت: استأذن نفر من اليهود على النبى ﷺ فقالوا: السّام عليك، فقال النبى ﷺ: «**وعليكم**» فقالت عائشة رضى الله عنها: وعليكم السام واللعنة. فقال النبى ﷺ: «**يا عائشة، إن الله تعالى يحب الرفق فى الأمر كله**». **قالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «قد قلت وعليكم»**(٢).

٨٩٣ ـ قال: حدثنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد، حدثنا فارس بن مردويه،

(١) ضعيف* فيه (أبان بن أبى عياش) ضعيف.
(٢) متفق عليه* البخارى (٦/ ٢٩٢٧) ومسلم (٤/ ٢١٦٥)

حدثنا محمد بن الفضل، عن محمد بن إسماعيل، عن أبى مليكة، عن القاسم، عن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ أن النبى ﷺ قال: «**يا عائشة من أعطِى حظّه من الرفق فقد أعطى خير الدنيا والآخرة، ومن حُرِم حظّه من الرفق فقد حُرِم حظّه من خير الدنيا والآخرة**»(١).

٨٩٤ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا فارس بن مردويه، حدثنا محمد ابن الفضيل، عن زيد بن الحباب العكلى، عن أشعث البصرى، عن على بن زيد بن جدعان، عن سعيد بن المسيب ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «رأسُ العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس، والتودّد إلى الناس. وما هلك رجل عن مشورة. وما سعد رجل باستغنائه برأيه. وإذا أراد الله أن يهلكَ عبداً كان أول ما يفسد منه رأيه، وإنَّ أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة، وإن أهل المنكر فى الدنيا هم أهل المنكر فى الآخرة»(٢).

٨٩٥ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ الله تعالى رفيقٌ يحبّ الرفيق، يُعطى على الرّفق ما لا يعطى على العنف**»(٣).

٨٩٦ـ وعن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إذا أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم الرفق. وإن الرفق لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أحسن منه. وإن الخرقَ لو كان خلقاً لما رأى الناس خلقاً أقبح منه**»(٤).

٨٩٧ ـ وعن عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ قالت: كنت على بعير فيه صعوبة، فجعلت أضربه، فقال النبى ﷺ: «**يا عائشة، عليك بالرفق، فإنه لم يكن فى شيء إلا زانه، ولا انتزع من شيء إلا شانه**»(٥).

٨٩٨ ـ قال: حدثنا أبى رحمه الله تعالى، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد المعلم، حدثنا أبو عمران الفارابى، حدثنا عبد الرحمن بن حبيب، حدثنا داود بن المحبّر، حدثنا عباد بن كثير، عن عبد خير، عن على بن أبى طالب رضى الله تعالى

---

(١) **صحيح*** القصاعى فى «مسند الشهاب» (٤٤٤) والبغوى فى «شرح السنة» (٣٣٨٥). وفيه (ابن أبى مليكة) ضعيف. لكنه توبع وله شاهد عن أبى الدرداء. انظر. الصحيحة (٨٧٤,٥١٩)

(٢) **مرسل ضعيف*** ابن أبى الدنيا فى «قضاء الحوائج» (١٧) والبيهقى فى «الشعب» (٨٤٤٧، ٩٠٥٤) مرسلاً. فيه (على بن زيد بن جدعان) ضعيف. وأنكر البيهقى وصله (٨٤٤٦).

(٣) **صحيح*** ابن ماجه (٣٦٨٨) وابن حبان (١٩١٤) وانظر. صحيح الجامع (١٧٧١).

(٤) روى أحمد (٦/ ٧١) أوله، وبقيته الحاكم فى «الكنى» (الكنز٥٤٢٤).

(٥) **صحيح*** أحمد (٦/ ٣٧، ٥٨، ٨٥ وغيرها) وأبو داود (٢٤٧٨، ٨ ٤٨) والطيالسى (١٥١٦) وعنه البيهقى فى «الشعب» (١١٠٦٤) ورواه مسلم (٤/ ٢٥٩٤) دون لفظة «ياعائشة»

عنه قال: لما نزلت ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ مرض رسول الله ﷺ فما لبث أن خرج إلى الناس يوم الخميس، وقد شدّ رأسه بعصابة، فرقى المنبر، وجلس عليه، مصفر الوجه تدمع عيناه، ثم دعا ببلال فأمره بأن ينادى فى المدينة أن اجتمعوا لوصية رسول الله ﷺ فإنها آخر وصيه لكم، فنادى بلال، فاجتمع صغيرهم وكبيرهم، وتركوا أبواب بيوتهم مفتحة، وأسواقهم على حالها، حتى خرجت العذارى من خدورهن ليسمعوا وصية رسول الله ﷺ حتى غص المسجد بأهله والنبى ﷺ يقول: «**وسّعوا لمن وراءكم**».

ثم قام النبى ﷺ يبكى، ويسترجع، فحمد الله، وأثنى عليه، وصلى على الأنبياء وعلى نفسه ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ثم قال: «أنا محمد بن عبد الله بن عبدالمطلب ابن هاشم العربى الحرمى المكى الذى لا نبى بعدى.

أيها الناس، اعلموا أن نفسى قد نعيت، وحان فراقى من الدنيا، واشتقت إلى لقاء ربى، فواحزناه على فراق أمتى، ماذا يقولون من بعدى. اللهم سلّم سلّم.

أيها الناس، اسمعوا وصيتى وعوها وأحفظوها، وليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنها آخر وصيتى لكم».

«أيها الناس قد بين الله لكم فى محكم تنزيله ما أحله لكم، وما حرم عليكم، وما تأتون وما تتقون، فأحلوا حلاله، وحرموا حرامه، وآمنوا بمتشابهه، واعلموا بمحكمه واعتبروا بأمثاله، ثم رفع رأسه إلى السماء، فقال: اللهم هل بلغت فاشهد.

أيها الناس، إياكم وهذه الأهواء الضالة المضلة البعيدة من الله تعالى ومن الجنة، القريبة من النار، وعليكم بالجماعة والاستقامة فإنها قريبة من الله قريبة من الجنة، بعيدة من النار. ثم قال: اللهم هل بلغت .

أيها الناس، الله الله فى دينكم وأمانتكم، الله الله فيما ملكت أيمانكم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، فإنهم لحم ودم وخلق أمثالكم، ألا من ظلمهم فأنا خصمه يوم القيامة، والله حاكمهم، الله الله فى النساء أوفوا لهن مهورهن، ولا تظلموهن فيحرمكم حسناتكم يوم القيامة، ألا هل بلغت .

أيها الناس، قوا أنفسكم وأهليكم ناراً، وعلّموهم وأدبوهم، فإنهم عندكم عوان وأمانة، ألا هل بلغت.

أيها الناس، أطيعوا ولاة أموركم، ولا تعصوهم، وإن كان عبداً حبشياً مجدعاً، فإنه من أطاعهم فقد أطاعنى، ومن أطاعنى فقد أطاع الله، ومن عصاهم فقد عصانى، ومن عصانى فقد عصى الله، ألا لاتخرجوا عليهم، ولاتنقضوا عهودهم، ألا هل بلغت.

أيها الناس، عليكم بحب أهل بيتى، عليكم بحب حملة القرآن، عليكم بحب

علماءكم لا تبغضوهم ولا تحسدوهم ولا تطعنوا فيهم، ألا من أحبهم فقد أحبنى، ومن أحبنى فقد أحب الله، ومن أبغضهم فقد أبغضنى، ومن أبغضنى فقد أبغض الله، ألا هل بلغت.

أيها الناس، عليكم بالصلوات الخمس بإسباغ وضوئها وإتمام ركوعها وسجودها.

أيها الناس، أدوا زكاة أموالكم، ألا من لم يؤد الزكاة فلا صلاة له، ألا من لا صلاة له فلا دين له ولا صوم له ولا حج له ولا جهاداً له، اللهم هل بلغت.

أيها الناس، إن الله فرض الحج على من إستطاع إليه سبيلاً، ومن لم يفعل فليمت على أى حال شاء يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً إلا أن يكون به مرض حابسه، أو منع من سلطان جائر، ألا لا نصيب له فى شفاعتى، ولا يرد حوضى، ألا هل بلغت.

أيها الناس، إن الله جامعكم يوم القيامة فى صعيد واحد فى مقام عظيم، وهو شديد فى ﴿يَوْمَ لا يَنْفَعُ مَالٌ وَلا بَنُونَ إِلا مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]، ألا هل بلغت.

أيها الناس، احفظوا ألسنتكم، وابكوا أعينكم، وأخضعوا قلوبكم، وأتعبوا أبدانكم، وجاهدوا أعدائكم، وعمروا مساجدكم، وأخلصوا إيمانكم، وأنصحوا إخوانكم، وقدموا لأنفسكم، واحفظوا فروجكم، وتصدقوا من أموالكم، ولا تحاسدوا فتذهب حسناتكم، ولا يغتب بعضكم بعضاً فتهلكوا، ألا هل بلغت.

أيها الناس، اسعوا فى فكاك رقابكم، واعملوا الخير ليوم فقركم وفاقتكم.

أيها الناس، لا تظلموا، فإن الله هو الطالب لمن جار، وعليه حسابكم، وإليه إيابكم، إنه لا يرضى منكم بالمعصية.

أيها الناس، إنه ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِه وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦] ﴿واتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى الله ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أيها الناس، إنى قادم على ربى، وقد نعيت إلى نفسى، فاستودع الله دينكم وأمانتكم، والسلام عليكم معشر أصحابى وجميع أمتى، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

ثم نزل، فدخل المنزل، فما خرج بعده صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأمته وسلم(١).

(١) **ضعيف جداً** فيه (داود بن المحبر وعباد بن كثير الثقفى) كلاهما متروك لكن له شواهد متفرقة.

باب العمل بالسّنة

٨٩٩ـ قال الفقيه أبوالليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الحسين القاسم بن محمد بن روزبه، حدثنا عيسى بن خشنام، حدثنا سويد عن مالك، قال: بلغنى أن رسول الله ﷺ قال: «**تركت فيكم أمرين لن تضلّوا ماتمسّكتم بهما: كتاب الله، وسُنّتى**»(١).

٩٠٠ ـ قال: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، عن المسيب، عن عوف، عن الحسن، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**عمل قليل في سُنّة خيرٌ من عمل كثير فى بدعة، وكلّ بدعة ضلالة، وكلّ ضلالة فى النار**»(٢).

٩٠١ ـ وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: الاقتصاد فى السنة خير من الاجتهاد فى البدعة(٣).

وعن الحسن ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: لا يصلح قول إلا بعمل، ولا يصلح قول وعمل إلا بالنية، ولا يصلح قول ولا عمل ولا نية إلا بالسنة.

٩٠٢ ـ وروى معقل بن يسار ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**رجلان لا تنالهما شفاعتى**». وفى رواية: «**صنفان من أمتى لا تنالهما شفاعتى: إمام ظلوم، وغال فى الدّين مارق منه**»(٤). يعنى الذى يغلو فى دينه حتى يخرج من طريق السنة والجماعة.

وعن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه أنه قال: عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبد على السبيل والسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله، فتمسه النار أبداً. وليس من عبد على السبيل والسنة ذكر الرحمن ففاضت عيناه، واقشعر جلده مخافة الله تعالى إلا كان مثله كمثل شجرة يبس ورقها، فأصابتها الريح، فتحات ورقها. وإن اقتصاداً فى السبيل والسنة خير من اجتهاد فى خلاف السبيل والسنة، فأنظروا عملكم ما كان اقتصاداً واجتهاداً أن يكون على سبيل الأنبياء وسنتهم(٥).

---

(١) **صحيح** ❊ مالك فى «الموطأ» (٢/ ٨٩٩) وله شواهد متصله. انظر: الصحيحة (١٧٦١).

(٢) **ضعيف** ❊ لإرساله. وروى متصلاً عن أبى هريرة وابن مسعود ولا تخلو من علة. انظر: فيض القدير (٤/ ٣٦٢). وضعيف الجامع (٣٨١١).

(٣) **صحيح موقوف** ❊ الدارمى (٢١٧) والحاكم (١/ ١٠٣) وقال الذهبى: على شرطهما.

(٤) **حسن (دون قوله «فى الدين»)** ❊ ابن أبى عاصم فى «السنة» (٣٥). وانظر: الصحيحة (٤٧٠).

(٥) **صحيح موقوف** ❊ رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٢٥٣). واللالكائى فى «شرح الاعتقاد» (١٠) من طريق ابن المبارك فى «الزهد» (٨٧ز).

٩٠٣ ـ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**افترقتْ بنو إسرائيل على إحدى وسبعين فرقة، وإن هذه الأمة ستفترقُ على اثنتين وسبعين فرقة، إحدى وسبعون فى النار، وواحدة فى الجنة**». قالوا: يارسول الله ماهذه الواحدة؟قال: «**أهل السنة والجماعة**»(١).

٩٠٤ ـ وعن رسول الله ﷺ أنه قال: «**المتمسّك بسنّتى عند فساد أمتى له أجر مائة شهيد**»(٢).

قال: حدثنا أبو القاسم عمرو بن محمد، حدثنا أبو بكر الواسطى، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا خلف بن خليفة، عن أبان المكتب، عن ابن هشام الرمانى، عمن أخبره عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: كيف بكم إذا اشتملتكم فتنة يهرمُ فيها الكبير، ويربو فيها الصغير، يجرى عليها الناس؛ يتّخذونها سنة، إذا غيرت وعمل بغيرها قيل: هذا منكر.

قال قائل: فمتى هذا يا أبا عبد الرحمن؟ قال: إذا قلّت أمناؤكم، وكثرت أمراؤكم، وقلّت فقهاؤكم، وكثرت قراؤكم، والتمست الدنيا بعمل الآخرة، وتفقّهوا لغير الدين، فعند ذلك يكون عليكم أمراء إن أطعتموهم أضلّوكم، وإن عصيتموهم قتلوكم. قال: فما تأمرنا يا أبا عبد الله؟ قال: كن حلْساً من أحلاس بيتك، وإلا فالنار أولى. قال: فوضع الرجل يده على خاصرته، وقال: قتلتنى يابن أم عبد.

٩٠٥ ـ قال الفقيه: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله ـ حدثنا أبو على أحمد ابن محمد القرميسى، حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد الحافظ، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عبد الملك، حدثنا أبى، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عمه موسى بن طلحة، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:

«**أيها الناس، أكرموا أصحابى، وأحسنوا إليهم، وأحبّوهم، فإنّ خيرَ الناس أصحابى الذين بُعثْتُ فيهم، فآمنوا بالله وصدقونى، وآمنوا بما جئت به من عند الله، واتبعوه، وأعملوا به. ثم خير الناس من بعدهم القرن الذين يلونهم، آمنوا بى، واتبعوا أمر الله، ولم يرونى، ثم القرن الذين يلونهم آمنوا بى. ثم يجىء من بعدهم قرن يضيعون الصلوات، ويتبعون الشهوات، ويدعون ما أمرتهم به ويأتون ما نهيتهم عنه، يقتبسون الدين بأهوائهم، ويراؤون الناس بأعمالهم، يحلفون ولا يستحلفون،**

(١) حسن* الترمذى (٢٦٤١) عن ابن عمرو. انظر. صحيح الجامع (٥٣٤٣)

(٢) ضعيف جدا* ابن عدى فى «الكامل» (٢/٣٢٧) عن ابن عباس. انظر: الضعيفة (٣٢٦).

ويشهدون ولا يستشهدون، ويؤتمنون فيخونون،ولايؤدون الأمانة، ويتحدثون فيكذبون، ويقولون ما لا يفعلون، يرفع منهم العلم والحلم، ويظهر فيهم الجهل والفحش، ويرفع منهم الحياء والأمانة، ويفشو فيهم الكذب والخيانة، وعقوق الوالدين وقطيعة الأرحام، وطول الأمل والبخل، والحرص على الدنيا، والشّحّ والحسد، والبغى وسوء الخلق، وسوء الجوار، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، فإن سركم أن تسكنوا بحبوحة الجنة ونعيمها، فالزموا السنة والجماعة، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة،وكل بدعة ضلالة، وإن الله لا يجمع أمة محمد على الضلالة أبداً، فمن خلع الطاعة، وفارق الجماعة، وضيع أمر الله تعالى، وخالف حكم الله، لقى الله تعالى، وهو عليه غضبان، وأدخله النار»[1] .

٩٠٦ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن، حدثنا أبو بكر محمد بن يوسف، عن الحسن بن عرفة، عن إسماعيل بن عباس، عن يحيى بن سعيد الأنصارى، عن خالد ابن معدان، عن العرباض بن سارية السلمى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله، إن هذه موعظة مودّع، فما تعهد إلينا؟ قال:

«أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، فإنه من يعش منكم بعدى يَرَ اختلافاً كثيراً، فإياكم ومحدثات الأمور فإنها ضلالة، فمن أدركته منكم فعليه بسنّتى وسُنّة الخلفاء الراشدين المهديين، عضّوا عليها بالنّواجذ»[2] .

٩٠٧ ـ وروى أبو سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكل طيباً، وعمل بالسُّنّة، وأمن الناس بوائقه دخل الجنة». قيل: يا رسول الله، هذا فى الناس كثير. قال: «وسيكون فى قرون بعدى، ثم يقلّ»[3] .

٩٠٨ ـ وعن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: خطّ لى رسول الله ﷺ خطاً فقال: «هذا سبيل الله»، ثم خطّ خطوطاً عن يمينه وعن شماله، وقال: «هذه سبل، وعلى كل سبيل منها شيطان، يدعو إليه».

---

(١) صحيح لغيره* فيه (إسحاق بن يحيى بن طلحة) ضعيف، و(إسماعيل بن عبد الملك) صدوق كثير الوهم والحديث (صحيح) عن ابن عمر رواه الترمذى (٢١٦٥) وانظر. عشرة النساء (٣٣٨ ـ ٣٤٥ بتحقيقى)

(٢) صحيح* أحمد (٤/ ١٢٦، ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) والترمذى (٢٦٧٦) وابن ماجه (٤٢).

(٣) ضعيف* الترمذى (٢٥٢٠) والحاكم (٤/ ١٠٤) وابن أبى الدنيا فى «الصمت» (٢٦) وابن الجوزى فى «الواهيات» (١٢٥٢) واللالكائى فى «شرح الإعتقاد» (٩) فيه (أبو بشر) مجهول.

ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣][(١)].

٩٠٩ـ وروى عن النبى ﷺ أنه قال: «**لكلّ شىء آفة، وإنّ آفة هذا الدين الأهواء**»[(٢)].

وعن الشعبى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: إنما سميت الأهواء أهواء؛ لأنها تهوى بصاحبها فى النار.

وقال مجاهد ـ رحمه الله تعالى ـ: ما أدرى أىّ النعمتين أعظم علىّ من الله تعالى: أن هدانى للإسلام، أو عافانى من هذه الأهواء.

٩١٠ ـ وروى أبو ذر ـ رضى الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**من خالف الجماعة شبراً، فقد خَلَعَ رِبْقَةَ الإسلام من عنقه**»[(٣)].

وقال أويس القرنى لهرم بن حيان فى وصيته: إياك أن تفارق الجماعة تفارق دينك وأنت لا تشعر، فتدخل النار يوم القيامة. والله أعلم.

***

باب الحزن فى أمر الآخرة

قال الفقيه أبو الليث السمرقندى: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان، عن جعفر بن برقان، عن ثابت بن الحجاج، قال: قال عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ: زنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وتزينوا للعرض الأكبر، وذلك يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة:١٨][(٤)].

٩١١ ـ قال الفقيه: حدثنا أبى ـ رحمه الله ـ حدثنا محمد بن موسى بن رجاء،

---

(١) **صحيح (وإسناده حسن)*** أحمد (١/ ٤٣٥، ٤٦٥) والحاكم (٢/ ٣١٨) وأبو نعيم فى «الحلية» (٦/ ٢٦٣) وابن أبى عاصم فى «السنة» (١٧).

(٢) **ضعيف جداً*** الحارث عن ابن مسعود بنحوه. (ضعيف الجامع ٤٧١٨).

(٣) **صحيح*** أحمد (٥/ ١٨) وأبو داود (٤٧٥٨) وابن أبى عاصم فى «السنة» (٨٩٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤) والحاكم (١/ ١١٧)

(٤) **فيه ضعف** * أحمد فى «الزهد» (١٤٩) وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ٥٢) فيه انقطاع بين ثابت وعمر.. ورواه ابن المبارك فى «الزهد» (٣٠٦) عن مالك بن معول بلاغاً

حدثنا سلمة بن شبيب، حدثنا هارون بن محمد الدمشقى، عن سعيد بن عبدالعزيز، عن ربيعة بن يزيد، عن أبى إدريس الخولانى، عن أبى ذرّ - رضى الله عنه - عن النبى - ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال:

«يا عبادى إنى حرّمتُ الظّلم على نفسى، وجعلته بينكم محرّماً، فلا تظالموا. يا عبادى، كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدونى أهدكم. يا عبادى كلكم جائعٌ إلا من أطعمته، فاستطعمونى أطعمكم.ياعبادى كلّكم عار إلا من كسوته، فاستكسونى أكسكم. يا عبادى، إنكم تخطئون بالليل والنهارً، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفرونى أغفر لكم. يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد، ما زاد ذلك فى ملكى شيئاً. يا عبادى، لو أنّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم،ما نقص ذلك من ملكى شيئاً. يا عبادى، لو أن أولكم وآخركم،وإنسكم وجنكم،قاموا فى صعيد واحد، فسألنى كل واحد مسألته، فأعطيته، ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص البحر إذا غمس فيه المخيط غمسة واحدة. يا عبادى، إنما هى أعمالكم، أحصيها لكم، وأوفيكم إياها يوم القيامة، فمن وَجَد خيراً فليحمد الله،ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه»(١).

٩١٢ - وروى أبو سعيد الخدرى - رضى الله تعالى عنه - أن النبى ﷺ أنه قال: **«عودوا المرضى، واتّبعوا الجنائز، تذكّركم الآخرة»**(٢).

وذكر عن بعض الحكماء: أنه نظر إلى أناس يترحمون على ميت خلف جنازة، فقال: لو ترحمون أنفسكم لكان خيراً لكم، أما إنه قد مات ونجا من ثلاثة أهوال:

أحدها: رؤية ملك الموت.

والثانى: مرارة الموت.

والثالث: خوف الخاتمة.

قال: وسمع أبو الدرداء - رضى الله تعالى عنه - رجلاً يقول خلف جنازة: من هذا؟ فقال له أبو الدرداء: هذا أنت، فإن كرهت فأنا، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ**﴾ [الزمر: ٣٠].

وروى عن الحسن البصرى أنه رأى رجلاً يأكلُ فى المقابر، فقال: هذا منافق، الموت بين عينيه، وهو يشتهى الطعام.

(١) صحيح* مسلم (٤/ ٢٥٧٧) وأحمد (٥/ ١٦٠).

(٢) صحيح* أحمد (٣/ ٢٣، ٣٢، ٤٨) وابن حبان (٧٠٩). وانظر. الصحيحة (١٩٨١).

وروى عن الحسن البصرى أيضاً أنه قال: يا عجباً كل العجب، من قوم أُمروا بالزاد، ونودوا بالرحيل، وقد جلس أولهم لآخرهم وهم قعود يلعبون، أو قال: جلس أوائلهم وهم يلعبون.

وروى أن الحسن البصرى ما رأى ميتاً إلا كأنه رجع من دفن أمه.

وروى عن إبراهيم التيمى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: مَن كان آمناً، ولا يكون محزوناً خائفاً يُخاف أن لا يكون من أهل الجنة؛ لأنّ أهلَ الجنة قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِى أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦].

وروى عن ابن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: ينبغى لحامل القرآن أن يُعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وببكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يتكلمون، وبخشوعه إذا الناس يختالون. وينبغى لحامل القرآن أن يكون محزوناً حليماً سكيناً ليناً، ولا ينبغى أن يكون جافياً، ولا غافلاً، ولا صيّاحاً، ولا حديداً.

قال شقيق بن إبراهيم ـ رحمه الله تعالى ـ: ليس للعبد صاحب خيراً له من الهمّ والخوف، هم فيما مضى من ذنوبه، وخوف فيما بقى لا يدرى ما ينزل به.

وقال حكيم ـ رحمه الله تعالى ـ: من اهتم وحزن فى غير ثلاثة، فإنه لم يعرف الحزن، ولا السرور:

أحدها: هم الإيمان أنه يختم عمره به أم لا؟.

والثانى: هم أمر الله تعالى أنه يتم أم لا؟.

والثالث: هم الخصماء أنه ينجو منهم أم لا؟.

٩١٣ ـ وروى أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: **«ما اغرورقت عينٌ بمائها إلا حرّم الله على النار إحراقها، فإن فاضتْ على وجه صاحبها لم يرهقْ وجهه قتر ولا ذلّة، وما من عمل بر إلا وله ثواب إلا الدمعة، فإنها تطفئ بحوراً من نار، ولو أن عبداً بكى من خشية الله تعالى فى أمة لرحم الله تلك الأمة لبكاء ذلك العبد»**(١).

وروى عن كعب الأحبار ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: لأن أبكى من خشية

---

(١) ضعيف* ابن عدى فى «الكامل» (٢/ ٨٥) عن أنس وأنكره. والبيهقى فى «الشعب» (٨١١) مرسلاً من حديث مسلم بن يسار، وفيه راو لم يسمّ، وموقوفاً (٨١٢) عن الحسن. وانظر: «الترغيب للمنذرى» (٤/ ١٢٦).

الله تعالى حتى يسيلَ الدمعُ على وجنتى أحبّ إلىّ من آن أتصدّق بوزن نفسى ذهباً. وما من باكٍ يبكى من خشية الله تعالى حتى تسيل قطرة من دموعه على الأرض، فتمسه النار حتى يرجع قطر السماء، وليس براجع. كما أن القطر إذا نزل من السماء لايرجع إليه أبداً، فكذلك الذى يبكى فى الدنيا من خشية الله تعالى لا تمسّه النار أبداً.

٩١٤ - وروى عن عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - عن النبى ﷺ أنه قال: «**ما من عبد يخرج من عينه من الدموع مثل الذباب أو رأس الذباب من خشية الله تعالى فيصيب حر وجهه فتمسّه النار أبداً**»(١).

وروى عن عكرمة، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: ما دمعت عين إلا بفضل الله، وما دمعت عين إمرىء حتى يمسح الملك قلبه.

٩١٥ - وروى عن الحسن البصرى - رحمه الله تعالى - عن النبى ﷺ - أنه قال: «**ما من قطرة أحبّ إلى الله تعالى من قطرتين: قطرة دمع فى سواد الليل، وقطرة دم فى سبيل الله**»(٢).

وروى زياد النّميرى(٣) - رحمه الله تعالى - قال: قال الله تعالى فى بعض الكتب: لا يبكى عبد من خشيتى إلا أجرته من نقمتى، ولا يبكى عبد من خشيتى إلا أبدلته ضحكات نور قدسى؛ يعنى فى الجنة.

وروى عن عمر بن عبد العزيز - رضى الله تعالى عنه - أنه كان يصلى ذات ليلة، فقرأ ﴿**إذ الأَغْلاَلُ فى أَعْنَاقهمْ والسَّلاسلُ يُسْحَبُون فى الحَميمِ ثُمَّ فى النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾ [غافر: ٧١، ٧٢] وجعل يردّدها ويبكى، حتى أصبح.

وروى عن تميم الدارى - رضى الله تعالى عنه - أنه قرأ هذه الآية: ﴿**أَمْ حَسبَ الَّذينَ اجْتَرحُوا السيِّئَات أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات**﴾ [الجاثية: ٢١] وجعل يرددها إلى الصباح ويبكى.

٩١٦ - وروى عن النبى ﷺ - أنه قرأ هذه الآية: ﴿**إنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عبَادُكَ وَإِنْ تَغْفرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكيمُ**﴾ [المائدة: ١١٨] وجعل يردّدها إلى الصباح

---

(١) ضعيف* ابن ماجه (٤١٩٧) والأصبهانى فى «الترغيب» (٥٠٦) فيه (محمد بن أبى حميد) ضعيف.

(٢) ضعيف جداً* الأصبهانى فى «ترغيبه» (٥٠١) من حديث أنس وفيه (داود بن المحبر) متروك الحديث كما فى «اللسان» (١/ ١١) وأيضاً فيه انقطاع ومن لم أعرفه.

(٣) هو زياد بن عبد الله النميرى. ضعيف كما فى «التقريب».

ويبكى[1].

وروى فى الخبر: أن داود ـ علبه السلام ـ ما شرب شراباً بعد الذنب إلا ونصفه ممزوج بدموع عينيه.

وروى عن بهز بن حكيم قال: صلّى بنا زرارة بن أبى أوفى فقرأ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى النَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨] فحملناه ميتاً. رزقنا الله ذلك.

***

باب ما قيل كيف يصبح الرّجل

٩١٧ـ قال الفقيه أبو الليث السمرقندى رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا أبو معاوية عن ليث، عن مجاهد، قال: قال لى عبد الله بن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ: يا مجاهد إذا أصبحتَ فلا تُحدِّث نفسك بالمساء، وإذا أمسيتَ فلا تُحدِّث نفسك بالصباح، وخُذْ من حياتك قبل مماتك، ومن صحّتك قبل سقمك؛ فإنك لا تدرى ماسمك غداً[2].

وقال بعض الحكماء: إذا أصبح الرجل ينبغى أن ينوى أربعة أشياء:

أولها: أداء ما فرض الله عليه.

والثانى: اجتناب ما نهى الله عنه.

والثالث: إنصاف من كان بينهم وبينه معاملة.

والرابع: إصلاح ما بينه وبين خصمائه. فإذا أصبح على هذه النيات أرجو أن يكون من الصالحين المفلحين.

وقيل لبعض الحكماء: بأى نية يقوم الرجل عن فراشة؟ قال: لا يسأل عن القيام حتى ينظر كيف ينام، ثم يسأل عن القيام، فمن لم يعرف كيف ينام، لا يعرف كيف يقوم.

ثم قال: لا ينبغى للعبد أن ينام ما لم يصلح أربعة أشياء:

---

(١) **صحيح بشواهده** * أحمد (٥/١٥٦) والنسائى (٢/٢٧٧) وابن ماجه (١٣٥) وصححه الحاكم (١/٢٤١) ولم ينعقبه الدهبى جميعاً عن حسرة بنت دجاجة ـ مقبولة ـ عن أبى ذر ـ وله شاهد **صحيح** عن عائشة عند الترمذى (٤٤٨).

(٢) **صحيح** * البخارى (١١/٦٤١٦) عن الأعمش عن مجاهد به مرفوعاً. انظر. الصحيحة (١١٥٧)

أولها: أن لا ينامَ وله على وجه الأرض خصم حتى يأتيه، فيتحلّل منه؛ لأنه ربما يأتيه ملك الموت، فيقدمه على ربه، ولا حجّة له عنده.

والثاني: لا ينبغي له أن ينام، وقد بقي عليه فرض من فرائض الله تعالى؛ لأنه لا حجّة له فى نومه مع نقصان فرائض الله تعالى.

والثالث: لا ينبغى أن ينامَ ما لم يتبْ من ذنوبه التى سلفت منه؛ لأنه ربما يموت من ليلته، وهو مصرّ على الذنوب.

والرابع: لا ينبغى أن ينامَ حتى يكتب وصية صحيحة؛ لأنه ربما يموت من ليلته من غير وصية.

ويقال: الناس يصبحون على ثلاثة أصناف: صنف فى طلب المال، وصنف فى طلب الإثم، وصنف فى طلب الطريق. فأما من أصبح فى طلب المال فإنه لا يأكل فوق ما رزقه الله تعالى، وإن آكثر المال. ومن أصبح فى طلب الإثم لحقه الهوان والإثم. ومن أصبح فى طلب الطريق آتاه الله تعالى الرزق والطريق.

وقال بعض الحكماء: من أصبح لزمه أمران: الأمن، والخوف. فأما الأمن، فهو أن يكون آمناً بما يكفل الله له من أمر رزقه. وأما الخوف، فهو أن يكون خائفاً فيما أمر به حتى يتمه، فإذا فعل هذين أكرمه الله بشيئين:

أحدهما: القناعة بما يعطيه.

والثاني: حلاوة طاعته.

وروى سفيان الثورى، عن أبيه، عن سعيد بن مسروق ـ رحمهم الله تعالى ـ قال: كان الربيع بن خُثَيْم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا، وننتظر آجالنا.

وعن مالك بن دينار قيل له: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح من كان منقلبه من دار إلى دار، ولا يدرى إلى الجنة يصير أم إلى النّار.

وذكر أن عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ قيل له: كيف أصبحت يا روح الله؟ قال: أصبحت لا أملك ما أرجو، ولا أستطيع دفع ما أخاف، وأصبحت مرتهناً بعملى، والخير كله فى يد غيرى، ولا فقير أفقر منى.

وقيل لعامر بن قيس: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت، وقد أوقرتْ نفسى من ذنوبى، وأوقرنى الله تعالى من نعمائه، فلا أدرى أعبادتى تكون تمحيصاً لذنوبى، أو

شكراً لنعمة الله.

وذكر عن محمد بن سيرين أنه قال لرجل: كيف حالك؟ فقال: كيف حال من عليه خمسمائة درهم ديناً، وهو معيل، فدخل ابن سيرين منزله، وأخرج ألف درهم، فدفعها إليه، وقال: خمسمائة اقض بها دينك، وخمسمئة درهم أنفقها على عيالك، وكان ابن سيرين لم يكن يسأل أحداً بعد ذلك كيف حالك، مخافة أن يخبرَ عن حاله، فيصير قيامه بأمره واجباً عليه.

وذُكِر عن إبراهيم بن أدهم قال: من أصبح لزمه شكر أربعة أشياء:

أولها: أن يشكر فيقول: الحمد لله الذى نوّر قلبى بنور الهدى، وجعلنى من المؤمنين، ولم يجعلنى ضالاً.

والثانى: أن يقول: الحمد لله الذى نور قلبى بنور الهدى، وجعلنى من المؤمنين، ولم يجعلنى ضالاً.

والثالث: أن يقول: الحمد لله الذى لم يجعلْ رزقى بيد غيره.

والرابع: أن يقول: الحمد لله الذى ستر على عيوبى.

وعن شقيق بن إبراهيم قال: لو أن رجلاً عاش مائتى سنة، ولا يعرف هذه الأربعة أشياء، فليس شىء أحقّ به من النار:

أحدها: معرفة الله تعالى.

والثانى: معرفة عمل الله تعالى.

والثالث: معرفة نفسه.

والرابع: معرفة عدوّ الله وعدوّ نفسه.

فأما معرفة الله تعالى؛ فأن يعرفه فى السّرّ والعلانية؛ لأنه لا معطى ولا مانع غيره.

وأما معرفة عمل الله تعالى فأن يعرف أن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجه الله تعالى.

وأما معرفة نفسه فأن يعرف ضعفه، وأن لا يستطيع أن يردّ شيئاً مما يقضى الله تعالى عليه؛ يعنى يرضى بما قسم الله له.

وأما معرفة عدو الله وعدو نفسه فأن يعرفه بالسّرّ فيجازيه بالمعرفة حتى يكسره.

ويقال: ما من يوم أصبح فيه ابن آدم إلا فرض الله عليه عشرة أشياء:

أولها: أن يذكر الله تعالى عند قيامه؛ لقوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ [الطور:٤٨]. وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الأحزاب:٤١، ٤٢].

والثانى: ستر العورة لقوله تعالى: ﴿يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١] الآية، وأدنى الزينة ما يوارى العورة.

والثالث: إتمام الوضوء فى أوقاته، لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ [المائدة:٦] الآية.

والرابع: إتمام الصلاة فى أوقاتها؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾ [النساء:١٠٣] يعنى فرضاً مفروضاً مؤقتاً معلوماً.

والخامس: الأمن بوعد الله فى شأن الرزق؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إِلا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦].

والسادس: القناعة بقسم الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف:٣٢].

والسابع: التوكل على الله تعالى؛ لقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الحَىِّ الَّذِى لا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨] ﴿وعَلَى الله فَتَوكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

والثامن: الصبر على أمر الله تعالى وقضائه، لقوله تعالى: ﴿ فاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ ﴾ [القلم: ٤٨] ولقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

والتاسع: الشكر على نعمة الله تعالى؛ لقوله عز وجل: ﴿وَاشْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل:١١٤]. وأول نعمة: هى صحة الجسم، وأعظم النّعمة هى دين الإسلام، ونعمه كثيرة، قال الله تعالى فى محكم تنزيله: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوها﴾ [النحل:١٨].

والعاشر: الأكل من الحلال؛ لقوله تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة:٥٧] يعنى حلالاً.

***

باب التّفكر

٩١٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الخليل بن أحمد، حدثنا العباس السراج، حدثنا أبو رجاء وأبو قتيبة بن سعد البغلانى، حدثنا أبو زرارة الحلبى، عن عطاء بن أبى رباح قال:

دخلتُ مع ابن عمر وعبيد بن عمير على عائشة ـ رضى الله تعالى عنها ـ فسلمنا عليها، فقالت: من هؤلاء؟ فقلنا: عبد الله بن عمر، وعبيد بن عمير. فقالت: مرحباً بك يا عبيد بن عمير، ما لك لا تزورنا؟ فقال عبيد: زر غبّاً تزددْ حُبّاً، فقال ابن عمر: دعونا من هذا، حدثينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فقالت: كلّ أمره عجيب، غير أنه أتانى فى ليلتى، فدخل معى فى فراشى حتى ألصق جلده بجلدى، فقال: «**يا عائشة، أتأذنين لى أن أتعبد لربى؟**» قلت: والله إنى لأحبّ قربك، ولأحبّ هواك، فقام إلى قربة فتوضأ منها، ثم قام فبكى وهو قائم، حتى بلغت الدموع حجره، ثم اتكأ على شقه الأيمن، ووضع يده اليمنى تحت خده الأيمن، فبكى حتى رأيت الدموع بلغت الأرض، ثم أتاه بلال بعدما أذن الفجر، فلما رآه يبكى، قال: لم تبكى يا رسول الله؟ وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قال: «**يا بلال، أفلا أكون عبداً شكوراً؟ وما لى لا أبكى وقد نزلت علىّ الليلة: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ..﴾** إلى قوله: **﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** [آل عمران: ١٩٠، ١٩١] ثم قال: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكّر فيها**»[١].

وروى فى بعض الأخبار أنّ من نظر فى النجوم، وتفكّر فى عجائبها، وفى قدرة الله تعالى، ويقرأ: **﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾** كتب له بعدد كلّ نجم في السماء حسنة.

وروى عن عامر بن قيس أنه قال: أكثر الناس فرحاً فى الآخرة أطولهم حزناً فى الدنيا، وأكثر الناس ضحكاً فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا، وأخلص الناس إيماناً يوم القيامة أكثرهم تفكّراً فى الدنيا.

٩١٩ ـ قال: حدثنا الحاكم أبو الحسن، حدثنا إسحاق بن أحمد النسفى، عن الحسين المروزى، عن ابن المبارك، عن محمد بن شعيب، عن النعمان، عن مكحول،

(١) **صحيح لغيره*** ابن حبان (٥٢٣) وابن أبى الشيخ فى «أخلاق النبى» (٥٦١) وغيرهما. والحديث ثابت فى الصحيحين وغيرهما دون هذه القصة

عن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال[1] : ـ وروى هذا الخبر أيضاً مرفوعاً عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنّ من الناس ناساً مفاتيح للخير مغاليق للشر، ولهم بذلك أجر. وإنّ من الناس ناساً مفاتيح للشر، مغاليق للخير، وعليهم بذلك إصر**»؛ يعنى إثم كبير، «طوبى لمن جُعل مفتاحاً للخير، مغلاقاً للشر، وتفكّر ساعة لى خير من قيام ليلة»[2].

٩٢٠ ـ وروى الأعمش عن عمرو بن مرة، أن النبى ﷺ مرّ بقوم يتفكرون فقال لهم: «**تفكّروا فى الخلق، ولا تفكّروا فى الخالق**»[3].

٩٢١ ـ وروى هشام بن عروة، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنّ الشّيطانَ يأتى أحدكم، فيقول: من خلق السموات؟ فيقول: الله تعالى. فيقول: من خلق الأرض؟ فيقول: الله تعالى. فيقول: من خلق الله؟ فإذا أحس أحدكم من ذلك شيئاً، فليقل آمنت بالله وبرسوله**»[4].

٩٢٢ـ وروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**تفكُّر ساعة أفضلُ من عبادة سنة**»[5].

قال الفقيه: إذا أراد الإنسان أن ينال فضل التفكر، فليتفكر فى خمسة أشياء:

أولها: فى الآيات والعلامات.

والثانى: فى الآلاء والنعماء.

والثالث: فى ثوابه.

والرابع: فى عقابه.

والخامس: فى إحسانه إليه، وجفائه له.

فأما التفكر فى الآيات والعلامات فأن ينظر فى قدرة الله تعالى، فيما خلق الله تعالى من السموات والأرض، وطلوع الشمس من مشرقها، وغروبها من مغربها، واختلاف الليل والنهار، وفى خلق نفسه، كما قال الله تعالى: ﴿**وَفِى الأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ. وفى أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ**﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]. فإذا تفكر العبد فى

---

(١) فيه ضعف* ابن المبارك فى «الزهد» (٩٤٩) فيه انقطاع بين مكحول وأبى الدرداء.

(٢) حسن مرفوع* المروزى فى «زوائد زهد ابن المبارك» (٩٦٨) وعنه ابن ماجه (٢٣٧) وغيره عن أنس مرفوعاً. وله طرق مخرجة فى «الصحيحة» (١٣٣٢) وتخريج «السنة» (٢٩٦ـ ٢٩٩) للألبانى.

(٣) حسن* أبو نعيم فى «الحلية» (٦٦ ،ـ٦٧) عن ابن سلام. وله شواهد مخرحة فى الصحيحة (١٧٨٨).

(٤) صحيح* مسلم(١٣٤) وأبوداود(٤١٢١) وأحمد(٢/ ٣٣١)عن أبى هريرة. وانظر: الصحيحة(١١٦، ١١٧).

(٥) سبق تخريجه برقم (١/م).

الآيات والعلامات يزيد به يقيناً ومعرفة.

وأما التفكر فى الآلاء والنعماء فأن ينظر إلى نعم الله تعالى.

وسُئِل بعض الحكماء عن الفرق بين الآلاء والنعماء، فقال: كلّ ما ظهر من النعم فهو الآلاء وما بطن فهو النعماء. ومثال ذلك أن اليدين آلاؤه، وقوة اليدين نعماؤه، والوجه آلاؤه وحسن الوجه والجمال نعماؤه، والفم آلاؤه، وطعم الطعام نعماؤه، والرجلان آلاؤه والمشى نعماؤه، فإذا كان للعبد رجلان، ولم يكن له قوة المشى، فقد أُعطى الآلاء ولم يعط النعماء. والعروق والعظام آلاؤه، وصحتها وسكونها نعماؤه.

وقال بعضهم: الآلاء: إيصال النعمة، والنعماء: دفع البلية.

وقال بعضهم على ضدّ هذا.

ويقال: الآلاء والنعماء واحد، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤] فإذا تفكّر الإنسان فى الآلاء والنعماء يزيد فى المحبة.

وأما التفكّر فى ثوابه، فهو أن يتفكّر فى ثواب ما أعد الله لأوليائه فى الجنة من الكرامات، فإن التفكير فى ثوابه؛ يزيد رغبة فيها، واجتهاداً فى طلبها، وقوة على طاعة ربه.

وأما التفكّر فى عقابه: فهو أن يتفكر فيما أعد الله لأعدائه فى النار من الهوان والعقوبة والنكال، فإن التفكر فى ذلك يزيده رهبة عنه، ويكون له قوة على الامتناع من المعاصى.

وأما التفكّر فى إحسانه إليه: فهو أن يتفكر فى إحسان الله تعالى، وهو ما ستر عليه من ذنوبه، ولم يعاقبه بها، ودعاه إلى التوبة، وينظر فى جفاء نفسه كيف ترك أوامره وارتكب معاصيه؟ فإن التفكر فى ذلك يزيد الحياء والخجل.

فإذا تفكر فى هذه الخمسة أشياء، فهو من الذين:

٩٢٣ـ قال فيهم النبى ﷺ: «**تفكّر ساعة خير من عبادة سنة**»(١).

ولا يتفكّر فيما سوى ذلك، فإنّ التفكّر فيما سوى ذلك وسوسة.

وقال بعض الحكماء: لا تتفكّر فى ثلاثة أشياء: لا تتفكّر فى الفقر فيكثر همّك وغمّك، ويزيد فى حرصك، ولا تتفكّر فى ظلم مَن ظلمك، فيغلظ قلبك، ويكثر حقدك ويدوم غيظك. ولا تتفكّر فى طول البقاء فى الدنيا، فتحب الجمع، وتضيع

(١) سبق تخريجة برقم (١/ م،٩٢٢، ٩٢٣).

العمر، وتسوّف في العمل.

ويقال: أصل الورع: أن يتعاهدَ المرء قلبه لكيلا يتفكّر فيما لا يعنيه، فكلّما ذهب قلبه إلا ما لا يعنيه عالجه حتى يرده إلى ما يعنيه، وهو أشد الجهاد وأفضله، وأشغله لصاحبه، فمن لا يفعل ذلك في غير الصلاة يوشك أن لا يملك ذلك في الصلاة.

وقال بعض الحكماء: تمام العبادة في صدْق النية، وتمام صلاح العمل في التواضع، وتمام هذين بالزّهد في الدنيا، وتمام هذه كلها بالهمّ والحزن في أمر الآخرة، وتمام الهم والحزن ملازمة ذكر الموت بقلبك، وكثرة التفكر في ذنوبك.

ويقال: أخلاق الأبدال عشرة أشياء: سلامة الصدر، وسخاوة في المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصّبر في الشدّة، والبكاء في الخلوة، والنصيحة للخلق، والرحمة للمؤمنين، والتفكر في الفناء، والعبرة من الأشياء.

وقال مكحول الشامي ـ رحمه الله تعالى ـ: مَن أوى إلى فراشه ينبغي أن يتفكّر فيما صنع في يومه ذلك، فإن كان عمل فيه خيراً يحمد الله تعالى على ذلك، وإن عمل ذنباً استغفر الله، ورجع عن قريب، فإن لم يفعل كان كمثل التاجر الذى ينفق، ولا يحسب حتى يفلس ولا يشعر.

وقال بعض الحكماء: الحكمة تهيج من أربعة أشياء:

أولها: بدن فارغ من أشغال الدنيا.

والثاني: بطن خال من طعام الدنيا.

والثالث: يد خالية من عروض الدنيا.

والرابع: التفكّر في عاقبة الدنيا؛ يعني في عاقبة أمره، فإنه لا يدرى كيف تكون عاقبته، ولايدرى أنّ أعماله تتقبّل منه أم لا، فإنّ الله تعالى لا يتقبّل من الأعمال إلا الطّيّب.

٩٢٤ ـ قال الفقيه: وسمعت جماعة من العلماء رفعوا الحديث إلى خالد بن معدان، قال: قلت لمعاذ بن جبل. حدّثني بحديث سمعته عن رسول الله ﷺ ثم حفظته وذكرته كل يوم من رقّة ما حدّثك به، فبكى معاذ ـ رضى الله تعالى عنه ـ حتى قلت إنه لا يسكت، ثم سكت، ثم قال: فداك أبي وأمي يا رسول الله، حَدَّثني ـ وأنا رديفه ـ إذ رفع بصره إلى السماء، فقال: «**الحمد لله الذى يقضى في خلقه بما أحبّ**». ثم قال: «**يا معاذ**»، قلت: لبيك يارسول الله، ياسيّد المرسلين. ثم قال: «**يا معاذ**»

قلت: لبيك يا رسول الله إمام الخير، ونبى الرحمة. فقال: «أحدثك حديثاً ما حدث به نبى أمته، إن حفظته نفعك، وإن سمعته ولم تحفظه أنقطعت حجتك عند الله».

ثم قال: «إن الله تعالى خلق سبعة أملاك قبل أن يخلقَ السموات، لكل سماء ملك، وجعل لكل باب منها بواباً فتكتب الحفظة عمل العبد من حين يصبح حتى يمسى، ثم يرفع وله نور كنور الشمس، حتى إذا بلغ سماء الدنيا فيزكيه، ويكثره، فيقول الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، وقل له: لا غفر الله لك، أنا صاحب الغيبة، وهو يغتاب المسلمين، لا أدع عمله أن يجاوزنى إلى غيرى.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد، وله نور وضوء يضىء حتى يُنتهى به إلى السماء النانية، فيقول الملك: قف، واضرب بهذا العمل وجه صاحبه، وقل له: لا غفرَ الله لك، إنه آراد بهذا العمل عرض الدنيا، وأنا صاحب عمل الدنيا، لا أدع عمله أن يجاوزنى إلى غيرى.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به بصدقة وصلاة كثيرة، فتعجب الحفظة، فيتجاوزون إلى السماء الثالثة، فيقول الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، وقل له: لا غفر الله لك، أنا ملك صاحب الكبر، إنه عمل وتكبر على الناس فى مجالسهم فقد أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد وهو يزهو كما تزهو النجوم بتسبيح وصوم، فيمر به إلى السماء الرابعة، فيقول له الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، وقل له: لا غفر الله لك، أنا ملك صاحب العجب بنفسه، إنه من عمل عملاً، وأدخل فيه العجب، فقد أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى، فيضرب بالعمل وجهه، فيلعنه ثلاثة أيام.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد مع الملائكة كالعروس المزفوفة إلى أهلها، فتمر به إلى ملك السماء الخامسة بالجهاد والصلاة بين الصلاتين، فيقول الملك: قف، أضرب بهذا العمل وجه صاحبه، واحمله على عاتقه، إنه كان يحسد من يتعلم ويعمل لله، فهو يحسدهم ويقع فيهم فيحمله على عاتقه، ويلعنه عمله ما دام هو فى الحياة.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد بوضوء تام، وقيام ليل وصلاة كثيرة، فيمر به إلى السماء السادسة، فيقول الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، أنا ملك صاحب الرحمة، إن صاحبك لم يرحم شيئاً، فإذا أصاب عبد من عباد الله ذنباً أو ضراً شمت به، وقد أمرنى ربى أن لا يجاوزنى عمله إلى غيرى.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد بصدق واجتهاد وورع له ضوء كضوء البرق،

فتمرّ به إلى ملك السماء السابعة، فيقول الملك: قف، اضرب بهذا العمل وجه صاحبه، وأقفل عليه قلبه، أنا ملك الحجاب، أحجب كل عمل ليس لله تعالى، وإنه أراد به الرفعة، وذكراً فى المجالس، وصوتاً فى المدائن، وقد أمرنى ربى أن لا أدع عمله يجاوزنى إلى غيرى.

قال: وتصعد الحفظة بعمل العبد مبتهجاً به من خلق حسن وصمت وذكر كثير، وتشيعه ملائكة السماوات حتى ينتهوا إلى تحت العرش، فيشهدون له، فيقول الله تعالى: أنتم الحفظة على عمل عبدى، وأنا الرقيب على ما فى نفسه، إنه لم يرد بهذا العمل وجهى. فعليه لعنتى، فتقول الملائكة كلهم: عليه لعنتك ولعنتنا، وتقول أهل السماء: عليه لعنة الله ولعنة سبع سماوات وأرضين ولعنتنا».

ثم بكى معاذ ـ رضى الله تعالى عنه ـ وقال: قلت ما أعمل يا رسول الله؟ قال: **«اقتد بنبيك يا معاذ، وعليك باليقين، وإن كان فى عملك تقصير، واقطع لسانك عن إخوانك، ولتكن ذنوبك عليك ولا تحملها على إخوانك، ولا تزكّ نفسك بتذميم إخوانك، ولا ترفع نفسك بوضع إخوانك، ولا تراء بعملك الناس»**(١).

***

باب علامات السّاعة

٩٢٥ ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو القاسم عمر بن محمد، حدثنا أبو بكر الواسطى، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا محمد ابن الفضل الضبى، عن عبد الله بن الوليد، عن مكحول، عن حذيفة بن اليمان رضى الله تعالى عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يارسول الله، متى الساعة؟ قال:

«ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها أشراط: تقارب الأسواق؛ يعنى **كسادها، ومطر ولا نبات، وتفشو العينة؛ يعنى أكل الربا، وتظهر أولاد البغية؛ يعنى أولاد الزنا، ويعظم رب المال، وتعلو أصوات الفسقة فى المساجد، ويظهر أهل المنكر على أهل الحق»**. قال: وكيف تأمرنى يا رسول الله؟ قال ﷺ: **«فرّ بدينك، أو كُنْ حلساً من أحلاس بيتك»**(٢).

---

(١) موضوع* أشار المنذرى فى «ترغيبه» (١/ ٣٧ ـ٣٩) إلى بعض طرقه ثم قال: وبالجملة فآثار الوضع ظاهرة عليه فى جميع طرقه وبجميع ألفاظه. وانظر «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٨٧) واللآلئ المصنوعة (٢/ ١٧٩) والموضوعات (٢/ ١٥٧) لابن الجوزى.

(٢) ضعيف* فيه انقطاع بين مكحول وحذيفة. وله (شاهد ضعيف) رواه الترمذى (٢٢١٠) عن على، وفيه (الفرج بن فضالة) ضعيف. ، (٢٢١١) عن أبى هريرة وفيه (رميح) مجهول.

٩٢٦ ـ قال: حدثنا عمر بن محمد، حدثنا أبو بكر الواسطى، حدثنا إبراهيم، حدثنا عيسى بن أبى عيسى الأصفهانى رفعه قيل: يارسول الله، متى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن أشراط الساعة عشرة: يقرب فيها الماحل، ويظهر فيها الفاجر، ويعجز فيها المنصف، تكون الصلاة منّاً، والزكاة مغرماً، والأمانات مغنماً، واستطالة القراء، وعند ذلك تكون إمارة الصبيان، وسلطان المساء، ومشورة الإماء**»[(١)].

٩٢٧ ـ قال: حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا أبو بكر، حدثنا إبراهيم، حدثنا جعفر بن عوف، عن أبى حيان التيمى، عن أبى زرعة، عن عمرو؛ قال: جلس إلى مروان ثلاثة نفر بالمدينة فسمعوه يحدث عن الآيات؛ أولها: خروج الدجال، فقام النفر من عند مروان، فجلسوا إلى عبد الله بن عمر، فحدثوه بما قال مروان، فقال عبد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنّ أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، أو الدابة إحداهما قريبة على أثر الأخرى**».

ثم أنشأ يحدّث، قال: وذلك أن الشمس إذا غربت أتت تحت العرش، فسجدت فاستأذنت فى الرجوع، فيؤذن لها حتى إذا أراد الله أن تطلع من مغربها أتت تحت العرش، فسجدت، فاستأذنت فى الرجوع، فلا يرد عليها شىء.

ثم تعود وتستأذن فلا يرد لها بشىء، وعلمت أنه لو أذن لها لم تدرك المشرق، قالت: رب، ما أبعد المشرق، فمن لى بالناس! حتى إذا كان الليل كالطوق أتت، فاستأذنت، قيل لها: أطلعى من مكانك، ثم قرأ عبد الله: ﴿**يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**﴾ [الأنعام: ١٥٨][(٢)].

٩٢٨ ـ وعن عبيد بن عمير أن النبى ﷺ قال: «**ليصحبن الدجالَ أقوامٌ يقولون إنا نعلم أنه كاذب، ولكنا نصحبه لنأكلَ من الطعام، ونرى من الشجر، فإذا نزل غضب الله نزل فيهم كلّهم**»[(٣)].

٩٢٩ ـ وعن الحسن، عن سمرة بن جندب أن النبى ﷺ قال: «**إن الدجال خارج وهو أعور عين الشمال، وإنه يبرئ الأكمه والأبرص، ويحيى الموتى، فيقول للناس: أنا ربكم، فمن قال: أنت ربى فقد فتن، ومن قال: ربى الله حتى يموت على**

---

(١) انظر ما قبله (٢) **صحيح**: مسلم (٤/ ٢٩٤١) بنحوه مختصراً.

(٣) **ضعيف**: نعيم بن حماد فى «الفتن» عن عبيد الله بن عمير مرسلاً كما فى «الكنز» (٧ ٣٨٨).

ذلك ـ فقد عصنم من فتنته فيلبث فى الأرض ما شاء الله أن يلبث، ثم يجيء عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ من قبل المغرب مصدقاً بمحمد ﷺ فيقتل الدجال، ثم قال: إنما هى قيام الساعة»[1].

وروى سعيد عن قتادة، عن العلاء بن زياد العدوى، عن عبد الله بن عمر قال: لا تقوم الساعة حتى يجتمع أهل البيت على الإناء الواحد، وهم يعلمون كافرهم ومؤمنهم. قيل: وكيف ذلك؟ قال: تخرج الدابة، وهى دابة الأرض، فتمسح كل إنسان على مسجده، فأما المؤمن فتكون نكتته بيضاء، فتفشو فى وجهه حتى يبيض لها وجهه، وأما الكافر فتكون نكتته سوداء فتفشو فى وجهه حتى اسودّ لها وجهه، حتى يتبايعوا فى أسواقهم، فيقولون: كيف تبيع هذا يا مؤمن؟ وكيف تأخذ هذا يا كافر؟ فما يردّ بعضهم على بعض.

وعن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ أنه قال: إن الدابة ذات زغب وريش، لها أربع قوائم، تخرج من بعض أودية تهامة.

وعن ابن عمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ فى قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] قال: الذين لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر.

٩٣٠ ـ وروى أبو هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ـ ﷺ ـ أنه قال: «لا تقوم السّاعةُ حتى تطلع الشّمسُ من مغربها، فإذا طلعت الشّمسُ من مغربها آمن الناس كلّهم أجمعون، ويومئذ ﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِى إِيمَانِهَا خَيْراً﴾ [الأنعام: ١٥٨]»[2].

٩٣١ ـ وعن أبى أوفى ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «ستأتى عليكم ليلةٌ مثل ثلاث ليال من لياليكم هذه، فإذا كانت تلك الليلة عرفها المتهجدون، فيقوم الرجل، فيقرأ وِرده، ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ ورده، ثم ينام، ثم يقوم فيقرأ ورده فبينما هم كذلك إذ ماج الناس بعضهم فى بعض، فيقولون: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد، فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها، فتجيء حتى إذا توسطت السماء رجعت فطلعت من مشرقها، فذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾

---

(١) صحيح: أحمد (٥/ ١٣) عن سمرة. انظر: صحيح الجامع (١٦٠٦).

(٢) متفق عليه: البخارى (٨/ ٤٦٣٥، ٤٦٣٦) ومسلم (١٥٧).

[الأنعام: ١٥٨]»[(١)]. الآية.

٩٣٢ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «الأنبياء إخوة لعلات أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وأنا أولاهم بعيسى ابن مريم، إنه لم يكن بينى وبينه نبى[(٢)]، وإنه خليفتى فى أمتى، وإنه نازل، فيقتل الخنزير، ويكسر الصليب، ويضعُ الجزية، وتضع الحربُ أوزارها، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما مُلئت جوراً وظلماً، حتى يرعى الأسد مع الإبل، والنمر مع البقر، والذئب مع الغنم، وحتى يلعب الصبيان بالحيّات».

وعن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه قال: ينزل عيسى ابن مريم ـ عليه السلام ـ فإذا رآه الدجال اللعين ذاب كما يذوب الشحم، فيقتل الدجال، وتتفرق عنه اليهود فيقتلون، حتى إن الحجر ليقول: ياعبد الله المسلم، هذا يهودى؛ تعال فاقتله.

٩٣٣ ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «**إنّ يأجوج ومأجوج يحفرون الرّدم كل يوم، حتى إذا كادوا أن يروا شعاعَ الشمس قال الذى عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً، فيعيده الله كما كان، حتى إذا بلغت مدتهم حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس، قال الذى عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غداً إن شاء الله، فيعودون إليه وهو كهيئته التى تركوها بالأمس، فيحفرونه، فيخرجون على الناس فينشفون المياه، ويتحصّن الناس فى حصونهم منهم، فيبعث الله عليهم نغفاً فى أعناقهم، فيهلكهم الله بها**»[(٣)].

وعن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: ليحجّن البيت، وليغرسنّ الشجر بعد خروج يأجوج ومأجوج.

وعن عبد الله بن سلام ـ رضى الله تعالى عنه ـ ما مات الرجل من يأجوج ومأجوج إلا ترك له ألف ذرية فصاعداً من صلبه.

٩٣٤ ـ وعن الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه قال: بلغنى أن النبى ﷺ قال: «**إنّ بين يدى الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يموتُ فيها قلبُ الرجل كما يموتُ**

---

(١) **ضعيف**: ساقه ابن كثير فى «تفسيره» (٢/ ١٨٥) من طريق ابن مردوية بإسناد منقطع عن عبد الله بن أبى أوفى. فيه (ضرار بن صرد) صدوق له أوهام، (سليمان بن يريد) ضعيف.

(٢) **متفق عليه**: البخارى (٦/ ٣٤٤٢، ٣٤٤٣) ومسلم (٤/ ٢٣٦٥). وآخره عند مسلم (١٥٥) بنحوه.

(٣) **صحيح**: أحمد (٢/ ٥١٠، ٥١١) والترمذى (٥١٥٣) وابن ماجه (٤٠٨٠) وابن حبان (١٩٠٨) وصححه الحاكم (٤/ ٤٨٨) ولم يتعقبه الذهبى. وهو كما قال.

بدنه، ويصبحُ الرّجلُ فيها مؤمناً، ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً، ويصبح كافراً، يبيعُ فيها أقوامٌ دينهم بعرض من الدنيا قليل»(١).

٩٣٥ ـ وروى العلاء، عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه، عن النبى ﷺ أنه قال: «**بادروا بالأعمال قبل أن تظهر أشراط ست: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، وخاصة أحدكم ـ يعنى الموت ـ وأمر العامة ـ يعنى يوم القيامة ـ**»(٢).

٩٣٦ ـ وعن عبد الرحمن بن سابط أن النبى ﷺ قال: «**إنه سيكون فيكم الخسف، والمسخ، القذف**». قالوا: يا رسول الله، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله، قال: «**نعم، إذا ظهرت فيهم الأربع: القينات، والمعازف، والخمور، والحرير**»(٣).

وعن أبى بن كعب رضى الله تعالى عنه فى قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ**﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال: هى خلال أربع، وهن واقعات لا محالة، فمضت ثنتان بعد وفاة رسول الله ﷺ بخمس وعشرين سنة، فألبسوا شيعاً، يعنى الأهواء المختلفة، وذاق بعضهم بأس بعض، وثنتان واقعتان لا محالة: الخسف، والرجف.

٩٣٧ ـ وروى أنه لما نزلت هذه الآية، دعا النبى ﷺ فعفا عن اثنين: الخسف والمسخ، وبقى اثنان(٤).

وروى الأعمش، عن أبى الضحى، عن مسروق قال: بينما رجل يحدث فى المسجد قال: إذا كان يوم القيامة نزل دخان من السماء، فأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، وأخذ المؤمنين كهيئة الزكام. قال مسروق: فدخلت على عبد الله بن مسعود رضى الله تعالى عنه فذكرت ذلك له، وكان متكئاً، فاستوى قاعداً، ثم قال: أيها الناس، من كان منكم عنده علم فسئل عنه فليقله، ومن لم يكن عنده فليقل: الله أعلم. إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿**قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ**﴾ [ص: ٨٦].

٩٣٨ ـ وذلك أن قريشاً لما كذبوا رسول الله ﷺ قال: «**اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم أعنى بسبع كسبع يوسف، اللهم سنيناً كسنى يوسف**» فأخذتهم السنة، فأكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة

(١) **صحيح*** مسلم (١١٨) والترمذى (٢١٩٥) وأحمد (٢/ ٣٠٤، ٥٢٣) عن أبى هريرة بنحوه.

(٢) **صحيح*** مسلم (٤/ ٢٩٤٧) وأحمد (٢/ ٣٣٧، ٣٧٢، ٤٠٧، ٥١١).

(٣) **صحيح*** الطبرانى فى «الكبير» عن سهل بن سعد. انظر: صحيح الجامع (٣٦٦٥).

(٤) ساق الحافظ ابن كثير فى «تفسيره» (٢/ ١٣٣ ـ ١٣٦) لهذه الآية عدة روايات.

الدخان من الجوع، فذلك قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠]»(١).

قال: حدثنى أبى - رحمه الله تعالى - حدثنا أبو عبد الرحمن، عن أبى الليث، حدثنا أبو بكر بن يحيى عن حفص، عن عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبى، عن مالك عن نافع، عن ابن عمر - رضى الله تعالى عنهما - قال: كتب عمر - رضى الله تعالى عنه - إلى سعد بن أبى وقاص وهو بالقادسية: أَنْ وجه نضلة بن معاوية إلى حُلْوان، فوجّه سعد نضلة فى ثلاثمائة فارس، فخرجوا حتى أتوا حلوان، فأغاروا على نواحيها، وأصابوا غنيمة وسبياً، فرجعوا، فجعلوا يسوقون الغنيمة والسبى، حتى نزلوا سفح جبل، ثم قام نضلة، فأذّن للصلاة، وقال: الله أكبر، الله أكبر، فإذا مجيب من الجبل يجيبه: كبرت كبيراً يا نضلة، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال: كلمة الإخلاص يا نضلة، ثم قال: أشهد أن محمداً رسول الله. قال: هو الذى بشرنا به عيسى - عليه السلام - ثم قال: حى على الصلاة، قال: طوبى لمن مشى إليها، وواظب غليها، ثم قال: حى على الفلاح. قال: أفلح من أجاب محمداً ﷺ وهو البقاء لأمة محمد ﷺ ثم قال: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله. قال: أخلصت إخلاصاً يا نضلة، فحرم الله بها جسدك على النار.

فلما فرغ من أذانه قال: من أنت رحمك الله؟ أملك أنت؟ أم ساكن من الجن، أم طائف من عباد الله؟ أسمعتنا صوتك، فأرنا صورتك، فإنا وفد الله عز وجل، ووفد رسول الله ﷺ ووفد عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - فإذا شيخ له هامة كالرحا، أبيض الرأس واللحية، عليه طمران من صوف، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقلنا: وعليك السلام والرحمة، من أنت رحمك الله؟ قال: أنا زرنب بن برثلا، وصىّ العبد الصالح عيسى ابن مريم - عليه الصلاة والسلام - أسكننى هذا الجبل، ودعا لى بطول البقاء إلى وقت نزوله من السماء، فأما إذا فاتنى لقاء محمد ﷺ فأقرؤوا عمر منى السلام، وقولوا له: يا عمر سدد وقارب، فقد دنا الأمر، وأخبروه بهذه الخصال التى أخبركم بها، إذا ظهرت فى أمة محمد ﷺ فالهرب الهرب، إذا استغنى الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، وانتسبوا إلى غير مناسبهم. ولم يرحم كبيرهم صغيرهم، ولم يوقر صغيرهم كبيرهم، وتركوا الأمر بالمعروف، فلم يأمروا به، وتركوا النهى عن المنكر، فلم ينهوا عنه، ويتعلم عالمهم

---

(١) متفق عليه: البخارى (١١/٦٣٩٣) ومسلم (٦٧٥) عن أبى هريرة. والبخارى أيضاً (٨/٤٨٢١) عن ابن مسعود. كلاهما بنحوه.

العلم ليجلب به الدنانير والدراهم، وكان المطر قيظاً، يعنى أيام الصيف، والولد غيظاً، يعنى يغيظ والديه، ويفيض اللئام فيضاً، ويغيض الكرام غيضاً، يعنى القليل، وشيدوا البناء، واتبعوا الهوى، وباعوا الدين بالدنيا، واستخفوا بالدماء، وقطعوا الأرحام، وباعوا الحكم، وطولوا المنارات، وفضضوا المصاحف، وزخرفوا المساجد، وأظهروا الرشا، وأكلوا الربا، وصار الغنى عزيزاً، وركب النساء السروج. ثم غاب عنا.

وذكر أن سعداً بعد ذلك فى أربعة آلاف رجل، فنزل هناك أربعين يوماً يؤذن لكل صلاة، فلم يسمع جواباً ولا كلاماً(١).

***

باب أحاديث
أبى ذرّ الغفارى - رضى الله تعالى عنه

٩٣٩ - قال الفقيه أبو جعفر - رحمه الله تعالى -: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد ابن سهل القاضى، حدثنا إبراهيم بن الحسن البصرى، عن أبيه، عن شعبة، عن سعيد، عن الحجاج، عن أبى إسحاق الهمدانى، عن الحرث الأعور: أنا أبا ذر - رضى الله عنه - قال: دخلت المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فقلت: ما جلس رسول الله ﷺ إلا لوحى أو لحاجة، فقال: «**ادن منى يا جندب**»، فدنوت منه واستغنمت خلوتى من رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله أمرتنا بالوضوء، فما الوضوء؟ قال: «**يا أبا ذر، لا صلاة إلا بالوضوء، وإن الوضوء ليكفر ما قبله من الذنوب**». فقلت: يا نبى الله آمرتنا بالصلاة، فما الصلاة؟ قال: «**الصلاة خير موضوع، فمن شاء فليقلل، ومن شاء فليكثر**».

فقلت: يا نبى الله أمرتنا بالزكاة، فما الزكاة؟ فقال: «**يا أبا ذر لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا صلاة لمن لا زكاة له، وإن الله تعالى افترض على الأغنياء زكاة أموالهم بقدر ما يستغنى فقراؤهم، وإن الله تعالى سائل الأغنياء عن الزكاة، ومعذبهم عليها. يا أبا ذر، ما انتقص مال من زكاة، ولا ضاع مال من بر أو بحر إلا بمنع الزكاة. يا أبا ذر، لا يعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه إلا مؤمن، ولا يمنع الزكاة إلا مشرك**».

فقلت: يا نبى الله أمرتنا بالصوم، فما الصوم؟ قال: «**الصوم جنة وعند الله الجزاء، وللصائم فرحتان، فرحة حين يفطر، وفرحة حين يلقى ربه، وخلوف فم**

(١) **باطل**: فيه (عبد الرحمن بن إبراهيم الراسبى) قال عنه الذهبى. أتى بخبر باطل طويل وهو المتهم به - ثم ذكر طرف هذا الحديث - ثم قال. ليس بشىء صحيح. (الميزان ٢/ ٥٤٥، ٥٤٦)

الصائم عند الله أطيب من ريح المسك، ويوضع للناس يوم القيامة مائدة، فأول من يأكل منها الصائمون».

فقلت: يا نبى الله أمرتنا بالصبر، فما الصبر؟ فقال: «**إنّ مثل الصبر كمثل رجل معه صرة من مسك، وهو فى عصبة من الناس كلهم يعجبه أن يوجد ريحها منه**».

فقلت: يا نبى الله أمرتنا بالصدقة، فما الصدقة؟ قال: «**بخ بخ يا أبا ذر، الصّدقة فى السر تطفئ غضب الرب، والصدقة فى العلانية تذهب من صاحبها سبعمائة شر، والصدقة تطفئ الخطيئة، وتطفئ غضب النار، وغضب الرب، والصدقة شىء عجيب، والصدقة شىء عجيب، والصدقة شىء عجيب**».فقلت: يا نبى الله، أمرتنا بالرقاب، فأى الرقاب أفضل أن يعتق؟ قال: «**أغلاها ثمناً**». فقلت: يا نبى الله فأى الهجرة أفضل؟ قال: «**أن تهجر السوء**». فقلت: يا نبى الله، فأى الناس أسلم؟ قال: «**من سلم الناس من لسانه ويده**».

فقلت: يا نبى الله، فأى الناس أعجز؟ قال: «**من عجز عن الدعاء**». فقلت: يا نبى الله، فأى الناس أبخل؟ قال: «**من بخل بالسلام**». فقلت: يا نبى الله، فأى المجاهدين أفضل؟ قال: «**من عقر جواده، وأهريق دمه**».

فقلت: يا نبى الله أخبرنى عن صحف إبراهيم ـ عليه السلام ـ، وعن الكتب، متى أنزلت؟ قال: «**أنزلت صحف إبراهيم أول ليلة مضت من شهر رمضان، وأنزل الإنجيل فى اثنى عشر من رمضان، وأنزل الزبور فى ثمانى عشرة مضين من رمضان، وأنزلت التوراة فى ثمان مضين من رمضان، وأنزل الفرقان فى أربع وعشرين مضين من رمضان**».

فقلت: يا نبى الله كم كان الأنبياء، وكم كان المرسلون؟ قال: «**كان الأنبياء مائة ألف نبى، وأربعة وعشرين ألف نبى، وكان المرسلون ثلاثمائة عشر رجلاً، وقد يكون نبياً ولا يكون مرسلاً، وقد يكون نبياً مرسلاً**».

قال: وحدثنا عبد الوهاب بن محمد بإسناده، عن أبى ذر نحو هذا وزاد فيه فقلت: يا نبى الله، فأى وقت الليل أفضل؟ قال: «**جوف الليل الغابر**». قلت: فأى الصلاة أفضل؟ قال: «**طول القنوت**»، قلت: فأى الصدقة أفضل؟ قال: «**جهد من مقل معسر سيق إلى فقير**»، فقلت: من كان أول الأنبياء؟ قال: «**آدم**».

فقلت: يا رسول الله، كان آدم مرسلاً؟ قال: «**نعم، خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه**. قال: **وأربعة من الأنبياء سريانيون آدم وشيث وإدريس ونوح**. ويقال

عيسى ـ عليه السلام ـ، وأربعة من العرب، هود، وصالح، وشعيب، ونبيك ـ عليه الصلاة والسلام يا أبا ذر».

فقلت: وكم كتاباً أنزل الله على أنبيائه؟ قال: «مائة وأربعة كتب، أنزل على شيث ابن آدم خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشر صحائف، وعلى موسى قبل التوراة عشر صحائف، والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان».

فقلت: يا نبي الله أوصني، قال: «عليك بتقوى الله، فإنها رأس أمرك كله». فقلت: يا رسول الله زدني، قال: «عليك بذكر الله وتلاوة القرآن، فإنه نور لك في السماء، وشرف وذكر لك في الأرض، وعليك بالجهاد في سبيل الله تعالى، فإنه رهبانية أمتي، وعليك بالصمت إلا بخير، فإنه مطردة الشيطان عنك، وعون لك على أمر دينك، وإياك والضحك، فإنه يميت القلب ويذهب بنور الوجه»(١).

٩٤٠ ـ قال: وحدثني أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن أبي ذر الغفاري ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: دخلت المسجد، فإذا رسول الله ﷺ جالس وحده، فمرة قلت في نفسي آتيه لأستفيد منه في حال خلوته، ومرة قلت لا أشغله عما هو فيه، فأبيت إلا أن آتيه، فأتيته، وسلمت عليه، وجلست عنده طويلاً، لم يكلمني حتى قلت في نفسي إنه قد شق عليه جلوسي، ثم قال: «يا أبا ذر هل ركعت؟» قلت: لا. قال: «قم فاركع، لكلّ شيء تحية، وتحية المسجد ركعتان»، فقمت وركعت، ثم جلست إليه طويلاً.

ثم قال: «يا أبا ذر إستعذ بالله من الشيطان الرجيم ومن شرّ شياطين الإنس والجن»، فقلت: يا رسول الله، أو من الإنس شياطين؟ قال: «أما تسمع قوله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنّ﴾ [الأنعام: ١١٢] ثم سكت، فلما رأيت أنه لا يكلّمني ولا يحدّثنيَ أفضتُ في الكَلام. فقلت: يا نبي الله، أمرتني بالصلاة فما الصلاة؟ وذكر نحو السؤالات التي ذكرناها.

قال: ثم اجتمع الناس فقال النبي ﷺ: «ألا أنبئكم بأبخل الناس؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «من ذُكِرْتُ عنده فلم يصل عليّ»(٢).

٩٤١ ـ قال: حدثني عبد الوهاب بن محمد الفضلاني بسمرقند بإسناده، عن

(١) ضعيف* فيه (الحارث بن عبد الله الأعور) فيه ضعف. ورواه ابن حبان (٩٤) وأبو نعيم في «الحلية» (١/١٦٦، ١٦٨) من طريق أخرى انظر. الضعيفة (١٩١٠).

(٢) لم أقف على إسناده.

محمد بن إسحاق، عن الزهرى، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن أبيه قال: قال عبد الله بن مسعود - رضى الله تعالى عنه - لما خرج النبى ﷺ إلى غزوة تبوك صحبه رجال من المنافقين، وكان يتخلف عنه الرجل والرجلان فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان. فيقول: **«دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه»**. فقالوا: يا رسول الله تخلف أبو ذر! قال: **«دعوه فإن يك فيه خيرٌ فسيلحقه الله بكم»**.

وكان أبو ذر تخلّف لأنه أبطأ به بعيره فتلوم بعيره، فلما أبطأ عليه أخذ متاعه فحمله على ظهره، ثم رجع يتبع أثر رسول الله ﷺ ماشياً حاملاً على ظهره فى شدة الحر وحده، فقالوا: يا رسول الله أقبل إلينا رجل يمشى وحده، فقال رسول الله ﷺ **«ليكن أبا ذر»**. فلما تأمله الناس، قالوا: يا رسول الله، هذا والله أبو ذر - رضى الله تعالى عنه -، فدمعت عينا رسول الله ﷺ وقال: **«رحم الله أبا ذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده»**(١).

٩٤٢ - قال محمد بن إسحاق: ، حدثنا بريدة بن سفيان الأسلمى، عن محمد ابن كعب - رضى الله تعالى عنهم - قال: لما سار أبو ذر - رضى الله تعالى عنه إلى الربذة فى عهد عثمان - رضى الله تعالى عنه - وأصابه بها قدره، ولم يكن معه إلا امرأته وغلامه فأوصى إليهما أن غسلانى وكفنانى، ثم ضعانى على قارعة الطريق فأول ركب يمر عليكم، فقولوا: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه فأقبل ابن مسعود - رضى الله تعالى عنه - وهو يبكى رافعاً صوته، ثم قال: صدق رسول الله ﷺ: **«تمشى وحدك، وتموت وحدك، وتُبعث وحدك»** ثم واروه ومضوا، وهو يحدثهم بما قال رسول الله ﷺ فى مسيره إلى تبوك(٢).

٩٤٣ - وعن إياس بن سلمة، عن أبيه، عن أبى ذر الغفارى - رضى الله تعالى عنه - أن النبى ﷺ قال: **«سيصيبك بعدى بلاء»** قال: قلت: فى الله؟ قال: **«فى الله»** قلت: فمرحباً بأمر الله. قال: **«يا أبا ذر اسمع وأطع، ولو صليت خلف أسود»**.

فلما توفى رسولُ الله ﷺ واستخلف أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - دعاهُ، فحياه وبكى. فقال أبو بكر - رضى الله تعالى عنه -: قد سمعت قول رسول الله ﷺ فيك، فأعوذك بالله أن أكون صاحبك يعنى أعوذ بالله أن يصيبك البلاء بسببى أو فى زمانى. فلما توفى أبو بكر - رضى الله تعالى عنه - وولىَ عمر - رضى الله تعالى عنه

---

(١) **إسناده ضعيف*** فيه علتان. الأولى: تدليس (محمد بن إسحاق) فقد عنعنه. الثانية: الانقطاع بين (عبدالله ابن عتبة وجده ابن مسعود)

(٢) **فيه ضعف*** فيه (بريده بن سفيان الأسلمى) ليس بالقوى، وفيه رفض.

ـ دعاه وأثنى عليه، قال: قد سمعت قول رسول الله ﷺ: فيك، فأعوذ بالله أن أكون صاحبك يعنى أعوذ بالله أن يصيبك البلاء بسببى أو فى زمانى.

فلما توفى عمر ـ رضى الله تعالى عنه ـ وولى عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال عبد الله بن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ كنت قاعداً عند عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ فاستأذن أبو ذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقلت: يا أمير المؤمنين هذا أبو ذر يستأذن قال: ائذن له إن شئت. قال: فأذنت له فدخل حتى جلس، فقال له عثمان: أنت الذى تزعم أنك خير من أبى بكر وعمر ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال: ما قلت هذا، قال: أنا أقيم عليك البينة، قال أبو ذر: نضر الله وجهك، لا أدرى مابينك، وقد عرفت كيف قلت، قال: فكيف قلت إذ قال؟

قلت: قال رسول الله ﷺ: «**إن أحبكم إلىّ وأقربكم منى الذى يأخذ بالعهد الذى تركته عليه حتى يلحقنى، وكلكم قد أصاب من الدنيا غيرى**».

قال عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ: الحق بمعاوية. فأخرجه إلى الشام، فلما قدم إلى الشام أخذ يعلم الناس، فأبكى عيونهم وأحزن صدورهم وكان فيما يقول: لا يبيت أحدكم وفى بيته دينار ولا درهم إلا شىء ينفقه فى سبيل الله، أو يعده لغريم، فأبكى معاوية والناس، فبعث إليه بألف دينار، فأراد أن يخالف قوله فعله، وسريرته علانيته، فأخذ الألف وقسمه كله فلم يبق عنده شىء، فدعا معاوية الرسول فى اليوم الثانى. فقال له: اذهب إلى أبى ذر وقل له إنما أرسلنى بالألف دينار إلى غيرك فأخطأت به إليك، فجاءه الرسول وقال له: أنقذنى من عذاب معاوية، فإنما أرسلنى بالألف إلى غيرك فأخطأت به فدفعته إليك، فقال أبو ذر للرسول: أقرئ معاوية منى السلام، وقل له: ما أصبح عندنا من دنانيرك شىء، فإن أردتها، فأنظرنا ثلاثة أيام نجمعها لك، فلما رأى معاوية أن فعله يصدق قوله كتب إلى عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ إن كان لك بالشام حاجة، فأرسل إلى أبى ذر، واستدعه قال: فكتب عثمان رضى الله عنه أن الحق بى، قال: فقدم أبو ذر ـ رضى الله تعالى عنه ـ وعثمان فى المسجد فأقبل حتى سلم عليه، فرد عليه السلام، وقال: كيف أنت يا أبا ذر؟ قال: بخير، فكيف أنتم؟ ثم خرج عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقام أبو ذر إلى سارية فصلى ركعتين، ثم قعد وجلس إليه الناس، فقالوا له: يا أبا ذر حدثنا عن رسول الله ﷺ.

قال: نعم. حدثنى حبيبى: «**إن فى الإبل صدقة، وفى الزرع صدقة، وفى الدرهم صدقة، وفى الشاة صدقة، ومن بات وفى بيته دينار أو درهم لا يعده لغريمه، أو ينفقه فى سبيل الله فهو كنز يكوى به يوم القيامة**».

قالوا: يا أبا ذر اتق الله وانظر ما تحدث فإن هذه الأموال قد فشت فى الناس. فقال: أما تقرؤون القرآن ﴿وَالذين يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفضَّةَ وَلا يُنْفقُونَهَا فى سَبِيل الله فَبَشِّرْهُمْ بعَذَاب أَليم﴾ [التوبة: ٣٤] فمكث ليلتين أو ثلاثاً، فأرسل إليه عثمان ـ رضى الله تعالى عنه ـ فقال: الحق بالربذة، وهى قرية خربت، فخرج إلى الربذة، فوجدهم يؤمهم أسود، فقيل لأبى ذر تقدم، فأبى وصلى خلف الأسود. وقال صدق الله ورسوله قال لى: «**اسمع وأطع وإن صليت خلف أسود**». ومكث هناك حتى مات ـ رحمه الله تعالى ـ(١).

٩٤٤ ـ وروى عن امرأة أبى ذرّ ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قالت: لما حضر أبا ذر الوفاة بكيت، قال: ما يبكيك؟ قلت: تموت فى فلاة من الأرض، وليس لى ثوب أكفنك فيه. قال: لا تبكى وأبشرى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر كنت أنا فيهم: «**ليموتن رجلٌ منكم فى فلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين**»، وليس من أولئك النفر أحد إلا وقد هلك فى قرية أو جماعة إلا أنا، والله ما كذبت ولا كذبت فأنا ذلك الرجل. فأبصرى الطريق. قالت: فقلت: قد ذهب الحاج، وانقطع الطريق، فكنت أقوم على كثيب، فأنظر إليه، فأرجع فأمرضه.

فبينما أنا كذلك إذا بنفر على رحالهم فألحت إليهم بثوبى، فأسرعوا إلىّ، فقالوا: يا أمة الله، ما لك؟ قلت: رجل من المسلمين يموت، فكفنوه، قالوا: ومن هذا؟ قلت: أبو ذر، قالوا: صاحب رسول الله ﷺ؟ قلت: نعم. ففدوه بآبائهم وأمهاتهم، فأسرعوا حتى دخلوا عليه وسلموا، فرحب بهم، وقال: أبشروا فإنى سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول لنفر، أنا فيهم: «**ليموتن رجل منكم فى فلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين**». وليس من أولئك القوم أحد إلا وقد هلك فى قرية أو جماعة إلا أنا، فأنا ذلك الرجل وأنتم أولئك العصابة، ولو كان لى ثوب يسعنى كفناً أو لامرأتى لم أكفن إلا فى ثوب لى أو لأهلى، وإنى أنشدكم بالله، لا يكفننى رجل منكم كان أميراً أو بريداً أو عريفاً أو نقيباً، ولم يكن فى القوم إلا وقد أصاب ذلك أو بعض ذلك إلا رجل من الأنصار، فقال: يا عم أنا أكفنك، فإنى لم أصب شيئاً مما ذكرت، أكفنك فى ردائى هذا أو فى ثوبين، أو فى عباءتين من غزل أمى. قال: أنت تكفننى، فمات، فكفنه الأنصارى فى النفر الذين شهدوه، وكلهم من أهل الدين، فرجعوا مسرورين بما سمعوا منه(٢).

---

(١) رواه أبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٦٢). وانظر. مجمع الزوائد (٩/ ٣٢٧).
(٢) رواه أحمد (٥/ ١٥٥، ١٦٦) وابن حبان (٦٦٣٥). وانظر. المجمع (٩/ ٣٣٢)

باب الاجتهاد فى الطاعة

٩٤٥ ـ قال الفقيه: حدثنا الفقيه أبو جعفر، حدثنا على بن أحمد، حدثنا عبدالله ابن سلمة، حدثنا ابن أبى شيبة، حدثنا غندر، عن شعبة، عن الحكم، عن عروة بن الزبير، عن معاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**ألا أدلّكم على أبواب الخير؟**» قلت: نعم، قال: «**الصوم جُنّة، والصدقة برهان، وقيام العبد فى جوف الليل يطفئ كل خطيئة**»[١].

٩٤٦ـ قال الفقيه رحمه الله تعالى: حدثنا الفقيه أبو جعفر على بن أحمد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا مؤمل بن إسماعيل، حدثنا حماد بن زيد، عن واصل بن يسار، عن الوليد بن عبد الرحمن، عن الحرث، عن أبى عبيدة رضى الله تعالى عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الصوم جُنّة ما لم يخرقها**»[٢]يعنى ما لم يخرقها بالغيبة.

قال الفقية أبو جعفر: حدثنا على بن أحمد، حدثنا عيسى بن أحمد رفعه إلى الحسن رحمهم الله تعالى قال: أربع من زاد الآخرة: الصوم صحه النفس، والصدقة ستر ما بينه وبين النار، والصلاة تقرب العبد إلى ربه، والدموع تمحو الخطيئة.

قال الفقيه ـ رضى الله تعالى عنه ـ: يقال: أصل الطاعة ثلاثة أشياء: الخوف، والرجاء، والحب، فعلامة الخوف ترك المحارم، وعلامة الرجاء الرغبة فى الطاعة، وعلامة الحب الشوق والإنابة. وأصل المعصية ثلاثة أشياء: الكبر، والحرص، والحسد، فأما الكبر فقد ظهر من إبليس حيث أمره بالسجود فاستكبر حتى صار ملعوناً. وأما الحرص فقد ظهر على آدم ـ عليه السلام ـ حيث تناول من الشجرة لكى يخلد فى الجنة، فأخرج منها، وأما الحسد فقد ظهر على ابن آدم قابيل فقتل أخاه حتى أدخل النار. فالواجب على كل أحد أن يجتنب عن المعاصى، ويجتهد فى الطاعة، ويخلص فى طاعته لوجه الله تعالى.

٩٤٧ ـ فقد روى عن النبى ﷺ أنه قال: «**من أخلص العبادة لله تعالى أربعين**

---

(١) **صحيح بطرقه*** أحمد (٥/ ٢٣١، ٢٣٦، ٢٤٥) والترمذى (٢٦١٦) وابن ماجه (٣٩٧٣) والبغوى فى «شرح السنة» (١١) وصححه الحاكم (٢/ ٤١٣) ولم يتعقبه الذهبى.

(٢) **حسن لغيره*** فيه (الحارث) وقد توبع. رواه النسائى (٤/ ١٦٧) والبيهقى فى «السنن» (٤/ ٢٧٠) وفى «الشعب» (٣٥٧٢، ٣٦٤) والطيالسى (٢٢٧).

يوماً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(١).

ويقال: ثلاثة يزرعون لأنفسهم فى القلوب المقت، ويوجبون السخط، ويهدمون ما يبنون:

أحدهم: المشتغل بعيوب الناس.

والثانى: المعجب بنفسه.

والثالث: المرائى بعمله.

وثلاثة أصناف يزرعون المحبة فى القلوب،ويرثون العافية والمنزلة فى أهل السماء:

أحدهم: صاحب الخلق الحسن.

والثانى: المخلص بعمله.

والثالث: المتواضع.

وروى عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: حاسِبُوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، فإنه أيسر وأهون لحسابكم، وزنُوا أنفسكم قبل أن توزنوا، وتجهّزوا للعرض الأكبر، ﴿**يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ**﴾.[الحاقة: ١٨].

وروى عن يحيى بن معاذ رضى الله تعالى عنه أنه قال: الناس ثلاثة أصناف: رجل يشغله معاده عن معاشه، ورجل يشغله معاشه عن معاده، ورجل مشتغل بهما جميعاً، فالأول درجة الفائزين العائدين، والثانى درجة الهالكين، والثالث درجة المخاطرين.

وذُكِر عن حاتم الزاهد قال: أربعة لا يعرف قدرها إلا أربعة: قدر الشباب لا يعرف قدره إلا الشيوخ، ولا يعرف قدر العافية إلا أهل البلاء، ولا قدر الصحة إلا المرضى، ولا قدر الحياة إلا الموتى.

٩٤٨ ـ قال الفقيه: وهذا مستخرج من خبر رسول الله ﷺ: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**»(٢).

فينبغى للإنسان أن يعرف قدر حياته، ويغتنم كل ساعة تأتى عليه، ويقول: كيف يكون حالى فى ساعة أخرى؟ ويتفكّر فى ندامة الموتى، وإنهم يتمنّون الحياة مقدار

---

(١) **لا يصح مرفوعاً*** أبو نعيم فى «الحلية» (٥/ ١٨٩) وعنه ابن الجوزى فى «الموضوعات» (٣/ ١٤٥) وتعقبه السيوطى فى «اللآلئ» (٢/ ١٧٦) وانظر. الضعيفة (٣٨)

(٢) **صحيح*** أبو نعيم فى «الحلية» (٤/ ١٤٨) والبيهقى فى «الشعب» (١٠٢٤٨) وصححه الحاكم (٤/ ٣٠٦) ولم يتعقبه الذهبى. وانظر. صحيح الجامع (١٠٧٧).

ركعتين أو مقدار قول: لا إله إلا الله، وإنك قد نلتها فاجتهد فى عبادة الله تعالى قبل أن يأتيك وقت الندامة والحسرة.

وقيل لحاتم ـ رضى الله تعالى عنه ـ: علام بنيتَ عملك؟ قال: على أربع:

أحدها: أن علمت أنّ لى رزقاً لا يجاوزنى إلى غيرى كما لا يجاوز رزق أحد إلى، فوثقت به.

والثانى: علمت أنّ علىَّ فرضاً لا يؤديه غيرى، فأنا مشغول به.

والثالث: علمت أنّ ربى يرانى كل وقت فأستحى منه.

والرابع: علمت أنّ لى أجلا يبادرنى فأنا أبادره.

قال الفقيه: المبادرة إلى الأجل الاستعداد بالأعمال الصالحة، والامتناع عما نهى الله، والتضرّع إلى الله تعالى لكى يثبته على ذلك، ويجعل عاقبته فى خير.

وقال بعض الحكماء: لا يجدُ الرجل حلاوةَ العبادة حتى يدخل فى العمل بالنية والمنّة، يعمله بالخشية، ويسلمه بالإخلاص؛ لأنه إذا دخل فيه بالنية فيعلم أنّ الله تعالى قد وفّقه لذلك العمل، ولله عليه المنة فيدخل فيه بالشكر، فكان له من الله الزيادة لأن الله تعالى قال: ﴿**لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ**﴾ [إبراهيم: ٧] وإذا عمله بالخشية وجب ثوابه على الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الله لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين**﴾ [التوبة: ١٢٠]. والثواب فى الدنيا هو الحلاوة فى الطاعة وفى الآخرة الجنة، وإذا سلمه بالإخلاص تقبّله الله منه.

وعلامة القبول أن يوفّقه لطاعة هى أرفع منها.

ويقال: علامة الاغترار فى ثلاثة أشياء: أن يجمع ما لا يخلفه، والثانى: زيادة ذنوب تهلكه، والثالث: ترك عمل ينجيه.

وعلامة المنيب، يعنى المقبل إلى الله تعالى ثلاث خصال:

أولها: أن يجعل قلبه للتفكر.

والثانى: أن يجعل لسانه للذكر.

والثالث: أن يجعل بدنه للخدمة.

ويقال: للمخادع نفسه ثلاث علامات:

أحدها: أن يبادر إلى الشهوات ويأمن الزلل.

والثانى: يسوف التوبة بطول الأمل.

والثالث: يرجو الآخرة بغير عمل.

قال بعض الحكماء: من ادّعى ثلاثاً بغير ثلاث فاعلمْ أنّ الشيطانَ يسخر منه:

أولها: من ادّعى حلاوةَ ذِكْر الله مع حبّ الدنيا.

والثانى: من ادّعى رضا خالقه من غير سخط نفسه.

والثالث: من ادّعى الإخلاص مع حبّ ثناء المخلوقين.

وعن أبى نضرة قال: أربع من كن فيه فلم يزدد بهن خيرا، فذاك الذى لم يتقبل الله منه عمله ذلك:

أولها: من غزا، ثم رجع فلم يزدد خيرا فذلك آية أنه لم يتقبل الله منه.

والثانى: ومن صام شهر رمضان ولم يزدد خيراً، فذاك آية أنه لم يتقبّل الله منه.

والثالث: ومن حجّ فرضاً فلم يزدد خيراً، فذاك آية أنه لم يتقبّل الله منه.

والرابع: ومن مرض فعوفى فلم يزددْ خيراً، فذاك آية أنه لم تكفّر عنه ذنوبه.

ويقال: ينبغى للعاقل أربعة أشياء حتى يصلح عمله، ولا يضيع اجتهاده:

أولها: العلم ليكون علمه حجّة.

والثانى: التوكّل حتى يكون له فى العبادة فراغ ومن الخلق إياس.

والثالث: الصّبر ليتمّ به العمل.

والرابع: الإخلاص لينال به الأجر.

وقال الحسن البصرى ـ رحمه الله تعالى ـ: ما طلب رجلٌ هذا الخير، يعنى الجنة إلا اجتهد ونحل وذبل، واستمر أي استقام حتى يلقى الله، ألا ترى إلى قول الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا**﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال بعض الحكماء: علامة الذى استقام أن يكون مثله كمثل الجبل له أربع علامات:

أحدها: أنه لا يذيبه الحرّ.

والثانى: لا يجمده البرد.

والثالث: لا تحرّكه الريح.

والرابع: لا يذهبه السّيل.

فكذا المستقيم له أربع علامات:

أحدها: إذا أحسن إليه إنسانٌ لا يحمله إحسانه على أن يميلَ إليه بغير حق.

والثاني: إذا أساء إليه إنسان لا يحمله ذلك على أن يقولَ بغير حق.

والثالث: أن هوى نفسه لا يحوله عن أمر الله تعالى.

والرابع: أن حطام الدنيا لا يشغله عن طاعة الله عز وجل.

ويقال: سبعة أشياء من كنوز البر، وكل واحد من ذلك واجب بكتاب الله تعالى:

أولها: الإخلاص فى العبادة لقول الله عز وجل: ﴿**وَمَا أُمِرُوا إلا لِيَعْبُدُوا الله مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء**﴾ [البينة: ٥].

والثانى: برّ الوالدين لقوله عز وجل: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لى وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيّ المصِيرُ**﴾ [لقمان: ١٤].

والثالث: صلة الرحم لقوله عز وجل: ﴿**واتَّقُوا الله الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ والأرْحَامَ**﴾ [النساء: ١].

والرابع: أداء الأمانة لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الله يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأمَانَاتِ إِلى أَهْلِهَا**﴾ [النساء: ٥٨] الآية.

والخامس: أن لا يطيع أحداً فى المعصية لقول الله عز وجل: ﴿**وَلا يَتَّخِذ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ الله**﴾ [آل عمران: ٦٤].

والسادس: أن لا يعمل بهوى نفسه لقول الله عز وجل: ﴿**وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الهَوَى . فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ المأْوَى**﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

والسابع: أن يجتهد فى الطاعة ويخاف الله تعالى، ويرجو ثوابه؛ لقوله تعالى: ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وطَمَعاً ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**﴾ [السجدة: ١٦].

فالواجبُ على كلّ إنسان أن يكونَ خائفاً باكياً فإن الأمر شديد.

ورُوى فى الخبر أنَّ عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ مر بقرية، وفى تلك القرية جبل، وفى الجبل بكاء وانتحاب كثير، فقال لأهل القرية: ما هذا البكاء؟ فى هذا الجبل، قالوا: يا عيسى، منذ سكنا هذه القرية نسمع هذا البكاء وهذا الانتحاب بهذا الجبل، فقال عيسى ـ عليه السلام ـ: يارب ائذن لهذا الجبل أن يكلمنى، فأنطق الله الجبل. فقال يا عيسى: ما أردت منى؟ قال: أخبرنى ببكائك وانتحابك ما هو؟ قال:

يا عيسى أنا الجبل الذى كانت تنحت منى الأصنام التى يعبدونها من دون الله، فأخاف أن يلقينى الله فى نار جهنم، فإنى سمعت الله يقول: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِى وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] فأخاف أن أكون من تلك الحجارة التى تلقى غداً فى النار، فأوحى الله إلى عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن قل للجبل حتى يسكن فإنى قد أعذته من جهنم. فالحجارة مع صلابتها وشدتها تخاف الله، فكيف لا يكون المسكين الضعيف ابن آدم يخاف من النار، ولا يتعوذ بالله منها. يا بن آدم احذر منها، وإنما الحذر منها باجتناب الذنوب، فإنّ بالذنوب يستوجبُ سخط الله تعالى وعذابه، ولا طاقة لك بعذاب الله تعالى.

٩٤٩ ـ وروى عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً﴾ [البقرة: ١٤٣] دمعت عينا رسول الله ﷺ ثم قال: «**يا معشر الناس إن الله تعالى بعثنى نبياً، وأرسلنى رسولاً، واختاركم لنبيه، وأشهدنى عليكم، وأشهدكم على الأمم السابقة والقرون الماضية**».

فقام إليه رجل من الأنصار يقال له قيس بن عروة، فقال: يا رسول الله. وكيف نشهد على الأمم السالفة، ولم نكن منهم، ولم يكونوا فى زماننا؟ فقال النبى ﷺ: «**يا بن عروة، إذا كان يوم القيامة وبدلت الأرض غير الأرض، وطويت السماوات كطى السجل للكتاب، وحشر الخلائق فمنهم سود الوجوه، ومنهم بيض الوجوه، فيقفون أربعين عاماً**».

قيل: يا رسول الله ماذا ينتظرون؟ قال: «**الصيحة التى قال الله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِىَ لا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَت الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمنِ فَلا تَسْمَعُ إِلا هَمْساً﴾ [طه: ١٠٨] يعنى تحريك الشفتين من غير نطق، وهم يساقون إلى أرض لم تسفك عليها الدماء، ثم يؤتى بالبهائم فيقتص لبعضها من بعض، ثم يقال لها: كونى تراباً فتكون تراباً فذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الكَافِرُ يَا لَيْتَنِى كُنْتُ تُرَاباً﴾ [النبأ: ٤٠] ثم يؤتى بكل نبى وأمته، ويحكم بينهم بالحق: ففريق فى الجنة وفريق فى السعير.**

ثم ينادى مناد: أين نوح ـ عليه السلام ـ؟ فيؤتى به فيقول الله: يا نوح هل بلغت الرسالة، وأديت الأمانة؟ فيقول: نعم يارب، بلغت الرسالة وأديت الأمانة. فيؤتى بقومه، فيقال: يا أمة نوح، هذا نوح، بعثته إليكم يدعوكم إلى كلمة الإخلاص، فهل بلغ إليكم الرسالة؟ فيقولون: ربنا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيقول الله تعالى: يا نوح

هؤلاء أمتك أنكروك فهل لك من يشهد لك بذلك؟ فيقول: نعم، أمة محمد ﷺ فينادي مناد: يا خير أمة أخرجت للناس، يا صوام شهر رمضان، فيقومون من الصفوف كما قال الله تعالى في محكم تنزيله: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:٢٩] فيقولون: لبيك داعي الله، فيقول الله عز وجل: يا أمة محمد هل تشهدون لنوح؟ فيقولون: أي رب نشهد، أنه بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، فتقول أمة نوح - عليه السلام -: إن نوحاً أول نبي ومحمد آخر نبي، فكيف يشهدون لمن لم يدركوا زمانه؟ فيقولون في كتاب الله عز وجل المنزل على نبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾ [نوح:١] الآية كنا قرأناه إلى آخره، فيقول الله تعالى: صدقتم يا أمة محمد، وإني آليت على نفسي أن لا أعذب أحداً إلا بحجة فتواهبوا يا أمة محمد المظالم فيما بينكم، فإني قد وهبت الذي بيني وبينكم»(١).

***

باب عداوة الشيطان ومعرفة مكايده

٩٥٠ - قال الفقيه - رحمه الله تعالى -: حدثني أبي - رحمه الله تعالى - حدثنا أبو الحسين الفراء، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق الجوزجاني، حدثنا سلمة، عن عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، عن صفية بنت جحش أن رسول الله - ﷺ - قال: «**الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»(١).

قال: حدثنا أبي - رحمه الله تعالى - حدثنا أبو الحسين الفراء، حدثنا أبو بكر أحمد بن إسحاق، حدثنا سلمة عمن حدثه، عن الكلبي(٢)، عن أبي صالح، عن ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - في قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ يعني سيد الناس ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ كلهم من الجن والإنس ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ يقول: خالق الناس ﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ﴾ يعني الشيطان ﴿الْخَنَّاسِ﴾ وهو الشيطان ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ. مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ يقول: يدخل في صدور الجن كما يدخل في صدور الإنس، فيوسوس في صدورهم، فإذا ذكر الله خنس وخرج من صدورهم.

٩٥١ - وري عن النبي ﷺ أنه قال: «**بُعثتُ داعياً ومبلّغاً وليس إليّ من الهداية**

---

(١) بديله صحيح* البخاري(٨/ ٤٤٨٧)والترمذي(٢٩٦٢) وأحمد(٣/ ٣٢، ٥٨) بنحوه عن أبي سعيد الخدري.

(٢) متفق عليه* البخاري (٦/ ٣٢٨١) ومسلم (٤/ ٢١٧٥)

(٣) هو (محمد بن السائب الكلبي) متهم بالكذب، ورمي بالرفض. كما في «التقريب».

شيء، وخلق إبليس مزيناً وليس إليه من الضلالة شيء»[1]. يعنى أنه يوسوس ويزين المعصية وليس بيده أكثر من ذلك. فينبغي للعبد أن يجتهد في دفع الوسوسة عن نفسه، ويجتهد في مخالفة عدوه؛ لأن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

وينبغي للعاقل أن يعرفَ صديقه من عدوه، فيطيع صديقه ولا يتّبع عدوّه؛ فإنه يقال: علامة الجاهل أربعة أشياء:

أحدها: الغضب من غير شيء.

والثاني: اتباع النفس في الباطل.

والثالث: إنفاق المال في غير حق.

والرابع: قلّة معرفة صديقه من عدوه، يعنى يختار طاعة الشيطان على طاعة الله تعالى.

فبئس البدل طاعة الشيطان على طاعة الله تعالى.

وقال الله تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

وعلامة العاقل أربعة أشياء: الحلم عن الجاهل، وردّ النفس عن الباطل، وإنفاق المال في حقه، ومعرفة صديقه من عدوه.

وذُكر عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى أنه قال: إنّ إبليس لقى يحيى بن زكريا عليهما السلام فقال له يحيى بن زكريا: أخبرني عن طبائع ابن آدم عندكم، فقال إبليس: أما صنف منهم فهم مثلك معصومون، لا نقدر منهم على شيء. وأما الصنف الثاني فهم في أيدينا كالكرة في أيدي صبيانكم، وقد كفونا أنفسهم. وأما الصنف الثالث فهم أشدّ الأصناف علينا، فنقبل على أحدهم حتى ندرك منه حاجتنا، ثم يفزع إلى الاستغفار، فيفسد به علينا ما أدركنا منه، فلا نحن نيأس منه ولا نحن ندرك حاجتنا منه[2].

وقال بعض الحكماء: نظرتُ من أي باب يأتي الشيطان إلى الإنسان، فإذا هو

---

(١) موضوع* ابن عدى فى «الكامل» (٣/ ٣٩) والعقيلى فى «الضعفاء» (٤١٠) من حديث عمر وانظر. الموضوعات (١/ ٢٧٢) والميزان (١/ ٦٣٤).

(٢) حسن* رواه ابن أبى الدنيا فى «مكائد الشيطان» (٥٢) بنحوه. والأثر من الإسرائيليات.

يأتى من عشر أبواب:

أولها: يأتى من قبل الحرص وسوء الظن، فقابلته بالثقة والقناعة، فقلت: بأى آية أتقوى عليه من كتاب الله تعالى؟ فوجدت قول الله عز وجل: ﴿**وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الأَرْضِ إلا عَلَى الله رِزْقُهَا**﴾ [هود: ٦] الآية، فكسرته بذلك.

والثانى: نظرت فإذا هو يأتى من قبل الحياة وطول الأمل. فقابلته بخوف مفاجأة الموت، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿**وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ**﴾ [لقمان: ٣٤] فكسرته بها.

والثالث: نظرت فإذا هو يأتى من قبل طلب الراحة، وطلب النعمة، فقابلته بزوال النعمة وسوء الحساب، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا**﴾ [الحجر: ٣] الآيه، وبقوله تعالى: ﴿**أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ**﴾ [الشعراء: ٢٠٥] الآية، فكسرته بذلك.

والرابع: نظرت فإذا هو يأتى من باب العجب، فقابلته بالمنة وخوف العاقبة، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿**فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ**﴾ [هود: ١٠٥] فلا أدرى من أى الفريقين أكون، فكسرته بها.

والخامس: رأيته يأتى من باب الاستخفاف بالإخوان وقلة حرمتهم، فقابلته بمعرفة حقهم وحرمتهم. فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى فى كتابه: ﴿**وَلله العِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلمُؤْمِنِينَ**﴾ [المنافقون: ٨] فكسرته بها.

والسادس: نظرت فإذا هو يأتى من باب الحسد، فقابلته بالعدل وقسمة الله تعالى فى خلقه. فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِى الحياة الدُّنْيَا**﴾ [الزخرف: ٣٢] فكسرته بها.

والسابع: نظرت فإذا هو يأتى من قبل الرياء ومدح الناس، فقابلته بالإخلاص، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿**فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلا صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً**﴾ [الكهف: ١١٠] يعنى مخلصاً فكسرته بها.

والثامن: نظرت فإذا هو يأتى من باب البخل، فقابلته بفناء ما فى أيدى الخلق، وبقاء ما عند الله تعالى، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿**مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ الله بَاقٍ**﴾ [النحل: ٩٦] فكسرته بها.

والتاسع: نظرت فإذا هو يأتى من باب الكبر، فقابلته بالتواضع، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿**إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ**﴾ [الحجرات: ١٣] فكسرته بها.

والعاشر: نظرت فإذا هو يأتى من باب الطمع، فقابلته بالإياس من الناس، والثقة بما عند الله، فقلت: بأى آية أتقوى عليه؟ فوجدت قول الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ**﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وذُكر فى الخبر: أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ وهو يناجى ربّه، فقال له ملك من الملائكة: ويحك ما ترجو منه على هذا الحالة؟ فقال: أرجو منه ما رجوت من أبيه آدم وهو فى الجنة[1].

ويقال: إذا حضر وقت الصلاة أمر إبليس جنوده بأن يتفرقوا ويأتوا الناس، ويشغلوهم عن صلاتهم، فيجىء الشيطان إلى من أراد الصلاة فيشغله ليؤخّرها عن وقتها، فإن لم يقدر فإنه يأمره بأن لا يتم ركوعها وسجودها وقراءتها وتسبيحها ودعواتها، فإن لم يستطع فإنه يشغل قلبه بإشغال الدنيا، فإن لم يقدرْ على شىء من ذلك أمر إبليس بأن يوثق هذا الشيطان، ويقذف به فى البحر، فإن كان يقدر على شىء من ذلك فإنه يكرمه ويبجله.

وقال الله عز وجل حكاية عن إبليس: (**لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾ يعنى الإسلام ولأرصدنهم ﴿**ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ**﴾ يعنى من أمر الآخرة، حتى أجعلهم فى الشك ﴿**وَمِنْ خَلْفِهِمْ**﴾ لأزينن لهم الدنيا حتى يطمئنوا إليهم: ﴿**وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ**﴾ يعنى آتيهم من جهة الدين والطاعة ﴿**وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ**﴾ يعنى من جهة المعاصى ﴿**وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ**﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] يعنى على نعمك.

وقال فى آية أخرى: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ**﴾ [الأعراف: ٢٧]. وقال فى آية أخرى: ﴿**والشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ**﴾ [البقرة: ٢٦٨]. وقال فى آية أخرى: ﴿**إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾ [فاطر: ٦] فقد بين الله تعالى أن الشيطان عدو لبنى آدم ويريد ضلالتهم ليجرهم مع نفسه إلى النار. فالواجب على العاقل أن يجتهد فى مجاهدته؛ لكى يخلص نفسه منه، فإنه عدو ظاهر للمؤمنين، وللمؤمن أيضاً أعداء سوى الشيطان.

---

(١) ضعيف * رواه ابن أبى الدنيا «فى مكائد الشيطان» (٤٨)

٩٥٢ ـ كما روى عن أنس بن مالك ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن النبى ﷺ أنه قال: «المؤمن بين خمس شدائد: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وعدو يقاتله، وشيطان يضله، ونفس تغويه»(١) يعنى أن النفس مائلة إلى ما هو سبب ضلالته وإغوائه.

فينبغى للمسلم أن يستعين بالله تعالى؛ ليقوّيه على أعدائه، ويوفّقه لما يحب ويرضى، فإن هذا كلّه يسير على من يسره الله تعالى عليه.

وروى أبو صالح بإسناده عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم قال: بينما موسى جالس فى بعض مجالسه إذ جاءه إبليس، وعليه برنس متلون، يعنى قلنسوة ذات أوان، فلما دنا منه خلع البرنس، فوضعه، ثم أقبل فسلم عليه، فقال: من أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: فما جاء بك؟ قال: جئت لأسلم عليك؛ لمكانك من الله عز وجل. قال: فما البرنس الذى كان عليك؟ قال: به أختطف قلوب بنى آدم.

قال: أخبرنى ما الذنب الذى إذا أذنب ابن آدم استحوذت عليه؟ يعنى غلبت عليه، قال: إذا أعجبته نفسه، واستكثر عمله، ونسى ذنبه، استحوذت عليه(٢).

٩٥٢/م ـ وذُكِر عن وهب بن منبه ـ رحمه الله تعالى ـ قال: أمر الله تعالى إبليس أن يأتى محمداً ﷺ ويجيبه عن كل ما يسأله فجأة على صورة شيخ، وبيده عكازة. فقال له: «**من أنت؟**» قال: أنا إبليس. فقال: «**لماذا جئت؟**» قال: إن الله أمرنى أن آتيك وأجيبك عن كل ما تسألنى. فقال النبى ﷺ: «**يا ملعون كم أعداؤك من أمتى؟**»قال: خمسه عشر أولهم أنت، والثاني: إمام عادل، والثالث: غنى متواضع، والرابع: تاجر صادق، والخامس: عالم متخشع، والسادس: مؤمن ناصح، والسابع: مؤمن رحيم القلب، والثامن: تائب ثابت على التوبة، والتاسع: متورع عن الحرام، والعاشر: مؤمن يديم على الطهارة، والحادي عشر: مؤمن كثير الصدقة، والثانى عشر: مؤمن حسن الخلق من الناس، والثالث عشر: مؤمن ينفع الناس، والرابع عشر: حامل القرآن يديم على تلاوته، والخامس عشر: قائم بالليل والناس نيام.

ثم قال النبى ﷺ: «**ومن رفقاؤك من أمتي؟**» قال: عشرة: أولهم: سلطان جائر، والثاني: غنى متكبر، والثالث: تاجر خائن، والرابع: شارب الخمر، والخامس: القتّال، والسادس: صاحب الزنا، والسابع: آكل مال اليتيم، والثامن: المتهاون بالصلاة، والتاسع: مانع الزكاة، والعاشر: الذي يطيل الأمل. فهؤلاء أصحابى وإخوانى.

(١) رواه ابن لال* كما فى «الكنز» (٨٠٩)

(٢) ضعيف* ابن أبى الدنيا فى «مكائد الشيطان»(٤٧)فيه (الفرج بن فضالة وابن أنعم الإفريقى) من الضعفاء

٩٥٣ - وذُكِر في الخبر أنه كان في بني إسرائيل رجل متعبّد في صومعة يقال له برصيصيا العابد؛ كان مستجاب الدعوة، وكان الناس يأتونه بمرضاهم فكان يدعو فيبرأ المريض، فدعا إبليس الشياطين لعنهم الله وقال: من يفتن هذا، فإنه قد أعياكم؟ قال عفريت من الشياطين: أنا أفتنه فإن لم أفتنه فلست لك بولي، فقال له إبليس: أنت له. فانطلق الشيطان حتى أتى منزل ملك من ملوك بني إسرائيل وله ابنة من أحسن النساء، وهي جالسة مع أبيها وأمها وأخواتها ففزعوا لذلك فزعاً شديداً، فصارت بمنزلة المجنونة، وكانت على ذلك أياماً، ثم أتاهم على صورة إنسان فقال لهم: إن أردتم أن تبرأ فلانة، فاذهبوا إلى فلان الراهب يعودها، ويدعو لها. فذهبوا بها إليه، فدعا لها فبرأت من علّتها، فلما رجعوا عاودها ذلك، فأتاهم الشيطان فقال لهم: إن أردتم أن تبرأ فلانة فاجعلوها عنده أياماً فانطلقوا بها إليه ليضعوها عنده، فأبى الراهب أن يقبلها، فألحوا عليه، وتركوها عنده، فكان الراهب يظل صائماً، فلا يتعرض الشيطان للجارية، فإذا جلس الراهب يطعم أظهر خبلها وكشفها فيعرض الراهب عنها بوجهه حتى إذا طال ذلك، فنظر يوماً إلى وجهها وجسدها فرأى وجهاً وجسداً لم ير مثله، فلم يصبر على ذلك حتى قربها، فحبلت منه، ثم أتاه الشيطان، فقال له: إنك قد أحبلتها وليس ينجيك مما صنعت بها من عقوبة الملك إلا أن تقتلها وتدفنها عند صومعتك، فإذا سألوك عنها فقل أتى عليها أجلها، فماتت، فإنهم يصدقونك، فقام إليها فذبحها ودفنها، فجاؤوا وسألوا عنها، فأخبرهم بأنها قدماتت فصدقوه فرجعوا(١).

وفي رواية قال: إنها برئت وذهبت إلى منزلها، فصدّقوه فرجعوا وجعلوا يطلبونها من بيوت أقاربها، فانطلق الشيطان فقال لهم: إن الراهب قد وقع عليها فأحبلها، فلما خشي أن يطلع على ذلك ذبحها ودفنها، فركب الملك في الناس مقبلاً نحو الراهب فصلبوه، ثم جاء الشيطان وهو مصلوب فقال: أنا الذي فعلت بك ما فعلت، وأنا أنجيك من ذلك، وأخبرهم بأنه ذبحها غيرك، وهم يصدّقونني بذلك، إن أنت سجدت لي سجدة من دون الله. فقال: كيف أسجد على هذه الحالة؟ قال: أنا أرضى أن تؤمئ إليّ برأسك، فسجد له سجدة، فقال له الشيطان: أنا بريء منك، فذلك قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيطان إذْ قال للإنْسَان اكْفُرْ كَفَرَ فَلَمَّا قَالَ إنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إنِّي أَخَافُ الله رَبَّ العَالَمِين . فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦، ١٧].

---

(١) **صحيح موقوف**: ابن أبي الدنيا في «مكائد الشيطان» (٦١) والبيهقي في «الشعب» (٥٤٤٩) عن عبيد بن رفاعة بلاغاً ورواه البيهقي (٥٤٥٠) وصححه الحاكم (٢/ ٤٨٤) ولم يتعقبه الذهبي عن علي موقوفاً. وفي الباب عن ابن عباس وابن مسعود وطاووس.

قال الفقيه: اعلم أن لك أربعة من الأعداء، فتحتاج أن تجاهد مع كل واحد منهم:

أحدها: الدنيا، وهي غرارة مكارة، قال الله تعالى: ﴿**فَلا تَغُرَّنَّكُم الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بالله الغُرُورُ**﴾ [لقمان: ٣٣].

والثاني: نفسك وهي شر الأعداء.

والثالث: الشيطان.

والرابع: شيطان الإنس، فاحذره فإنه أشد عليك من شيطان الجن؛ لأن شيطان الجن يكون أذاه بالوسوسة، وشيطان الإنس هو رفيق السوء يكون أذاه بالمواجهة والمعاينة لا يزال يطلب عليك وجهاً يزلك عمّا أنت فيه.

٩٥٤ ـ وروى شداد بن أوس ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**الكيّس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت**» يعنى حاسب نفسه فى الدنيا، وعمل الطاعة لكى تنفعه بعد الموت، «**والفاجر من أتبع نفسه هواها، وتمنّى على الله عز وجل المغفرة**»[١].

وروى عن عيسى ابن مريم ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه قال: ليس العجب ممن هلك كيف هلك، ولكن العجب ممن نجا كيف نجا. يعنى أن الجنة قد حفت بالمكاره، والنار قد حفّت بالشهوات. وإن فى كل نفس شيطاناً يوسوس إليه، وملكاً يلهمه، ولا يزال الشيطان يزين ويخدع، ولا يزال الملك يمنعه، ويلهمه الخير، فأيهما كانت النفس معه كان هو الغالب.

***

باب الرضا

قال الفقيه: حدثنا أبى رحمه الله تعالى، حدثنا العباس بن الفضل، حدثنا موسى بن نصر الحنفى، حدثنا محمد بن زياد الكوفى، عن ميمون بن مهران قال: أمرنى عمر بن عبد العزيز ـ رضى الله تعالى عنه ـ أن آتيه فى كلّ شهر مرتين، فجئته يوماً، فنظر إلىّ من فوق حصن له، فأذن لى قبل أن أبلغَ الباب، فدخلتُ كما أنا فإذا هو قاعد على بساط له، وشاذكونة على قدر البساط، وهو يرقع قميصاً له، فسلّمت عليه، فرد علىّ السلام، ولم يزل بى حتى أجلسنى على شاذكونته، ثم سألنى عن أمرائنا

(١) ضعيف* أحمد (٤/ ١٢٤) والترمذى (٢٤٥٩) وغيرهما انظر. الداء والدواء (٣٥ ـ بتحقيقى).

وعن أمر شرطنا، وعن جلاوزتنا وعن سجوننا، وعن أسعارنا كلها، ثم سألنى عن خاصة نفسى، فلما نهضت لأخرج قلت: يا أمير المؤمنين، ما فى أهل بيتك من يكفيك ما أرى؟ قال: يا ميمون، يكفيك من دنياك ما بلغك المحل، نحن اليوم ههنا وغداً فى مكان آخر. ثم خرجت وتركته.

قال: حدثنا أبو منصور بن عبد الله الفرائضى بسمرقند بإسناده، عن قتادة ـ رحمهم الله ـ فى قول الله عز وجل: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل:٥٨] قال قتادة: هذا صنيع مشركى العرب، أخبرنا الله تعالى بخبث صنيعهم، فأما المؤمن فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له، وقضاء الله عز وجل للمؤمن خير من قضاء المرء لنفسه، وما قضى الله لك يا ابن آدم فيما تكره خير من قضائك فيما تحب، فاتق الله وارض بقضائه.

قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: هذا القول موافق لقوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦] يعنى يعلم ما فيه صلاحكم وصلاح دينكم ودنياكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، يعنى ارضوا بما قضيت لكم، فإنكم لا تعلمون ما فيه صلاحكم.

وقال بعض الحكماء: المنازل أربعة: عمرنا فى الدنيا، ومكثنا فى القبر، ومقامنا فى المحشر، ومصيرنا إلى الأبد الذى خلقنا له، فمثل عمرنا فى الدنيا كمثل المتعشى من الحاج، لا يطمئنون ولا يحلّون الدواب والأثقال لسرعة الارتحال، ومثل مكثنا فى القبر كمثل النزول فى بعض المنازل، يضعون الأثقال، ويستريحون يوماً أو ليلة ثم يرتحلون، ومثل مقامنا فى المحشر كنزولهم بمكة، وهو غاية الاجتماع لكل فريق من كل فج عميق، يقضون النسك، ثم يتفرّقون يميناً وشمالاً. كذلك يوم القيامة إذا فرغوا من المحاسبة افترقوا فرقاً إلى الجنة وفرقاً إلى السعير.

وقال شقيق بن إبراهيم: ـ رحمه الله تعالى ـ سألت سبعمائة عالم عن خمسة أشياء، فكلهم أجابوا واحد. قلت: من العاقل؟ قالوا: العاقل من لم يحب الدنيا. قلت: من الكيس؟ قالوا: من لم تغره الدنيا. قلت: من الغنى؟ قالوا: الذى يرضى بما قسم الله له. قلت: من الفقير؟ قالوا: الذى قلبه مع طلب الزيادة. قلت: من البخيل؟ قالوا: الذى يمنع حق الله تعالى من ماله.

ويقال: سخط الله تعالى على العبد فى ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يقصرَ فيما أمر الله تعالى.

والثانى: أن لا يرضى بما قسم الله تعالى له.

والثالث: أن يطلبَ شيئاً فلا يجده، فيسخط على ربه.

وقال بعض الحكماء في قول الله عز وجل: ﴿**والسَّارِقُ والسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيهُمَا**﴾ [المائدة:٣٨]: قال الفقهاء من سرق عشرة دراهم تقَطع يده، وَليست لهذه العَشرة حرمة حتى تقطع يد الرجل المؤمن لأجلها، ولكن تقطع يده لمعنيين:

أحدهما: لهتك حرمة المسلمين.

والثانى: لأنه لم يرض بما قسم الله تعالى له، ومَالَ إلى مال غيره، فأمر الله تعالى أن تقطع يده نكالاً بما كسب؛ ليكون عبرة لغيره، لكى يرضى بما قسم الله تعالى له.

وينبغى للمؤمن أن يكون راضياً بما قسم الله تعالى له، فإن الرضا بما قسم الله له من أخلاق الأنبياء والصالحين.

وروى عن أبى الدرداء ـ رضى الله تعالى عنه ـ أنه قال: اثنتا عشرة خصلة من أخلاق الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ:

أولها: أنهم كانوا آمنين بوعد الله.

والثانى: كانوا آيسين من الخلق.

والثالث: كانت عداوتهم من الشيطان.

والرابع: كانوا مقبلين على أمر أنفسهم.

والخامس: كانوا مشفقين على الخلق.

والسادس: كانوا متحملين لأذى جميع الخلق.

والسابع: كانوا موقنين بالجنة؛ يعنى إذا عملوا عملاً أيقنوا أن الله لا يضيع ثوابهم ولا ثواب عملهم.

والثامن: كانوا متواضعين فى مواضع الحق.

والتاسع: كانوا لا يضعون النصيحة فى موضع العداوة.

والعاشر: كان رأس أموالهم الفقر، يعنى كانوا لا يمسكون فضل المال، وينفقون على الفقراء.

والحادى عشر: كانوا يُديمون على الوضوء.

والثانى عشر: كانوا لا يفرحون بما وجدوا من الدنيا، ولا يغتمّون على ما فاتهم من الدنيا.

وقال بعض العلماء: حرفة الزاهدين عشرة أشياء:

أولها: عداوة الشيطان يرونها واجبة على أنفسهم لقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فاتَّخِذُوهُ عَدُواً﴾ [فاطر: ٦].

والثاني: لا يعملون عملاً إلا بالحجة، يعني لا يعملون عملا إلا بعد ما ثبتت لهم الحجة لقول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١] يعني حجّتكم.

والثالث: أنهم مستعدون للموت لقول الله تعالى؛ ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

والرابع: يحبون في الله، ويبغضون في الله لقول الله عز وجل: ﴿لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بالله وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ الله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ﴾ [المجادلة: ٢٢] يعني من كان مؤمناً لا تكون له صداقة مع من يخالف أمر الله، ولو كان أباه أو ابنه أو أخاه أو عشيرته.

والخامس: أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، لقول الله عز وجل: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

والسادس: أنهم يعتبرون ويتفكرون في أمر الله تعالى، لقول الله عز وجل: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١] وقال في آية أخرى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

والسابع: يحرسون قلوبهم لكيلا يتفكروا فيما لم يكن فيه رضا الله سبحانه وتعالى، لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

والثامن: أن لا يأمنوا مكر الله، لقول الله تعالى: ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ الله إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

والتاسع: أن لا يقنطوا من رحمة الله، لقوله تعالى: ﴿لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ الله إِنَّ الله يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

والعاشر: لا يفرحون بما آتاهم الله من الدنيا، ولا يحزنون على ما فاتهم لقوله تعالى: **﴿لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾** [الحديد: ٢٣].

يعنى أنّ العبد لا يعلم بأنّ الصّلاح فيما يفوته أو فيما يأتيه، فينبغى أن يكون فى الحالين سواء، فإن المؤمن مثله مثل الآس، والمنافق مثله مثل الورد، فالآس يكون على حال واحد فى حال البرد والحر، وأما الورد فيتغير حاله إذا أصابه أدنى آفة. فكذلك المؤمن يكون حاله عند الشدة وعند الرخاء واحداً، ويكون راضياً بما قسم الله له.

وأما المنافق فلا يكون راضياً بما قسم الله له، فيطغى عند النعمة، ويجزع عند الشدة. فينبغى للمؤمن أن يقتدى بأفعال الأنبياء والزهاد، ولا ينبغى له أن يقتدى بأفعال الكفار والمنافقين. وبالله التوفيق.

***

باب المواعظ

٩٥٥ ـ قال الفقيه: حدثنا أبو نصر الدبوسى منصور بن جعفر الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو القاسم أحمد بن حم، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن سلمة، عن على بن زيد، عن أبى نَضْرة، عن أبى سعيد الخدرى ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: خطبنا رسول الله ـ ﷺ ـ بعد العصر إلى مغيربان الشمس، حفظها منا من حفظها، ونسيها من نسيها. فقال:

«ألا إنّ الدّنيا خضرة حلوة، وإنّ الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون. ألا فاتّقوا الدنيا واتقوا النساء. ألا إنّ بنى آدم خُلقُوا على طبقات شتى، فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً.

ألا وإنّ الغضبَ جمرة توقد فى قلب ابن آدم، ألم تروا إلى حمرة عينيه، وانتفاخ أوداجه؟ فمن وجد ذلك شيئاً فالأرض الأرض. ألا إن خير الرجال من كان بطىء الغضب سريع الفىء، فإذا كان سريع الغضب سريع الرضا فإنها بها، ألا وإن شر الرجال من كان سريع الغضب بطىء الرضا، فإن كان بطىء الغضب بطىء الرضا فإنها بها. ألا وإن خير التجار من كان حسن الطلب حسن القضاء، فإذا كان حسن الطلب سيىء القضاء فإنها بها.

ألا إن شر التجار من كان سيئ الطلب سيئ القضاء، فإن كان سيئ الطلب حسن القضاء، فإنها بها.

ألا إن لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة. ألا ولا غدر أكبر من غدر إمام عامة. ألا وإن أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر، ألا لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول بالحق إذا شهده وعلمه، حتى إذا كان عند مغيربان الشمس، قال: ألا إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما يبقى من هذه الشمس أن تغيب»(١).

٩٥٦ ـ قال: حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا العباس بن الفضل الدورى، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا شعبة، عن الزهرى، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ يوم حنين، فقال النبى ﷺ لرجل ممن يدعى الإسلام: «**إنّ هذا من أهل النار**».

فلما حضر الرجل القتال قاتل الرجل أشدّ القتال، فجاء رجل من أصحاب رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله، أرأيت الرجل الذى ذكرت أنه من أهل النار، فوالله ليقاتل فى سبيل الله أشد القتال. فقال: «**أما إنه من أهل النار**». فكاد بعض الناس يرتاب، فبينما هو على ذلك إذ وجد ألم الجراح، فأهوى بيده إلى الكنانة، فاستخرج منها سهماً، وتكلم بكلمة منكرة، ونحر نفسه، فاشتد الرجال من المسلمين إلى النبى ﷺ فقالوا: يارسول الله، قد صدّق الله حديثك، قد انتحر فلان فقتل نفسه، فقال النبى ﷺ: «**قم يا فلان فناد: لا يدخل الجنة إلا مؤمن**». وقال النبى ﷺ: «**إنّما الأعمالُ بالخواتيم**»(٢) لا عبرة لكثرة الصلاة والصيام وإنما ينظر إلى خاتمة أمره.

٩٥٧ ـ قال: حدثنا أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم العطار، حدثنا أبو عبد الله محمد بن صالح الترمذى، حدثنا سويد بن نصر، حدثنا ابن المبارك، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الله بن مسعود ـ رضى الله تعالى عنه ـ عن رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق:

«**إنّ خَلْق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم تكون علقة أربعين يوماً، ثم يكون مضغة أربعين يوماً، ثم يبعث الله إليه الملك بأربع كلمات. فيقال له: اكتب أجله وأمله وعمله ورزقة، واكتب شقياً أو سعيداً. وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل النار،**

---

(١) ضعيف* أحمد (٣/١٩، ٦١) والترمذى (٢١٩١). وانظر. الداء والدواء (١٣٤ .بتحقيقى)

(٢) صحيح* البخارى (١١/٦٦٠٦).

فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيختم له بعمل أهل الجنة فيدخلها»[1]. **فهذا الحديث موافق للحديث الأول: «إنما الأعمال بالخواتيم».**

فالواجب على كل مسلم أنّ يدعوَ الله عز وجل أن يجعل خاتمته بخير، فإن أكثر ما يخاف ذهاب الإيمان عند النزع.

وذكر عن يحيى بن معاذ الرازى ـ رحمه الله تعالى ـ أنه كان يقول: اللهم إن أكثر سرورى فيما أكرمتنى بالإيمان، وأخاف أن تنزعه منى. فما دام هذا الخوف معى أرجو ألّا تنزعه منى.

وسُئِل أبو القاسم الحكيم بسمرقند ـ رحمه الله تعالى ـ: هل من ذنب ينزع الإيمان مِن العبد؟ قال: نعم، ثلاثة من الذنوب تنزع الإيمان من العبد:

أولها: أن لا يشكر الله على ما أكرمه به من الإيمان.

والثانى: أن لا يخاف فوت الإيمان عنه.

والثالث: أن يظلم أهل الإسلام.

وروى عن الحسن البصرى أنه قال: يعذب الرجل فى النار ألف سنة، ثم يخرج منها إلى الجنة، ثم قال الحسن: يا ليتنى كنت ذلك الرجل. وإنما قال الحسن ذلك؛ لأنه خاف عاقبة أمره. هكذا كان الصالحون يخافون خاتمة أمرهم.

***

باب الحكايات

٩٥٨ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا أبى ـ رحمه الله تعالى ـ حدثنا أبو الحسن الفراء، حدثنا محمد بن حاتم الهروى، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا عمرو الكلاعى، عن قتادة، عن أنس ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله أيمنعنى سوادى ودمامة وجهى من دخول الجنة؟ قال: **«لا، والذى نفسى بيده ما أيقنت بربك، وآمنت بما جاء به رسوله»**. قال: فوالذى أكرمك بالنبوة، لقد شهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله من قبل أن أجلس هذا المجلس بثمانية أشهر، ولقد خطبت إلى عامة من بحضرتك، ومن ليس معك فردونى لسوادى ودمامة وجهى، وإنى لفى حسب من قومى من بنى سليم،

(١) متفق عليه: البخارى (٦/٨ ٣٢) ومسلم (٤/٢٦٤٣)

ولكن غلب على سواد أخوالى.

فقال رسول الله ﷺ: «**هل شهد اليوم عمرو بن وهب؟**» وكان رجلا من ثقيف قريب العهد بالإسلام. قالوا: لا. قال له: «**أتعرف منزله؟**» قال: نعم. قال: «**فاذهب واقرع الباب قرعاً رقيقاً ثم سلم، فإذا دخلت فقل: زوجنى رسول الله ﷺ فتاتكم**»، وكان له أبنة عاتق، وكان لها حظ من الجمال والعقل، فلما أتى الباب وقرع وسلم، فرحبوا به حيث سمعوا لغة عربية، ففتحوا الباب، فلما رآوا سواده ودمامة وجهه انقبضوا عنه. فقال: إن رسول الله ﷺ قد زوجنى فتاتكم، فردوا عليه رداً قبيحاً. فخرج الرجل ومضى حتى أتى رسول الله ﷺ فقالت الفتاة لأبيها: يا أبتاه النجا النجا، قبل أن يفضحك الوحى فإن يك رسول الله ﷺ قد زوجنى منه فقد رضيت بما رضى الله لى ورسوله.

فخرج الشيخ حتى أتى رسول الله ﷺ وجلس فى أدنى المجلس، فقال له رسول الله ﷺ: «**أنت الذى رددت على رسول الله ما رددت**»؟ قال: قد فعلت، واستغفر الله، وظننت أنه كاذب، فقد زوجناه، فنعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، فزوجها منه بأربعمائة درهم.

فقال رسول الله ﷺ للزوج وهو سعد السلمى: «**اذهب إلى صاحبتك فادخل بها**». فقال: والذى بعثك بالحق نبياً ما آجد شيئاً حتى أسأل إخوانى.

فقال رسول الله ﷺ: «**مهر امرأتك على ثلاثة نفر من المؤمنين اذهب إلى عثمان ابن عفان ـ رضى الله تعالى عنه ـ فخذ منه مائتى درهم**»، فأعطاه وزاده. «**واذهب إلى عبد الرحمن بن عوف وخذ منه مئة درهم**»، فأعطاه وزاده، «**واذهب إلى على وخذ منه مئة درهم**»، .فأعطاه وزاده.

فبينما هو فى السوق ومعه ما يشترى لزوجته فرحاً قرير العين، إذ سمع صوت النفير ينادى: ياخيل الله اركبى؛ يعنى أن منادى رسول الله ﷺ ينادى النفير، فنظر نظرة إلى السماء ثم قال: اللهم إله السماوات والأرض وإله محمد ﷺ لأجعلن هذه الدراهم اليوم فيما يحب الله ورسوله والمؤمنون. فاشترى فرساً وسيفاً ورمحاً، واشترى مجناً، وشد عمامته على بطنه واعتجر، فلم ير إلا حماليق عينيه حتى وقف على المهاجرين. فقالوا: من هذا الفارس الذى لا نعرفه؟ فقال لهم على رضى الله تعالى عنه: كفوا عن الرجل، فلعله ممن طرأ عليكم من قبل البحرين أو من قبل الشام. فجاء يسألكم عن معالم دينكم فأحب أن يواسيكم اليوم بنفسه، فأقبل يطعن برمحه ويضرب بسيفه حتى نام به فرسه فنزل وحسر عن ذراعيه وتشمر للقتال. فلما رأى رسول الله ﷺ سواد

ذراعيه عرفه فقال: **أسعد أنت؟**» قال: نعم بأبي أنت وأمي. قال: «**سعد جدك**»، فما زال يطعن برمحه ويضرب بسيفه كل ذلك يقتل أعداء الله إذ قالوا: صُرع سعد، فخرج رسول الله ﷺ مقبلاً نحوه فأتاه فرفع رأسه، ووضعه على حجره، ومسح عن وجهه التراب بثوبه، وقال: «**ما أطيب ريحك وأحبك إلى الله ورسوله**».

قال: فبكى رسول الله ﷺ ثم ضحك، ثم أعرض بوجهه، ثم قال: «**ورد الحوض ورب الكعبة**». قال أبو لبابة: بأبي أنت وأمي يارسول الله وما الحوض؟ قال: «**حوض أعطانيه ربي عرضه ما بين صنعاء إلى بصرى حافتاه مُكلّلتان بالدر والياقوت، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، من شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً**».

فقال: يا رسول الله رأيناك بكيت ثم ضحكت ثم أعرضت بوجهك؟ قال: «**أما بكائي فبكيت شوقاً إلى سعد، وأما ضحكي ففرحت بمنزلته من الله تعالى وكرامته على الله. وأما إعراضي فإني رأيت أزواجه من الحور العين يتبادرنه كاشفات سوقهن باديات خلاخلهن، فأعرضت عنهن حياء منهن، فأمر بسلاحه وفرسه وما كان له من شيء فقال: اذهبوا به إلى من زَوَّجَهُ فقولوا: إن الله قد زوجه خيراً من فتاتكم**»(١).

٩٥٩ـ قال الفقيه: حدثنا محمد بن داود، حدثنا محمد بن جعفر الكرابيسي، حدثنا إبراهيم بن يوسف، حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن عبيد بن عمير ـ رضي الله تعالى عنهما ـ قال: خرج ثلاثة نفر ممن كان قبلكم يتبسطون في الأرض فأصابهم المطر فلجؤوا إلى غار فبينما هم فيه، إذ انقضّت عليهم صخرة من الجبل، فأطبقت عليهم بابه، فقالوا: عفا الأثر وانقطع الخبر، وليس لكم إلا الله وصالح أعمالكم؛ يعني أنه قال بعضهم لبعض: ادعوا الله بصالح أعمالكم الذي عملتم، فلعل الله يفرج عنا.

فقال رجل منهم: اللهم إنك تعلم أنه كان لي بنت عم، وأنها كانت تعجبني فراودتها عن نفسها، فأبت فأصابتها حاجة شديدة، فأتتني، وسألتني، فقلت: لا، حتى تمكنيني من نفسك. فأبت ثم ذهبت فرجعت، وقد أصابتها حاجة شديدة. وفي رواية أخرى أنَّ زوجها كان مريضاً وكان بينهما أولاد صغار. وقد أصابهم القحط. قال: فأتتني فسألتني المرة الثالثة والرابعة. فقلت: لا، حتى تمكنيني من نفسك، فقالت: دونك فلما قعدت منها مقعد الرجل من امرأته، ارتعدت، فقالت: لا يحل لك أن تفك هذا الخاتم إلا بحله، فتركتها ووفرت عليها ما احتاجت إليه، اللهم إن كنت تعلم أني فعلت هذا ابتغاء لوجهك ففرّج عنا، فأنفرجت من باب الغار فرجة.

---

(١) **ضعيف*** فيه علتان. **الأولى** (سويد بن سعيد الحدثاني) يضعَّف في الحديث **الثانية**: تدليس قتادة

وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أنه كان لي أبوان شيخان كبيران، وأني حلبت حلاباً فجئت أعشيهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وخشيت على غنمي لو تركتها، فتركت ماشيتي وأمسكت الإناء على يدي حتى طلع الفجر، وغنمي في البرية. اللهم إن كنت تعلم أني فعلْتُ ذلك ابتغاءَ وجهك، ففرج عنا، فانفرجت عنهم فرجة أخرى.

وقال الآخر: اللهم إنك تعلم أني استأجرت أجراء يعملون لي، كل رجل بمُدَّيْنِ من الطعام، فعملوا لي، فوفيتهم أجورهم، فقال رجل منهم: كان عملي أفضل، فأعطني أُفضل، فأبيت فغضب. وفي رواية أخرى قال: جاء رجل آخر في نصف النهار، فعمل في بقية نهاره مثل ما عمل غيره في يومه كله، فرأيت أن لا أنقص من أجرته شيئاً، فقال رجل منهم: إنه جاء في وسط النهار وأنا جئت في أول النهار فسويت بيننا في الأجرة، فقلت: هل نقصت من أجرتك شيئا؟ فغضب وترك أجرته، وذهب، فأخذت المدين، فزرعتهما، فجاء منهما المال، البقر والغنم والإبل وشيئاً كثيراً، فجاءني بعد ذلك يطلبه مني بعدما اشتدت حاجته، فقلت: انظر كل شيء ههنا فخذه. اللهم إن كنت تعلم أني فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافْرُج عنا. فانفرج عنهم فخرجوا منها(١).

وروى هذا الخبر أيضاً النعمان بن بشير عن رسول الله ﷺ أنه كان يحدث حديث الرقيم، وذكر هذا الحديث، وروى غير النعمان أيضاً هذا الخبر عن رسول الله ﷺ إلا أنهم رووه بألفاظ مختلفة.

حكاية:

٩٦٠ ـ قال الفقيه... بإسناده عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«إنه كان في بني إسرائيل عابد، وكان قد أوتي جمالاً وحسناً، وكان يعمل القفاف بيده فيبيعها، فمر ذات يوم بباب الملك فنظرت إليه جارية لامرأة الملك، فدخلت إليها وقالت لها: ههنا رجل ما رأيت أحسن منه يطوف بالقفاف يبيعها. قالت: أدخليه عليّ، فأدخلته فلما دخل نظرتْ إليه فأعجبها، فقالت له: اطرح هذه القفاف، وخذ هذه الملحفة، وقالت لجاريتها: هاتي الدهن يا جارية، وهاتي الطيب فنقضي منه حاجتنا، ويقضيها منا وقالت: تغنيك عن بيع هذا، فقال: ما أريد ذلك، مراراً، قالت: وإن لم ترد فإنك غير خارج حتى نقضي حاجتنا منك، وأمرت بالأبواب فأغلقت فلما رأى ذلك قال: هل فوق قصركم هذا متوضأ؟ قالت: نعم. ثم قالت: يا جارية ارقي بوضوئه، فلما رقي**

(١) متفق عليه: البخاري (/ ٣٤٦٥) ومسلم (٤/ ٢٧٤٣) بنحوه عن ابن عمر. مرفوعاً

جاء إلى ناحية السطح، فرأى قصراً مرتفعاً ولا شيء يتعلق به ليرسل نفسه من السطح، فأخذ يعاتب نفسه، ويقول يا نفس أنت منذ سبعين سنة تطلبين رضا الرب الكريم حريصة عليه فى الليل والنهار، جاءتك عشية واحدة تفسد عليك هذا كله، إنك والله لخائنة إن جاءتك هذه العشية، وأفسدت عليك عملك، أرسلى نفسك من هذا السطح فتلقى الله ببقية عملك، فجعل يعاتبها».

قال رسول الله ﷺ: «فلما تهيأ ليلقى نفسه قال الله عز وجل لجبريل: ياجبريل، قال: لبيك وسعديك. قال: عبدى يريد أن يقتل نفسه فراراً من سخطى ومعصيتى، فتلقه بجناحك لايصيبه مكروه، فبسط جبريل عليه السلام جناحه، فأخذه به ثم وضعه كما يضع الوالد الرحيم ولده، قال: فأتى امرأته وترك القفاف وقد غابت الشمس».

فقالت له امرأته: أين ثمن القفاف؟ فقال لها: ما أصبت لها اليوم ثمناً، فقالت: على أى شيء نفطر الليلة؟ قال: نصبر ليلتنا هذه. ثم قال: قومى فاسجرى تنورك فإنا نكره أن جيراننا إذا لم يرونا نسجر التنور اشتغلت قلوبهم بنا، فقامت فسجرته، ثم جاءت فقعدت، فجاءت امرأة من جيرانها. فقالت: يا فلانة هل عندك وقود؟ قال: نعم ادخلى، فخذى من التنور، فدخلت، ثم خرجت، فقال: يا فلانة، ما لى أراك جالسة تتحدثين مع فلان وقد نضج خبزك فى التنور، ويكاد أن يحترق؟ فقامت فإذا التنور محشو خبزاً نقياً، فجعلته فى حفنة، ثم جاءت به إلى الزوج، فقالت له: إن ربك لم يصنع بك هذا إلا وأنت عليه كريم، فادع الله أن يبسط علينا بقية عمرنا فى معاشنا.

فقال لها: تصبّرى على هذا، فلم تزل به حتى قال: نعم أفعل، فقام فى جوف الليل يصلى، ودعا الله تعالى وقال: اللهم إن زوجتى سألتنى فأعطها ما تتوسع به فى بقية عمرها، فانفرج السقف فنزلت إليه كف عليه ياقوتة أضاء لها البيت كما يضيء الشمع، فغمز رجلها، وكانت نائمة قريبة منه، فقال لها: اجلسى وخذى ما سألت. فقالت: لا تعجل، ألهذا أيقظتنى؟ قد كنت رأيت فى المنام كأنى أنظر إلى كراسى مصفوفة من ذهب، مكللة بالياقوت والزبرجد، فيها ثلمة، فقلت: لمن هذا؟ قالوا: هذا مجلس زوجك، فقلت: ما هذه الثلمة؟ قالوا: ما تعجل به زوجك. فقلت مالى حاجة فى شيء يثلم عليك مجلسك، ادع ربك، فدعا ربه فرجع الكف[1].

حكاية:

قال الفقية - رحمه الله تعالى -: حدثنا أبى - رحمه الله تعالى - بإسناده عن عبدالله بن الفرج العابد يقول: خرجت يوماً أطلب رجلاً يَرُمُّ لى شيئاً فى الدار،

---

(١) لم أقف على إسناده

فذهبت فأشير إلى رجل حسن الوجه بين يديه مزوز وزنبيل، فقلت: أتعمل لى اليوم إلى الليل، قال: نعم، فقلت بكم؟ قال: بدرهم ودانق، فقلت له: قم فقام، فعمل ذلك اليوم عمل ثلاثة رجال، ثم أتيته فى اليوم الثانى، فسألت عنه، فقيل لى ذلك الرجل لا يرى فى الجمعة إلا يوماً واحداً يوم كذا، فتربصت حتى أتى اليوم الذى وصفوا، ثم جئت ذلك اليوم، فإذا هو جالس وبين يديه مروز وزنبيل، فقلت له: أتعمل لى؟ قال: نعم، قلت: بكم، قال: بدرهم ودانق، فقلت: قم فقام فعمل ذلك اليوم عمل ثلاثة رجال، فلما كان بالمساء، وزنت درهمين ودانقين وأحببت أن أستعلم ما عنده قال لى: ما هذا؟ قلت: درهمان ودانقان. قال: ألم أقل لك بدرهم ودانق، قد أفسدت علىّ أجرتى، لست آخذ منك شيئا، قال: فوزنت له درهما ودانقا، فأبى أن يأخذ وألححت عليه. فقال لى: سبحان الله أقول: لا آخذ وتلح علىّ، فأبى أن يأخذ ومضى فأقبلت علىَّ أهلى. وقالت: فعل الله بك ما أردت من الرجل قد عمل لك ثلاثة، وأفسدت عليه أجرته. قال: فجئت يوماً أسأل عنه فقيل إنه مريض، فاستدللت على بيته، فأتيته فاستأذنت عليه، فدخلت، فإذا هو مبطون فى خربة ليس فى بيته شىء إلا ذلك المروز والزنبيل، فسلمت عليه فردّ علىّ السلام. فقلت له: لى إليك حاجة، وتعرف فضل إدخال السرور على المؤمن، وأنا أحب أن تأتى إلى بيتى أمرضك. قال: أتحب ذلك؟ قلت: نعم. قال: آتيك بثلاث شرائط. قلت نعم. قال:

إحداها: أن لا تعرض علىّ طعاماً حتى أسألك، قلت: نعم.

والثانية: إذا مت أن تدفننى فى كسائى هذا، وجبتى هذه. فقلت: نعم. قال:

وأما الثالثة: فهى أشد منهما وسأخبرك عنها، فحملته إلى منزلى عند الظهر. فلما أصبحت من الغد نادانى: يا عبد الله، فأتيته فقلت: ما شأنك؟ قال: الآن أخبرك على حاجتى الثالثة، وإنى قد احتضرت، يعنى قد حضرت وفاتى، ثم قال: افتح صرة على كُم جبتى ففتحتها، فإذا فيها خاتم له فص أخضر، فقال لى: إذا أنا مت ودفنتنى فخذ هذا الخاتم، وادفعه إلى هارون الرشيد أمير المؤمنين، وقل له: يقول لك صاحب هذا الخاتم: ويحك لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن متّ على سكرتك ندمت على ذلك.

فلما دفنته سألت عن يوم خروج هارون الرشيد وكتبت له القصة، وتعرضت له فدفعتها إليه، وتأذيت أذى شديداً، فلما دخل القصر وقرأ القصة. قال: علىّ بصاحب هذه القصة، فأُدخلتُ عليه، فقال: ما شأنك؟ فأخرجت الخاتم. فلما نظر إلى الخاتم قال: من أين لك هذا؟ فقلت: دفعه إلىّ رجل طيان، فقال: رجل طيان، رجل طيان، ونظرت إلى دموعه تنحدر من عينيه على لحيته، ومن لحيته على ثيابه ويقول: طيان طيان، وقربنى منه وأدنانى.

فقلت: يا أمير المؤمنين إنه أوصانى أيضاً وقال لى: إذا أوصلت إليه الخاتم قل له: إنه يقرئك صاحب هذا الخاتم السلام ويقول لك: لا تموتن على سكرتك هذه، فإنك إن مت على سكرتك هذه ندمت، فقام على رجليه قائماً فضرب بنفسه على البساط وهو يتقلب برأسه ولحيته ويقول: يا بنى نصحت أباك حياً وميتاً. فقلت فى نفسى: كأنه ابنه ولم أشعر به، فبكى بكاء طويلاً ثم جلس وجاؤوا بالماء وغسل وجهه ثم قال: كيف عرفته؟ فقصصت عليه قصّته، فبكى بكاء شديداً طويلاً ثم قال:

كان هذا أول مولود وُلد لى، فكان أبى المهدى ذكر لى أن يزوجنى زبيدة فنظرت يوماً إلى امرأة فعلق قلبى بها فتزوّجتها سراً من أبى، وأولدتها هذا الولد فأنفذتهما إلى البصرة ودفعت إليهما هذا الخاتم وأشياء كثيرة، وقلت لها: اكتمى نفسك فإذا بلغك أنى قد قعدت للخلافة فائتنى، فلما قعدت للخلافة سألت عنهما، فذكر لى أنهما ماتا، ولم أعلم أنه باق. فأين دفنته؟ فقلت: دفنته فى مقابر عبد الله بن المبارك.

قال: إن لى إليك حاجة إذا كان بعد المغرب وقفت لى حتى أخرج إليك متنكراً إلى قبره فأزوره، فوقفت له فخرج والخدم حوله حتى وضع يده فى يدى، فجئت به إلى قبره. فما زال ليلته يبكى إلى أن أصبح، ويقول: يا بنى نصحت أباك حياً وميتاً، فجعلت أبكى لبكائه رحمة له منى حتى طلع الفجر. ثم رجع حتى إذا دنا إلى الباب فقال لى: قد أمرت لك بعشرة آلاف درهم، وأمرت بأن تجرى عليك، فإذا أنا مت أوصيت من يلى من بعدى أن يجرى عليك ما بقى لك لكل عقب فإن لك على حقاً بدفنك ولدى، فلما أراد أن يدخل الباب قال لى: انظر إلى ما أوصيتك إذا طلعت الشمس، فقلت: إن شاء الله، فرجعت من عنده فلم أعد إليه.

حكاية:

٩٦١ ـ قال الفقيه ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا العباس بن الفضل، حدثنا يحيى ابن أبى حاتم، عن همام بن سمرة، عن ليث بن خالد، عن يزيد بن هارون، عن يحيى بن موسى، عن شهر بن حوشب، عن أبى أمامة، عن على بن أبى طالب ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: لما آخى نبى الله ﷺ بين المسلمين آخى بين سعيد بن عبد الرحمن وبين ثعلبة الأنصارى، وغزا نبى الله ﷺ غزوة تبوك، فخرج سعيد بن عبد الرحمن غازياً، وخلف أخاه ثعلبة فى أهله، فكان يحتطب لأهله الحطب، ويستقى لهم الماء على ظهره فى كل ذلك يرجو الثواب من الله تعالى، فأقبل ثعلبة ذات يوم، فدخل المنزل، فجاءه إبليس لعنه الله، فقال له: انظر ما خلف الستر، فرفع ثعلبة الستر، فرأى امرأة أخيه، وكانت امرأة جميلة، فلم يصبر حتى دخل عليها ومسها. فقالت له: يا ثعلبة، ما حفظت فينا حرمة أخيك الغازى فى سبيل الله، فنادى ثعلبة بالويل والثبور، وخرج هارباً إلى الجبل فنادى بأعلى صوته: إلهى أنت

أنت وأنا أنا، أنت العواد بالمغفرة، وأنا العواد بالذنوب والخطايا.

فلما أقبل النبى - ﷺ - من غزوته أقبل جميع الإخوان يتلقون إخوانهم ولم يستقبل أخو سعيد، فأقبل سعيد إلى منزله فقال لامرأته يا هذه: ما فعل أخى المؤاخى فى الله؟ قالت: إنه ألقى بنفسه فى بحور الخطايا فخرج هارباً إلى الجبل، فخرج سعيد يطلب أخاه، فوجده منكباً على وجهه واضعاً يده على رأسه ينادى بأعلى صوته: وأذلّ مقاماه، مقام من عصى ربه. فقال له سعيد: قم يا أخى فما الذى بلغك ما أرى؟ فقال ثعلبة: لست بقائم معك حتى تغل يدى إلى عنقى وتقودنى كما يقاد العبد الذليل إلى باب مولاه؛ ففعل.

وكانت له ابنة يقال لها خمصانة، فأقبلت تقود أباها حتى أتت به إلى باب عمر - رضى الله تعالى عنه - فدخل فقال: لامست امرأة أخى الغازى فى سبيل الله فهل لى من توبة؟ فقال عمر: اخرج من عندى، فقد هممت أن أقوم إليك وآخذ بشعرك، اخرج من عندى فلا توبة لك عندى.

فانطلق من عنده إلى باب أبى بكر - رضى الله تعالى عنه - فلما دخل قال لامست امرأة أخى الغازى فى سبيل الله فهل لى من توبة؟ فقال أبو بكر الصديق - رضى الله تعالى عنه -: اخرج من عندى، لا تحرقنى بنارك، فلا توبة لك عندى أبداً.

فخرج من عنده إلى باب على - رضى الله تعالى عنه - وقال: لامستِ امرأة أخى الغازى فى سبيل الله، فهل لى من توبة: فقال له اخرج من عندى فلا توبة لك عندى أبداً، فخرج من عنده وهو يقول يا أخى ويا ابنتى قد آيسنى هؤلاء النفر، وأرجو أن لا يؤيسنى رسول الله ﷺ فأتت به ابنته إلى باب رسول الله ﷺ فلما دخل عليه نظر إليه رسول الله - ﷺ - فقال: «**ذكرتنى سلاسل جهنم وأغلالها**». فقال له: يا نبى الله بأبى أنت وأمى، لامست امرأة أخى الغازى فى سبيل الله، فهل لى من توبة؟ فقال النبى ﷺ: «**اخرج من عندى فلا توبة لك عندى أبداً**». فخرج.

فقالت له ابنته: يا أبت، لست لى بوالد ولاأنا لك بأبنه حتى يرضى عنك محمد وأصحابه - عليه الصلاة والسلام - فأقبل ثعلبة هارباً إلى الجبل ينادى بأعلى صوته: يارب أتيت عمر، فأراد ضربى، وأتيت أبا بكر فانتهرنى، وأتيت علياً فطردنى، وأتيت النبى ﷺ فآيسنى، فما أنت يا مولاى صانع بى أن تقول لدعائى: نعم أو تقول: لا، فإن قلت: لا، فيا ويلتاه ويا شقوتاه ويا ندامتاه. وإن قلت: نعم، فطوبى لى.

قال: فأقبل ملك من السماء وهو يقول للنبى ﷺ يقول الله تعالى: أنت خلقت الخلق أم أنا؟ قال: «**بل أنت يا سيدى**». قال: يقول لك الجبار تبارك وتعالى: «**بشر عبدى أنى قد غفرت له**». فقال النبى ﷺ: «**من يأتينى بثعلبة**»؟ قال: فقام أبو بكر

وعمر رضى الله تعالى عنهما فقالا: يارسول الله نحن نأتى به فقام على وسلمان رضى الله تعالى عنهما فقالا: يارسول الله نحن نأتى به، فأذن لعلى وسلمان فخرجا وأخذا فى وجهته فانطلقا فإذا هما براع من رعاة المدينة، فقال له على كرم الله وجهه هل رأيت أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ قال: الراعى عسى أنكما تطلبان الهارب من جهنم؟ قالا: نعم، فدلنا على موضعه. قال: إذا جن عليه الليل حضر هذا الوادى حتى يجىء تحت هذه الشجرة، ثم ينادى بأعلى صوته واذلّ مقاماه مقام من عصى ربه.

فأقاما حتى جنّ عليهما الليل إذ أقبل ثعلبة فأتى الشجرة، فخرّ تحتها ساجداً باكياً، فلما سمع بكاءه سلمان مشى إليه، فقال له: يا ثعلبة قم، فإن رب العالمين قد غفر لك. قال: كيف تركتما حبيبى محمداً ﷺ؟ قال سلمان: كما يحب الله وتحب أنت، فلما أقام بلال لصلاة العشاء أدخلاه المسجد فأقاماه فى آخر الصف فقرأ رسول الله ﷺ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فشهق شهقة. فلما تلا ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ شهق شهقة أخرى وفارق الدنيا. فلما انفتل النبى ﷺ جاء إلى ثعلبة، فقال: «**يا سلمان، انضح عليه الماء**»، فنادى سلمان: يا نبى الله قد فارق الدنيا.

فأقبلت ابنته فقالت: يا نبى الله، مافعل والدى؟ فإنى كنت بالأشواق إليه. قال: «**ادخلى المسجد**» فدخلت، فإذا هو بوالدها ميت مسجّى، فوضعت يدها على رأسها، ثم أنشأت تنادى: واغمّاه، فمن لى بعدك يا أبتاه. فقال النبى ﷺ: «**يا خمصانة، أما ترضين أن أكون لك والداً؟ وتكون فاطمة لك أختاً؟**» فقالت: بلى يا رسول الله.

فلما حُملَ ثعلبة أقبل النبى ﷺ يتبع جنازته حتى إذا بلغ شفير القبر أقبل يمشى على أطراف أصابعه فلما رجع، قال عمر رضى الله عنه: يارسول الله رأيتك تمشى على أطراف أصابعك، قال: «**يا عمر ماقدرت أن أضعَ باطن قدمى من كثرة الملائكة**»(1).

قال الفقيه: قد روى هذا الخبر بألفاظ مختلفة، ويقال: هذه الآية نزلت فى شأنه ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا الله فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا الله﴾ إلى قوله: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

حكاية:

قال الفقيه: حدثنى أبى ـ رحمه الله تعالى ـ، حدثنا محمد بن موسى بن رجاء رفعه إلى أحنف بن قيس، قال: قدمت المدينة وأنا أريد عمر بن الخطاب ـ رضى الله

---

(1) ضعيف* أبو نعيم فى «الحلبة» (٩/ ٣٣٠) من طرق أبو بكر بن المفيد ـ لبس بحجة ـ بإسناده عن سليم بن منصور عن أبيه ـ وليسا بشىء ـ عن المنكدر ـ لين الحديث ـ عن أبيه عن جابر. وضعفه الحافظ فى «الإصابة» (٩٤٤) وابن عراق فى «تنزيه الشريعة» (٢/ ٢٨٥). وفى سند المصنف (شهر بن حوشب) .

تعالى عنه ـ فإذا أنا بحلقة عظيمة، فإذا بكعب الأحبار يحدّث الناس ويقول: لما حضر آدم الوفاة قال: يارب سيشمت بى عدوى إذا رآنى ميتاً، وهو مُنْظَرٌ إلى الوقت المعلوم، فقيل له: يا آدم إنك ترد الجنة، ويؤخّر الملعون إلى النظرة، ليذوقَ بعدد الأولين والآخرين ألم الموت.

ثم قال آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ لملك الموت: صف لى كيف تذيقه الموت، فلما وصفه قال آدم: رب حسبى حسبى، فضج الناس، وقالوا: يا أبا إسحاق، يرحمك الله، حدثنا كيف يذوق الموت؟ فأبى أن يقول فألحوا عليه، فقال: إنه إذا كان آخر الدنيا وقربت النفخة، فإذا الناسُ قيامٌ فى أسواقهم يتخاصمون ويتجرون ويتحدثون إذا هم بهدة عظيمة يصعق فيها نصف الخلائق، فلا يفيقون منها مقدار ثلاثة أيام، والنصف الباقى من الناس تذهل عقولهم، فيبقون مدهوشين قياماً على أرجلهم كالغنم الفزعة حين ترى سبعاً.

فبينما الناس فى هذا الهول إذا هُمْ بهدّة بين السماء والأرض غليظة كصوت الرعد القاصف، فلا يبقى على ظهرها أحد إلا مات، فتبقى الدنيا بلا آدمى ولاجنّى ولا شيطان ولا وحش ولا دابة، فهذه النظرة المعلومة التى كانت بين الله تعالى وبين إبليس.

ثم يقول الله عز وجل لملك الموت: إنى خلقت لك بعدد الأولين والآخرين أعواناً، وجعلت فيك قوة أهل السماوات وأهل الأرض وإنى ألبسك اليوم أثواب الغضب والسخط كلها، فأنزل بغضبى وسخطى إلى ملعونى ورجيمى إبليس، فأذقه الموت، واحمل عليه من الموت مرارة الأولين والآخرين من الجن والإنس أضعافاً مضاعفة، وليكن معك من الزبانية سبعون ألف ملك، قد امتلأوا غيظاً وغضباً، وليكن مع كل زبانية سلسلة من سلاسل لظى، وانزع روحه المنتنة بسبعين ألف كلوب من كلاليب لظى، ونادِ مالكاً ليفتح أبواب النيران.

فينزل ملك الموت بصورة لو نظر إليه أهل السماوات السبع والأرضين السبع لذابوا كلّهم من هول رؤية ملك الموت، فإذا انتهى إلى إبليس، وزجره زجرة إذا هو صعق منها ونخر نخرة لو سمعه أهل المشرق والمغرب لصعقوا من تلك النخرة. وملك الموت يقول: قفْ يا خبيثُ لأذيقنك اليوم الموت بعدد من أغويت. كم من عُمر أدركته! وكم من قرون أضللت! وكم من قرناء لك بسواء الجحيم يقارنونك! وهذا الوقت المعلوم الذى بينك وبين ربك، فإلى أين تهرب؟ فيهرب الشيطان إلى المشرق فإذا هو بملك الموت بين عينيه فيغوص فى البحار فإذا هو بملك الموت فترميه البحار فلا تقبله، فلا يزال يهرب فى الأرض ولا محيص ولا ملجأ له ولا منجى.

ثم يقوم فى وسط الدنيا عند قبر آدم ـ عليه السلام ـ ويقول: من أجلك يا آدم حُوِّلْتُ ملعوناً رجيماً فيا ليتك لم تخلق، فيقول لملك الموت: بأى كأس تسقينى؟

يعني بأي عذاب تقبض روحي؟ فيقول ملك الموت: بكأس أهل لظى. يعني مثل عذاب أهل النار وبكأس أهل سقر، وبكأس أهل الجحيم أضعافاً مضاعفة.

قال: وإبليس يتمرّغ في التراب مرة، ويصيح أخرى، ويهرب مرة من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشرق؛ حتى إذا كان في الموضع الذي أهبط فيه يوم لعن، وقد نصبت له الزبانية الكلاليب، وصارت الأرض كالجمرة، وتحتوشه الزبانية فيطعنونه بالكلاليب؛ فيكون في النزع والعذاب إلى ما شاء الله.

ويقال لآدم وحواء: اطلعا اليوم على عدوكما، وانظرا ما نزل به كيف يذوق الموت، فيطلعان، فإذا نظرا إلى ما هو فيه من شدة العذاب والموت قالا: ربنا قد أتممت علينا النعمة(١).

حكاية:

قال الفقيه: حدثنا أبي ـ رحمه الله تعالى ـ بإسناده عن عبد الواحد بن يزيد ـ رحمهم الله تعالى ـ، قال: بينما أنا يوما في مجلسنا هذا، وقد تهيأنا للخروج إلى الغزو، وقد أمرت أصحابي أن يتهيؤوا غداة الإثنين، وقد قرأ رجل في مجلسنا ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ [التوبة: ١١١] الآية فقام غلام ابن خمس عشرة سنة أو نحو ذلك وقد مات أبوه وأورثه مالاً كثيراً. فقال: ياعبد الواحد ﴿**إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ**﴾ فقلت: نعم حبيبي. فقال لي: إني أشهدك يا عبد الواحد أني قد بعت نفسي ومالي بأن لي الجنة، فقلت له: إن حد السيف أشد من ذلك، وأنت صبي وإني أخاف عليك أن لا تصبر وتعجز عن ذا البيع. قال: فقال لي: يا عبد الواحد إني أبايع الله بالجنة ثم أعجز، إني أشهدك أني بايعت الله، فقال: فتقاصرت إلينا أنفسنا، فقلنا: صبي يفعل ونحن لا نفعل!

قال: فخرج من ماله كله، يعني تصدق به إلا فرسه وسلاحه ونفقته، فلما كان يوم الخروج كان أول من طلع علينا. فقال: السلام عليك يا عبد الواحد، فقلت له: وعليك السلام ورحمة الله وبركاته، ربح البيع. ثم سرنا وهو معنا يصوم النهار، ويقوم الليل، ويخدمنا، ويرعى دوابنا ويحرسنا إذا بتنا حتى دفعنا إلى بلاد الروم.

فبينما نحن كذلك يوماً إذ أقبل وهو ينادي: واشوقاه إلى العيناء المرضية حتى قال أصحابي: لعله وُسوس الغلام أو خلط عقله، حتى دنا، وجعل ينادي: ياعبدالواحد

(١) لم أقف على إسناده.

لا صبرَ لى، واشوقاه إلى العيناء المرضية، فقلت: حبيبى وما هذه العيناء المرضية؟ قال:

إنى غفوت غفوة يعنى نمت نومة فرأيت كأنه آتانى آت فقال: أذهب بك إلى العيناء المرضية، فهجم بى على روضة فيها نهر ماء غير آسن، فإذا على شط النهر جوار عليهن من الحلى والحلل ما لا أصف، فلما رأيننى استبشرن وقلن: هذا زوج العيناء المرضية قد قدم فقلت: السلام عليكن أيكن العيناء المرضية؟ فقلن: لا، نحن خدمٌ لها وإماؤها، فتقدم أمامك فتقدمت، فإذا بنهر فيه لبن لم يتغير طعمه، فى روضة فيها من كلّ زينة، فيها جوار؛ فلما رأيتهن أفتتنت من حسنهن وجمالهن، فلما رأيننى استبشرن، وقلن: هذا ـ والله ـ زوجُ العيناء المرضية قد قدم علينا. فقلت: السلام عليكن، أفيكن العيناء المرضية؟ فقلن: وعليك السلام يا ولى الله، نحن خدم لها، وإماء لها، فتقدم أمامك، فتقدمت، فإذا بنهر آخر من خمر على شط الوادى، فيه جوار أنسيننى من خلفت. فقلت: السلام عليكن، أيكن العيناء المرضية؟ فقلن: لا، نحن إماء لها، وخدم لها، امضى أمامك، فتقدمت، فإذا أنا بنهر آخر من عسل مصفى، وروضة فيها جوار لهنّ من النور والجمال ما أنسانى من خلفت. فقلت: السلام عليكن، أفيكن العيناء المرضية؟ قلن: لا يا ولى الرحمن، نحن إماء لها، امضِ أمامك.

فتقدمت، فرفعت لى خيمة من درّة جوفاء، على باب الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل ما لا أصفه، فلما راتنى أستبشرت، ونادت من الخيمة: أيتها العيناء المرضية، هذا بعلك قد قدم، قال: فدنوت من الخيمة، فدخلت فيها، فإذا هى على سريرها قاعدة، وسريرها من ذهب مُكلّل بالدر، والياقوت، فلما رأيتها افتتنت بها، وهى تقول: مرحباً بولى الرحمن قد دنا لك القدوم علينا فذهبت لأعتنقها، فقالت: مهلاً، فإنه لم يأن لك أن تعانقنى، فإن فيك روحِ الحياة، وأنت تفطر الليلة عندنا إن شاء الله تعالى، فانتبهت يا عبد الواحد، ولا صبرَ لى عنها.

قال عبد الواحد: فما انقطع كلامنا حتى ارتفعتْ لنا سرية من العدو، فحملنا عليهم وحمل الغلام، قال: فعددت تسعة من العدو الذين قتلهم الغلام، وكان هو العاشر فمررت به وهو يتشحّط فى دمه، يضحك ملء فيه حتى فارق الحياة.

حكاية:

٩٦٢ ـ قال الفقية ـ رحمه الله تعالى ـ: حدثنا الفقيه أبو جعفر ـ رحمه الله تعالى ـ قال: حدثنا على بن أحمد، حدثنا عبد الله بن بشر بإسناده، عن يزيد بن حوشب الفهرى، عن أبيه ـ رضى الله تعالى عنهم ـ قال: سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول: «لو كان جريج الراهب فقيهاً لعلم أن إجابته أمه أفضل من عبادة ربه»[(١)].

(١) موضوع* الخطيب فى «تاريخة» (١٣/ ٣، ٤) انظر: الصعيفة (١٥٩٩).

قال: سمعت غيره يذكر قصة جريج: أنه كان راهباً فى بنى إسرائيل يعبد الله تعالى فى صومعته، فجاءته أمه يوماً وهو قائم فى الصلاة، فنادته: يا جريج، فلم يجبها؛ لاشتغاله بصلاته، فقالت: ابتلاك الله بالمومسات، تعنى الزوانى.

وكانت امرأة فى تلك البلدة خرجت لحاجة لها، فأخذها راع، فواقعها عند صومعة جريج، فحملت، وكان أهل تلك البلدة يعظمون أمر الزنا، فظهر أمر تلك المرأة فى البلد، فلما وضعت حملها أخبر الملك أن امرأة قد ولدت من الزنا، فدعاها، فقال: من أين لك هذا الولد؟ قالت: من جريج الراهب، قد واقعنى، فبعث الملك أعوانه إليه وهو فى الصلاة، فنادوه، فلم يجبهم، حتى جاؤوا بالمرازب، وهدموا الصومعة، وجعلوا فى عنقه حبلاً، وجاؤوا به إلى الملك. فقال له الملك: إنك قد جعلت نفسك عابداً، ثم تهتك حرم الناس، وتتعاطى ما لا يحل لك. قال: أى شىء فعلت؟ قال: إنك قد زنيت بامرأة كذا، فقال: لم أفعل، فلم يصدقوه، وحلف على ذلك فلم يصدقوه، فقال: ردونى إلى أمى.

فردّوه إلى أمه، فقال لها: يا أماه، إنك دعوتِ الله علىّ، فاستجابَ الله دعاءك، فادعى الله يكشف عنى بدعائك. فقالت أمه: اللهم إن كان جريج إنما أخذته بدعوتى فاكشف عنه، فرجع جريج إلى الملك، فقال: أين هذه المرأة؟ وأين الصبى؟ فجاؤوا بالمرأة والصبى، فسألوها، فقالت المرأة: بلى، هذا الذى فعل بى، فوضع جريج يده على رأس الصبى، وقال: بحقّ الذى خلقك أن تخبرنى من أبوك؟ فتكلّم الصبى بإذن الله، وقال: إن أبى فلان الراعى، فلما سمعت المرأة ذلك اعترفت، وقالت: كنتُ كاذبة، وإنما فعل بى فلان الراعى[1].

وفى رواية: أن المرأة كانت حاملاً لم تضع حملها بعد. فقال لها: أين أصبتك؟ قالت: تحت شجرتك، وكانت الشجرة بجنب صومعته. قال جريج: اخرجوا إلى تلك الشجرة. ثم قال: يا شجرة، أسألك بالذى خلقك أن تخبرينى من زنى بهذه المرأة؟ فقال كلّ غصن منها: راعى الضأن. ثم طعن بأصبعه فى بطنها، وقال: يا غلام، من أبوك؟ فنادى من بطنها: أبى راعى الضأن، فاعتذر الملك إلى جريج الراهب، وقال: ائذن لى أن أبنى صومعتك بالذهب، قال: لا. قال: فبالفضة قال: لا. ولكن بالطين كما كانت، فبنوها بالطّين كما كانت.

وروى إبراهيم، عن مهاجر بن مجاهد، قال: ما تكلّم صبىٌّ فى حال صغره وهو

(١) انظر قصة جريج عند البخارى (٦/ ٣٤٣٦) ومسلم (٤/ ٢٥٥٠) من حديث أبى هريرة.

طفل إلا أربعة[1] عيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ وصاحب الأخدود، وصاحب جريج الراهب، وصاحب يوسف عليه الصلاة والسلام، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [يوسف: ٢٦].

تمّ بحمد الله تعالى وحسن توفيقه ومنّه وكرمه وإحسانه، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وعترته الطيبين الطاهرين.

اللهم رزقتنا كتابته فارزقنا العمل به بفضلك وكرمك، يا حنّان يا منّان يا ذا الجلال والإكرام.

وقع الفراغ من نسخه يوم الجمعة فى شهر المبارك المحرم فى سنة إحدى وستين وسبعمائة، على يد العبد الضعيف الراجى رحمة ربّه اللطيف: أحمد بن يعقوب بن على، عفا الله عنهم، وعن جميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات.

اللهم اغفر لصاحبه وكاتبه ولوالديهما.

رحم الله امرأً نظر فيه، ودعا لكاتبه ولوالديه ولأستاذيه.

غفر الله للناظرين فيه، والمتلقّين منه، والداعين له بالمغفرة والرحمة، والخاتمة بالخير، آمين يارب العالمين.

وصلى الله على محمد خاتم النبيين وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى أهل جماعتك أجمعين، من أهل السماوات وأهل الأرضين، وسلّم تسليماً دائماً كثيراً كثيراً.

اللهم اغفر لنا جميعاً، وارحمنا جميعاً، ولا تعذّبنا بعد الموت جميعاً، ونجّنا من النار جميعاً، وأدخلنا الجنة جميعاً، واحفظنا من الآفات والعاهات جميعاً.

توفّنا مسلمين، وألحقنا بالصّالحين.

---

(١) اتفق الشيخان ؛ على تكلم عيسى وصاحب جريج ومعهما طفل ثالث لإمرأة من بنى إسرائيل (فى المصدر السابق). وآما تكلم صاحب الأخدود: فورد عند مسلم (٤/ ٣٠٠٥) وأحمد (٦/ ١٧ـ١٨ بزيادة) من حديث صهيب أما شاهد يوسف: فورد فى أحاديث لاتخلو من علّة. انظر: الضعيفة (٨٨)

وبهذا تم بحمد الله وتوفيقه تحقيق كتاب «تنبيه الغافلين» لأبى الليث السمرقندى على يد الفقير إلى الله/ السيد العربى بن أحمد بن حسين. ولله الحمد فى الأولى والآخرة.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

مطابع النور باك
٥ ش عبدالحليم محمود - مساكن عين شمس ت/ ٢٤٨٧١٩٨

